مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي
٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء الثامن

٦٠ - ٦٩ هـ

حققه هذا الجزء وعلق عليه

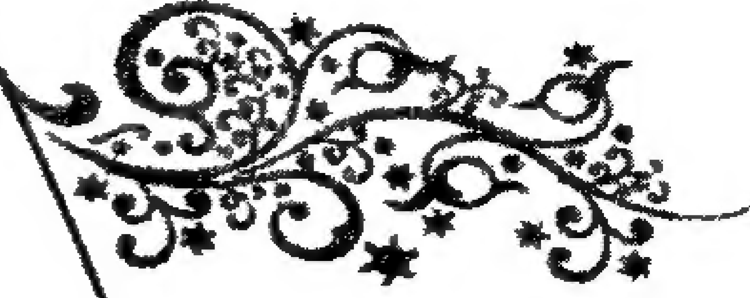
محمد رضوان عرقسوسي

الرسالة العالمية

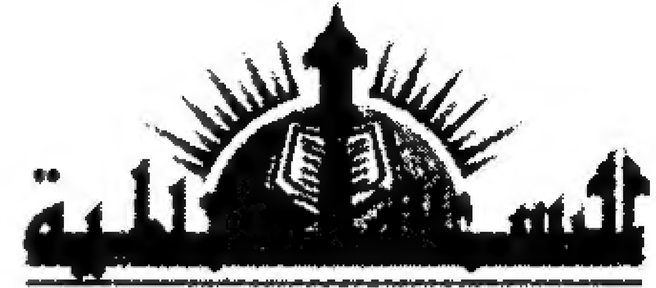
بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان
في تواريخ الأعيان

٨



بسم الله الرحمن الرحيم



دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.
Al-Resalah Al-Alamiah m.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي وصلاحي

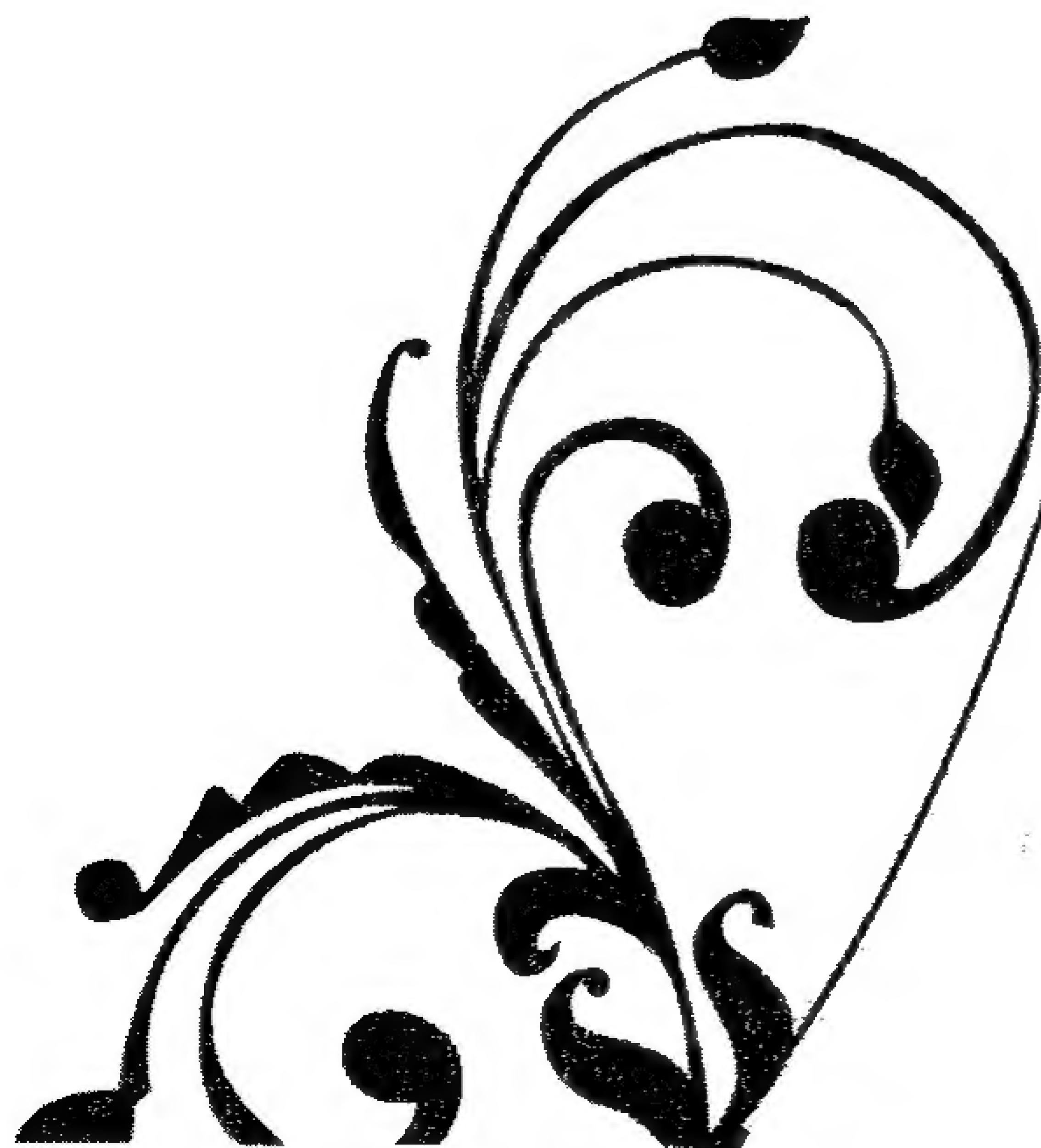
2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

الطبعة الأولى
٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ



السنة الستُّون

فيها أخذَ معاويةُ بنُ أبي سفيان البيعةَ لابنه يزيد على الوفد الذين وفدوا من البصرة مع عُبيد الله بن زياد حين مرض معاوية.

قال أبو مخنف: لما مرض معاويةُ مرضَه الذي مات فيه؛ دعا ابنَه يزيد، فقال له: يا بنيّ، إني قد كفيتُك الرجال[1]، ووطَّأتُ لك الأشياء، وذلَّلتُ لك الأعداء، وأخضعتُ لك أعناقَ العرب، وإني لا أتخوَّفُ عليك أن ينازعك هذا الأمر الذي استتبَّ إلا أربعةَ نفر من قريش: الحُسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزُّبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر[2].

فأمَّا الحُسين؛ فإنَّ أهل العراق لن يَدَعُوه حتى يُخرجوه، فإنْ خرجَ عليك فظَفِرتَ به؛ فاصْفَحْ عنه، فإنَّ له رَحِماً ماسَّة، وحقًّا عظيماً.

وأمَّا ابنُ عمر؛ فإنه رجلٌ قد وقَذَتْه العبادة، وإذا لم يبق أحدٌ غيرُه؛ بايَعك.

وأمَّا الذي يجثُم لك جُثُومَ الأسد، ويراوغُك رَوَغان الثعلب، فإذا أمكَنَتْهُ فُرصةٌ وثبَ، فابنُ الزُّبير، فإن هو فعلَها بك، وأمكنَتْك منه فُرصة وَقَدَرْتَ عليه؛ فقَطِّعْه إرْباً إرْباً.

وأما عبد الرحمن بنُ أبي بكر؛ فليست له هِمَّة إلا في اللهو؛ إذا رأى أصحابَه صنعوا شيئاً صنعَ مثلَه[3].

ثم مات في رجب، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٢٢، و«المنتظم» ٥/ ٣٢٠: كفيتك الرحلة والترحال.

(٢) أورد ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٣٩١ الخبر وقال: الصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية بسنتين.

(٣) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٢٢ _ ٣٢٣، و«المنتظم» ٥/ ٣٢٠ _ ٣٢١.

الباب الثاني في ذكر يزيد بن معاوية

وكنيتُه أبو خالد:

ومات معاوية ويزيدُ غائبٌ عن دمشق، فلما قدم لم يكن له همٌّ إلا بيعةُ النَّفَر الذين سمَّاهم له أبوه، فأقرَّ عُبيدَ الله بنَ زياد على البصرة، والنعمان بنَ بشير على الكوفة، وعلى المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى مكة عَمرو بن سعيد بن العاص.

فكتب إلى الوليد بن عُتبة كتاباً يعرِّفه فيه بمعاوية؛ يقول: أمَّا بعد، فإن معاويةَ كان عبداً من عباد الله، استخلفَه مدَّةً، فعاشَ بقَدَر، ومات بأَجَل، فرحمه الله، فقد عاش حميداً، ومات فقيداً[1]. والسلام.

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة: أمَّا بعد، فخذ حُسَيناً، وابنَ عُمر، وابنَ الزُّبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رُخْصة. والسلام[2].

وبعث بالكتاب مع عبد الله بن عمرو بن أويس أحد بني عامر بن لؤي، فقرأ الوليد كتاب يزيد بن معاوية وبكى، وترحَّم عليه، ثم استدعى مروانَ بنَ الحَكَم من بيته، وكان منقطعاً عنه؛ لأن الوليدَ لما ولَّاه معاويةُ المدينةَ عزَّ على مروانَ عزلُه عنها، فكان يتردَّد إلى الوليد متكارهاً، وعرفَ الوليدُ ذلك، فنال من مروان عند جلسائه، وبلغ مروانَ، فصارمَه، وأقامَ في بيته.

فلما جاء كتاب يزيد بنعي معاوية والبيعةِ له؛ فَزِعَ الوليدُ، وخافَ من موت معاوية وأخذِ البيعة على من سمَّاهم يزيد، فعند ذلك احتاج إلى رأي مروان، فأحضرَه وقال له: ما الرأي؟ قال: أن تبعثَ الساعةَ إلى هؤلاء النَّفَر فتدعوَهم إلى البيعة، فإنْ بايعوا، وإلَّا فاضربْ أعناقَهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فيصير كلُّ واحد منهم إلى قُطْر، فيغلب عليه، ويدعو إلى نفسه، إلَّا ابنَ عمر، فإنَّه لا يرى القتال، ولا الولاية على الناس، إلا أن يُدفعَ إليه هذا الأمر عفواً، أو يدفع عن نفسه[3].

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٢، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٣٨: ومات برًّا تقيًّا.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٣٣، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

فأرسل الوليدُ عبدَ الله بنَ عمرو بن عثمان، فقال: اذهب فائتني بالحسين وابنِ الزُّبير. وعبدُ الله يومئذ غلامٌ حَدَث، فجاء إلى المسجد، فوجدَهما فيه، فقال: إن الأمير يدعوكما. فقالا: انصرف، فنحن نأتيه.

ثم قال ابنُ الزُّبير للحسين: وما يُريدُ منَّا في هذه الساعة التي لم يكن له عادةٌ بالجلوس فيها؟! فقال الحسين: أظنُّ أنَّ طاغيتَهم قد مات، فبعثَ إلينا ليأخذ البيعة علينا قبل أن يفشوَ الخبر في الناس. فقال ابن الزُّبير: هو ذلك، فما تريد أن تصنع؟ قال: أجمعُ مواليَّ وخاصَّتي، وأمضي إليه فأُجلِسُهم على الباب وأدخلُ عليه. فقال: أخافُ عليك. قال: لا تخف.

ثم جمع فتيانه ومواليَه وقال: اقعُدوا على الباب، فإن دعوتُكم، أو سمعتُم صوتي قد علا فادخلُوا[1].

ثم جاء فدخل على الوليد ومروانُ عندَه، وسلَّم وكأنَّه لا يظنُّ أن معاويةَ قد مات، وقال: الصلةُ خيرٌ من القطيعة، والصلحُ خيرٌ من الفساد، وقد آنَ لكما أن تجتمعا، أصلحَ اللهُ ذاتَ بينِكما. فلم يجيباه في هذا بشيء، وألقى الوليدُ إليه كتابَ يزيد وقال: بايِعْ. فقال: مِثْلي لا يبايعُ سرًّا؛ إذا أظهرتَ [موتَ] معاوية[2]، ودعوتَنا علانيةً مع الناس؛ بايَعْنا، وكان الأمر واحداً. فقال له الوليد، وكان يحبُّ العافية: انصرفْ على خِيرة الله تعالى حتى تأتيَنا مع جماعةِ الناس. فقال له مروان: واللهِ لئن فارقَك الساعةَ ولم يبايعْ لا قَدَرْتَ منه على مثلِها حتى تكثرَ القتلى بينكما، مُرْهُ بالبيعة، فإن أبى فاضربْ عنقَه. فوثبَ عند ذلك الحُسين رضي الله عنه وقال: يا ابن الزَّرْقاء، أنتَ تقتلني أو هو؟! كذبتَ واللهِ وأثمتَ.

---

(١) في (خ) (والكلام منها فقط): (فإن دعوتكم فادخلوا وسمعتم صوتي فدعا...) كذا وقع الكلام فيها غير مجوَّد، ووقع فيها أيضاً أخطاء أخرى لم أثبتها لئلا تطول الحواشي بما لا فائدة فيه. وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٣٩، و«المنتظم» ٥/ ٣٢٣، والمثبت مستفاد منه.

(٢) ما بين حاصرتين من عندي لصحة السياق. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٦، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٣٩ _ ٣٤٠، و«المنتظم» ٥/ ٣٢٣.

ثم خرج الحسين رضي الله عنه إلى بيته، فقال مروان للوليد: واللهِ لا يمكِّنك من مثلها من نفسه أبداً. فقال له الوليد: ويحك يا مروان، اخترتَ التي فيها هلاكُ ديني، واللهِ ما أُحبُّ أنَّ لي ما طَلَعَتْ عليه الشمس وغربَتْ وأني قتلتُ حُسيناً، سبحان الله! أَقتلُ حُسيناً أنْ قال: لا أُبايع! واللهِ إني لا أحسبُ أنَّ امرأً يُحاسَبُ يوم القيامة بدم الحسين إلا خفيفَ الميزان عند الله. وجعل يردّد الكلام. فقال له مروان: أَصَبْتَ. وفي قلبه ما فيه[1].

وأمَّا ابنُ الزُّبير؛ فأتى دارَه، فأقامَ بها، فأرسلَ إليه الوليد، وألحَّ عليه، وهو يقول: أَمْهِلُوني. فألحُّوا عليه، وشتمه موالي العبيد وقالوا: يا ابنَ الكاهلية، واللهِ لئن لم تأتِ الأمير، لَيَقْتُلَنَّك.

فبعثَ ابنُ الزبير أخاه جعفراً إلى الوليد، فقال: كُفَّ عن أخي، فقد أَفْزَعْتَه، وغداً يأتيك. فكَفَّ عنه، وكان الوليد كافًّا عن الحسين رضي الله عنه.

وخرج ابنُ الزُّبير من ليلته، فأخذ على طريق الفُرْع ومعه أخوه جعفر؛ ليس معهما ثالث، وتجنَّبُوا الطريقَ الأعظم خوفاً من الطلب، وقصدا مكة، فبينا[2] ابنُ الزبير يُساير أخاه جعفراً تمثَّل جعفر بقول [ابن] نُوَيْرة[3] الحنظلي:

وكلُّ بني حَوَّا[4] سَيُمْسُونَ ليلةً ... ولم يَبْقَ من أعقابِهم غيرُ واحدِ

فقال عبد الله: يا أخي[5]، ما أردتَ بهذا؟ كأنَّه تطيَّر منه. فقال: واللهِ ما أردتُ إلا الخير، وإنما هو شيءٌ جرى على لساني من غير تعمُّد.

---

(١) ينظر الخبر في المصادر الثلاثة المذكورة.

(٢) في (خ) (والكلام منها): فبدأ، بدل: فبينا، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤١.

(٣) في (خ) (والكلام منها): نميرة، والتصويب من «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٤، ولفظة «ابن» منه، وهو مُتَمِّم ابن نُوَيْرة، ووقع في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤١: تمثل جعفر بقول صبرة...، وبنحوه في «البداية والنهاية» ١١/ ٤٦٨.

(٤) في المصادر المذكورة، وفي «الأغاني» ١٥/ ٣١٢: وكلُّ بني أمّ. والبيت قاله متمّم في رثاء أخيه مالك بن نُويرة.

(٥) اضطربت العبارة في (خ) (والكلام منها فقط)، فجاء فيها لفظ: فرحم الله عبد الله وقال يا ابن أخي...(؟) وأثبتُّ ما لا بدّ منه للسياق. وتنظر مصادر الخبر المذكورة قبل تعليق.

وكان مخرجُ ابن الزُّبير ليلة السبت لثلاث بقين من رجب، سنة ستين قبل مخرج الحسين رضي الله عنه بليلة، وبعثَ الوليدُ في أثرِه الرجال، فلم يقدروا عليه، واشتغلوا به عن الحسين، فخرَجَ الحسين رضي الله عنه ليلةَ الأحد بأهله ومواليه وإخوتِه وبني أخيه، وجميعِ أهل بيته إلا محمد بن الحنفية، فإنه لم يخرج معه وقال له: يا أخي، أنتَ أحبُّ الناسِ كلِّهم إليَّ، وأعزُّهم عليَّ، وأنت أحقُّ بالنصيحة من سائر الناس، تنحَّ ببيعتك[١] عن يزيد بن معاوية عن[٢] الأمصار ما استطعت، ثم ابعَثْ رُسُلك إلى الناس، فادْعُهم إلى نفسك، فإنْ بايعوك؛ حَمِدْتَ الله، وإن أجمعوا على غيرك لم يَنْقُصْ ذلك دينَك ولا عقلَك، ولا تذهبُ مروءتُك ولا فضلُك، وإني أخافُ أن تدخل مصراً من الأمصار، أو تأتيَ جماعة من الناس، فيختلفون، فطائفةٌ معك، وأخرى عليك، فيقتتلون، فتكون لأوَّل الأسِنَّة، فإذا خيرُ هذه الأمة نَفْساً وأباً وأُمَّا أَضْيَعُها دماً، وأذلُّها أهلاً! فقال له الحسين رضي الله عنه: يا أخي فإني نازلٌ مكةَ. فقال: نعم، فإن اطمأنَّتْ بك الدار فنَعَمْ، وإنْ نَبَتْ بك؛ لَحِقْتَ بالرِّمال، وشَعَفِ[٣] الجبال، وخرجتَ من مكان إلى مكان، حتى تنظر إلى ما يصيرُ أمرُ الناس. فقال: جزاك اللهُ يا أخي خيراً، فلقد نَصَحْتَ وأشْفقْتَ، وأرجو أن يكون رأيُك موفَّقاً إن شاء الله تعالى.

وقال أبو سعيد المَقْبُرِيّ: رأيتُ الحُسين داخلاً مسجد المدينة معتمداً على رجلين، وهو يتمثَّل بقول ابنِ مُفَرِّغ:

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ[٤] في فَلَقِ الصُّبْـ ... ـحِ مُغِيراً ولا دُعيتُ يَزِيدا
يومَ أُعْطِي من المَهابَةِ ضَيْماً[٥] ... والمنايا يَرْصُدْنَني أن أَحِيدا

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤١: بتبعتك.

(٢) في «تاريخ» الطبري: وعن.

(٣) في (خ) (والكلام منها): وشققت الجبال. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٧، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤١. وشَعَفُ الجبال: أعلاها، جمع شَعَفَة.

(٤) في (خ): لا دعوت السَّوَام، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦١، و ٤/ ٣٣٧، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤٢، وينظر «الأغاني» ١٨/ ٢٥٣ و ٢٨٧. والسَّوام: الإبل الراعية.

(٥) في «أنساب الأشراف»، و«الأغاني»: يوم أعطي مخافة الموت ضيماً.

فقلت في نفسي: والله ما تمثَّل بهذين البيتين إلا لأمرٍ يُريده، فما مكثَ إلا يومين حتى خرجَ إلى مكة.

قال أبو مخنف[(١)]: ولمَّا خرج إلى مكة قرأ قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]. ولما دخل مكة قرأ قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

ولما خرج الحسين رضوان الله عليه من المدينة لقيه عبدُ الله بنُ مطيع، فقال له: إلى أين يا أبا عبد الله؟ جُعلتُ فداك، فقال: إلى مكة. فقال له: إياك وأهلَ الكوفة، فإنها مَدَرَة مشؤومة[(٢)]، قتلَ أهلُها أباك، وخَذَلُوا أخاك، فالحزمَ الحزمَ، فإنك سيِّدُ العرب، ولن يعدلَ بك أهلُ الحجاز أحداً. وسيتداعى الناس إليك من كل جانب، فلا تفارقْ حرمَ الله تعالى، فواللهِ لئن هلكتَ لَنُسْتَرَقَّنَّ بعدَك كلُّنا.

وأما ابنُ الزبير فإنه سبق الحسين إلى [مكة]، وبها عَمرو بنُ سعيد الأشدق، فبعث إليه عَمرو فقال: ما الذي أقدمك؟ فقال: جئتُ عائذاً بالبيت. فكان ناحية عن الناس لا يصلِّي بصلاتهم، ولا يقفُ معهم[(٣)].

وأقبل الحسين رضي الله عنه بعدَه بيومين، فنزل مكة، وأقبلَ الناس يُهرعون إليه من كلِّ مكان، وابنُ الزُّبير قُدَّامَ البيت يصلِّي عندَه عامَّةَ النهار، ويطوفُ بالبيت، ويأتي الحسينَ رضي الله عنه كلَّ يوم يُسَلِّمُ عليه، وعَمرو بن سعيد كافٌّ عنهما.

وبعث الوليد إلى ابن عمر، فقال له: بايع ليزيد، فقال: إذا بايع الناسُ بايعتُ. فتركوه لأنهم كانوا يأمنونه[(٤)].

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٤٣.

(٢) جاء في (خ): سوية (؟) بدل: مشؤومة. (والكلام من خ فقط). والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦١، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٣٥١، و«المنتظم» ٥/ ٣٢٧. والمَدَرَة: القرية المبنيّة بالطين واللَّبِن، وهي هنا بمعنى مدينة.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٣٥، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٤٣.

(٤) المصدران السابقان.

ولما خرجَ ابنُ الزُّبير من المدينة عَمَدَ الوليد بنُ عتبة إلى كلِّ مَنْ كان هواهُ مع ابن الزبير فحبسه، كعبد الله بن مطيع العَدَويّ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف، وغيرهما، فكلَّمه فيهم ابنُ عمر رضي الله عنهما، فأبى أن يطلقهم[١]، فمضى شيبان العدويّ، فأطلقهم من الحبس، فلحقُوا بابن الزبير[٢].

وفيها عَزَلَ يزيدُ الوليدَ بنَ عُتبة عن المدينة في شهر رمضان، وأمَّر عليها عَمْرَو بنَ سعيد الأشدق[٣].

وسببُ عزله أن مروان كتب إليه يُخبره بما جرى بينَه وبينَ الوليد في أمر الحسين وابن الزُّبير، وكثَّر عليه مروانُ رجاء أن يولِّيَه يزيد المدينة، وكان يزيدُ يكرهُ مروانَ وأولادَه، فولَّى عمرَو بن سعيد، فقَدِمَها في رمضان، وكتب يزيد بن معاوية إلى عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما يدعُوه إلى البيعة، ويقول: أُذكِّرُكَ اللهَ في نفسك، فإنَّك ذو سِنٍّ في قريش، وقد مضى لك سَلَفٌ صالح، وقَدَمُ صدقٍ من عبادةٍ واجتهاد، فادْخُلْ فيما دخل فيه الناس، ولا تُرْدِهِم في فتنة، فتُحلَّ ما حرَّم الله تعالى. وكتب في أسفل الكتاب:

لو بغيرِ الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ   كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصاري[٤]

فلما وقفَ ابنُ الزُّبير على كتابه، كتبَ إليه: أمَّا بعد، فاجْعَلْها شُورى بين المسلمين. وأغلظَ له في العبارة، وقال: كيف أُبايعُ من يشربُ الخمرَ، ويلعبُ بالقرود، ويأتي أمهات أولاد أبيه؟! ونحو ذلك.

فغضبَ يزيد، وحلف لا يقبلُ له بيعةً حتى يُؤتى به في جامعةٍ[٥]. فقال ابن الزبير: لا أَبَرَّ الله قَسَمَه.

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(٢) لم أقف على هذا الكلام في المصادر، ولم أعرف شيبان العدويّ، وتتمة الخبر في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٦ أن ابن عمر انصرف، واجتمع فتية من بني عدي، فانطلقوا حتى اقتحموا على ابن مطيع وهو في السجن، فأخرجوه، فلحق بابن الزبير، ثم رجع بعد فأقام بالمدينة.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٤١، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٤٣، والمنتظم ٥/ ٣٢٤.

(٤) أنساب الأشراف ٤/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨، والبيت لعدي بن زيد، تمثل به يزيد. وهو في «الأغاني» ٢/ ١١٤.

(٥) أي: غُلّ، يَجمع اليدين إلى العنق.

ولا أَلِينُ لِغيرِ الحقِّ أَسْأَلُهُ[1] حتى يلينَ لِضِرْسِ الماضِغِ الحَجَرُ

وكتب يزيد إلى عمرو بن سعيد: جَهِّزْ جيشاً لغزو ابنِ الزُّبير. وكان الحارثُ بنُ خالد المخزومي على الصلاة بمكة من قِبَلِ عمرو بن سعيد، فمنَعَه ابنُ الزُّبير، فكتبَ الحارثُ إلى عمرو: ابعث لي جيشاً أقاتل ابنَ الزبير.

وكان عمرو بن سعيد لما قَدِمَ المدينةَ ولَّى شُرَطَتَه عمرَو بنَ الزُّبير، لِما كان يعلمُ ما بينه وبين أخيه عبدِ الله من البغضاء، فضربَ عَمرُو بنُ الزُّبير كلَّ من كان يَهْوَى هوى ابنِ الزبير، وكان مِمَّن ضربَ المنذرُ بنُ الزبير، وابنُه محمد بنُ المنذر، وعبدُ الرحمن بن الأسود بن عَبْد يغوث، وعُثمان بنُ عبد الله[2] بن حكيم بن حِزام، وخُبيبُ بنُ عبد الله ابن الزبير، ومحمدُ بنُ عمَّار بن ياسر، فضربَهم من أربعين إلى خمسين، وهربَ منه عبد الرحمن بن عثمان التميمي، وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس إلى مكة.

فاستشار عَمرو بن سعيد [عمرَو] بنَ الزُّبير وقال: مَنْ نُوَجِّهُ إلى أخيك؟ فقال: ما توجِّهُ إليه رجلاً أَنْكَى له مني. فجهَّزه إليه في جمع كثير، وقدَّمَ في مقدِّمته أُنيس بن عَمرو الأسلمي في سبع مئة، فعسكر بالجُرْف.

فجاء مروانُ إلى عَمرو بن سعيد، فقال له: اتَّقِ اللهِ، ولا تَغْزُ مكَّة وتُحلَّ حُرْمَةَ البيت، ودَعُوا ابنَ الزُّبير، فقد أَسَنَّ، وله بضعٌ وستون سنةً، وهو رجلٌ لَجُوجٌ، واللهِ لئن لم تقتلوه لَيموتَنَّ. فقال عَمرو بنُ الزُّبير: واللهِ لنُقاتِلَنَّه ولَنَغْزُوَنَّه في جوف الكعبة على رغم أنفِ مَنْ زعم. فقال مروان: واللهِ إني لَيَسُوؤني ذلك.

وسار أُنيس بن عَمرو الأسلمي حتى نزل بذي طُوى، وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأَبْطَح، وأرسلَ عَمرو إلى أخيه عبدِ الله: بُرَّ يمين الخليفة، وتعال أَجْعلْ في عنقك جامعةً من فضة، واتَّقِ اللهَ، ولا تَرْمِ بعض الناس ببعض، فأنتَ في بلدٍ حرام.

وقال عبد الله بن الزُّبير: موعدك المسجد. وأرسلَ عبدُ الله بنُ الزُّبير عبدَ الله بنَ

---

(١) وقع بدلَ الشطر الأول من البيت في (خ) (والكلام منها وحدها) لفظ: واللهِ لا أَلِينُ لغيرِ الحق. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٤٤، وهو في «الأخبار الطوال» للدينوري ص٢٦٢ بلفظ: ما إن أَلِينُ... وسيُعيده المصنف قريباً مع بيت آخر، وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٤٧٦.

(٢) في (خ): عبد الرحمن، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٤٧، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤٤.

صفوان الجُمحي إلى أُنيس من قِبَل ذي طُوى ـ وكان قد اجتمع إلى [ابن] صفوان قومٌ ممن نزلَ حول مكة ـ فقاتَلُوا أُنيس بنَ عمرو فانهزمَ، وأقبلَ عَمرو بنُ الزُّبير، فقاتله جماعةٌ من أصحاب عبدِ الله، فهزمُوه، وتفرَّق عنه أصحابُه، فدخل دارَ علقمةَ، فأتاه عُبيدة بن الزُّبير، فأجارَه، وجاء إلى أخيه عبدِ الله فقال: قد أجَرْتُ عَمراً. فقال له ابنُ الزُّبير: أتُجِيرُ من حقوق الله؟ هذا ما لا يصلح[١].

وروى الواقدي هذه القصة من طريق آخر عن أبي الجَهْم قال: بعثَ يزيد بن معاوية جامعةً من فضَّة، فيها سلسلةٌ من فضَّة، وقال لعمرو بن سعيد: قد حلفتُ لا أقبلُ بيعةَ ابنِ الزبير حتى تجعلَ هذه في عنقه ويُؤتى به إليّ. فلما مرُّوا بهما في المدينة قال مروان متمثّلاً ببيت من شعر العبَّاس بن مِرْداس السّلمي:

فخُذْها فليسَتْ للعزيزِ بخُطَّةٍ وفيها مقالٌ لامْرِئٍ مُتَذَلِّلِ[٢]

وقبله بيتٌ آخر، وهو:

أعامرُ إنَّ القومَ ساموكَ خُطَّةً ومالَكَ في الجيران عنها بمعدلِ[٣]

ووصل البريد إلى ابن الزُّبير[٤]، فقال: قَبَّح اللهُ يزيد الصُّيود، يزيد القُرود والخمور.

وبلَغَه شعرُ مروان، فقال: واللهِ لا كنتُ أنا ذلك المُتَذَلِّل، ارْجِعْ إلى من بَعَثَك خاسراً، لا وَفَى اللهُ بنذره. فقال أبو دَهْبَل الجُمَحِيّ[٥]:

---

(١) في تاريخ الطبري ٥/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥ (والكلام فيه): من حقوق الناس. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٤٦، ٤٧٦، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ١/ ٢٢٧. وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٩: فليست للعزيز مذلّة. وفيه في ٤/ ٣٤٧: فليست للعزيز بسنَّة. وزاد فيه في الموضع الأول رواية: لامرئ متضعِّفِ.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤٦: ومالك في الجيران عَذْلُ معذّلِ.

(٤) وقع في (خ) (والكلام منها): ووصل الزبير إلى ابن الزبير بها (؟) وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٩.

(٥) هو وَهْب بن زَمْعَة، من بني جُمح، قال الشعر في آخر خلافة علي ﷺ، ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير، ووليَ لابن الزبير بعض أعمال اليمن. مات سنة (٦٣). ينظر «الشعر والشعراء» ٢/ ٦١٤، و«الأغاني» ٧/ ١١٤.

لا يَجْعَلَنَّكَ في غُلٍّ وسِلْسِلَةٍ كيما يقالُ[١] أتانا وهو مَغْلُولُ
بين الحواريِّ والصِّدِّيقِ ذو نَسَبٍ ضافٍ وسيفٍ على الأعداء مسلولُ

فأنشد عبد الله بن الزُّبير:

إنِّي لَمِنْ نَبْعَةٍ صُمٌّ مَكاسِرُها إذا تناوحتِ القَصْباءُ والعُشَرُ[٢]
فلا أَلِينُ لغيرِ الحقِّ أسألُهُ حتى يلينَ لِضِرْسِ الماضغِ الحَجَرُ[٣]

وذكر بمعنى ما تقدَّم، وأن عبيدة بن الزبير دخل بعمرو على عبد الله بن الزبير وقد قاتلَ قتالاً شديداً وعلى وجهه الدم، فقال له عبد الله: ما هذا الدم في وجهك؟ فقال عَمرو:

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلُومُنا ولكنْ على أقدامنا تَقْطُرُ الدِّما[٤]

فقال عبد الله لعبيدة: أمرتُ أن يجهِّز[٥] هذا الفاسقُ المستحلُّ لِحُرُمات الله.

ثم أقاد عَمْراً من كلِّ من ضربَه إلا المنذر وابنَه، فإنهما أَبَيا أن يستقيدا، ومات عَمرو تحت السِّياط[٦].

ذكر مقام الحسين عليه السلام بمكة ومكاتبات أهل الكوفة إليه:

لما بايع معاويةَ الناسُ ليزيد؛ كان الحسين عليه السلام ممن لم يُبايع له، فكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية، وهو يأبى عليهم، فقدم منهم قومٌ إلى محمد ابن الحنفيَّة، فسألوه أن يخرج معهم، فأبى، وجاء إلى الحسين رضي الله عنه، فأخبره بما عَرَضُوا[٧] عليه وقال: إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا الدنيا، ويُشِيطُوا دماءنا.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٩: لا يجعلنَّك في قَيْدٍ وسلسلةٍ كيما يقول ...

(٢) النَّبع: شجر ينبت في قمة الجبل، تُتَّخذ منه القِسيّ والسهام، يقال: فلان صليب النبع، أي: شديد المراس، وهو من نبعة كريمة، أي: ماجد الأصل. وتناوح الشيئان، أي: تقابلا، والقصباء: القصب الكثير، والعُشَر: شجر له صمغ وفيه حُرَّاق يُقتدح به. ينظر «اللسان» و«المعجم الوسيط».

(٣) ينظر «أخبار مكة» ٢/ ٣٥٢_٣٥٣.

(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤٦.

(٥) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٤٦: أمرتُك أن تجير ....

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٣٤٦. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٤٨_٣٥١.

(٧) في (خ) (والكلام منها): عزموا. و هو تحريف.

فأقام الحسين رضي الله عنه على ما هو عليه من الهموم، مرَّة يُريد أن يسيرَ إليهم، ومرةً يُجمع الإقامة، فجاء إليه أبو سعيد الخُدْري، فقال: يا أبا عبد الله، إني لكم ناصح، وعليكم مشفق، وقد بلغني أنه كاتبك[١] قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج، فلا تخرج، فإني سمعتُ أباك رحمه الله يقول بالكوفة: واللهِ لقد مَلِلْتُهم وأبغضتُهم، وملُّوني وأبغضوني، وما بلوتُ لهم وفاءً، مَنْ فازَ بهم فاز بالسهم الأخيب[٢]، واللهِ ما لهم ثباتٌ ولا عزمُ أمر، ولا صبرٌ على السيف.

وقدِمَ المسيَّب بن نَجَبَة الفَزاريّ وعدَّةٌ معه إلى الحسين عليه السلام بعد وفاة الحسن رضي الله عنه، فدَعَوْه[٣] إلى خلع معاوية، وقالوا: لقد علمنا رأيك ورأيَ أخيك[٤]، فقال: إني لأرجو أن يُعطيَ اللهُ أخي على نيَّتِه في حُبِّه الكفَّ، وأن يُعطيَني [على نيَّتي] في حبِّي جهادَ الظالمين.

وكتب مروان إلى معاوية: إنِّي لستُ آمنُ أن يكون الحسين مَرْصَداً للفتنة، وأظنُّ يومَكم من حسين طويلاً.

فكتب معاوية إلى الحسين: إنَّ مَنْ أعطى اللهَ صَفْقَةَ يمينِه لجديرٌ بالوفاء، وقد أُنبئْتُ أن قوماً من أهل الكوفة قد دَعَوْك إلى الشِّقاق، وأهلُ العراق مَنْ قد جَرَّبْتَ؛ قد أفسدوا على أبيك وأخيك، فاتَّقِ الله، واذكرِ الميثاق، فإنك متى تَكِدْني أَكِدْك. والسلام.

فكتب إليه الحُسين عليه السلام: أتاني كتابُك، وأنا بغير الذي بلَغَكَ [عني] جدير، والحسناتُ لا يهدي لها إلا اللهُ، وما أردتُ لك محاربةً، ولا عليك خِلافاً، وما أظنُّ لي عذراً عند الله في تركِ جهادِك، وما أعلمُ فتنةً أعظمَ من ولايتك أمرَ الأمة، والسلام.

فلما قرأ كتابه معاويةُ قال: إنْ أَثَرْنا بأبي عبد الله إلا أسداً.

---

(١) في (خ): كاتبكم، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٢، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٣٦ .

(٢) تحرفت في (خ) إلى: الأخبث .

(٣) في (خ): فدفعوه، وهو خطأ .

(٤) في (خ): ورأي أخيك فيك. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٢، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٣٧ .

وكتب إليه معاوية: إني لأظنُّ أنَّ في رأسك نزوة، فوددتُ أني أدركتُها فأغفرَها لك.

قال مسافع بن شيبة: لقيَ الحسينُ ﷺ معاويةَ بمكة عند الرَّدْم[١]، فأخذَ بخِطامِ راحلته، فأناخ به، ثم سارَّه حسين طويلاً وانصرفَ، فزجر معاويةُ راحلتَه، فقال له يزيد: لا يزالُ رجلٌ قد عرضَ لك، فأناخَ بك! فقال: دعه، لعلَّه يطلبها من غيري فلا يسوغُها فيقتله.

ولما احتُضر معاوية؛ دعا يزيدَ، فأوصاه بما أوصاه به، وقال: انظُرْ حُسينَ بنَ عليٍّ ابنَ فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ، فإنه أحبُّ الناسِ إلى الناس، فصِلْ رَحِمَه، وارْفُقْ به، يَصْلُحْ لك أمرُه، فإن يكنْ منه شيءٌ؛ فأرجو أن يكفيَك اللهُ بمن قتل أباه، وخذل أخاه[٢].

ولما خرج الحسينُ ﷺ قال له ابن عمر ﷺ: لا تَخْرُجْ، فإنَّ رسول الله ﷺ خيَّرَه اللهُ بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنك بَضْعَةٌ منه، ولا تنالُها. يعني الدنيا. فاعتَنَقَه وبكى. وودَّعه.

فكان ابنُ عمر يقول: غَلَبَنا حُسينٌ على الخروج، ولَعَمْري لقد رأى في أبيه وأخيه عِبْرةً، ورأى من الفتنة وخِذْلانِ الناسِ لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرَّك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخلَ فيه الناس، فإن الجماعةَ خير.

وقال أبو واقد الليثي: لقيتُ حسيناً بمَلَل[٣]، فناشدتُه اللهَ أن يرجعَ، فقال: لا أرجعُ.

وقال جابر بن عبد الله: كلَّمْتُ حُسيناً، فقلت: اتَّقِ الله، ولا تضربِ الناسَ بعضَهم ببعض، فواللهِ ما حُمدتُم ما صنعتم. فعصاني.

وكتب إليه المِسْورُ بنُ مَخْرَمَة ينهاه عن الخروج.

---

(١) في «القاموس»: الرَّدْم: موضع بمكة يُضاف إلى بني جُمَح، وهو لبني قُراد.

(٢) ينظر ما سبق من أول الفقرة في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٢٦ ـ ١٢٨، وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٣) مَلَل، بالتحريك: اسم موضع في طريق مكة بين الحرمين. ينظر «معجم البلدان» ٥/ ١٩٤.

وكتبت إليه[١] عَمْرَةُ بنتُ عبد الرحمن تُعَظِّمُ [عليه] ما يريد أن يصنع وتقول: أشهدُ بالله لقد حَدَّثَتْني عائشةُ أنها سمعَتْ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُقتلُ الحسينُ بأرض بابل». ولَمَّا قرأ كتابَها قال: فلا بدَّ لي إذاً من مصرعي. ومضى.

وأتاه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فقال له: يا ابن العمِّ، إنَّ الرَّحِمَ تَظْأَرُني عليك[٢]، وما أدري كيف أنا في النصيحة لك عندك؟ فقال: ما أنت بمن يُسْتَغَشّ. فقال: قد رأيتَ ما صنع أهلُ العراق بأبيك وأخيك. ونهاه، فجزاه خيراً. فقال أبو بكر: عند الله نحتسبُ أبا عبد الله[٣].

وأشار عليه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بمثل هذا، وقال: إنك تسير إلى بلد فيه عمالُ يزيدَ وأمراؤه، و[معهم] بيوتُ الأموال، وإنما الناس عبيدُ الدرهم والدينار، ولا آمنُ عليك أن يقاتلك مَنْ وعدَك نَصْرَه. فجزاه خيراً[٤].

وكتب إليه عمرُو بنُ سعيد بن العاص: أسألُ اللهَ أن يُلهِمَكَ رُشْدَك، وأن يصرفك عما يُرْدِيك، وقد بلغني أنك قد عزمتَ على الشُّخُوص إلى العراق، وإني أُعِيذُك بالله من الشِّقاق، فإن كنتَ خائفاً، فأَقْبِلْ إليَّ[٥]، فلكَ عندي الأمان والبِرُّ والصِّلة.

فكتب إليه الحسينُ رضي الله عنه: إنْ كنتَ أردتَ بكتابك إليَّ بِرِّي وصِلَتِي[٦]، فَجُزِيتَ خيراً في الدنيا والآخرة، وإنه لم يُشاقِقْ مَنْ دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وخَيْرُ الأمانِ أمانُ الله، ولم يؤمن بالله مَنْ لم يَخَفْه في الدنيا، فنسأل الله مخافةً في الدنيا تُوجِبُ لنا أمانَ الآخرة عنده.

---

(١) تحرف قوله: «وكتبت إليه» في (خ) إلى: وكتب لابنته.

(٢) أي: تعطفني عليك، ولم تجوَّد الكلمات في (خ) (والكلام منها)، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٦، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤٠. وينظر «البداية والنهاية» ١١/ ٥٠٤.

(٣) تنظر المصادر المذكورة في التعليق السابق.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٣٨٢، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) في (خ): عليّ، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢١، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤١.

(٦) في (خ): أن ترى من وصلني، بدل: إليَّ بِرِّي وصلتي، والمثبت من المصدرين المذكورين في التعليق السالف.

وكتب يزيد إلى ابن عباس: أمَّا بعد، فإنَّ ابنَ عمِّك حُسيناً وعبدَ الله بن الزبير [ما] اكترثا ببيعتي(١)، ولحقا بمكة مرصدين للفتنة، متعرِّضين للهلكة، فأمَّا ابن الزبير(٢) فهو صريع القَنا، وقتيل السيف غداً، وأمَّا الحُسين فقد أحببتُ الإعذارَ إليكم أهلَ البيت ممَّا كان منه، وقد علمتُم ما بيني وبينكم من الوُصْلَة وعظيم الحُرْمَة، ووشائج(٣) الأرحام. وقد قطع ذلك حسين وبَتَّهُ، وأنت زعيمُ أهلِ بيتك، وسيِّدُ أهلِ بلادِك، فالقَه، فارْدُدْه عن السعي في الفُرْقة ورَدِّ هذه الأمة في الفتنة، فإن قَبِلَ منك وأنابَ إلى قولك؛ فله عندي الأمانُ والكرامةُ الواسعة، وأُجري عليه ما كان يُجريه أبي على أخيه، وإنْ طلبَ زيادةً فاضْمَنْ له ما أراكَ اللهُ؛ أُنفِذْ ضمانَك، وأقومُ لك بذلك، وله عليَّ الأَيمان المغلَّظة، والمواثيقُ المؤكدة ما تطمئنُّ به نفسُه وتُعيد عليه. عجِّل جوابي وبكل حاجة لك فلي(٤).

وكتب في أسفل الكتاب:

يا أيها الرَّاكبُ الغادي لِطَيَّتِهِ ... على عُذافِرةٍ في سَيْرِها قُحَمُ(٥)
أَبْلِغْ قُرَيشاً على نَأْيِ الزمان(٦) بها ... بني وبين حسينِ اللهُ والرَّحِمُ
ومَوْقفٌ بِفِناء البيتِ أَنْشُدُهُ ... عَهْدُ الإلهِ وما تُوفَى به الذِّمَمُ
غَنَّيْتُمُ قومَكُمْ فخراً بأُمِّكُمُ(٧) ... أُمٌّ لَعَمْري حَصانٌ عَفَّةٌ(٨) كَرَمُ
هي التي لا يُداني فَضْلَها أحدٌ ... بنتُ الرسولِ وخيرِ الناسِ قد عَلِمُوا
وفَضْلُها لكُمُ فضلٌ وغيرُكُمُ ... من قومِكُمْ لهمُ في فضلها قِسَمُ

---

(١) لفظة «ما» بين حاصرتين من عندي، والكلام من (خ) وحدها. ولم أقف على مصدر للخبر.

(٢) في (خ): فابن الزبير، وأثبتُّ العبارة على الجادة.

(٣) جمع وشيجة، يعني القرابة المشتبكة المتصلة. ووقع بدلها في (خ): وساهج. ولعل ما أثبتُّه أقرب إلى الصواب، فقد جاء الخبر مختصراً في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٧، وفيه: فقد قطع واشج القرابة.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) الطَّيَّة: الحاجة والنيَّة، والعُذافرة: الناقة العظيمة الشديدة، والقُحَم: جمع قُحْمَة، وهو الأمر العظيم الشاقّ.

(٦) في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٧، و«البداية والنهاية» ١١/ ٥٠٥، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤١: المزار.

(٧) في (خ): فخر أيامكم. وهو خطأ.

(٨) في «البداية والنهاية» ١١/ ٥٠٥، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤١: بَرَّةٌ.

إنّـي لأَعْـلَـمُ أوْ ظَـنّـاً كـعـالِـمِـهِ ... والـظَّـنُّ يَـصْـدُقُ أحـيـانـاً فـيـنـتـظِـمُ
أَنْ سوف يَـتْـرُكُـكُـم ما تَـدَّعُـونَ بـه[١] ... قتلى تَـهادَاكُمُ الغِرْبانُ[٢] والرَّخَمُ[٣]
يا قومَنا لا تَشُبُّوا الحَرْبَ إذْ سَكَنَتْ ... ومَسِّكُوا بحبالِ السِّلْم واعْتَصِمُوا
قد غَرَّتِ الحَرْبُ مَنْ قَدْ كان قبلكمُ ... من القرون وقد بادَتْ بها الأُمَمُ
فأنْصِفُوا قومَكمْ لا يَهْلِكُوا بَذَخاً[٤] ... فـرُبَّ ذي بَـذَخٍ[٥] زَلَّـتْ بـه الـقَـدَمُ
لا تركبوا البغيَ إنَّ البغيَ مَصْرَعَةٌ ... وإنَّ شاربَ كأسِ البغي ينحسِمُ

فكتب إليه ابن عباس: أمَّا ابنُ الزُّبير فرجلٌ ينقطع عنا برأيه يُكاتِمنا أضغاناً يُسِرُّها في صدره، يَرِي علينا وَرْيَ الزِّناد[٦]، لا فَكَّ الله أسيرَها، فطِع[٧] في أمره ما أنت راءٍ.

وأما الحسين فإنه لما قدم مكة سألتُه ما الذي أقدمَهُ؟ وقلتُ: لِمَ تركتَ حَرَمَ جدِّك ومنازلَ آبائك؟ فأخبرني أن عامِلَك وابنَ الحَكَم أساءَا إليه، فأقبلَ مستجيراً بحرم الله، عائذاً ببيته. ولن أدعَ النصيحةَ فيما يجمعُ اللهُ به الكلمةَ ويُطفئُ به النائرة، ويُخمِد الفتنة، ويحقنُ دماء الأمة، فاتَّقِ اللهَ في السِّرِّ والعلانية، ولا تَبِيتَنَّ ليلةً وأنتَ تُريد لمسلمٍ غائلةً، ولا ترصُدْه بمظلمة، ولا تحفر له مهواةً، فكم من حافر جُرْفاً[٨] لغيره أوقعَه اللهُ فيه، وكم من مُؤَمِّلٍ أملاً لم يُؤْتَ ما أَمَّلَه، ولا تشغلنَّك عن الأخرى ملاهي الدنيا وأباطيلُها، فإنَّ كلَّ ما اشتغلتَ به عن الله يضُرُّ ويفنى، وما اشتغلتَ [به] من الأخرى ينفع ويبقى.

---

(١) في المصادر المذكورة آنفاً: بها.
(٢) جمع غراب، وفي المصادر: العِقبان، وهو جمع عُقاب.
(٣) جمع رَخَمة، وهو طائر أبقع يشبه النَّسر في الخِلقة.
(٤) في (خ): الفرحا (؟) والمثبت من المصادر المذكورة قبل.
(٥) في (خ): فرح. والمثبت من المصادر.
(٦) تحرّفت في (خ) (والكلام منها) إلى: الزياد.
(٧) كذا في (خ).
(٨) كذا في (خ)، والجُرْف ما يأكله السيل من الأرض. ولعله استعمل هنا (إن صحت اللفظة) على التوسع، بمعنى الحفرة. أو أنها محرَّفة عن لفظة: جَفر، وهي البئر التي لم تُطوَ. وهي بمعنى الحفرة أيضاً.

ودخل عبد الله بنُ عباس على الحسين ﷺ، فكلَّمَهُ ليلاً طويلاً وقال له: أنشدك الله أن تهلك غداً بحالِ مَضْيَعَة[١]، لا تأتِ العراق، وإنْ كنتَ ولا بدَّ فاعلاً؛ فأقِمْ حتى ينقضيَ الموسم، وتلقى الناس، وتعلمَ على ما يَصْدُرون، ثم ترى رأيك.

وكان ذلك في عشر ذي الحجة سنة ستين.

فأبى الحسين، فقال له ابن عباس: واللهِ إني لَأَظنُّك ستُقتلُ غداً بين[٢] بناتك ونسائك؛ كما قُتل عثمانُ بين نسائه وبناته. واللهِ إني لَأخافُ أن تكونَ الذي يُقادُ به عثمانُ، فإنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون. فقال: يا أبا العباس، إنَّك شيخٌ قد كَبِرْتَ، فقال له ابن عباس: لولا أن يُزْرِيَ بي [أو بك] ذلك؛ لَنَشَّبْتُ[٣] يدي في رأسك، ولو أعلمُ أنَّنا إذا تَناصَيْنا[٤] أقمتَ؛ لفعلتُ، ولكن لا إخالُ ذلك نافعي[٥]. أتَسِيرُ إلى قوم قد نَفَوا أميرَهم، وضبطوا بلادهم لأجلك؟! قال: لا. قال: فإنْ فعلوا ذلك فسِرْ إليهم على بصيرة، وإن كانوا إنما دَعَوْك وأميرُهم قائمٌ، وعمَّالُه تَجْبِي البلاد، وهولُهم قاهر، فهم إنما دَعَوْك للقتال، ولا آمنُ أن يخذُلوك. فقال الحسين: فسر[٦]، وأستخيرُ الله وأنظرُ[٧]، ولأَنْ[٨] أُقتلَ بمكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ أنْ تُسْتَحَلَّ بي. يعني مكة. فبكى ابنُ عباس وقال: أقررتَ عينَ ابنِ الزُّبير.

ثم خرج من عنده وهو مُغْضَب، وابنُ الزُّبير على الباب، فقال له: يا ابنَ الزُّبير: قد أتى ما أحببتَ قرَّتْ عينُك. هذا أبو عبد الله يخرج إلى العراق ويتركُك والحجازَ. ثم قال:

يا لكِ من قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ ... خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصْفِري

---

(١) المَضْيَعَةُ والمَضِيعةَ: الإهمال، والمفازة المنقطعة يضيع فيها الإنسان وغيره. (المعجم الوسيط).

(٢) تحرف في (خ) إلى لفظ: سبقك غيراً من.

(٣) نشَّب الشيء في غيره: أعلقه به.

(٤) أي أخذ كلٌّ منا بناصية الآخر.

(٥) من قوله: ودخل عبد الله بن عباس على الحسين، فكلمه طويلاً... إلى هذا الموضع، ينظر في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨، و«البداية والنهاية» ١١/ ٥٠٦، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤٢.

(٦) كذا في (خ) (والكلام منها).

(٧) من قوله: أتسير إلى قوم... إلى هذا الموضع، بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٣.

(٨) في (خ): ولئن، والصواب ما أثبتُّه.

ونَـقِّـرِي مـا شِـئْـتِ أَنْ تُـنَـقِّـرِي[١] قـد ذهـبَ الـصـيـادُ عـنـكِ فـابْـشِـرِي

لا بـدَّ مـن أَخْـذِكِ يـومـاً فـاصْـبِـرِي[٢]

ودخل ابنُ الزُّبير، فقال له: علامَ عزمتَ؟ فقال: نفسي تحدِّثُني بإتيان الكوفة. فقال له ابن الزُّبير: لو كان لي بها مثلُ ضيعتك[٣] لَمَا عَدَلْتُ عنها.

ثم خافَ ابنُ الزُّبير أن يتَّهمه فقال: لوأقمتَ بالحجاز وأردتَ هذا الأمر ههنا؛ ما خُولفَ عليك[٤]، أَقِمْ في هذا المسجد أجمعْ الناس عليك. فقال الحسين: واللهِ لأَنْ أُقْتَلَ خارجاً منها بِشِبْرٍ أحبُّ إليَّ من أَنْ أُقتلَ بها، ولَأَن أُقتلَ خارجاً عنها بشبرين أحبُّ إلي من أن أقتل خارجاً عنها بشبر. ولو كنتُ في جُحْرِ هامَّة؛ لاستخرجوني حتى يقتلوني، وواللهِ لَيَعْتَدُنَّ عليَّ كما اعتدتِ اليهود في السبت[٥].

ودخلَ عليه ابنُ عباس من الغد[٦]، فقال له: إنِّي لأتخوَّفُ عليك في هذا الوجه البوارَ والاستئصال، إن أهلَ العراق قومٌ غُدْر، فأَقِمْ بهذا البلد، فإنك سيِّد أهل الحجاز، فإنْ كان القوم يريدونك؛ فاكتُبْ إليهم فلينْفُوا عدوَّهم، ثم اقْدَمْ عليهم، فإن أبيتَ؛ فاخْرجْ إلى اليمن، فإنَّ بها حصوناً وشِعاباً، وهي أرضٌ عريضة، ولأبيك بها شيعة، وأنتَ عن الناس بمعزل، فكاتبِ الناس، وبُثَّ دُعاتَك في البلاد، فإني أرجو أن يأتيَكَ الذي تحبُّ. فقال له الحسين ﵁: يا ابن عمّ، واللهِ إني لَأَعلَمُ نُصحك وشفقتك، ولكن قد أزمعت المسير إلى العراق. فقال له: فإنْ كنتَ سائراً؛ فلا تَسِرْ بنسائك وبناتك وصبيانك، فإني أخافُ أن تُقتلَ كما قُتل عثمان ونساؤه وولدُه ينظرون

---

(١) من قوله: ولأَنْ أُقتل بمكان كذا وكذا... إلى هذا الموضع، في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٢٨، و«البداية والنهاية» ١١/ ٥٠٧، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٢) الرَّجَز لطَرَفَة بن العبد، وهو في «ديوانه» ص٤٦، وفيه: لا بدَّ أن تُصادي يوماً فاصبري .

(٣) الكلام بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٣، وفيه: شيعتك .

(٤) من قوله: ودخل ابن الزبير... إلى هذا الموضع، بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٣ .

(٥) من قوله: أقم في هذا المسجد... إلى هذا الموضع، بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٥ .

(٦) هذا هو الدخول الثاني لابن عباس على الحسين ﵄، كما في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٣ . وأمَّا في رواية ابن سعد ٦/ ٤٢٧-٤٢٨ فإنه دخل عليه مرة واحدة. وسلفت الإحالة عليه قريباً.

إليه[١].

فلما رآه لا يُصغي إلى نصحه ولا يلتفتُ إلى قوله؛ خرج من عنده وهو يقول: واحسيناه.

وكتب إليه عبد الله بن جعفر يقول: أَنْشُدُكَ اللهَ أن لا تُفارق مكة حتى أصل إليك، فإن هلكتَ طَفِئَ نورُ الإسلام، واستُؤْصل أهلُ بيتك، وأنتَ عَلَمُ الهدى، ورجاء المؤمنين، لا تعجل فأنا قادم[٢].

وبعث بالكتاب مع ابنيه عون ومحمد. فوقف على الكتاب ولم يُجب عنه.

وبعثَ الحسين رضي الله عنه إلى المدينة، فقدم عليه من خفَّ معه من بني عبد المطلب، وهم تسعة عشر رجلاً، ونساءٌ وصبيانٌ من بناته وأخواته، وتبعهم محمد بن الحنفية، فأدرك حسيناً بمكة، ونهاه فلم يقبل، فحبس محمدٌ ولدَه عنه، ولم يبعَثْ معه أحداً منهم، فغضب الحسين وقال: ترغبُ بولدك عن موضع أُصابُ فيه؟ فقال محمد: وما حاجتي تصابُ ويصابون معك؟ وإن كانت مصيبتُك أعظمَ عندنا منهم، واللهِ إني لَأُحبُّ لك ولهم العافية[٣].

وبعث أهلُ العراق إلى الحسين رضي الله عنه الكُتب والرسل يستحثُّونه، فخرج مسرعاً إلى العراق في أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة، وذلك يوم الاثنين في عشر ذي الحجة [سنة ستين].

وكتب مروان إلى عُبيد الله بن زياد: أمَّا بعد، فإن الحسين قد توجَّه إليك، وهو ابنُ فاطمة بنتِ رسولِ الله ﷺ، وواللهِ ما أحدٌ يسلِّمُه اللهُ أحبَّ إلينا من الحسين، فإيَّاك أن تُهيِّج على نفسك مالا يسدُّه شيءٌ ولا تنساه العامَّة ولا تدع ذكره، والسلام.

---

(١) بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤. وسلف نحوُه قريباً من «طبقات» ابن سعد. وقد جمع المصنف هنا الروايات من المصادر. وينظر أيضاً «مروج الذهب» ٥/ ١٢٩-١٣١.

(٢) الخبر بنحوه في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩، والبداية والنهاية ١١/ ٥٠٧، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٤٣ دون قوله: والله إني لأحبُّ لك ولهم العافية.

وكتب إليه عمرو بن سعيد: أمَّا بعد، فإنَّ الحُسين قد توجَّه إليك، وفي مثلها تُعتَق أو تُسْتَرَقّ[١].

ولما خرج الحسين رضي الله عنه لقي عِيراً من التنعيم قد أقبلوا بها من اليمن إلى يزيد بن معاوية من بَحير بن رَيْسان الحِمْيري عاملِه على اليمن، وعليها وَرْسٌ وطِيب، فأخذ ما عليها الحسين رضي الله عنه، وأوفاهم كِراءها، وأخذ بعضَهم معه إلى العراق، فأحسنَ إليهم[٢].

وقال الفرزدق: خرجْنا حُجَّاجاً؛ فلما كنَّا بالصِّفَاح[٣]؛ إذ بركبٍ عليهم اليلامق[٤]، ومعهم الدَّرَق، فلما دنوتُ منهم، إذا أنا بالحسين بن علي، فقلت: أبو عبد الله! فقال: يا فرزدق، ما وراءَك؟ قلت: أنتَ أحبُّ الناس إلى الناس، والقضاء في السماء[٥]، والسيوفُ مع بني أميَّة[٦].

قال يزيد الرِّشْك: حدَّثني من شافَهَ الحسين[٧] قال: رأيتُ أبنيةً بفلاةٍ من الأرض مضروبةً، فقلت: لمن هذه؟ قالوا: للحسين. فأتيتُه، فإذا شيخٌ يقرأ القرآن ويبكي، ودموعُه تسيل على خَدَّيْه، فقلت: بأبي أنتَ وأمِّي! ما أنزلك هذه البلاد؟ فقال: هذه كُتبُ أهلِ الكوفة إليّ، ولا أُراهم إلا قاتلي، فإنْ فعلوا ذلك؛ لم يَدَعُوا للهِ حُرْمَةً إلا انتهكوها، فيسلِّطُ الله عليهم من يُذِلُّهم حتى يكونوا أَذَلَّ من فَرَمِ الأَمَة[٨].

وقد كان الحسين رضي الله عنه قَدَّمَ مسلم بنَ عَقِيل [بن أبي طالب] إلى الكوفة، وأمره أن ينزل على هانئ بن عروة المُرادي، وينظرَ إلى اجتماع الناس إليه، ويكتب إليه بخبرِهم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٢٩، والبداية والنهاية ١١/ ٥٠٧، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٤٣، وما سلف بين حاصرتين منها.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٧ و«تاريخ الطبري» ٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٣) موضع بين حُنين وأنصاب الحرم (حُدودِه). معجم البلدان ٣/ ٤١٢.

(٤) جمع يلمق، وهو القباء (ثوب يُلبس فوق الثياب). معرَّب.

(٥) في (خ): والقضاء في القضاء. والمثبت من المصادر الآتية.

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٢٩، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٤٤. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٨.

(٧) في (خ): الخبر، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣١.

(٨) بعدها في «طبقات» ابن سعد: يعني مِقْنَعتَها. اهـ وهي ما تغطي به رأسها.

فقدم[١] مسلم الكوفةَ مستخفياً، وأتَتْه الشيعةُ، فأخذ بيعتهم، وكتب إلى الحسين بن عليّ: قد بايَعَني منهم ثمانيةَ عشرَ ألفاً، فَعَجِّلِ القُدوم، فليس دونها مانع.

فلما جاءه كتابُ مسلم أَغَذَّ[٢] السير حتى انتهى إلى زُبالة[٣]، فجاءت رُسُل أهل الكوفة إليه بديوانٍ فيه أسماء مئة ألف.

وكان النُّعمان بنُ بشير على الكوفة، ومات معاوية وهو عليها، فخاف يزيد أن لا يُقْدِمَ النُّعمان على الحُسين ﷺ، فكتب إلى ابنِ زياد، فضمَّ إليه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه بإقبال الحسين ﷺ إليها. فإن كان لك جناحان فَطِرْ حتى تسبقَه إليها.

فأقبل عُبيد الله مسرعاً، فدخلَ الكوفة، فلما رأتْه السَّفِلَةُ وأهلُ السوق، خرجوا يشتدُّون بين يديه وهم يظنون أنه الحسين ﷺ، لأنهم كانوا يتوقَّعُونه، وكان عُبيد الله ابنُ زياد متلثِّماً، فجعلوا يقولون: أهلاً بك يا ابن رسول الله، الحمدُ لله الذي أرانا إياك، ويُقَبِّلُون يده ورجله. فقال عُبيد الله بن زياد: لشدَّ ما فَسَدَ هؤلاء.

ثم دخل ابنُ زياد المسجد، فصلَّى ركعتين، وصَعِدَ المنبر، وكشف عن وجهه، فلما رآه الناسُ؛ مال بعضُهم على بعض وأَقْشَعُوا عنه[٤].

وبنى عُبيد الله في تلك الليلة بأمِّ نافع بنت عُمارة بن عقبة بن أبي مُعَيْط، وأُتيَ في تلك الليلة برسولٍ قد كان أرسله الحسين إلى مسلم بن عَقِيل يقال له: عبدُ الله بنُ بُقْطُر[٥]، فقتلَه.

وكان قدم مع عُبيد الله بن زياد من البصرة شريك بن الأعور الحارثي، وكان شيعةً لعليّ عليه السلام، فنزل على هانئ بن عروة، فاشتكى شريك، فأتاه عُبيد الله يعودُه في منزل هانئ، وكان يتردَّدُ إليه، ومسلم بنُ عَقِيل هناك لا يعلم به. فهيَّؤوا لعبيد الله ثلاثين رجلاً يقتلونه، فدخل عُبيد الله، فَجَبُن القومُ عنه، فجعل شريك يقول:

---

(١) في (خ) (والكلام منها): بقدوم. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣١ .

(٢) في (خ): أعدل، والمثبت من «الطبقات» .

(٣) بضم الزاي: منزل بطريق مكة من الكوفة. سُميت بذلك بزَبْلِها الماء، أي: بضبطها له، وأخذها منه. معجم البلدان ٣/ ١٢٩ .

(٤) أي: تفرَّقوا عنه .

(٥) وزن عُصْفُر. (القاموس) .

ما تنظرون بسلمى أن تُحيُّوها

اسْقُوني شربة ماء ولو كانت فيها نفسي. فقال عُبيد الله: ما يقول؟ قالوا: يَهْجُر[١]. وتَحَشْحَشَ[٢] القوم في البيت، وأنكر عُبيد الله ما رأى منهم، [فوثب][٣] فخرج، ودعا مولًى لهانئ بن عُروة ـ وكان في الشرطة ـ فسأله، فأخبره الخبر، فمضى حتى دخلَ القصر، وأرسل إلى هانئ بن عروة وهو يومئذٍ ابنُ بضع وتسعين سنة، فقال: ما حملك على أن تُجير عدوِّي؟ قال: يا ابن أخي، إنه جاء حقٌّ هو أحقُّ منك ومن أهل بيتك. فوثب ابنُ زياد وفي يده عَنَزَة[٤]، فضربَ بها رأس هانئ حتى نثرَ دماغه، وقتله.

وبلغ الخبرُ مسلمَ بنَ عَقِيل، فخرج في نحو أربع مئة من الشيعة، فما بلغ القصر إلا وهو في نحوٍ من ستين رجلاً[٥]، وجاء الليل فهرب مسلمٌ، فدخل على امرأة من كِنْدة، يقال لها: طَوْعَة، فاستجار بها.

وعلم به محمد بنُ الأشعث بن قيس، فأخبرَ به ابنَ زياد، فبعث إليه، فأُتِيَ به، فأنّبه وبكَّتَه، وأمرَ بقتله. فقال: دعني حتى أوصي. قال: نعم. فنظر إلى عُمر بن سعد بن أبي وقَّاص، فقال له، إن لي إليك حاجةً، وبيني وبينك رَحِمٌ. فقال له عُبيد الله: انظر في حاجة ابنِ عمِّك. فقام إليه فقال: يا هذا، إنه ليس ههنا رجلٌ من قريش غيرُك، وهذا الحُسين بن علي قد أظلَّك، فأرْسِلْ إليه رسولاً، فلينصرف، فإن القوم قد غرُّوه وخَدَعُوه وكذَّبوه، وإنه إن قُتل لم يكن لبني هاشم بعده نظام، وعليَّ دَيْنٌ أخذتُه منذ دخلتُ الكوفة، فاقْضِه عني، واطْلُب جُثَّتي من ابنِ زِياد، فوارِها.

فسأله ابنُ زياد: ما قال لك؟ فأخبره عمر، فقال: أما مالُك فهو لك لا نمنعُك منه، وأمَّا حسين؛ فإنْ تَرَكَنا لم نُرِدْه، وأمَّا جُثَّته؛ فإذا قتلناه لم نبالِ ما صُنع به. ثم أمر به فقتل.

---

(١) أي: يهذي.

(٢) أي: تحركوا للنهوض.

(٣) ما بين حاصرتين من«طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٢، والكلام منه.

(٤) العَنَزَة: أطول من العصا، وأقصر من الرُّمح، في أسفلها زُجٌّ (أي حديدة) كزُجِّ الرمح.

(٥) بعدها في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٣ (والكلام منه): فغربت الشمس، واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد، وكثَرَهم أصحاب عُبيد الله بن زياد ...

فقال عبد الله بن الزَّبِير الأسدي، وقيل: ابن همَّام السَّلُولي[١]:

فـتًـى هـو أَحْـيَـا مـن فـتـاةٍ حَـيِـيَّـةٍ وأقْـطَـعُ من [ذي] شـفـرتـيـن صَـقِـيـلِ
فإنْ كنتِ لا تدرينَ ما الموتُ فانظُري إلـى هـانـئٍ فـي الـسـوقِ وابـنِ عـقـيـلِ
تَـرَيْ جـسـداً قـد غَـيَّـرَ الـمـوتُ لـونَـهُ ونَـضْـحَ دمٍ قـد سـالَ كـلَّ مَـسِـيـلِ
أصـابَـهـمـا أمـرُ الأمـيـرِ[٢] فـأصْـبَـحـا أحـاديـثَ مَـنْ يَـهْـوِي[٣] بـكـلِّ سـبـيـلِ
تَـرَيْ بـطـلاً قـد هَـشَّـمَ الـسـيـفُ رأسَـهُ وآخـرَ يـهـوِي مـن طَـمـارٍ قـتـيـلِ
أيـركـبُ أسـمـاءُ الـهـمـالِـيـجَ[٤] آمـنـاً وقـد طـلـبَـتْـهُ مَـذْحِـجٌ بـقـتـيـلِ[٥]
فـإن أنـتـمُ لـم تـثـأروا بـأخـيـكـمُ فـكـونـوا بـغـايـا أُرْضِـيَـتْ بـقـلـيـلِ

طَمار: هو المكان المرتفع، وأسماء: هو ابنُ خارجة الفَزَاري؛ كان ابنُ زياد بعثه وعَمرو بن الحجاج الزّبيدي إلى هانئ، فأعطياه العهودَ والمواثيق، فأقبلَ معهما، فغَدَرَ به ابنُ زياد، فقتلَه.

وقضى عُمر بنُ سعد دَيْنَ مُسلم بن عَقِيل وكفَّنَه ودفنَه، وبعث رجلاً إلى الحسين ﵁، فحمله على ناقة، وأعطاه نفقةً، وأمرَه أن يبلِّغه ما قال مسلم، فلحقَه على أربع مراحل، فأخبره.

وبعث عُبيد الله بنُ زياد رأس مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة إلى يزيد بن معاوية.

وبلغ الحسينَ ﵁ قتلُ مسلم وهانئ، فقال له ابنه علي الأكبر: يا أبه، ارْجِعْ، فإنهم أهلُ العراق وغَدْرُهُمْ، فلا يَفُون لك بشيء. فقال بنو عقيل: ليس هذا بحين رجوع. وحرَّضُوه على المُضِيّ. فقال حسين لأصحابه: قد تَرَوْن ما يأتينا، وما أرى القومَ إلا سيخذُلُوننا، فمن أحبَّ منكم الرجوع فليرجع. فرجع عنه قوم صاروا إليه في طريقه، وبقي معه أصحابُه الذين خرجوا معه من مكة؛ فكانت خيلُهم اثنتين وثلاثين فرساً.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٨٢، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٧٩: ويقال للفرزدق. وابن همَّام السَّلُولي اسمُه عبد الله. ينظر «الشعر والشعراء» ٢/ ٦٥١.

(٢) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٨٢: أمر الإله.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٠: يسري.

(٤) جمع هَمْلَج، وهو من البَرَاذين.

(٥) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨٠: بذُحول.

وكان حسين بنُ علي رضي الله عنهما قد وجَّه قيسَ بن مسهر[١] الأسديَّ إلى مسلم قبل أن يبلغَه قتلُه، وكان [ابنُ] زيادٌ قد وجَّه حُصين بنَ تميم الطُّهويّ إلى القادسية في جيش وقال: مَنْ أنكرتَه فَخُذْه، فأخذ قيسَ بنَ مُسْهِر، وبعثَ به إلى ابن زياد، فقال له ابنُ زياد: قد قتل الله مسلماً، فقُمْ في الناس، فاشتم الكذَّاب ابن الكذَّاب. يعني حسيناً رضي الله عنه. [فصعد قيس المنبر] وقال: أيُّها الناس، إني تركتُ الحسينَ بنَ علي بالحاجر[٢]، وأنا رسولُه إليكم، وهو يستنصرُكم. فأمرَ به ابنُ زياد، فطُرح من فوق القصر فمات[٣].

وقال البلاذُري[٤]: إن هذا الرسول عبدُ الله بنُ بُقْطُر، وكان أخاً لحسين رضي الله عنه من الرَّضاعة، ولما قال له ابن زياد: اصعد فالعَنْ الكذَّاب، فصعد على أعلى القصر وقال: قد أقبلَ إليكم ابنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لتنصروه على الدِّعيّ ابنِ الدَّعيّ [ابن] مَرْجانَة[٥] لعنه الله ولعنَ أباه ومَنْ ولَّاه. ثم ألقى نفسه من القصر[٦]، فتكسَّرت عظامُه وبه رَمَق، فجاء رجلٌ فذبَحَه، فقيل له: عَجِلْتَ عليه! فقال: أردتُ أَنْ أُرِيحَه.

ووجَّه الحُصَيْنُ بنُ تميم الحرَّ بنَ يزيد اليربوعي[٧] إلى الحسين رضي الله عنه في ألفين[٨] وقال: سايِرْهُ ولا تَدَعْهُ يرجع حتى يدخل الكوفة، وجَعْجِعْ به[٩].

---

(١) في (خ): مسلم، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٥. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٠.

(٢) بالجيم والراء: موضع قبل معدن النُّقرة (من منازل حاجّ الكوفة). والحاجر في لغة العرب: ما يمسك الماء من شفة الوادي. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ٢٠٤ و ٥/ ٢٩٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٣٢ ـ ٤٣٥. وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧١، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٤) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧١.

(٥) تحرَّف لفظ: مَرْجانة في (خ) (والكلام منها) إلى: من خانه. ومَرْجانة هي أمُّ عُبيد الله بن زياد، وزدتُ لفظة «ابن» بين حاصرتين لضرورة السياق، والكلام بنحوه في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧١.

(٦) كذا وقع في (خ) والكلام منها وحدها. والذي في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧١: فأمر به، فأُلقي من فوق القصر ...

(٧) في (خ): ووجَّه ابنُ زياد الحصين بن الحسر اليربوعي (؟) والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٥ والكلام منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

(٨) في «الطبقات» و«أنساب الأشراف»: في ألف.

(٩) أي: أزْعِجْه.

وجاء الحسين رضي الله عنه، فأخذ بطريق العُذَيْب[(١)] . حتى نزلَ الجَوْف مسقط النَّجف، ثم نزل قصر أبي مقاتل، فخفقَ خَفْقَةً، ثم انتبه يسترجع وقال: إني رأيتُ في المنام آنفاً فارساً يُسايِرُنا ويقول: القوم يسيرون والمنايا تسري[(٢)] إليهم، فعلمتُ أنه نَعَى إلينا أنفسنا. ثم سار حتى نزل كَرْبَلاء، فقال: أيُّ منزلٍ هذا؟ فقالوا: كَرْبَلاء، فقال: كَرْبٌ وبلاء.

وقال أبو مخنف: لما خرج الحسين رضي الله عنه اجتمع[(٣)] أشرافُ الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صُرَد، فقال لهم سليمان: إن معاوية قد هلك وأقام ابنَه، وقد امتنعَ الحسين من بيعته، فإنْ كنتم تنصرونه فاكتبوا إليه، وإن خفتُم الفشل فلا تغرُّوه. فقالوا: لا، بل نقاتلُ عدوَّه ونَقْتُلُ أنفسَنا دونَه. فقال: اكتبوا إليه. فكتبوا:

بسم الله الرّحمن الرحيم، إلى الحسين بن علي من سليمان بن صُرَد، والمسيّب بن نَجَبَة، ورِفاعة بن شدَّاد، وحبيب بن مُظاهر، وشِيعتِهِ من المؤمنين من أهل الكوفة، سلامٌ عليك، أمَّا بعد، فإنَّا نحمدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، والحمدُ لله الذي قَصَمَ عدوَّك الجبَّار الذي انْتَزَى[(٤)] على هذه الأمة، وابتزَّها أمرَها وغَصَبَها فَيْئَها، وتأمَّرَ عليها بغير رضًى منها، ثم قتل خيارَها، واستبقى شرارها، وجعلَ مالَ الله دُولاً بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بَعِدَتْ ثمود، وإنه ليس علينا إمام، فأَقْبِلْ إلينا، لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، وإن النعمان بن بشير في القصر، لسنا نُصلِّي معه، ولا نخرج معه في عيد، لو بَلَغَنا أنك قد أقبلتَ إلينا؛ أخرجناه حتى ألحقناه بالشام، والسلام.

وبعثوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهلالي، وعبد الله [بن وال][(٥)] .

قال: فخَرَجَا مسرعَيْن حتى قدما[(٦)] مكة لعشرٍ مَضَيْن من شهر رمضان، فلما كان بعد أيام بعثوا إلى الحسين رضي الله عنه قيس بن مسهر الصيداوي، وعبد الرحمن بن عبد الله

(١) هو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. معجم البلدان ٤/ ٩٢ .

(٢) في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٥ : يشرون... تشري ...

(٣) في (خ): اجتمع إليه، وهو خطأ. ويورد المصنف هنا خبر مسلم بن عقيل برواية أُخرى أطول من سابقتها.

(٤) في (خ): انتزل، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٢، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٣٥٢ .

(٥) مابين حاصرتين من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٢، ووقع بياض مكانه في(خ). وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٢.

(٦) في (خ): خرجنا... قدمنا... وهو خطأ، وينظر المصدران السالفان .

الأَرْحَبي[١]، وعُمارة بن عَبْد[٢] السَّلُولي، ومعهم نحوٌ من مئة وخمسين صحيفة[٣]، ثم لَبِثُوا أياماً، وبعثُوا إليه هانئ بن هانئ السَّبِيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكتبوا معهما كتاباً مضمونه: أما بعد، فَحيَّهَلَا، والعجلَ العجلَ، والوَحا الوَحا[٤]، فإنَّ الناس ينتظرونك، لا رَأْيَ لهم في غيرك، والسلام.

وكتب إليه شَبَثُ بنُ رِبْعيّ، وحجَّار بنُ أَبْجَر، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُويم[٥]، وعَزْرَةُ بنُ قيس، وعَمرو بن حجَّاج الزبيدي، ومحمد بن عُمير التميمي: أمَّا بعد، فقد اخْضرَّ الجَناب، وأينعت الثمار[٦]، فإن شئتَ فاقْدَمْ على جندٍ لك مجنَّد، والسلام.

واجتمع الرسل كلُّهم عنده بمكة، فكتب الحسين ﷺ إليهم مع ابن هانئ السَّبِيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكانا آخِرَ الرسل إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمَّا بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم، وكانا آخِرَ من قدمَ عليَّ من رسلكم، وقد فهمتُ ما قد ذكرتُم من أقوالكم، وقد بعثتُ إليكم أخي وابنَ عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرتُه أن يكتب إليَّ بما أجمعَ عليه ملأكم، وذَوُو الحِجا منكم، وأهلُ الفضل، فإنْ كتبَ إليَّ أنه قد اجتمع رأيُ ملئكم على ما قَدِمَتْ به رسلُكم ونطَقَتْ به كتبُكم؛ قدمتُ عليكم وشيكاً إنْ شاء الله، ولَعَمْرِي ما الإمام إلا القائل بالكتاب[٧]، القائم بالقسط[٨]، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام.

---

(١) في (خ): الرحبي، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٢، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٢، وسيرد على الصواب.

(٢) في «تاريخ» الطبري: عبيد.

(٣) في «تاريخ» الطبري: ثلاثة وخمسين صحيفة.

(٤) أي: السرعةَ السرعةَ، يمدُّ ويُقصر. ينظر «النهاية».

(٥) في (خ): آدم، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٣، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٣، وكذلك تحرَّف في (خ) شبث، إلى: شبيب، وأبجر، إلى: الحبر، وتحرف أيضاً عزرة (الآتي) إلى: عروة.

(٦) بعدها في المصدرين السابقين: وطمَّت الجِمام.

(٧) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٢: العامل بالكتاب.

(٨) في «تاريخ» الطبري: الآخذ بالقسط.

وبعث إليهم بمسلم بن عقيل، فسرَّحَه مع قيس بن مسهر الصَّيداوي، وعُمارة بن عَبْد[١] السَّلُولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأَرْحَبي، وقال: اكتُمْ أمرَك، فإن رأيتَهم مجتمعين إلى ما كُتبَ إليّ، فعرِّفني.

فسار مسلم حتى قدم الكوفة[٢]، فنزل في دار المختار بن أبي عُبيد، وهي تُعرف اليوم بدار مسلم بن المسيّب، وأقبلت إليه الشيعة، فقرأ عليهم كتاب الحسين ﷺ، فبَكَوْا، وأجابوا بالسمع والطاعة.

وشاع خبرُه، فقام النعمان بن بشير على المنبر، وقال: اتقوا الله عبادَ الله، ولا تُسارعوا إلى الفتنِ وسَفْكِ الدماء.

وكان النعمان حليماً يحبُّ العافية. ثم قال: إني لا أُقاتلُ من لا يُقاتلُني، ولا أَثِبُ على من لا يثبُ عليّ، ولا أُنبِّه نائمَكم، ولا أَتحرَّشُ بكم، ولا آخُذُ على الظِّنَّة والتُّهمة، إلا إنْ أبديتُم صفحتَكم ونكثتُم بيعتَكم، وخالفتُم إمامَكم، فواللهِ لأَضْرِبَنَّكم بسيفي ما ثبتَتْ قائمتُه في يدي.

فقام إليه عبد الله بن [مسلم بن سعيد][٣] الحضرمي، فقال: إنه لا يصلحُ ما ترى إلا القصمُ[٤]، والذي أنت عليه مما بينك وبين عدوِّك رأيُ المستضعفين. فقال النعمان: لأَنْ أكونَ من المستضعفين في طاعة الله أحبُّ إليَّ من أن أكونَ قويّاً في معصية الله، واللهِ لا هتكتُ ستراً ستره الله. ثم نزل.

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٤: عُبيد.

(٢) في الكلام اختصار، وقبله في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٤ أن مسلم بن عقيل أتى المدينة، فصلى في مسجد النبي ﷺ وودَّع من أحبَّ من أهله، ثم استأجر دليلين من قيس، فأقبلا به، فضلّا الطريقَ، وأصابهم عطش شديد، فماتا، فكتب مسلم إلى الحسين ﷺ يستعفيه من ذلك، ويرسل غيره، فلم يقبل الحسين منه ذلك، وأمره أن يمضي لما وجّهه إليه، فسار مسلم حتى قدم الكوفة... وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٦٣.

(٣) ما بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٦، ووقع في (خ) بدلاً منه كلمة رسمها: ممل.

(٤) في «تاريخ» الطبري: الغشم.

فكتب عبدُ الله بنُ مسلم هذا إلى يزيد ـ وكان حليفاً لبني أمية ـ يقول: قد قدم مسلمُ ابنُ عَقِيلٍ الكوفةَ وقد بايعه شيعةُ الحسين، فإنْ كان لك في المصر حاجة فابعَثْ إليه رجلاً قوياً، فإن النعمانَ ضعيف.

وكتب إليه جماعةٌ، منهم عُمر بن سعد بن أبي وقَّاص، وعُمارة بن عقبة بن أبي مُعَيْط، فاستشار يزيدُ سَرْجُون مولى معاوية، وأخبرَه الخبر فقال له: أرأيتَ معاوية لو نُشِرَ، أَكُنتَ آخذاً برأيه؟ قال: نعم. فأخرج عهدَ عُبيد الله بن زياد على الكوفة، وكان معاوية قد كتبَه، وأخفاه يزيد[١]؛ لأنه كان متخوِّفاً من عُبيد الله.

فدعا يزيدُ مسلمَ بنَ عمرو الباهلي، وبعثَ بعهده معه.

وكان الحسين رضي الله عنه قد كتبَ إلى أشرافِ أهلِ الكوفة والبصرة كتاباً نسخته واحدة، إلى الأحنف بن قيس، ومالك بن مِسْمَع البكري، والمنذر بن الجارود، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عُبيد الله بن معمر، وهؤلاء أشراف البصرة، كما كتب إلى أشراف الكوفة، وبعثَ بالكتاب مع مولًى لهم يقال له: سليمان، وفيه: إن الله بعث محمداً بالحقّ، وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثم قبضَه إليه، وكنَّا أهلَه وعشيرتَه وورثتَه وأحقَّ الناس به، فاستأثرَ قومُنا علينا ميراثَ جدِّنا، فكرهنا الفُرْقَة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنَّنا أحقُّ بذلك الحقِّ منهم وممَّن تولَّاه، وأنا أدعُوكم إلى كتاب الله وسنَّةِ رسوله، فإن السنَّة قد أُميتَتْ، والبِدَعَ قد أُحْيِيَتْ، وبعثتُ بكتابي مع رسول، فاسمعوا وأطيعوا أهدِكُمْ سبيلَ الرشاد. والسلام.

فكتم القومُ أمر الكتاب إلا المنذر بن الجارود[٢]، فجاء بالكتاب والرسولِ إلى ابنِ زياد في الليلة التي يريد أن يسير في صُبْحها إلى الكوفة. فضربَ عنقَ الرسول، وصَعِدَ المنبر فخطب، وقال: يا أهلَ البصرة، ماأنا مِمَّن يُقَعْقَعُ لي بالشِّنان[٣]، وإني لمنكل

---

(١) كذا في (خ)، والذي أخفى الكتاب سرجون مولى معاوية، وبه يستقيم السياق. ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٢٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٦ .

(٢) في (خ): زياد، بدل الجارود. وهو خطأ .

(٣) القعقعة: صوت الشيء الصُّلب على مثله، والشِّنان جمع شَنّ، وهي القِرْبَة اليابسة، معناه: ليس هو مما تفزعه القعقعة. ينظر «جمهرة الأمثال» ٢/ ٢٣٧ و ٤١٢ .

ممن عاداني[١]، وقد أنصفَ القارَةَ من راماها[٢]، وإنَّ أمير المؤمنين قد ولَّاني الكوفة، وإنّي سائرٌ إليها، وقد استخلفتُ عليكم عثمان بنَ زياد بن أبي سفيان، فإيَّاكم والخلافَ والإرجاف، فوالذي لا إله إلا هو، لئن بلغني عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنَّه، ولآخذنَّ الأدنى بالأقصى حتى تستقيموا. ونزل.

وسار من البصرة ومعه مسلم بنُ عمرو الباهليّ، وشريك بن الأعور الحارثي وأهلُ بيته، فدخلَ الكوفة وعليه عِمامة سوداء، وهو متلثّم، فظنَّه الناس الحسين رضي الله عنه، فقال مسلم بن عمرو الباهليّ: تأخَّروا، فهذا الأمير عُبيدُ الله بن زياد. فأخذَتْهم كآبةٌ وحُزن[٣].

وكان تأخّر عنه في الطريق جماعةٌ ممن سار معه، فسار عُبيد الله لا يلوي على أحد خوفاً أن يسبقه الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة، فلما مرَّ بالناس ظنُّوا أنه الحسين رضي الله عنه وهو معتجرٌ على بغلة وحدَه، فيقولون: مرحباً بك يا ابنَ رسولِ الله، وهو لا يتكلَّم، وخرجَ إليه الناس من بيوتهم وهو قاصدٌ للقصر.

وسمع النعمانُ بنُ بشير قولَ الناس: مرحباً بك يا ابنَ رسول الله، فأغلقَ باب القصر، وجاء ابنُ زياد، فوقفَ على باب القصر وقال: افتح. والخلق معه يصيحون ظنًّا منهم أنه الحسين رضي الله عنه، فكلَّمه النعمان وقال له: أنشدك الله، إلَّا تنحَّيْتَ، فواللهِ ما أنا بمسلّم إليك أمانتي، ومالي في قتالك من أَرَب. وكان ليلاً وابنُ زياد ساكت، فقال له: افتَحْ لا فتحتَ، فقد طال ليلُك. وسمعه رجلٌ من أهل الكوفة فعرف صوتَه، فنكص إلى القوم وقال: ويحكم، واللهِ إنه ابنُ مَرْجانة! وسمع النعمانُ، ففتح الباب، فدخل، ورجع القومُ ناكصين على أعناقهم. وأصبح، واجتمعوا إليه، فخطبهم[٤].

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/٣٥٨: لنكل لمن عاداني.

(٢) يضرب مثلاً لمساواة الرجل صاحبه فيما يدعوه إليه. والقارَة: قبيلة من الهُون بن خزيمة. ينظر «جمهرة الأمثال» ١/ ٥٥.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٣٥٨. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٧٨.

(٤) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

وقال في خطبته: أمَّا بعد، فإنَّ أمير المؤمنين ولَّاني مِصْرَكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، والإحسانِ إلى سامعكم ومطيعكم، والشدَّةِ على مُرِيبِكم، وأنا متَّبعٌ فيكم أمرَه، ومُنْفِذٌ عهدَه، وأنا لمحسنِكم ومطيعِكم كالوالد، وسَوْطي وسيفي على من خالفَ أمري. والسلام.

ثم أخذ العرفاءَ بالشدَّة، والبحثِ عن أهل الرِّيَب ومن تطلَّبَه[1].

ثم دعا مولًى لبني تميم ـ وقيل: مولًى له ـ يقال له: مَعْقِل[2]، وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له: اطلُبْ مسلم بنَ عَقِيل، فإذا اجتمعتَ به، فادفعْ إليه المالَ، وأخبره أنك منهم، ثم تردَّد إليهم، وطالِعْني بأخبارهم. فما زال يبحث حتى اجتمع بمسلم، وأعطاه المال، وصار خِصِّيصاً به، وأظهرَ أنه من أهل حمص أو اليمن.

وكان مسلم في بيت هانئ بن عروة، والرجلُ الدسيسُ يطالعُ ابنَ زياد بأخبار هانئ ومسلم بكرةً وعشيًّا. وقدم شريك [بن] الأعور مريضاً، وقال لهانئ: مُرْ مسلماً يكون عندي، فإنَّ ابنَ زياد يعودُني.

فانتقل مسلم إليه، فقال شريك لمسلم: إذا جاء ابنُ زياد يعودُني وقلت: اسقوني ماءً؛ فاخْرجْ عليه، فاقتُلْه.

وجاء ابنُ زياد، فجلس على فراش شريك، فقال شريك: اسقُوني ماءً. ثلاث مرات. ومهرانُ[3] قائمٌ على رأسه، ففطن، فغمزَ عُبيدَ الله، فقام، فقال: واللهِ لقد أرادوا قتلَكَ. فقال: وكيف مع التزامي[4] شريكاً، وفي بيت هانئ، ويدي عنده[5]؟!

(١) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٥٨ـ ٣٥٩.

(٢) في (خ): معقل بن يسار، وهو خطأ. والمثبت من المصادر: ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٧٨، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦٢، و«البداية والنهاية» ١١/ ٤٨٢. ومعقل بن يسار صحابي، توفي آخر خلافة معاوية.

(٣) هو مولى لابن زياد.

(٤) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦٠: إكرامي.

(٥) في «تاريخ» الطبري: ويد أبي عنده يد.

ودخل عُبيد الله القصر وقال لأسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث: عليَّ بهانئ. قالا: إنه لا يأتي إلا بأمان. قال: وهل أحْدَثَ حَدَثاً فيحتاجَ إلى الأمان؟! فإنْ لم يأتِ [إلا] بالأمان فآمِناه.

فلما دخلَ على ابن زياد قال له: يا هانئ، أما تعلمُ أن أبي دخل هذا القصر(١) فلم يترك فيه أحداً من الشيعة إلا قتله إلا أباك، ثم أحسنَ إليك؟ قال: بلى. قال: فكان جزائي منك أن خَبأْتَ في بيتك رجلاً ليقتلني؟! فقال: معاذ الله، ما فعلت. فأخرج الرجلَ الذي كان دسيساً، فأُسْقِطَ في يد هانئ، وقال: أيها الأمير قد كان الذي بلغَك، ولن أضيِّعَ يدَك(٢) عندي، وأنتَ آمنٌ وأهلُك، فسِرْ حيثُ شئتَ.

ومِهْرانُ قائمٌ على رأس عُبيد الله وبيده العَنَزَة، وقد كَبا عُبيدُ الله، فقال مهران: واذُلَّاه! هذا العبدُ الحائكُ يؤمِّنُك في سلطانك! فقال: خُذْهُ. فأخذَ مِهْرانُ بضفيرتَيْ هانئ، وحلَّهما، وأخذَ عُبيد الله العَنَزَة، فضربَ بها وَجْهَ هانئ، فكسرَ أنفَه وجبينَه وحبسَه(٣).

وسمعَ الناسُ الهَيْعَةَ، فقام أسماء بن خارجة فقال لابنِ زِياد(٤): أَرُسُلُ غَدْر؟! أمرتَنا أن نأتيَك به، حتى إذا أتيناك به هشمتَ وَجْهَ الرجل، وأسلتَ دماءه على لحيته، وزعمتَ أنك تقتله! فقال ابنُ زياد: وإنَّك هاهنا! فأمر به، فلُهِزَ وتُعْتِعَ [به](٥).

وخافَ ابنُ الأشعث فقال: رضينا ما يفعلُ الأمير، فإنما هو مؤدِّب.

وبلغ عَمرَو بن الحجَّاج أنَّ هانئاً قد قُتل، فأقبلَ في مَذْحِج حتى أحاط بالقصر وقال: أنا عَمرُو بنُ الحجَّاج، فقال ابنُ زياد لشُرَيْح: اخْرُجْ إليهم، فخرج فسكَّنهم(٦).

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦١: هذا البلد.

(٢) في (خ): برّك. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦١.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٣٦٠ـ ٣٦١.

(٤) في (خ): فقام ابن زياد، بدل: فقال لابن زياد، والصواب ما أثبتُّه، وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦٧.

(٥) اللَّهْزُ: الضَّربُ بجُمْع الكفِّ في اللهازم والرَّقَبة. والتَّعْتَعَة. التحريك بعنف.

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٣٦٧ـ ٣٦٨، وما سلف بين حاصرتين منه.

وخرج مسلم بن عَقِيل من دار هانئ في ثمانية عشر ألفاً[(١)]، وشِعارُهم: يا منصور أَمِتْ أَمِتْ. فما بلغ القصرَ إلا في ثلاث مئة، وليس مع [ابن] زياد في القصر إلا ثلاثون رجلاً وأهلُه، فأمرَ محمد بنَ الأشعث أن يخرج في كِنْدة، فيرفع راية أمان، وأمرَ شَبَث ابن رِبْعيّ التميميّ، وحجَّار بن أَبْجَر العجليّ وشمر بن أبي الجوشن العامريّ، فخذَّلُوا الناسَ عن مسلم بن عقيل، واطَّلع الباقون من القصر، فخذَّلُوا عنه عشائرهم، فتفرَّقوا[(٢)].

وبقي وحدَهُ، وجاء إلى طَوْعة، فأجارَتْه، وكتَمَتْ حالَه عن ابنها، وكان مولًى لمحمد بن الأشعث.

وعلم به محمد بن الأشعث، فأخبرَ ابنَ زياد، فبعث إلى عَمرو بن حريث صاحب شُرَطتِه: ابْعَثْ مع ابن الأشعث سبعين رجلاً من قيس. وإنما خصَّ قيساً؛ لعلمه أنَّ كلَّ قبيلةٍ يكرهون أن يصاب فيهم مسلم بن عقيل[(٣)]. فبعثَ معه عَمرو بنَ عُبيد الله بن عباس السُّلمي، فأتوا الدار التي فيها مسلم، فلما سَمِعَ [وقع] حوافِرَ الخيل وأصوات الرجال، عرف أنه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه، وكانوا قد اقتحموا عليه الدار، فضربَهم حتى أخرجهم منها، وضربه بُكير بن حُمْران[(٤)] الأحمري، فقطع شَفَةَ مسلم العليا، وأشْرَعَ في السفلى، وضربه مسلم في رأسه ضربة منكرة، وثنَّى بأُخرى على حبل العاتق كادت تطلُع على جوفه، فلما رأوا ذلك؛ أشرفوا عليه من ظهر البيت يرمونه بالحجارة، ويُلْقُون عليه القصب وفيه النار، فخرج من البيت والسيف في يده يقاتلُهم، فصاح به محمد بنُ الأشعث: لكَ الأمان. وهو يحملُ ويقول:

---

(١) في الكلام تجوُّز، فعدد الذين بايعوا مسلماً ثمانية عشر ألفاً، أما عدد الذين خرج بهم فأربعة آلاف. وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٦٨ـ ٣٦٩.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٧٣: يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل.

(٤) في (خ): بن حفص، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٧٣، وفي «أنساب الأشراف» ٢/ ٨٨: بن حمدان.

أقسمتُ لا أُقتلُ إلَّا حُرّاً وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكْرا
كلُّ امرئٍ يوماً مُلاقٍ شرّاً أخاف أنْ أُكْذَبَ أوأُغرَّا[١]

فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تُكذبُ ولا تُغَرُّ، إنَّ القوم بنو عمِّك، ليسوا بقاتليك.

ثم حملوه على بغلة، وانتزعُوا سيفه من عُنقه، فقال: هذا ـ واللهِ ـ أوّلُ الغدر. ثم بكى، فقيل له: من يطلبُ مثلَ الذي تطلبُ إذا نزل به مثلُ هذا لا يبكي[٢]! فقال: واللهِ ما أبكي لنفسي، وإنما أبكي للحسين وأهلي حيث يُصيبُهم ما أصابني.

ثم قال مسلم لمحمد بن الأشعث: هل لكَ أنْ تبعثَ إلى حُسين، فتخبرَه أنَّ أهلَ الكوفة قد كذَّبوه وكذَّبوني، وأنه ليس لمكذوبٍ رأي. فقال: إني واللهِ أبعثُ إليه، وأُخبِرُ ابنَ زياد أنَّني أمَّنتُك.

وبعثَ إلى الحسين إياسَ الطائيَّ بكتابٍ فيه ما قال مسلم، وأعطاه نفقةً وراحلةً، فلقيَه بِزُبالة[٣]، وأخبرَه وبلَّغه الرسالة، فقال حسين: كلُّ ما حُمَّ[٤] نازلٌ، وعند الله نحتسبُ أنفسَنا وفسادَ أُمَّتِنا.

وأقبل محمد بن الأشعث بمسلم إلى باب القصر، وأخبر ابنَ زياد بأمان محمد، فقال: إنما أرسلناك لتأتيَنا به، لا لتؤَمِّنَه.

وكان مسلم قد عطش، وإذا بِقُلَّةٍ على باب القصر فيها ماء، فقال: اسقوني. فقال له مسلم بن عَمرو: ما أبردها! واللهِ لا تذوقُ منها قطرة حتى تذوقَ الحميم في نار جهنَّم. فقال له مسلم: ويحك، مَنْ أنت؟ فقال: أنا مَنْ عرفَ الحقَّ إذْ أنكرتَه، ونصح إمامه إذْ

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٧٤:

كلُّ امرئٍ يوماً ملاقٍ شرًّا ويُخلطُ الباردَ سُخناً مرًّا
رُدّ شعاعُ الشمسِ فاستقرًّا أخاف أن أُكذبَ أو أُغرًّا

(٢) القائل هو عمرو بنُ عبيد الله بن عباس السُّلمي، كما في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٧٤. وسلف ذكره في الخبر.

(٣) زُبالة، بضم الزاي: قرية عامرة معروفة بطريق مكة من الكوفة. ووقع في (خ): فلقيه على بن زبالة، وهو خطأ. وينظر الكلام في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٧٥.

(٤) أي: قُضِيَ.

غَشَشْتَه، وسمع وأطاعَ إذْ عَصَيْتَه، أنا مسلم بن عَمْرو الباهليّ. فقال له ابنُ عَقِيل: لأُمِّك الثُّكْلُ! ما أجفاكَ وأفظَّكَ وأقسى قلبَك! أنتَ يا ابنَ باهلةَ أولى بالحميم، والخلودِ في نار الجحيم.

وكان عُمارة بنُ عقبة بن أبي مُعَيْط حاضراً، فأرسلَ غلامَه، فجاء بقُلَّةٍ فيها ماءٌ وقَدَح، فصبَّ في القَدَح وسقاه، فلم يقدر أن يشربَ من كثرة الدَّمِ، وسقَطَتْ ثنيَّتاه في القَدَح، فقال: الحمدُ لله، لو كان هذا الماءُ من الرزق المقسوم لشربتُه.

وأُدخل على ابنِ زياد، فلم يسلِّم عليه بالإمرة، فقال له الحَرَسيّ: ألا تسلِّمُ على الأمير؟! فقال: إنْ كان يُريدُ قتلي فما سلامي عليه؟! وإنْ كان لا يريدُه، فليَكْثُرَنَّ سلامي عليه. فقال ابن زياد: لَعَمْري لَتُقْتَلَنَّ. فقال: دَعْني أوصِ إلى بعض قومي. قال: افعل. فقال لعُمر بن سعد بن أبي وقَّاص: بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سرٌّ. فقال له ابنُ زياد: لا تمتنع من حاجة ابنِ عمك. فقال له: عليَّ بالكوفة سبعُ مئة درهم دَيْنٌ، فاقْضِها عني، واستَوْهِبْ جُثَّتي من ابن زياد، فوارِها، وابعثْ إلى حسين من يردُّه، فإني كتبتُ إليه أُخبرُه أنَّ الناس معه.

ثم قال ابن زياد لمسلم: إيهِ يا ابنَ عَقِيل! أتيتَ الناسَ وكلمتُهم واحدةٌ، وأمرُهم جميع، لتفرِّقَ كلمتَهم؟ فقال: ما أتيتُ لهذا، وإنما أهلُ المصر كتبوا إلينا أن أباك قتلَ خيارهم، وسفكَ دماءَهم، وعملَ فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمرَ بالعدل، وندعوَ إلى كتاب الله، فقال ابن زياد: وما أنت وذلك يا فاسق؟ أولستَ بالمدينة تشرب الخمرَ؟ قال مسلم: كذبتَ، واللهِ ما شربتُه قطّ، وأنتَ وأمثالُك يَلَغُون في دماء المسلمين. قال له ابنُ زياد: تمنَّيتَ أمراً حالَ اللهُ دونَه، ولم يَرَكُم أهلَه. قال: فَمَنْ أهلُه يا ابنَ زياد؟ قال: أميرُ المؤمنين يزيد.

ثم شتم ابنُ زياد عليًّا وعَقِيلاً والحسنَ والحُسين ﵈، ثم قال: أين الذي ضربَ رأسَه مسلمُ بنُ عَقيل بالسيف؟ فقال: خُذْه، واصْعَدْ به إلى أعلى القصر فاضْرِبْ عُنُقَه،

وأَتبِعْ جسدَه رأسَه. فأخذه وصعد به وهو يقول: اللهمَّ احْكُمْ بيننا وبين قوم كذَّبُونا وغرُّونا وخَذَلُونا وقتلُونا. فقتلَه[1].

وقدم محمد بنُ الأشعث إلى ابنِ زياد فكلَّمه في هانئ بن عُروة، وقال: قد عرفتَ مكانَه في المِصْر وعشيرتَه، وقد علم قومُه أنِّي أنا[2] وصاحبي سُقناه إليك، أَنْشُدُكَ اللهَ لَمَا وَهَبْتَه لي، فإنَّني لا طاقةَ لي بعداوة قومِه، وهم أعزُّ أهلِ المصر.

فوعده أن يُطلقه، ثم بدا له، فأمرَ بإخراجه إلى السوق مكتوفاً، فانتَهَوْا به إلى موضع تُباع فيه الغنمُ وهو يصيح: واذُلَّ مَذْحِجاه! ولا مَذْحِجَ اليوم. ثم ضرب عنقَه رشيد مولًى لعبيد الله بن زياد، تركيٌ[3].

وبعث برأس مسلم وهانئ مع هانئ بن أبي حيَّة الوَادعي والزُّبيرِ بن الأَرْوح التميمي، وأمر كاتبَه عمرَو بنَ هانئ أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من أمر مسلم وهانئ، فكتب كتاباً أطال فيه، وكان أوَّلَ مَنْ أطالَ في الكتب، فلما نظرَ فيه عُبيدُ الله كرهه، وقال: ما هذا التطويل؟ اكتب إليه: أمَّا بعد، فالحمدُ لله الذي أخذَ لأميرِ المؤمنين بحقِّه، وكفاه مُؤْنةَ عدوِّه، أُخبرُ أميرَ المؤمنين أنَّ مسلم بن عَقِيل لجأ إلى دار هانئ بن عُروة المرادي، وأنِّي جعلتُ عليهما العيون، ودسستُ إليهما الرِّجال، وكِدْتُهما حتى استخرجتُهما، وأمكن اللهُ منهما، فضربتُ أعناقَهما، وبعثتُ إليك برؤوسهما. والسلام.

فكتب إليه يزيد بنُ معاوية: أما بعد، فإنَّك لم تَعْدُ أن كنتَ كما أُحِبُّ، عملتَ عملَ الحازم، وصُلْتَ صَوْلَةَ الشجاع الرابط الجأش، فقد أَغْنَيْتَ وكفَيْتَ، وصدَّقْتَ ظنِّي بك ورأيي فيك، وقد بلغني أن الحسين قد توجَّهَ نحو العراق، فضَعِ المناظرَ والمسالح، واحتَرِسْ واحبِسْ على الظِّنَّة، وخُذْ على التُّهَمَة؛ غير أنك لا تقتلُ إلا من قاتَلَك،

(١) ينظرما سلف في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٨. وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٢/ ٧٨ ـ ٨١.
(٢) في (خ) (والكلام منها فقط): أما أنا، بدل: أني أنا.
(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩، وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٨١ ـ ٨٢.

واكتبْ إليَّ بكلِّ ما يحدُثُ من خبر إن شاء الله[١] . فقد ابتُلِيَ بالحسين زمانُك من بين الأزمان، وبلدُك من بين البلدان، وابتُليت به بين العمال، وإنما أنتَ أَحَدُ أعضاءِ ابنِ عمك، فاحْرِصْ أن تكون كلَّها[٢]، وعندها تُعتقُ أو تعودُ عبداً. والسلام[٣] .

وكان مخرجُ مسلم بن عَقِيل يوم الثلاثاء[٤] لثمانِ ليالٍ مضَيْنَ من ذي الحجَّة سنة ستين، ويقال: يوم الأربعاء يوم عرفة بعد[٥] مخرجِ الحسين من مكة إلى العراق بيوم.

ولما خرج مسلم بن عَقِيل؛ خرج معه المختارُ بن أبي عُبيد، وعبدُ الله بن الحارث ابن نوفل، ومع المختار رايةٌ خضراء، ومع عبد الله رايةٌ حمراء، وجاء المختارُ برايته فركزها عند باب عَمرو بن حُريث، وقال: إنما جئتُ لأمنع[٦] عَمراً.

فلما قُتل مسلم أمرَ ابنُ زياد بحبس المختار وعبدِ الله بن الحارث.

وحجَّ بالناس عَمرو بن سعيد بن العاص.

قال معمر: لما كان يومُ التروية قدم عمرو بن سعيد مكة في جند كثيف، وكان يزيد قد كتبَ إليه أنْ يُناجزَ الحسين إنْ هو ناجزَه، أو يغتالَه إن عجزَ عنه، وعلم الحُسين رضي الله عنه، فخرج يومَ التروية، وقبل خروجه طاف بالبيت ومعه عبد الله بن الزبير، فقال له عبد الله: أَقِمْ ههنا ونُقاتل أبناءَ المنافقين، فقال: لا أُريد القتال في الحرم. قال: فلعلَّنا لا نلتقي بعد هذا اليوم، فأخبرني متى يرثُ المولودُ، ويُورَث، ويتمُّ عقلُه؟ وعن جوائز السلطان؛ هل تحلُّ أم لا؟ فقال الحسين رضي الله عنه: أمَّا المولود؛ فإذا استهلَّ صارخاً، وأمَّا جوائز السلطان؛ فحلال ما لَم يَغْصِبِ الناسَ أموالَهم.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٨٠ ـ ٣٨١ . والكلام بعده في «تاريخ دمشق»، ينظر «مختصره» ٧/ ١٤٥ . قوله: المناظر، هو جمع المنظر، أي: المَرْقَبة (موضع المراقبة). والمسالح: جمع المَسْلَحَة، وهو الموضع الذي يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة وغيرها .

(٢) ينظر «العقد الفريد» ٤/ ٢٠٧ .

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٥٠٨، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٤٥ . وسلف نحوه من قول عمرو بن سعيد.

(٤) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨١: بالكوفة يوم الثلاثاء .

(٥) ينتهي في هذا الموضع الخرم الذي وقع في (ب) في أواخر ترجمة قيس بن سعد بن عبادة في السنة (٥٩) عند قوله فيها: «ولا يعاقبون بشيء وأنا رجل منهم» فكان الكلام بين هذين الموضعين من (خ) وحدها .

(٦) في (ب) و (خ): لأتبع. والتصويب من «تاريخ» الطبري ٥/ ٣٨١ .

وقيل: أقامَ الحجَّ يحيى بن سعيد نيابةً عن أخيه، وكان على مكة والمدينة عمرو بن سعيد، وعلى الكوفة والبصرة عُبيد الله بنُ زياد، وعلى خُراسان عبدُ الرحمن بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شُريح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبيرة[١].

وفيها توفي

بلال بن الحارث المُزَنيُّ

من الطبقة الثالثة من المهاجرين، كنيتُه أبو عبد الرحمن.

قال ابن عبَّاس: أعطى النبيُّ ﷺ بلالَ بنَ الحارث المُزَنيَّ معادنَ القَبَليَّة؛ جَلْسِيَّها وغَوْرِيَّها، وحيثُ يصلح الزرعُ من قُدْس[٢].

فلما كان عمرُ بنُ الخطاب رضوان الله عليه قال له: إن رسول الله ﷺ لم يُقْطِعْ[٣] لتحتجزه[٤]، فخُذْ منه ما قَدَرْتَ عليه وعلى عمله، وأَطْلِقْ الباقي للمسلمين. ففعل.

وقال أبو بشير المازنيُّ: قال النبيُّ ﷺ: «من وجدتُموه يقطع من الحِمَى شيئاً فلكم سَلَبُه».

وكان النبيُّ ﷺ استعملَ عليه بلالَ بنَ الحارث المزنيّ، وعلى عهدِ أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، فمات بلال في خلافة معاوية، فاستعمل على الحمى بعد ذلك[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٩٩، والمنتظم ٥/ ٣٢٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ١٤٨ . وأخرجه أيضاً أبو داود (٣٠٦٢). قوله: معادن القَبَلِيَّة، منسوبة إلى قَبَل، بفتح القاف والباء، وهي ناحية من ساحل البحر، بينها وبين المدينة خمسة أيام، وقيل: هي من ناحية الفُرْع، وهو موضع بين نخلة والمدينة. وقوله: جَلْسِيَّها؛ الجَلْس: كلُّ ما ارتفعَ من الأرض، وقوله: غَوْرِيَّها؛ الغَوْر: كلُّ ما انخفضَ من الأرض. وقولُه: قُدْس: هو جبل، وقيل: هو الموضع المرتفع الذي يصلح للزراعة. «النهاية»: (جلس ـ غور ـ قبل ـ قدس).

(٣) المثبت من (ب). وفي (خ): يعطه، ولعلها: يُقْطِعْكَهُ، ففي «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٤٩: ما أقطعَكَهُ.

(٤) كذا في (ب) و (خ). وفي «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٤٩: لتحتجنه، وشرح عليها ابن الأثير في «النهاية» فقال: أي: تتملَّكه دون الناس، والاحتجان: جمع الشيء وضمُّه إليك. اهـ. والحديث في «السنن الكبرى» للبيهقي ٦/ ١٤٩، وفيه: لتحجره، وجاء في هامشه لفظة: لتحرزه.

(٥) كذا في «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٤٩، وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣/ ٤٤٢ (مصورة دار البشير). وبنحوه في «مغازي» الواقدي ٢/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

وتوفِّي في سنة ستين، وهو ابنُ ثمانين سنة[١] .

وحضر غَزاةَ دَوْمَةِ الجَنْدل مع خالد بنِ الوليد[٢]، وهو أوَّلُ من قدم على رسول الله ﷺ من وفد مُزَيْنة سنة خمس من الهجرة[٣] .

وقدم مصر لغزو إفريقية ومعه أربع مئة من قومه، وكان يحمل لواءهم[٤] .

وابنُه حسان بن بلال أوَّلُ من أظهرَ الإرجاء بالمدينة[٥] .

أسند بلال الحديثَ عن رسول الله ﷺ[٦] .

خِراشُ بن أُميَّة

ابن ربيعة الكعبيّ، كنيتُه أبو نَضْلة، من الطبقة الثالثة من المهاجرين.

شهد مع النبيِّ ﷺ المُرَيسِيع، والحُدَيبية، وبعثه رسول الله ﷺ يومئذٍ إلى قريش، وهو الذي حلق رأس رسول الله ﷺ يوم الحُدَيْبِية [وحَلَقَهُ أيضاً في عُمرة] الجِعِرَّانة[٧]، وأقام بالمدينة حتى توفي بها في هذه السنة.

زيد بن خالد الجُهَني

أبو عبد الرحمن، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، توفِّي بالكوفة سنة ستين آخِرَ خلافة معاوية، وقيل: مات بالمدينة سنة ثمان وسبعين، وهو ابنُ خمس وثمانين سنة، وله صحبة ورواية[٨] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ١٤٩، والمعارف ص٢٩٨، وتاريخ دمشق ٣/ ٤٤٠، و ٤٤٤ .
(٢) تاريخ دمشق ٣/ ٤٣٥ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٤٤١ .
(٥) المعارف ص٢٩٨، والثقات ٣/ ٢٩ .
(٦) روى له أصحاب السنن؛ ينظر «تهذيب الكمال» ٤/ ٢٨٣ .
(٧) ما بين حاصرتين من «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٨٩ . والكلام منه، ووقع بدله في (ب) و (خ): في .
(٨) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٦٢ . وروى له الجماعة، ينظر «تهذيب الكمال» ١٠/ ٦٣ .

شريك بن الأعور الحارثي

شاعر، وفد على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وكان من أصحاب عليّ عليه السلام، شهدَ معه الجمل وصفِّين، ووفدَ على معاويةَ، وأشخَصَه ابنُ زياد من البصرة إلى الكوفة، فمات بعد خروج مسلم بن عَقِيل بثلاثة أيام.

أبو مسلم الخَوْلاني

واسمُه عبد الله بن ثُوَب، على خلاف في ذلك، من الطبقة الثانية من التابعين(١)، وقيل: من الأولى(٢).

كان من الأفاضل الأخيار، صاحب كرامات، مُجابَ الدعوة(٣).

نزل داريا [قرية من قرى الشام]. وأدرك جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما، وهو الذي أُلقيَ في النار فلم تضرَّه.

قال شُرَحْبِيل بنُ مسلم: إنَّ الأسود العنسيَّ تنبَّأ باليمن، فأرسل إلى أبي مسلم، فقال: تشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله؟ قال: نعم. قال: تشهدُ أني رسولُ الله؟ قال: لا(٤). فأمرَ بنارٍ عظيمة فأُضْرِمَتْ، وطَرَح أبا مسلم فيها، فخرجَ منها سالماً لم تضرَّه، فقال له أصحابه: أخْرِجْه؛ وإلَّا أفسدَ عليك البلاد. فأخرجَه من اليمن.

فقدم المدينة وقد قُبض رسولُ الله ﷺ، واستُخلِفَ أبو بكر رضوان الله عليه، فأناخَ راحلتَه على باب المسجد، ودخلَ فقام فصلَّى إلى سارية، فبَصُرَ به عمر بنُ الخطاب

---

(١) في (ب) و (خ): الثالثة، وهو خطأ، ولفظ العبارة في (م): (ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين وقال: أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة رسول الله ﷺ وفي عهده، ولم يره). ولم يرد هذا الكلام في ترجمته في «الطبقات» ٩/ ٤٥١، وهو بنحوه في «تاريخ دمشق» ص٤٨٩ عن ابن منده.

(٢) في (ب) و(خ): الأول. وذكر ابن عساكر عن خليفة قوله: في الطبقة الأولى من أهل الشام أبو مسلم الخولاني. تاريخ دمشق ص٤٨٥ (ترجمة أبي مسلم الخولاني - طبعة مجمع دمشق).

(٣) نُسب القول في (م) لعبد الجبار بن محمد، وما سيرد بين حاصرتين منها. وينظر «تاريخ دمشق» ص٤٨٩.

(٤) في «تاريخ دمشق» ص٤٩٣ و ٤٩٤: ما أسمع.

رضوان الله عليه، فجاء فجلس إليه وقال: من أين الرجل؟ قال: من اليمن. قال: ما فعل صاحبُنا الذي حرقَه الأسود بالنار فلم تضرَّه؟ قال: ذلك عبد الله بن ثُوَب. فقال: ناشدُتك الله، أنتَ هو؟ قال: نعم. فقام عمر رضوان الله عليه، فقبَّل ما بين عينيه، ثم جاء به، فأجلسه بينه وبين أبي بكر رضوان الله عليه وقال: الحمدُ لله الذي لم يُمتني حتى أراني رجلاً من أمَّة محمد ﷺ فُعِلَ به كما فُعِل بإبراهيم الخليل عليه السلام(١).

وقال علقمة بن مَرْثد: انتهى الزُّهد إلى ثمانية من التابعين، منهم أبو مسلم الخَوْلَاني، ما كان يُجالس أحداً يتكلَّم في أمور الدنيا إلا تحوَّل عنه(٢).

وكان يصوم الدهر، ويقوم الليل، ويصلِّي كلَّ يوم وليلة أربع مئة ركعة ويقول: إنَّ الخيل لا تجري إلى الغابات وهي بُدْنٌ، إنما تجري وهي ضُمْر، وإنَّ بين أيدينا أياماً لها نعمل(٣).

وقال الحافظ أبو نُعيم: كان أبو مسلم كثيرَ الغزو لبلاد الروم، فإذا مرُّوا بنهر يقول: أُعْبُروا بسم الله. ويمرُّ بين أيديهم. فيمرُّون بالنهر الغَمْر، فربَّما لا يبلغ من الدوابّ إلا إلى الرُّكَب، أو قريباً من ذلك، فإذا جاوز النهر قال: من ذهبَ له شيء فأنا ضامنٌ له. فألقى بعضُهم مِخْلاةً عَمْداً، فلما جاوز قال الرجل: مِخْلاتي وقعت في النهر. قال:

---

(١) أخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ص٨٦٠، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ص٤٩٣، و٤٩٤، من طريق إسماعيل بن عياش، عن شرحبيل بن مسلم، به. قال ابن عبد البر: صدر الخبر معروف مثله لحبيب بن زيد بن عاصم مع مسيلمة، فقتله مسيلمة... وإسماعيل بن عياش ليس بحجة في غير الشاميين. وقال الذهبي في «السير» ٤/ ٩: شرحبيل أرسل الحكاية.

وجاء آخر الخبر في (م) ما نصُّه: (وهذه رواية أبي نعيم، وقد ذكر القصة ابن عساكر وقال: لم يحترق منه إلا أمكنة لم يصبها الوضوء). اهـ. قلت: وقد أخرج ابن عساكر الخبر من رواية شرحبيل، وذكره أيضاً من رواية أبي بشر جعفر بن أبي وحشية، وفيه نحو الكلام الذي وقع في (م).

(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٢٣، وصفة الصفوة ٤/ ٢٠٩. وذكر أبو نعيم الزهَّاد الثمانية في «الحلية» ٢/ ٨٧ في ترجمة عامر بن عبد الله بن قيس، (وهو أحدهم)، والستَّة الآخرون هم: أُوَيْس القَرْني، وهَرِم بنُ حيَّان، والرَّبيع بن خُثيم، ومسروق بنُ الأَجْدَع، والأسود بن يزيد، والحسن البصري ﷺ.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٢٧ وتاريخ دمشق ص٥٠٠ (ترجمة أبي مسلم ـ طبعة مجمع دمشق)، وصفة الصفوة ٤/ ٢١٠.

اتبعني. فإذا هي قد تعلَّقت ببعض أشجار النهر(١).

وروى ابنُ عساكر قال: كان أبو مسلم يخوضُ دجلة وهي ترمي بالخشب من مدِّها، ولا يضرُّه ذلك(٢).

[قلت: هذا واحدٌ من الأمة شارك الخليل عليه السلام في خوض النار، وشارك موسى عليه السلام في خوض البحر](٣).

قال عطاء: قالت امرأة أبي مسلم الخَوْلاني: ليس لنا دقيق. فقال: هل عندكِ شيء؟ فقالت: درهمٌ بِعْنا بِهِ غَزْلاً. فقال: اِبْغِينِيه، وهاتي الجِراب. وأخذَه ومضى إلى السوق، ووقفَ على بائع الطعام، فجاء سائل، فقال له: تَصَدَّقْ عليَّ للهِ تعالى. فأعطاه الدرهم، وعَمَدَ إلى الجِراب، فملأه من نُحاتةِ النَّجّارِين، ثم أقبل إلى [باب] بيته، فرماه في الدِّهْليز، ومضى إلى المسجد.

فأخذتِ المرأةُ الجِراب، فإذا فيه دقيق حُوَّارَى(٤)، فعجَنَتْ(٥) منه وخَبَزَتْ. وجاء أبو مسلم بعد هَدِيءٍ(٦) من الليل، فدخل فقدَّمَتْ إليه أرغفةً، فقال: من أين لكم هذا؟! قالت: من الدقيق الذي جئتَنا به في الجِراب، ولا تشتري إلا منه. فجعل يأكل ويبكي. ويقول: نعم(٧).

وكانت لأبي مسلم منزلة من معاوية، كان إذا دخل عليه قام وقعد بين يديه.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ص٥٠٣ (ترجمة أبي مسلم) من طريق أبي نعيم، ولم أقف عليه في «الحلية». وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٤/ ٢١٠.

(٢) تاريخ دمشق ص٥٠٣ و ٥٠٥.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) أي: دقيق أبيض، وهو لُباب الدقيق.

(٥) في (ب) و (خ): فعجبت. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في المصادر.

(٦) أي: حينَ هَدَأَ الليل. ووقع في (م): هَوِيّ، أي: ساعة. ينظر «القاموس»: (هدأ - هوى).

(٧) تاريخ دمشق ٥٠٨ - ٥٠٩، وصفة الصفوة ٤/ ٢١١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٢. وليس فيها آخر الخبر قوله: «ويقول نعم» ونُسب الخبر في (م) للخطيب البغدادي، وقد أخرجه ابن عساكر من طريقه، ولم أقف عليه في «تاريخ بغداد».

وكان أبو مسلم إذا انصرفَ من المسجد إلى منزله كبَّر على باب منزله، فتجيبُه زوجتُه بالتكبير، فإذا كان في صحن الدار كبَّر فتُجيبُه امرأتُه، فإذا بلغ إلى باب البيت كبَّر، فتُجيبه. فانصرفَ ذاتَ ليلةٍ إلى باب منزِله، فكبَّر، فلم يُجبه أحد، فدخل فكبَّر في صحن الدار، فلم يُجبه أحد، فكبَّر على باب البيت، فلم يُجبه أحد. وكان من عادة زوجته إذا دخلَ بيتَه قامت إليه، فنَزَعَتْ رداءه، وأخَذَتْ نعليه، وجاءَتْه بطعام يُفطر عليه، فلم تقُم إليه. فدخل البيت، وإذا ليس فيه سراج، وإذا بامرأته جالسةٌ منكِّسةَ الرأس، فقال لها: ما لكِ؟ فقالت: أنتَ لك من معاوية منزلةٌ، وليس لنا خادم، فلو سألتَه فأخْدَمَنا خادماً. وقد كانت جاءَتْها امرأةٌ قبل ذلك، فقالت: إنَّ زوجَكِ له منزلةٌ من معاوية، فلو أخبرَه بحالكم، فأَخْدَمَكُم خادماً نَعَشْتُم. فلما قالت له امرأته ذلك فهم، فرفعَ يديه وقال: اللَّهم من أفسدَ عليَّ امرأتي أفْسِدْ عليه بصرَه. فبينا تلك المرأة جالسةٌ في بيتها إذْ أنكَرَتْ بصرَها، فقالت لأهلها: ما لِسراجِكم قد طَفِئ؟ فقالوا: ما طَفِئَ. فعلمَتْ من أين أُتِيَتْ، فقالت: قودوني إلى دار أبي مسلم، فقادوها[1] إليه وهي تبكي وتسألُه أن يدعوَ لها. فرقَّ لها ورحمها، وسألَ اللهَ، فردَّ عليها بصرَها، ورجعت المرأة إلى الحال التي كانت عليها[2].

وقال أبو مسلم: ما طلبتُ من الدنيا شيئاً فوفي[3] لي، حتى لقد ركبتُ حماراً مرَّة، فلم يمش، فنزلتُ عنه، فركبَه غيري، فمشى، ونمتُ ورأيتُ قائلاً يقول لي: لا تحزنْ على ما زُويَ عنك من الدنيا، وإنما يُفعل هذا بأوليائه وأحبابه وأهل طاعته. فسُرِّيَ عني.

وقال: تركُ الذنب خيرٌ من التوبة.

وكان يقول: لأَن يولدَ لي مولودٌ يُحسِنُ اللهُ نباتَه؛ حتى إذا استوى على شبابه وكان أعجبَ ما يكون إليّ؛ قبضه اللهُ مني؛ أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها[4].

---

(١) في (م): ودُوني.... فودُوها.

(٢) تاريخ دمشق ص٥٠٧، وصفة الصفوة ٤/ ٢١٢.

(٣) كذا في (ب) و (خ). وفي (م): شيء فوتي. وفي «صفة الصفوة» ٢/ ٢١٢: فوُلّي.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٢٧، وصفة الصفوة ٤/ ٢١٣.

[وقال أبو نُعيم: كان قد علَّق سَوْطاً في مسجده ويقول: أنا أولى بالسَّوْط من الدوابّ. فإذا دخل ضرب روحه سَوْطاً أو سَوْطين][(١)].

كان يقول: لو رأيتُ النارَ عِياناً ما كان عندي مستزادٌ[(٢)].

وكان الصبيان يقولون له: يا أبا مسلم، احبسْ علينا هذا الطائر، فيدعو، فيحبسُه الله حتى يأخذوه بأيديهم[(٣)].

ورآه كعب الأحبار فقال: هذا حكيم هذه الأمة[(٤)].

وكان يمشي في داريا إلى مسجد دمشق [- وبين داريا ومسجد دمشق أربعة أميال -] يلتمس الفضيلة[(٥)].

وكان إذا استسقى سُقي[(٦)].

وكانت له سُبْحَة يُسَبِّح بها، فنام ليلة وهي في يده، فاستدارت تسبِّح، فالتَفَّتْ على ذراعه، فانتبه، فقال لامرأته: يا أمَّ مسلم، هلمّي فانظري العجب. فجاءت؛ وإذا السُّبْحَة تسبِّح وتلتفُّ على ذراعه وتقول: سبحانك يا منبت النبات، ويا دائم الثبات. فلما جلست المرأة سكنت السُّبْحة[(٧)].

وقالت له جاريته [يوماً]: لقد جعلتُ لكَ السُّمَّ في طعامك غير مرة، ولا يضرُّك. فقال: ولِمَ فعلت؟ قالت: أنا جارية شابَّة، ولا تُدنيني من فراشك. قال: فإنّي أقول إذا

---

(١) كذا في (م) والكلام منها (وهو ما بين حاصرتين) والخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ١٢٧، و«تاريخ دمشق» ص٤٩٨، و«صفة الصفوة» ٤/ ٢١٣، وفيها: فإذا دخلته فترة مَشَقَ ساقَه سوطاً أو سوطين.

(٢) المصادر السابقة، وفيها أيضاً قوله: لو رأيت الجنةَ عياناً ما كان عندي مستزاد.

(٣) تاريخ دمشق ص٥٠٧، وصفة الصفوة ٤/ ٢١٣. قال ابن عساكر: كذا قال: الطير، والمحفوظ: الظبي. ثم أخرج الرواية التي فيها لفظة: الظبي، وأخرجها أيضاً أبو نُعيم في «حلية الأولياء» ٢/ ١٢٩، ونُسب الخبر في (م) إليه.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٢٤، وتاريخ دمشق ص٤٩٦.

(٥) تاريخ داريا ص٦٠، وتاريخ دمشق ص٤٩٩. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٦) تاريخ دمشق ص٥٠٥.

(٧) تاريخ دمشق ص٥١٠.

قرَّبتِ إليَّ طعاماً: بسم الله خيرِ الأسماء الذي لا يضرُّ مع اسمه داء، ربِّ الأرض والسماء. وأعتقها[١].

وقد ذكره القاضي أبو بكر محمد بنُ الطَّيِّب في كتاب «الإمامة»، وأثنى عليه؛ قال[٢]: دخل أبو مسلم على معاوية في جماعة من أماثل أهل الشام، فقال له أبو مسلم: يا معاوية، نراك قد استَعْدَدْتَ لمحاربة عليِّ بنِ أبي طالب، وألزَمْتَه دمَ عثمان، وقد بلَغَنا أنه بريءٌ من دمه، وله من السابقة والقِدم والقَرابة من رسول الله ﷺ ما لا يُنكره أحد. فقال [له] معاوية: ألستُم تعلمون أنَّ عثمان قُتل مظلوماً؟ قالوا: بلى. قال: فليدفَعْ إلينا قَتَلَةَ عثمان نقتُلْهم به، وهو الإمام، ولا محاربة بيننا وبينه[٣]. فقال له أبو مسلم: أنصفت، ائذن لنا أن نأتيَه. فقال: قد أذنتُ.

فخرج أبو مسلم في جماعة فيهم أبو هريرة، فأَتَوْا عليًّا رضوان الله عليه، فأدركوه بالرَّحْبة، فذكروا له ما قال معاوية، فأذن للناس فدخلوا عليه، فقال: من قتلَ منكم عثمان؟ فقالوا كلُّهم: نحن قتلناه، أو فقالوا: كلُّنا قتلناه.

فرجع أبو مسلم، فدخل على معاوية، فأخبره بما قالوا، ثم التفتَ أبو مسلم إلى أهل الشام، فقال: انصروا خليفتَكم المظلوم، وأنا أوَّلُكم في سَرَعان الناس[٤].

وقال هشام بن الغاز[٥]: قام أبو مسلم إلى معاوية وهو على المنبر، فناداه: يا معاوية، إنما أنت قبرٌ من القبور، أتحسبُ أن الخلافة جمعُ المال وتفريقُه؟! كلا، إنما هي قول بالحقّ وعمل بالعدل، يا معاوية، إنَّا لا نُبالي إذا تكدَّرت الأنهار وصفا لنا رأسُ العين. فقال معاوية: صدقتَ يا أبا مسلم، يرحمُك الله.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (ب) و(خ): وقال أبو بكر بن محمد (كذا، وهو خطأ) الطَّيِّب، بدل قوله أعلاه: وقد ذكره القاضي... إلخ وهو من (م). والقاضي ابنُ الطيِّب هو ابنُ الباقِلاَّني، ذكر له القاضي عياض كتاب «الإمامة» في «ترتيب المدارك» ٤/ ٦٠١.

(٣) في (م): ولا بيننا وبينه معاداة.

(٤) سَرَعان الناس أي: أوائلهم المستبِقون إلى الأمر.

(٥) الخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ١٢٦، و«تاريخ دمشق» ص٥١٥ من طريق هشام بن الغاز، عن يونس الهرم، أن أبا مسلم... ونُسب الخبر في (م) لابن عساكر.

ودخل عليه يوماً فقال: السلام عليك أيها الأجير، فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم[١]! فقال معاوية: دَعُوا أبا مسلم، فإنّه أعلم بما يقول. فقال أبو مسلم: إنما مَثَلُك مَثَلُ رجلٍ استأجر أجيراً، فولَّاه ماشيته، وجعلَ له الأجر على أن يُحْسِنَ الرِّعْيَة[٢]. فإنْ هوَ أحسن إليها[٣] حتى تلحقَ الصغيرة، وتسمنَ العجفاء؛ أعطاه أجرَه وزاده، وإنْ هو أضاعَها غضبَ عليه وعاقَبَه، ولم يُعْطه أجرَه. فقال معاوية: ما شاء الله!

وحبس معاوية العطاء عن الناس شهرين، فقام إليه أبو مسلم وهو على المنبر، فقال: يا معاوية، إنَّ هذا المالَ ليس من كَدِّك ولا كَدِّ أبيك، وإنما هو مالُ الله. فقال معاوية: صدقت. اغدوا على عطائكم[٤].

ذكر وفاته:

مات في سنة ستين في أيام يزيد بن معاوية[٥].

وقيل: في أيام معاوية[٦].

وقيل: سنة اثنتين وستين[٧]. [والأول أصح].

وقيل: سنة أربع وأربعين. وهو وهم.

ومات بدمشق بداريا، ودُفنَ بها، وقبرُه يزار.

وقيل: مات بأرض الروم في غَزاة مع بُسْر بنِ أبي أَرْطاة، وأوصى أن يُدفن في قبور الشهداء.

---

(١) جاءت العبارة في (ب) و (خ) بلفظ: السلام عليك أيها الأمير فقال أبو مسلم: أيها الأمير. والتصويب من «تاريخ دمشق» ص٥١٦. ولم يرد هذا الخبر في (م).

(٢) في (ب) و (خ): إلى الرعية، والمثبت من «حلية الأولياء» ٢/ ١٢٥. و«تاريخ دمشق» ص٥١٦.

(٣) في المصدرين السابقين: أحسن رِعْيَتَها.

(٤) في (خ): أعطياتكم، وفي (م): غداً أزيد على عطائكم. والخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ١٣٠ بأطول منه، وفيه عطاياكم. وقد نُسب في (م) لأبي نُعيم.

(٥) نسب هذا القول في (م) لابن سعد، وهو في «طبقاته» ٩/ ٤٥١ دون ذكر سنة وفاته.

(٦) التاريخ الصغير ص١٢٩، (وينظر فيه ص١٣٦). ونسب هذا القول في (م) للبخاري.

(٧) تاريخ دمشق ص٥٢٥. قال ابن عساكر: هذا وهم، بل مات قبل ذلك.

قال محمد بن شعيب(١) عن بعض مشيخة دمشق قال: أقبلنا من أرض الروم إلى دمشق، فمررْنا بالعمير الذي يلي حمص على أربعة أميال منها، فاطَّلع راهبٌ من صومعته فقال: من أين أنتم؟ قلنا: من أهل دمشق، كنَّا بأرض الروم. قال: هل تعرفون أبا مسلم الخَوْلانيّ؟ قلنا: نعم. قال: أقرئوه عني السلام، وأخبروه أنَّا نجد في الكتب أنه رفيق عيسى بن مريم، أَمَا إنكم لا تجدونه حيًّا. فلما أشرفنا على الغوطة بَلَغَنا خبرُ موتِه.

[وهذه الرواية تدلُّ على أنه مات بدمشق].

قال ابن عساكر: والذي دوَّنه العلماء أنه مات بأرض الروم(٢). ولم يذكر أحدٌ أنه نُقل إلى داريا، وأظنُّ المكان الذي نُسب إليه بداريا قبر عمرو بن عُبيد(٣) الخولاني، فإنه خلف على أمِّ مسلم؛ امرأةِ أبي مسلم، وكان عَمرو من أفضل زمانه.

أسند أبو مسلم عن أبي بكر، وعمر، ومعاذ بنِ جبل، وعُبادة بنِ الصَّامت، وأبي عُبيدة بن الجرَّاح، وأبي ذرّ، وعوف بنِ مالك، وغيرهم ﷺ.

وروى عنه أبو إدريس الخَوْلاني، وعُمير بن هانئ، ومكحول، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء الخُراساني، وجُبير بن نُفير، وأبو العالية الرِّياحي، وأبو قِلابة الجَرْمي في آخرين. رحمة الله عليه(٤).

أبو حُميد السَّاعدي

واسمُه عبد الرحمن [بن] عَمرو بن سَعْد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عَمرو بن الخزرج بن ساعدة، وهو من الطبقة الثانية، من الخزرج(٥).

---

(١) في (م): وقال أبو نعيم: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد قال: وجدتُ بخط أبي نبذة عن محمد بن شعيب... والكلام في «حلية الأولياء» ٢/ ١٢٨، و«تاريخ دمشق» ص٥٢٤، وفيه: وجدتُ في كتاب أبي بخط يده: حُدِّثت عن محمد بن شعيب...، وفي «الحلية»: يحدث، بدل: حُدِّثت.

(٢) لم أقف على قول ابن عساكر هذا.

(٣) كذا في (ب) و(خ) و(م). وفي «تاريخ داريا» ص٧١، و«تاريخ دمشق» ٥٥/ ٣١٩: عمرو بن عَبْد. وينظر ترجمة أم مسلم الخولانية في «تاريخ دمشق» ص٥٥٠ (تراجم النساء).

(٤) وروى له مسلم وأصحاب السنن. ينظر «تاريخ دمشق» ص٤٨٣، و«تهذيب الكمال» ٣٤/ ٢٩٠.

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٦٧.

شهد أُحُداً مع رسول الله ﷺ، وكان له من الولد: المنذر، وسَعْد، وعَمْرة. وأُمُّهم كَبْشَة بنتُ [عَبْد] عَمرو بن عُبيد[١]، خزرجيَّة، وانقرضَ ولده.

أسند عن رسول الله ﷺ أحاديث.

[وليس في الصحابة من كنيته أبو حُميد غيره].

ومن مسانيده: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدُكم المسجد فليقل: اللهمَّ افْتَحْ لي أبوابَ رحمتك. وإذا خرج يقول: اللهمَّ إني أسألك من فضلك»[٢].

عبد المطَّلب بن ربيعة

ابن الحارث بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف.

نزل دمشق، وبنى بها داراً، وكان له من الولد محمد؛ وأمُّه أُمُّ البنين بنت حُمْرَة[٣] ابن مالك؛ هاجر حُمْرَة من اليمن إلى الشام في أربع مئة عبد، فأعتقهم جميعاً، فانتسبوا إلى هَمْدان بالشام، فلذلك كره أهلُ العراق أنْ يُزَوِّجُوا أهلَ الشام لكثرة دَغَلِهم[٤]، ومن انتمى إليهم من غيرهم.

وكان لعبد المطَّلب أروى؛ أمُّها أمُّ عمير بنت مازن[٥].

ولم يزل عبد المطلب بن ربيعة بالمدينة إلى زمن عمر بن الخطاب، ثم تحوَّل إلى دمشق، وهلك بها في أيام يزيد بن معاوية، وأوصى إلى يزيد، فقبلَ وصيَّته.

---

(١) في (ب) و(خ): عمرو، بدل: عُبيد، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٤/ ٣٦٧. وذكرها أيضاً ابن حبان في «الثقات» ٣/ ٣٥٧. ولم يرد هذا الكلام (من أول الترجمة) في (م)، وما سلف بين حاصرتين من «الطبقات».

(٢) أخرجه مسلم (٧١٣) وفيه: عن أبي حُميد، أو عن أبي أُسَيْد. ونُسب الحديث في (م) إلى البخاري، وهو خطأ، فالحديث ليس في «صحيح» البخاري.

(٣) تحرف في (ب) و(خ) في الموضعين إلى: حمزة. وهذا الكلام ليس في (م).

(٤) تحرفت اللفظة في النسختين (ب) و(خ) إلى: دعائهم. وينظر «طبقات» ابن سعد ٤/ ٥٣، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٢٥٦.

(٥) كذا في (ب) و(خ). وفي «الطبقات»: وأمها بنت عمير بن مازن.

أسند عبد المطَّلب الحديث عن رسول الله ﷺ .

عمرو بن الزُّبير

ابن العوَّام، وأمُّه أمُّ خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، من الطبقة الثانية[١] من التابعين، من أهل المدينة.

وكان أجملَ أهلِ زمانِه، وكان شديد العارضة، منيع الحَوْزَة.

وكان يقال: عمرٌو لا يُكَلَّمُ، ومن يُكَلِّمْ عمراً يندم.

وكان يجلس بالبِلاط، ويطرحُ عصاه، فلا يتخطَّاها أحدٌ إلا بإذنه.

وكان قد اتَّخذ من العبيد مئتين[٢] .

وكان الزبير بن العوام ﷺ يوقف عَمراً ومصعباً، فينظُر أيُّهما أحسنُ، ثم يقول: ما خلقَ اللهُ شيئاً أحسنَ منكما.

وكان عمرو مغاضباً لأخيه عبد الله يروم ما يرومه[٣] .

ولما قدم عمرو بنُ الزبير من المدينة إلى مكة كان يخرجُ فيصلِّي، وعبدُ الله لا يمنعه، ويجلسان فيتحدَّثان، فيقول له عمرو: يا أخي، احْقِنْ دماءَ المسلمين، وبِرَّ قسم يزيد، وأجعلُ في عنقك جامعةً من فضَّة، فلا يضرُّك، ولا تجعل الناس بعصيانك في بلد حرام وشهر حرام يضرب بعضهم بعضاً، فقال عبد الله: أنا سامعٌ مطيع، وأنت عامل يزيد، وأنا أصلِّي خلفك، فأمَّا أن تجعلَ في عنقي جامعةً وأُقاد إلى الشام؛ فلا ولا كرامة وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه» فراجِعْ يزيد. فقال عمرو: لا والله، ما أَقدِرُ على ذلك.

---

(١) في (ب) و (خ): الثالثة، وهو خطأ، وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٨٤، و«تاريخ دمشق» ٥٥/ ٦٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) في «تاريخ دمشق» ٥٥/ ٧٠ (والكلام فيه): مئين.

(٣) كذا في النسختين (ب) و (خ)، ولم أقف عليه، والترجمة ليست في (م). وجاء في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٤٧: وكان (يعني عمراً) مبايناً لأخيه عبد الله بن الزبير يُظهر عيبه ويُكثر الطعن عليه.

ثم إن عبد الله حبسَ عمراً في حبس عارم[(١)]، وحبس معه عارماً ـ واسمه زيد[(٢)] ـ وكانت داراً، فقيل: سجن عارم، وبنى عبدُ الله بن الزبير لعارم بيتاً ذراعين في ذراعين، وأطبق عليه الجصّ والآجرّ بعد أن جعله فيه، وكان عارم مع عمرو بن الزبير.

ونادى منادي ابن الزبير: ألا مَنْ كانت له على عمرو بن الزُّبير ظُلامة، أو قصاص، فلْيحضُرْ. وكان قد ضربَ جماعة بالمدينة. فأحضره عبدُ الله بنُ الزُّبير وقال له: يا عدوَّ الله، المستحلَّ لحرمةِ الله، لأَضْربنَّك بكل سَوْط ضربتَ به أحداً من الناس.

وطلبَ غرماؤه القصاص إلا المنذر [بن] الزبير[(٣)]، وابنه محمد، وعثمان[(٤)] بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فإنَّهم أبَوْا أنْ يقتصُّوا منه.

وكان يُقام كلَّ يوم فيُقتصُّ منه لمن ضربَه ضرباً وثيقاً[(٥)]. فقام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، فقال: جلدَني مئة سَوْط، وليس بوالٍ، ولم آتِ ذنباً، ولم أخلع يداً من طاعة. فقال له عبد الله: اقتصَّ منه. فضربَه مئة سَوْط. فنَغِلَ جسمُه[(٦)]، فمات. فأمر به عبدُ الله، فصُلِب[(٧)].

وقيل: صحَّ من ذلك الضربِ، وأُخرج من السجن، فمرَّ به عبدُ الله بنُ الزبير وهو جالسٌ بفِناء داره وقال: أبا يَكْسُوم[(٨)]، ألا أراك حيًّا؟! ثم أمر به، فسُحب إلى السجن، فما بلغه حتى مات، فأمرَ به عبدُ الله، فطُرح في شِعْب الخَيْف، وهو المكان الذي صُلِبَ فيه ابنُ الزُّبير من بعد[(٩)].

(١) في (ب) و(خ): عامر، وهو خطأ. وعارم لقب لزيد غلام محمد بن عبد الرحمن بن الحارث، ويقال: غلام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف. ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥١، و«تاريخ دمشق» ٥٥/ ٧٣.

(٢) في (ب) و (خ): يزيد، وهو خطأ.

(٣) في النسختين (ب) و (خ): المنذر والزبير، والصواب ما أثبتُّه إن شاء الله. والكلام ليس في (م)، وينظر ما سلف ص ١٧١.

(٤) في (ب) و (خ): عمرو، وهو خطأ.

(٥) كذا في (ب)، وهي مهملة من النقط في (خ) والكلام ليس في (م).

(٦) أي: فسد.

(٧) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٣، و«طبقات» ابن سعد ٧/ ١٨٥، و«تاريخ دمشق» ٥٥/ ٧٣.

(٨) أبو يكسوم لقب لأبرهة صاحب الفيل شبّه به أخاه. ينظر «اللسان» (بره).

(٩) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٥، وتاريخ دمشق ٥٥/ ٧٣.

ومن ولدِ عمرو بن الزُّبير: الوليدُ بنُ عمرو بن الزُّبير [ابن عمرو بن عمرو بن الزُّبير][١] كان سريًّا مريًّا، وكان من جلساء مالك بن أنس. ويقال: إنه هو الذي صنَّف له «موطَّأه»[٢]. وسعيدُ بنُ عمرو بن الزُّبير [أخوه، روى عن مالك][٣].

أبو أُسَيْد السَّاعِديّ

واسمُه مالك بن ربيعة بن البَدِي[٤] بن عامر بن عمرو بن حارثة[٥] بن عمرو[٦] بن الخزرج. وأمُّه عمرة بنت الحارث بن جبل[٧].

شهد أبو أُسيد بدراً وأُحُداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكانت معه رايةُ بني ساعِدة يومَ الفتح.

وكان دَحْداحاً، أبيض الرأس واللحية، وكان يُحفي شاربَه، ويلبس خاتماً من ذَهَب[٨].

وذهب بصرُه قبل موته، ومات سنة ستين وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة، وله عقبٌ بالمدينة وبغداد.

---

(١) ما بين حاصرتين من «جمهرة نسب قريش» ١/ ٣٤٤، وجاء نسبُه كذلك في ترجمة أخيه سعيد بن عمرو في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٢٩ (مخطوط) وفيه على لفظة «عمرو» الثانية علامة الصحة. وينظر «جمهرة أنساب العرب» ص١٢٥، و«التبيين في أنساب القرشيين» ص٢٦٩.

(٢) أي رتَّب أبوابه، كما في «جمهرة أنساب العرب». وقال القاضي عياض في «ترتيب المدارك» ١/ ٣٧٥: يعني - والله أعلم - بيَّضه له.

(٣) ما بين حاصرتين من «التبيين في أنساب القرشيين» ص٢٦٩. وجاءت العبارة في (ب) و (خ) بلفظ: (وسعيد بن عمرو بن الزبير رضي الله عنه وأخاه عبد الله بن الزبير وغيرهما من الصحابة ووفد على معاوية وابنه يزيد) وفيه اضطراب بسبب سقط لعله في الكلام على المنذر بن الزبير. ولم يرد هذا الكلام في (م).

(٤) قال المزي في «تهذيب الكمال» ٢٧/ ١٣٩: يقال: إن البَدِي وهم، والصواب: البَدِن. وتحرفت لفظة: البدي في (ب) و (خ) إلى: البدري، والترجمة ليست في (م).

(٥) في «طبقات» ابن سعد ٣/ ٥١٦: بن عامر بن عوف بن حارثة... وفي «تهذيب الكمال» ٢٧/ ١٣٨: بن عمرو - ويقال: عامر - بن عوف بن حارثة ....

(٦) في «طبقات» ابن سعد: أبي عمرو، بدل: بن عمرو.

(٧) في «الطبقات»: ٣/ ٥١٧: حبل.

(٨) أخرج ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٥١٨ عن حمزة بن أبي أسيد والزبير بن المنذر بن أبي أسيد أنهما نزعا من يد أبي أسيد خاتماً من ذهب.

وكان له من الولد أُسَيْد الأكبر، والمنذر، وغليظ، وأُسَيْد الأصغر، وحمزة، وميمونة، وحبابة[١]، وحفصة، وفاطمة.

أسندَ الحديثَ عن رسول الله ﷺ[٢].

مسلم بن عقيل بن أبي طالب

قد ذكر مقتلُه.

معاوية بن أبي سفيان

ذكره ابن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة[٣].

[وقال هشام بن الكلبي:] وسبب موته أنه كانت به قَرْحَةٌ ينفثُ منها الدم، وكانت قد أصابته لَقْوَةٌ في آخر [عمرة أو] حجَّة حجَّها، وذلك أنه لَمَّا نزل الأبواء؛ اطَّلع في بئر، فأصابَتْه لَقْوَةٌ، فكان يبكي ويقول: لقد ابتُليت في أحسني[٤]، فرحم الله عبداً دعا لي بالعافية، ولئن ابتُليت فقد ابتُلِيَ الصالحون قبلي، ولي اليوم بضعٌ وسبعون سنة[٥]. فقال له مروان: أجزعت؟ فقال: يا مروان، أخافُ أن يكون هذا عقوبةً من ربِّي، ولولا هوايَ في يزيد لأبصَرْتُ رُشْدي.

[قال المدائني:] وأوصى بنصف ماله أن يُرَدَّ في بيت المال؛ أشار إلى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه؛ قاسمَ عمَّالَه أموالَهم[٦].

ثم تمثَّل:

---

(١) في (خ): خبابة، وفي «الطبقات»: حبانة.

(٢) روى له الجماعة. ينظر «تهذيب الكمال» ٢٧/ ١٤٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٤١٠.

(٤) وفي رواية في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣١٥ (طبعة مجمع دمشق): ورميت في أحسني وما يبدو مني. وفي رواية عنده أيضاً ٦٨/ ٣١٦: وابتليت في أحسن ما يبدو منّي.

(٥) الخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣١٦ وفيه: وأنا ابنُ بضع وستين.

(٦) أنساب الأشراف ٤/ ٣٥، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٢٧، وينظر «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٢١. وما بين حاصرتين من (م).

إنْ تُناقِشْ يَكُنْ نقاشُك يا ربّ عذاباً لا طَوْقَ لي بالعذابِ
أو تُجاوزْ فأنتَ ربٌّ غفورٌ عن مسيءٍ ذُنوبُه[(١)] كالترابِ

[قال أبو اليقظان:] ولما احتُضر أنشد:

لَعَمْري لقد عُمِّرْتُ في المُلْكِ بُرْهةً ودانَتْ[(٢)] ليَ الدنيا بوَقْعِ المآثرِ[(٣)]
وأُعطيتُ جَمَّ المال والعلم والنُّهَى ودوَّختُ أفناء الملوك الجبابرِ[(٤)]
فأضْحَى الذي قد كان منّي يسرُّني كبرقٍ مضى في الذاهبات[(٥)] الغوابرِ
فيا ليتني لم أُمسِ في الملك ليلةً ولا عشتُ في اللذَّات عيشَ النواضرِ[(٦)]
وكنتُ كذي طِمْرَيْن عاش ببُلْغةٍ من العيش حتى زار ضنك المقابرِ

ثم قال: أسنِدُوني. فأسندوه، فكحَلَ عينَيْه وأَذِنَ للناس، فدخلوا للسلام عليه قياماً، فلما خرجوا أنشد:

وتجلُّدي للشَّامتينَ أُريهمُ أنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أتَضَعْضَعُ
وإذا المنيَّةُ أنشبَتْ مِخْلابَها[(٧)] ألْفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ[(٨)]

ثم جعل يتمَلْمَلُ ويقول: مالي ولِحُجْرٍ وأصحابِه[(٩)]، يا ليتني كنتُ رجلاً من قريش بذي طُوى، ولم ألِ من هذا الأمر شيئاً[(١٠)].

---

(١) في (ب) و(خ): ذنبه، وهو خطأ. ومن قوله: أشار إلى عمر بن الخطاب... إلى آخر هذين البيتين، ليس في (م)، والبيتان في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٢ و«بهجة المجالس» ٣/ ٣٦٩، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٢٥.

(٢) في (ب) و(خ): وذلّت. والمثبت من (م) وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣١٩.

(٣) في «بهجة المجالس» ٣/ ٣٧٠، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣١٩: البواتر.

(٤) في «تاريخ دمشق»: وسِلْم قماقيم الملوك الجبابر.

(٥) في «تاريخ دمشق»: كحلم مضى في المزمنات. وفيه أيضاً: كلمحٍ مضى ...

(٦) في «بهجة المجالس» و«تاريخ دمشق»:

فيا ليتني لم أُغْنَ في الملك ساعة ولم أُغْنَ في لذات عيش نواضرِ

(٧) في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٢٣: أظفارها.

(٨) البيتان لأبي ذُؤيب الهُذلي، من قصيدته التي مطلعها: أمن المنون وريبها تتوجّعُ... وهي في «ديوان الهذليين» ص١.

(٩) سلف خبر حُجْر بن عديّ في السنة الحادية والخمسين.

(١٠) تاريخ دمشق ٦٨/ ٣٢٤ و٣٢٥.

ودخل عليه عمرو بن سعيد [بن العاص] الأشدق، ومعاويةُ ثقيل، فقال عمرو: كيف أصبحتَ؟ فقال: صالحاً. فقال: لقد أصبحت عينك غائرة، ولونُك كاسفاً وأنفك ذابلاً، فاعْهَدْ أيها الرجل [عهدك] ولا تخدعْ نفسَك، فقال:

وهل من خالدٍ إنَّا[1] هلكنا وهل في الموت يا لَلنَّاسِ عارُ[2]

[وحكى المدائني قال:] حسر معاوية عن ذراعيه، فإذا كأنهما عَسِيبا نخل، وقال: هل الدنيا إلا ما جَرَّبْنا وذُقْنا؟ والله لوَدِدْتُ أني لم أُعمَّر[3] فوق ثلاث حتى ألقى ربي.

ثم قال لابنته رَمْلة: حوِّلي أباك.

ثم قال:

لا يَبْعَدَنَّ رَبِيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ وسَقَى الغوادي قبرَه بذَنُوبِ[4]

فيقال: إنَّ هذا [كان] آخِرَ كلامه.

[وقال الواقدي:] وكان عنده قميصُ رسولِ الله ﷺ، وإزارُه، ورداؤه، وشيءٌ من شَعره، فقال: إذا أنا متُّ، فأَدْرِجوني في هذه الثياب، واحْشُوا منخري وشدقي شعر رسول الله ﷺ، وخلُّوا بين معاوية وبين أرحم الراحمين[5].

وقال الطبري[6]: قال معاوية في مرضه: كساني رسول الله ﷺ قميصاً فرفعتُه، وقلَّم أظفارَه، فأخذتُ قُلامَتَه، فجعلتُها في قارورة، فإذا متُّ، فألْبِسُوني قميصَه، واسحقوا تلك القُلامة، وذُرُّوها في عيني وفمي، عسى أن يرحمني ربِّي.

(١) في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٤: إما.

(٢) أنساب الأشراف ٤/ ١٧٤. والخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٢٣.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٢٤: أغبَر. وينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٢٢، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٥٩.

(٤) رُوي البيت لحسان بن ثابت ولغيره. وربيعة بن مُكَدَّم رجل من بني كنانة؛ كان قتلَه أُهبان بن غادية الخزاعي، وقيس تقول: قتله نُبَيْشة بن حبيب السُّلَمي، وكان أُهبان أخا نُبَيْشة لأمه. والذَّنوب: الدَّلْو الملأى ماءً. ينظر «الكامل» للمبرِّد ٣/ ١٤٥٨، و«معجم الشعراء» للمرزباني ص٣٦.

(٥) تاريخ دمشق ٦٨/ ٣٣٠ و ٣٣١.

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧. وينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٠، و«أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٣.

ذكر وصيَّته ووفاته

ولما احتُضر دعا الضَّحَّاكَ بنَ قيس الفِهريّ، وكان صاحب شرطته، ومُسْرِفَ بنَ عقبة المُرِّيّ[١]، وكان يزيد غائباً، فأوصى إليهما وقال: قولا ليزيد: انظر أهلَ الحجاز، فإنهم أهلُك وأصلُك، فأَكْرِمْ مَنْ قَدِمَ عليك منهم، وتعاهَدْ من غاب عنك، وانظرْ إلى أهل العراق، فإنْ سألوك أن تَعْزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإنَّ عَزْلَ عاملٍ واحدٍ أَحَبُّ إليك[٢] من أن تُشْهِر عليك مئة ألف سيف، وأُوصيك بأهل الشام؛ فليكونوا بطانَتك وعَيْبَتَك، فإنْ رابَك شيء من عدوِّك فاستنصرْ بهم، ثم ارْدُدْهم إلى بلادهم، فإنْ هم أقاموا بغيرها أَخذُوا بغير أخلاقهم[٣].

وقال معاوية: مَنْ بالباب؟ فقال مولًى له: نفر من قريش يتباشرون بموتك. قال: ولِمَ؟ فواللهِ ما لهم بعدي إلا الذي يسوءُهم[٤].

واتفقوا على أنه مات بدمشق في رجب سنة ستين؛ قيل: في نصف رجب[٥] ليلة الخميس.

وقيل: لثمان بقين منه، ودُفن بالباب الصغير.

وقيل: بين الباب الصغير وباب الجابية.

[قال هشام:] ولما مات؛ قام الضَّحَّاك بن قيس الفِهْريّ خطيباً على المنبر وعلى يديه أكفان معاوية، فقال: أيها الناس، إنَّ معاوية كان عبداً من عبيد الله، دعاه إليه،

(١) هو مسلم بن عقبة، يسميه السلف مُسرفاً؛ لإسرافه في وقعة الحَرَّة، وتحرف في «ب» و (خ) إلى: مسروق. ولم يرد الخبر في النسخة (م).

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٣٢٣: إليَّ. وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ١٩٧ أهون عليك.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٣. وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٩٧.

(٤) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧١.

(٥) في (م): وإنما اختلفوا في اليوم الذي مات فيه، فحكينا عن ابن سعد أنه مات في نصف رجب.... وينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٤.

فأجابه، ونحن مُدْرِجُوه في أكفانه، ومدخلوه في قبره، ومخلُّون[١] بينه وبين ربِّه، فإنْ شاءَ رحمه، وإن شاء عذَّبه، فمن أراد منكم أن يصليَ عليه فليحضر وقتَ الظهر.

ثم حضروا، وتقدَّم الضحاك، فصلّى عليه، وجدَّد البيعة ليزيد على الناس.

واختلفوا في سنِّه على أقوال: أحدُها: ثمانون سنة.

والثاني: اثنتان وثمانون سنة [ذكره البلاذري].

والثالث: ثمان وسبعون سنة [قاله ابن الكلبي].

والرابع: خمس وسبعون سنة [قاله عمر بن شبَّة].

والخامس: ثلاث وسبعون [قاله علي بن محمد].

والسادس: خمس وثمانون. [حكاه الطبري عن هشام بن محمد عن أبيه. قالوا:] والأصحُّ ما بين سبع وسبعين إلى ثمان وسبعين[٢].

[وعام الفتح كان ابن عشرين سنة إن ثبت ذلك].

ذكر [خلافته] وأيامه

كانت ولايتُه على الشام عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة[٣].

وذكره الهيثم بن عدي قال: وقف عبد الملك بن مروان على قبره وعليه ثُمامة نابتة[٤]، فقال: قاتلَ الله الدنيا ومن يغترُّ بها، هذا عاشَ عشرين سنة أميراً، وعشرين سنةً خليفة، ثم صار أمره إلى هذا. فللهِ درُّ [ابن] حَنْتَمَة[٥]. يعني عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

---

(١) في (ب) و (خ) و (م): ومخلوا، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٦، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٢٨، والخبر فيهما بنحوه.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٥ و ١٧٦، و«طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٤، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٦٢، و«تاريخ» الطبري٥/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٤٠ ـ ٣٤١. وما سلف وما سيرد بين حاصرتين من (م).

(٣) التبيين في أنساب القرشيين ص٢٠٦، ونسب ابن قُدامة الكلام فيه لابن إسحاق، ونُسب الكلام في (م) لابن سعد، ولفظه في «الطبقات» ٦/ ٣٤ عن عبد الملك بن مروان أنه وليَ أربعين سنة أميراً وخليفة.

(٤) الثُّمامة واحدة الثُّمام، وهو نبت ضعيف، يصل طوله إلى (١٥٠سم) فروعه مزدحمة متجمعة.

(٥) حَنْتَمة أمُّ عمر بن الخطاب ﷺ. وقوله: فلله در ابن حنتمة... ليس في (م).

[قال أبو معشر:] وبُويع له بالخلافة سنة إحدى وأربعين في جمادى الأولى، وتوفي في رجب سنة ستين، وكانت خلافتُه تسعَ عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر[١].

وقيل: وسبعة وعشرين يوماً.

وقيل: تسع عشرة سنة إلا أياماً.

ولما وقف عبد الملك على قبره أنشد:

هل الدهرُ والأيامُ إلا كما ترى ... رَزِيَّةُ مالٍ أو فِراقُ حبيبِ[٢]

ذكر قدوم يزيد

[قال أبو اليقظان:] لما مات معاوية كان يزيد بحُوَّارِين ونواحي ذَنَبَةَ والماطِرُونِ[٣] مشغولاً بلهوه وصيده، فكتب إليه الضَّحَّاك بن قيس يحثُّه على القدوم، ويخبره بمرض أبيه، فلما قرأ الكتاب قال:

جاء البريدُ بقِرْطاس يَخُبُّ بِهِ ... فأوْجَس القلبُ من قِرطاسه فَزَعا
قلنا لك الويلُ ماذا في صحيفتكُمْ ... قال[٤]: الخليفةُ أمسى مُثْبَتاً وَجِعا
فمادَتِ الأرضُ أو كادَتْ تميدُ بنا ... كأنَّ أغْيَنَ[٥] من أركانها[٦] انقطعا[٧]
مَنْ لا تَزَلْ نفسُه توفي على تَلَفٍ[٨] ... تُوشِكْ مقاليدُ تلك النفسِ أنْ تقعا

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٤.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١٤٢. قوله: رزيَّة، أي: مصيبة.

(٣) حُوَّارين: من أعمال حمص، وذَنَبَة والماطِرون: موضعان من أعمال دمشق. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ٣١٦ و ٣/ ٨ و ٥٥/ ٤٢.

(٤) في «العقد الفريد» ٤/ ٣٧٢، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٣٢٨، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٣١: قالوا.

(٥) هو حصن باليمن، وأثبتُّ اللفظة من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٣، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٣٣، ورسمُ الكلمة في (ب) و (خ) أقرب إليها، ووقع في (م): ركن. وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٥، و«التعازي والمراثي» ص١١٩، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٧٣، و«تاريخ» الطبري٥/ ٣٢٨، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٣١: أغبر.

(٦) في «أنساب الأشراف»: أركانه.

(٧) في «أنساب الأشراف» و«طبقات» ابن سعد و«العقد الفريد» و«تاريخ دمشق»: انقلعا. وفي «التعازي والمراثي»: انصدعا.

(٨) في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٣، و«التعازي والمراثي»، و«تاريخ» الطبري و«تاريخ دمشق»: شرف. وفي «أنساب الأشراف»: تشفي بدل: توفي. ولم يرد هذا البيت، ولا الأبيات الخمسة الأخيرة في (م).

لَمَّا انتهينا وبابُ الدارِ منصفقٌ ... لصوت رَمْلَةَ رِيعَ القلبُ فانصدعا
ثم انبَعَثْنا على خُوصٍ مُزَمَّمةٍ ... نرمي العَجاجَ[1] بها لا نأتَلِي سَرَعا
وما نُبالي إذا بلَّغْنَ أرْحُلَنا ... ما ماتَ منهنَّ بالبَيْداء[2] أو ظَلَعا
أوْدَى ابنُ هندٍ وأوْهَى المجدُ يتبعُهُ ... كيما يكونا جميعاً قاطنَيْنِ معا[3]
أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغمامُ به ... لو قارعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعا
لا يرقعُ الناسُ ما أوْهَى ولو جَهَدُوا ... أنْ يرقعوه ولا يُوهون ما رَقَعا[4]

[وقال الطبري[5]: مات معاوية ويزيد بحُوَّارِين، فكتبوا إليه حين مرض].

وأقبل يزيد وقد دُفن، فأتى قبرَه، فصلَّى عليه، ثم دعا له، وأتى منزلَه، وأقام ثلاثاً لا يخرج منه، ثم خرج وعليه أثر الجَزَع، فصعد المنبر [وقام الضحاك بن قيس إلى جانب المنبر] فخاف عليه من الحَصَر[6]، ففطنَ يزيد، فقال: يا ضحَّاك، أجئتَ تعلِّم بني عبد شمس الكلام؟!.

ثم خطب فقال: أيها الناس، إن معاويةَ كان عبداً لله، أنعم عليه، ثم قبضه إليه، ولا أُزكِّيه على الله، هو أعلم به، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه. ثم نزل.

وقيل: إنه قال: الحمد لله الذي ما شاء صنع، ومن شاء أعطى ومن شاء منع، ومن شاء خفض ومن أراد رفع. إنَّ معاويةَ كان حبلاً من حبال الله، مدَّهُ ما شاء أن يَمدَّه، ثم قطعه حيث أراد قَطْعه، وكان دونَ مَنْ كان قبلَه، وخيراً ممن يأتي بعده. وقد صار إلى الله، فإنْ شاء عفا عنه، وإن شاء [رَحِمَه، وإنْ] عاقبَه فبذنبه، وإنْ رَحِمَه فبفضله. وقد

---

(١) في «أنساب الأشراف» و«التعازي»: الفجاج.
(٢) في «العقد الفريد» ٤/ ٣٧٣ و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٣١: بالمَوْماة، وهما بمعنى. يعني المفازة.
(٣) في الشطر الثاني للبيت بعض اختلاف عن المصادر.
(٤) البيتان الأخيران في «ديوان الأعشى» ص١٥٧ و ١٦١ بنحوهما.
(٥) ينظر «تاريخه» ٥/ ٣٢٨ . وسلف نحوه قريباً، وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٦ . والكلام بين حاصرتين من (م).
(٦) أي: العِيّ. والحَصَر أيضاً ضيق الصدر. وما سلف بين حاصرتين من (م).

وَلِيتُ الأمرَ بعدَه ولستُ أعتذرُ من جهل، ولا آسَى[١] على طلب[٢]، فإنْ أحبَّ اللهُ شيئاً يسَّره، وإن كرهه غيَّره. ثم نزل. فلم يقدر[٣] أحدٌ على تعزيته. فقام عبد الله بن همَّام السلولي فقال:

اِصْبِرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ[٤] واشْكُرْ حِباءَ[٥] الذي بالملكِ حاباكا
لا رُزْءَ أعظمُ في الأقوام قد علموا مِمَّا رُزِئتَ ولا عُقبى كعُقْباكا
أصبحتَ راعيَ أهلِ الأرضِ كلِّهمُ فأنتَ ترعاهُمُ واللهُ يرعاكا
وفي معاويةَ الباقي لنا خَلَفٌ إذا بَقِيتَ ولا نَسْمَعْ بمنعاكا[٦]

فانفتح باب الكلام.

ثم كتب يزيد قبل كلّ شيء كتاباً إلى الوليد بن عتبة [بن أبي سفيان] بأخذِ البيعة على الحسين، وابنِ عمر، وابن الزبير رضي الله عنهم [وقد ذكرناه].

ذكر جملة من أخبار معاوية:

لما بُويع بالخلافة ولَّى شرطتَه قيس بن حمزة الهَمْداني، ثم عزلَه، وولَّى زُميل بن عمرو العُذْرِيّ[٧]، وولَّى كتابته سرجون بن منصور الرومي، وولَّى حجابته سعداً مولاه، وولَّى القضاءَ فَضالَةَ بن عُبيد الأنصاريّ، فمات، فاستقضى عائذ الله أبا إدريس ابن عبد الله الخَوْلانيّ.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٦، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٧٥: أَنِي.
(٢) في (ب) و (خ) و (م): طلب علم! والمثبت من المصادر. ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٦، و«طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٢، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٧٥، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٣٤.
(٣) في (م): يقدم.
(٤) في (ب) و (خ)، و«أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٧: ثقة، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «العقد الفريد» ٤/ ٢٧٤، والمِقَة: المحبَّة.
(٥) في «أنساب الأشراف»: عطاء، وهما بمعنى.
(٦) العقد الفريد ٤/ ٣٧٤. وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧٧.
(٧) هو زَمْل، أو زُميل بن عمرو، أو: بن ربيعة، له صحبة، ينظر «الإصابة» ٤/ ١٦. ووقع في (ب) و (خ): زياد بن عمرو العدوي، وهو خطأ، والكلام ليس في (م).

ومعاويةُ أوَّلُ من اتَّخذَ الحَرسَ؛ قال معاوية: لَمَّا ولَّاني عمر بنُ الخطاب الشام قالت لي أمي هند: يا بنيّ، إن هذا الرجلَ قد استعملك على أمر خطير، فاعمَلْ فيه بما يُوافقه؛ كرهتَه أو أحبَبْتَه، وإياك ومخالفتَه، فيكونَ ذلك سبباً لنفوره عنك وإزالة النعمة. ففعلتُ ما أمَرَتْني به، فرأيتُ عليه الخير والبركة ودوامَ الولاية.

وقال لي أبي: يا بني إنَّ هؤلاء الرهطَ من المهاجرين سبقونا وتأخَّرْنا، فرفَعهم سَبْقُهم، وقصَّر بنا تأخُّرُنا، حتى صِرْنا أتباعاً، وصارُوا قادةً، وقد قلَّدوك جسيماً من الأمر، فلا تُخالفنَّ رأيَهم، فإنك تجري إلى أمدٍ لو بلغتَه لَنَفُسْتَ فيه[١].

فعجبتُ من اختلافهما في اللفظ، واتفاقهما في المعنى[٢].

ومعاويةُ أوَّلُ من بنى الخضراء[٣] بدمشق، وأقام بها أربعين سنة، وهو أوَّلُ من اتخذ ديوان الختم على الإطلاقات، وكان على ديوان الختم عبدُ الله بن مِحْصَن الحميري[٤]، وهو أول من استكتب الدية، ثم ابنه يزيد[٥].

دخل عبدُ الله بنُ عباس رضي الله عنه يوماً على معاوية وعنده جماعة من بني هاشم، فقال معاوية: بم تفخرون علينا يا بني هاشم؟ أليس الأبُ واحداً، والأمُّ واحدة، والدارُ واحدة؟ فقال له ابن عباس: نفخرُ عليك وعلى سائر الناس برسول الله ﷺ، فإنك لا تستطيع له إنكاراً، ولا تَريمُ عنه نِفاراً. فقال له معاوية: لقد أُعطيتَ لساناً ذَرِباً؛ تكاد تغلبُ بباطلك حقَّ غيرك، على أنّي أُحِبُّكِ لأربع؛ مع مغفرتي لك أربعاً.

أمَّا حبِّي إيَّاك فلقرابتك.

وأما الثانية: فلأنَّك من أسرتي الذين أتقوَّى بهم.

وأما الثالثة: فإنك لسانُ قريش.

أما الرابعة: فلأن أباك كان خِلًّا لأبي.

---

(١) في «العقد الفريد» ٤/ ٣٦٥: لتنفَّسْتَ فيه.
(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١٧، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٦٥.
(٣) هي دار الإمارة.
(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٣٣٠.
(٥) لم أقف عليه.

وأما الأربع التي غفرتُ لك:

فقتالك لي يوم صفِّين، ومعاداتك لي فيمن عاداني.

وأما الثانية: فخِذْلانُك لعثمان مع مَنْ خَذَل.

وأما الثالثة: فسَعْيُك على أمِّ المؤمنين عائشة فيمن سعى.

وأما الرابعة: فنفيُك أخي زياداً عني فيمن نَفَى.

ووجدتُ اللهَ يقول: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] وقال الشاعر[١]:

ولستَ بمُسْتَبِقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ   على شَعَثٍ، أيُّ الرِّجالِ المهذَّبُ؟

فعفوتُ عن هذه الأربع لتلك الأربع، وكنتُ كما قيل:

سأَقْبَلُ مِمَّن قد أتى بجميلةٍ   وأصفحُ عما كان من قبل ذلكَ[٢]

فَتَشَزَّنَ[٣] ابنُ عباس مستشرفاً على الجماعة، ثم قال: أمَّا محبَّتُك لي لقرابتي [من رسول الله ﷺ؛ فذلك الواجب عليك وعلى كل من آمن برسول الله ﷺ ...][٤].

وأمَّا قولك: إني من أسرتك، فما زلتُم أتباعاً لنا في الجاهلية والإسلام.

وأما قولك: إني لسانُ قريش [فإني لم أُعط من ذلك شيئاً لم تُعْطَه، ولكنك قلت ذلك لشرفك وفضلك، كما قال الأول:][٥]

فكلُّ كريمٍ للكريمِ مُفَضِّلٌ   يراهُ له أهلاً وإن كان فاضلا

وأما قولُك: إن أبي كان خِلًّا لأبيك؛ فأقول:

سأحفظ مَنْ آخى أبي في حياتِه   وأرْمُقُهُ من بَعْدِه في الأقاربِ
وإنِّي لمن لا يحفظُ الوُدَّ قالياً   ولستُ له في النائباتِ بصاحبِ

(١) هو النابغة الذبياني، والبيت في «ديوانه» ص١٨.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أي: تأهَّب وتهيَّأ.

(٤) استدركتُ ما بين حاصرتين ما يلزم لإتمام السياق من «التذكرة الحمدونية» ٩/ ١٨٢، والخبر فيه بنحوه، ولم يرد في (م).

(٥) ما بين حاصرتين من «التذكرة الحمدونية».

وأما قولك: إني كنتُ يوم صِفِّين عليك؛ فلو لم أفعلْه لكنتُ شرَّ الناس.

وأما قولك: إني خذلتُ عثمان؛ فقد علمتَ أنه ولَّاني الموسم في العام الذي حُصر فيه، ولم أشهد قتلَه، على أنه قد خَذَله من كان أقربَ إليه منِّي. يشير إلى معاوية.

وأما قولك عن عائشة؛ فإن الله أمرَها بالقَرار في بيتها، وأن تحتجب في سِتْرِها، فلما خالفَتِ الأمر وَسِعَنا ما كان منا إليها.

وأما نفي زياد عنك؛ فإنَّ النبي ﷺ فعل ذلك بقوله: «الولد للفراش، وللعاهر الحَجَر»[١] وأنتَ عكستَ ذلك.

وقال معاوية يوماً في مجلسه: مَنْ أفصحُ الناس؟ فقامَ رجل فقال: قوم تَيامَنُوا عن طُمْطُمانِيَّةِ حِمْيَر، وتَياسَرُوا [عن] كَسْكَسَةِ بكر، وليس فيهم غَمْغَمة قُضاعة[٢]. قال: مَنْ هم؟ قال: قومُك قريش. قال: صدقت، فممَّن أنت؟ قال: من جَرْم. قال[٣]: جَرْمٌ أفصحُ الناس.

ولما بلغ معاويةُ السبعين كان يقول: ما من شيءٍ كنتُ أستلذُّه مع الشباب فأجده اليوم كما أُحبُّ إلا الحديث الحسن.

ثم قال:

مَـنْ عـاش أخْـلَـقَـتِ الأيـامُ جِـدَّتَـهُ وخـانَـه ثـقـتـاه الـسـمـعُ والـبـصـرُ[٤]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨١٧)، و(٦٨١٨)، ومسلم (١٤٥٧)، و(١٤٥٨) من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما (على الترتيب).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة ضرورية. ورواية الخبر في «الكامل» ٢/ ٧٦٥ بلفظ: (قوم تباعدوا عن فُراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غمغمة قضاعة، ولا طُمْطُمانِيَّة حِمْيَر). اهـ. فكَشْكَشَةُ تميم: إبدالُهم من كاف المؤنّث شيناً عند الوقف، والتي يُدْرِجُونها يَدَعُونَها كافاً، فيقولون للمرأة: جعل الله البركة في دارِش، ويحَكِ مالِش. وأما كسكسة بكر، فأكثرهم يُبَيِّنُون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين، فيزيدونها بعدها، فيقولون: أَعْطَيْتُكِسْ، وقليل منهم يُبْدلون من الكاف سيناً كما فعل التميميُّون في الشين. وأما الغمغمة، فهو أن تسمع الصوتَ ولا يتبيَّن لك تقطيعُ الحروف. وأما الطمطمة؛ فهو أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم. ينظر «الكامل» ٢/ ٧٦٢ _ ٧٦٦.

(٣) في «الكامل» ٢/ ٧٦٥، و«العقد الفريد» ٢/ ٤٧٦: قال الأصمعي... (والأصمعي راوي الخبر). وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٠.

(٤) ينظر «العقد الفريد» ٣/ ٥٧.

وقال معاوية لعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب: لقد هممتُ أن أُوَلِّيَكَ الكوفة غير مرة، وما يمنعني من ذلك إلا أني قلت: أُوَلِّيه، فيقول في نفسه: أنا ابنُ زيد الشهيدِ يومَ اليمامة، وأحدُ أبناءِ المهاجرين الأولين البدريّين، [وعمي الفاروق أميرُ المؤمنين، وأنا أحقُّ بالأمر من معاوية. قال: لو ولَّيتني لقلتُ ذلك، وأنا أقوله الآن. فضَحِكَ معاوية][١] .

قال معاوية لعمرو: أيُّنا أدهى؟ قال عَمرو: أمَّا في البديهة فأنا، وأما في الأناة فأنت. فقال: ادْنُ مني أُسارُّك بشيء. ولم يكن ثَمَّ ثالث. فأدنى إليه عَمرو رأسَه، فقال: غلبتُك أيها الداهية، وهل عندنا أحدٌ أُسارُّك دونه[٢] ؟! .

وركب معاويةُ يوماً ناقةً، وركب سُليم مولاه جملاً، وكان من الدُّهاة، فَعَلا جملُ سُليم ناقة معاوية، فقال له معاوية: انزل يا سُليم عن بعيرك. فنزل، فركبه معاوية، وأعطاه ناقته فركبها، وقال له: يا سُليم، أنتَ تزعم أنك أدهى العرب وقد غلبتُك. فقال سُليم: أنسيتَ تحويلَك من مركبك، وركوبي إياه؟! فخجل معاوية[٣] .

وقال معاوية لرجل من سبأ: ما كان أجهلَ قومُك حيث ملَّكوا عليهم امرأة وقالوا: ﴿بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] فقال له الرجل: فقومُك أجهلُ حيث قام رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الله فقالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] هلَّا قالوا: فاهْدِنا[٤] .

ومعاوية أوّل من منع الخِصْيان الكبار من الدخول على الحُرَم؛ دخل يوماً على امرأته فاختة ـ وقيل: ميسون ـ وهي مكشوفة الرأس ومعه خَصِيّ، فغطَّتْ رأسَها، فقال: إنَّه خَصِيّ. فقالت: أَتَرى المُثْلَةَ التي حَلَّتْ به أَحَلَّتْ ما حَرَّمَ الله عليه؟! فاسترجع معاوية، وعلم أنه الحقّ [فمنع الخِصْيان الكبار من الدخول على النساء.

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٤٣ . وما سلف بين حاصرتين منه.
(٢) المصدر السابق ٤/ ٣٧ .
(٣) بنحوه في المصدر السابق ٤/ ٤٢ .
(٤) أنساب الأشراف ٤/ ٧٢ . والعقد الفريد ٤/ ٢٧ .

وقال ابن سعد:] لبس معاوية يوماً حُلَّةً خضراء، فقام إليه عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، فجعلَ يضربُه بالدِّرَّة ومعاويةُ يقول: فيم؟! فيم؟! فقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أردتَ بهذا؟ فقال: أردتُ أن أضعَ منه[١].

دخل أبو الطُّفيل على معاوية فقال له: كيف وَجْدُك على خليلك أبي الحسن[٢]؟ فقال: كَوَجْدِ أمِّ موسى عليه السلام، وإلى الله أشكو تقصيري. فقال: أكنتَ فيمن حضرَ قتلَ عثمان؟ قال: لا، ولكنّي ممَّن لم ينصره. قال: فما منعكَ من نُصْرتِهِ وقد كانت واجبةً عليك؟ قال: منعني ما منعَك إذ تربَّصتَ به رَيْبَ المَنُون. قال: أوَ ما ترى طلبي بثأره؟ قال: بلى، ولكنك وأنا كما قال الجعفي[٣]:

لا أُلْفِيَنَّكَ بعدَ الموتِ تَنْدُبُني ... وفي حياتيَ ما زَوَّدْتَني زادي[٤]

وذكر المسعودي[٥] أن رجلاً دخل على معاوية، وكان من أهل الكوفة قد قدم دمشق، فقال: أنا رجلٌ من أهل العراق، دخلت مدينتك وتحتي بعير، فتعلَّق بي رجل وقال: هذه ناقتي أُخذت مني يوم صفِّين.

فقال معاوية: [عليَّ بالرجل. فجاء ومعه خمسون رجلاً من أهل دمشق، فشهدوا عند معاوية] أنها ناقتُه، فقال الرجل: أما تُفرِّقون بين الذكر والأنثى؟! فقال معاوية: هذا حكم قد مضى. ودفع البعير إلى الشامي.

ثم خلا معاوية بالرجل صاحب البعير وقال له: [كم قيمةُ بعيرك؟ فقال: كذا وكذا. فأضعفه له، وقال له: اذهب إلى ابن أبي طالب وقل له:] يقول لك معاوية: إني أقاتلُك بمئة ألف لا يفرِّقون بين الجمل والناقة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ١٨ بأطول منه، وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٢) يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) كذا في (ب) و (خ) (والكلام ليس في م). والبيت لعَبِيد بن الأبرص، وهو في «ديوانه» ص٦٣، والبيت أيضاً لحارثة بن بدر الغُداني، وذكره ابن عساكر ضمن أبيات في ترجمته في «تاريخ دمشق» ٤/ ٨٥ (مصورة دار البشير). وينظر «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» ص٢٧١.

(٤) مروج الذهب ٥/ ٤٤. والخبر بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٠٦، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٠، و«تاريخ دمشق» ص٤٦٠ ـ ٤٦١ (طبعة مجمع دمشق، ترجمة أبي الطُّفيل عامر بن واثلة).

(٥) في «مروج الذهب» ٥/ ٧٩. وما سيرد بين حاصرتين من (م).

وقال المسعودي[١]: لقد بلغ من طاعة أهل الشام لمعاويةَ أنَّه صلَّى بهم عند مسيره إلى صفِّين الجمعةَ يومَ الأربعاء.

وقيل: إنه قال لهم يوم الجمعة: اليوم لنا عذر. وصلَّى بهم يوم السبت.

[وحكى الأصمعي قال:] خاطَرَ[٢] رجل رجلاً على أن يقوم إلى معاوية فيضع يده على كَفَلِه[٣] إذا سجد ويقول: ما أشبهَ عجيزتَك بعجيزة [أمِّك] هند. ففعل الرجل ذلك، فقال له معاوية: يا ابن أخي، إن أبا سفيان كان يعجبُه ذلك منها، فإنْ كنتَ قد خاطرتَ؛ فخُذْ ما خاطرتَ عليه.

ثم نزل ذلك الرجل ومعه الرجل الآخر إلى العراق، فتخاطَرا على أن يقومَ إلى زياد وهو في الخطبة، فيقول له: مَنْ أمُّك[٤]؟ فقام إليه وسألَه، فقال له زياد: هذا يخبرُك. وأشارَ إلى صاحب شرطته. فأخذه وضرب عنقَه. وبلغ معاويةَ، فقال: أنا قتلتُه، لو أدَّبْتُه في الأولى ما عاد إلى الثانية.

وأُتيَ معاويةُ بسارق، فأمرَ بقطع يده، فقال السارق:

يَدِي يا أميرَ المؤمنين أُعِيذُها بعفوِك أن تُلْقَى مكانا يَشِينُها
ولا خيرَ في الدنيا ولا في نعيمها إذا ما شِمالٌ فارقَتْها يمينُها

وجاءت أمُّه تبكي وتقول: واحدي وكاسبي، اَعْفُ عنه [يا أمير المؤمنين] عفا الله عنك. فقال: حدٌّ من حدود الله، كيف أتركُه؟! فقالت: أمَا لك ذنوبٌ تستغفرُ الله منها؟! قال: بلى. قالت: فاجْعَلْ هذا منها. فأطلقَه[٥].

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٨٠.

(٢) أي: راهن. والخبر في «العقد الفريد» ١/ ٥٣. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٣) أي: عَجُزِه.

(٤) في «العقد الفريد» ١/ ٥٤: مَنْ أبوك؟

(٥) أنساب الأشراف ٤/ ١٤١ ـ ١٤٢. والخبر في «العقد الفريد» ٢/ ١٦٧ وفيه: عبد الملك بن مروان، بدل: معاوية.

عاتبَ عمرو بنُ العاص معاوية في التأنِّي، فقال معاوية: المتثبِّتُ مُصِيبٌ، والعَجِلُ مخطئٌ، ومَنْ لم ينفعه الرِّفْقُ؛ ضرَّه الخُرْق، والعاقلُ مَنْ سَلِمَ من الزَّلَل بالتثبُّتِ خوفاً من زَلَّة القَدَم، ولا يزال العَجِلُ يجني ثمرة الندم(١).

وكان معاوية يقول: إياك وصحبةَ المُدْبِر، فإنه غيرُ موفَّق لطريق الرُّشد، فإنك إنْ صحبتَه عَلِقَ بك إدبارُه، وإنْ فارقتَه تَبِعَتْك آثارُه.

[قلت: هذا من كلام أرسطا طاليس، ولعل معاوية حكاه عنه].

وكان معاوية يقول: لو كان بيني وبين العالم شعرة؛ ما انقطعت، إنْ مدُّوا أرْخَيْتُ، وإنْ أرْخَوا مددت(٢).

وكان يقول: إني لأرفعُ نفسي أن يكون ذنب أعظمَ من عفوي، وجهلٌ أكبرَ من حلمي، أو عورة لا أسترُها بستري، أو مساءة أكبر من إحساني(٣).

[قال ابن الكلبي:] وكتب إليه ملك الصين يتهدَّدُه، فقال: من ملك الصين الذي تحتَ يده ألفُ مَلِك، وفي مَرْبطه ألف فِيل، وله ألفُ مدينة، وتحته ألفُ امرأة من بنات الملوك، كلُّ امرأة في قصر من ذهب، وفي مملكته نهران يُخرجان الجوهر والياقوت، وفي مملكته ألفُ جزيرة تُنبت العود والقرنفل، وحصباؤُها اللؤلؤ والمرجان، وفي مملكته ألفُ معدن يُنبت الذهب والفضة.

فكتب إليه معاوية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾. فقرأ كتابَه ملكُ الصين، فاقشعرَّ جلدُه، ووَجِلَ قلبُه، وسكت عنه.

وكان معاوية يقول: أُعِنْتُ على عليّ بكتماني لسرِّي، ونَشْرِ أمره، وبطاعةِ أهل الشام، وعصيانِ أهل العراق له، وبَذْلي المال، وإمساكه إياه(٤).

---

(١) تاريخ دمشق ٦٨/ ٢٩٠ ـ ٢٩١ . ولم يرد هذا الخبر في (م).
(٢) ينظر «العقد الفريد» ٤/ ٣٦٤ .
(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٢ . وينظر «العقد الفريد» ٢/ ٢٧٨ . ولم يرد هذا القول ولا الذي قبله في (م). وما سلف قبلهما بين حاصرتين منها.
(٤) أنساب الأشراف ٤/ ٢٣ ـ ٢٤ . وينظر «العقد الفريد» ٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .

قال: ما غضبي على مَنْ أملكُ وأنا قادرٌ عليه، ولا غضبي على مَنْ لا أملكُ ولا تناله يدي[(١)] .

وقال عمرو بن العاص يوماً لمعاوية: قد أعياني أن أعلم أشجاعٌ أنتَ أم جبان. قال: ولم؟ قال: لأني أراك تُقْدِمُ حتى أقول: أراد القتال، ثم تتأخَّر حتى أقول: قد أراد الفرار. فقال معاوية: ما أُقْدِمُ حتى أرى التقدُّم غُنماً، ولا أتأخَّرُ حتى أرى التأخُّر حزماً. وأنشد للطائيّ:

شُجاعٌ إذا ما أمكَنَتْنيَ فُرْصَةٌ وإلا[(٢)] تكن لي فُرصةٌ فجبانُ[(٣)]

وقال معاوية حين مات أخوه عُتبة: لولا أنَّ الدنيا بُنِيَتْ على نسيان الأحبَّة؛ ما نَسِيتُ عُتبةَ أبداً[(٤)] .

وقال عمرو بن العاص لمعاوية: رأيتُ في المنام كأنَّ القيامةَ قد قامت، وأنت تُحاسَبُ، وقد ألجمَكَ العرقُ. فقال معاوية: أما رأيتَ هناك دَخْلَ مصر[(٥)] ؟!.

وقال معاوية لعبد الرحمن بن أمّ الحكم[(٦)]: قد بلغني أنك لهجت بالشعر، فإيَّاك والتشبُّبَ بالنساء، فتَغُرَّ[(٧)] الشريفة، وإياك والهجاء؛ فإنك تهجو[(٨)] به كريماً، وتستثير[(٩)] به لئيماً، وإياك والمدحَ، فإنه طُعْمَةُ الدنيء الوَقِح، ولكن عليك بمفاخر قومك، وذكرِ الأمثال السائرة مما تَزِينُ به نفسَك، وتستدلُّ به على صحة عقلك، وتؤدِّبُ به غيرَك.

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ١٣٥ . وينظر «مجمع الأمثال» ٢/ ٢٦٧ .

(٢) في (م): وإن لم.

(٣) مروج الذهب ٥/ ٤٨ وتاريخ دمشق ٦٨/ ٢٩١، وينظر «العقد الفريد» ١/ ٩٩ .

(٤) ينظر «العقد الفريد» ٣/ ٢٤٤ . ونُسب الكلام في (م) إلى المدائني.

(٥) ينظر «عيون الأخبار» ١/ ٣١٨، وفيه: هل رأيت شيئاً من دنانير مصر؟ وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٩٣ .

(٦) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٠: لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص.

(٧) في (ب) و (خ): فتغير. والمثبت من المصدر السابق. ولم يرد هذا الخبر في (م).

(٨) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٠: تهجن، وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٣٣٦: تعرّ.

(٩) في (ب) و (خ): تستر، والمثبت من المصدرين السابقين.

وقال معاوية[(١)]: من كَتَمَ سِرَّه كان الخِيارُ له، ومن أفشاه كان الخِيارُ عليه[(٢)].

وقال: أنا أعلم بأغلى شيء في السوق وأرخصِه. قالوا: ما هو؟ قال الجيِّد رخيص، والرديءُ غالٍ[(٣)].

[قال الواقدي:] وكان يقول: ما من عدوّ إلا وأنا قادر على مداراته واستصلاحه، إلا عدوَّ نعمةٍ وحاسدَها، فإنه لا يُرضيه مني إلا زوال نعمتي، فلا أرضاه الله أبداً[(٤)].

ذكر بعض واقعاته مع عبد الله بن الزبير[(٥)]:

دخل الحسين رضي الله عنه على معاوية ومعه مولاه ذكوان، وعند معاوية جماعةٌ من قريش، منهم عبد الله بنُ الزبير، فأجلسَه معاويةُ معه على سريره، ورحَّبَ به، وقال له: يا أبا عبد الله، تَرَى هذا القاعدَ ـ وأشار إلى ابن الزبير ـ سيدركُه الحسد لبني عبد مناف.

فقال ابنُ الزبير: أمَّا الحُسين؛ فقد عَرَفْنا فضلَه وقرابتَه من رسول الله ﷺ، فإنْ شئتَ أنْ أُعَرِّفَك فضلَ الزُّبير على صخر بن حرب؛ فعلتُ. فقال ذكوان مولى الحسين رضي الله عنه: يا ابنَ الزُّبير، إنَّ مولايَ ما منعَه من الكلام إلا أنه كُفي بغيره، وإلا فهو طَلْقُ اللسان، رابطُ الجَنان، إنْ تكلَّم؛ تكلَّمَ بعلم، وإنْ صمتَ؛ صمتَ بحِلْم، فأنا القائل فيه:

إنَّ الذي يجري لِيُدركَ شأْوَهُ ... يُنْمَى لغير مُسَوَّدٍ ومُسَدَّدِ[(٦)]
بل كيف يُدركُ نورَ بدرٍ ساطعٍ ... خيرِ الأنام وفَرْعِ آلِ محمدِ
جَزْل الكلامِ وسابق في علمِهِ[(٧)] ... والناسُ بين مُقَصِّرٍ ومُبَلِّدِ

(١) في (م): وقال المدائني: كان معاوية يقول.
(٢) أنساب الأشراف ٤/ ٣١. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤١٠) من كلام عتبة بن أبي سفيان لابنه الوليد عندما أخبره أن معاوية أسرَّ إليه حديثاً. وكذا أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» في ترجمة الوليد.
(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٢.
(٤) المصدر السابق ٤/ ٧٦.
(٥) لم ترد هذه الفقرة في (م).
(٦) في (ب) و (خ): ومسود. والمثبت من «العقد الفريد» ٤/ ١٥.
(٧) في «العقد الفريد» ٤/ ١٥: فيم الكلامُ لسابق في غايةٍ. وجاء هذا البيت فيه أول الأبيات الثلاثة.

فقال معاوية: صدقتَ يا ذكوان، أكثرَ اللهُ في موالي الكرام مثلك. فقال ابن الزُّبير: إنَّ أبا عبد الله سكتَ، وتكلَّم مولاه، ولو تكلَّم لأجبناه وكَلِفْناه[١]، فإنه لا جوابَ لهذا العبد.

فقال ذكوان: هذا العبدُ خيرٌ منك، وأكرمُ وَلاءً، وأحسنُ أفعالاً.

وقال معاوية: قاتلكَ الله يا ابنَ الزُّبير، ما أَعْتاكَ وأبغاك! أتريد أن تفتخر بحضرة أبي عبد الله؟! لأنتَ المتعدِّي لطَوْرِك، فقس شِبْرَكَ بفِتْرِكَ، وانظر أين تقعُ من بني عبد مناف، أما واللهِ لو وقعتَ في بحور بني هاشم وبني عبد مناف لَتغطِّينَّك[٢] بأمواجها، ثم لَتلقينَّك في أُجاجِها[٣]، فما بقاؤك في البحور إذا غَمَرَتْك؟ وفي الأمواج إذا قَبَرَتْك[٤]؟ فحينئذ تعرفُ نفسَك، وتندمُ على ما كان من جُرْأتك، وتتمنَّى لِما أصبحت فيه الأمانَ[٥]، وقد حيل بين العير والنَّزَوان.

فالتفت ابنُ الزبير إلى الحاضرين وقال: ناشدتُكُم اللهَ، هل تعلمون أنَّ أبي حَوَاريُّ رسولِ الله ﷺ؟ وأنَّ [أباه] أبا سفيان هذا حاربَ[٦] رسولَ الله ﷺ، وكان عليه في جميع المواطن كلِّها؟ وأنَّ أمي أسماءُ بنتُ أبي بكر ذاتُ النطاقين، وأن أمَّه هندٌ آكلةُ الأكباد، وجدِّي الصِّدِّيق، وجدّه المشدوخ ببدر كافراً[٧]، وعمتي خديجة زوجُ النبي ﷺ، وعمَّته أمُّ جميل حمَّالةُ الحطب، وجدَّتي صفيةُ بنت عبد المطلب، وجدَّته حَمامة، وزوج عَمَّتي خيرُ ولدِ آدم، محمدٌ رسول الله، وزوج عمَّته شرُّ ولدِ آدم أبو لهب، وخالتي عائشةُ أمُّ المؤمنين، وخالتُه أشقَى الشقيات، وأنا عبد الله، وهو معاوية.

(١) في «العقد الفريد»: أو لكففنا عن جوابه إجلالاً له، بدل قوله: وكلفناه.
(٢) في «العقد الفريد» ٤/ ١٦: لقطَّعتك.
(٣) في «العقد الفريد»: لُججها.
(٤) في «العقد الفريد» بَهَرَتْكَ (أي: دفعتك).
(٥) في «العقد الفريد»: وتمنّى ما أصبحتَ فيه من أمان.
(٦) لفظ «أباه» بين حاصرتين زيادة لضرورة السياق، وعبارة «العقد الفريد» ٤/ ١٦: وأن أباه أبا سفيان حارب..إلخ.
(٧) يعني عُتبةَ بنَ ربيعة جدَّ معاوية لأمه هند.

فقال له معاوية: يا ابنَ الزُّبير، إنه واللهِ ليس لك في القديم[(١)] رِياسة، ولا في الحديث سياسة، ولقد سُدْناك قديماً وحديثاً، وإن هؤلاء الحضور ليعلمون أن قريشاً اجتمعت يومَ الفِجار على [رِياسَةِ] حربِ بنِ أمية[(٢)]، وأن أباك وأسرتَه كانوا تحت رايته، راضون بإمارته، غير منكرين لفضله، ولا طامعين في عزله، وإنْ أمَرَ أطاعوا، وإنْ قالَ أنْصَتُوا. ولم تزل فينا الرياسة حتى بعثَ [الله]محمداً ﷺ، وانتخَبَه من خلقه من أُسرتي، لا من أُسرتك، وبني أبي، لا من بني أبيك، فجَحَدَتْه قريش أشدَّ الجُحود، وجاهدَتْه أشدَّ الجهاد، إلا من عصمه الله من قريش. ومن ساد[(٣)] قريشاً وقادهم إلا أبو سفيان؟ فكانت الجيوش تلتقي، ورئيس الهدى منا، ورئيس الضلالة منكم[(٤)]، ومهديُّكم تحت راية مهديِّنا، وضالُّكم تحت راية ضالِّنا، فنحن الأرباب، وأنتم الأذناب، حتى خلَّصه الله من عظيم شِرْكه، وعَصَمَه بالإسلام[(٥)] من عبادة الأصنام، وكان في الجاهلية عظيماً شأنُه، وفي الإسلام معروفاً مكانُه، ولقد أُعطيَ يومَ الفتح مالم يُعْطَه أحدٌ من آبائك؛ بقول رسول الله ﷺ: «مَنْ دخلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن». فجعلَ داره حَرَماً آمناً، وقَرَنها بالمسجد الحرام، ولم تكن دارُ آبائك حرماً.

وأما هند فامرأةٌ من قريش، كانت عظيمة الخَطَر في الجاهلية، كثيرةَ الخير في الإسلام.

وأما جدُّك الصِّدِّيق؛ فبتصديق بني عبد منافٍ صار صِدِّيقاً، لا بتصديق بني عبد العُزَّى.

وأما جدِّي المشدوخ ببدر؛ فلعمري؛ فلقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنُه، فلو برزْتَ أنت وأبوك وبنو عبد العُزَّى؛ ما بارزوكم، ولا رأَوْكُم أهلاً ولا أكفاءً لهم كما طلب ذلك غيركم، فلم يُجيبوه، حتى برزَ إليهم أكفاؤُهم، فقضى الله مناياهم بأيديهم.

وأما عمَّتك وخالتك؛ فبنا صِرْنَ أمهاتِ المؤمنين. وأما صفية فهي التي أدْنَتْك من الظِّلّ، ولولاها لكنتَ ضاحياً.

---

(١) في (ب) و (خ): القدم. والمثبت من «العقد الفريد» ٤/ ١٦ .

(٢) ما بين حاصرتين من «العقد الفريد» لتوضيح الكلام.

(٣) في «العقد الفريد» ٤/ ١٧ : فما ساد.

(٤) في «العقد الفريد»: منّا.

(٥) في (ب) و (خ): بإسلام، والمثبت من «العقد الفريد».

وأما قولك: أنا عبد الله، وأنت معاوية؛ فقد علمَتْ قريش أيُّنا أجودُ في الإزَم، وأجزلنا في العُدْم[(١)]، وأمنعُ للحُرَم، ولا واللهِ لا أراك[(٢)] منتهياً حتى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك، فقد طالبهم بالدخول، وقدَّم إليهم الخيول، وقد خدعتُم أميرَ المؤمنين، ولم تُراقبوا حُرْمةَ رسول الله ﷺ إذْ مددتُم على نسائكم السُّجُوف[(٣)]، وأبرزتُم زوجتَه للحُتوف، ومُقارعةِ السيوف، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هارباً، فلم يُنْجِه ذلك أن طحنَه أبو الحسين بِكَلْكَلِهِ[(٤)] طَحْنَ الحصيد بأيدي العبيد. وأمَّا أنتَ فأَفْلتَّ بعد أن خَمَشَتْك بَراثنُه، ونالَتْك مخالبُه. وَايْمُ الله، لَيُقَوِّمُنَّك بنو عبد مناف بِثِقَافها[(٥)]، ولَتُصْبِحَنَّ منها صَباح[(٦)] أبيك بوادي السِّباع، وما كان أبوك بموهن حدّه[(٧)]، ولكن كما قال الشاعر:

تـنـازلَ سِـرْحـانٌ فـريـسـةَ حـادرٍ[(٨)] فَـقَـضْـقَـضَـهُ[(٩)] بـالـكَـفِّ مـنـه وَحَـطَّـمـا

وقال محمد بن السائب: اعتمر[(١٠)] معاوية في رجب ـ أو في بعض حَجَّاته ـ ولما قفل إلى الشام [و] بينا هو يسير في بعض الليالي إذا برجل يُسايرُه ويدنو منه، فقال: مَنْ أنت؟ فقال: عبد الله بنُ الزُّبير. قال: وما الذي أدناك مني؟ فقال ابن الزبير: لو شئتُ لقتلتُك منذ الليلة. فقال له معاوية: مه، لستَ من قَتَلَة الملوك، وإنَّما يَصِيدُ كلُّ طائر قَدْرَهُ من الطير. فقال ابن الزُّبير: إليَّ تقول هذا وقد سرتُ تحت لواء أبي لنصرة عثمان في قتال ابنِ أبي طالب وهو من تعرفُه. فقال: لا جرمَ قتلَ أباك بشماله ويمينُه فارغة. فقال ابنُ الزبير: كان ذلك في نُصرة عثمان. فقال: دَعْ عنك، فوالله لولا بُغْضُكَ لعليّ

(١) كذا في (ب) و (خ). وبدلها في «العقد الفريد» ٤/١٨: وأمضى في القُدُم. وذُكر في حاشيته: أحزم. (نسخة).

(٢) في (ب): أزل، وفي (خ): أزال. والمثبت من «العقد الفريد».

(٣) في (ب) و (خ): السحوق، والمثبت من «العقد الفريد».

(٤) الكلكل والكلكال: الصدر.

(٥) الثِّقاف: أداة من خشب أو حديد تقوَّم بها الرماح لتستوي وتعتدل.

(٦) في «العقد الفريد» ٤/١٨: أو لتصبحنَّ منها صِباح ...

(٧) كذا في (خ). وفي (ب): بموهن حدك. وفي «العقد الفريد»: وما كان أبوك المرهوب جانبه.

(٨) الحادر: الممتلئ البدن. ورواية البيت في «العقد الفريد» ٤/١٨: أكيلة سِرْحان فريسة ضيغمٍ. والسِّرْحان: الثعلب.

(٩) أي: كسره. وتحرفت اللفظة في (ب) و (خ) إلى: فقصفه.

(١٠) في (ب) و(خ): لما اعتمر ... وأثبتُ السياق على الجادَّة. والواو الآتية بين حاصرتين زيادة من عندي للسياق.

لكنتَ جرَرْتَ[1] بِرِجْلِ عثمانَ فيمن جَرَّ. فقال: إنَّ لك في رقابنا بيعةً، وسيعلم مَنْ يأتي بعدَك. فقال معاوية: إني لا أتخوَّف[2] عليك ألا تقتل[3]، وكأنّي بك وقد وقعتَ في الأُنْشُوطة، فتمنَّيْتَ أنَّ أبا عبد الرحمن[4] كان لك، ولو حضرك لأطلقَك. فقال ابنُ الزبير: إليَّ تقول هذا، وأنا ابن حواريٍّ وصِدِّيق، وأنت طليق بن طليق. فقال له معاوية: لقد هممتُ أنْ أَعِظَك بالرِّفْق، وأَعْسِفَكَ عن الطريق[5]. ثم أعرضَ عنه[6].

ذكر المنقول من حلمه واحتماله:

كان يقول: ما شيءٌ أحبَّ إليَّ من جُرْعة غيظ أتجرَّعُها طلباً لثواب الله تعالى[7].

[وحكى أيضاً[8] عن الحسن البصري أنه قال: لو سلك معاوية بالناس غير سبيل الاحتمال والمداراة؛ لاختُطف اختطافاً[9].

وقال الهيثم: قال معاوية ذات يوم والحسن عنده: من أكرم الناس أباً وأمًّا، وجدًّا [وجَدَّةً]، وعمًّا وعمَّة، وخالاً وخالة؟ فقال له عبد الله بن العجلان: هذا القاعد. وأشار إلى الحسن. فقال معاوية: صدقت[10]].

وقال[11]: وقال عبد الله بن همَّام السَّلُوليّ:

---

(١) رسمت اللفظة في (ب) و (خ): جرور. والمثبت من «تاريخ دمشق» ص٤٤٢ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة عبد الله بن الزبير).

(٢) في (خ): لأتخوَّف.

(٣) في «تاريخ دمشق»: ما أخافك إلا على نفسك.

(٤) هي كنية معاوية.

(٥) أي: أَعْدِل وأَحِيد بك عن الطريق.

(٦) ينظر أيضاً «البداية والنهاية» ١٢/ ٢٠١ - ٢٠٢. وصدر القصة في «أنساب الأشراف» ٤/ ٨١.

(٧) تاريخ دمشق ٦٨/ ٢٨١ (طبعة مجمع دمشق) ونسب الكلام في (م) للمدائني. وهذا الكلام مقتبس من حديث ابن عمر مرفوعاً: «ما تجرَّع عبدٌ جرعة أفضل عند الله عزّ وجلّ من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى». أخرجه أحمد (٦١١٤)، وأخرجه أيضاً من حديث ابن عباس (٣٠١٥).

(٨) يعني المدائني، حيث نُسب الخبر في (م) إليه، وهذا الكلام بين حاصرتين منها.

(٩) أنساب الأشراف ٤/ ١٤٧.

(١٠) المصدر السابق ٤/ ٣٨، ولفظ «وجدَّة» بين حاصرتين منه، وسيرد ص٨١.

(١١) يعني المدائني. والشعر الآتي في «أنساب الأشراف» ٤/ ٧٤. ومن هذا الموضع إلى ترجمة صحار العبدي ص٨٤ ليس في (م).

فـإنْ تَـأْتُـوا بِـبَـرَّةَ أوْ بـهـنـدٍ ... نُـبـايِـعْـهـا أمـيـرةَ مـؤمـنـيـنـا
أيـا لَـهَـفـي لَـوَ انَّ لـنـا رجـالاً ... يـكـونـوا مـثـلَـنـا مـتـنـاسِـقِـيـنـا
إذاً لـضَـرَبْـتُـكُـمْ حـتـى تـعـودوا ... بـمكـة تـلـعـقـون بـهـا الـسَّـخِـيـنـا[1]
شَـرِبْـنـا الـغَـبْـنَ[2] حـتـى لـو سُـقِـيـنـا ... دمـاءَ بـنـي أمـيَّـةَ مـا رَوِيـنـا
لـقـد ضـاعَـتْ رعـيَّـتُـكُـمْ[3] وأنـتُـمْ ... تـصـيـدون الأرانـبَ غـافـلـيـنـا

وبلغ معاويةَ فقال: ما تركَ ابنُ همَّام شيئاً، ذكرَ أمهاتِنا، وشربَ دماءَنا، وتأسَّفَ على رجال يقاتلوننا، اللهم اكْفِناه[4].

وشهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال: كذبتَ. فقال: كذب المتزمِّلُ في ثيابك يا أمير المؤمنين. فقال معاوية: هذا جزاء مَنْ عَجِل[5].

وضرب يزيد غلاماً له، فقال له معاوية: كيف ضربتَ من لا يستطيعُ امتناعاً منك[6]؟!

واجتمع عمرو بنُ العاص وعبد الله بنُ عباس عند معاوية، فقال له عمرو: يا بني هاشم، أما واللهِ لقد تقلَّدتُم من دم [عثمان] كَفَرْمِ الإماء العوارك[7]، فأطعتُم فُسَّاق أهلِ العراق في عَيْبه، وأجزرتموه مُرَّاق أهلِ مصر، وآويتُم قَتَلَتَه.

فالتفت ابنُ عبَّاس إلى معاوية، فقال له: واللهِ ما تكلَّم ابنُ النابغة[8] إلا عن رأيك، وإنَّ أحقَّ الناس مَنْ طُلب منه دمُ عثمان لَأنتما[9].

أما[10] أنت يا معاوية؛ فزيَّنْتَ له ما صنع، حتى إذا حُصِرَ، طلبَ نُصرتك، فتربَّصتَ عليه وتثاقلتَ عنه حتى قُتل؛ وأحببتَ قَتْلَه لتنالَ ما نلتَ.

---

(١) في «خ»: السخونا. والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في المصدر السابق.
(٢) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٧٤: حُشينا الغيظ.
(٣) في (ب): رويَّتكم، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «أنساب الأشراف».
(٤) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٧٤ ـ ٧٥.
(٥) أنساب الأشراف ٤/ ٨٨.
(٦) المصدر السابق ٤/ ٩٢.
(٧) الفَرْمُ: دواء تتضيَّقُ به المرأة، وعوارك جمع عارك، أي: حائض. ينظر «القاموس».
(٨) يعني عمرو بن العاص ﷺ، أمه النابغة بنت خزيمة، وكان يعيَّر بها.
(٩) في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٠٩: وإن أحقّ الناس أن لا يتكلم في قتل عثمان لأنتما.
(١٠) في (ب) و(خ): لها، بدل: أما (؟) والمثبت من المصدر السابق.

وأما أنت يا ابن النابغة؛ فأضرمتَ المدينة عليه ناراً، ثم هربتَ إلى الشام، ونزلتَ فلسطين تُحَرِّضُ عليه الصادر والوارد، حتى دعا...[1] في شِعاف الجبال حيث عزلك عن مصر، ولم تكن عنده [إلا] كذُبابٍ مرَّ على أنفه، فلما بلغك قَتْلُه دعَتْك عداوةُ أمير المؤمنين إلى أن لَحِقْتَ بهذا - وأشار إلى معاوية - فبِعْتَ منه دينَك وأمانتَك - إن كان لك دين - بمصر.

فقال معاوية: يا ابنَ عباس، حسبُك، فقد عرَّضَني عمرو لك ونفسَه[2] إلى سماع هذا، فلا جزاه الله خيراً.

دخل شريك[3] بن الأعور الحارثي على معاوية، وكان آدمَ[4] دميماً، إلا أنه كان شريفاً في قومه، وكان شيعياً، شهد صفِّين مع علي عليه السلام، فأراد معاويةُ أنْ يضعَ منه، فقال: إنك لشريك، وما لله من شريك، وإنك ابنُ الأعور، والصحيحُ خيرٌ من المعيوب، وإنك لدميمٌ جِنْزَقْرَةٌ[5] أسود، فكيف سوَّدَك قومك؟ فقال له شريك: إنك لمعاوية، وهل معاويةُ إلا كلبةٌ عَوَتْ فاستَعْوَت الكلاب، وإنك ابنُ صخر، والسهل خير، وإنك ابنُ حَرْب، والسِّلْمُ خيرٌ[6]، فكيف صِرْتَ أميرَ المؤمنين؟ ثم خرج مُغْضَباً وهو يقول:

أَيَشْتِمُني معاويةُ بنُ حربٍ ... وسيفي صارمٌ[7] ومعي لساني
وحولي من ذوي يَمَنٍ لُيوثٌ ... ضراغمةٌ تَهُشُّ إلى الطِّعانِ
فلا تبسُطْ لسانَك يا ابنَ هندٍ ... علينا أنْ بلغْتَ مدى الأماني
فإنْ تَكُ للشقاء لنا أميراً ... فإنَّا لا نُقيمُ على الهوانِ
وإنْ تَكُ من أميَّة في ذُراها ... فإني من بني عبد المدانِ

(١) مكان النقاط كلمة غير واضحة رسمها: السا. ومن هذا الموضع... إلى قوله الآتي: مرّ على أنفه، لم يرد في «أنساب الأشراف»، ولفظة: «إلا» الآتية بين حاصرتين، زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في (ب) و(خ): لنفسه، بدل: لك ونفسَه. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٠٩ .

(٣) تحرف في (ب) و (خ) إلى: يزيد. والكلام ليس في (م).

(٤) أي: أسمر.

(٥) الجِنْزَقْرَة: القصير الدميم، كالجِنْزَقْر. ينظر «القاموس».

(٦) في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٣٢: والسهل خير من الصخر... والسلم خير من الحرب.

(٧) في (ب) و (خ): صارمي. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٣٢ .

قدم معاوية المدينةَ، فدخلَ دارَ عثمان رضوان الله عليه، فقالت عائشة بنتُ عثمان، وا أبتاه! فقال: يا ابنةَ أخي، إن الناس أعطَوْنا طاعةً تحتَها أحقاد، وأظْهَرْنا لهم حِلْماً تحته غضب، ومع كل إنسان سيف، فإن نَكَثْنَا بهم نكثوا بنا، ولا ندري أتكون لنا أو علينا، ولأَنْ تكوني ابنة عمّ أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأة رجل من أعراض المسلمين(١).

وقف أبو الدرداء يوماً بباب معاوية، فحجبَه، فقال: مَنْ يَغْشَ أبواب الملوك يقم ويقعد، ومن وجدَ باباً مغلقاً وجد إلى جانبه باباً مفتوحاً، إنْ دعا أجيب، وإنْ سألَ أُعطِي.

وبلغ معاويةَ، فأَذِنَ له واعتذر إليه(٢).

قالت فاختة امرأة معاوية لمعاوية: لِمَ تُصانع الناس؟ فلو أخذتهم من عَلُ، كانوا الأذلِّين، وكنتَ قاهراً لهم. فقال لها: إن في العرب بعدُ بقيّة، ولولا ذلك لجعلتُ عاليَها سافلَها. فقالت له: واللهِ ما بقيَ أحدٌ إلا وأنت قادرٌ عليه. فقال لها: هل لكِ أن أُريَكِ بعضَ ذلك منهم؟ قالت: نعم. فأدخلَها بيتاً، وأسبل(٣) عليها سِتْراً، ثم أمرَ حاجبه أنْ يُدْخِل عليه رجلاً من قيس. فأدخلَ رجلاً يقال له: الحارث، فقال له معاوية: إيهِ يا حُوَيْرث، أنت الذي تطعنُ في الخلافة، وتنتقصُ أهلَها، واللهِ لقد هممتُ أنْ أجعلَك نَكالاً. فقال: يا معاوية، ألهذا دعوتَني؟ واللهِ إنَّ ساعدي لشديد، وإنَّ رُمْحي لمديد، وإنَّ سيفي لحديد، وإن جوابي لَعتيد، وإن لم تأخذ ما أُعطِيتَ بشكر؛ لَتُنْزَعَنَّ عمَّا نكره بصُغْر. فقال: اخْرجْ. فقالت فاختة: ما أقوى قلبَ هذا وأجرأَه! [فقال معاوية:] وما ذاك إلا بإدلاله بطاعة قومه له.

ثم قال للحاجب: أدخِلْ آخر. فدخل رجلٌ يقال له: جارية. فقال له: إيه يا جُويرية(٤)، أنت الذي بلغني عنك تخبيبُ الجند(٥)، وقلّةُ الشكر. فقال: يا معاوية،

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ١٤٣، وفيه: (من عُرْض المسلمين). أي: من عامتهم.

(٢) العقد الفريد ١/ ٧١. دون قوله: وبلغ معاوية... إلخ.

(٣) في (خ): وأرسل.

(٤) في (خ): حارثة.... حويرثة. وغير واضحة في (ب). والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٢٣. وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) في (ب) و (خ): أنك تخبب الجند. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٢٣ لسياق الكلام بعده. والتخبيب: الإفساد.

وعلام تُشكر؟ فواللهِ ما تُعطي إلا مداراةً، ولا تحلُمُ[١] إلا مصانعةً، فاجْهَدْ جَهْدَك، فإن ورائي من ربيعة ركناً شديداً، لم تَصْدَأْ[٢] أدرعُهم مُذْ جَلَوْها، ولا كلَّتْ سيوفُهم مُذْ شحذُوها. فقال: اخْرُجْ. فخرج.

ودخل رجل آخر من اليمن يقال له: عبد الله، فقال: إيهِ يا عُبيد الله[٣]، ألحقتُك بالأقوام، وأطلقتُ لسانَك بالكلام، ثم يبلغُني عنك ما يبلغُني من سوء الإرجاف، لقد هممتُ أن أجعلَك عبرة لأهل الشام. فقال: يا معاوية، ألهذا دعوتَني؟! صغَّرتَ اسمي ولم تنسبني إلى أبي، وإنَّما سُمِّيتَ معاويةَ باسم كلبة عَوَتْ، فارْبَعْ على ظَلْعِك[٤]، فذلك خيرٌ لك. فقال: اخرج. فخرج. وخرجَتْ فاختة، فقالت: أيها الرجل، صانِعِ الناس وسُسْهُم برفقك وحلمك، فأبعدَ الله مَنْ لامَك.

وخطبَ معاويةُ يوماً بالمدينة، فقام إليه غلام من الأنصار، فقطعَ عليه الكلامَ، وقال: ما الذي جعلك وأهلَ بيتك أحقَّ بهذه الأموال منَّا، وإنَّما أفاءها الله على المسلمين بسيوفنا، وما لنا عندك ذنب غير أنَّا قتلنا جدَّك عُتبة، وأخاه شيبة، وخالَك الوليد بنَ عتبة، وأخاك حنظلة يومَ بدر. فقال معاوية: واللهِ يا ابن أخي، ما أنتم قتلتموهم، ولكنَّ الله قَتَلَهم بملائكة على أيدي بني أبيهم، وما ذاك بعارٍ ولا مَنْقَصَة. فقال الأنصاري: فأين العار والمَنْقَصَةُ إذاً؟ قال: صدقتَ[٥]. وكان بين يديه مال، فقال: احملْ منه ما شئتَ. فحملَ وِقْرَه، وعاد معاوية إلى خطبته.

وخطب معاوية، فنالَ من عليّ[٦]، فقام أبو الدَّرداء إليه وقال: كذبتَ يا معاوية، ليس هو كما تقول. فنزل معاوية من المنبر، فقال له يزيد: أتحتملُ هذا كلَّه؟! فقال: مَهْ، إنَّه من عُصْبةٍ عاهدوا اللهَ لا يسمعوا كذبةً إلا ردُّوها.

(١) في (خ): تحكم.
(٢) في (ب) و (خ): لم تصل. والمثبت من «أنساب الأشراف».
(٣) في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٢٤: عُبيد السوء.
(٤) أي: لا تُجاوز حدَّك في وعيدك. ينظر «مجمع الأمثال» ١/ ٢٩٣.
(٥) بعدها في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٣٣: أفلك حاجة؟ قال: نعم، لي عجوز كبيرة، وأخوات عواتق، وقد عضَّنا الدهر، وحلّ بنا الحَدَثان ....
(٦) في (ب) و (خ): فقال من علي علم (؟) والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٣٣.

وقال معاوية لأبي الجَهْم بن حُذيفة: أيُّنا أسنُّ؛ أنا أم أنتَ؟ فقال أبو الجَهْم: واللهِ لقد أكلتُ في عُرْس أمِّك، وأذكرُ دخولَها على زوجها. فقال معاوية: على أيِّ أزواجها؟ قال: على حفص[1] بن المغيرة. فقال معاوية: واللهِ لقد كانت كريمةَ المناكح، وإيَّاك يا أبا الجَهْم والقُدومَ[2] بعدها على السلطان بمثل هذا، فأمْرُ السلطان كاللعب، وصَوْلَتُه كالأسد.

وفي رواية: فإنَّه يغضب غضب الصِّبيان، ويصولُ صَوْلَةَ الأسد[3]. فقال أبو الجَهْم:

نَميلُ على جوانِبِه كأنَّا ... إذا مِلْنا نَميلُ[4] على أبينا
نُقَلِّبُهُ[5] لِنَخْبُرَ حالَتَيْهِ ... فنَلْقَى[6] منهما كَرَماً ولِينا

وهجا عُقبة[7] الأسديّ معاويةَ من أبيات:

مُعاويَ إننا بَشَرٌ فأَسْجِحْ[8] ... فلسنا بالجبال ولا الحديدِ
أكلْتُم أرضَنا فَجَرَدْتُموها ... فهل من قائمٍ أو من حَصِيدِ
فهَبْنا أمةً هَلَكَتْ ضَياعاً ... يزيدُ أميرُها وأبو يزيدِ
أتطمع في الخلود إذا هَلَكْنا ... فليس لنا ولا لك من خلودِ

فلما وقف معاوية على الأبيات، استشار أصحابَه فيه، فقال قوم: اقتُلْه. وقال آخرون: مَثِّلْ به. وقال قوم: افعل به كذا وكذا. فقال معاوية: ألا نفعلُ ما هو خير لك فقال: وما هو؟ قال: ارفعوا أيديَكم لندعوَ عليه[9].

---

(١) تحرف في (ب) و (خ) إلى: حصين. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٦٥ و«العقد الفريد» ١/ ٥٢.

(٢) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٦٥: والإقدام.

(٣) المصدر السابق، والعقد الفريد ١/ ٥٢.

(٤) في «العقد الفريد» ١/ ٥٢ و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٢٨٤: نميل إذا نميل.

(٥) في «العقد»: ونغضبُه.

(٦) في «العقد» و«تاريخ دمشق»: فنَخْبُرَ.

(٧) كذا في (ب) و (خ): عقبة (في الموضعين). وفي «العقد الفريد» ١/ ٥٢: عُقيبة. وبهذا الاسم ترجم له ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٥ .فقال: عقيبة بن هبيرة بن فروة الأسدي.

(٨) أي: سَهِّلْ وارْفُقْ، يقال: ملكتَ فأَسْجِحْ.

(٩) كذا وقع سياق الكلام في (ب) و (خ) بصيغة الجمع ثم بالمفرد. وقول معاوية: ألا نفعل ما هو خير لك... وقع في رواية للخبر في «العقد الفريد» ٥/ ٣١٩ - ٣٢٠ يخاطب به أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، وهي الرواية التي ستأتي بعد هذه الرواية مختصرة.

ثم دعاه معاوية فقال: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: نصحتُك إذْ غَشُّوك، وصَدَقتُك إذْ كَذَبُوك. فقال: ما أظنُّك إلا صادقاً. وقضى حوائجَه[1].

دخل أبو بُردة بن أبي موسى حمَّاماً، فزحَمَ رجلاً، فرفع الرجل يَدَه، فلطَم أبا بُرْدَة في وجهه، فقال عقبة الأسدي:

لا يَصْرِمُ اللهُ اليمينَ التي لها   بوجهك يا ابنَ الأشعريّ نُدوبُ

فاستعدى عليه معاوية، فقال: إنه هجاني. قال: وما قال؟ قال: فأنشده البيت.

فقال: هذا رجل دعا ولم يقل إلا خيراً. فقال أبو بُردة: فقد قال:

وأنت امرؤٌ في الأشعرين مقابَلٌ[2]   لديهم وفي البطحاء[3] أنت غريبُ

فقال معاوية: وإذا كنتَ في الأشعريين مقبلاً؛ فما ذاك؟ فقال: فقد قال:

ولا أنا من حُدَّاثِ أمِّك بالضُّحى   ولا مَنْ يزكِّيها بظهر مَغِيبِ[4]

فقال معاوية: وماذا عليه إذا لم يزكِّها؟ ولو كان قال: أنا من حُدَّاثها؛ لكان لك أن تغضب.

ثم قال معاوية: والذي قال لي أشدُّ. يعني قوله:

معاويَ إننا بشرٌ فأَسْجِحْ   فلسنا بالجبال ولا الحديدِ[5]

الأبيات المتقدِّمة.

---

(١) الخبر في «العقد الفريد» ١/ ٥٢ دون قوله: (فلما وقف معاوية على الأبيات... لندعو عليه). وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٦٧، والتعليق السابق. فلعل ثمة وهماً وقع.

(٢) في (ب) و (خ): في الأشعريين مقبلاً. والمثبت من «العقد الفريد» ٥/ ٣١٩. والمقابَل من الرجال: الكريم النسب من قبل أبويه.

(٣) في «العقد الفريد»: وفي البيت والبطحاء، وبدل: لديهم وفي البطحاء.

(٤) في (خ) (والكلام منها): فقال عجيب بدل: بظهر مغيب(؟). وسقط البيت من (ب)، والكلام ليس في (م). والمثبت من «العقد الفريد». والحُدَّاث: أي الجماعة يتحدَّثون؛ قال ابن الأثير في «النهاية»: هو جمع على غير قياس، حملاً على نظيره، نحو سامر وسُمَّار.

(٥) ينظر ردّ ابن عبد ربّه رواية سيبويه: ولا الحديدا (بالنصب) في «العقد الفريد» ٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.

افتخر يوماً معاوية فقال: إن الله فضَّل قريشاً بثلاث، فقال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ونحن عشيرتُه، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، ونحن قومُه، وقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ونحن قريش.

فقام فتى من الأنصار، فقال: على رِسْلك يا معاوية، فإنَّ الله يقول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٦]، وأنتم قومُه. وقال: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، وأنتم قومُه، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] وأنتم قومُه. فهذه ثلاث بثلاث. فأفحمه[١].

ذكر بعض الوافدين عليه:

وَفَدَ عليه الأحنف بن قيس، ومحمد بنُ الأشعث الكِنْدي، فأذِنَ للأحنف أولاً، ثم أذن لمحمد، فهرولَ محمد فدخل أولاً، فشقَّ ذلك على معاوية وغضب وقال: يا ابنَ الأشعث، كيف[٢] تقدَّمتَ أبا بَحْر[٣] ولم آذَنْ لك قبلَه؟ وإنَّا كما نلي أمورَكم؛ فكذا نلي أدبكم. ووالله ما يزيدُ متزيِّد في حظِّه[٤] إلا لنقصٍ يجدُه في نفسه، فإيَّاك إياك. ووصلَ الأحنفَ، وحرمَ ابنَ الأشعث[٥].

الحسن بن علي عليه السلام

وفد عليه مراراً.

قال معاوية يوماً والحسن رضي الله عنه [عنده]: مَنْ أكرمُ الناسِ أباً وأمًّا، وجَدًّا وجدَّةً، وعمًّا وعمَّة، وخالاً وخالةً؟ فقال له عبد الله بن العجلاني[٦]: هذا القاعد. وأشار إلى الحسن. فقال معاوية: صدقتَ.

---

(١) العقد الفريد ٤/ ٢٧.

(٢) في (ب) و (خ): فقال كيف (؟).

(٣) هي كنية الأحنف بن قيس.

(٤) في (ب): خطه. وفي «العقد الفريد» ١/ ٦٨: خطوه.

(٥) الخبر بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٥٧ من رواية المدائني، وفيه بدل قوله: ووصل الأحنف...: فقال محمد: إنَّا لم نأتك لتقضيَ مكاننا منك، ولم نعدم الأدب فنحتاج إلى تأديبك، فخُذْ منّا عفوَنا تستوجب مودّتنا، وإنّا عنك لفي غنًى وسَعَة. ثم خرج. والخبر بنحوه أيضاً في «تاريخ الطبري» ٥/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٦) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٨: عجلان، وسلف الخبر ص٧٤ (أول هذه الفقرة).

حُضَيْنٌ[1]

وفي حُضَين يقول علي عليه السلام يوم صِفِّين:

لِمن رايةٌ سوداءُ يخفقُ ظلُّها ... إذا قيل قَدِّمْها حُضَيْنُ تَقَدَّما
فيوردُها في الصفِّ حتى يُقيلَها[2] ... حِياضَ المنايا تقطرُ الموتَ والدِّما

قال ابن ماكولا: كان الحُضين أثيراً[3] عند بني أمية، فقتله أبو مسلم الخُراساني[4].

وقال العسكري: كان من سادات ربيعة، ولَّاه علي رضي الله عنه إصْطَخْر، وحملَ راية ربيعة يومَ صفِّين، وكان يُبَخَّل. وفيه قال زياد الأعجم:

يَسُدُّ حُضَيْنٌ بابه خشيةَ القِرى ... بإصْطَخْرَ والكبشُ السمينُ بدرهمِ

أسند حُضَيْن عن عثمان، وعليّ، والمهاجر، والمجاشع بن مسعود.

وكان إذا دخل على حُضَيْن خَتَنُهُ على أخته، أو صهرُه على ابنتِه، تنحَّى له عن مجلسه. وقال: مرحباً بمن ستر العورة، وكَفَى المُؤْنة.

كان الحُضَيْن بخراسان مع قتيبة بن مسلم.

حُضَيْن بنِ المنذر[5]، وفدَ على معاوية، وكنيتُه أبو ساسان[6]، فكان يقف ببابه ولا يؤذن له إلا في آخر الناس، ما كان يُعطي الحاجب والبوَّاب شيئاً.

فقال له معاوية يوماً: يا أبا ساسان، مالك لا تدخلُ إلا في آخر الناس؟ فقال:

وكلُّ خفيفِ الشأنِ يسعى مشمِّراً ... إذا فتحَ البوَّابُ بابَك إصبعا
ونحن الجلوسُ الماكثون رزانةً ... حياءً إلى أن يُفتحَ البابُ أجمعا

---

(١) هو حُضين بن المنذر، أبو ساسان البصري، كنيتُه أبو محمد، وأبو ساسان لقب.

(٢) في (ب) و (خ): ينيلها، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥/ ١٦٣ (مصورة دار البشير).

(٣) أي: مفضَّلاً على غيره. وتحرفت اللفظة في (ب) و (خ) إلى: أميراً.

(٤) الإكمال ٢/ ٤٨٢، وتاريخ دمشق ٥/ ١٦٥ (مصورة دار البشير).

(٥) كذا وقع سياق الكلام في (ب) و (خ). والكلام تتمة لترجمة حُضَين.

(٦) إنما أبو ساسان لقبه، وكنيتُه أبو محمد. ينظر «تاريخ دمشق» ٥/ ١٦١.

فأشار إليه معاوية: أنْ أَعْطِهِم شيئاً[١].

ومن الوافدين على معاوية:

ثَوْبُ[٢] بن تُلْدَةَ الوالبي الأسدي

أحد المُعمَّرين المخضرمين، عاشَ مئتين وأربعين سنة، وفدَ على معاوية.

وقال في سنِّه وعُمرِهِ:

وإنَّ امرءاً قَدْ عاشَ عشرين حَجَّةً ... إلى مئتين كلُّها هو دائبُ
لَرَهْنٌ لأحداثِ المنايا وإنَّما ... يُلَهِّيهِ في الدنيا مُناهُ الكواذبُ

دخل على معاوية فقال له: كيف بصرُك؟ قال: أحدُّ ما كان. قال: فكيف مشيُك؟ قال: كنتُ أمشي، فأنا اليومَ أُهَرْوِل. قال: أدركتَ أميةَ بنَ عبد شمس؟ قال: نعم، رأيتُه وهو أعمى وله عبدٌ يقودُه، ولقد رأيتُه يطوف بالبيت، فلا أدري أنِّي[٣] أكبر أم هو. قال: فكيف أكلُك؟ قال: كنتُ آكلُ مرَّةً، فأنا آكلُ اليوم مرتين، وكنتُ أرى هلالاً واحداً، وأنا اليوم أراه هلالين.

وهو القائل[٤]:

لقد عَلِمَتْ بالقادسيَّة أنَّني ... صبورٌ على اللَّأْواء عَفٌّ[٥] المكاسبِ
أخوضُ بسيفي غمرةَ الموت مُعْلِماً ... وأُقدمُ إقدامَ امرئٍ غيرِ هائبِ[٦]

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ١٦٣، وتتمة قول معاوية فيه: فإنك لا تعطي أحداً شيئاً. وينظر «تهذيب الكمال» ٦/ ٥٥٥ ـ ٥٦٠.

(٢) بفتح الثاء وسكون الواو، أو بضم الثاء وفتح الواو. ينظر «توضيح المشتبه» ٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤. وذكره ابن حجر في «الإصابة» ٢/ ٣٢ في القسم الثالث من حرف الثاء فقال: ثور بن تلدة، ويقال: ثوب، بالموحَّدة.... وقال: أنشد له المرزباني شعراً فيما أنشده الآمدي لغيره. وانظر الكلام بعد تعليق.

(٣) في «مختصر تاريخ دمشق» ٥/ ٣٥٠: أنا.

(٤) نسب الآمدي الشعر في «المؤتلف والمختلف» ص٧٩ لنُسير بن ثور العجلي. وذكر ابن حجر نُسير هذا في القسم الثالث من حرف النون في «الإصابة» ١٠/ ٢٠٨ وقال: (له إدراك، وشهد الفتوح في عهد عمر، منها القادسية). ثم ذكر له البيت الأول.

(٥) في (خ): كف، وفي (ب): لكف. والمثبت من «المؤتلف والمختلف» ص٧٩، و«الإصابة» ١٠/ ٢٠٨.

(٦) في «المؤتلف والمختلف»: هارب.

وفَـوْقـي دِلاصٌ ذاتُ شَـكٍّ حـصـيـنـةٌ ... كـأنَّ قَـتِـيرَيْـهـا عـيـونُ الـجَـنـادبِ[١]
وإمَّـا تَـرَيْـنِـي قَـلَّ مـالـي فـقُـلُّـهُ ... لـدفع خـطـوبٍ جـمَّـةٍ ومـعـائـبِ[٢]
إذا قلَّ مالي لم أَلُذْ[٣] بذوي الغنى ... ولكن أخشِّنُ الحوادثَ[٤] جانبي
وإنْ بـلـدةٌ نـأَتْ[٥] عـلـيَّ طِـلابُـهـا ... صرفتُ لأخرى رحلتي وركائبي
وإنْ مـرَّ مـن دهـرٍ عـلـيَّ حـوادثٌ ... تشيب النواصي بعد شيبِ الحواجِبِ
فـلـسـتُ إذا مـا الـدَّهْـرُ أحـدثَ نـكـبـةً ... بـأخـضـعَ ولَّاجٍ بـيـوتَ الأقـارب

صُحَار بن عبَّاس[٦] العَبْدي

[ذكر المدائني أنه] وفدَ على معاوية، وكان أزرق، فقال له معاوية: يا أزرق. فقال: خير البُزَاة الزُّرْق. فقال [له]: يا أحمر. فقال: [خير] الذهب الأحمرُ[٧]. فقال له: ما هذه البلاغةُ فيكم يا عبد قيس؟ فقال: شيء يعتلجُ في صدورنا، فنَلْفِظُه كما يلفِظُ البحرُ الزَّبَد. قال: فما رأسُ البلاغة؟ قال: أن تقولَ ولا تُخطئ، وتعجلَ ولا تُبطئ.

ثم وصف قبيلتَه وقال: ومنَّا عبد الله بن سوار[٨]، خرج في أربعة آلاف إلى ثغر السِّنْد، فلم يُوقِدْ أحدٌ في عسكره ناراً بطعام، حتى أتى البلاد. ورأى يوماً في عسكره ناراً، فقال: ما هذه النار؟ فقيل له: امرأةٌ ولدَتْ؛ اتخذوا لها خبيصاً. فأمَرَ أن يُطْعَمَ العسكر كلُّهم الخَبِيص ثلاثةَ أيام.

وأما صعصعة بن صُوحان فأبلغُ أهل زمانه.

---

(١) دِلاص: صفة للدِّرْع، يقال: دِرْع دِلاص، أي: ملساء ليِّنة، والقَتير: رؤوس مسامير الدروع. والجنادب جمع جُندب. وهو نوع من الجراد. ينظر «القاموس».
(٢) في «المؤتلف والمختلف» ص٧٩: لدفع خصوم جمَّة ونوائبِ.
(٣) في «المؤتلف والمختلف»: أَلَعْ.
(٤) في المصدر السابق: أُنَحِّي للحوادث.
(٥) في المصدر السابق: أعيت.
(٦) كذا في (ب) و(خ) و(م): عباس. وقال العسكري في «تصحيفات المحدثين»: صحار بن عياش. وقال خليفة في «الطبقات» ص٦١: صحار بن عياش، ويقال: بن عباس.
(٧) من هذا الموضع، وحتى ترجمة يزيد بن الأسود، ليس في (م). وما سلف بين حاصرتين منها.
(٨) في (ب) و(خ): سور (والكلام ليس في م). والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ١٤٠ ـ ١٤١، والخبر فيه.

ظالم بن عَمْرو، أبو الأسود الدّيلي

وفدَ على معاوية، فحَبِقَ[١]، فخجلَ، فقال: اسْتُرْها عليَّ يا أمير المؤمنين. فقال له معاوية: لا بأس عليك. إنَّ هذا الذي فعلتَه أفعلُه أنا وأبي[٢].

عبد الله بنُ جعفر

وفدَ عليه، وله معه واقعاتٌ، تُذكر في ترجمته.

عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعريّ

وفد عليه بعد التحكيم وعليه برنس أسود، فلما خرج من عنده قال: وفدَ علينا الشيخ لنُولِّيَه، وواللهِ ما ولَّيْناهُ أبداً[٣].

عديّ بن حاتم الطائي

دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير، فقال له[٤]: يا أبا طريف، متى ذهبَتْ عينُك؟ فقال: يومَ فرَّ أبوك، وقُتل خالُك[٥]، وضُربتَ على قفاك، وأنا مع الحقِّ، وأنت مع الباطل. فقال معاوية: إنَّ طَيِّئاً كانوا لا يحجُّون البيت، ولا يُعظِّمون حُرْمَتَه. فقال عديّ بن حاتم: كانوا يفعلون ذلك حيث يعلمون أنَّ البيت لا ينفع قربُه، ولا يضرُّ بُعْدُه، فلما علموا ذلك؛ كانوا أغلبَ الناس عليه، كانت طَيِّئ وخَثْعَم لا يحجُّون البيت، وكانوا يُسَمَّوْن الأَفْجَران[٦].

---

(١) أي: خرج منه ريح الحَدَث.

(٢) الخبر في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣، وفيه أن أبا الأسود الديلي (ويقال الدؤلي) قال لمعاوية: يا معاوية، إن الذي كان مني قد كان مثله منك ومن أبيك... وانظر تتمة كلامه.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٥٢.

(٤) يعني عبد الله بن الزبير.

(٥) يعني طلحة بن عُبيد الله، لأنه من بني تَيْم. وقد قتل يوم الجمل. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١٠٥.

(٦) أنساب الأشراف ٤/ ١٠٥ ـ ١٠٦. وينظر «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٩٦ ـ ٩٧ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عدي ابن حاتم).

ولما وفد على معاوية قال له: [ما] أنصفَك ابنُ أبي طالب، حيث قُتل أولادُك؛ طريف وطَرَفة وطراف[١]، وبقيَ أولادُه! فقال له عديّ: ما أنصفتُه أنا حيث استُشهد، وبقيتُ بعدَه. فقال معاوية: قد بقيَتْ من دم عثمان قطرة لا يمحوها إلا دمُ شريفٍ من أشراف اليمن. يعني عديًّا. فقال له عديّ: واللهِ إنَّ القلوبَ التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإنَّ سيوفَنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدْنَيتَ[٢] إلينا من الغدر شبراً لَنُدْنِيَنَّ إليك من الشَّرِّ باعاً[٣]، وإنَّ جزَّ الحلقوم وحَشْرَجةَ الحَيْزُوم[٤] لأهونُ علينا [من] أن نسمعَ المساءةَ في أمير المؤمنين. فقال معاوية لكاتبه: اكتُبْها، فإنَّها كلمةٌ حكيمةٌ[٥].

عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة

كتب معاوية إليهما، فأقدَمَهما. [فقدم] عمرٌو من مصر، والمغيرةُ من الكوفة، فاجتمعا قبل الدخول عليه، فقال عمرو للمغيرة[٦]: ما دعانا إلا ليعزلنا، فإذا دخلتَ عليه، فاشتك الضعف، واستأذِنْه في إتيان المدينة، وأَستأْذنُه أنا في إتيان مكة، فإنه سيقع[٧] في قلبه [أنَّا] إنما نُريد الفساد عليه، وتغيير قلوب الناس، فلما دخلا عليه ذكرا له ذلك، فقال: لقد تَواطَأْتُما على أمر، وإنكما لَتريدان شرًّا، ارجعا إلى عملكما.

مسكين الدارمي[٨]

الشاعر، وفدَ على معاوية، فأنشد أبياتاً، منها:

(١) سمَّاهم في «مروج الذهب» ٥/ ١٨: الطَّرَفَات. وجاء ذكرهم في «اللسان» (طرف)، وفيه: مطرّف، بدل: طراف. وما سلف بين حاصرتين من «مروج الذهب».

(٢) في (ب) و(خ): أذهب. والمثبت من «مروج الذهب»٥/ ١٨ والخبر فيه. وهو بنحوه في «العقد الفريد»٤/ ٢٨، وفيه: مددتَ.

(٣) في «مروج الذهب»: ولئن أدنيت إلينا من الغدر فِتْراً لنُدنينَّ إليك من الشرّ شِبراً.

(٤) الحَيْزُوم: ما اكتنف الحلقوم من الصدر. ينظر «القاموس».

(٥) مروج الذهب ٥/ ١٨، وينظر «العقد الفريد» ٤/ ٢٨، و«تاريخ دمشق» ٤٧/ ٩٦ - ٩٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) في (ب) و (خ): فقال عمرو والمغيرة. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٥٣.

(٧) في (ب) و (خ): سيشفع، والمثبت من «أنساب الأشراف» وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٨) هو ربيعة بن أُنيف، ومسكين لقبه، وتحرف في (ب) و (خ) إلى: شكر، وتنظر ترجمته في «مختصر تاريخ دمشق» ٨/ ٢٧٢ - ٢٧٦.

مـا ضـرَّ لـي جـاراً أُجـاوِرُه ... أن لا يـكـون لِـبـابِـهِ سِـتْـرُ
أعـمـى إذا مـا جـارتـي خَـرَجَـتْ ... حـتـى يُـواري جـارتـي الـخِـدْرُ
وتَـصَـمُّ عـمَّـا بـيـنـهـم أُذُنـي ... حـتـى تـكـونَ كـأَنْ بـهـا وَقْـرُ

الوليد بن عقبة

ابن أبي مُعَيْط بن أبي عَمرو بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو وَهْب، كان من رجال قريش ظَرْفاً، وحِلْماً، وشجاعة، وأدباً، وكان من الشعراء المطبوعين.

ومن ولده عَمرو، أبو قَطِيفة، الشاعر، سيَّره عبدُ الله بن الزبير مع بني أمية إلى الشام لَمَّا نفاهم، فقال:

أقـطـعُ الـلـيـلَ كـلَّـه بـاكـتـئـابٍ ... وزفـيـرٍ فـمـا أكـادُ أنـامُ
وبـقـومـي بُـدِّلْـتُ لَـخْـمـاً وكَـلْـبـاً ... وجُـذامـاً وأيـن مـنِّـي جُـذامُ
أقْـرِ عـنـي الـسـلامَ إن جـئـتَ قـومـي ... وقـلـيـلٌ لَـهُـمْ لَـدَيّ الـسـلامُ

فبلغ ابنَ الزُّبير، فرقَّ له وقال: حَنَّ أبو قَطِيفة، من لَقِيَه فليُخبره أنه آمِنٌ.

وبَلَغَه، فرجع إلى المدينة، فمات في طريقه قبل أنْ يصلَ إليها[1].

يزيد بن الأسود، أبو عَمرو الجُرَشي

[قال الواقدي:] قدم على معاوية ـ وكان صالحاً زاهداً ـ وقد أجدبت الأرض، وانقطع الغيث، فخرج به إلى المُصَلَّى وقال: اللهمَّ إنَّا نتوسَّلُ إليك بخيارنا وأفضلِنا يزيدَ بنِ الأسود، ثم قال: قُمْ يا يزيد، فارْفَعْ يدَيْك، فقام ورفع يَدَيْه، ورفعَ الناسُ أيديَهم، فَسُقُوا حتى كادوا أن لا يبلغوا منازلَهم.

[وذكر ابنُ عساكر يزيدَ بنَ الأسود وقال[2]:] أدرك يزيد الجاهليَّة، وأسلَمَ، ولم يلقَ رسولَ الله ﷺ، وسكن الشام بقرية [يقال لها:] زِبدين، من أعمال الغوطة،

(١) ينظر «الأغاني ١/ ٣٤»، و«تاريخ دمشق» ٥٦/ ١٠٠ ـ ١٠٣ (طبعة مجمع دمشق)، و«معجم البلدان» ١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ (برام).

(٢) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٣٩ (مصورة دار البشير)، وما قبله منه ص٢٤٢ . وينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ٤٤٨ . وما بين حاصرتين من (م).

وكانت له دارٌ بدمشق، وكان يخرجُ من دمشق إلى زِبْدِين، فتُضيءُ له إبهامُه اليمنى، فلا يزال يمشي في ضوئها حتى يبلغَ زِبْدِين.

وكان يسكن داخل الباب الشرقي، فروي أنه كان يصلي العشاء الآخرة بدمشق، ثم يخرج(١) إلى زِبْدِين.

وهو من الطبقة الأولى من التابعين. وذكره بعضهم في الصحابة.

وكان يسير هو ورجلٌ من أهل حمص في أرض الروم، فسمعَ منادياً ينادي: يا يزيد ابن الأسود، إنَّك لمن المقرَّبين، وإنَّ صاحبك لمن العابدين.

فكان الأوزاعي إذا حكى هذه الحكاية يقول: إلى ههنا(٢) انتهى الفضل.

[قال:](٣) وكان يزيد كثيرَ الغزو، وكانوا يرون أنه من الأبدال، وكان قد حلف أن لا يضحك، ولا ينام مضطجعاً، ولا يأكل سميناً، حتى يلقى الله. فمات وهو على ذلك.

[قال:](٤) واستسقى به الضحَّاك بن قيس بعد موت يزيد بن معاوية، فقال له: قُمْ يا بكَّاء، فاشْفَعْ لنا إلى ربك. فعطف بُرْنُسَه على منكبه، وحسر عن ذراعيه وقال: اللهم إنَّ عبادك هؤلاء يستشفعون بي إليك. فما دعا إلا [دعاءً] قليلاً حتى مُطروا مطراً كادوا يغرقون منه. ثم قال: اللهمَّ إنَّ هذا قد شَهَرَني - يعني الضحَّاك - فأَرِحْني منه. فما مضت جمعة حتى قُتل الضحَّاك.

وكان يزيد معتزلاً للفتن.

ربيعة بن عِسْل اليَرْبُوعي

من أهل البصرة، وفدَ على معاوية، فقال له: أعنّي على بناء داري باثني عشر ألف جذع، فقال له: وكم سعة دارك؟ قال: فرسخان في فرسخين. فقال: دارك بالبصرة، أو البصرة في دارك؟!

---

(١) في (خ): يصل. والمثبت من (ب) و (م) وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق».

(٢) في «تاريخ دمشق»: هذا.

(٣) في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٤١ (مصورة دار البشير).

(٤) المصدر السابق.

وخطب إلى معاوية ولم يُزوِّجه[١].

عُبَيْد[٢] بن سَرِيَّة الجُرْهُمي

عاش ثلاث مئة سنة[٣]، وأدرك الإسلام، وأسلم، وقصد معاويةَ بالشام، فقال له: كيف وجدتَ الدنيا؟ فقال: يوم كيوم، وليلة كليلة. فقال له معاوية: ما أحسنُ الأشياءِ في عينك؟ قال: عينٌ خرَّارة في أرضٍ خَوَّارة. قال: ثم ماذا؟ قال: فَرَسٌ في بطنها فَرَس. قال: أَقِمْ عندنا. قال: إن أبي وأمي هلكا في مثل هذه السنة، ونفسي تحدِّثني أني هالك فيها، فلا حاجة لي في المُقام عندك. فقال له معاوية: سلني حاجتَك. فقال: أمَّا الآخرةُ فإنَّها بيد غيرك، وأمَّا الدُّنيا فما تقدرُ على ردِّ شبابي، فما أسألُك؟ فقال: هل رأيتَ حَرْباً؟ يعني جدَّه. قال: رأيتُ أميةَ أعمى[٤] يقودُه غلامٌ له يقال له: ذكوان. فقال: لا تقل هذا، فإنَّهم سادةُ الحيّ. فقال: قد قلتُ ما رأيتُ، فقُلْ أنتَ ما شئتَ[٥].

عمرو بن عامر السلمي

دخل على معاوية وهو شيخ كبير يُرْعَشُ، فقال له معاوية: كيف تجدُك يا عمرو؟ فقال: أحببتُ[٦] النساء وكنَّ الشفاء[٧]، وفقدتُ المَطْعَمَ وكان المَنْعَم، وثقُلْتُ على وجه الأرض، وقَرُبَ بعضي من بعض، فنومي سُبات، وفهمي هَفَوات[٨]، وسمعي تارات. قال: فهل قلتَ في ذلك شعراً؟ قال: نعم، فأنشده:

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٥٤.

(٢) تحرف «عبيد» في (ب) و (خ) إلى: «عسل»، والترجمة ليست في (م).

(٣) هذه رواية الكلبي ذكرها ابن عساكر، وذكر في رواية أخرى أنه عاش مئتين وعشرين سنة، والله أعلم بصحة ذلك. تاريخ دمشق ٤٥/ ٤٢ ـ ٤٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) في (خ): عمي. وسلف مثل هذه القصة في ترجمة ثوب بن تلدة ص٨٣، والله أعلم،

(٥) تاريخ دمشق ٤٥/ ٤٢ ـ ٤٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) في «الإصابة» ٧/ ٢٧٩: اجْتَنَبْتُ. وهو الأشبه (وقد ذكره ابن حجر فيه في القسم الثالث من حرف العين).

(٧) في (ب) و (خ): للسفاد. والمثبت من المصدرين السابقين. والترجمة ليست في (م).

(٨) ويمكن أن تُقرأ أيضاً في النسختين (ب) و (خ): هنوات. وفي «تاريخ دمشق» ٥٥/ ٢٧٢: هنات.

إذا ذهبَ القَرْنُ الذي أنتَ فيهمُ ... وخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فأنتَ غريبُ
وما للعظامِ الباليات من البِلَى ... شفاءٌ وما للرُّكبتَيْنِ طبيبُ
وإنَّ امْرَأً قد سارَ تسعين حِجَّةً[1] ... إلى مَنْهلٍ من وِرْدِهِ لَقريبُ

فقال له معاوية: ما تُحبُّ؟ قال: عشرةَ آلاف درهم، أَقضِي بها ديني، وعشرةَ آلاف درهم أَقسِمُها في أهلي وعَشيرتي، وعشرةَ آلاف درهم أُنفقُها بقيَّةَ عُمُري. فقال له معاوية: نعم. فضرب له بكلِّ عشرةٍ مئةً، فأطلقَ له ثلاث مئة ألف درهم، فقبضَها ورحل.

ذكر الوافدات على معاوية:

بَكّارَة الهلاليَّة

كانت قد أسنَّتْ وعَشِيَ بصرُها.

[وقيل: إنها] دخلَتْ عليه لَمَّا قدم المدينة، فقال لها: كيف أنتِ يا خالة؟ فقالت: بخير. قال: غَيَّرَكِ الدهر! فقالت: الدهرُ ذو غِيَر[2]، مَنْ عاشَ كَبِرَ، ومن ماتَ قُبِرَ.

وكان عنده مروان، فقال: وهي القائلة:

أترى ابنَ هندٍ للخلافةِ مالكاً ... هيهاتَ! ذاك - وإنْ أراد - بعيدُ
مَنَّتْك[3] نفسُك بالخلافة ضَلَّةً[4] ... أغواك عمرو[5] والشقيُّ سعيدُ[6]

فقال سعيد بن العاص: وهي القائلة:

قد كنتُ أطمعُ أن أموتَ ولا أرى ... فوقَ المنابرِ من أميَّةَ خاطبا
فاللهُ أخَّرَ مُدَّتي فتطاولَتْ ... حتى رأيتُ من الزمان عجائبا[7]

---

(١) أي: سنةً.

(٢) أي: ذو أحوال وأحداث متغيّرة.

(٣) في (ب) و (خ): مسكت. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٥ .

(٤) في (م): ظله. وفي «العقد الفريد»: في الخلاء ضلالةً.

(٥) في (م): أعوان عمرو، وضبطت فيها الراء بتنوين الكسر.

(٦) في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٥: أغراك عمرو للشقا وسعيدُ.

(٧) في (ب) و (خ): عجيبا. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «العقد الفريد».

فـي كـل يـومٍ لا يـزال[١] خـطـيـبُـهـم بـيـن الـجـمـيـعِ لآلِ أحـمـدَ عـائـبـا

فقالت له: يا معاوية، أنا القائلة [جميع] ما قالوا: وما خَفِيَ عنكَ أكثرُ. فضحك معاوية وقال: ما يمنعُنا ذاك من برِّكِ، اذْكُري حوائجَكِ. فقالت: أمَّا الآنَ فلا. ثم خرجت.

الزرقاء بنت عديّ الهَمْدانيَّة

[قال علماء السير:] وفَدَتْ عليه بدمشق، وكانت امرأةً فصيحةً، جَزْلَةَ الرأي، سريعةَ الجواب، وكانت في أيام صِفِّين تقومُ بين الصفوف، وتُحرِّضُ الناسَ على قتال معاوية، وكانت تحبُّ أميرَ المؤمنين رضي الله عنه .

ولما صالح الحسنُ رضي الله عنه معاويةَ وعاد إلى الشام؛ جلس ليلةً[٢] يَسْمُرُ وعندَه عَمْرو ابن سعيد[٣]، وعُتبة بن أبي سفيان[٤]، والوليد بن عتبة[٥]، ذكروها وما فعلت بصِفِّين، فكتب إلى المغيرة بن شعبة أن يُوفدَها عليه مع فرسان من قومها مكرَّمة.

فأرسل إليها المغيرةُ، فأخبرها، فقالت: إنْ كان الأمرُ إليَّ؛ فلا حاجةَ لي إليه، وإن كنتُ مُكْرَهة فالمُكْره معذور.

فجهَّزها إلى معاوية، فلما دخلَتْ عليه وعنده من سَمَّينا؛ قال: مَرْحَباً وأهلاً. فقالت: عندك المَرْحَبُ والأهل. فقال: كيف كان مسيرُك؟ قالت: كريمة كَرَبِيبَةِ بيتٍ، أو كطفل مُهَّدَ له[٦] . فقال: ألستِ الراكبةَ يوم صِفِّين الجملَ الأحمرَ تُوقِدين نارَ الحرب، وتُحرِّضين الناسَ على قتالي؟ قالت: بلى. قال: فإنك قد شَرَكْتِ ابنَ أبي طالب في كل دمٍ سفَكَه. فقالت: أحسنَ اللهُ بِشارَتَك. فقال: واللهِ لَوَفاؤُكم له بعد وفاتِه أعجبُ من حُبِّكم له في حال حياته! فقالت: مات الرأسُ وبُتر الذَّنَب، ولن يعودَ ما ذهب، والدَّهرُ ذو غِيَر، ومن تفكَّر اعتبر. فقال: وهل تحفظين مِمَّا كنتِ تقولين شيئاً؟ قالت: لا والله. قال: فأنا أحفظُ منه، كأني بكِ وأنتِ تقولين: أيُّها الناسُ، إنكم قد أصبحتُم في فتنة غَشَّتْكُم جلابيبَ

---

(١) في «العقد الفريد»: للزمان.

(٢) في (ب) و (خ): إليه، وهو خطأ.

(٣) في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٦ : عمرو وسعيد.

(٤) في (م): وعتبة أخوه.

(٥) في (م) و«العقد الفريد»: عقبة.

(٦) في (م): كريهة، بدل قوله: كربيبة بيت أو كطفل مهّد له.

ظُلَمِها، وجارَتْ بكم عن قَصْدِ المَحَجَّة[١]، فيا لَها من فتنةٍ عمياءَ صمَّاءَ بكماء، لا تَسْمَعُ لِناعِقِها، ولا تَسْلَسُ لقائدها، إن المصباحَ لا يضيء في الشمس، وإن الكواكب لا تُنير مع القمر، وإن الحديد بالحديد يُفْلَح، وإنَّ خضاب النساء الحِنَّاء، وإنَّ خضابَ الرجالِ الدماء[٢]. فهلمُّوا قُدُماً غيرَ ناكصين ولا متشاكسين.

وذكر كلاماً طويلاً.

ثم قال لمن عنده: ما تَرَوْن فيها؟ قالوا: اقْتُلْها. قال: بئس ما أشَرْتُم! أيحسُنُ بمثلي أن يُقال عنه: إنه قتلَ امرأةً بعد ما ظَفِرَ بها[٣]!.

ثم قال لها: اذكُري حاجتَكِ. فقالت: آليتُ على نفسي أن لا أسألَ أميراً شيئاً، ومثلُكَ مَنْ يجودُ من غير طلب، ويُعطي من غير مسألة.

فأحسنَ إليها ووصلَها ومَنْ معَها بجوائزَ سَنِيَّة، وكتبَ إلى المغيرة يُوصيه بها.

سَوْدَة بنت عُمارة بن زهير[٤] الهَمْدَانيَّة

وفدَتْ على معاوية، وكانت مِمَّن شَهِدْنَ صِفِّين مع أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب رضوان الله عليه، فقال لها: أنت القائلة لأخيك يوم صِفِّين:

شَمِّرْ كفعلِ أبيك يا ابنَ عُمارةٍ ... يومَ الطِّعان ومُلتقَى الأقرانِ

وانْصُرْ عليًّا والحسينَ ورَهْطَهُ ... واقْصِدْ لهندٍ وابنِها بهوانِ

وقُدِ الجيوشَ وسِرْ أمامَ لوائِهِ ... قُدُماً بأبيضَ صارمٍ وسِنانِ

فقالت: دَعْ عنك أذكارَ[٥] ما مضى، فإنه قد نُسِيَ. فقال: وما حملَكِ على ذلك؟ فقالت: حبُّ عليٍّ واتِّباعُ الحقّ، وأَنشُدُكَ اللهَ اتِّباعَ ما قد مضى. فقال: ما مثلُ مقامِ

---

(١) أي: جادَّة الطريق. ووقع في (ب) و (خ): الحجَّة.

(٢) في (ب) و (خ): الدنيا، وهو خطأ.

(٣) قول معاوية لمن عنده: ما ترون فيها.... إلخ، في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٦ ـ ١٠٨، و«تاريخ دمشق» ص١١٠ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق)؛ جاء في صدر القصة، وقبل الكلام عن طلب معاوية من والي الكوفة إيفادها إليه، وهو الأنسب بسياق الخبر.

(٤) كذا في (ب) و (خ). ولم ترد الترجمة في (م). وفي «العقد الفريد» ٢/ ١٠٢: الأشتر، وفي «تاريخ دمشق» ص١٧٨: الأسك.

(٥) كذا في (ب) و(خ)، والخبر بنحوه في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٢، و«تاريخ دمشق» ص١٧٩، وفيهما: تذكار.

أخيكِ يُنْسَى. فقالت: فات أمسِ، فخُذْ في اليوم. فقال: اذكري حاجَتَكِ. فقالت: قد أصبحتَ للناس سيِّداً، ولأمورهم متقلِّداً، واللهُ سائلُك عمَّا افترضَ عليك من حقِّنا، ولا تزال تُقْدِمُ علينا من يَنُوء بعزِّك، ويبطش بلسانك[1] ويحصدنا حَصْدَ السُّنْبُل، ويدوسُنا دَوْسَ البقر، ويدُقُّنا دَقَّ الحصيد، ويسومُنا الخَسِيسَة، وهذا ابنُ أرطاة[2] قدمَ بلادَنا، فقَتلَ رجالَنا، واستصفى أموالَنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومَنَعة، فإمَّا عَزَلْتَه فشكرناك، وإمَّا تركتَه فذَمَمْناك. فقال: أتُهدِّديني بقومكِ؟! واللهِ لقد هممتُ أن أردَّكِ إليه على قَتَب[3] أشْرَس، فيُنْفِذَ حكمَه. فسكتَتْ وقالت:

صلَّى الإلهُ على رُوحٍ تضمَّنَها ... قبرٌ فأصبحَ فيه العَدْلُ مَدْفُونا
قَدْ حالفَ الحقَّ لا يبغي به بَدَلاً ... فصار بالحقِّ والإيمانِ مَقْرُونا

قال: ومَنْ ذاك؟ قالت: أميرُ المؤمنين أبوحسن. فقال: ما أرى عليكِ أثراً منه. قالت: بلى. ولَّى صدقاتِنا رجلاً فحاف علينا ...[4]، فأتيتُه وهو قائم يصلِّي، فانصرفَ من صلاته، ثم قال برحمة ورأفة وتعطُّف: ألكِ حاجة؟ فأخبرتُه، فبكى، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهمَّ إني لم آمُرْه بذلك، ولا أرْضَى بظلم الرعيَّة. ثم أخرجَ من جيبه قطعة جِراب[5]، فكتبَ فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ الآية[6]. إذا أتاك كتابي هذا فاعْتَزِلْ عملَنا.

فقال معاوية: يا أهل العراق لقد جرَّأكم ابنُ أبي طالب على الولاة، وغرَّكم قولُه:

---

(١) في «تاريخ دمشق» ص١٧٩ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق): بسلطانك، وفي «العقد الفريد» ٢/ ١٠٣: ويبسط سلطانك.

(٢) هو بُسْر بن أرطاة، أو ابن أبي أرطاة.

(٣) القَتَبُ: الرَّحْل الصغير على قدر سَنام البعير.

(٤) ثمة كلمة في (ب) و (خ) لم أتبيَّنها، رسمها: يسيراً. والترجمة ليست في (م).

(٥) الجِراب: وعاء يُحفظ فيه الزاد ونحوُه.

(٦) رقم ٥٧، من سورة يونس. وجاء بدلَها في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٤، و«تاريخ دمشق» ص١٨٠ قوله: «قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ». وهو من آية الأعراف (٨٥) وآية هود (٨٥) في قصة شعيب عليه السلام.

فلو كنتُ بوَّاباً على بابِ جنَّةٍ لقلتُ لهَمْدان ادخُلي بسلامِ

ثم قال: اكتُبوا لها إلى العامل بالعدل والإنصاف. فقالت: ألي خاصَّة، أم لقومي عامَّة؟ فقال: وما أنتِ وقومُك؟ فقالت: إنه واللهِ لَلُؤْمٌ انفرادي عنهم، فإنْ كان عدلاً شاملاً؛ وإلَّا وَسِعَني ما وسِعَ قومي. فقال: اكتبوا لها ولقومها.

عِكْرِشَة بنت الأطرش[1]

دخلَتْ على معاوية مُتوكّئة على عُكَّاز، فسلَّمت عليه بإمرة المؤمنين، فقال: يا عِكْرِشة، الآن صِرتُ أميرَ المؤمنين؟! فقالت: نعم إذْ لا أبو حسن حيّ. فقال: ألستِ المتقلِّدَةَ حمائلَ السيف في صِفِّين، وأنتِ قائمةٌ بين الصَّفَّيْن تقولين: أيُّها الناس، إن معاوية قد دَلَفَ[2] إليكم بعُجْم العَرَب، غُلْفِ القلوب، لا يفقهون الإيمان، ولا يدرون ما الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبُّوه، فاللهَ اللهَ عبادَ الله في دين الله، وإياكم والتَّثبُّط[3]، فإنه ينقُضُ عُرى الإيمان، ويُطفئ نورَ الحقّ. هذه بدرٌ الصغرى، والعقبةُ الأُخرى، يا معاشرَ المهاجرين والأنصار، امْضُوا على بصيرتكم[4]، واصبرُوا على عزيمتكم، لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتديتُم، ألا وإنَّ الجنة تحت ظِلال السيوف، وهذا معاويةُ قد أتاكم بأهل الشام، كالحُمُر الناهقة، وأنتم أُسودُ الشَّرَى[5].

قال: ما الذي حملكِ على ذلك؟ فقالت: دَعْ عنكَ هذا، فقد كانت صدقاتُنا تُؤخذ من أغنيائنا، فتردُّ في فقرائنا، وقد فقدنا ذلك، فما يُجْبَرُ لنا كَسِير، ولا يُنْعَشُ لنا فقير. فأمر بردِّ صدقاتِهم فيهم[6].

---

(١) في «تاريخ دمشق» ص٢٥٤ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق): عكرشة بنت الأطشّ بن رواحة.

(٢) أي: مشى.

(٣) في «العقد الفريد» ٢/ ١١، و«تاريخ دمشق» ص٢٥٤: والتواكل.

(٤) في (ب) و (خ): نصرتكم. والمثبت من المصدرين السابقين. ولم ترد الترجمة في (م).

(٥) قال ياقوت في «معجم البلدان» ٣/ ٣٣٠: يقال للشجعان: ما هم إلا أُسود الشَّرَى. وقال بعضهم: شَرَى: مأْسَدَةٌ بعينها. وقيل: شَرَى الفرات: ناحيتُه، به غِياض وآجام تكون فيها الأسود... وقال نصر: الشَّرَى؛ مقصور: جبلٌ بنجد في ديار طَيِّئ، وجبلٌ بتهامة موصوف بكثرة السِّباع.

(٦) ينظر «العقد الفريد» ٢/ ١١١ ـ ١١٢، و«تاريخ دمشق» ص٢٥٤ ـ ٢٥٥ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق).

أمّ سِنان المَذْحِجِيَّة

وفَدَتْ عليه متظلِّمةً من مروان بن الحَكَم؛ حبس غلاماً، هي جدَّتُه، فدخلَتْ عليه فقال: مَنْ أنتِ؟ فانتسبَتْ له، فعرفَها، فقال: ما الذي أقْدَمَكِ علينا اليوم، وبالأمسِ تشتميننا، وتُحرِّضين علينا عدوَّنا؟ فقالت: إنَّ لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يَسْفَهون بعد حِلْم، وإنَّ أولى [الناس] باتِّباع ما سنَّه آباؤه لأنتَ. فقال: أنسيتِ قولكِ:

يا آلَ مَذْحِجَ لا مُقامَ فشَمِّروا ... إنَّ العدوَّ لآل أحمدَ يرصُدُ[(١)]
هذا عليٌّ كالهلالِ تحفُّهُ ... وَسْطَ السماء من الكواكب أَسْعُدُ[(٢)]
خيرُ الخلائق وابنُ عمِّ محمدٍ ... إنْ يهدكُمْ فاليوم[(٣)] منه تهتدوا

فقال بعض جلسائه وهي القائلة:

إمَّا هلكتَ أبا الحُسَيْنِ[(٤)] فلم تزل ... بالحقّ[(٥)] تعرف هادياً مهديَّا
قد كنتَ بعد محمد خَلَفاً كما[(٦)] ... أوصى إليك بنا وكنت وَفِيَّا[(٧)]
فاليومَ لا خَلَفٌ يؤمَّل[(٨)] بعدَهُ ... هيهات نأمُلُ[(٩)] بعدَه إنْسيَّا

فقالت: يا معاوية، واللهِ ما أورثك الشنآن في قلوب المسلمين إلا هذا وأمثالُه، فادْحَضْ مقامَهم، وأبْعِدْ منزلتهم عنك تزدَدْ من الله قُرْباً ومن المسلمين حُبًّا، كان أميرُ المؤمنين أحبَّ إلينا منكَ، وأنتَ أحبُّ إلينا من غيرك. قال: مِمَّن؟ قالت: من مروان

---

(١) في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٩، و«تاريخ دمشق» ص٥٢٠: يقصدُ.

(٢) يعني سُعود النجوم، وهي عدة كواكب يقال لكل واحد منها سَعْد، منها سَعْد الذابح، وسَعْد بَلَع، وسعد السعود، وسعد الأخبية. ينظر «القاموس».

(٣) في «العقد الفريد» ٢/ ١٠٩: بالنور، بدل: فاليوم. وجاء الشطر الثاني للبيت في «تاريخ دمشق» ص٥٣١: وكفى بذلك في العدوّ تهدُّدُ.

(٤) في (ب) و(خ): أبا تراب، ولا يتَّزن به البيت، والمثبت من المصدرين السابقين.

(٥) في (ب) و (خ): فلن يغرك... فالحق (؟) والمثبت من المصدرين السابقين.

(٦) في (ب) و(خ): لنا. والمثبت من المصدرين السابقين.

(٧) في (ب) و (خ): وصيًّا. والمثبت من المصدرين السابقين.

(٨) في (ب) و (خ): ليومك. والمثبت من المصدرين السابقين.

(٩) في «تاريخ دمشق»: نمدح.

وسعيد. قال: حاجتَكِ؟ فذكرتْ قصتها مع مروان وقالت: إنه لا يحكم بعدل، ولا يقضي بسنَّة، يتتبَّعُ عثراتِ المسلمين، ويكشف عوراتِ المؤمنين، وحبس ابني، فأتيتُه أُكلِّمُه، فأغلظ لي.

فوصلها معاوية وأحسنَ إليها، وكتبَ إلى مروان ينهاه عنها، ويأمره بإطلاق ابنها.

ذكر أخبار متفرقة من سيرة معاوية:

ولَّاه عمر رضي الله عنه الشام عند موت أخيه يزيد بن أبي سفيان سنة تسع عشرة(١).

وكان عمر رضي الله عنه كتب إلى يزيد بن أبي سفيان بغزو قَيْساريَّة، فغزاها وبها بطارقةُ الروم، فخلَّف أخاه معاوية عليها. وسارَ يزيد يُريد دمشق، وأقام معاوية على قيساريَّة حتى فتحَها في شوَّال سنة تسع عشرة.

وتوفِّي يزيد في ذي الحجة من ذلك العام، واستخلفَ أخاه على عمله، فكتبَ إليه عمر رضي الله عنه بعهده على ما كان يزيدُ يليه من عمل الشام، ورزقَه ألف دينار في كل شهر(٢)، فأقام أربع سنين. ومات عمر رضي الله عنه، فأقرَّه عثمان رضي الله عنه على ذلك اثنتي عشرة سنة(٣).

وكان عمر رضوان الله عليه إذا دخل الشام ورأى معاوية يقول: هذا كسرى العرب(٤).

وذُمَّ [معاويةُ] عند عمرَ رضوان الله عليه، فقال: دعُونا من ذمِّ مَنْ يضحكُ في الغضب، ولا يُنال ما عندَه إلا بالرِّضى، ولا يُؤخذُ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه(٥).

وقال [ابن] عمر: ما رأيتُ أحداً بعدَ رسول الله ﷺ أسودَ من معاوية. قيل له: فالخلفاءُ الأربعة؟ فقال: كانوا واللهِ خيراً منه وأفضل، وكان أسودَ منهم(٦).

---

(١) التبيين في أنساب القرشيين ص٢٠٥ . وذكر فيه ابن قدامة أيضاً قبله أن يزيد بن أبي سفيان مات في طاعون عَمَواس سنة ثماني عشرة. وهو في «طبقات» ابن سعد ٦/ ١٥ .

(٢) كذا في «التبيين». وفي «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤ و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ١٩ و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ١٣٣ : ثمانين ديناراً في كل شهر.

(٣) التبيين في أنساب القرشيين ص٢٠٥ .

(٤) كذا وقعت العبارة في (ب) و (خ) (والكلام ليس في م)، وعبارة «التبيين» ص٢٠٦ (والكلام منه): وقال عمر رضي الله عنه حين دخل الشام ورأى معاوية: هذا... وعبارة «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٢١٧ : كان عمر إذا رأى معاوية قال....

(٥) التبيين ص٢٠٦ وما سلف بين حاصرتين منه.

(٦) المصدر السابق، وما سلف بين حاصرتين منه، وثمة أخبار بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٢٧٦ .

وكان عاملُ معاويةَ على المدينة إذا أرادَ أنْ يُبْرِدَ بريداً نادى: مَنْ له حاجةٌ إلى أمير المؤمنين فليكتبها. فكتب زرُّ بن حُبَيْش ـ أو أيمن بن خُرَيْم ـ كتاباً لطيفاً، ورمى به بين الكتب، وفيه:

إذا الرجالُ ولَدَتْ أولادُها ... واضطربَتْ من كِبَرٍ أعضادُها
وجعلَتْ أسقامُها تَعْتَادُها ... فهي زُروعٌ قد دَنا حصادُها

فلما وردت الكتب قرأ معاوية الكتاب، فقال: نعى إليَّ نفسي[1].

ونظر إلى رجل في عباءة فازدراه، فقال له: إنَّ العباءة لا تُكلِّمك، وإنَّما يُكلِّمك مَنْ فيها[2].

وقال قَبيصة بن جابر[3] الأسديّ: صحبتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما رأيتُ رجلاً أفقهَ ولا أحسنَ مدارسةً منه، وصحبتُ طلحةَ بنَ عُبيد الله، فما رأيتُ رجلاً أعطى الجزيل من غير مسألة مثله[4]، وصحبتُ معاويةَ، فما رأيتُ رجلاً أثقل حلماً، ولا أبعدَ أناةً منه، وصحبتُ زياداً، فما رأيتُ رجلاً أشبه سريرةً بعلانية منه، ولو أن المغيرةَ بنَ شعبة جُعل في مدينة لا يُخرج من أبوابها كلِّها إلا بالغَدْر[5] لخرجَ منها.

ذكر أولاده:

كان له من الولد[6]: عبدُ الرحمن، ويزيد، وعبدُ الله، وهند، وعاتكة[7]، ورَمْلَة، وصفيَّة، وعائشة.

وأولُ مولودٍ وُلد له عبدُ الرحمن، وبه كان يكنى [ولا عقبَ له.

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٣٥، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٥.
(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٣٦.
(٣) في (ب) و (خ): الحارث، بدل: جابر، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٣٣٧. والخبر فيه مختصر.
(٤) في «تاريخ الطبري»: للجزيل... منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ١١٧ و ١٣٦.
(٥) يعني بالمكر، كما في روايات أخرى.
(٦) في (م): قال هشام: كان لمعاوية من الولد.
(٧) لم أقف على من ذكر عاتكة من أولاد معاوية رضي الله عنه، وقد صرَّح البلاذُري في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٧ أن عاتكة هي بنت عبد الله بن معاوية. وجاء ذكرها كذلك في «المعارف» ص٣٥٠، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٦٣ في الكلام على عبد الله بن معاوية.

وأما عبدُ الله، فكان ضعيفاً، ولقبُه: مُبَقَّت[١]] ولا عقبَ له من الذكور.

[وقال ابن عساكر:][٢] وكنيتُه أبو الخير، وقيل: أبو سليمان، وكان يضعَّف في عقله.

وأختُه هند بنت معاوية. وأمُّ عبد الرحمن وعبد الله وهند: فاختة[٣] بنت قَرَظَة بن عَبْد عَمرو بن نوفل بن عبد مناف. غزت فاختة مع معاوية قبرس سنة ثمان وعشرين، أو خمس وعشرين، وماتَتْ هناك[٤].

وقيل: إن التي ماتت هناك كَنُود ابنة قَرَظة أختُ فاختة[٥].

قال الطبري[٦]: مات عبد الرحمن صغيراً.

ويزيد أمُّه ميسون بنت [بَحْدَل بن أُنَيْف بن] دَلْجَة بن قُنافة بن عديّ بن زهير بن حارثة ابن جناب الكلبيّ، ولَدَتْ له يزيد وابنةً يقال لها: أَمَةُ رَبِّ المشارق، فماتت صغيرة.

رَوَتْ ميسون عن معاوية الحديث، وروى عنها محمد بن عليّ، وكانت لبيبة، وهي التي دخل عليها خَصِيٌّ، فاستترَتْ منه[٧].

[قال البلاذُري: أم يزيد اسمها ميسون بنت بَحْدَل بن أُنَيْف][٨] كلبيّة، حُملت إلى معاوية من البادية، فأسكنها الخضراء[٩] بدمشق، فأقامت عنده مُدَيْدَةً، فَحنَّتْ إلى وطنها، فقالت [تتذكَّر الزمنَ الماضي بهذه الأبيات]:

لَلُبْسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني أحبُّ إليَّ من لُبْس الشُّفوفِ

---

(١) وزن، معظَّم، أي: أحمق (كما في القاموس). ووقع في هذا الموضع من النسخ الثلاث سقط واضطراب. واستدركتُ ما بين حاصرتين من «المعارف» ص٣٥٠ ليستقيم الكلام، وتحرف فيه لفظة: مبقَّت، إلى: منقب، وتحرف في «طبقات» ابن سعد ٦/ ١٥ إلى: مبقث. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٥، و«تاريخ دمشق» ٣٩/ ١٥٦ (ترجمة عبد الله بن معاوية) و ٤٢/ ٩ (ترجمة عبد الرحمن بن معاوية).

(٢) ما بين حاصرتين من (م)، والكلام في «تاريخ دمشق» ٣٩/ ١٥٦ (ترجمة عبد الله بن معاوية) بنحوه.

(٣) في (ب) و (خ): وفاختة، وهو خطأ، والكلام ليس في (م).

(٤) تاريخ دمشق ص٢٦٦ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق).

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٩، وتاريخ دمشق ص٣١٨ (تراجم النساء).

(٦) في «تاريخه» ٥/ ٣٢٩.

(٧) تاريخ دمشق ص٣٩٧ (تراجم النساء).

(٨) ما بين حاصرتين استدركتُه من (م) (على بعض تحريف فيه) وجاء فيها في ترجمة مختصرة لها. ولم أقف عليه عند البلاذُري في «أنساب الأشراف». وهو بنحوه في «مختصر تاريخ دمشق» ص٤٠١ (تراجم النساء).

(٩) أي: قصر الإمارة.

وبـيـتٌ تـخـفُـقُ الأرواحُ[1] فـيـه أحـبُّ إلـيَّ مـن قَـصـرٍ مُـنـيـفِ
وكـلـبٌ يـنـبـحُ الأضـيـافَ مـنّـي[2] أحـبُّ إلـيَّ مـن هِـرٍّ أَلـوفِ
وخِـرْقٌ مـن بـنـي عـمِّـي كـريـمٌ أحـبُّ إلـيَّ مـن عِـلْـجٍ عَـلِـيـفِ[3]

وسمعَها معاويةُ فقال: أنا العِلْجُ العَلِيف، فطلَّقَها وردَّها إلى أهلها، وذلك بعد ما ولدت يزيد.

[والخِرْق، بخاء معجمة وراء مهملة: السَّخِيُّ الكريم].

ولم يكن عند معاوية أعزَّ عليه من يزيد، واجتمع عنده الخطباء، فأكثَرُوا، فقال: لأَرْمِيَنَّكُم بالخطيب المِصْقَع، قُم يا يزيد.

وكان عبدُ الله بنُ معاوية من أضعف الناس عقلاً وأحمقِهم، وشهد مَرْجَ راهِط مع الضحَّاك بن قيس، فأُخِذَ أسيراً، فأُتيَ به عَمرَو بنَ سعيد الأشدق، فقال عمرو: يا أبا سليمان، نحن نُقاتل لنَشُدَّ مُلْكَكُم، وأنت تُقاتل لتُضعفه! فقال له: اسكُتْ يا لطيم الشيطان[4].

مرَّ عبدُ الله بطحَّان قد علَّق في عنق بغلِ الطاحونة جُلاجِلَ[5]، فقال عبد الله: لِم فعلتَ هذا؟ فقال: أنا في العِلِّيَّة وهو يدور، فربَّما وقف ولم أعلم به، فجعلتُ في عنقه هذه الجُلاجِل حتى إذا وقف علمتُ. فقال: أرأيتَ لو وقفَ وحرَّك رأسَه، من أينَ تعلم أنه قد وقف؟ فقال الطحَّان: ليس له عقل مثل عقل الأمير، إذْ لو كان له عقلٌ كعقل الأمير لوقف[6]!.

---

(١) في (م): الأرياح، وكلاهما جمع ريح.

(٢) في (م): منه.

(٣) أي: سمين (قاله ابن عساكر). ووقع في (ب) و (خ): عنيف (وكذا في الموضع الآتي) والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ص٤٠٠ و ٤٠١ (تراجم النساء).

(٤) أنساب الأشراف ٥/ ٣٠٨، وتاريخ دمشق ٣٩/ ١٥٧ (طبعة مجمع دمشق). قوله: لطيم الشيطان: لقب لعمرو بن سعيد الأشدق لقب به لأنه كان أفقم مائل الذقن. قاله العسكري في «الأوائل» ١/ ٣٦١. ويقال هذا اللقب أيضاً لمن به لَقْوَة. ينظر «مجمع الأمثال» ١/ ٤٣٧.

(٥) جمع جُلْجُل، وهو الجرس الصغير.

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٩، وتاريخ دمشق ٣٩/ ١٥٧.

وبعث عبدُ الله بن معاوية إلى خالد بن عبد الله بن أسيد بقُبَّة إلى العراق، فلما وليَ الحجَّاج وجدَها، فكتب إلى عبد الملك بن مروان يقول: إن عبد الله بن معاوية بعث بها إلى مصعب بن الزبير. فغضب عبد الملك وقال لعبد الله: ألستَ صاحبَ المَرْج، وتُهدي إلى عدوِّي قُبَّة؟! فقال: كذب الحجَّاج، إنما بعثتُ بها إلى خالد بن عبد الله. فصدَّقه عبد الملك[1].

وأما هند [بنت معاوية] فتزوَّجها عبدُ الله بنُ عامر بن كُريز.

[قال ابن عساكر[2]: كان دارُها بدمشق في دَرْب القلي] ولما كانت الليلة التي بنى بها ابنُ عامر امتنعت منه، فضربَها، فبكت وبَكَيْنَ جواريها[3] وصِحْنَ، فسمع [ذلك] معاوية، فأُخبر الخبر، فجاء فدخل وقال لابن عامر: قَبَّحَكَ الله، مثلُ هذه تُضرب! وكانت بنتَ تسع سنين، وكان معاوية قد بنى لها داراً إلى جانبه، وفتح لها باباً إليه. ثم قال لابن عامر: اخرُجْ. فخرج، فقال لها معاوية: يا بُنَيَّة، إنما هو بَعْلُكِ الذي أحلَّه اللهُ لكِ، وأحلَّكِ له. وأوجب الله عليك طاعته. ألم تسمعي إلى قول القائل:

مِن الخَفِراتِ[4] البِيض، أمَّا حَرامُها فصعبٌ وأمَّا حِلُّها فذَلُولُ

ثم خرج، ودخل ابنُ عامر، فنالَ منها حاجته.

[وقد ذكرنا أنَّ ابنَ عامر طلَّقها لَمَّا رأى الشيب في وجهه][5].

وأمَّا عاتكة بنت معاوية[6] فتزوَّجها يزيدُ بن عبد الملك، وفيها قيل:

يا بيْتَ عاتكةَ التي أتَعزَّلُ حَذَرَ العِدَا وبهِ الفؤادُ مُوَكَّلُ[7]

(١) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٦ . ولم يرد هذا الخبر ولا اللذان قبله في (م).

(٢) تاريخ دمشق ص٤٥٩ ـ ٤٦٠ (تراجم النساء). وما بين حاصرتين من (م).

(٣) كذا في النسخ، وهو لغة.

(٤) جمع خَفِرة، وهي شديدة الحياء.

(٥) في ترجمته في أحداث السنة الثامنة والخمسين.

(٦) كذا قال المصنف، وذكرها أيضاً أول الفقرة، والذي قاله البلاذُري في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٧: إنها بنت عبد الله بن معاوية.

(٧) البيت للأحوص الأنصاري، قيل: اسمه عبد الله، ولُقِّب بالأحوص لِحَوَصٍ في عينيه (أي: ضِيق في مُؤْخِر العين). ينظر «الأغاني» ٤/ ٢٢٤ و ٢١/ ٩٥ و ٩٨ . قال أبو الفرج: أتعزَّل، أي: أكونُ بمَعْزِلٍ عنه، والعِدا: جمع عدوّ. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٧ .

وأمَّا رَمْلَة بنتُ معاوية؛ [فقال البلاذُري[١] :] أمُّها كَنُود بنتُ قَرَظة [أخت فاختة.

قال ابن عساكر[٢] :] وكانت لها دار بدمشق في طرف زقاق الرمان، وطاحونة معروفة إلى هلمَّ جَرًّا، وشهدَتْ وفاةَ أبيها معاوية، وتزوَّجت عمرو بن عثمان بن عفَّان، فولدَتْ له خالداً وعثمان.

واشتكى عمرو بالمدينة، فكان عُوَّاده يدخلون عليه ويخرجون، ويتخلَّف عنده مروان، فيُطيل، فأنكرَتْ رَمْلَةُ ذلك، فخرقَتْ كُوَّةً، وتسمَّعت عليه يوماً، فإذا مروان يقول لعمرو: ما أخذَ معاوية الخلافة إلا باسم أبيك، فما يمنعُكَ من النهوض إلى حقِّك؟ فلنحن أكثرُ رجالاً منهم، منّا فلان، ومنهم فلان، حتى عَدَّ رجال بني حرب، ورجال بني أبي العاص[٣]، وعَدَّ ابْنَيها في رجال أبي العاص.

ثم إنَّ عمراً بَرِئَ وخرجَ إلى الحجّ، وخرجَتْ رَمْلَةُ إلى الشام، فدخلت على أبيها، فقال: واسَوْأتاه! أتُطَلَّقُ الحرَّة؟! فقالت: ما طلَّقني، وإنما كان من الأمر كذا وكذا، فما زال مروان يعدُّ رجال بني العاص حتى عدَّ ابنيَّ خالداً وعثمان، فتمنَّيْتُ موتَهما.

فكتب معاويةُ إلى مروان:

أواضِعُ رِجْلٍ فوق أُخرى تَعُدُّنا ... عديدَ الحصى ما إنْ تزالُ تُكاثرُ
وأُمُّكُمُ تُزْجي تُؤاماً[٤] لِبَعْلِها ... وأُمُّ أخيكم نَزْرَةُ الوُلْدِ عاقرُ؟!

ثم عدلَ مروان عن المدينة.

وكتب إليه[٥] :

تُفاخرني بكثرتها قُرَيْطٌ[٦] ... وقَبْلَكَ طالتِ الحَجَلَ الصُّقورُ

(١) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٦.

(٢) في «تاريخ دمشق» ص٩٥ (تراجم النساء). والكلام بين حاصرتين من (م).

(٣) في (ب) و (خ) رجال إلى حرب، ورجال إلى أبي العاص، والصواب ما أثبتُّه، ولم يرد الكلام في (م). وينظر «تاريخ دمشق» ص٩٦ (تراجم النساء).

(٤) جمع تَوْأم، أي: تسوق توائم ....

(٥) أي: معاويةُ. وسياق الكلام يوهم أن الكاتب مروان.

(٦) في «القاموس»: القُروط، بالضم: بطون من بني كلاب، وهم إخوة: قُرط وقَرِيط وقُرَيْط.

فإنْ أَكُ في عِدادكُمُ قليلاً ... فإنّي في عدوّكم كثيرُ
بُغاثُ الطير أكثرُها فِراخاً ... وأمُّ الصَّقر مِقْلاتٌ[1] نَزُورُ[2]

يا مروان، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغَ ولدُ الحَكَم ثلاثين رجلاً اتَّخَذُوا مالَ الله دُوَلاً، ودينَ الله دَخَلاً، وعبادَ الله خَوَلاً»[3].

فكتب إليه مروان: إني أبو عَشَرة، وأخو عَشَرة، وعمُّ عَشَرة، والسلام[4].

وهذه رَمْلةُ هي التي كان يُشَبِّبُ بها وبأُختِها هندٍ عبدُ الرحمن بنُ حسان بن ثابت، وفيها يقول[5]:

أُؤَمِّلُ هنداً أن يموتَ ابنُ عامرٍ ... ورَمْلَةَ يوماً أنْ يُطَلِّقَها عمرُو

[وذكر ابن عساكر في «تاريخه» وقال[6]:] قدمَ عبدُ الرحمن [بن حسان بن ثابت] الشام، فأقام بباب معاوية مدة لم يؤذن له، فقال يزيد لأبيه: اقتُلْه. قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّه قد شبَّبَ بأختي هند. قال: وما الذي قال؟ قال: فإنه يقول:

طال ليلي وبتُّ كالمحزونِ ... ومَلِلْتُ الثَّواءَ في جَيْرونِ

فقال معاوية: وما علينا من طُول ليلِهِ [وحُزنه] ومللِه؟ قال: فإنه يقول:

ولذاك اغْتَرَبْتُ بالشام حتى ... ظنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظنونِ

فقال معاوية: وما علينا من ظنِّ أهلِهِ؟ قال: فإنه يقول:

هيَ زَهْراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوَّ ... اصِ صِيغَتْ من جَوْهرٍ مَكْنُونِ

---

(١) المِقْلاتُ: التي تضع واحداً ثم لا تحمل.

(٢) الشعر لمعوّد الحكماء (معاوية بن مالك) كما في «معجم الشعراء» للمرزباني ص٣١٠، وتمثَّل به معاوية رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١١٧٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإسناده ضعيف كما ذكر محققوه، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٩/ ٢٦٨ : فيه غرابة ونكارة شديدة.

(٤) الخبر في «نسب قريش » ص١٠٩ ـ ١١٠، و«تاريخ دمشق» ص٩٦ ـ ٩٧ (تراجم النساء) دون قوله: ثم عدل مروان عن المدينة وكتب إليه... الأبيات، وقد جاءت هذه الفقرة في «أنساب الأشراف» ٤/ ٥٤، وجاء بعدها ٤/ ٥٥ صدرُ القصة المذكورة.

(٥) نُسب البيت في «نسب قريش» ص١١٣ وص١٢٨، و«تاريخ دمشق» في ترجمة كل من رملة وهند ص٩٧ و ٤٥٩ لعبد الرحمن بن الحكم.

(٦) الخبر بهذا السياق في «الأغاني» ١٥/ ١٠٩ ـ ١١٠، ولم أقف عليه بتمامه في «تاريخ دمشق»، وإنما فيه بعضه ٩/ ٩١٣ (مصورة دار البشير ـ ترجمة عبد الرحمن بن حسان). والكلام بين حاصرتين من (م).

قال: صدق. قال: فإنه يقول:

وإذا ما نَسَبْتَها لم تَجِدْها … في سَناءٍ من المكارم دُونِ

قال: صدق. قال: فإنه يقول:

ثم خاصَرْتُها إلى القُبَّةِ الخَضْـ … ـراءِ تمشي في مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

قال: كذبَ، ولا كلُّ هذا. ثم ضحك وقال: ما الذي قال أيضاً؟ فقال:

قُبَّةٍ من مَراجلٍ[1] ضربوها … عند حدِّ الشتاء[2] في قَيْطُونِ[3]

عن يساري إذا دخلتُ من البا … بِ وإن كنتُ خارجاً عن يميني

تجعلُ النَّدَّ والأُلُوَّةَ والعُو[4] … دَ صِلاءً ليلاً[5] على الكانونِ

وقِبابٌ قد أُشْرِجَتْ وبيوتٌ … فَرَشُوها[6] بالآسِ والزَّرَجونِ[7]

فقال معاوية: يا بنيّ إنَّ القتل لا يجبُ بهذا، والعقوبةُ تزيدُه حَنَقاً، فيزيدُ في قوله، ولكن نتجاوز عنه ونَصِلُه. فوصلَه معاوية: فكفَّ عن قوله.

[وقال أبو عُبيدة: هذه الأبيات لأبي دَهْبَل الجُمحي، واسمه وَهْب بن زَمْعة الشاعر، إسلامي، وله ديوان معروف.

وحكى ابنُ عساكر له قصة عجيبة[8]؛ قال: قدم الشام للغَزْو، فنزل دمشق، فجاءته امرأة وهو بجَيْرُون، فدفعت إليه كتاباً، فقرأه، فقالت: لو بلغتَ معي إلى هذا القصر، فقرأتَه على امرأة فيه؛ كان لك أجر. فبلغ معها القصر، ودخل، فأغلقت المرأة الباب، وجاءته امرأة جميلة، فدَعَتْه إلى نفسها، فأبى وقال: والله لا أفعلُه إلا حلالاً،

(١) في (ب) و(خ): من طرائف، ووقع في (م): من طرائف من مراجل. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٢٥، و«الأغاني» ١٥/ ١١٠. والمراجل: القدور النحاس. وسيذكره المصنف.

(٢) في (م): البناء.

(٣) القيطون: المخدع (الحجرة في البيت) وسيذكره المصنف.

(٤) النَّدُّ: ضرب من النبات يُتبخَّر به، والأُلُوَّة والعُود: طِيب يُتبخّر بهما كذلك.

(٥) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٢٥، و«الأغاني» ١٥/ ١١٠: لها.

(٦) في «أنساب الأشراف»: نظفوها، وفي «الأغاني»: نظفت.

(٧) أي: قضبان الكرم.

(٨) تاريخ دمشق ١٧/ ٩٤٠ ـ ٤٩١ (مصورة دار البشير). وهذا الكلام الواقع بين حاصرتين من (م).

فتزوَّجها، وأقام عندها زماناً طويلاً، فأيس منه أهله، فاقتسموا ماله إلا امرأته، فإنها لم تأخذ من ماله شيئاً، ولم تيئس منه، وحزنت عليه، فكانت تبكي عليه ليلاً ونهاراً.

فقال يوماً لامرأته الشاميَّة: إنك قد أَثِمْتِ فيَّ وفي ولدي، فإن رأيتِ أن تأذني لي حتى آتيَهم، وأُعطيكِ عَهْدَ الله أنني أرجع إليك، فأَجَّلَتْه سنة، وأعطته مالاً كثيراً.

وقدم على أهله، فوجدهم قد اقتسموا ماله، ورأى حزن زوجته وما هي فيه، فدفع إليها المال، وقال لأولاده: واللهِ لا أُعطيكم منه شيئاً، أنتم ورثتُموني وأنا حيّ، فهو حظُّكم. ثم قال في زوجته الشامية هذه الأبيات:

صاح حيّا الإلهُ حيًّا ودُوراً ... عند أصلِ القناةِ من جَيْرُونِ
فبتلك اغتربتُ بالشام حتى ... ظنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظُّنونِ
ثم فارقتُها على خير ما كا ... نَ قرينٌ مفارقٌ لقرينِ
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوَّ ... اصِ صِيغَتْ من جوهرٍ مَكْنُونِ[1]

قال: ثم خرج أبو دَهْبَل إلى الشام، فبلغه وفاةُ المرأة الشاميَّة، فرجَع.

وقوله: المراجل، يعني القُدور النُّحاس، وأما القَيْطُون، فهو المُخْدَع بلغة أهل مصر، وأما المَسْنُون؛ فهو المصوَّر].

قال عُمر بن شَبَّة[2]: شبَّبَ عبد الرحمن بنُ حسان برمْلَةَ وهندٍ ابنتي معاوية، فقال في رملة:

رَمْلَ هل تذكرين يومَ غزالٍ ... إذْ قَطَعْنا مَسِيرَنا بالتَّمنِّي
إذْ تقولين عَمْرَكَ اللهُ هل شي ... ءٌ وإنْ جَلَّ سوف يُسْلِيكَ عنّي
أَمْ هَلُ اطْمِعْتُ منكم بابن حسا ... نَ كما قد أراكَ أُطْمِعْتَ منّي

وبلغ يزيد، فقال لأبيه معاوية: ألا ترى إلى هذا العِلْج من أهل يثرب ينتهكُ أعراضَنا، ويُشَبِّبُ بأهلنا ونسائنا! فقال: ومن هو؟ قال: ابنُ حسان. وأنشد قوله. فقال معاوية: يا يزيد، ليست العقوبة من أحدٍ أقبحَ منها من ذوي القُدرة، فأَمْهِلْ حتى يَقْدَمَ وفدُ الأنصار، وأَذْكِرْني به.

---

(١) قال ابن عساكر: رُوي هذا الشعر لعبد الرحمن بن حسان، وليس بصحيح.

(٢) الأغاني ١٥/١٠٦ ـ ١٠٨، وتاريخ دمشق ٩/٩١٣ ـ ٩١٤. (مصورة دار البشير).

فلما قدموا أخبره، فلما دخل على معاوية قال: ألم يبلغني أنك تُشَبِّبُ بِرَمْلَةَ؟ قال: بلى، ولو علمتُ أنَّ أحداً أشرفَ منها لشعري لذكرتُه. فقال له معاوية: وأين أنتَ من أختها هند؟ قال: وإن لها أختاً اسمُها هند؟! قال: نعم. قال: وإنَّما قَصَدَ معاويةُ أَنْ يُشَبِّبَ بهندٍ، فيُكذِبَ نفسَه.

فلم يرضَ يزيد بهذا، فأرسلَ إلى كعب بن جُعَيْل، فقال: أُهْجُ الأنصار. قال: فإنَّ لهم عندي يداً في الجاهلية ولا أُجازِيهم بالهجو، ولكن عليك برجل لا يخاف الله، ولا يستحيي من الناس. قال: مَنْ هو؟ قال: الأخطل. فأرسلَ إليه، فهجاهم، فقال:

وإذا نَسَبْتَ ابنَ الفُريعة[1] خِلْتَه ... كالجحش بين حمارة وحمارِ

لعن الإلهُ من اليهودِ عصابةً ... بالجِزْعِ بين صُلَيْصلٍ وصُؤارِ[2]

قومٌ إذا هَدَرَ العصيرُ رأيتَهمْ ... حُمْراً عيونُهمُ من المُسْطارِ[3]

خَلُّوا المكارمَ لستُمُ من أهلها ... وخُذُوا مَساحِيَكُم[4] بني النَّجَّارِ

ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا ... واللُّؤْمُ تحت عمائمِ الأنصارِ

ومدح معاوية، فقال:

تَسْمُو العيونُ إلى إمامٍ عادلٍ ... مُعْطَى المهابةِ نافعٍ ضرَّارِ

وتُرَى عليه إذا العيونُ لَمَحْنَهُ ... سيما الحليمِ وهيبةُ الجبَّارِ

وبلغ النعمانَ بنَ بشير، فدخل على معاوية فحسَرَ عن رأسه وقال: أيزعُم الأخطل أنَّ اللؤمَ تحت عمائمنا؟! قال: أوقد فعل؟ قال: نعم. قال: لك لسانُه. فالتجأ إلى يزيد، فحماه، وقال للنعمان: أقِمِ البيِّنَة. فقال: يا يزيد، وأيُّ بيِّنة أبينُ من قوله[5]؟!

---

(١) الفُرَيْعة: أمّ حسَّان بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) كذا في (ب) و(خ) (والكلام ليس في م). وفي «معجم البلدان» ٣/ ٤٣٢: صؤار: موضع بالمدينة. وفي «الأغاني» ١٥/ ١٠٧: صِرار. بدل: صُؤار. وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة، وصُلَيْصل تصغير صُلْصُل؛ موضع على سبعة أميال من المدينة. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٣٩٨ و ٤٢١. والجِزْع: منعطف الوادي.

(٣) بضم الميم: الخمر التي تصرع صاحبها، ويقال بالصاد أيضاً. ينظر «القاموس».

(٤) جمع مِسْحاة، وهي الأداة التي تُقشر بها الأرض وتُجرف.

(٥) الخبر في «الأغاني» ١٥/ ١٠٦ ـ ١٠٨، و«تاريخ دمشق» ٩/ ٩١٣ ـ ٩١٤ (مصورة دار البشير) ما عدا البيتين اللذين مدح الأخطل بهما معاوية. وهما في «العقد الفريد» ١/ ٣٩. وينظر «ديوان الأخطل» ص٣١٤. ولم يرد هذا الخبر في (م).

وأمَّا صفيَّة بنت معاوية؛ فتزوَّجها محمد بن زياد بن أبيه، وأمُّها أمُّ ولد[١].

وعائشة بنت معاوية لأمِّ ولد؛ دخلَ عمرو بن العاص على معاوية[٢] وبين يديه ابنتُه عائشة وهي صغيرة، فقال: مَنْ هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: ريحانةُ قلبي عائشة. فقال: انبِذْها عنك، فوالله إنهنَّ لَيُكثِرْنَ[٣] الأعداء، ويُقَرِّبْنَ البُعداء، ويُورِثْنَ الضَّغائن. فقال معاوية: لا تقُلْ هذا، فواللهِ ما مرَّض المرضى، ولا ندَبَ الموتى، ولا أعان على الأحزان مثلُهنَّ، ورُبَّ ابنِ أخت قد نفع خالَه[٤].

وقد أشار إلى ما قال معاويةُ حِطَّان[٥] بن المُعَلَّى - وقيل: المعلَّى بن الحمل[٦] - العَبْدي من شعراء الحماسة حيث يقول:

أنزلني الدهرُ على حُكْمِهِ ... من شامخٍ عالٍ إلى خفضِ
وعالني[٧] الدهرُ بوَفْرِ الغِنى ... فليس لي مالٌ سوى عِرْضِي
أبكانيَ الدَّهْرُ ويا رُبَّما ... أضحكني الدهرُ بما يُرْضي
لولا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ القَطا ... جُمعن[٨] من بعضٍ إلى بعضِ
لكان لي مضطربٌ واسعٌ ... في الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ
وإنَّما أولادُنا بيننا ... أكبادُنا تمشي على الأرضِ

وتزوَّج معاوية نائلة بنت عُمارة الكلبية، فقال لميسون: اذْهبي فانظري إلى ابنة عمِّك، فذهبت وعادت، فقال: كيف رأيتِها فقالت: جميلة كاملة، ولكن رأيتُ تحت سرَّتها خالاً، لَيُوضَعنَّ رأسُ زوجِها في حِجْرها. فطلَّقها معاوية، فتزوَّجت حَبِيبَ بن

---

(١) تاريخ دمشق ص٢٠٠ (تراجم النساء).
(٢) نُسب الخبر في (م) لابن عساكر، ولم أقف عليه فيه؛ وهو بنحوه في «العقد الفريد» ٢/ ٤٣٨.
(٣) في «العقد الفريد»: ليلدن.
(٤) في (م) و «العقد»: نفعه خالُه.
(٥) في «شرح الحماسة» ١/ ٢٨٥: خطاب.
(٦) كذا في (ب) و (خ). وفي «العقد الفريد» ٢/ ٤٣٨: المعلّى الطائي.
(٧) في «شرح الحماسة»: وغالني، بالغين المعجمة؛ قال الشارح: يروى: عالني، ومعناه: غلبني، ويُروى غالني، ومعناه: أهلكني بارتجاع عواريِّه من المال، واستلاب ما كنتُ وُفِرْتُ به من العتاد.
(٨) في «شرح الحماسة»: رُدِدْن.

مَسْلَمَة الفِهْريّ[١]، ثم مات، فتزوَّجَها النُّعمان بنُ بشير الأنصاري، فقُتل، ووُضع رأسُه في حِجْرِها[٢].

[وقال أبو اليقظان: لم يكن عند معاوية أحظى في نسائه من فاختة بنت قَرَظة، وجرت لها واقعة عجيبة، قال:] كان معاوية جالساً على سريره، فدخل بعض الأعراب عليه، فلم يعبأ به، وشُغل عنه، وكان الرجل قد أتى من شُقَّة بعيدة، فنام خلف السرير، وخرجَ معاوية إلى صلاة العصر[٣] والرجلُ نائمٌ على حاله، فلم يزل إلى الليل، وعاد معاوية بعد العشاء الآخِرة، وأوقدوا السُّرُج، ففتح الرجلُ عينه، فرأى السُّرُج فأُسقِطَ في يده، وأيقَن بالهلاك، وقال في نفسه: جئتُ أبغي الخير، فوقعتُ في الشَّرّ، الآن أُؤخَذُ فيقال: إنما جاء ليغتال معاوية. فلَبَدَ تحت السرير.

ولبس معاوية مُلاءةً حمراء، وكان شيخاً عظيم البطن، واستدعى فاختة ابنة قَرَظة [زوجته] وكانت أحظى نسائه، فجاءت، فرمى عنها ثيابَها، وبقيت في درع رقيق يبينُ منه جميع بدنها، فقال لها: عزمتُ عليك إلا نزلتِ فمشَيْتِ. فنزلت ومشَتْ، وقال لها: أقبِلي. فأقبلت. ثم قال لها: أدْبِري. فأدبرت [ثم قال: أقبلي. فأقبلت، حتى فعلت ذلك مراراً] والأعرابيّ ينظرُ إليها، فالتفتَتْ وإذا عينا الرجل تَزْهَرَانِ من تحت السرير [فصاحت وقالت: افتَضَحْتُ. وقعدَتْ، وتقنَّعت بيديها، فقام معاوية إليها فقال: مالكِ، ويحك؟! قالت: رجلٌ تحت السرير][٤] فأدخل معاوية يده، فأخذ برأسه، فأخرجه وقال: ما قِصَّتُك؟! فأخبره خبرَه، فقال: لا بأس عليك وهو يضحك ويحادثُه حتى طلع الصباح، فوصلَه، وأرسلَ إلى فاختة وقال لها: [إن] الرجل الذي استخلاك البارحة لابدَّ له من صلة. فوصَلَتْه، وانصرف [الرجل] داعياً بعد أنْ كان [أيقن بالهلاك، و] يئس من الحياة.

وبلغ الأحنفَ بنَ قيس فقال: إلى ههنا ـ واللهِ ـ انتهى الحِلْم ومكارمُ الأخلاق.

---

(١) مختلف في صحبته، والراجح ثبوتها لكنه كان صغيراً، وله ذكر في الصحيحين. قاله ابن حجر في «التقريب». وتحرف حبيب في (ب) و(خ) إلى: حندب، ولم يرد الخبر في (م).

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٩، وتاريخ دمشق ص ٤٠٣ (تراجم النساء).

(٣) في «تاريخ دمشق» ١٩ / ٣٠٩ (مصورة دار البشير): المغرب.

(٤) ما بين حاصرتين في هذا الموضع من «تاريخ دمشق» ١٩ / ٩٠٣، وفي المواضع الأخرى من (م).

ذكر قُضاته وعُمَّاله وحُجَّابه وكُتَّابه:

قد ذكرنا أنه استقضى أبا الدرداء، فلما ماتَ استقضى فَضالة بن عُبيد الأنصاري، فلما مات استقضى أبا إدريس الخَوْلاني، واسمه عائذ الله بن عبد الله.

وأما عُمَّالُه: فمات وعلى الكوفة النعمان بن بشير، وعلى البصرة عُبيد الله بن زياد، وعلى المدينة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان، وعلى مكَّة عمرو بن سعيد، وعلى شرطته الضحَّاك بن قيس الفِهْرِي، وعلى كتابته سرجون مولاه، وعلى حجابته سعد مولاه، وقَنْبَر[(١)] مولاه.

قدم على معاوية أبو مريم الأزدي، فأقام ببابه مدَّة لا يصل إليه، فلما أذِن له دخل عليه فقال: يا معاوية، ما أتيتُك لحاجة، ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ وَلَّاه الله من أمر المسلمين شيئاً، فاحتجَبَ عن حاجتهم وفاقتهم؛ احتجَبَ الله عنه يومَ فَقرِه إليه وحاجته وفاقته، ومن أغْلَقَ بابَه دون ذوي الفقر والحاجة أغلق الله عن فقره وحاجته أبوابَ السماء» فبكى معاوية وقال لسعد مولاه: قد خلعتُ هذا من عنقي وجعلتُه في عنقك[(٢)].

وكان نقش خاتمه: لا حول ولا قوة إلا بالله، لكل عمل ثواب[(٣)].

ذكر مسانيده:

أسندَ عن رسول الله ﷺ مئةً وثلاثةً وستين حديثاً[(٤)]؛ أُخرج له في الصحيحين ثلاثةَ عشرَ[(٥)]، وأخرج له الإمام أحمد بنُ حنبل رضي الله عنه سبعةً وثلاثين حديثاً[(٦)].

وروى معاوية عن أخته أمِّ حَبيبة رضي الله عنها زوجِ النبي ﷺ، وعن جماعة من الصحابة، منهم عمر، وعثمان رضي الله عنهما.

---

(١) ويقال أيضاً: قُتَيْر، وبهذا الاسم ترجم له ابن عساكر في «تاريخه» ٥٩/١ (طبعة مجمع دمشق) وينظر «توضيح المشتبه» ٧/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٢) تاريخ دمشق ١٩/ ١٦٤ ـ ١٦٥ (مصورة دار البشير ـ ترجمة أبي مريم الأزدي).

(٣) تاريخ دمشق ٦٨/ ٢٤٩ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة معاوية).

(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر ص٣٦٤.

(٥) المتفق عليه منها أربعة، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة. التلقيح ص٤٠٠.

(٦) ينظر «مسند» أحمد (١٦٨٢٨) إلى (١٦٩٣٩) و (٢٣٦٨٨).

وروى عنه أبو ذرّ، وأبو سعيد الخُدري، وجَرير بن عبد الله، ووائل بن حُجْر، وعبد الله بن عُمر، وابنُ عباس وابن الزُّبير، والنُّعمان بن بشير، وأبو أُمامة أسعد بن سهل، والصُّنابحيّ، وأبو إدريس الخَوْلاني، وابنُ المسيّب، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وابن جُبير[1]، في آخرين.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه[2]: حدَّثنا ابنُ هشام [حدثنا جعفر] حدثنا يزيد بن الأصم قال: سمعتُ معاويةَ بنَ أبي سفيان يقول على المنبر: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين، ولا تزال عِصابةٌ من المسلمين يُقاتلون على الحقّ، ظاهرين على مَنْ ناوأهم إلى يوم القيامة». أخرجاه في الصحيحين[3].

وعن ابن عباس قال: كنتُ ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ، فتواريتُ منه خلف باب. قال: فَحَطَأَني حَطْأَةً[4] وقال: «اذْهَبْ، فادْعُ لي معاوية». قال: فجئتُ وهو يأكل، فأخبرتُ رسول الله ﷺ فقال: «لا أشبع الله بطنه». انفرد بإخراجه مسلم[5].

هانئ بن عروة المُرادي

كان عُبيد الله بنُ زياد قد سبقَ الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة، وبنى تلك الليلة بأمّ نافع بنت عُمارة بن عقبة بن أبي مُعَيْط، فلما أصبح بَلَغَه خبر مسلم بن عقيل، وأنه عند هانئ، فأحضر هانئ بن عروة، فدخل عليه وبيده عصاً يتوكَّأ عليها وهو ابن تسع[6]

---

(١) تحرفت في (ب) و (خ) إلى: جعفر: وهو محمد بن جُبير بن مطعم، ينظر «تاريخ دمشق» ٦٨/ ١٥٨ (طبعة مجمع دمشق)، و«تهذيب الكمال» ٢٨/ ١٧٨ .

(٢) المسند (١٦٨٤٩)، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) أخرجه مسلم من طريق ابن هشام ـ واسمه كثير ـ في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، بعد الحديث (١٩٢٣). وأخرجه البخاري (٧١) من طريق آخر عن معاوية رضي الله عنه بنحوه في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

(٤) أي: دفعني بكفّه. وذكر ابن الأثير في «النهاية» أنه يُروى أيضاً: فَحَطَاني حَطْوَة، بغير همز. وقال أيضاً: وقيل: لا يكون الحَطْءُ إلا ضربة بالكفّ بين الكتفين.

(٥) في هذه الرواية اختصار مُخلّ. والعبارة في «صحيح مسلم» (٢٦٠٤): قال: فجئت، فقلت: هو يأكل. قال: ثم قال لي: «اذهب فادع لي معاوية». قال: فجئت فقلت: هو يأكل. فقال: «لا أشبع الله بطنه».

(٦) في «مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ٥٩: بضع.

وتسعين سنة، فسلَّم على ابن زياد، وقال: أكل الأمير العيش[(١)] وحده، فقال له ابنُ زياد: تركتَني أتمتَّع بعُرْس وقد ضممتَ إليك عدوَّنا. وذكر بمعنى ما ذكرنا[(٢)]. وقيل له: مُدَّ عنقَك. فقال: ما كنتُ لأُعينَكم على نفسي. فضربوا عنقه.

وروى عن عليّ عليه السلام. وروى عنه ابنُه يحيى بن هانئ[(٣)].

أبو بَرْزَة الأسلمي

واسمُه عبد الله بن نَضْلَة بن عبد الله، وقيل: نَضْلَة بن عبد [الله][(٤)]، من الطبقة الثالثة من المهاجرين.

أسلم قديماً، وشهدَ مع رسول الله ﷺ فتح مكَّة.

ومن مسانيده: قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله[(٥)]: حدثنا أبو سعيد، حدَّثنا شدَّاد أبو طلحة، حدَّثنا جابر بن عَمرو أبو الوازع، عن أبي بَرْزَة قال: قلتُ: يا رسول الله، مُرْني بعملٍ أعملُه. قال: «أمِطِ الأذى عن الطريق، فهو لك صدقة».

قال: وقتلتُ عبد العُزَّى بن خَطَل وهو متعلّق بأستار الكعبة[(٦)].

وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ لي حوضاً ما بين أَيْلَةَ إلى صنعاء، عرضُه كطوله، فيه مِيزَابانِ يَنْبُعانِ[(٧)] من الجنَّة، أحدُهما من وَرِق، والآخرُ من ذهب، أحلى من العسل، وأبردُ من الثلج، وأبيضُ من اللَّبَن، مَنْ شَرِبَ منه لم يظمأْ حتى يدخلَ الجنة، فيه أباريقُ عددَ نجومِ السماء».

---

(١) في المصدر السابق: العرس.

(٢) في خبر مسلم بن عقيل.

(٣) تنظر ترجمته في «مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ٥٨ ـ ٦٠، وينظر تفصيل الخبر في «تاريخ الطبري» ٥/ ٣٤٧ ـ ٣٦٨ والكلام ليس في (م).

(٤) لفظة الجلالة من ترجمته من «طبقات» ابن سعد ٩/ ٩ و ٣٦٩ ـ ٣٧٠ وفي «التهذيب»: نضلة بن عُبيد، وذكره ابن سعد أيضاً.

(٥) مسند أحمد (١٩٨٠٢).

(٦) بعدها في «المسند»: وقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «الناس آمنون غير عبد العزّى بن خَطَل».

(٧) في «المسند»: يَنْثَعِبان، وهما بمعنى.

السنة الحادية والستون

وفيها قُتل الحسينُ بنُ عليّ رضي الله عنهما.

وفيها ولَّى يزيدُ بنُ معاوية سَلْم بنَ زياد سِجِسْتان وخُراسان.

وقال علماء السير: وفَدَ سَلْم بنُ زياد وهو ابنُ أربع وعشرين سنة، فقال له يزيد: يا أبا حرب[١]، أُوَلِّيك عمل أخَوَيك عبدِ الرحمن وعبَّاد. فقال: ذلك إليك. فولَّاه سِجِسْتان وخُراسان.

فبعث سَلْمُ بنُ زياد الحارثَ بنَ معاوية الحارثي جدّ عيسى بن شبيب من الشام إلى خُراسان، وبعث أخاه يزيدَ بنَ زياد إلى سِجِسْتان، فكتب عُبيدُ الله [بنُ زياد إلى عبَّاد أخيه] يخبرُه[٢] بولاية سَلْم على خُراسان وسِجِسْتان.

وكان في بيت المال أموالٌ كثيرة، فقَسَمَها عَبَّاد في عَبِيدِهِ ومَوَاليه، وبقيَتْ بقيَّة، فنادى مُناديه: مَنْ أحبَّ السَّلَفَ فليأخُذْ. فأسلفَ الباقي.

وخرج عبَّاد من سِجِسْتان مفارقاً، فسلك غير الطريق الأعظم، ووصل أخوه سَلْم، فحال بينَهما في تلك الليلةِ جَبَل، فذهبَ لعبَّاد ألفُ مملوك، مع كل مملوك عَشَرةُ آلاف، وسلك طريقاً تُخرجه إلى الشام.

وقدم عبَّاد على يزيد، فقال [يزيد]: أين المال؟ فقال: قسمتُه في أربابِه، وكنتُ مقيماً في ثغر نقاتلُ العدوّ.

ووصل سَلْم بنُ زياد إلى سِجِسْتان[٣]، وتبعه وجوهُ الناس، منهم طلحةُ بنُ عبد الله ابن خَلَف الخُزاعيّ، والمُهَلَّب بنُ أبي صُفْرة، ويحيى بنُ يعمر العَدْواني حليف

---

(١) جاءت العبارة في كل من (ب) و(خ) بلفظ: ما أنا حزب! وتحرف فيهما أيضاً (وفي كل المواضع) اسم: سَلْم، إلى: مُسلم. وهذا من الأمثلة التي تُبيِّن أن النسختين منقولتان عن أصل سيّىء. (والكلام ليس في م).

(٢) لفظ العبارة في (ب) و(خ): فكتب إليه أخوه عبد الله يخبره... وهو خطأ، مع تحريف اسم: عُبيد الله، إلى: عبد الله، فصحَّحتُ العبارة، واستدركتُ ما بين حاصرتين من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٧٢ . وينظر أيضاً «الكامل في التاريخ» ٤/ ٩٦ .

(٣) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٧٢ : خراسان. وما سلف بين حاصرتين منه.

هُذَيْل[١]، وعبد الله بن خازم السّلميّ، وغيرُهم من أشراف البصرة وأعيانِها وفرسانِها، وكانوا في ألف[٢]، وقيل: في ستة آلاف؛ أمرَ يزيد بنُ معاوية عُبيدَ الله بنَ زياد بانتخابهم، وكان سَلْم يحبُّ الفرسان وينتخبُهم لأجل الجهاد، وكان ممَّن انتخب حنظلةُ بن عَرَادة[٣]، وكان من الوجوه، فسأل عُبيد الله بنُ زياد أخاه سَلْماً أن يَدَعه له، فقال سَلْم: خَيِّرْه، فإن اختارَك تركتُه. فاختارَ حنظلةُ سَلْمَ بنَ زياد، فخرج معه، وخرج معه أيضاً صِلَةُ بن أَشْيَم العدويّ، وكان قد توقَّف، فرأى في منامه قائلاً يقول له: أُخرجْ، فإنك تُفلح وتَنجح وتَربح. فخرج، فأضافه سَلْم إلى أخيه يزيد بن زياد، فسار إلى سِجِسْتان.

وأخرج سَلْم معه امرأتَه أمَّ محمد بنتَ عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفيّ، وهي أوَّلُ امرأةٍ من العرب قُطع بها النهر.

وكان أمراء خُراسان يغزون في الصيف، فإذا دخل الشتاء قفلوا من غزوهم إلى مَرْو الشاهجان، فإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك الصُّغْد في مدينة مما يلي خُوارزم يتشاورُون في أمر غزو المسلمين، وكان المسلمون يسألون ملُوكهم أن يغزوا تلك المدينة، ولا يأذنون لهم في غزوها، فلما غزا سَلْم شَتَّى في [بعض] مغازيه، فسأل المهلَّبُ بنُ أبي صُفْرة سَلْمَ بنَ زياد أن يأذنَ له في غَزْوِ تلك المدينة، فأَذِنَ له، فسار في أربعة آلاف[٤]، فقاتلَهم، فسألُوه الصُّلح على عشرين ألفَ ألفِ درهم، فصالَحهم، وأخذ منهم عَرُوضاً من دقيق ودوابَّ ومتاع يساوي خمسين ألف ألف، فَحَظِيَ بها عند سَلْم، وبعثَ به إلى يزيد مع مَرْزُبان مَرْو.

وغزا سَلْم الصُّغْد؛ سَمَرْقَنْد ونواحيها وبُخارى، فغنم. وولدت أمُّ محمد بنتُ عبد الله من سَلْم ابناً، فسمَّاه صُغْديّ.

---

(١) في النسختين (ب) و(خ): ويحيى بن أبي بكر الهمداني وأبي حليف هذيل! والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٧٢، و«الكامل» ٤/ ٩٦. ويحيى بن يعمر العَدْواني من أئمة القراءة والنحو. ينظر «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٦٢، و«بغية الوعاة» ٢/ ٣٤٥.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٧٢، و«الكامل» ٤/ ٩٦: ألفين.

(٣) تحرف في (ب) و(خ) إلى: عبادة.

(٤) في المصدرين السابقين: ستة آلاف، ويقال: أربعة آلاف. وما سلف بين حاصرتين منهما.

وأرسلت أمُّ محمد إلى امرأة صاحب الصُّغْد تستعيرُ منها حُلِيّاً، فبعثت لها بتاجها[١]، وقفل سَلْم، ولم ترُدَّهُ إليها.

وفيها قدم عبدُ الرحمن بنُ زياد على يزيد بعد قتل الحسين ﷺ من خُراسان، فقال له يزيد: كم قدمتَ به معك من المال؟ قال: عشرين ألف ألف درهم، فقال: إن شئتَ حاسبناك، وقبضناها منك، ورَدَدْناك إلى عملك، وإن شئتَ سوَّغناك إيَّاها وعزلناك، وتُعطي عبدَ الله بنَ جعفر خمس مئة ألف درهم. فقال: بل تُسَوِّغُني إيَّاها، وتستعملُ من شئت.

وأرسل عبد الرحمن بنُ زياد إلى عبد الله بن جعفر بألفِ ألفِ درهم وقال: خمسُ مئة ألف من قِبَلي، وخمسُ مئة ألف من يزيد[٢].

وفيها أظهر عبد الله بنُ الزُّبير الخلافَ على يزيد بن معاوية بعد قتل الحسين ﷺ.

لمَّا وصلَ الخبرُ إلى مكَّة بقتل الحسين ﷺ قام[٣] ابن الزبير خطيباً، فعظَّم مقتلَهُ، وعابَ أهلَ الكوفة خاصَّة، وأهلَ العراق عامَّةً، وقال: إن العراق قومٌ غُدُر فُجُر إلا قليلاً، وإن أهل الكوفة شِرارُ أهلِ العراق، وإنهم دَعَوْا حُسيناً لِيُوَلُّوه عليهم وينصروه[٤]، فلما قدم عليهم ثارُوا عليه، فقالوا: إمَّا أنْ تَضَعَ يَدَكَ في يد ابنِ زياد[٥] ابن سُميَّة، فيُمضي فيك حُكمَه، وإمَّا أن تُحاربَ. فاختار المنيَّةَ الكريمةَ على الحياة الذميمة. فرحم الله حسيناً، وأَخْزَى قاتلَه، فبَعْدَه لا يطمئنُّ إليهم أحد، ولا يُقبل لهم عهدٌ، أَمَا واللهِ لقد قتلوه؛ طويلاً بالليل قيامُه، كثيراً في النهار صيامُه، أَمَا واللهِ ما كان يُبَدِّلُ بالقرآن الغِناء، ولا بالبكاء من خشية الله صوتَ الحُداء، ولا بالصيام شُربَ الحرام، ولا بمجالس الذكر الركضَ في تَطْلاب الصيد ـ يُعَرِّض بيزيد ـ فسوف يَلْقَوْن غيّاً[٦].

---

(١) في (ب) و(خ): وأرسلت أم محمد... منها حُليّاً وأرسلت أم محمد فبعثت لها بتاجا (كذا). والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٧٤ . وينظر «الكامل» ٤/ ٩٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣١٦ .

(٣) في (ب) و(خ): فأمر، بدل: قام(؟) وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٨ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٧٤ .

(٤) في (ب) و(خ): وينصرونه. والجادة ما أُثبت.

(٥) في المصدرين السابقين: إما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابنِ زياد...

(٦) قوله: فسوف يَلْقَوْن غيًّا، من الآية (٥٩) في سورة مريم.

فثارَ إليه أصحابُه وقالوا: أيها الرجلُ، أَظْهِرْ بيعتَك، فلم يبق أحد - إذ هلك حسين[١] - يُنازعك في هذا الأمر. وقد كان بُويع سرّاً، وأَظهر أنه عائذٌ بالبيت، فقال لهم: لا تَعْجَلُوا. وعَمرو بنُ سعيد يومئذ عاملُ مكَّة.

وعَلاَ أمرُ ابنِ الزُّبير، وكاتبَه أهلُ المدينة والحجاز واليمن وتهامة.

ولما قال ابنُ الزبير هذه المقالةَ؛ قيل ليزيد: لو شاء عَمرو بنُ سعيد لأَخذَ ابنَ الزبير قهراً، وبعث به إليك[٢].

فعزل يزيد عَمراً لهلال ذي الحجة عن الحجاز، وولَّى الوليدَ بنَ عُتْبة بن أبي سفيان مكانَه، فأقامَ الحجَّ سنة إحدى وستين، وأعاد أبا ربيعة[٣] العامريّ إلى قضائه.

ولما رأى عَمرو بنُ سعيد بن العاص أنَّ الناس قد اشْرَأَبُّوا إلى ابن الزُّبير، ومَدُّوا إليه أعناقَهم؛ ظنَّ أن تلك الأمورَ تتمُّ، فأرسلَ إلى عبد الله بن عَمرو بن العاص - وكان عالماً قد قرأ كتبَ دانيال وغيرها - فقال له: أَخْبِرْني عن هذا الرجل، أَيتِمُّ له ما يطلب؟ وأَخْبِرْني عن صاحبي - يعني يزيد - ماذا يؤول أمرُه؟ فأرسل إليه عبدُ الله: ما أرى صاحبَك إلا أحدَ الملوك الذين تتمُّ لهم أمورهم إلى أن يموت على حاله، كما مات الملوك قبلَه.

فكان يرفُقُ بابنِ الزُّبير وأصحابِه؛ مع إظهار الشدةِ عليهم. وبلغَ يزيدَ رِفْقُهُ بهم، فعزَله[٤].

وقيل: إنما حجَّ بالناس في هذه السنة عَمرو بنُ سعيد؛ لأن الوليد بن عُتبة لم يُدرك الموسم.

وكان العاملَ على البصرة والكوفة عُبيد الله بنُ زياد، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة هشام بنُ هُبَيْرة، وعلى خُراسان وسِجِسْتان سَلْمُ بنُ زياد[٥].

---

(١) تحرَّفت لفظة «حسين» في (ب) إلى «حتى»، ووقع بدلها في (خ): إلا. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٤٧٥. وهو بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٣٨.

(٢) القائلون هذا ليزيد هم: الوليد بن عُتبة، وناسٌ من بني أمية كما في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٧٧.

(٣) في «تاريخ الطبري»: ابن ربيعة.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٤٧٧.

(٥) المصدر السابق. دون قوله: سجستان.

وفيها توفّي

جَبْرُ[1] بن عَتِيك

ابن قيس الأنصاري، وهو من الطبقة الأولى من بني [معاوية بن مالك بن عوف بن] عمرو بن عوف، وأمُّه جميلة بنت زيد الأنصارية، وكنيتُه أبو عبد الله.

شهِدَ بدراً، وأُحُداً، والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخَى بينَه وبين خبَّاب بن الأَرتّ، وكانت معه رايةُ بني معاوية بن مالك يوم الفتح.

ومرض، فعاده رسول الله ﷺ، وتوفي في سنة إحدى وستين وهو ابنُ أحدٍ وسبعين سنة.

وكان له من الولد عَتِيك، وعبدُ الله، وأمُّ ثابت؛ أمُّهم هَضْبَة بنتُ عَمرو بن مالك، من قيس عَيْلان[2].

أسندَ جَبْر الحديث عن رسول الله ﷺ.

وفي الصحابة آخر يقال له: جابر بن عَتِيك الأنصاري، روى عنه الإمام أحمد رضي الله عنه قال: [حدثنا رَوْح] حدثنا مالك، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عَتِيك بن الحارث، عن عَتِيك، وهو جدُّ عبد الله بن [عبد الله أبو أمِّه، أنّه أخبره، أن جابر بن عَتِيك أخبره، أنَّ عبد الله بن] ثابت لما مات قالت ابنتُه: واللهِ إنْ كنتُ لأرجُو أن تكون شهيداً. أَمَا إنَّك قد كنتَ قضيتَ جِهازَكَ. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ قد أَوْقَعَ أَجْرَهُ على قَدْرِ نيَّته، وما تَعُدُّونَ الشهادةَ فيكم؟» قالوا: قَتْلٌ في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: «الشهادةُ سبعٌ سوى القتلِ في سبيل الله: المقتولُ في سبيل الله شهيد[3]، والمَطْعُونُ شهيد، والغريقُ شهيد، وصاحبُ ذاتِ الجَنْبِ شهيد، والمَبْطُونُ شهيد، وصاحبُ الحريق شهيد، والذي يموتُ تحت الهَدْمِ شهيد، والمرأةُ تموتُ بِجُمْعٍ شهيدة»[4].

---

(١) تحرف في (خ) إلى: حسين (وكذا في الموضع الآتي)، ونُسب فيها إلى جدّه.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٤-٤٣٥ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) لم ترد هذه العبارة في حديث «المسند». ولعل إيرادها وَهْم، فالكلام قبلها يدلُّ عليها.

(٤) مسند أحمد (٢٣٧٥٣). وما سلف بين حاصرتين منه. قولها: قضيتَ جِهازَك، أي: أتممتَ ما تحتاج إليه في سفرك للغزو. والمطعون: الميت بالطاعون، وذات الجَنْب: هو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة، والمبطون: =

الحسينُ بنُ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما

قد ذكرنا خروجَه من مكة إلى أرض العراق، ونذكر مقتلَه، وما يتعلَّقُ به:

بينا الحسين رضي الله عنه يقصد مكاناً ينزل به وقد سار عن القادسية؛ إذا سوادٌ عظيم قد أقبل، فظنُّوه النَّخْل، وإذا هو هوادي الخيل[1] قد أقبلَتْ كالليل المظلم، وكان ابنُ زياد قد جهَّز إليه الحرّ بن[2] يزيد التميمي؛ على مقدمته الحصين بن تميم الكوفي[3] في أربعة آلاف، وقيل: في ألف فارس، كأنَّ راياتِهم أجنحةُ الطيور، وأسنَّتَهم اليعاسيب، فأمر الحسينُ رضي الله عنه بأبنيته فضُربت، وجاء القوم فوقفوا بإزائه، وكان مجيئُهم من القادسية، وكان الحُصين بن تميم على شرطة ابنِ زياد، ولم يزل الحرّ بن يزيد مُواقفاً للحسين رضي الله عنه حتى حضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين رضي الله عنه الحجَّاج بن مسروق الجُعفيّ فأذَّن.

فلمَّا حضرت الإقامة خرج الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس، إنها معذرةٌ إلى الله تعالى وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتْني كُتُبكم، وقد قَدِمَتْ عليَّ رُسُلُكم أنِ اقْدَمْ علينا، فإنه ليس لنا إمام، لعلَّ الله تعالى أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، فإن كنتُم على ذلك فقد جئتُكم، وإنْ كنتُم لقدومي كارهين رجعتُ إلى المكان الذي جئتُكم منه. فلم ينطقوا، وقالوا للمؤذِّن: أقم الصلاة. فقال الحسين رضي الله عنه للحُرِّ: أتريدُ أن تصليَ بأصحابك؟ قال الحرّ: لا، بل أنتَ تُصلِّي بأصحابك، ونحن نُصلِّي بصلاتك. فصلى بهم الحسينُ رضي الله عنه، وعاد إلى فُسطاطه، وانصرف الحُرُّ إلى خيمته[4].

= هو الذي يموت بمرض بطنه، والمرأة تموت بجُمع: التي تموت من الولادة سواء ألقَتْ ولدها أم لا. (من حواشي المسند).

(١) أي: مُتَقَدِّماتُها.

(٢) قوله: الحرّ بن، سقط من (خ)، وهو في (ب).

(٣) الذي في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠١ أن ابن زياد بعث الحُصين بن تميم التميمي... وقدَّم الحرَّ بن يزيد بين يديه. وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٢ . وقد وقع في (ب) و(خ) (في هذا الموضع والموضع الآتي والكلام منهما): نُمير، بدل: تميم، وهو خطأ. فحُصين بن نُمير: آخر، يأتي ذكره، وقد قُتل مع ابن زياد. وأمَّا ابنُ تميم هذا؛ فهو ابنُ أسامة الجُشَيْشِيّ، كان على شرطة ابن زياد بالعراق كما سيرد. ينظر «أنساب الأشراف» ١١/ ١٧٢ ، و«الأنساب» ٣/ ٢٥٩ .

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٤٠١-٤٠٢ . وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٢ .

ولما جاء وقت العصر صلَّى بهم الحسين رضي الله عنه، ثم أعاد عليهم كلامَه، فقال له الحرُّ: واللهِ ما ندري ما هذه الكتب والرُّسُل التي تذكر. فقال الحسين رضي الله عنه لعقبة بن سمعان: هاتِ الخُرْجَيْن(١) اللذين فيهما الكتب. فأخرجَهما عقبة، فنثرَهما بين أيديهم، فقال الحرُّ: فإنَّا لسنا من الذين كاتبوك، وقد أُمِرْنا إذا نحن لاقيناك أن لا نُفارقَك حتى نُقْدِمَك الكوفةَ على عُبيد الله بن زياد. فقال الحسين رضي الله عنه: الموتُ أدنى من ذلك.

ثم أمر الحسين رضي الله عنه أصحابَه فركبوا، وجاء الحُرُّ، فحال بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين رضي الله عنه: ثَكِلَتْكَ أمُّك! ما تُريد؟ فقال الحرّ: أما واللهِ لو غيرُك من العرب يقولُها ما تركتُ ذِكْر أمِّه بالثُّكل، ولكن مالي إلى ذِكْرِ أمِّك سبيل إلا بأحسنِ ما يُقْدَر عليه. فقال له الحسين رضي الله عنه: فما تريد؟ قال: أحملُك إلى الكوفة. قال: لا سبيل إلى ذلك. وترادَّا الكلام، فقال له الحرُّ: ما أُمِرْتُ بقتالك، وإنما أُمرت أن لا أُفارقَك حتى أُقْدِمَك الكوفة، [فإن أبيتَ، فخُذْ طريقاً لا تُدخلك الكوفة](٢) ولا تردَّك إلى المدينة تكون نَصَفاً بيني وبينك، وإن شئتَ كتبتَ إلى ابن زياد أو إلى يزيد، فلعلَّ الله أن يأتيَ بأمر يرزُقُني فيه العافية، ولا يبتليني الله بشيء من أمرك. ثم قال: فخُذْ هاهنا، فتَياسَر عن طريق العُذَيْب(٣) والقادسية. وسار الحرُّ معه يُسايره.

ولما نزل الحسين رضي الله عنه البيضة(٤) قام خطيباً في أصحابه وأصحاب الحرّ بن يزيد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من رأى(٥) سلطاناً جائراً مستحلًّا لمحارم الله، تاركاً لعهد الله، مخالفاً لسنَّةِ رسولِه، يعمل في

(١) الخُرْجُ: وعاء من جلد ذو عِدْلَين يوضع على ظهر الدابّة لوضع الأمتعة. المعجم الوسيط.
(٢) الكلام بين حاصرتين من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٢ ، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٣ .
(٣) تصغير العَذْب، وهو ماء بين القادسية والمُغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. «معجم البلدان» ٤/ ٩٢ .
(٤) بكسر الباء أو فتحها؛ ماء بين واقصة إلى العُذَيْب. وانظر التعليق الذي قبله، و«معجم البلدان» ١/ ٥٣١_٥٣٢ . وتحرفت اللفظة في (ب) و(خ) إلى: المبيضة.
(٥) في (ب) و(خ): أتى، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٣ ، و«الكامل» ٤/ ٤٨ .

عباد الله بالإثم والعدوان؛ فلم يغيّر عليه بقول أو فعل، كان حقّاً على الله أن يُدخلَه مُدْخَلَه». ألا إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفسادَ في الأرض، وعطَّلُوا الحدود، واستأثَرُوا بالفَيْء، وأحلُّوا ما حرَّم الله، وحرَّمُوا ما أحلَّه الله، وأنا أحقُّ مَنْ غيَّر ذلك، وقد أتَتْني كُتُبكم أنَّكم لا تُسْلِمُوني، ولا تخذُلُوني، فإنْ تمَّمتُم عليَّ بيعتكم أصبتُم رُشْدَكم، فأنا الحسين بنُ عليّ، وابنُ فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكُم فيَّ أُسوة، وإنْ لم تفعلوا ونقضْتُم عهدكم وغَدَرْتُم؛ فلَعَمْرِي ما هي لكم بنُكْر، لقد فعلتُموها بأخي وأبي وابنِ عمِّي مُسلم بنِ عَقِيل، والمغرورُ من اغترَّ بكم، فحظَّكم أخطأتُم، ونَصِيبَكم ضَيَّعتُم[1] ومَنْ نكثَ فإنَّما ينكثُ على نفسه، وسيُغْني الله عنكم. والسلام.

الخطبة الثانية

خطبها بذي حُسَم وقال: إنه قد نزلَ بنا من الأمر ما ترَون، وإنَّ الدنيا قد تغيَّرت وتنكَّرت، وأدبر معروفُها، ولم يبقَ منها إلا صُبابةٌ كصُبابة الإناء، وخسيسُ عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألا تَروْن أنَّ الحقَّ لا يُعمَلُ به، وأنَّ الباطلَ لا يُتَناهَى عنه، وإني لا أرى الموتَ إلا سعادة[2]، ولا الحياة مع الظالمين إلاَّ بَرَماً[3].

فقام زهير بن القَيْن البَجَليّ فقال لأصحابه: أتتكلَّمون أم أتكلّم؟ قالوا: بل تكلَّمْ. قال: قد سمعنا ـ هداك الله يا ابنَ رسولِ الله ـ مقالتَك. واللهِ لو كانت الدنيا لنا باقيةً، وكنَّا مخلَّدين فيها، وأن نفارقَها[4] في نصرك ومواساتك، لآثَرْنا الخروج معك على الإقامة فيها. فدعا له الحسين رضي الله عنه، وجزاه خيراً[5].

---

(١) في (خ): أخطأكم...ضيّعكم. والمثبت من (ب) وهو الموافق لما في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٣ .

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٤ : شهادة.

(٣) أي: سأماً وضَجَراً.

(٤) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٤ : إلا أنَّ فراقها.

(٥) المصدر السابق. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٣ .

وقال له الحرُّ بن يزيد: يا حسين، إني أُذكِّرك[١] اللهَ في نفسك، فإني أشهدُ لئن قاتلتَ[٢] لَتُقْتَلَنَّ، ولئن قُوتِلتَ لتهلكنّ. فقال له الحسين رضي الله عنه: فَبالموتِ تُهَدِّدُني؟! وهل يعدو بكم الخَطْب إلا أن تقتلوني؟! ولكن أقولُ كما قال أخو الأوس لابن عمّه وكان قد لقيَه وهو يريد نُصرة رسول الله ﷺ، فقال: أين تذهب؟ فإنَّك مقتول، فقال:

سأمضي فما في الموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نَوَى[٣] حقّاً وجاهدَ مُسلما
وآسَى الرِّجالَ الصالحين بنفسه ... وحسبُك ذُلًّا أنْ تعيش وتُرغَما[٤]

فلما أن سمع الحرُّ ذلك منه تنحَّى عنه، وكان يسير بأصحابه ناحية، والحسين رضي الله عنه ناحية، حتى انتهَوْا إلى عُذَيْب الهِجانات، وإذا بأربعة نَفَر من الكوفة قد أقبلوا على رواحلهم يجنِّبون فرساً[٥] لنافع بن هلال يقال له: الكامل، ودليلُهم الطِّرِمَّاحُ بنُ عدي، جاؤوا ليقاتلوا مع الحسين رضي الله عنه، والطِّرِمَّاح يرتجز ويقول:

يا ناقتي لا تُذْعَري من زَجْري ... وشَمِّري قبلَ طلوعِ الفجرِ
بخير رُكْبانٍ وخيرِ سَفْرِ ... حتى تَحِلِّي بكريم النَّجرِ
الماجدِ الجدِّ[٦] رحيبِ الصدرِ ... أتى به اللهُ لخيرِ أمرِ
ثُمَّتَ أبقاهُ بقاءَ الدهرِ

فأراد الحرُّ ردَّهم إلى الكوفة، فقال له الحسين رضي الله عنه: لأمنعنَّهم ممَّا أمنعُ منه نفسي، إنما جاؤوا إلى نُصرتي. فسكت الحرّ.

---

(١) في (ب) و(خ): إذا ذكرت، وهو تحريف، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٤.
(٢) في (خ): قاتلتك، والمثبت من (ب)، وهو الموافق في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٤، وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٣-٤٧٤.
(٣) في (ب) و(خ): يرى، والمثبت من «تاريخ الطبري».
(٤) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٤: وفارق مثبوراً يغشُّ ويُرغما. وفي «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٤:
وآتى الرجالَ الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما
فإن عشتُ لم أُذمم وإن متُّ لم أُلَمْ ... كفى لك ذلًّا أن تعيش وتُرغما
(٥) أي: يقودونه معهم مجانباً لهم.
(٦) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٥: الحرّ، ولم يرد هذا البيت من الرجز في «أنساب الأشراف».

ثم قال لهم الحسين رضي الله عنه: أخبروني خبر الناس. فقال له مُجمِّع بن عبد الله العائذي، وهو أحد النَّفَر الأربعة الذين جاؤوا: أمَّا أشرافُ الناس فهم أَلْبٌ واحد عليك[١]، قد أُعظمتْ رِشْوَتُهم، ومُلِئَتْ غرائرُهم، وأما بقية الناس فإنَّ أفئدتَهم تهوي إليك، وسيوفَهم غداً مشهورة عليك. فقال: خبِّروني، ما فُعِلَ برسولي قيس [بن] مسهر الصيداوي؟ فقال: أخذه ابنُ زياد لمَّا بعث إليه الحُصين بن تميم، فأمره أن يلعنك ويلعن أباك، فصلَّى عليك وعلى أبيك، ولعنَه ولعن أباه، ودعاهم إلى نُصرتك، فألقي من القصر، فمات. فبكى الحسين رضي الله عنه وقال: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الآية [الأحزاب: ٢٣][٢].

وقال الطِّرمَّاح بنُ عديّ: إني لأنظر؛ ما أرى معك أحداً، ولو لم يُقاتلْك إلا الذين معك وهم ملازموك لكان فيهم كفاية، كيف وقد جمع لك ابنُ زياد جمعاً لم أرَ مثلَه قطّ، فاعدِلْ بنا إلى جَبَلَيْ طيِّىء؛ أَجَأ وسَلْمَى، فإنَّا امتنَعْنا بهما من ملوك غسان وحِمْير، والنُّعمان وكسرى، ولا تمضي إلا عشرة أيام حتى آتيَك بعشرين ألفاً من طيِّىء يضربون بين يديك بأسيافهم، فلا يُوصَلُ إليك وفيهم عينٌ تَطْرِف. فجزاه خيراً وقال: قد كان بيننا وبين هؤلاء كلام، ولسنا نقدر على الانصراف. ففارقه الطِّرمَّاح على أن يعودَ إليه.

وسار الحسين رضي الله عنه حتى نزلَ قصر بني مقاتل، وإذا بفسطاط مضروب، فقال الحسين رضي الله عنه: لمن هذا؟ فقيل: لعُبيد الله[٣] بن الحرّ الجُعْفي. فقال: ادْعُوه لي. فأتاه الرسول، فاستدعاه، فاسترجع[٤] وقال: ما خرجتُ من الكوفة إلا كراهية أن يدخلها الحسين وأنا بها، واللهِ ما أُريدُ أن أراه ولا يراني. وأبلغَه الرسول ما قال، فقام الحسين رضي الله عنه، ومشى إليه، ودعاه إلى نُصرته، فقال مثل تلك المقالة، فقال الحسين رضي الله عنه: فإذا لم تنصرونا؛ فلا تُقاتلونا. فقال: أمَّا هذا فلا.

---

(١) أي: مجتمعون على عداوتك.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٠٥ . وينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٣٥ ، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٠ .

(٣) في (ب) وخ): لعبد الله، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٦ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٧ .

(٤) أي قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ثم قام الحسين رضي الله عنه فخرج وسار من قصر بني مقاتل، فلما كان آخرُ الليل، خفقَ رأسُه خَفْقَةً، ثم انتبه وهو يقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. فقال له عليّ ابنُه: مالك يا أَبَهْ؟! فقال: يا بُنيّ، إنِّي خفقتُ رأسي[١] خفقةً؛ وإذا بفارس يسايرُني على فرس ويقول: القوم يسيرون والمنايا تسيرُ إليهم. فعلمتُ أنه نعى نفوسَنا إلينا. فقال: يا أَبَهْ، ألسنا على الحقّ؟! قال: بلى. قال: فإذاً لا نُبالي بالموت مُحِقِّين. فجزاه خيراً.

وسار الحسين رضي الله عنه حتى نزل نِينَوَى[٢] على شطّ الفُرات، وإذا براكب على نَجِيبٍ[٣] من ناحية الكوفة، ومعه كتابٌ من ابنِ زياد إلى الحرّ، ففتحه، وفيه: أمَّا بعد، فجَعْجِعْ بالحسين[٤]، ولا تُنْزِلْه إلا بالعَراء في غير حصن، وعلى غير ماء. فقال الحرّ: هذا كتابُ الأمير، ورسولُه معي، فلا أُفارقُك حتى تنزلَ موضعاً امر[٥]. فقال: ننزلُ نِينَوَى، أو بالغاضريَّة. فقال الحرّ: لا والله، إلى ههنا. فقال له[٦] زهير بن القَيْن: واللهِ إني لأرى ما بعد هذا أشدَّ منه، فقتالُ هؤلاء أهونُ. فقال الحسين رضي الله عنه: ما أبدؤهم بقتالٍ حتى يَبْدَؤونا. فقال: سِرْ بنا إلى هذه القرية، فإن قاتلونا قاتلناهم. قال: وما يقال لها؟ قال: العَقْر. قال: أعوذ بالله من العَقْر.

ثم نزل بكربلاء يوم الخميس ثاني المحرَّم.

ذكر إرسال ابنِ زياد عُمَر بنَ سعد بن أبي وقَّاص إلى الحسين عليه السلام:

وجَّه ابنُ زياد عمرَ[٧] بن سعد إلى الحسين رضي الله عنه في أربعة آلاف، وكان قد استعمله قبل ذلك على الرّيّ وهَمَذان، فقطع ذلك البعث معه، فلما أمره بالمسير إلى الحسين

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٧ : برأسي. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٧ .

(٢) ناحية بسواد الكوفة، منها كربلاء. «معجم البلدان» ٥/ ٣٣٩ .

(٣) أي: ناقة، يقال: ناقة نجيب ونجيبة. ينظر «القاموس».

(٤) أي: أزْعِجْه وشرِّده. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٧ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٨ .

(٥) كذا في (ب) و(خ) ولعلها محرَّفة عن «آخر». والمعنى: أنه لن يدعهم ينزلوا منزلاً آخر.

(٦) يعني للحسين رضي الله عنه. وينظر «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٩ .

(٧) في (ب) و(خ) (وفي كل المواضع التالية): عمرو. وهو خطأ.

رضي الله عنه امتنعَ واستعفى منه، فقال له ابنُ زياد: واللهِ لئن لم تَسِرْ إليه لأعزلنَّك، وأهدمنَّ دارَك، ولأضربنَّ عنقك. فقال: إذاً أفعل[1].

وجاءتْه بنو زُهرة وقالوا: ننشدك الله أن يبقي فعلك بالحسين عداوة بيننا وبين بني هاشم[2].

وجاءه ابنُ أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة فقال له: أَنشدُك الله يا خال أن تقطع رحمك وتعصيَ ربَّك، فواللهِ لأَنْ تخرجَ من دنياك ومالِك وسلطان الأرض كلّها خيرٌ لك[3] من أن تلقى اللهَ بدم الحسين. فقال له عمر: فإني لا أفعلُ ذلك، ولا أُقاتلُه.

وعاد إلى ابنِ زياد، فاستعفاه، فلم يُعْفِه، فسار إلى قتال الحسين رضي الله عنه في أربعة آلاف.

وقد أخبرَ عليٌّ عليه السلام بهذا، فإنه لقيَ عُمرَ بنَ سعد في بعض الأيام، فقال له: ويحك يا عُمر! كيف بك وقد قمتَ مقاماً تخيَّر فيه بين الجنة والنار، فتختار النار[4]؟!

ولما نزل عُمر بن سعد نِينَوَى؛ استحيى أن يجتمع بالحسين رضي الله عنه، فعرض على الرؤساء أن يذهبوا إليه ويسألوه: في أيّ شيء قَدِمَ؟ فكلُّهم أبى ذلك؛ لأنهم كاتبوا الحسين رضي الله عنه. فقال كثير بن عبد الله الشعبي - وكان فاتكاً -: أنا أذهب إليه، وإنْ شئت قتلتُه[5]. فقال عمر: ما أُريدُ قَتْلَه، وإنما أُريدُ سؤالَه.

فمضى إليه، فلم يُمكِّنوه من الوصول إليه خوفاً منه. فعاد إلى عمر.

فبعثَ قرَّة بن قيس[6] الحنظلي، فجاء وسلَّم على الحسين رضي الله عنه، وأبلغه الرسالة التي من عمر، فقال: إنَّما جئتُ لأنه كتب إليَّ أهلُ مِصْرِكم بكذا وكذا. فأمَّا إذْ كرهوني؛ انصرفتُ عنهم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٣٥ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (ب) و(خ): لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لكان خيراً لك... والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٠٩ ، و«الكامل» ٤/ ٥٣ ، وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٨.

(٤) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٨ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة عمر بن سعد بن أبي وقاص).

(٥) لفظ العبارة في (ب) و(خ): وكان فاتكاً إذا ذهبَ إليه بسبب قتلته(؟) وأثبتُّ ما يناسب السياق من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤١٠ .

(٦) تحرف في (ب) و(خ) إلى: فترة بن سعد. والكلام في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤١٠-٤١١ ، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٨ .

فكتب ابنُ سعد إلى ابن زياد بذلك، فقال ابن زياد:

الآن إذْ عَلِقَتْ مخالِبُنا به يرجو النجاة ولات حين مَناصِ

وكتب إلى عمر بن سعد: أمَّا بعد، فقد بلغني كتابُك، فاعْرِضْ على حسين أن يُبايع لأمير المؤمنين يزيد هو وأصحابه، فإذا فعل ذلك رأَيْنا رأْيَنا. والسلام.

وقال حميد بن مسلم: كتَبَ ابن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فَحُلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فلا يدنو منه، كما فُعل بأمير المؤمنين عثمان.

قال: فبعثَ ابنُ سعد خمس مئة فارس، فنزلوا على الشرائع[1]، وحالوا بينه وبين الماء، وذلك قبل مقتله بثلاث.

وناداه عبد الله بن [أبي] حصين الأزدي: يا حسين، ألا تنظرُ إلى الماء كأنَّه كبدُ السماء؟ واللهِ لا تذوقُ منه قطرة حتى تموتَ عطشاً. فقال الحسين رحمه الله: اللهمَّ اقْتُلْه عَطَشاً، ولا تَغْفِرْ له أبداً[2].

قال حميد بن مسلم: واللهِ لقد عُدتُه في مرضه بعد ذلك، فكان يشربُ حتى يَبْغَر[3]، ثم يعود فيقيء، ثم يعود فيشرب حتى يَبْغَر، فمازال كذلك حتى مات عَطَشاً.

[قال الهيثم:][4] وناداه عَمرو بنُ الحجاج - وكان ممَّن كاتبه -: يا حسين، هذا الماء يلغُ فيه الكلاب، وتشربُ منه خنازير السَّواد والحُمُر والذئاب، وواللهِ لا تذوقُ منه قطرةً حتى تذوق الحميم في نار الجحيم[5].

فكان سماع هذا الكلام عليه أشدَّ من منع الماء.

ولما اشتدَّ العطش بالحسين رضي الله عنه وأصحابِه؛ دعا أخاه العبَّاس، وبعث معه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم عشرين قِرْبة، فجاؤوا إلى الشريعة وعليها عَمرو

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٨١ و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤١٢: الشريعة. (وهي مورد الماء الذي يُستقى منه بلا رِشاء).

(٢) أنساب الأشراف ٢/ ٤٨١، وتاريخ الطبري ٥/ ٤١٢.

(٣) يعني: يشربُ ولا يَرْوَى. والكلام في المصدرين السابقين.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) والكلام الذي سلف من أول الفقرة إلى هذا الموضع لم يرد فيها.

(٥) أنساب الأشراف ٢/ ٤٨٢.

ابن الحجَّاج الزّبيدي، فقال: من أنتم؟ فقال العبَّاس: جئنا لنشربَ من هذا الماء الذي حَلَأْتُمونا عنه[١]. فقال له عمرو: اشرب هنيئاً مريئاً. فقال: لا واللهِ لا أشربُ منه قطرة وحسين عطشان. فقال: لا سبيل إلى هذا. إنما وُضِعنا ههنا لنمنعهم من الماء. وجاء أصحابُ العباس فقال: املؤوا قِرَبَكم. فشدَّ الرَّجَّالة فملؤوها. وثار إليهم عَمرو بن الحجاج، فاقتتلوا. وخَلَصُوا بالقِرَبِ إلى الحسين ﵁، فشرِبَ هو وأصحابه[٢].

ويقال للعبَّاس بن علي: السَّقَّاء؛ لأنه حمل ذلك اليوم قِرْبَةً على كتفه.

وبعث الحسين ﵁ عَمرو[٣] بنَ قَرَظَةَ بن كعب الأنصاريّ إلى عُمر بن سعد يقول: الْقَني الليلةَ بين العسكرين. وخرج الحسين ﵁ في عشرين فارساً، وعمر في مثلها، فلما التقيا؛ أمر كلٌّ واحد منهما أصحابَه أن يبعدوا عنه، ففعلوا. وتحدَّثا، فقال له الحسين ﵁: اختاروا مني خصالاً ثلاثة: إمّا أنْ أرجعَ إلى المكان الذي أقبلتُ منه، وإمَّا أن أضعَ يدي في يد يزيد بن معاوية، فيرى فيما بيني وبينه رأيَه، وإمَّا أن تسيِّروني إلى ثغرٍ من ثغور المسلمين، فأكونَ كرجلٍ من أهله[٤].

قال عُقبة بن سَمْعان: صحبتُ الحسين ﵁ من المدينة إلى مكة، ومن مكةَ إلى العراق؛ لم أفارقْه حتى قُتل، ولم يَفُتْني منه كلمة قالها إلى يومِ قَتْلِه، لا واللهِ إنْ أعطاهم ما يذكر الناس وما يزعمون من أن يضعَ يده في يدِ يزيد بن معاوية، وإنما قال: دَعُوني أرجعْ إلى المكان الذي أقبلتُ منه، أو أن أذهبَ في هذه الأرض العريضة حتى أنظر ما يصيرُ إليه أمرُ الناس[٥].

والتقى الحسين ﵁ عُمر بنَ سعد مراراً ثلاثاً أو أربعاً، وكتب عُمر بن سعد إلى ابن زياد: أمَّا بعد؛ فإنَّ الله قد أطفأ النائرة، وجمعَ الكلمة، وأصلَح أمرَ الأمة.

---

(١) أي: منعتمونا منه.

(٢) أنساب الأشراف ٢/ ٤٨١، وتاريخ الطبري ٥/ ٤١٢.

(٣) في (ب) و(خ): عمر. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤١٣، و«الكامل» ٤/ ٥٤.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٤١٣، وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٨٢.

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٤١٣-٤١٤.

فلما قرأ ابنُ زياد كتابَه قال: هذا كتابُ رجل ناصحٍ لأميره، مشفقٍ على قومه، نَعَمْ قد قبلتُ. فقام إليه شَمِرُ بنُ ذي الجَوْشَن وقال: أتقبلُ هذا منه وهو إلى جانبك؟! واللهِ لئن رَحَلَ عن بلادك ولم يضع يده في يدك ليكوننَّ أولى بالقوة والعزّ، ولتكوننَّ أولى بالضعف والعجز، واللهِ لئن لم ينزل على حكمك ليكوننَّ وهناً عليك، ولقد بلغني أنَّ الحسين وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين، فيتحدَّثان عامَّة الليل. فمال ابنُ زياد إلى قول شَمِر وقال: الرأيُ ما قلتَ(١).

وجعل الرجل والرجلان والثلاثة من أهل الكوفة يتسلَّلُون إلى عسكر الحسين رضي الله عنه، وبلغ ابنَ زياد، فخرجَ، فعسكر بالنُّخَيْلَة(٢)، واستخلف على الكوفة عَمرو بن حُريث، وضبط الجسر، فلم يترك أحداً يجوزُه(٣).

وعقد ابنُ زياد لحُصين بن تميم التميمي على ألفين(٤)، وبعثه مدداً لعُمر بن سعد، فصاروا ثمانيةَ آلاف. ولم يبلغ الذين مع الحسين رضي الله عنه مئة.

ودعا ابنُ زياد شَمِراً، وناولَه كتاباً، وقال له: اذهبْ به إلى عُمر بن سعد، فليعرض على حسين وأصحابه النزولَ على حكمي، فإن فعلوا فليبعثْ بهم سِلْماً، وإن أَبَوْا فليقاتِلْهم، فإن امتنع فاضرب عنقه، وأنت الأمير على الناس(٥).

وكان في الكتاب: إني لم أبعثْك إلى الحسين لتطاولَه وتُمَنِّيه وتكونَ له عندي شافعاً، فانظرْ فإنْ نزلَ هو وأصحابُه على حُكمي؛ فابْعَثْ بهم إليَّ سِلْماً، وإنْ أَبَوْا فازحَفْ إليهم، واقْتُلْهم، ومَثِّلْ بهم، فإنْ قُتل الحسين؛ فأوطىء الخيلَ صدرَه وظهرَه، وإن أبيتَ فسلِّم العسكر إلى شَمِر، فقد أمرناه فيك بأمر، والسلام(٦).

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٤٨٢، وتاريخ الطبري ٥/ ٤١٤.

(٢) تصغير نخلة؛ موضع قرب الكوفة. «معجم البلدان» ٥/ ٢٧٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٣٦. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٣٦. وفي «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٧٩ أنه بعث حصين بن تميم في أربعة آلاف. وينظر ما سلف أول الفقرة.

(٥) ينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٣٦. وجاء في حاشية الأصل (خ) كلام بخط الناسخ غير مظهّر بتمامه، أوله: لعنة الله على ابن زياد الآمر بهذا الأمر..

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٤١٤-٤١٥.

وجاءه شَمِر فوقفَ على عسكر الحسين رضي الله عنه ونادى: أين بنو أختنا؟ فخرج العباسُ وعثمانُ وعبدُ الله وجعفر بنو علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال لهم: أنتم يا بني أختي آمنون. فقالوا له: لعنك الله، ولعنَ أمانتكَ ومَنْ أمَّنَنَا، ويحك! أَتُؤَمِّنُنا، وابنُ رسولِ الله ﷺ وابنُ فاطمة لا أمانَ له؟! اذهَبْ مذموماً مدحوراً.

ومعناه أنَّ أمَّ البنين ـ هي أمُّ العباس وعثمان وعبد الله وجعفر ـ كِلابيَّة، وشَمِر ـ لعنه الله ـ كِلابيّ(١).

ولما قدم شَمِر بكتاب ابن زياد على عُمر بن سعد؛ قرأه وقال له: ويلك يا أبرص، مالَك؟! لا قرَّب اللهُ دارَك، ولا أدنى مَزارَك، وقبَّحَ ما أتيتَ به، واللهِ إنِّي لأظنُّك ثَنَيْتَهُ أن يقبل ما كتبتُ به إليه، أفسدتَ علينا أمرَنا، قد كنَّا نرجو أن يصلح، واللهِ لا يستسلمُ حسين أبداً، لَنَفْسُ أبيه بين جَنْبَيْه. فقال له شَمِر: دَعْ هذا، وأخْبِرْني ما أنت صانع، أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوه؟ وإلَّا فخلِّ بيني وبين ذلك. فقال: لا، ولا كرامة لك، وأنا أتولَّى ذلك. قال: فدونك.

فنهض إليه عشيَّة الخميس لسبع مضين من المحرَّم بعد صلاة العصر والحسينُ جالسٌ أمامَ بيته مُحتبياً بسيفه؛ إذْ خفقَ برأسه على ركبتيه، وسمعَتْ أختُه زينبُ بنتُ عليّ الضجَّةَ(٢)، فدنَتْ من أخيها وقالت: يا أخي، أما تسمعُ الأصوات، وعُمر بن سعد ينادي: يا خيل الله اركبي وأبشري؟! فرفع الحسين رأسَه وقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ الساعةَ في النوم، فقال لي: إنك تروحُ إلينا. فلطمَتْ زينبُ وجَهها، وقالت: واويلتاه! وقال الحسين رضي الله عنه: ليس لكِ الويل يا أختاه، اسكُني.

وقال له العبَّاس بن عليّ: أتاكَ القومُ. فقال: يا أخي ارْكَبْ إليهم، وسَلْهُم عمَّا بدا لهم، وما الذي جاء بهم؟ فالتقاهم العباس، فسألهم، فقالوا: ورد كتاب الأمير بكذا وكذا.

---

(١) ذكر الطبري أن شمر لمَّا أخذ الكتاب من ابن زياد؛ كان معه عبد الله بن أبي المحل الكلبي، فقال ابن أبي المحل لابن زياد: إن بني أختنا (يعني أمّ البنين) مع الحسين، فإنْ رأيت أن نكتب لهم أماناً؟ قال: نعم. فأمر كاتبه، فكتب لهم أماناً.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤١٦: الصيحة. وفي سياق الخبر هنا اختصار، وتقديم وتأخير. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٨٣ـ٤٨٤.

فجاء فأخبر الحسين رضوان الله عليه، فقال: عُدْ إليهم، وقل لهم: انصرفوا هذه العشيَّة لننظر في أمرنا الليلةَ، وفي غداة غد يكون ما يريدُ الله. فجاء إليهم فأعاد عليهم ما قال الحسين رضي الله عنه فقال عُمر بن سعد لأصحابه: ما تقولون؟ فقالوا: أنت الأمير، والرأيُ رأيُك. قال: وَدِدْتُ أن لا أكونَ أميراً. فقال له عَمرو بن الحجَّاج الزبيدي: سبحان الله! لو كان من الدَّيْلم ثم سألك هذا لقد كان ينبغي لك أن تُجيبَه!

وقال ابن الأشعث: أجِبْهُم إلى ما سألوك، فواللهِ لَيُصَبِّحُنَّكَ بالقتال غُدْوَة. فعاد عُمر ابن سعد إلى فسطاطه(١).

وقال الحسين رضوان الله عليه: إنما دفعتُهم العشيَّة لنصلّي الليلة، ونسألَ ربَّنا، وندعوَه ونستغفرَه(٢).

ولما انصرف القوم عن الحسين رضي الله عنه؛ عرضَ على أصحابه أن يتفرَّقوا، فأبَوْا وقالوا: و اللهِ لا نُفارقُكَ حتى يصيبَنا ما أصابك.

فبات الحسين رضي الله عنه وأصحابه تلك الليلة، وسألوا الله تعالى وبَكَوْا وتضرَّعوا.

قال عليُّ بن الحسين رضي الله عنهما: وكنتُ مريضاً، وعمَّتي زينب عند رأسي، فاعتزَلَ أبي ليُصلح سيفَه وقال:

يا دَهْرُ أُفٍّ لكَ من خليلِ ... كم لكَ بالإشراقِ والأصيلِ
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلِ ... وكلُّ حيٍّ سالكُ السبيلِ

وجعل يُرَدِّدُها، ففهمتُ ما أراد، فخنقَتْني العَبْرة، فردَدْتُ دَمْعي، وعلمتُ أنَّ البلاء قد نزل.

وأمَّا عمَّتي فسمعَتْ، وهي امرأة، فأدركَها الجَزَع والرِّقَّة، فلم تملك نفسها أنْ قامَتْ تجرُّ ثوبَها وهي حاسرة حتى انتهت إليه، فقالت: واثُكلاه! ليت الموتَ أعْدَمَني الحياة اليوم، ماتَتْ أمّي فاطمة، وعليٌّ أبي، وحسنٌ أخي، يا خليفة الماضين،

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤١٦_٤١٧ بأطول منه، وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٨٤_٤٨٥ .

(٢) بنحوه في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤١٧ . وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٨٤ .

ويا ثِمال الباقين[١]. فقال لها الحسين رضي الله عنه: يا أُخَيَّة، لا يُذهِبْ حِلْمَك الشيطانُ. فقالت له: بأبي أنتَ وأمِّي يا أبا عبد الله، استَقْتِلْ، نفسي فداؤك[٢]. فردَّد غُصَّته، وترقرقت عيناه، ثم قال: ولو تُرك القَطا لَهَدَا وناما[٣]. فقالت: يا ويلتا! أتغتصبُ نفسك اغتصاباً، فذلك الذي أقْرَحَ قلبي. ثم لطمت وجهها، وشقَّت جيبَها، وخرَّتْ مغشيّاً عليها، فقام الحسين رضي الله عنه، فرشَّ على وجهها الماء، وقال لها: يا أُخيَّة، اتقي الله، وتَعَزَّيْ بعزاء الله، وكلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَه.

ثم قام، فخرج إلى أصحابه، وأمرهم أن يُدخلوا البيوتَ بعضَها في بعض، ويستقبلوا العدوَّ من وجهٍ واحد.

فلما كان صباح يوم الجمعة ـ وقيل: يوم السبت ـ خرج عُمر بن سعد، وقد عَبَّأَ الحسين رضي الله عنه أصحابَه وقتَ صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، وجَعلَ زُهير بن القَيْن في الميمنة، وحبيب بن مظهر في الميسرة، وأعطى رايته العبَّاس بن عليّ، وجعلوا البيوت من وراء ظهورهم؛ وأمر الحسين رضي الله عنه بِحَطَبٍ وقَصَب أن يكونَ من ورائهم، ثم يُلقي فيه النار مخافةَ أن يأتوه من ورائه.

وكان مع الحسين رضي الله عنه خمسون رجلاً[٤]، وأتاهم من الحُرّ[٥] عشرون، وكان معه من أهل بيته تسعة عشر رجلاً.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٨٥، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٢٠: يا خليفة الماضي، وثِمالة الباقي. والثِّمال: الملجأ والغِياث.

(٢) كذا في (ب) و(خ). وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٢٠: استقتلت نفسي فداك. وبنحوه في «الكامل» ٤/ ٥٩.

(٣) أي: لَهَدَأ ونام. وهو مَثَل، ولفظُه أعلاه موزون (من الوافر) ولم أقف على هذا اللفظ؛ إنما لفظه في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٢٠ وغيره من المصادر وكتب الأمثال: لو تُرك القطا ليلاً لنام، والقَطَا ـ وهو جمع قَطاة؛ من الطيور ـ لا يسري ليلاً، والمَثَل يُضرب لمن يَهِيج إذا هُيِّج. وينظر «مجمع الأمثال» ٢/ ١٧٥.

(٤) كذا في (خ)، ولم يرد في (ب) قوله: خمسون رجلاً. وقد سلف قبل أنه كان مع الحسين اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً. والكلام ليس في (م). والله أعلم.

(٥) هو الحرّ بن يزيد الذي حبس الحسين عن الرجوع وجعجع به؛ تركَ عُمر بن سعد، والتحق بالحسين رضي الله عنه.

حديث كَرْبَلَاء:

[رُوي عن شَهْر بن حَوْشب، عن أمّ سَلَمة، أنها أخبرت الحسين فقالت: كان جبريل عند النبي ﷺ وأنت معي، فبكيتَ، فقال رسول الله ﷺ: «دعي لي ابني». فتركتُك، فأخذك في حجره، فقال له جبريل: أتحبُّه؟ قال: نعم. قال: «إنَّ أمَّتك ستقتلُه، فإن شئت أُريك من تربة أرضه التي يُقتل فيها. قال: نعم. فبسط جبريل جناحه على أرض كربلاء، فأراه إياها، فَشَمَّها، ففاضَتْ عيناه[١]».

فلما شمَّ الحسين أرض كربلاء؛ قال: هذه ـ والله ـ الأرض التي أراها جبريل رسول الله ﷺ، وأخبره أنني أُقتلُ فيها][٢].

[قال الواقدي:] ولما نزل الحسين رضي الله عنه أرض كَرْبَلاء قال: ما يقال لهذه الأرض؟ قالوا: كَرْبَلاء. قال: كَرْبٌ وبلاء.

ثم قال: أخبرتني أمُّ سَلَمة أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرها أنني أُقتلُ ههنا.

[وقد أخرج حديث أمّ سَلَمة سائر العلماء][٣].

قال أنس: استأذنَ مَلَكُ القَطْرِ ربَّه أن يزورَ رسولَ الله ﷺ، فأَذِنَ له، وكان في بيت أمِّ سلمة، فقال رسول الله ﷺ: «يا أمَّ سلمة، امْلِكِي البابَ علينا، لا يدخلنَّ أحد». فجاء الحسين وهي على الباب، فاقتحم الباب ودخل، وجعلَ رسول الله ﷺ يلزمُه ويُقَبِّلُه، فقال له المَلَك: أتُحبُّه؟ قال: نعم. فقال: إن أمَّتك ستقتلُه. فإنْ شئتَ أُريك المكان الذي يُقتلُ فيه. قال: نعم. فقبض قبضةً من المكان الذي قُتل فيه، فأَشَمَّه إيَّاها، فإذا هو طينةٌ حمراء، أو: فجاء بطينة حمراء، فأخذَتْها أمُّ سلمة، فصرَّتْها في خِمارها.

قال ثابت[٤]: فكان أنس يقول: هي كربلاء.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٩١) من طريق شَهْر بن حَوْشَب، بهذا الإسناد. وأخرجه أيضاً في «المسند» (٢٦٥٢٤) من طريق آخر عن عائشة أو أمّ سلمة، وحسَّن محققوه الحديث بطرقه وشواهده. وينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٣٤ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) الكلام بين حاصرتين من (م)، وسلف قبل تعليق أن الإمام أحمد أخرجه في «المسند» (٢٦٥٢٤) وتنظر طرقه وشواهده في التعليق عليه ثمة.

(٤) هو ثابت بن أسلم البُنَاني راوي الحديث عن أنس، وهو في «مسند» أحمد (١٣٥٣٩).

وروى أبو أُمامة الباهليُّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا أمَّ سَلَمة، إذا تحوَّلَتْ هذه التربة دماً؛ فاعلمي أنه قد قُتل ابني».

قال: فأخذَتْ أمُّ سَلَمة التربة، فجعلَتْها في قارورة، فلما كان يومَ قُتل الحسين رضي الله عنه تحوَّل دماً، فعلمت أنه قد قُتل[1].

وقال ابن سعد[2]: حدَّثنا محمد بن عُمر، حدَّثنا موسى بنُ محمد بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي سَلَمة، عن عائشة قالت: كانت لنا مَشْرَبَة[3]، فكان رسولُ الله ﷺ إذا أراد لُقِيَّ جبريل [لَقِيَه] فيها، فلقِيَه مرّةً فيها، وأمرَ عائشةَ أن لا يصعدَ إليه أحد، فدخلَ الحسين بنُ علي، ولم تعلم حتى غَشِيَهما، فقال جبريل: مَنْ هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «ابني». فقال: إن أمَّتك ستقتلُه، وإن شئتَ أخبرتُك بالأرض التي يُقتل بها. فأشار جبريل إلى الطَّفّ[4]، بالعراق، وأخذ تربة حمراء، فأراه إيَّاها، وقال: هذه [من] تربةِ مصرعِهِ[5]. فقال رسول الله ﷺ: «اشتدَّ غضبُ الله على مَنْ يسفكُ دمَه».

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه[6]: حدثنا محمد بنُ عُبيد، حدثنا شُرَحْبِيلُ بنُ مُدْرِك، عن عبد الله بن نُجَيّ، عن أبيه، وكان سار مع عليّ إلى صفِّين، وكان صاحب مَطْهَرَتِه، فلما حاذَى نِينَوَى ـ قرية على شطّ الفرات عند كَرْبَلاء ـ وقف عليّ، فنادى: اصْبِرْ أبا عبد الله، اصبِرْ أبا عبد الله، ما يقال لهذه الأرض؟ فقالوا: كَرْبَلاء[7]. فبكى حتى بلَّ الأرض من دموعه ثم قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقلت: ما يُبكيك يا رسول الله؟ فقال: «كان عندي جبريلُ آنِفاً، وأخبرني أنَّ الحسين ولدي يُقتلُ

---

(١) بنحوه في «المعجم الكبير» للطبراني (٢٨١٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ١٨٩: فيه عمرو بن ثابت، وهو متروك.

(٢) في «الطبقات الكبرى» ٦/ ٤١٨، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) المَشْرَبَة، بفتح الراء: الموضع الذي يُشرب منه، كالمَشْرَعَة. ينظر «النهاية».

(٤) بفتح الطاء، وتشديد الفاء: أرض من ضاحية الكوفة. «معجم البلدان» ٤/ ٣٦.

(٥) إلى هذا الموضع من رواية ابن سعد عن محمد بن عمر ـ وهو الواقدي ـ في «الطبقات» ٦/ ٤١٨. وأما تتمته بعده، فهي فيه من رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها. وما سلف بين حاصرتين من «الطبقات»

(٦) في «المسند» (٦٤٨)، وإسناده ضعيف كما ذكر محقِّقوه.

(٧) قوله: ما يقال لهذه الأرض... ليس من حديث أحمد. وورد نحوه عن ابن سعد في «الطبقات» ٦/ ٤١٩.

بطَفِّ العراق[1]. قال: فقال لي جبريل: هل لك أن أُشِمَّك من تربته؟ قلت: نعم. فقبض جبريلُ قبضة من تراب، وأعطانيها، فلم أملك عينيَّ أنْ فاضَتا».

وقال الحسن بن كثير: لما سار أمير المؤمنين إلى صفِّين مرَّ بكربلاء، فوقف يبكي ويقول: بأبي أُغَيْلِمةٌ يُقتلون ههنا. هذا مُناخ ركابهم، هذا موضع رحالهم، هذا مصرع الرجل. وجعل ينتحبُ ويبكي[2].

ذكر القتال والقتل:

كان على رُبْع أهل الكوفة[3] عبد الله بن زهير بن سُلَيم الأزدي، وعلى رُبْع ربيعة وكِنْدة قيس بن الأشعث الكِنْدي، وعلى رُبْع مَذْحِج وأسد عبدُ الرحمن بن أبي سَبْرة[4] الجعفيّ، وعلى رُبْع تميم وهَمْدان الحُرّ بن يزيد الرياحي، ثم اليربوعي، فشهد هؤلاء كلُّهم قتل الحسين رضي الله عنه، إلا الحُرَّ بن يزيد رحمه الله، فإنه مال إلى عسكر الحسين رضي الله عنه، وقاتل بين يديه حتى قُتل. وكان الأمير على الكلّ عمر بن سعد، وكانوا ثمانية آلاف.

ولما خيَّرهم الحسين رضي الله عنه أقبلَ الحُرّ بن يزيد على عُمر بن سعد، فقال له: أمقاتلٌ أنت هذا الرجل؟ قال: نعم. قال: أما لكم في واحدة من هذه الخصال التي عرَضَ رِضىً؟! قال عُمر بن سعد: لو كان الأمرُ إليَّ لفعلتُ. فقال الحُرّ: سبحان الله، ما أعظم هذا! يعرضُ ابنُ رسولِ الله ﷺ عليكم ما يعرض فتأبَوْنه! ثم مال إلى الحسين رضي الله عنه، فقاتل معه حتى قُتل. وفيه يقول الشاعر[5] المتوكل الليثي:

لَنِعْمَ الحُرُّ حُرُّ بني رياحٍ وحرٌّ عند مختلف الرِّماحِ

(١) في «المسند» (٦٤٨): بشطّ الفرات.

(٢) لم أقف عليه. وأخرج ابن سعد ٦/ ٤١٩ نحوه من طريق آخر.

(٣) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٢٢، و«الكامل» ٤/ ٦٠: المدينة.

(٤) في (ب) و(خ): عبد الله بن سبرة، والمثبت من المصدرين السابقين، والكلام ليس في (م).

(٥) في (ب) و(خ): الساري(؟). والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٣٨. وورد البيت الأول في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٨٩ دون نسبة.

ونِعْمَ الحرُّ ناداه حسينٌ فجادَ بنفسه عند الصباحِ

ولما صار الحرُّ إلى الحسين ﷺ قال له: يا ابنَ رسولِ الله، جعلني اللهُ فِداك، أنا الذي جَعْجَعتُ بك السير، وحبستُك عن الرجوع، وسايرتُك في الطريق، واللهِ ما ظَنَنْتُ أنَّ القوم يردُّون عليك ما عرضتَ عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، وإني قد جئتُك تائباً مما كان منّي ومُواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترَى ذلك توبة؟ فقال له الحسين ﷺ: نعم، يتوبُ الله عليك، ويغفرُ لك. ما اسمُك؟ قال: الحُرّ بن يزيد. قال: أنتَ الحرُّ كما سَمَّتْك به أمُّك، أنت الحُرُّ في الدنيا والآخرة. فنادَى: يا أهل الكوفة، لأمِّكم الثُّكل[1]، دَعَوْتُموه، حتى إذا أتاكم أَسْلَمْتُموه، فأصبح كالأسير في أيديكم، لا يملكُ لنفسه نفعاً ولا ضَرّاً، وحَلأْتُموه[2] ونساءَه وصِبْيَتَه وأصحابَه عن ماء الفرات الجاري الذي تشربُه اليهود والنصارى والمجوس، وتتمرَّغُ فيه خنازيرُ السَّواد وكلابُه، بئسَ ما خلفتُم محمداً في ذُرِّيَّته، لا سقاكم الله يومَ الظمأ إنْ لم تتوبوا وتَنْزِعُوا عمَّا أنتم عليه في ساعتكم هذه. فحملوا عليه ورمَوْه بالنَّبْل.

وكان الحرُّ يرتجزُ ويقول:

أضربُ في أعراضكم بالسيفِ عن خير مَنْ حلَّ مِنَى والخَيْفِ

فتكاثروا عليه، فقتلوه.

وجعلَ ابنُ سعد على ميمنته عَمرو بنَ الحجَّاج الزبيدي، وعلى ميسرته شَمِرَ بن ذي الجَوْشن، وعلى الخيل عَزْرة بن قيس الأحْمَسيّ. وعلى الرجَّالة شَبَث بن رِبْعيّ اليربوعي، وأعطى الراية دريداً[3] مولاه.

ودخل الحسين ﷺ الفسطاط، فاطَّلَى بالنُّورة[4]، وماثَ مِسْكاً[5] في جَفْنَة، وتطيَّبَ، ثم خرج، وركب دابته، ووقف في الصفّ.

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٢٨ : الهَبَل والعُبْر. (والهَبَل هنا، بمعنى الثُّكل، والعُبْر: سخونةُ العين).
(٢) أي: منعتموه.
(٣) وكذا في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٨٧ ، ووقع في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٢٢ : ذويد.
(٤) مادّة لإزالة الشعر.
(٥) أي: أذابه بالماء.

واقتتل أصحابُه مع القوم قتالاً شديداً، فكان أولَ من أنشبَ القتال سالمٌ مولى عُبيد الله بن زياد؛ برز من الصَّفّ، فخرج إليه عبد الله بنُ عُمير[1] الكلبي، فقتلَه.

وأمرَ الحسين رضي الله عنه، فأضرموا النارَ في القَصَب خوفاً على الحُرَم[2]، فناداه شَمِر بن ذي الجَوْشَن: يا حسين، تعجَّلتَ النار في الدنيا قبل يوم القيامة. فعرفَه الحسين رضي الله عنه فقال: يا ابنَ راعية المِعْزَى، أنتَ أولى بها صِلِيًّا[3]، يا ملعون، لقد أخبرني جدِّي أنَّ كلباً يلغُ في دماء أهل البيت، وما إخالُك إلا إيَّاه[4].

ثم ركب الحسين رضي الله عنه راحلته، ونادى بأعلى صوته: أيُّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعتذرَ إليكم من مَقْدَمي عليكم، فإنْ قبلتُم عذري، وصدَّقتموني، وأعطيتموني النَّصَف، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن عليَّ سبيل، وإنْ لم تقبلوا عذري، ولم تعطوني النَّصَف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١] ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

فلما سمع أخواتُه وبناتُه كلامَه هذا؛ صِحْنَ وبَكَيْنَ، وارتفعت أصواتُهنَّ، فأرسل إليهنَّ العباسَ أخاه، وقال: قل لهنّ: اسكتن، فلعمري فليكثرنَّ بكاؤهم. ثم قال: لا يُبعد الله ابنَ عباس. أشار إلى قوله: لا تأخُذْ معك نساءك وبناتك[5].

فلما سكتْنَ، حمدَ الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس، أنْسُبُوني مَن أنا، ثم ارجعوا إلى نفوسكم، وعاتِبوها وانظروا، هل يحلُّ لكم قتلي؟! ألستُ ابنَ بنت نبيِّكم صلى الله عليه وسلم، وابنَ وَصِيِّه وابنِ عمِّه؟! أوليس حمزةُ سيِّدُ الشهداء عمَّ أبي؟! أوليس جعفرٌ

---

(١) في (ب) و(خ): تميم. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٨٩، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٢٩-٤٣٠. والكلام فيهما بنحوه.

(٢) سلف قبل فقرة «حديث كربلاء» أن الحسين رضي الله عنه أمر بإضرام النار من وراء البيوت مخافةأن يأتوه من ورائه.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٢٣-٤٢٤.

(٤) أنساب الأشراف ٢/ ٤٩٢ بنحوه.

(٥) سلف قول ابن عباس له ص٢٠ في فقرة «ذكر مقام الحسين بمكة ومكاتبات أهل الكوفة»

الطيارُ في الجنة عمِّي؟! أليست فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ أمي؟! أليست خديجةُ جدَّتي؟! أليس قد استفاضَ فيكم أن رسول الله ﷺ قال لي ولأخي: «هذانِ سيِّدا شبابِ أهل الجنة». فإن لم تُصدِّقوني فسلُوا جابر بن عبد الله، أو أبا سعيد الخُدري، أو زيد بن أرقم، أو سهل بن سعد، أو أنس بن مالك.

فناداه شَمِر بن ذي الجَوْشن: هو يعبدُ الله على حرف إن كان يدري ما يقول. والباقي سكوت(١).

فنادى الحسين رضي الله عنه: يا شَبَث بن رِبْعيّ، ويا حجَّار بن أَبْجَر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليَّ: قد أينعت الثمار، واخضرَّ الجَناب، وإنما تَقْدَمُ على جند مجنَّدٍ لك فأقْبِلْ. فقالوا: لم نفعل. فقال: هذه كتبُكم. فأمَّا إذْ كرهتُموني فدعوني أنصرفْ عنكم إلى مأْمني من الأرض. فقال له قيس بن الأشعث: أو تنزلُ على حكم ابن عمِّك؟ فإنَّهم لن يُرُوك إلا ما تُحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه. فقال له الحسين رضي الله عنه: أنت أخو أخيك، أتُريدُ أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم ابنِ عقيل؟! لا واللهِ لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أُقرُّ إقرار العبد.

ثم نزل عن راحلته، وجلس بفِناء بيته(٢). وناداه(٣) محمد بن الأشعث: يا حسين، أبْشِرْ، الساعةَ تَرِدُ الجحيم. فقال له الحسين رضي الله عنه: لعنك الله، ولعن أباك وقَوْمَك يا ابنَ المرتدّ الفاجر، عدوّ الله ورسوله والمسلمين(٤).

ولما زحفوا قِبَلَ الحسين رضي الله عنه ناداهم زهير بنُ القَيْن: ويحكم يا أهل الكوفة! تخذُلُون ابنَ بنتِ نبيِّكم، وتنصرون الطاغية عُبيد الله بن زياد؟! وذكر مثالبَه ومثالبَ بني أميَّة، وما فعلوا بحُجْر بن عديّ وغيره، فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم، وقال: اسْكُتْ لا سكتَّ، أبْرَمْتَنا بكلامك. فقال له زهير: يا ابنَ البوَّال على عقبيه، إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، واللهِ ما أظنُّك تُحكِمُ من كتاب الله آيتين، فأبْشِرْ بالخِزْي

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٢٣-٤٢٥. والخبر ليس في (م).

(٣) في (م): قال هشام: بلغني أن وقت وقع القتال ناداه...

(٤) خبر ابن الأشعث مع الحسين رضي الله عنه بنحوه في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٢.

يومَ القيامة والعذابِ الأليم. فقال له شمر: إن اللهَ قاتلُك وصاحِبَك بعد ساعة. فقال له: يا ملعون، بالموت تُخوِّفُني؟! فواللهِ لَلْمَوتُ أحبُّ إليَّ من الخُلْد معكم. ثم رفع صوته ونادى: عبادَ الله، لا يَغُرَّنَّكم في دينكم هذا الجِلْفُ الجافي وأشباهُه، فواللهِ لا تَنالُ شفاعةُ محمدٍ ﷺ قوماً هرقوا دماء ذرِّيَّته وأهلِ بيته.

وأرسل إليه الحسين رضي الله عنه: ارجعْ، فقد نصحتَهم كما نصحَ مؤمنُ آلِ فرعون قومَه، ولكن لا يفقهون[1].

وأولُ من زحف عليهم عُمر بن سعد؛ رَمَى بسهم وقال للناس: اشهدوا [أني أولُ من رمى] ثم[2] قال لمولاه وبيده الراية: يا دريد تَقَدَّم[3].

وبعثَ خمس مئة من الرُّماة، فأقبلوا إلى الحسين رضي الله عنه، فرشقوهم بالنَّبْل، فعقروا خيولهم، فصاروا كلُّهم رجَّالَةَ[4]. وقاتلوهم حتى انتصف النهار أشدَّ قتالٍ خلقه الله، ولا يقدرون على إتيانهم إلا من وجهٍ واحد لاجتماع أبنيتهم، وتقارب بعضها من بعض[5].

فلما رأى ذلك عُمر بن سعد أرسل رجالاً وقال: قَوِّضُوا الأبنية. فلم يقدروا من النَّبْل، فقال: حرِّقُوها. فجاؤوا بالنار، فقال الحسين رضي الله عنه: دعوهم يحرقونها، فإن حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها ومن النار.

وحمل شَمِر حتى طعن فسطاط الحسين رضي الله عنه برمحه وقال: عليَّ بالنار حتى أُحرق هذا البيت على أهله. قال: فصاح النساء وخرجن من الفسطاط، وصاح به الحسين رضي الله عنه: يا ابنَ ذي الجَوْشَن، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي! حرقك الله بالنار.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) في (ب) و(خ): بما (؟) وأثبتُّ لفظة «ثم» من قِبلي. وانظر التعليق التالي.

(٣) في (ب) و(خ): «أن تقدّم». وأصلحتُ العبارة، واستدركتُ ما بين حاصرتين من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٢٩ ليستقيم السياق. ولفظه فيه: «وزحف عمر بن سعد نحوهم، ثم نادى: يا ذُويد، أَدْنِ رايتَك. قال: فأدناها، ثم وضع سهمه في كبد قوسه ثم رمى فقال: اشهدوا أني أوَّلُ مَنْ رَمَى» وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٨٩.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٤٣٧.

(٥) المصدر السابق ٥/ ٤٣٧-٤٣٨.

وجاءه شَبَث بن رِبْعيّ فقال له: ما شهدتُ موقفاً أقبح من موقفك! أَمِطْ عن النساء. فاستحى منه، وانحرف عنهنَّ[١]. وقُتل من أصحاب الحسين رضي الله عنه غلبتهم[٢].

وجاء وقت الصلاة، فقال الحسين رضي الله عنه: سلُوهم أن يكفُّوا عنَّا حتى نُصلي. فقال الحُصين بن تميم: إنَّها لا تُقبل. فقال له حبيب بن مظهر ـ وكان من أكابر أصحاب الحسين رضي الله عنه ـ: يا حمار، أتُقبلُ منك الصلاة، ولا تقبل من ابنِ رسول الله ﷺ؟! فحمل عليه الحُصين بنُ تميم، فضرب حبيبٌ وجهَ فرسِه بالسيف، فشَبَّ به فرسُه، فسقط، واحتمله أصحابُه، فقال حبيب:

أُقسمُ لو كنَّا لكم أعدادا ... أو شطركم ولَّيتُمُ أكتادا[٣]
يا شرَّ قومٍ حَسَباً وآدَا

ثم حمل عليهم وقاتلهم قتالاً شديداً، وحملَ عليه رجل من تميم، فطعنه، وحمل عليه الحصين بنُ تميم، فضربه بالسيف على رأسه، فوقع، ونزل إليه التميمي، فاحتزَّ رأسه، فقال له الحصين: أنا شريكُك في قتله. فقال التميمي: لا والله ما قتله غيري. فقال الحصين: أعطني إياه أعلّقه في عنق فرسي حتى يعلم الناس أني شريكك في قتله، فدفعه إليه، وعلّقه في فرسه [فجال به في العسكر] ثم دفعه إليه، فدخل التميمي الكوفة ورأس حبيب بن مظهر في عنق فرسه يريد ابنَ زياد، فرآه القاسم بنُ حبيب، وهو يومئذٍ قد راهقَ الحلم، فخرج مع الفارس، لا يفارقُه كلما دخلَ القصر وخرج، فارتاب منه الفارس، فقال: مالك يا بنيّ؟! قال: لا شيء. قال: بلى، فاخبِرْني. فقال: إنَّ هذا رأسُ أبي، فلو أعطيتنيه حتى أدفنه. فقال: إنما قصدي أن يثيبني الأميرُ عليه. فقال له الغلام: لكن الله يُثيبك عليه أسوأ الثواب.

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٤٣٨ . وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٣ .

(٢) جاء في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٣٩ : أن أصحاب الحسين رضي الله عنه إذا قُتل منهم الرجل والرجلان تبيّن فيهم، وأولئك كثير لا يتبيّن فيهم ما يُقتل منهم. وينظر «الكامل» ٤/ ٧٠ .

(٣) أي: جماعات. ينظر «القاموس». ووقع في (ب) و(خ): وليلكم عتادا (؟) والمثبت من «تاريخ الطبري».

ثم لم يكن لذلك الغلام همٌّ إلا اتّباع آثار التميمي ليقتلَه بأبيه، فلمَّا كان زمنُ مصعب؛ دخل الغلام عسكر مصعب[(١)]، فرأى التميميَّ قائلاً نصف النهار في فسطاطه، فدخل عليه فقتله[(٢)].

ولما قُتل حبيب بن مظهر، هدَّ ذلك الحسينَ ﷺ وقال عندها: للهِ أحتسبُ نفسي[(٣)].

وصلَّى بهم صلاة الخوف في وقت الظهر، واشتدَّ القتال بعد الظهر، وتقدَّم زهير بنُ القَيْن، فقاتل قتالاً شديداً وهو يقول:

أنـا زهـيـرٌ وأنـا ابـنُ الـقَـيْـنِ   أَذُودُهـم بـالـسـيـفِ عـن حُـسـيـنِ

ثم أخذَ يضرب على منكب الحسين ويقول:

أَقْـدِمْ هُـديـتَ هـاديـاً مَـهْـدِيَّـا   فـالـيـومَ تَـلْـقَـى جـدَّك الـنَّـبِـيَّـا

وحـسـنـاً والـمـرتـضـى عـلـيَّـا   وذا الـجـنـاحـيـن الـفـتـى الـكَـمِـيَّـا

وأسـدَ الـلـهِ الـشـهـيـدَ الـحـيَّـا

فشدَّ عليه كثير بنُ عبد الله الشعبيّ، ومهاجر بن أوس، فقتلاه.

وحمل عليهم نافع بن هلال الجَمَلي، فقتلَ اثني عشر من أصحاب ابنِ سعد، ثم تكاثروا عليه، فأخذه شَمِر أسيراً، وجاؤوا به إلى عمر بن سعد، فقال: ويحك يا نافع! ما حملك على ما صنعتَ بنفسك؟! ثم ضربه شَمِر بالسيف، فقتله[(٤)].

وجاء أصحابُ الحسين ﷺ، فوقفوا بين يديه، قالوا: ما بقيَ إلا أن نفديَك بأرواحنا. وقاتلوا دونه واحداً بعد واحد، حتى قُتلوا عن آخِرهم، فلم يبقَ منهم إلا اليسير.

وكان أوَّلَ قتيل من آل أبي طالب عليٌّ الأكبر بن الحسين بن علي ﷺ، وأمُّه ليلى بنت أبي مُرَّة بن عروة بن مسعود الثقفي؛ لما رأى أصحابَ الحسين ﷺ قد قُتلوا وهم حوله كربيض الغنم؛ حملَ وهو يقول:

---

(١) في (ب) و(خ): ابن مصعب، وهو خطأ.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٣٩-٤٤٠. وما سلف بين حاصرتين منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٤.

(٣) في «تاريخ الطبري»: أحتسب نفسي وحُماة أصحابي.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٤٤١-٤٤٢.

أنا علِيُّ بنُ حسينِ بنِ علي نحنُ وربِّ البيت أولى بالنبي
من شَمِرٍ وعُمرٍ وابنِ الدَّعي[١]

فقال مُرَّةُ بن منقذ العبدي: لَأُثْكِلَنَّه أباه. فطعنه فوقع، فقطَّعوه بأسيافهم.

وحملوه إلى الحسين رضي الله عنه، فقال: قتلوك يا بنيّ، ما أجرأهم على الله! على الدنيا بعدك العَفَاء.

وخرجت زينب بنت فاطمة عليهما السلام، فأكَبَّتْ عليه، فأخذ الحسين رضي الله عنه بيدها، فولَّى بها إلى الفسطاط.

ثم إن عَمرو بن صبيح المرِّيَّ[٢] رمى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم، فخَيَّطَ يدَه مع جبهته[٣]، ثم رماه بسهم آخر، ففلق قلبَه.

وأحاطَ بهم الناس من كل جانب، فحمل عبدُ الله بن قطبة الطائي على عون بن عبد الله بن جعفر، فقتلَه، وحمل عامرُ بنُ نَهْشَل التَّيْمي[٤] على محمد بن عبد الله بن جعفر، فقتله. وشدَّ عثمان بن خالد الجُهني على عبد الرحمن بن عقيل، ومع عثمان بشر بن سوط الهَمْداني، فقتلاه، وحمل عَمرو بنُ سعد بن نُفيل الأسدي على القاسم ابن الحسن بن علي، وكان مثل القمر، فقتله.

وبقي الحسين رضي الله عنه قائماً وحده، فكلما انتهى إليه رجل من الناس كره أن يتولَّى قتلَه، فانصرف عنه، حتى جاءه مالك بن الكندي، فضربه بالسيف على رأسه وعليه بُرْنُس، فجرحه، وامتلأ البرنُس دماً، فدعا عليه الحسين رضي الله عنه وقال له: لا أكلتَ بها ولا شربتَ.

---

(١) شِمر: هو ابن ذي الجوشن، وعمر: هو ابن سعد، وابنُ الدَّعيّ: عُبيد الله بن زياد. ورواية الرجز في «نسب قريش» ص ٥٧ : من شَمِر وشَبَث وابن الدعي. وشَبَث: هو ابن رِبْعي. وروايته في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٦ : تالله لا يحكم فينا ابنُ الدَّعي. وينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٣٩ .

(٢) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٧ : الصيداوي، وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٧ : الصدائي.

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ٤٩٧ بنحوه. وفيه أيضاً: يقال: إن زياد بن ورقاء الجنبي كان يقول: رميتُ فتًى من آل الحسين ويده على جبينه، فأثبتُّها فيها. وينظر «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٧ .

(٤) في (ب) و(خ): التميمي. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٧ ، وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٨ .

وأخذ الكنديُّ البُرنُس وكان من خزّ، وقَعد الحسين رضي الله عنه وأُتِيَ بصبيٍّ له صغير، فأجلسه في حِجره ـ وقيل: هو عبد الله بن الحسين رضي الله عنه ـ [فرماه رجل من بني أسد بسهم، فذبحه، فتلقَّى الحسين رضي الله عنه][1] دمَه، فملأ كفَّه، فجعل يبكي ويقول: اللهم إنك تعلم ما يصنع هؤلاء القومُ بإخوتي وولدي. فنودي من الهواء: دَعْه، فإنَّ له مرضعاً في الجنة.

ورمى عبدُ الله بنُ عقبة الغَنَويُّ أبا بكر بن الحُسين[2] بسهم، فقتلَه، وفيه يقول ابنُ قَتَّة:

وعند غنيٍّ قطرةٌ من دمائنا سنجزيهمُ يوماً بها حيثُ حَلَّتِ[3]

وزعموا أن العبَّاس قال لإخوته من أمِّه؛ عبد الله، وجعفر، وعثمان: يا بني أمّي، تقدَّمُوا فقاتِلُوا حتى أرثكم، فإنه لا ولدَ لكم. فتقدَّموا، فقُتلوا[4]، قَتَلَ هانىءُ بنُ ثُبَيْت الحضرميُّ عبدَ الله، وقَتَلَ جعفراً أيضاً، وقَتَلَ عثمانَ رجلٌ من بني أصبح[5]، وقتل محمداً رجلٌ من دارم.

وعطش الحسين رضي الله عنه، فدنا ليشربَ من الماء، فرماه حُصين بن تميم بسهم، فوقع في فمه، فجعل يتلقَّى الدمَ من فيه، ويُومىء به إلى السماء، وقال: اللهم أَقِلَّهم عدداً، واقتُلْهم بَدَداً، ولا تُبقِ منهم على الأرض أحداً، واجعلهم طرائق قِدَدا، ولا تُرضي عنهم الوُلاةَ أبداً[6].

---

(١) ما بين حاصرتين مستفاد من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٨ . وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٨ .

(٢) كذا في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٣٩ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٨ ، و«الكامل» ٤/ ٧٥ ، والأرجح أنه: ابن الحسن. ولم يرد ذكره في الفقرة الآتية في ذكر من استشهد من آل أبي طالب. وينظر «نسب قريش» ص ٥٠ و٥٧ـ٥٨ ، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٨ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٨ ، و«مروج الذهب» ٥/ ١٤٥ .

(٣) رواية الشطر الثاني في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٣٩ : وفي أسدٍ أخرى تُعدُّ وتُذكرُ. وهو في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٨ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٨ بمثل رواية ابن سعد، ونُسب فيهما لابن أبي عقب. وسيرد البيت (وبمثل رواية المصنف) ضمن قصيدة لابن قتَّة ـ واسمه سليمان ـ في رثاء الحسين رضي الله عنه.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٤٤٨ـ٤٤٩ . وينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٢ .

(٥) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٩ أن خولي بن يزيد الأصبحي رمى عثمانَ بن علي بسهم، ثم شدّ عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله.

(٦) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٩ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٩ و٤٥١ .

وقال هشام: إن الحسين رضي الله عنه حين غُلب على عسكره ركبَ المُسَنَّاة[1] يريد الفرات، فقال رجل من بني دارم: ويلكم، حُولُوا بينه وبين الماء. ورماه بسهم، فوقع في حنك الحسين رضي الله عنه، فجعل يتلقَّى الدم ويبكي. فمات ذلك الرجلُ عَطَشاً، فكان يُبَرَّدُ له الماء، ولا يَرْوَى.

وأقبلَ شَمِر بن ذي الجَوْشَن في عَشَرة من أهل الكوفة نحو فسطاط الحسين رضي الله عنه الذي فيه أهله وعياله، فجاء الحسين رضي الله عنه، فحالوا بينه وبين عياله، فقال الحسين رضي الله عنه: ويلكم! إنْ لم يكنْ لكم دينٌ، وكنتُم لا تخافون يومَ المَعاد؛ فكُونُوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب، امنعُوا رَحْلي وأهلي من طَغَامِكم[2] وجُهَّالكم. فقال شَمِر: ذلك لك يا ابنَ فاطمة.

وأَقْدَمَ عليه شَمِر بالرَّجَّالة، والحسينُ رضي الله عنه يَشُدُّ عليهم، فينكشفون عنه، ثم أحاطوا به[3].

وأقبل عُمر بن سعد، فقالت له زينب: يا عُمر، أيُقتل الحسين وأنت تنظر إليه؟! فسالت دموعُه على خدَّيه، وصرف وجهه عنها[4].

ونادى شمر في الناس: ويحكم، ما تنتظرون بالرجل؟! اقتلوه. فحملوا عليه من كل جانب، فضربه زُرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى، ثم على عاتقه[5]، فجعل يكبُو وهو يقاتل، وطعنَه سِنان بن أنس بن عمرو النَّخَعي بالرمح، فوقع. ثم قال لخَوْلي ابن يزيد: احتزَّ رأسه. فأراد أن يفعل، فأُرْعِد وضعُف، فقال له سنان: فَتَّ اللهُ عضدك، وأبان يدك. فنزل إليه وذبحه.

---

(١) في (ب) و(خ): المياه. والمثبت من «تاريخ الطبري». والمُسَنَّاة: سدٌّ يُبنى لحجز ماء النهر، به مفاتح للماء.

(٢) الطَّغَام: أوغاد الناس، الواحد والجمع فيه سواء. «مختار الصحاح».

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤٠ـ٤٤١، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٥٠.

(٤) أنساب الأشراف ٢/ ٥٠٠، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٥٢.

(٥) أنساب الأشراف ٢/ ٥٠٠ـ٥٠١، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٥٣. وفي «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤١ أن زُرعة انتهى إليه، فضربه على كتفه اليسرى، وضربه حسين رضي الله عنه على عاتقه فصرعه.

ولما وقع الحسين رضي الله عنه جعل لا يدنو أحد منه إلا شدَّ عليه سِنانُ بن أنس مخافةَ أن يُغلب على رأسه، حتى أخذ رأسَ الحسين رضي الله عنه، فدفعه إلى خَوْلي[١].

واختلفوا في قاتل الحسين رضي الله عنه؛ فالمشهور ما ذكرنا، وقيل: الحصين بن تميم. وقيل: مهاجر بن أوس التميمي. وقيل: كثير بن عبد الله الشعبي. وقيل: شَمِر بن ذي الجوشن. والأول أصح.

قال الشعبي: دخل سنان بن أنس على الحجَّاج، فقال له: أنتَ قاتلُ الحسين؟ قال: نعم. قال: فكيف صنعت به؟ قال: دعمتُه بالرمح دعماً، وهبرتُه بالسيف هَبْراً، وذبحتُه ذبحاً. فقال له الحجَّاج: أبْشِرْ، فإنكما لا تجتمعان في دار واحدة أبداً. فما سُمع من الحجَّاج كلمة خير منها[٢].

وروى ابن سعد قال[٣]: قال الحجَّاج: من كان له عندنا بلاء فليقم. فقام قوم، فذكروا بلاءهم، وقام سنان بن أنس النخعي، فقال: أنا قاتل الحسين. فقال: بلاء حسن. ورجع إلى منزله، فاعتُقل لسانُه، وذهب عقلُه، فكان يأكل ويُحْدِثُ في مكانه.

وسُلب الحسين رضي الله عنه ما كان عليه؛ فأخذ سراويله بحرُ بن كعب التميمي، وأخذ قيس بن الأشعث قَطِيفَتَه، وأخذ نعليه الأسود من بني أَوْد، وأخذ سيفَه القُلانس من بني نهشل بن دارم، وأخذ عِمامتَه جابرُ بن يزيد[٤].

وانتهب أهل الكوفة متاعَه، ومالوا على نسائه وبناته، فإن كانت المرأة لَتُنازَعُ ثوبَها عن ظهرها حتى تُغْلَبَ عليه، فيذهب منها[٥].

وانتهى شَمِر بن ذي الجوشن إلى عليِّ بن الحسين رضي الله عنهما الأصغر وهو مريض على فراش، فقال: ما لهذا ما قُتل؟ قال حميد بن مسلم: فقلت له: يا سبحان الله! ما ذنبُ هذا الصبيّ؟! فما زلتُ أدافع عنه حتى جاء عُمر بن سعد، فقال: لا يدخلنَّ على هؤلاء

(١) المصدران السابقان الأولان.

(٢) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١٢، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٨٢٨)، و«الكامل» ٤/ ٥٨٥ (أحداث سنة ٩٥).

(٣) في «الطبقات» ٦/ ٤٥٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤٤، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٥٣.

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٤٥٣.

النسوة أحد، ولا يعترض لهذا الغلام أحد، ومَنْ أخذَ شيئاً من متاعهم فليردَّه. فواللهِ ما ردَّ أحدٌ شيئاً[(١)].

وقالت فاطمة بنتُ الحسين: نازعني رجل حِلْيَتي فقلت: لا تفعل. فقال: يأخذُه غيري[(٢)].

وعروا نساءه وبناته ثيابهنّ[(٣)].

وقال الناس لسنان بن أنس[(٤)]: قتلتَ أشرفَ العرب خطراً؛ الحسين بنَ علي وابنَ فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ؛ جاء ليُزيل مُلك بني أمية، فاطلبْ ثوابَك منهم، فلو أعطَوْك ما في بيوت أموالهم لكان قليلاً.

فأقبلَ على فرسه، وكان شجاعاً فاتكاً شاعراً، وكانت به لُوثَة[(٥)]، فأقبلَ حتى وقفَ على باب فسطاط عُمر بن سعد، ثم نادى بأعلى صوته وقال:

أوْقِـرْ رِكـابـي فـضـةً وذَهَـبـا إنـي قـتـلـتُ الـمَـلِـكَ الـمُـحَـجَّـبَـا
قـتـلـتُ خـيـرَ الـنـاسِ أمّـاً وأبـا وخـيـرَهـم إذْ يُـنْـسَـبُـونَ نَـسَـبـا

فقال عُمر بن سعد: أَدْخِلُوه عليَّ. فلما أُدخل حَذَفَه بالقضيب، وقال: إنك لمجنون، أتتكلَّم بهذا الكلام! واللهِ لو سمعك ابنُ زياد لضربَ عنقَك[(٦)].

ونادى ابنُ سعد في أصحابه: من ينتدب للحسين، فيوطئه فرسَه؟ فانتدب له عَشَرة، منهم إسحاق بن حَيْوَة الحضرميّ - وهو الذي سلبَ قميصَ الحسين ﷺ، فبَرِصَ[(٧)] بعد ذلك - فداسُوا الحسين ﷺ بخيولهم حتى رضُّوا صدرَه وظهرَه.

ووجَدُوا في ظهره خطوطاً سوداً، فسألوا عنها، فقالوا: كان ينقل الطعام على ظهره في الليل إلى الأرامل والمساكين.

---

(١) المصدر السابق. وينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤٤ .

(٣) لم أقف على هذا القول.

(٤) تحرف في (ب) و(خ) إلى لفظ: وقال الناس استأذن أنس...

(٥) أي: حُمق، ومسٌّ جنون.

(٦) أنساب الأشراف ٢/ ٥٠٢ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٥٤ .

(٧) في (ب) و(خ): فوقف، بدل: فبرص. والمثبت من المصدرين السابقين.

وكان في الذين انتدبوا لذلك أحبش بن مرثد[١] الحضرمي، فبينا هو واقف بعد ذلك في قتال إذْ جاءه سهمٌ غَرْبٌ[٢]، ففلقَ قلبَه[٣].

ذكر من قُتل من الفريقين:

قُتل من أصحاب الحسين ﷺ اثنان وسبعون[٤] رجلاً، وقتل من أصحاب عُمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلَّى عليهم عُمر بن سعد، ودفنَهم.

واختلفوا في عدد أصحاب الحسين ﷺ على أقوال:

أحدها: اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً.

والثاني: خمسون راجلاً، وأتاهم من أهل الكوفة عشرون، وكان معه من أهل بيته تسعة عشر رجلاً. فهؤلاء تسعة وثمانون رجلاً.

والثالث: كانوا خمسة وأربعين فارساً ومئة راجل.

وقال المسعودي: كانوا ألفاً[٥].

ذكر من استشهد من آل أبي طالب:

وهم عشرون: لعليٍّ رضوان الله عليه سبعة، وللحسن ﷺ عنه اثنان[٦]، وللحسين ثلاثة، ولعبد الله بن جعفر اثنان، ولعَقِيل ستة غير مسلم بن عَقِيل.

فأما أولاد عليٍّ رضوان الله عليه:

فالحسين عليه السلام؛ قتلَه سِنان بن أنس، واحتزَّ رأسه خَوْلي بن يزيد، والعباسُ بن عليّ؛ قتلَه زيد بن رقاد الجَنْبي[٧]، وحكيم السِّنْبِسيّ من طيِّء. والمشهور حرملة بن الكاهن. وقال الشعبي: وهو أول قتيل بعد الحسين ﷺ؛ خرج وهو يقول: يا ابن أمير المؤمنين.

---

(١) في (ب) و(خ): يزيد. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٥٥ .

(٢) في «القاموس»: أصابه سهمُ غربٍ ـ ويحرَّك ـ وسهمٌ غَرْبٌ؛ نعتاً، أي: لا يُدرى راميه.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٥٤ـ٤٥٥ . دون ذكر نقل الطعام إلى الأرامل.

(٤) في (ب) و(خ): ستون، وهو خطأ. وينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤١ ، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٣ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٥٥ ، وذكر المسعودي في «مروج الذهب» ٥/ ١٤٥ أنهم سبعة وثمانون.

(٥) الذي في «مروج الذهب» ٥/ ١٤٣ أن الحسين كان في مقدار خمس مئة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مئة راجل.

(٦) سيرد في التعليق قريباً أنهم ثلاثة.

(٧) في (ب) و(خ): الجهني، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٨ . ووقع في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٢ : الجبني.

وقال القاسم بن أصبغ المجاشعي: لما أُتي بالرؤوس إلى الكوفة رأيتُ فارساً من أحسن الناس، وقد علَّق في لَبانِ فرسه[١] رأسَ غلام أمرد، كأنه القمرُ ليلةَ البدر، والفرس يمرح، فإذا طأطأ رأسه لحقَ بالأرض، فحزن الناس عليه، فسألتُ عن الرجل، فقيل: هذا حرملة بن الكاهن الأسدي، وهذا رأس العبَّاس بن عليّ بن أبي طالب، فأقمتُ أياماً، ثم لَقِيتُ حرملة وإذا وجهُه أسودُ من القار، فقلت له: رأيتُك اليوم وما في العرب أقبحَ ولا أسودَ وجهاً منك! فبكى وقال: منذ حملتُ الرأس يأتيني كلَّ ليلة اثنان، فيأخذان بضَبْعيَّ[٢]، ثم ينتهيان بي إلى نار تأجَّج، فيدفعاني فيها وأنا أنكص عنها وهي تسفعني[٣]، فقد صار وجهي كما ترى.

وقد كان العبَّاس قال لإخوته من أبيه وأمِّه: تقدَّموا، فإن قُتلتُم ورثتكم، وإن قُتلتُ بعدَكم ورثني ولدي، وإن قُتلت قبلكم ورثكم محمد بن الحنفية، لأنهم لم يكن لهم ولد[٤].

قال المصنف رحمه الله: والعجبُ من العبَّاس إن ثبتَ ذلك عنه! أما كان له شُغل بما هم فيه من تلك الأحوال عن النظر في الميراث وغيره؟!

وقتلَ جعفرَ الأكبر بنَ علي بن أبي طالب هانىءُ بنُ ثُبَيْت[٥] الحضرمي، وقتل عثمانَ ابنَ علي خَوْليُّ بنُ يزيد؛ رماه بسهم فقتله، وقتلَ عبدَ الله بنَ علي رجلٌ من بني دارم[٦]، وقُتِلَ العبَّاس بعدَهم، فهؤلاء الأربعة من أمّ البنين الكِلابية[٧].

وأما أبو بكر بن علي؛ فيقال: إنه قُتل في ساقيه. وأمُّه ليلى بنت مسعود[٨]، ومحمد ابن علي الأصغر[٩]، قتله رجل من بني دارم.

---

(١) أي: صدر فرسه.
(٢) مثنى ضَبْع، وهو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها.
(٣) أي: تلفحني.
(٤) ينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٢ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٩ ، وسلف هذا الكلام قبل عدة صفحات.
(٥) في (ب) و(خ): قتيب. والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٢ .
(٦) في «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٨ ، و«طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٢ أن الذي قتلَ عبدَ الله بنَ علي هو هانىءُ بنُ ثُبيت الحضرمي. ولم يذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٥٥١ عبد الله .
(٧) ينظر «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٨ .
(٨) ينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٢ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٨ .
(٩) وأمُّه أمُّ ولد، كما في «نسب قريش» ص ٤٤ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٨ ، وليس هو بمحمد بن الحنفية.

وأمَّا أولاد الحسن بن علي رضي الله عنهما فعبد الله؛ لأمِّ ولد، قتله حرملة الكاهلي من بني أسد، وقيل: حرملة بن الكاهن، والقاسم بن الحسن؛ قتله سعيد بن عمرو الأزدي[(١)].

وأمَّا أولاد الحسين رضي الله عنه؛ فعليّ الأكبر قتله مُرَّة بن منقذ العبديّ، وأمُّه ليلى[(٢)] بنت أبي مُرَّة، ثقفية، ناداه رجلٌ من أهل الشام: يا علي، إنَّ لك بأمير المؤمنين قرابةً، فإن شئت أمَّنَّاك. فقال: قرابةٌ برسول الله ﷺ أولى أن تُرعى من قرابة أبي سفيان.

ومعنى هذا أنَّ أمَّ ليلى بنتُ أبي سفيان بن حرب.

وعبد الله بن الحسين؛ أمُّه الرَّباب بنت امرىء القيس، كلبيَّة، قتله هانىء بن ثُبيت الحضرمي، والطفل الذي ذكرنا أنه كان في حجر الحسين رضي الله عنه، فجاءه سهم، فذبحه[(٣)].

وأما أولاد عبد الله بن جعفر؛ فاثنان: عون؛ وأُمُّه جُمانة بنت المسيّب بن نجبة الفزاري؛ قتله عبد الله بن قُطبة الطائي، ومحمد بن عبد الله، وأمُّه الخوصاء[(٤)] بنت خصفة؛ تيمية؛ قتله عامر بن نهشل التميمي.

وذكر ابن سعد[(٥)] أن ابني عبد الله بن جعفر لجأا إلى امرأة عبد الله بن قُطبة الطائي، وكانا غلامين لم يبلغا الحلم، وكان منادي عمر بن سعد قد نادى: من جاء برأس فله ألف درهم. فجاء ابنُ قُطبة إلى منزله، فقالت امرأته: إن غلامين قد لجأا إلينا، فهل لك في شرفِ الدنيا والآخرى أن تبعث [بهما] إلى أهلهما بالمدينة؟! فقال: أريني إياهما، فأرته إياهما، فذبَحهما، وجاء برأسيهما إلى ابن زياد، فلم يعطه شيئاً. وقال: وددتُ أن جاء بهما حَيَّيْنِ، فكنتُ أمنُّ بهما على عبد الله بن جعفر.

---

(١) زاد الطبري، والمسعودي، وابن الأثير، وابن كثير عليهما أبا بكر بن الحسن، فصاروا ثلاثة. وسلف اسم أبي بكر بن الحُسين ص١٣٩، ورجّحتُ ثمة أن الصواب: بن الحَسَن. ينظر «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٨، و«مروج الذهب» ٥/ ١٤٥، و«الكامل» ٤/ ٩٢، و«البداية والنهاية» ١١/ ٥٥١.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٤٦ و٤٦٨. وفي «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٣٩: آمنة. وكذا سيُسَمِّيها المصنِّف ص١٨٢.

(٣) سلف أن قال المصنف ص١٣٩ في هذا الطفل: قيل: هو عبد الله بن الحسين. وبنحوه في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٨. وينظر «الكامل» ٤/ ٧٥.

(٤) في (خ): الحوط. (وسقط بعض الكلام من ب، وليس هو في م)، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٩.

(٥) في «الطبقات» ٥/ ٤٤٣.

وبلغ ابنَ جعفر، فقال: لو جاءني بهما أعطيته ألفي ألف.

وأما أولاد عقيل؛ فقد ذكرنا قتل مسلم بن عقيل بالكوفة. وجعفرُ بن عقيل أمُّه أمُّ البنين بنت الشقر(١)؛ قتله بشر بن حَوْط الهَمْداني. وعبد الله بنُ عقيل؛ أمُّه أمُّ ولد؛ قتله عَمرو بنُ صُبيح الصدائي. وعبدُ الرحمن بن عقيل؛ أمُّه أمُّ ولد؛ قتله عَمرو أيضاً(٢). وعبدُ الله(٣) بن مسلم بن عَقِيل؛ أمُّه رقيَّة بنت عليّ بن أبي طالب، قتله أسيد بن مالك الحضرمي(٤). ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل؛ قتله لقيط الجُهني.

قال المدائني: وعون بن عقيل قُتل مع الحسين، فصاروا ثمانية غير مسلم(٥).

قال سراقة البارقي:

عـيـنُ اِبْـكِـي بـعَـبْـرةٍ وعَـويـلِ ... وانـدُبـي إنْ نَـدَبْـتِ آلَ الـرسـولِ
سـبـعـةٌ مـنـهـمُ لـصُـلْـبِ عـلـيٍّ ... قـد أُبِـيـدُوا وسـتـةٌ لـعـقـيـلِ
لـعـنَ الـلـهُ حـيـث حـلَّ زيـاداً ... وابـنَـه والـعـجـوزَ ذات الـبـعـولِ(٦)

ولم يُفلت من أهل بيت الحسين ﵁ إلا خمسةُ نفَر: علي بن الحسين ﵄؛ كان مريضاً مع النساء، وحسن بن حسن بن علي، وأمُّه خولة بنت منظور فزارية، وله بقية، وعَمرو بن حسن بن عليّ؛ كان صغيراً أمُّه أمُّ ولد، والقاسم بنُ عبد الله بن جعفر، ومحمد بنُ عقيل الأصغر، لأنهم استضعفوهم(٧).

(١) رسْمُها في (ب) و(خ): العرا (؟) والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٩، و«الكامل» ٤/ ٩٢.
(٢) الذي في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٩، و«الكامل» ٤/ ٩٢ أن الذي قتل عبد الرحمن بن عقيل هو عثمان بن خالد الجهني، وفي «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٢ و«أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٨ أنه قتله عثمان بن خالد الجهني وبشر بن حوط.
(٣) في (ب) و(خ): محمد، بدل: عبد الله، وهو خطأ. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٤٩٧، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٧ و٤٦٩، و«الكامل» ٤/ ٧٤ و٩٣، و«البداية والنهاية» ١١/ ٥٤٥ و٥٥١ وسلف ص١٣٨ أن عمرو بن صبيح رماه بسهم فأثبت يده في جبهته، ثم رماه بسهم آخر فقتله. وانظر التعليق التالي.
(٤) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٩، و«الكامل» ٤/ ٩٣ أنه قتله عمرو بن صُبيح الصدائي، وقيل: أسيد بن مالك. (وانقلب الاسم في «الكامل»).
(٥) كذا في النسختين (ب) و(خ) وإنما صاروا (مع عون) ستة غير مسلم بن عقيل.
(٦) البيتان الأولان بنحوهما في «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١٥، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٨٣، ونسبا في «العقد» لبنت عقيل بن أبي طالب، وجاءت الأبيات الثلاثة بنحوها في «مروج الذهب» ٥/ ١٤٧ مع بيتين آخرين، ونُسبت فيه لمسلم بن قتيبة مولى بني هاشم.
(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤٣.

وقال المسعودي: قتلوا من أصحاب الحسين رضي الله عنه أحداً ومئتين نفساً[(١)]. ولم يحضر أحد من أهل الشام قتاله إلا كلُّهم من أهل الكوفة فيمن كاتبه[(٢)]، وكانوا ستة آلاف مقاتل.

ذكر سنّ الحسين عليه السلام:

قال سفيان بن عيينة: قال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: قُتل الحُسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وتوفّي علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وتوفي أبي محمدٌ وهو ابنُ ثمان وخمسين سنة. قال: وأنا في هذه السنة ابنُ ثمان وخمسين[(٣)]. فمات فيها.

وقيل: عاش الحسين خمساً وخمسين سنة.

وقيل: ستّاً وستين [سنة][(٤)] وأشهراً.

قال المصنف رحمه الله: والتاريخ يُوضح مقدار عمره على الحقيقة من غير خلاف. وقد اتفقوا على أنه ولد في شعبان لليالٍ خلونَ منه في سنة أربع من الهجرة، وقُتل يومَ عاشوراء سنة إحدى وستين، فيكون عمره على التحقيق ستّاً وخمسين سنة وخمسة أشهر[(٥)].

وقُتل [يوم عاشوراء] يوم الجمعة، وقيل: يوم السبت، وقيل: يوم الاثنين، وقيل: يوم الأحد. [وقيل:] وكان قتلُه بين الظهر والعصر.

---

(١) الذي في «مروج الذهب» ٥/ ١٤٤-١٤٥ أنه قُتل مع الحسين بكربلاء سبعة وثمانون.

(٢) عبارة المسعودي في «مروج الذهب»: وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربَه وتولّى قتله من أهل الكوفة خاصة، لم يحضرهم شامي.

(٣) قوله: قال: وأنا في هذه السنة...إلخ، هو من قول أبي جعفر محمد، ففي «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣١٨ عن جعفر بن محمد قال: «سمعت محمد بن علي يذاكر فاطمة بنت حسين شيئاً من صدقة النبي ﷺ، فقال: هذه تُوفي لي ثمانياً وخمسين. ومات لها». وأما جعفر فقد مات وهو ابنُ إحدى وسبعين سنة، كما في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٥٤٤.

(٤) كذا في (ب) و(خ) و(م). ونُسب الكلام في (م) لابن الجوزي في «صفة الصفوة». والذي فيه ١/ ٧٦٣ أنه رضي الله عنه قُتل وهو ابنُ ستّ وخمسين سنة وخمسة أشهر. ونقل أيضاً ابن الجوزي في «المنتظم» ٥/ ٣٤٥ عن الفضل ابن دُكين أنه ابن خمس وستين أو ستّ وستين. ثم قال: وهذا لا وجه له.

(٥) وهو ما ذكره ابن سعد في «الطبقات» ٦/ ٤٤١، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» ١/ ٧٦٣.

[وقال أبو اليقظان: كان ذلك يوم الاثنين.

وقال الموفَّق رحمه الله: يوم الأحد. وقول ابن سعد: إنه الجمعة والسبت، أشهَر][١].

ووجدوا فيما أقبل من جسده ثلاثاً وثلاثين طعنة برمح، وأربعاً وثلاثين ضربة بالسيف، ومئةً وعشرين رمية بسهم في جسده وثيابه[٢]، وليس[٣] في ظهره منها شيء.

ذكر إنفاذ رأس الحسين رضي الله عنه إلى ابن زياد:

وما هو إلا أن قُتل الحسين رضي الله عنه، فبعث عُمر بن سعد رأسَه من يومه ذلك إلى ابن زياد مع خولي بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي. فأقبلَ خَوْلي يريد القصر، فوجده مغلقاً، فأتى منزله، فوضعه تحت إجَّانة[٤].

وله امرأتان، إحداهما من بني أسد، والأخرى من الحضرميين يقال لها: النوَّار بنت [مالك بن] عقرب، وكانت ليلةَ الحضرمية.

قال محمد بن السائب الكلبي: فحدثتني النوَّار قالت: أقبل خَوْلي برأس الحسين، فوضَعه تحت إجَّانةٍ في الدار، ثم دخل البيت، فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر؟ قال: جئتُكِ بِغِنَى الأبد، هذا رأسُ الحسينُ بن علي في الدار معك. قالت: فقلت: ويلك! جاء الناس بالذهب والفضة، وجئتَ برأس ابنِ بنت رسولِ الله ﷺ! لا واللهِ لا يجمع رأسي ورأسك بيتٌ أبداً. قالت: وقمتُ من فراشي، فدخلتُ الدار. ودعا الأسديةَ، فأدخلها عليه، وجلستُ أنظر، فواللهِ مازلتُ أنظرُ إلى نورٍ يسطعُ مثلَ العمود من السماء إلى الإجَّانة. ورأيتُ طيوراً بيضاً تُرفرفُ حولَه، فلما أصبح غدا بالرأس إلى ابن زياد[٥].

---

(١) ينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤١ ، و«التبيين في أنساب القرشيين» ص ١٣٠ . والكلام بين حاصرتين من (م).

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠١ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٥٣ ، و«مروج الذهب» ٥/ ١٤٦ ، وليس فيها قوله: مئة وعشرين رمية بسهم.

(٣) في (ب) و(خ): وكان. والمثبت من (م).

(٤) هو إناء تُغسل فيه الثياب.

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٤٥٥ . وما سلف بين حاصرتين منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٣ .

ذكر دفن أجسادهم:

ودفن أهل الغاضريَّة من بني أسد أجسادهم بعدما قتلوا بيوم[(١)].

وكان زهير بن القَيْن قد قُتل مع الحسين رضي الله عنه، فقالت امرأته لغلامه شجرة: اذهب فكفّن مولاك. وأعطَتْه كفناً. فذهب ليكفنَه، فرأى الحسين رضي الله عنه مجرَّداً، فقال: أُكفِّنُ مولاي، وأَدَعُ الحسين! ـ رضي الله عنه ـ لا والله. فكفَّنه، وعاد فأخذ كفناً آخر، فكفَّن مولاه فيه[(٢)].

ودُفن الحسين رحمه الله في موضعه، وحُفر للباقين حفيرة كبيرة تحت قدميه، وألقَوْا أهله فيها إلا العبَّاس بن علي؛ فإنه بعيد عنهم على طريق الغاضريّة؛ دفن في المكان الذي قُتل فيه.

ذكر حمل الرؤوس والسبايا إلى ابن زياد بالكوفة:

وأقام عُمر بن سعد يومه ذلك والغد. ثم أمرَ حميد بن بُكير الأحمري[(٣)]، فسار إلى الكوفة بالسبايا وبنات الحسين رضي الله عنه [وعلي بن الحسين][(٤)] وهو مريض.

قال هشام: ورأس الحسين ورؤوس أصحابه.

[قال أبو مِخْنَف:] ولما مَرَرْن النسوة[(٥)] على الحسين رضي الله عنه وأهله وأولاده ورأينهم على تلك الحال؛ صِحْنَ ولطمنَ وجوههن. وقالت زينب لما رأت أخاها الحسين رضي الله عنه صريعاً: يا محمَّداه[(٦)]! صلى عليك أهل السماء، هذا حسينٌ مَرَمَّلٌ بالدماء[(٧)]، مقطَّعُ

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤٥٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤٦.

(٣) في (ب) و(خ): بن بكر الآجري. والتصويب من «أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٣، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٥٥. والكلام ليس في (م).

(٤) ما بين حاصرتين من المصدرين السابقين.

(٥) كذا في (ب) و(خ) و(م). وهي على لغة من قال: أكلوني البراغيث.

(٦) في (ب) و(خ): يا مجيراه. والمثبت من (م)، وهو موافق لما في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٥، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٣، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٥٦.

(٧) في (ب) و(خ): مرسل. وفي (خ): مرسل بالرمال. والمثبت من (م) وهو الموافق لما في المصادر السابقة.

الأعضاء. يا محمَّداه! بناتُك سَبايا، وذُرِّيَّتُك قتلى، تَسْفِي عليهم الصَّبا. [قال:] فأبكت [واللهِ] كلّ عدوّ وصديق.

وكانت الرؤوس اثنين وسبعين رأساً؛ حمل خَوْلي بن يزيد الأصبحي رأس الحسين رضي الله عنه، وحملت كندة ثلاثة عَشَرَ رأساً، وهوازنُ عشرين، وبنو تميم عشرين، وبنو أسد سبعة، ومذحج أحد عشر، وقيل: تسعة(١).

وقيل: كانت الرؤوس ستة وستين.

وكان مع الرؤوس والسبايا شَمِر بن ذي الجَوْشن، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجَّاج، وعزرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عُبيد الله بن زياد(٢)، فجلس لهم، وأذِنَ للناس، فدخلوا ورأسُ الحسين رضي الله عنه موضوعٌ بين يديه(٣).

وذكر البخاري في أفراده عن ابن سيرين قال: لما وُضع رأسُ الحسين بين يدي ابن زياد في طَسْت جعل يقرعُ بالقضيب في ثناياه وقال في حسنه شيئاً، وكان عنده أنس بن مالك، فقال: كان أشبَهَهُمْ برسول الله ﷺ. وكان مخضوباً بالوَسْمَة [هذا صورة ما ذكر البخاري](٤).

قال المصنف رحمه الله: أما كان لرسول الله ﷺ على أنس من الحقوق أنْ يُنكر على ابنِ زياد فِعلَه، ويقبِّحَ له ما فعل من قَرْع ثنايا الحسين بالقضيب، لكنَّ الفحل زيدُ ابنُ أرقم، فإنه أنكرَ عليه(٥).

---

(١) يقارن بـ «أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٤، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٨.

(٢) في هامش (خ) حاشية بخط الناسخ في لعن ابن زياد، وحاشية أخرى بخط آخر في لعن يزيد وابن زياد، ومن تابعهما وناصرهما وخاللهما.

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ٥٠٣، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٥٦.

(٤) صحيح البخاري (٣٧٤٨). (وما بين حاصرتين من م). والوَسْمة؛ قال ابن الأثير في «النهاية»: هي بكسر السين (المهملة) وقد تُسكَّن: نبت ـ وقيل: شجر باليمن ـ يخضب بورقه الشعر، أسود.

(٥) بعدها في (م): «أشدَّ إنكار. وقال له: يا ابن زياد، تبوأ مقعداً في جهنم». ولم أقف على هذا القول، إنما ذُكر لزيد رضي الله عنه في المصادر الكلام الآتي بعده. (ولم يرد في م). وفي قول المصنف أعلاه نظر، فإنَّ أنساً رضي الله عنه قد أنكر على ابن زياد أيضاً فيما أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٦/ ٤٤٦، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٧٨) عنه أنه قال لابن زياد لما فعل هذا: والله لأسوءنّك، لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يقبّل موضع قضيبك من فيه.

فروى الطبريّ عن أبي مِخْنَف، عن سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم قال: شهدتُ ابنَ زياد وهو ينكتُ بقضيب بين ثَنِيَّتَيْهِ ساعةً، فلما رآه زيد بنُ أرقم لا يُنْجِمُ[(١)] عن نَكْتِهِ بالقضيب قال له: أَعْلُ بهذا القضيب عن هاتين الثَنِيَّتَيْن، فوالذي لا إله إلا هو، لقد رأيتُ شَفَتَيْ رسولِ الله ﷺ على هاتين الشَّفَتَيْن يُقَبِّلُهما. ثم انْفَضَخَ[(٢)] الشيخ يبكي، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينَك، فواللهِ لولا أنَّك شيخٌ قد خَرِفْتَ وذهبَ عقلك لضربتُ عنقك. فقام وخرج، فسمعتُ الناس يقولون: واللهِ لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعَه ابنُ زياد لقتلَه. فقلتُ: ما قال؟ قالوا: مرَّ بنا وهو يقول: أنتم يا معاشر العرب العبيدُ بعد اليوم، قتلتُم ابن فاطمة، وأمَّرْتُم ابنَ مَرْجانة[(٣)]، فهو يقتُلُ خِيارَكم، ويستعبد شِراركم، فبعداً لمن رضيَ بالذُّلّ والعار[(٤)].

وقال الواقدي: لما قال ابن زياد لزيد بن أرقم ما قال، قال له زيد: واللهِ لأحدِّثنَّك حديثاً هو أغلظُ من هذا، رأيتُ رسول الله ﷺ أقعدَ حسناً على فخذه اليمنى، وحسيناً على فخذه اليسرى، ثم وضع يده على نافوخهما وقال: «اللهمَّ إني أستودعُك إيَّاهما وصالحَ المؤمنين». فكيف كانت وديعتُك رسولَ الله ﷺ يا ابنَ زياد؟! ثم قام فخرج، ولم يعد إليه بعد هذا.

ولما فرغ ابنُ زياد من قرع الرأس بالقضيب كان له كاهن، فقال له: قم فضع قدمك على رأس عدوِّك. ففعل[(٥)].

ولما حضر الرأس بين يدي ابن زياد؛ أمر بتقويره، فلم يتجاسر أحدٌ أن يُقدم عليه، فقام طارق بن المبارك الكوفي ـ وكان حجَّاماً [وهو][(٦)] جدّ أبي يعلى كاتبِ عُبيد الله

(١) أي: لا يُقلع، وتحرفت في (ب) و(خ) إلى: لاهجه، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٥٦ . والكلام ليس في (م).

(٢) أي: بكى وكثر دمعه.

(٣) مَرْجانة هي أمُّ عُبيد الله بن زياد.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٤٥٦ . وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٤-٥٠٥ .

(٥) لم أقف عليه، ولم يرد في (م).

(٦) لفظة «وهو» من عندي، من أجل السياق.

ابن خاقان وزير المتوكّل ـ فقوَّره، فقال له ابن زياد: أَخْرِجْ لَغَادِيدَه[١] ـ وهي اللحم الذي بين الحنك وصفحة العنق[٢] ـ ففعل، فقام إليه عَمرو بن حريث المخزومي فقال: قد بلغتَ حاجتك من هذا الرأس، فهبْ لي ما ألقيت [منه] قال: وما تصنع به؟ قال: أُواريه. قال: خذه. فأخذَه في طرف ردائه، كان من خَزٍّ أَدْكَنَ، وحمله إلى داره، فغسله، وطيَّبه، ولفَّه في خرقة خَزّ، ودفنَه في داره، وتُعرف اليوم بدار عَمرو بن حُريث بالكوفة.

فكان ممن حضر ذلك المجلس رجلٌ من بكر بن وائل يقال له: جابر [أو جبير]، فلما رأى ما صنع ابنُ زياد قال في نفسه: [للهِ] عليَّ أنْ لا أُصيبَ عشَرَةً من المسلمين خرجوا عليك إلا خرجتُ معهم.

فيقال: إنه هو الذي باشرَ قتل ابن زياد، [وسنذكره هناك].

[قال أبو مِخْنَف:][٣] ولما دخلوا برأس الحسين رضي الله عنه وصبيانه وأخواته على ابن زياد؛ تنكَّرت زينبُ بنتُ عليّ، ولبسَتْ أرذل ثيابها، وحفَّت بها إماؤها، فلما دخلت جلسَتْ، فقال ابن زياد: مَنْ هذه الجالسة؟ فلم تكلِّمه. قال ذلك ثلاثاً وهي ساكتة. فقال بعض إمائها: هذه ابنةُ فاطمة بنت رسول الله ﷺ. فقال ابنُ زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتلَكم، وأكذبَ أُحدوثتكم. فقالت زينب: الحمدُ لله الذي أكرمَنا بمحمد ﷺ، وطهَّرَنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، وإنَّما يَفْتَضِحُ الفاسق، ويُكذَّبُ الفاجر. قال: فكيف رأيتِ صُنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كُتب عليهم القتلُ، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع اللهُ بينك وبينهم فتتخاصمون عنده.

قال: فاستشاطَ ابنُ زياد غضباً. فقال له عمرو بن حُريث: إنما هي امرأة، والنساءُ لا يؤاخَذْنَ بمنطقهنّ. فبكت زينب وقالت: قتلتَ كهلي، وأَثرتَ[٤] أهلي، وقطعتَ

---

(١) جمع لُغْدُود، ووقع في (ب) و(خ): أخاديده.
(٢) في (ب) و(خ): الحلق. والمثبت من (م) ووقع الخبر فيها بسياق مختلف عن (ب) و(خ)، ونسب فيها إلى عبد الله بن عمر الوراق في كتاب مقتل الحسين.
(٣) كلُّ ما سلف بين حاصرتين من (م).
(٤) في (م): وأبرزت، وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٥٧ : وأبَرْتَ.

فرعي، واجتنَيْتَ[1] أصلي. فقال لها ابنُ زياد: هذه شجاعة، ولقد كان أبوك شاعراً شجاعاً. فقالت: مالي وللشجاعة، إنَّ لي عنها لشُغْلاً.

[قال:] ونظر ابنُ زياد إلى عليٍّ بن الحسين، فقال لشرطي: انظر، هل بلغ هذا مبلغ الرجال؟ فكشف[2] إزاره عنه، وقال: نعم. قال: انطلقوا به فاضربوا عنقه، فصاحت زينب بنتُ علي: يا ابنَ زياد، حسبُك من دمائنا، إن كنتَ قاتلَه فاقتُلْني معه. فقال علي: إنْ كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابْعَثْ معهنَّ رجلاً يحافظ عليهنّ. فقال له ابن زياد: تعالَ، أنت ذاك. فبعثه معهنّ[3].

وحكى ابنُ سعد[4] أنَّ رجلاً من أهل الكوفة أخذَ عليّاً، فخبأه في داره، وأكرمه.

قال: وكان كلما دخل وخرج يبكي. قال: فأقول: إن كان عند أحد من أهل الكوفة خير، فعند هذا.

فبينا أنا عنده ذات يوم؛ إذ نادى منادي ابن زياد: من كان عنده عليُّ بن الحسين؛ فليأتِ به، وله ثلاث مئة درهم. قال: فدخل عليَّ وهو يبكي، فجعلَ في عنقي حبلاً، وربط يديَّ إلى الحبل، وسلَّمني إليهم، وأخذَ الدراهم وأنا أنظر إليها. فأُدخلت على ابن زياد، فقال: ما اسمُك؟ قلت: عليُّ بن الحسين. فقال: ألم يقتل الله عليّاً؟! قلت: كان لي أخ أكبر مني اسمه عليّ، قتله الناس. قال: بل الله قتلَه. قلت: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾[5] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[6]. فأمر بقتلي، فصاحت زينب بنتُ عليّ: يا ابنَ زياد، حسبُك من دمائنا. وذكره بمعناه.

ولمَّا دخل عُبيد الله القصر ودخل الناس؛ نوديَ: الصلاةُ جامعة. واجتمع الناسُ في المسجد الأعظم، فصعد ابنُ زياد المنبر، وقال: الحمد لله الذي أظهر الحقَّ [وأهلَه]، ونصرَ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبَه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي

---

(١) في «تاريخ الطبري»: واجْتَثَثْتَ.

(٢) في (م) و«تاريخ الطبري»: فكشط.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٥٧_٤٥٨ . وينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٥ ، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٤_٥٠٥ .

(٤) في «الطبقات» ٦/ ٤٤٤_٤٤٥ . وذكره الطبري أيضاً ٥/ ٤٥٧_٤٥٨ بنحوه.

(٥) من الآية (٤٢) من سورة الزمر.

(٦) من الآية (٤٥) من سورة آل عمران.

وشيعته. فقام إليه عبد الله بنُ عفيف الأزدي الغامديّ ـ وكان من شيعةِ أمير المؤمنين عليٍّ رضوان الله عليه، وذهبت عينُه اليسرى يومَ الجمل، وضُرب يومَ صفِّين على رأسه، فذهبت عينُه الأخرى، وكان لا يفارق المسجد، يصلي فيه إلى الليل، ثم يمضي إلى بيته ـ فصاح: يا ابن زياد، يا ابن مَرْجانة، إنَّ الكذاب ابنَ الكذاب أنت وأبوك، والذي ولَّاك وأبوه، يا ابن مَرْجانة، أتقتلون أولاد النبيين، وتتكلَّمون بكلام الصدِّيقين؟! فقال ابن زياد: عليَّ به. فوثَبَتْ عليه الجلاوزة، فأخذوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور. فثارت الأزد، فاستنقذوه، وأتَوْا به أهلَه. فأرسل إليه من أتاه به، فقتله، وصلَبَه في المسجد[1].

ثم إنَّ عُبيد الله نصبَ رأس الحسين رضي الله عنه ورؤوسَ أصحابه بالكوفة[2].

وقالت مَرْجانة لابنها عُبيد الله: يا خبيث، قتلتَ ابنَ رسولِ الله ﷺ! والله لا رأيتَ الجنةَ[3] أبداً.

وأقبل عُمر بن سعد، فدخل الكوفةَ وهو يقول: ما رجعَ أحدٌ بمثلِ ما رجَعتُ إلى أهلي، أطعتُ الفاسق الفاجر الدعيّ، وعصيتُ الحاكم العَدْل، وقطعتُ القرابةَ القريبة الشريفة[4].

وهجره الناس، وكان كلَّما مرَّ على ملأ من الناس، لعنوه في وجهه، وإذا دخل المسجد؛ خرجَ الناسُ منه[5].

وقال سليمان بن مسلم: أوَّلُ مَنْ طَعَنَ سُرادقَ الحسين رضي الله عنه عُمر بن سعد، فلقد رأيتُه هو وابنيه ضُربت أعناقُهم، ثم عُلِّقوا على الخشب، وأُلهبت فيهم النيران[6].

وقال عُبيد الله بنُ زياد لعمر بن سعد بعد قتل الحسين رضي الله عنه: أين الكتاب الذي كتبتُ إليك في قتل الحسين؟ قال: أمضيت أمرك فيه، وضاع الكتاب. فقال ابن زياد: واللهِ

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٥٩ (والكلام فيه): في السَّبْخة. وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (ب) و(خ): وجه الله، بدل: الجنة. والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٥٣ ، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٢٣٢ .

(٤) بنحوه في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٦ ، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٧ .

(٥) بنحوه في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٥٣ .

(٦) المصدر السابق ٦/ ٤٥٤ .

لتجيئنِّي به. قال: تركتُه يُقرأ على عجائز قريش بالمدينة اعتذاراً إليهنَّ، واللهِ لقد نصحتُك في حسين نصيحة لو نصحتُها لأبي سعد بن أبي وقَّاص لكنتُ قد أدَّيْتُ حقَّه. فقال عثمان بن زياد أخو عُبيد الله: صدق واللهِ، لوَدِدْنا أنه ليس رجلٌ من بني زياد إلا وفي أنفه خِزامة[١] إلى يوم القيامة وأنَّ حُسيناً لم يُقتل. فواللهِ ما أنكر ذلك عُبيد الله بن زياد[٢].

وكان في السَّبايا الرَّباب بنت امرىء القيس زوجة الحسين رضي الله عنه، فكانت تبكي وتقول:

وحسيناً[٣] فلا نسيتُ حسيناً ... قصدته[٤] أَسِنَّةُ الأعداءِ

غادروه بِكَرْبَلاءَ صريعاً ... لا سقى اللهُ جانبي كَرْبَلاءِ[٥]

وقال عبد الملك بن عمير[٦]: رأيتُ في هذا القصر عجباً ـ يعني قصر الكوفة ـ رأيتُ رأس الحسين بين يدي ابنِ زياد، ورأيتُ رأسَ ابنِ زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد، ورأيتُ رأسَ المختار بن أبي عُبيد بين يدي مصعب بن الزبير، ورأيتُ رأسَ مصعبٍ بين يدي عبد الملك بن مروان[٧].

ذكر إنفاذ ابن زياد رأس الحسين رضي الله عنه والسبايا إلى يزيد بن معاوية بدمشق:

لما قُتل الحسين رضي الله عنه قدم رسولٌ من يزيد إلى ابن زياد يأمره بِثَقَلِ[٨] الحسين أن يُحمل إليه، ومن بقيَ من أهله.

---

(١) هي الحلقة التي توضع في ثقب أنف البعير ليشدَّ بها.
(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٦٧.
(٣) في «معجم البلدان» ٤/ ٤٤٥: واحسيناً.
(٤) في «الأغاني» ١٨/ ٦٢، و«معجم البلدان» ٤/ ٤٤٥: أقصدته.
(٥) في «الأغاني»: جادت المزن في ذرى كربلاء، وفي «معجم البلدان»: لا سقى الغيث بعده كربلاء. ونسب الشعر فيهما لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الحسين رضي الله عنه.
(٦) في (ب) و(خ): عبيد الله بن عمير، والمثبت من المصادر.
(٧) أنساب الأشراف ٢/ ٥٠٨ و٥١٥، ومسند أبي يعلى (٢٦٤٣)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٨٧٧)، والمنتظم ٦/ ١١٦، وذكره اليعقوبي ٢/ ٢٦٥، وزاد في آخره قوله: فخرج من ذلك البيت، وأمر بهدمه.
(٨) الثَّقَل: متاع المسافر وحَشَمُه.

ولم يبق لهم ما يتجهَّزون به، فأسلفهم أبو خالد ذكوان عشرة آلاف، فتجهَّزوا بها[(١)].

قال عليُّ بن الحسين ﷺ: لما أُخرجنا من الكوفة لنُحمل إلى يزيد غَصَّت طريقُ الكوفة بالناس يبكون، فذهب عامَّةُ الليل وما يقدرون أن يجوزوا بنا لكثرة الناس، فقلت: هؤلاء قتلونا ويبكون علينا[(٢)]!

وقال أبو مِخْنَف: نصبَ ابنُ زياد رأسَ الحسين ﷺ بالكوفة، ثم داروا به. ثم دعا زَحْر بنَ قيس الجعفي، فسرَّح معه رأسَ الحسين ﷺ ورؤوسَ أصحابه، وضمَّ إلى زَحْر أبا بُرْدة بن عوف الأزدي، وطارق بنَ أبي ظَبْيان[(٣)].

قال الغاز بن ربيعة الجَرَشي الحِمْيري: بينا أنا عند يزيد بن معاوية بدمشق؛ إذ قيل له: زَحْر بن قيس على الباب. فاستوى جالساً مذعوراً وكان في بَهْوٍ له، وأذن له، فدخل في الحال، فقال له: ويلك! ما وراءك؟ فقال: أبْشِرْ بالفتح والنصر؛ وردَ علينا الحسين في ثمانية عشرَ من أهل بيته وستين من شيعته، فسِرْنا إليهم، فسألناهم النزول على حكم الأمير عُبيد الله بن زياد، أو القتال، فاختاروا القتالَ على الاستسلام، فعدَونا عليهم مع شروق الشمس، فأحَطْنا بهم من كلِّ ناحية، حتى إذا أخذت السيوفُ مأخَذَها من هام القوم؛ جعلوا يهربون إلى غير وَزَر[(٤)]، ويلوذُون منَّا بالآكام والحُفَر لِواذاً، كما لاذَ الحمائم من صقر. فواللهِ ما كان إلا جَزْرَ جَزُور، أو نَوْمة قائل، حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادُهم مجرَّدة، وثيابُهم مُرمَّلة، وخدودُهم مُعَفَّرة، تصهرُهم الشمس، وتسفي عليهم الرياح، وزُوَّارهم[(٥)] العِقْبان والرَّخَم، وهم صَرْعَى بالفلاة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤٧.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٤٥٣. ومن قوله: ولما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس ص١٥٣ إلى هذا الموضع ليس في (م).

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٥٩.

(٤) أي: ملجأ.

(٥) في (ب) و(خ): زاروهم، وفي «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٧: زوّاهم. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٠.

فدمعَتْ عين يزيد[١] وقال: لقد كنتُ أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعنَ اللهُ ابنَ سُميَّة، أما واللهِ لو أني صاحبُه لعفوتُ عنه، ورحم الله أبا عبد الله ـ يعني الحسين[٢] ـ ولكن عاقبةُ البغي والعقوق. ثم تمثَّل:

مَـنْ يَـذُقِ الـحَـرْبَ يَـجِـدْ طَـعْـمَـهـا مُـرّاً وتـتـركْـه[٣] بـجَـعْـجَـاعِ[٤]

ولم يصل زَحْراً بشيء.

ورُويَ عن أبي مِخْنَف أنَّ عُبيد الله بن زياد بعث بنساء الحسين رضي الله عنه وصبيانه مع مُحَفِّز بن ثعلبة العامريّ؛ من عائذة قريش، ومع شَمِر بن أبي الجَوْشن، وغلَّ يدي عليّ ابن الحسين رضي الله عنهما إلى عنقه، فلمَّا بلغوا إلى باب يزيد؛ رفع مُحَفِّز صوتَه وقال: هذا محفِّز بنُ ثعلبة، أتى أميرَ المؤمنين باللِّئام الفجرة. فأجابه يزيد بن معاوية: ما ولدتْ أمُّ محفِّز أفجرُ وألأَمُ[٥].

[وذكر عبد الملك بن هشام في كتاب «سيرة النبي ﷺ»[٦] ـ وقد ذكرناه بإسنادنا إليه في صدر الكتاب ـ قال:

لما بعث ابنُ زياد برأس الحُسين إلى يزيد بن معاوية مع الأسارى مُوثَقين بالحبال، منهم نساء وصبيان وصبيّات من بنات رسول الله ﷺ على أقتاب الجِمال، مكشّفات الوجوه والرؤوس، فكانوا كلَّما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوقه، ووضعوه على رأس رُمْح، وحرَسَه الحرس طُول الليل إلى وقت الرحيل، ثم يُعيدُونه إلى الصندوق ويرتحلون.

---

(١) في حاشية (خ) بخط الناسخ ما نصُّه: قوله: فدمعت عين يزيد لعنه الله، يعني فرحاً، يدلُّ عليه: ذلك عاقبة البغي والعقوق.
وثمة حاشيتان فيها في الورقة التي بعدها في لعن يزيد ومن تابعه وناصره بغير خط الناسخ.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٥٩ـ٤٦٠.

(٣) في (ب) و(خ): وهو له. والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٧. وفي بعض المصادر: ويحبسه والبيت من قصيدة لأبي القيس بن الأسْلَت. ينظر «المفضَّليَّات» ص ٢٨٤، وتخريج القصيدة في حواشيها.

(٤) الجَعْجاع: مُناخ سوء لا يقرُّ فيه صاحبُه.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤٧، وأنساب الأشراف ٢/ ٥٠٨ـ٥٠٩، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٦٠. ووقع في (خ): وألأم منك، والمثبت من (ب) وهو الموافق لما في المصادر المذكورة. لكن الناسخ كتب فوقها: كذا.

(٦) ليس هو فيه.

فنزلوا بعض المنازل على عادتهم، ووضعوه على رأس الرُّمح، وحرَسَه الحرس، والرُّمْحُ مسنَد إلى حائطِ دَيْر، فلما كان نصف الليل؛ رأى الراهب نوراً ساطعاً من مكان الرأس إلى عَنان السماء، فأشرف على القوم، وقال: مَنْ أنتم؟ قالوا: أصحابُ ابنِ زياد. قال: وهذا رأسُ مَنْ؟ قالوا: رأسُ الحسين بن علي بن فاطمة. قال: ومَنْ فاطمة؟ قالوا: بنتُ رسول الله. قال: نبيُّكم؟! قالوا: نعم. قال: بئس القومُ أنتم! لو كان للمسيح ولدٌ لأسكنّاه أَحْداقَنا.

ثم قال: هل لكم في شيء؟ قالوا: وما هو؟ قال: عندي عَشَرة آلاف دينار، خُذوها، وأعطُوني الرأس يكون عندي تمام هذه الليلة، فإذا رحلتُم خذوه. فقال بعضهم لبعض: وماذا يضرُّنا؟ فأخذوا الدنانير، وأعْطَوه الرأس.

فأخذه الراهب، فغسَّله وطيَّبه، وتركه على فخذه، وجعل يبكي الليلة كلَّها حتى طلع الفجر، فقال: يا رأس، لا أملك إلا نفسي، و أنا أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً رسول الله، وإنني مولاك وعبدُك.

ثم خرج عن الدَّيْر وما فيه، وصار خادماً.

وأخذوا الرأس وساروا، فلما قربوا من دمشق؛ قال بعضهم لبعض: تعالَوْا حتى نقتسم الدنانير لئلا يأخذها منّا يزيد. فأخرجوا الأكياس وفتحوها، فإذا الدنانيرُ قد تحوَّلَتْ خزَفاً، وعلى أحد جانبي كل دينار مكتوب: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾. وعلى الجانب الآخر: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾. فألْقَوْها في بردى][1].

ذكر قدوم السَّبايا والرأس دمشق:

قال القاسم بن عديّ: قيل ليزيد بن معاوية: إنَّ القوم قد أتَوْا. فصعد إلى منظرة له لينظر إليهم، فلما أقبلوا أنشد بيتين له:

---

(١) الخبر في «ثقات ابن حبان» ٢/ ٣١٢-٣١٣ بنحوه، وفي آخره: فمنهم من تاب من ذلك الفعل لما رأى، ومنهم من بقي على إصراره، وكان رئيس من بقي على ذلك الإصرار سنان بن أنس النخعي. وهذا الخبر - وهو ما بين حاصرتين - من (م).

لما بدَتْ تلك الحمولُ وأشرفَتْ تلك الشموسُ[١] على رُبَى جَيْرونِ[٢]
نعقَ الغرابُ فقلتُ صِحْ أَوْ لا تَصِحْ فلقد قضيتُ من الغريم ديوني[٣]

وقال الغاز بن ربيعة: جمع يزيد أهل الشام، ووضع الرأس في طَسْت، وجعل ينكت عليه بالخيزرانة ويُنشد لابن الزِّبَعْرَى من أبيات:

ليت أشياخي ببدر شهدوا وقعة[٤] الخزرج من وَقْعِ الأَسَلْ[٥]
قد قَتَلْنا القِرْنَ[٦] من ساداتهم وعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ فاعْتَدَلْ

ومنها ـ وقد قيل: إن يزيد زاد فيها ـ هذه الأبيات:

لاستهلُّوا ثمَّ طارُوا فَرَحاً ثمَّ قالوا يا يزيدُ لا تُسَلْ[٧]
لعبَتْ[٨] هاشمُ بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نَزَلْ[٩]
لَسْتُ من خِنْدِفَ[١٠] إنْ لم أنتقمْ من بني هاشم ما كان فَعَلْ

---

(١) في «منهاج السنة» ٤/ ٥٤٩ : الرؤوس.

(٢) جَيْرون: موضع عند باب دمشق من الجهة الشرقية، كان به حصن، يقال: بناه رجل من الجبابرة اسمه جَيْرُون، ويقال: جَيْرُون هي دمشق نفسها. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ١٩٩. وقال البلاذري في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٧ : جيرون موضع بدمشق عند المسجد.

(٣) منهاج السنة ٤/ ٥٤٩ .

(٤) في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٣٨ : ضجر، وفي «الحماسة البصرية» ١/ ١٠١ ، و«منهاج السنة» ٤/ ٥٥٠ : جزع.

(٥) أي: الرماح. ينظر «القاموس».

(٦) القِرْنُ: الكُفْؤُ في الشجاعة، ورواية البيت في «طبقات فحول الشعراء»: فقَبِلْنا النِّصْف. قال محقِّقه الشيخ محمود شاكر في حاشيته: النِّصْف والنَّصَف: العدل والانتصاف؛ يقول: قتلنا من سادتهم في أُحد مثلَ ما قتلوا من سادتنا في بدر.

(٧) قوله: لا تُسَلْ، غير مجوَّد في (ب) و(خ)، والمثبت من «تاريخ الطبري» ١٠/ ٦٠ . والبيت فيه بنحوه مع الأبيات المذكورة هنا، ونُسبت لمعاوية في ذكر كتاب المعتضد في شأن بني أمية. وجاء في «العقد الفريد» ٤/ ٣٩٠ : لا فَشَلْ.

(٨) في «تاريخ الطبري» ١٠/ ٦٠ : وَلِعَتْ.

(٩) شكّك ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ١١/ ٦٣١ في إنشاد يزيد لهذا البيت وقال: إن قاله يزيد بن معاوية، فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله، فلعنة الله على من وضعه ليشنّع عليه به وعلى ملوك المسلمين.

(١٠) وقع في (ب) و(خ): حذق (؟) والتصويب من «تاريخ الطبري». وخِنْدِف: أمّ قبائل من العرب.

وقال ابن أبي الدنيا: ضرب يزيد ثنايا الحسين ﷺ بالقضيب، وأنشد للحُصين بن الحُمام المرِّي:

صبرنا وكان الصبرُ منَّا سَجِيَّةً بأسيافنا يفرين[1] هاماً ومِعْصَما
نُفَلِّقُ هاماً من رؤوس أعِزَّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما[2]

فلم يبق أحدٌ إلا عابه وتركه.

وكان عنده أبو بَرْزة الأسلميُّ، فقال له: ارفَعْ قضيبَك، فطالَما رأيتُ رسول الله ﷺ يقبِّلُ ثناياه، أما إنك ستجيءُ يوم القيامة وشفيعُك ابنُ زياد، ويجيىءُ الحسين وشفيعُه محمد ﷺ[3].

وكان عنده عبد الرحمن بنُ الحكم، وكان شاعراً فصيحاً فأنشده:

لَهَامٌ بجَنْبِ الطَّفِّ أدْنَى قَرابةً من ابنِ زيادِ العبدِ ذي النَّسَب الوَغْلِ
سُمَيَّةُ أضحى نَسْلُها عددَ الحصى وبنتُ رسول الله أمْسَتْ بلا نَسْلِ[4]

وصاحَ وبكَى، فضربَ يزيدُ صدرَه، وقال له: يا ابنَ الحمقاء، مالك ولهذا؟!

ثم أُتِيَ[5] بِثَقَل الحسين ﷺ ومن بقي من أهله، فأُدْخِلوا عليه وقد قُرنوا بالحبال، فوقفوا بين يديه، فقال له علي بن الحسين ﷺ: أنشدك الله يا يزيد، ما ظنُّك برسول الله ﷺ لو رآنا مقرَّنين بالحبال، أما كان يَرِقُّ لنا؟! فأمر يزيد بالحبال فقطِّعت، وعُرِف الانكسار فيه[6].

وقالت سُكينة بنتُ الحسين: يايزيدُ، أبناتُ رسولِ الله ﷺ سَبايا؟! فقال لها: يا بنتَ أخي: هو واللهِ أشدُّ عليَّ منه عليكِ، واللهِ لو كان بين ابنِ زياد بن سميَّة وبين

---

(١) في «المفضّليات» ص ٦٥، و«الأغاني» ١٤/ ٧: يقطعن.

(٢) ورد هذا البيت في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٥ و٤٤٧، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٨، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٣ و٤٦٥، وفيها وفي «المفضّليات» ص ٦٥: «يُفَلِّقْنَ هاماً من رجالٍ أعزَّةٍ علينا» إلا الموضع الثاني في «الطبري ففيه: أحبَّةٍ إلينا.

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٩، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٥.

(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١٤-٥١٥، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٠.

(٥) في (ب) و(خ): ولما أتي، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٨. والكلام ليس في (م).

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤٨.

الحسين قَرابةٌ ما فعلَ به وبكم ما فعلَ، ولا أقدمَ على ما أقدمَ عليه، ولكن فرَّقَتْ بينهما سُمَيَّة. فرحم الله أبا عبد الله، واللهِ لو كنتُ صاحبَه ثم لم أقْدِرْ على دفع القتل عنه إلا بنقص بعض عُمري لدفعتُه عنه، ولوَدِدْتُ أنَّني أُتيتُ به سِلْماً.

ثم قال لعليِّ بن الحسين رضي الله عنهما: أبوك قطعني رحمي، ونازعَني سلطاني، فجزاه الله جزاء القطيعة والإثم.

فقال رجل من أهل الشام: سِباءُهُم لنا حلال. فقال له عليّ: كذبتَ[1].

وأمر يزيد نساء آل أبي سفيان أن يُقمنَ المآتم على الحسين رضي الله عنه ثلاثاً. قالت سُكينة: فما تَلَقَّتْنا منهن امرأةٌ إلَّا وهي تبكي وتنتحب.

وكان عند يزيد أمُّ كلثوم بنتُ عبد الله بن عامر بن كُريز، فبكت وناحَتْ، فقال يزيد: يحقُّ لها أن تُعْوِلَ[2] على كبير قريش وسيِّدِها.

وقالت فاطمة بنتُ الحسين[3] رضي الله عنه لأمِّ كلثوم: ما تركوا لنا شيئاً. فأبلغت يزيد، فقال: ما أُتيَ إليهم أعظمُ.

ثم ما ادَّعَوْا شيئاً ذهب لهم إلا وأضْعَفَه يزيدُ لهم.

وقال أبو مِخْنَف: لمَّا جلس يزيد دعا أشرافَ الشام فأجلَسهم حولَه، ودعا بعليِّ بن الحسين، وصبيان الحسين، وبناتِه ونسائه، فأُدخلوا عليه والناس ينظرون إليهم، فقال يزيد لعليّ: أبوك قطع رَحِمي، وجهلَ حقِّي، ونازعَني سلطاني، فصنعَ اللهُ به ما رأيتَ. فقال له علي: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[الحديد: ٢٢ـ٢٣]. فقال يزيد لخالد ابنه: ارْدُدْ عليه. فما دَرَى خالد ما يقول، فقال له يزيد: قل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] ثم سكت عنه[4].

(١) المصدر السابق.
(٢) أي: ترفع صوتها بالبكاء والصياح.
(٣) في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٩ : فاطمة بنت علي.
(٤) أنساب الأشراف ٢/ ٥١٣ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٦١ .

ثم دعا بالنساء والصبيان، فأجلسَهم بين يديه، فرأى هيئةً[١] قبيحة، فقال: قبَّح اللهُ ابنَ مَرْجانة، لو كان بينكم وبينه رَحِم؛ لما فعلَ بكم هذا.

قالت فاطمة[٢]: لما أجلسنا بين يديه رَقَّ لنا أوَّل شيء[٣]، ولاطفَنا، فقام إليه رجل من أهل الشام فقال: هَبْ لي هذه - يعنيني - وكنتُ جارية وضيئة، فأُرْعِدْتُ وفَرِقْتُ، وظننتُ أنَّ ذلك جائزٌ لهم، وأخذتُ بثياب عمتي زينب، وكانت أكبرَ مني وأعقلَ، فقالت للرجل: كذبتَ وأَثِمْتَ، ماذاك لك ولا له. يعني يزيد. قالت: فغضبَ يزيد وقال: كذبتِ، إنَّ ذلك لي، ولو شئتُ أن أفعلَه لفعلتُ. فقالت: كلَّا واللهِ ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرجَ من ملَّتنا وتدينَ بغير ديننا.

قالت: فازدادَ غضباً وقال: أتستقبليني بهذا؟ إنَّما خرج من الدِّين أبوكِ وجدُّكِ[٤] وأخوك. فقالت زينب: بدين جدِّي وأخي وأبي اهتديتَ أنتَ وجدُّك وأبوك. فقال: كذبتِ يا عدوَّةَ الله. فقالت: أنت أميرٌ تشتمُ ظالماً، وتقهرُ بسلطانك.

قالت: فكأنَّه استحيا، فسكت. فأعاد عليه الشاميُّ القول وقال: يا أمير المؤمنين، هَبْ لي هذه الجارية. فقال: أُغْرُبْ، وهبَ الله لك حَتْفاً قاضياً.

قالت: ثم قال يزيد: يا نعمان بن بشير: جَهِّزْهُم بما يُصلحُهم، وابعثْ معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وخيلاً وأعواناً.

ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دارٍ على حِدَة؛ معهنَّ أخوهنَّ عليُّ بن الحسين ﵄.

[قال:] فخرجن حتى دخلن دار يزيد، فلم تبق امرأةٌ من آل معاوية[٥] إلا استقبلتهنَّ تبكي وتنوح على الحسين ﵁. فأقاموا النياحة عليه ثلاثاً.

---

(١) في (ب) و(خ): أهبة. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦١ . والكلام ليس في (م).

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦١ : فاطمة بنت علي. لكن قولها الآتي: وأخذتُ بثياب عمَّتي زينب، يعني أنها فاطمة بنت الحسين. وجاء كلامها فيه بعده ضمن سياقه، فقالت: وأخذتُ بثياب أختي زينب.

(٣) في «تاريخ الطبري»: وأمرَ لنا بشيء، بدل قوله: أول شيء.

(٤) كذا في (ب) و(خ) حيث إن رواية المصنف هنا: فاطمة بنت الحسين. ولم ترد لفظة «وجدّك» في «تاريخ الطبري» حيث إن الرواية فيه: فاطمة بنت علي. والكلام ليس في (م).

(٥) في (ب) و(خ): آل أبي سفيان. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٢ .

وكان يزيد لا يتغدَّى ولا يتعشَّى إلا مع عليِّ بن الحسين، فدعاه يوماً، ودعا معه عَمرو[(١)] بن الحسن بن عليّ ـ وكان غلاماً صغيراً ـ وخالدُ بنُ يزيد حاضر، فقال يزيد لعمرو: أتقاتلُ هذا؟ قال: لا، ولكن أعطني سكّيناً، وأعطِه سكّيناً، ثم أُقاتلُه. فضمَّه يزيد إلى صدره وقال: شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أَخْزَمِ، وهل تلدُ الحيَّةُ إلا حُوَيَّة[(٢)]؟

ثم جهَّزَهم إلى المدينة، وبعثَ معهم رجلاً من أهل الشام، فكان يرفُق ويلطف، وينزلُ بهم حيث شاؤوا، وينزلُ عنهم ناحية، فقالت فاطمة لزينب: هذا الشاميُّ قد أحسنَ إلينا، وما مَعنا غير حُلِيِّنا نبعثُ به إليه. فبعثتُ إليه بِدُمْلُجي[(٣)] وسِواري، وقلنا: لو أعطيناك الدنيا ما كافيناك، وما معَنا غير هذا. فقال الشاميّ: لو كان الذي فعلتُه معكم للدنيا؛ لكان في حُلِيِّكم ما يرضيني، ولكن واللهِ ما فعلتُه إلا لأجل رسولِ الله ﷺ[(٤)].

ولما فعل يزيد برأس الحسين رضي الله عنه ما فعل، تغيَّرت وجوه أهل الشام، وأنكروا عليه ما فعل، فقال: أتدرون من أين دُهي[(٥)] أبو عبد الله؟ قالوا: لا. قال: من الفقه والتأويل، كأنِّي به قد قال: أبي خيرٌ من أبيه، وأمِّي خيرٌ من أمِّه، وجدِّي خيرٌ من جدِّه، فأنا أحقُّ بهذا الأمر منه، ولم يلحظ قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] فسُرِّيَ عن وجوه أهل الشام[(٦)].

وكانت سُكينة بنت الحسين رضي الله عنه تقول: ما رأيتُ كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية[(٧)].

[وحكى الطبري أيضاً عن هشام، عن أبي مِخْنَف، عن أشياخه قالوا: لما جيء برأس الحسين؛ دخلوا مسجد دمشق ومروان بن الحكم جالس فيه، فقال: كيف

---

(١) في «تاريخ الطبري»: عُمر.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤٩، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٦٢.

(٣) الدُّمْلُج: سوار يحيط بالعَضُد.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٤٦٢ـ٤٦٣.

(٥) في «تاريخ الطبري»: أُتِيَ.

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٣٦٣ـ٣٦٤.

(٧) المصدر السابق.

صنعتم؟ قالوا: وردُوا علينا، فأتَيْنا على آخرهم. فقام مروان فخرج، وأتاهم يحيى بن الحكم أخو مروان، فقال: ما صنعتُم؟ فأعادوا عليه الكلام، فقال: حُجبتُم عن محمد يوم القيامة. ثم قام فانصرف.

وأُدخلت الرأس على يزيد، فجعل ينكُت بالقضيب في ثغره][1].

[وقال هشام:] ولما أُتيَ بالرأس إلى يزيد؛ كان عنده رسول ملك الروم، فقال: رأسُ مَنْ هذا؟ قالوا: رأسُ الحسين. قال: ومَن الحُسين؟ قالوا: ابنُ فاطمة. قال: ومَنْ فاطمة؟ قالوا: بنتُ محمد. قال: نبيُّكم؟! قالوا: نعم. قال: تَبّاً لكم ولدينكم! وحقِّ المسيح إنكم على باطل، إنَّ عندنا في بعض الجزائر ديراً فيه حافر حمار ركبه المسيح، فنحن نَحجُّ إليه في كل عام مسيرة شهور وسنين، ونحمل إليه النذور والأموال، ونعظمه أكثر مما تعظمون كعبتكم، أفّ لكم. ثم خرج ولم يعد إلى يزيد.

ولما[2] وُضع الرأسُ بين يدي يزيد كان بالخضراء[3]، فقهقه حتى سمعه من كان بالمسجد، ولما سمع صوت النوائح عليه أنشد:

يا صيحةً تُحمد من صوائحِ ... ما أهونَ الموتَ على النوائحِ[4]

ويقال: إنَّه كبَّر تكبيرةً عظيمة.

وكان بدمشق خالد بن غفران[5] من أفاضل التابعين، ولما أُتِيَ بالرأس اختفى عن أصحابه[6] أياماً، ثم ظهر، فسألوه عن سبب اختفائه، فبكى، ثم قال:

جاؤوا برأسك يا ابنَ بنتِ محمدٍ ... مُتزمِّلاً بدمائه تَزْميلا

---

(١) بنحوه في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٥ . والكلام بين حاصرتين من (م).

(٢) في (م): وحكى أبو اليقظان قال...

(٣) أي: قصر الإمارة بدمشق.

(٤) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١٢-٥١٣ .

(٥) في (ب) و(خ) و(م): صفوان. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥/ ٥١١ (مصورة دار البشير). والخبر فيه، وذكره ابن عساكر عن أبي عبد الله الحافظ، وكذا نُسب إليه في (م).

(٦) في (ب) و(خ) و(م): اختفى هو وأصحابه. والمثبت من «تاريخ دمشق».

وكأنَّما بك يا ابنَ بنتِ محمدٍ ... قتلُوا جِهاراً عامدينَ رسولا
قَتلُوك عَطْشَاناً ولم يترَقَّبُوا ... في قتلك التنزيلَ والتأويلا
ويُكبِّرُون بأنْ قُتلتَ وإنَّما ... قتلُوا بك التَّكبيرَ والتَّهْلِيلا(١)

ذكر رجوع السَّبَايا إلى المدينة:

قال يزيد لعليِّ بن الحسين: إنْ أحببتَ الإقامةَ عندنا؛ وصَلْنا رَحِمَك، وعَرَفْنا حقَّك، وإنْ أَحْبَبْتَ؛ رَدَدْناك إلى بلدك. فقال: بل تردُّني إلى بلدي. فردَّهم ووصلَهم، وبعث معهم مُحْرز(٢) بن حُريث الكلبي.

وخطب يزيد الرَّبابَ بنتَ امرىء القيس زوجةَ الحسين رضي الله عنه، فقالت: تقتُلُ زوجي وتنكحني! واللهِ لا كان لي حمواً آخر بعد رسول الله ﷺ(٣).

وبعث ابنُ زياد عبدَ الملك بن أبي الحارث السلمي إلى المدينة يبشِّرُ بقتل الحسين رضي الله عنه، فلمَّا قدمَ على عَمرو بن سعيد وأخبره؛ قال: نادِ بقتله. فنادى، فلم تُسمع واعيةٌ(٤) قطّ مثل واعية بني هاشم في دورهم.

فأنشد عمرو بن سعيد:

عَجَّتْ نساءُ بني تميمٍ(٥) عجَّةً ... كعجيجِ نسوتنا غَداةَ الأرنبِ

واعيةٌ بواعية عثمان. ثم صعد المنبر، فأخبر بقتله.

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٥/ ٥١١_٥١٢ (مصورة دار البشير)، و«البداية والنهاية» ١١/ ٥٦٩، و«تهذيب الكمال» ٦/ ٤٤٨.

(٢) في (خ): بحر، وفي (ب): بجرير، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٤٩ والخبر فيه بنحوه، وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١٠. والكلام ليس في (م).

(٣) كذا في (ب) و(خ)، والجادَّة: لا كان لي حمٌ، والخبر بنحوه في «الكامل» ٤/ ٨٨، و«البداية والنهاية» ١١/ ٥٩٥، و«الوافي بالوفيات» ١٤/ ٧٥ دون ذكر يزيد.

(٤) الواعية: الصُّراخ على الميّت.

(٥) في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٥٠، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٤٦: بني زياد. وفي «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١٠ و٥١١: بني زبيد، ونُسب تمثّل البيت فيه لمروان. قال ابن سعد: الشعر لعمرو بن معديكرب في وقعة كانت بين بني زبيد، وبين بني الحارث بن كعب.

وقال ابن سعد[١]: بعث يزيد بالسبايا والرأس إلى عمرو بن سعيد، فقام خطيباً فذكر للناس أمر الحسين رضي الله عنه، وقال[٢]: واللهِ لوددتُ أنَّ رأسَه على جسده، وروحه في بدنه، يَسُبُّنا ونمدحُه، ويقطعُنا ونَصِلُه، كعادتنا معه وعادته معنا. فقام إليه ابنُ أبي حُبيش أحدُ بني أسد بن عبد العُزَّى، فقال: أما واللهِ لو كانت فاطمةُ حيَّةً لأَحْزَنَها ما ترى. فقال له عَمرو: اسكُتْ لا سكتَّ، واللهِ إنه لَابْنُنا، وإنَّ أمَّه لَابنتُنا، واللهِ لقد أحزَنَنا قتلُه، ثم لم نلم من قتله[٣] يدفع عن نفسه، وقد نهيناه فما انتهى[٤].

وقال عمرو لما بعث يزيد بالرأس إليه[٥]: وددتُ واللهِ أنه لم يبعثْ به إليّ. فقال [له] مروان: اسْكُتْ.

ثم تناول مروان الرأس، ووضعَه بين يديه، وأخذ بأرنبة أنفه وقال:

يا حبّذا بَرْدُك في اليدينِ ... ولونُك الأحمرُ في العينينِ

واللهِ لكأنّي أنظر إلى أيام عثمان[٦].

ثم أمر عَمرو بالرأس فكُفِّن، ثم دُفن بالبقيع.

وكان يوم وصول الرأس والسبايا إلى المدينة مثل اليوم الذي مات رسول الله ﷺ.

[قال هشام:] وخرجت زينب بنت عقيل [بنت أبي طالب] كاشفةً رأسَها، ناشرةً شعرَها، تصيح: وامحمَّداه، واحُسيناه، واإخوتاه، واأُهيلاه، وتقول:

ماذا تقولون إنْ قال النبيُّ لكم: ... ماذا فعلتُم وأنتم آخرُ الأممِ
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أُسارى وقتلى ضُرِّجُوا بدمِ

فلم يبق أحدٌ إلا وبكى[٧].

---

(١) في (م): وقد حكى ابنُ سَعْد خلاف هذا عن عمرو بن سعيد؛ قال...
(٢) في (م): فقام خطيباً للناس، فأمر برأس الحسين فأُحضر وقال...
(٣) في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٥٠ : والله لو كانت حيَّةً لأحزنها قتلُه ثم لم تلم مَنْ قتلَه...
(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٥٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١١ .
(٥) في (م): وفي رواية ابن سعد أن عمراً قال لما بعث إليه يزيد بالرأس...
(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٤٩ ، قبل الرواية السابقة.
(٧) بنحوه في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٦-٤٦٧ . وما سلف بين حاصرتين من (م).

[قال أبو اليقظان:] ولما سمع مروان صوت نساء بني هاشم أنشد:

ضرب الدَّوْسَرُ فيهم ضربةً أثبتَتْ أوتادَ مُلكٍ فاستقرّ[١]

ذكر ما ورد في الرأس الشريف:

اختلفوا في مكان دفنه على أقوال:

أحدُها: بالبقيع، وقيل: عند أمِّه فاطمة عليهما السلام[٢].

والثاني: أنَّه رُدَّ إلى كَرْبَلاء، فدُفن مع جسده[٣].

والثالث: أنه بدمشق[٤]. واختلفت الروايات في أيّ مكان هو:

فقيل: وُجد في خزانة يزيد بدمشق، فكفَّنُوه، ودفنوه في باب الفراديس[٥].

وقيل: هو بدار الإمارة[٦].

وذكر ابنُ عساكر عن رَيَّا حاضنةِ يزيد بن معاوية ـ وكان بنو أمية يعظِّمونها، وأدركَتْ أوَّلَ خلافة بني العباس ـ قالت: رأيتُ رأس الحسين مكثَ مدَّةً في خزائن السلاح بدمشق إلى أيام سليمان بن عبد الملك، فأمرَ به فأُخرج، فإذا هو عظم أبيض، فطيَّبَه، وجعله في سَفَط، وجعلَ عليه ثوباً، ودفنَه في مقابر المسلمين.

فلما دخلت المُسَوِّدة[٧] دمشق؛ سألوا عن موضعه، فدُلُّوا إليه، فنبشوه وأخذوه، والله أعلم ما صنعوا به[٨].

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١١ . قوله: الدَّوْسَر: هو الأسد الصُّلب، أو الجمل الضخم. ينظر «القاموس» وما بين حاصرتين من (م).

(٢) العبارة في (م): أحدها: أن يزيد بعثه إلى المدينة، وأن عَمرو بن سعيد بن العاص كفّنه ودفنه بالبقيع، حكاه ابن سعد، وقيل: دفن عند فاطمة عليها السلام. وهو في «الطبقات» ٦/ ٤٥٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١٢ .

(٣) نُسب هذا القول في (م) للواقدي.

(٤) نُسب هذا القول في (م) للبلاذري، وابن أبي الدنيا، وابن عساكر.

(٥) نُسب هذا القول في (م) لابن أبي الدنيا.

(٦) نُسب هذا القول في (م) للبلاذري، وينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١٢ .

(٧) أي: العبَّاسيون، سُمُّوا بذلك لأن راياتهم سوداء.

(٨) تاريخ دمشق ص ١٠٣ (تراجم النساء). وقوَّى الذهبي إسناد هذه الحكاية في «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣١٩ .

[قال ابن عساكر:][١] عاشت رَيَّا هذه مئة سنة في عزّ بني أميَّة، وكانت من أعقل النساء وأجملهنَّ، وكانت إذا دخلت على هشام بن عبد الملك تجيءُ راكبةً، فكلُّ مَنْ رآها من بني أمية قام إجلالاً لها.

وأمُّها أدركت النبيَّ ﷺ، وسمعت من عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

وقال حمزة بن يزيد الحضرمي: لقد شاهدتُها في عزّها كذلك، ثم رأيتُها بعد ذلك مقتولة على درج جَيْرون مكشوفة العورة، وفي فرجها قصبة مغروزة، ويقولون: هذه حاضنة يزيد، قتلَها المسوِّدة لما هجموا دمشق.

قال[٢]: وبلغَتْ من العمر مئة سنة، وحسنُها وجمالُها باقٍ على نضارته؛ قالت: لما جيء برأس الحسين عليه السلام؛ وُضع في طَسْت وعليه ثوب، فأحضر بين يدي يزيد ابن معاوية، فأمر برفع الثوب عنه، فحين رآه خمَّر وجهَه بكمِّه، كأنَّه شمَّ منه رائحة، وقال: الحمد لله الذي كفانا المُؤْنة بغير مُؤْنة ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾.

قالت ريّا: فدنوت منه؛ وإذا رَدْعٌ من حِنَّاء[٣]. قال حمزة: فقلت لها: أَقَرَعَ ثناياه بالقضيب؟ قالت: إي [والذي لا إله إلا هو ـ وفي رواية:] والذي ذهب بنفسه ـ وأنشدَ أبيات ابنِ الزِّبَعْرى[٤].

ولقد جاء رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال ليزيد: قد أمكنك الله من عدوّك وابنِ عدوّ أبيك، فاقتل هذا الغلام ينقطع النسل [ـ يعني عليَّ بنَ الحسين ـ فقد رأيتَ ما لقيَ أبوك من أبيه]، فهُم قوم أصحاب مكر، وأهلُ العراق مائلون إليهم، يقولون: ابنُ رسول الله ﷺ، [ابنُ عليّ]، ابنُ فاطمة. اقتُلْه، فليس هو بأكرمَ من صاحب هذا

(١) تاريخ دمشق ص ١٠١ . وما بين حاصرتين من (م).
(٢) يعني حمزة بن يزيد الحضرمي، والكلام في «تاريخ دمشق» ص ١٠١ (تراجم النساء).
(٣) الرَّدْع: ما لُطخ به من حِنَّاء، أو زعفران، أو نحوه. ينظر «القاموس».
(٤) سلف بيتان لابن الزِّبَعْرَى أول فقرة «ذكر قدوم السبايا والرأس دمشق وقد تمثَّل بهما يزيد.

الرأس. فقال له يزيد: لا قمتَ ولا قعدتَ، فإنك ضعيف مهين، بل أَدَعُهم، كلَّما طلع طالع أخذَتْه سيوفُ آلِ أبي سفيان. قال: سَمَّت الرجل[١]، ولكن لا أُسمِّيه أبداً[٢].

[وذكَرَتْ حديثَ الرأس، وأنه كان في خزائن السلاح حتى وليَ سليمان بن عبد الملك، فبعث، فجاء به وقد قَحَلَ[٣]، وقد بقي عظم أبيض. وذكرت القصة كما ذكرناها][٤].

وقال أبو كريب[٥]: كنتُ في القوم الذين دخلوا يريدون قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكنتُ فيمن نهب الخزائن، فوجدتُ سَفَطاً، فقلت: في هذا غناي. فأخذتُه وخرجتُ من باب توما، وعدلتُ عن الطريق وفتحته، فإذا حريرةٌ عليها مكتوب: هذا رأس الحسين بن علي. فحفرتُ له بسيفي بباب توما، وواريتُه.

وقال أبو حاتم ابنُ حِبَّان[٦]: قد اختلف علينا في موضع رأس الحسين رضي الله عنه:

فمنهم من زعم أنه على رأس عمود بجامع دمشق، عن يمين القبلة. [قال: وقد رأيت ذلك العمود].

ومنهم من زعم أنه في البرج الثالث من السور، على باب الفراديس.

ومنهم من زعم أن يزيد دفنه في قبر أبيه معاوية[٧].

ومن الناس من قال: إنه نُقل من باب الفراديس في أيام المصريين إلى عسقلان، فأقام في المشهد مدة، فلما خيف على عسقلان من الفرنج، نقلوه إلى القاهرة، وبنَوْا عليه مشهداً، وهو اليوم يُزار.

---

(١) في (م): قالت: وسمعت الرجل. وفي «تاريخ دمشق» ص ١٠٢: قال: سَمَّيتُ الرجل.
(٢) تاريخ دمشق ص ١٠١-١٠٢ (تراجم النساء)، وما سلف بين حاصرتين من (م).
(٣) أي: جفّ ويبس.
(٤) المصدر السابق ص ١٠٣، والكلام السالف والآتي بين حاصرتين من (م).
(٥) في (م): وذكر ابن عساكر أيضاً عن أبي كريب قال...
(٦) في (م): وحكى ابن عساكر أيضاً عن أبي حاتم بن حبان قال... ولم أقف عليه فيما لديّ من تاريخ دمشق.
(٧) مشاهير علماء الأمصار ص ٧، والثقات ٣/ ٦٩.

والرابع: أنه بالرَّقَّة في ناحية من المسجد الجامع؛ قال عبد الله بن عمرو الوراق [في كتاب «المقتل»]: لما حضر الرأس بين يدي يزيد قال: لأبعثنَّه إلى آل أبي معيط عوضاً عن رأس عثمان، وكانوا بالرّقَّة. فبعث به إليهم، فدفنوه في بعض دورهم، ثم أُدخلت تلك الدار في الجامع. [قال:] فهو إلى جانب سِدْرةٍ هناك عليه قنديل، فلا يذهب شتاءً ولا صيفاً.

والخامس: أنه بخراسان بمرو.

[وهذا قول غريب، ذكره الحافظ السمعاني في «أماليه» وقال: رأس الحسين نُقل من دمشق إلى مَرْو، ودُفن بدار الإمارة، وهو قصر أبي مسلم.

قال: و] ذكر المُعافَى أنَّ أبا مسلم لمَّا استولى على الشام حوَّلَه من خزانة الرؤوس إلى مَرْو، وحشاه بالمسك، وكفَّنَه، وصلَّى عليه مرَّةً بعد مرَّة.

وقال كعب البرمكي: قال لي منصور بن طلحة بن طاهر بن الحسين في سنة ستٍّ وخمسين ومئتين ونحن بدار الإمارة بمَرْو: تريد أن أُرِيَك رأس الحسين؟ قلت: نعم. فأمر الغلمان، فحفروا مكاناً حتى بلغوا إلى وَهْدة، فنحَّى الغلمان وأخذ الآلة بيده، وحفر حتى أفضى إلى طاق، وفيه سَفَط، ففتَحه، فإذا فيه رأسٌ محشوّ بالمسك؛ مكتوب على رقعة ملصقة فيه: هذا رأسُ الحسين بن عليّ بن أبي طالب [قال:] فغلبنا البكاء، وصلَّينا عليه، ثم ردَّه إلى مكانه.

قال المصنف رحمه الله: أنشدني زين الدين(١) النحوي المصري ـ ويُعرف بابن قطنة ـ بمصر في سنة أربعين وستٍّ مئة:

لا تطلبوا المولى الحسين ... بأرض شرقٍ أو بغربِ
ودعُوا الجميع وعرِّجُوا ... نحوي فمشهدُه بقلبي

(١) في (ب) و(خ): بهاء الدين، والمثبت من (م) وهو الصواب، وهو أحمد بن عبد الله بن عزَّاز أبو العباس. ينظر «الوافي بالوفيات» ٧/ ١٢٣.

حكى مروان بن الوضين[١] قال: نُحرت الإبل التي حُمل عليها رأس الحسين رضي الله عنه والسبايا، فلم يستطع أحد أن يدنوَ منها من نتنها، وصار لحمها أمرَّ من الصَّبِر[٢].

[ذكر الحُمرة التي في السماء:]

وقال ابن سيرين: لم نر هذه الحُمرة [التي] في السماء قبل أن يُقتل الحسين رضي الله عنه عند طلوع الشمس وغروبها[٣].

[ورُوي عن هشام، عن محمد بن سيرين قال: لم تتراء هذه الحُمرة في السماء حتى قُتل الحسين عليه السلام][٤].

قال الشيخ أبو الفرج [ابن] الجوزي رحمه الله[٥]: لمَّا كان الغضبان يحمرُّ وجهه، فيتبيّن بالحُمرة تأثيرُ غضبه، والحقّ سبحانه ليس بجسم، أظهر تأثير غضبه بحمرة الأفق حين قُتل الحسينُ عليه السلام.

وقال هلال بن ذكوان: لما قُتل الحسين رضي الله عنه: مُطرنا مطراً بقي أثرُه في ثيابنا مثل الدم[٦].

---

(١) كذا في (ب) و(خ) و(م)، ولم أعرفه. وفي «المنتظم» ٥/ ٣٤٢ : عن جميل بن مرّة، عن أبي الوصيّ قال... وهو في «تاريخ دمشق» ٥/ ٧٦ (مصورة دار البشير) (وكذا في مختصره ٧/ ١٥٠) من قول جميل بن مرة.

(٢) ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٥٧٦ أن هذا الخبر وأمثالَه من المبالغات والأكاذيب التي لا يصحّ منها شيء. وقوله: الصَّبِر (بكسر الباء): الدواء المرّ.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٥٥ ، وقد نُسب الخبر في (م) إليه. وينظر التعليق التالي.

(٤) أنساب الأشراف ٢/ ٥٠٥ ، وطبقات ابن سعد ٦/ ٤٥٥ ، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٤٩ . وعدَّ ابن كثير هذا الخبر من الأكاذيب. قلت: إنّ الحُمرة عند طلوع الشمس وعند غروبها من السنن الكونية التي خلقها الله تعالى، ودعا الناس إلى التفكّر فيها، وأقسم بها بقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾. وقريبٌ من هذا المعنى قوله ﷺ يوم مات ابنُه إبراهيم وخسفت الشمس؛ قال: «إن الشمس والقمر من آيات الله، وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته». ولا شكّ أن مقتل الحسين رضي الله عنه مصيبة كبرى أُصيب بها المسلمون، وكذا مقتل عُمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. وفي هذا القول من الغرابة ما لا يخفى.

(٥) في «التبصرة» ٢/ ١٦ . ويُستغرب منه مثل هذا القول!

(٦) المصدر السابق.

وقال[١]: لما قُتل الحسين ﷺ: مكثنا شهرين أو ثلاثة كأنَّما لطّخت الحيطان بالدم.

وقال الشعبي: لما قُتل الحسين اسودَّت الدنيا ثلاثة أيام، ورمت السماء رملاً أحمر[٢].

وقالت نَضْرة الأزدية: لمَّا قُتل الحسين ﷺ مطرت السماء دماً، فأصبحت خيامُنا وكلُّ شيء منّا مملوءًا دماً[٣]. [فلعنةُ الله على قاتله وقاتلِ أبيه][٤]

ذكر نَوْح الجنِّ عليه:

قال عليّ بنُ أخي شعيب بن حرب[٥]: [ناحت الجنّ عليه، يعني على الحسين] قالت جنّيّة: جئن نساءُ الجنّ يبكين شجيّات، ويلطمنَ خدوداً كالدنانير نقيّات، ويلبسنَ ثياب الصوف[٦] بعد القصبيّات.

و[قال جدّي: وروينا في حديث أنه] حُفظ من قول الجنّ:

مسحَ النبيُّ جبينَهُ ... فله بريقٌ في الخدودْ
أبواه من علْيا قريش ... جدُّه خيرُ الجدودْ[٧]
خرجوا به[٨] وفداً إليه ... فهم له[٩] شرُّ الوفودْ
قتلوا ابنَ بنتِ نبيِّهم ... سكنوا به نارَ الخلودْ

---

(١) في (م): وفي رواية عن هلال قال... وينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٤٩ .

(٢) نسب الخبر في (م) لابن عساكر، وينظر المصدر السابق. والتعليق الآتي.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٥٥ ، وتاريخ دمشق ٥/ ٧٦ (مصورة دار البشير). وعدَّ ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٥٧٦ أن هذا الخبر وأمثاله من المبالغات والأكاذيب.

(٤) الكلام السالف بين حاصرتين؛ كلُّه من (م).

(٥) في (م): قال ابن بطة (وتحرف فيها إلى ابن بريطة) بالإسناد الماضي: حدثنا أبو ذرّ الباغندي، حدثنا حماد بن الحسن الورّاق قال: سمعت علي بن أخي شعيب بن حرب...إلخ. وقوله: بالإسناد الماضي. كذا وقع في (م) مع أنه لم يرد فيها في الخبر قبله إسناد. والخبر في «التبصرة» ٢/ ١٦ .

(٦) في «التبصرة»: السود.

(٧) بنحوه في «المعجم الكبير» للطبراني (٢٨٦٦)، و«التبصرة» ٢/ ١٦ إلى هذا الموضع. وأشار الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ١٩٩ إلى ضعف الخبر.

(٨) في (ب) و(خ): جرجحونه، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥/ ٨٣ . وهذا البيت والذي بعده لم يردا في (م)، وهما في «تاريخ دمشق» ٥/ ٨٣ مع البيتين الآخرين في رواية.

(٩) في (ب) و(خ): فهم به، والمثبت من «تاريخ دمشق».

وقالت أمّ سلمة رضي الله عنها: سمعتُ نَوْح الجنّ على الحسين عليه السلام[(١)].

وقال [هشام، عن] عمرو بن عكرمة: أصبحنا صبيحة قتلِ الحسين رضي الله عنه بالمدينة، فإذا مولاة لنا تُحدِّثنا، فقالت: سمعتُ البارحة منادياً ينادي من السماء:

أيها القاتلون جهلاً حُسيناً أبشِروا بالعذابِ والتنكيلِ
كلُّ أهلِ السماء يدعو عليكم من نبي وملأكٍ وقبيلِ
ولُعنتُم على لسان ابنِ داو د وموسى وصاحبِ الإنجيل[(٢)]

فكانوا يُرون أن بعضَ الملائكة قال ذلك.

وقالت أمُّ سلمة رضي الله عنها: ما سمعتُ نَوْح الجنّ منذ قُبض رسولُ الله ﷺ إلا ليلةَ قُتل الحسين؛ سمعت جنِّيَّة تقول:

ألا يا عينُ فاحتفلي بجهدٍ ومَنْ يبكي على الشهداء بعدي
على رَهْطٍ تقودُهم المنايا إلى متجبِّر في زيِّ عبدِ[(٣)]

وروي عن محمد المصقلي قال: لمَّا قُتل الحسين رضي الله عنه سمع الناسُ منادياً ينادي ليلاً، يُسمع صوته ولا يُرى شخصُه يقول:

عقَرتْ ثمودٌ ناقةً فاستُؤصِلُوا وجرَتْ سوانحُهم بغير الأسعدِ
فبَنُو رسولِ الله أعظمُ حُرْمَةً وأجلُّ من أمّ الفَصِيل المُقصَدِ
عجباً لهم ولِمَا[(٤)] جَنَوْا لم يُمْسَخُوا والله يُمْلِي للطُّغاةِ الجُحَّدِ

ذكر منام ابن عباس:

قال ابن عبَّاس[(٥)]: رأيتُ رسول الله ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار أشعثَ أغبرَ، بيده قارورة فيها دمٌ يلتقطُه، فقلتُ: يا رسول الله، ما هذه القارورة؟ قال: «دمُ الحسين وأصحابِه، مازلتُ ألتقطُه».

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٥٤. ونُسب الخبر في (م) إليه.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٦٧، ونُسب سماع الشعر من الجن في «تاريخ دمشق» ٥/ ٨٢-٨٣ لأم سلمة.

(٣) تاريخ دمشق ٥/ ٨٣ (مصورة دار البشير) وفيه: في ملك عبدي.

(٤) في (ب) و(خ): لما (بدون واو) والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥/ ٨٣-٨٤، و«مختصره» ٧/ ١٥٤-١٥٥. والخبر لم يرد في (م).

(٥) في (م): قال أحمد بن حنبل: [حدثنا عفَّان] حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس رضي الله عنه قال.. والحديث في «مسند» أحمد (٢٥٥٣). قال محققوه: إسناده قوي.

قال عمَّار بن أبي عمَّار[١]: فنظرنا فإذا قد قُتل الحسين في ذلك اليوم.

ذكر أقوال العلماء لمَّا بلغَهم قتلُه:

قال عبد الرحمن بن أبي أنعُم: كنتُ شاهداً عبدَ الله بنَ عُمر وسأله رجل عن دم البعوض [فقال: ممَّن أنت؟ قال: من أهل العراق. فقال: هاه! انظروا إلى هذا يسألُني عن دم البعوض] وقد قتلُوا ابنَ رسول الله ﷺ، وسمعتُه يقول: «هما ريحانَتِي[٢]». انفرد بإخراجه البخاري.

وقالت أمُّ سَلَمة رضي الله عنها[٣]: لعن اللهُ أهلَ العراق، قتلُوه؛ قتلَهم الله، أذلُّوه؛ أذلَّهم الله، أو قد فعلُوها؟! ملأَ اللهُ بيوتَهم وقبورَهم ناراً. ثم بكت حتى غُشيَ عليها[٤]، وماتت بعده في هذه السنة[٥].

وقال محمد بن عبد الرحمن[٦]: لقيني رأس الجالوت، فقال: إن بيني وبين داود سبعين أباً، وإنَّ اليهود لَتُعَظِّمُني، وأنتم قتلتُم ابنَ نبيِّكم، وبينكم وبينه أبٌ واحد!

وقال رأس الجالوت: كنَّا نسمعُ أنَّه يُقتل بكربلاء ابنُ نبيّ، فكنتُ إذا دخلتُها ركضتُ فرسي حتى أجوزَها، فلما قُتل الحسين جعلتُ أجوزُها على هِينَتي[٧].

وقال الزُّهري[٨]: لما بلغ الحسنَ البصريَّ وابنَ سِيرين وعلماء البصرة قتلُ الحسين، اجتمعوا وبكَوْا عليه أياماً.

---

(١) هو راوي الحديث عن ابن عباس. ينظر التعليق السابق.

(٢) في «صحيح البخاري» (٥٩٩٤): ريحانتاي. وذكر ابن حجر في «فتح الباري» ١٠/ ٤٢٧ أن لفظة «ريحانتي» هي رواية أبي ذر عن الكشميهني.

(٣) في (م): وحكى ابن سعد عن أم سلمة أنها قالت... والخبر في «الطبقات» ٦/ ٤٥٢ و٤٥٣.

(٤) هاتان روايتان في «طبقات ابن سعد»، من طريق شهر بن حوشب عن أمّ سلمة؛ الأولى: من أول الخبر، حتى قولها: أذلَّهم الله، والكلام بعده هو في رواية أخرى، وجمع بينهما المصنف (أو المختصر). ينظر «الطبقات» ٦/ ٤٥٢ و٤٥٣.

(٥) لكن المصنف سيذكرها فيمن توفي سنة (٦٢)، وقال الذهبي في «السير» ٢/ ٢١٠: الظاهر أن وفاتها في سنة إحدى وستين. اهـ ووهّم من أرَّخ وفاتها سنة (٥٩)، مثل الواقدي، ذكره عنه ابن سعد ١٠/ ٩٣، وابن الجوزي في «المنتظم» ٥/ ٣١٩.

(٦) في (م): وذكر ابن سعد عن محمد بن عبد الرحمن قال... والخبر في «الطبقات» ٦/ ٤٥٢.

(٧) تاريخ دمشق ٥/ ٦٠ (مصورة دار البشير).

(٨) في (ب): الزبيري، وفي (خ): وأما الزبيري.

وقال الحسن: واذلَّ أمةٍ قتل ابنُ دَعِيِّها ابنَ نبيِّها[(١)]، واللهِ لَيُردَّنَّ رأسُ الحسين إلى جسده، ثم لينتقمنَّ له جدُّه وأبوه يومَ القيامة من ابنِ مَرْجانة.

وقال عمر بنُ عبد العزيز رضي الله عنه: لو كنتُ في قتلة الحسين ودُعيتُ إلى دخول الجنة؛ لما دخلتُ حياءً من رسول الله ﷺ أن تقعَ عيني في عينه[(٢)].

ولما بلغ قتلُ الحسين رضي الله عنه الربيعَ بنَ خُثيم بكى[(٣)] وقال: لقد قتلوا صِبْيَةً لو رآهم رسول الله ﷺ لأحبَّهم ولأطعمهم بيده، وأجلسهم على فخذه، ووضع فمه على أفمامهم.

[وفي رواية[(٤)]: قال:] ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الزمر: ٤٦] الآية.

قال أبو العلاء المعري:

أرى الأيامَ تفعلُ كلَّ نُكْرٍ فما أنا في العجائبِ مستزيدُ
أليس قُريشُكم قتلت حُسيناً وكان على خلافتكم يزيدُ!

ذكر مراثيه:

تفقَّد عُبيد الله بنُ زياد بعد قتل الحسين رضي الله عنه أشراف[(٥)] أهل الكوفة، فلم ير عُبيد الله بن الحرّ، ثم جاءه بعد أيَّام فقال: أين كنت؟ فقال: كنت مريضاً. قال: مريض القلب، أو الجسد؟ فقال: أمَّا قلبي فلم يمرض، وأمَّا بدني فقد مَنَّ اللهُ عليه بالعافية. فقال: كذبت، ولكنك كنتَ مع عدوِّنا. فقال: لو كنتُ مع عدوِّك لرُئيَ مكاني، لأنَّ مثل مكاني لا يخفى.

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٥١٩.
(٢) وفيات الأعيان ٦/ ٣٥٣.
(٣) في (م): وروى ابن سعد عن الربيع بن خثيم أنه لما بلغه قتل الحسين بكى... والخبر في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٥٢.
(٤) المصدر السابق ٨/ ٣١٠ (ترجمة الربيع).
(٥) في (م): روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن جندب الأزدي أن عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين تفقد أشراف... ولم أقف على صدر هذا الخبر في «الطبقات» وإنما جاء فيه ٦/ ٤٥٧-٤٥٨ ذكرُ ندم عُبيد الله بن الحرّ على تركه نصرة الحسين رضي الله عنه، وذكرُ مرثيته الآتية، والخبر بتمامه في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٦٩-٤٧٠، وبنحوه في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ١٩٥ (طبعة مجمع دمشق).

وغفل عنه ابنُ زياد، فخرج وقعد على فرسه[(١)] فقال: أين ابنُ الحرّ؟ قالوا: خرج فقال: عليَّ به. فخرج الشُّرَطُ إليه وقالوا: أجب الأمير. فدفع فرسه وقال: قولوا له: واللهِ لا آتيه طائعاً أبداً[(٢)]. وسار في أصحابه، فأتى كربلاء، فوقف على مصارع القوم، واستغفر لهم، ثم سار إلى المدائن فنزلها؛ قال:

يقول أميرٌ غادرٌ أيُّ غادرٍ[(٣)] ... ألا كنتَ قاتلتَ الحسين بنَ فاطِمَهْ
ونفسي على خِذْلانِهِ واعتزالِهِ ... وبيعةِ هذا الناكثِ العهدِ لائمَهْ
فيا ندمي ألا أكون نصرتُهُ ... ألا كلُّ نفسٍ لا تُسَدِّدُ نادِمَه
وإني على أن لا أكن من حُماتِهِ ... لذو حسرةٍ ما إن تفارقُ لازمَهْ
سقى اللهُ أرواح الذين تأزَّرُوا ... على نصرِهِ سُقيا من الغيثِ دائمَهْ
وقفتُ على أجداثهم ومجالِهم ... وكاد الحشا ينقضُّ[(٤)] والعينُ ساجِمَهْ
لعمري لقد كانوا مصاليتَ في الوَغَى ... سِراعاً إلى الهَيْجا حُماةً ضَراغِمَهْ
تآسَوْا على نصرِ ابنِ بنتِ نبيِّهِمْ ... بأسيافهم آسادَ غِيلٍ خضارمَهْ[(٥)]
فإنْ يُقتلوا فكلُّ نفسٍ تقيَّةٍ ... على الأرض قد أضْحَتْ لذلك واجمَهْ
وما إنْ رأى الراؤون أفضلَ منهمُ ... لدى الموتِ ساداتٍ وزُهْراً قماقِمَهْ
أتقتلُهم ظلماً وترجو ودادَنا ... فدَعْ خِطَّةً ليست لنا بملائمِهْ
لعمري لقد راغمتُمونا بقتلهم ... فكم ناقمٍ منَّا عليكم وناقِمَهْ
أهُمُّ مراراً أنْ أسيرَ بجحفلٍ ... إلى فئة زاغت عن الحقِّ ظالِمَهْ
فكُفُّوا وإلَّا زُرْتُكُمْ في كتائبٍ ... أشدَّ عليكم من زحُوفِ الدَّيالِمَهْ

---

(١) في (م) بدل قوله: وغفل عنه ابن زياد...، جاء قول آخر، لفظه: ولعمري لو كنتُ معه لطال عليك أن تنال منه. قال: وخرج من عند عبيد الله بن زياد، وقعد على فرسه...

(٢) في (م): فخرج الشرطي إليه وقال: أجب الأمير، فوشجه (كذا) بالمقرعة ثم قال: تبّاً لك ولأميرك، أخبره أنني لا آتيه...

(٣) في «طبقات ابن سعد» ٤٥٨/٦، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٧٠: حقُّ غادر. والشعر لم يرد في (م).

(٤) في «طبقات ابن سعد»: يرفضّ.

(٥) في «طبقات ابن سعد» ٤٥٨/٦، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٧٠. ضراغمه. وجاء فيهما لفظة: خضارمه، في البيت الذي قبله.

وكان الحسين رضي الله عنه قد لقي عُبيد الله بن الحرّ الجُعفيَّ هذا، فدعاه إلى القتال معهم، فامتنع خوفاً من ابن زياد، وكان ابنُ زياد قد جهَّزه لقتال الحسين رضي الله عنه، فلم يشهد ذلك، فلما قُتل الحسين رضي الله عنه؛ ندم حيث لم ينصره[1]، فقال الأبيات، وقال أيضاً:

فيا لكِ حسرةً مادمتُ حيّاً ... تردَّد بين حلقي والتَّراقي
حسيناً حين يطلبُ بذلَ نصري ... على أهل العداوة والشِّقاقِ
ولو أنّي أُواسيه بنفسي ... لنلتُ كرامةً يوم التَّلاقِ
مع ابنِ المصطفى نفسي فِداهُ ... فولَّى ثم ودَّعَ للفراقِ
غداةَ يقول لي بالبرِّ قولاً ... أتتركُنا وتُزمِعُ بانطلاقِ
فلو فلقَ التَّلَهُّفُ قلبَ حيٍّ ... لهمَّ اليوم قلبي بانفلاقِ
فقد فاز الأُلى نصروا حسيناً ... وخابَ الآخرون أولو النفاقِ[2]

شهد عُبيد الله بنُ الحُرّ صفِّين مع معاوية، وكان شجاعاً فاتكاً عثمانياً، وكان قد تزوَّج امرأةً من أهل الكوفة يقال لها: الدرداء، وغاب عنها مدَّة بالشام، فزوَّجها أخوها من رجل، وبلغ عُبيدَ الله، فقدم على عليّ عليه السلام، فقال له: أنت المُظاهر علينا عدوَّنا؟! قال: أَمَنَعَني ذلك عدلُك؟! ما كفرتُ بالله. فقال له: صدقتَ. وأخبره خبر المرأة، فدعا بها عليٌّ رضوان الله عليه، فإذا هي حامل من الزوج الثاني، فوضعَها على يَدَيْ عَدْل، وقضى بها لعُبيد الله. فلما ولدت دفع الولد إلى الزوج الثاني، وكان يقال له: عكرمة بن خميص[3]، ووهبت المرأةُ صَدَاقها من الزوج الثاني، وأخذها عُبيد الله، وخرج إلى الشام، ثم عاد[4].

ومن شعر عُبيد الله:

تبيت النَّشَاوَى[5] من أميَّة نُوَّماً ... وبالطَّفِّ قتلى ما ينامُ حميمُها

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٤٧٦، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٠٧. وسلف خبره ص ١٢٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٥٩.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ١٩٣: خبيص.

(٤) ينظر المصدر السابق ٤٤/ ١٩٣-١٩٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) جمع نشوان. وفي «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٦٠: نساء. وورد البيت الأول في «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١٤، ونُسب فيه لأبي دهبل الجمحي، وفيه: تبيت السكارى.

وما ضـيَّـع الإسـلامَ إلا قـبـيـلُـهـا تـأمَّـرَ نَـوْكـاهـا[١] ودامَ نـعـيـمُـهـا
وأضحَتْ قناةُ الملك في كفّ ظالم إذا اعوجَّ منها جانبٌ لا يُقيمُها
فأقسمتُ لا تنفكُّ نفسي حزينةً وعينيَ تبكي لا يجفُّ سُجُومُها[٢]

وقال [المدائني عن] رجل من أهل المدينة: خرجتُ أريدُ اللَّحاق بالحسين رضي الله عنه لما توجَّه إلى العراق، فلما بلغت[٣] [الرَّبَذة] إذا برجل جالس [هناك] فقال لي: يا عبد الله، لعلك [تريدُ] أن تُمِدَّ الحسين؟ قلت: نعم. قال: وأنا كذلك، ولكن اقعد، فقد بعثتُ صاحباً لي[٤]، والساعةَ يقدُم بالخبر. [قال:] فلم تمض ساعة؛ وإذا بصاحبه قد أقبل وهو يبكي، فقال له: ما الخبر؟ فقال:

واللهِ ما جئتُكم حتى بَصُرْتُ به في الأرض مُنْعَفِرَ الخدَّيْنِ منحورا
وحولَه فتيةٌ تَدْمَى نحورُهُمُ مثل المصابيح يغشَوْن الدُّجَى نُورا
وقد حَثَثْتُ قَلُوصي كي أُصادفَهم من قبل ما ينكحون الخُرَّدَ الحُورَا
يا لَهْفَ نفسيَ لَوْ أنِّي لحقتُهمُ إذاً لَحُلِّيتُ إذْ حُلُّوا أساويرا

فقال الرجل الجالس:

اذْهبْ فلا زال قبرٌ أنت ساكنُهُ إلى القيامةِ يُسْقَى الغيثَ ممطورا
في فتيةٍ بذلُوا للهِ أنفسَهمْ قد فارقوا المالَ والأهلينَ والدُّورا

وقال عقبة بن عمرو[٥] العبسي [ويقال: إنه أول من رثاه، فقال هذه الأبيات]:

إذا العينُ قرَّت في الحياة وأنتمُ تخافون في الدنيا فأظلمَ نورُها
مررتُ على قبر الحسين بكَرْبَلا ففاضَ عليه من دموعي غزيرُها
وما زلت أبكيه وأرثي لشجوِهِ وتسعد عيني دمعُها وزفيرُها

(١) جمع أَنْوَك، أي: أحمق.
(٢) تاريخ دمشق ٤٤/ ١٩٧ (طبعة مجمع دمشق)، وفيه بيت خامس، وورد في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٦٠ ثلاثة أبيات. قوله: سُجُومها، أي: سَيْلُها وقَطْرُها.
(٣) في (ب) و(خ): بلغ، والمثبت من (م). وما بين حاصرتين في هذا الخبر منها.
(٤) في (ب) و(خ): لقيت صاحباك والمثبت من (م).
(٥) في (م): عمر.

ونـاديتُ مـن حـول الـحسين عـصائباً أطـافَـتْ بـه مـن جـانـبيـه قـبـورُهـا
سـلامٌ عـلـى أهـل الـقـبـور بـكَـرْبَـلا وقـلَّ لـهـا مـنِّـي سـلامٌ يـزورُهـا
سـلامٌ بـآصال الـعشيَّاتِ والـضُّحى تُـؤدِّيـه نَـكْـبَـاءُ الـرِّيـاح ومُـورُهـا
ولا بـرح الـزُّوَّارُ زوَّارُ قـبـرِهِ يـفـوحُ عـلـيـهـمْ مـسكُـهـا وعَـبِـيرُهـا

وقال سليمان[١] يرثيه:

مـررتُ عـلـى أبـيـاتِ آلِ مـحـمـدٍ فـلـم أَرَهـا كـعـهـدِهـا يـومَ حَـلَّـتِ
فـلا يُـبـعـدُ الـلـهُ الـدِّيـارَ وأهـلَـهـا وإنْ أصبحتْ عنهم برغمي تخلَّتِ
ألا إنَّ قـتـلـى الـطَّـفِّ مـن آلِ هـاشـمٍ أذلَّـتْ رقـابَ الـمـسـلـمـيـن فـذلَّـتِ
وكـانـوا غـيـاثـاً ثـمَّ أضْـحَـوْا رَزِيَّـةً لـقـد عَـظُـمَـتْ تـلـك الـرَّزايـا وجـلَّـتِ
إذا افْـتَـقَـرَتْ قـيـسٌ جَـبَـرْنـا فـقـيـرَهـا وتـقـتـلُـنـا قـيـسٌ إذا الـنَّـعْـلُ زَلَّـتِ
وعـنـد غـنـيٍّ قَـطْـرةٌ مـن دمـائـنـا سـنـجـزيـهـمُ يـومـاً بـهـا حـيـثُ حَـلَّـتِ
ألـم تـر أنَّ الأرضَ أضْـحَـتْ مـريـضـةً لـفـقـد حـسـيـنٍ والـبـلادُ اقْـشَـعَـرَّتِ
فـإنْ تُـتـبـعـوه عـائـذَ الـبـيـت تُـصـبـحـوا كـعـادٍ تَـعَـمَّـتْ عـن هُـداهـا فـضـلَّـتِ
وقـد أعـولَـتْ تـبـكـي الـسـمـاءُ[٢] لـفـقـدهِ وأنـجـمُـهـا نـاحـت عـلـيـه وصـلَّـتِ[٣]

وقال أبو الأسود الدِّيلي:

أقـولُ وذاك مـن جَـزَعٍ ووَجْـدٍ أزالَ الـلـهُ مـلـكَ بـنـي زيـادِ
وأبـعـدَهـم كـمـا غَـدَرُوا وخـانُـوا كـمـا بَـعِـدَتْ ثـمـودُ وقـومُ عـادِ
هُـمُ خَـشَـمُـوا الأنـوف وهـنَّ شُـمٌّ بـقـتـلِ ابـنِ الـقِـعـاسِ أخـي مـرادِ[٤]
قـتـيـلِ الـسُّـوق يـا لـك مـن قـتـيـلٍ بـه نَـضْـحٌ مِـنَ احـمـرَ كـالـجِـسـادِ
وأهـلُ نـبـيِّـنـا مـن قـبـلُ كـانـوا ذوي كـرمٍ دعـائـمَ لـلـبـلادِ

---

(١) هو سليمان بن قَتَّة.

(٢) في (ب) و(خ): النساء، والمثبت من «أسد الغابة» ٢/ ٢٢، ولم ترد هذه القصيدة في (م)، وينظر التعليق التالي.

(٣) ورد عدد من الأبيات دون بعض في «أنساب الأشراف» ٢/ ٥١٣، و«طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٥٧، و«أسد الغابة» ٢/ ٢٢.

(٤) هو هانئ بن عروة المرادي، أمرَ ابنُ زياد بإخراجه إلى السوق مكتوفاً، وضُربت عنقه، وسلف خبره مع خبر مسلم بن عقيل، وترجم له المصنف آخر سنة ستين مختصراً.

حسينٌ ذو الجدود وذو المعالي ... يزين الحاضرين وكلَّ نادِ
أصابَ العزَّ مهلكُه فأضحى ... عميداً بعد مصرعه فؤادي[(١)]

وقال الشيخ أبو الفرج ابنُ الجوزيّ في «التبصرة»[(٢)] كلمات فيها:

إنما رحلَ الحسينُ رضي الله عنه إلى القوم لأنه رأى الشريعةَ قد دَثَرَتْ ورُفضت، فجدَّ في رفعِ قواعدِ أصلِها الجدّ، فلما حضروه حصروه، فقال: دعُوني أرجعْ. فقالوا: لا، ألا انْزِلْ[(٣)] على حكم ابنِ زياد. فاختارَ القتل على الذُّلّ، وهكذا النفوسُ الأبيَّة. وأنشد:

ولما رأى بعضَ الحياة مَذَلَّةً ... عليهم وعِزَّ الموتِ غيرَ مجرَّمِ
أَبَوْا أن يذوقوا العيشَ والذمُّ واقعٌ ... عليه وماتوا مِيتةً لم تُذَمَّمِ
ولا عجبٌ للأُسْدِ إنْ ظفرتْ بها ... كلابُ الأعادي من فصيحٍ وأعجمِ
فحَرْبَةُ وَحْشِيٍّ سَقَتْ حمزةَ الرَّدَى ... وحَتْفُ عليٍّ في حُسام ابنِ مُلْجَمِ

قال[(٤)]: وقد روينا أنَّ صخرة وُجدت قبل مبعثِ النبيِّ ﷺ بثلاث مئة سنة، عليها مكتوب باليونانية أو العبرانية:

أيرجو معشرٌ قتلُوا حسيناً ... شفاعةَ جدِّه يومَ الحسابِ[(٥)]؟!

[وأنشد جدِّي في «التبصرة»[(٦)]:]

لا بدَّ أنْ تردَ القيامةَ فاطمٌ ... وقميصُها بدمِ الحسين ملطَّخُ
ويلٌ لمن شفعاؤه خصماؤهُ ... والصُّورُ في يوم القيامة يُنفخُ

ونقلتُ من على ظهر مجلّد الخالِدِيَّيْن[(٧)] في هذا المعنى:

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٥٧ . وينظر «المعجم الكبير» للطبراني (٢٨٥٣). ولم ترد القصيدة في (م).
(٢) ٢/ ١٤ .
(٣) في «التبصرة»: لا، انزل.
(٤) في «التبصرة» ٢/ ١٧ . وينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٥٥ .
(٥) من قوله: وقال سليمان يرثيه (في الصفحة السابقة) إلى هذا الموضع لم يرد في (م).
(٦) ٢/ ١٧ .
(٧) هما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديَّان، أديبا البصرة، وشاعراها في وقتهما. توفي محمد في نحو ٣٨٠هـ، وتوفي سعيد سنة ٣٧١هـ. ينظر «الأعلام» ٧/ ١٢٩ .

إذا تفكَّرتُ في مصابهمُ | أتعبَ زندَ الهمومِ قادحُهُ
بعضُهمُ قُرِّبتْ مصارعُهُ | وبعضُهم بَعُدَتْ مطارحُهُ
أظلم في كربلاء يومُهمُ | ثم تجلَّى وهم ذبائحُهُ
لا بَرِحَ الغيثُ كلَّ ناحيةٍ | تهمي غَواديه أو روائحُهُ
على ثرًى حَلَّهُ ابنُ بنتِ رسو | لِ الله مجروحةٌ جوارحهُ
ذَلَّ حُماهُ وقلَّ ناصرهُ | ونال أقصى مُناهُ كاشحُهُ
عفَّرتمُ بالثَّرى جبين فتًى | جبريلُ بعد النبيِّ ماسحُهُ
يظلّ ما بينكم دمُ ابن رسو | ل الله وابنُ السفَّاح سافحُهُ
سِيَّانِ عند الأنام كلِّهمُ | خاذلُه منكمُ وناصحُهُ[(١)]

وقال[(٢)]: لقد جمعوا في ظلم الحسين ما لم يجمعه أحد، ومنعوه أن يرد الماء فيمن ورد، وأن يرحل عنهم إلى بلد، وسَبَوْا أهله وقتلوا الولد، وما هذا حدَّ دفعٍ عن الولاية، هذا سوء معتقَد. نبع الماء من بين أصابع جدِّه، فما سقَوْه منه قطرة، وكم لاح لهم نور هداية، فما ولَّوا وجوههم شطرَه.

[وقال: كان الرسول ﷺ من محبَّته للحسين يُقَبِّلُ شفتيه، ويحملُه كثيراً على كتفيه، ولمَّا مشى طفلاً بين يدي المنبر نزل إليه، فلو رآه ملقًى على أحد جانبيه؛ شديد العطش والماءُ حاضر لديه، وأطفاله يضجُّون بالبكاء حواليه، والسيوف تأخذه والأعداء تميل عليه، والخيلُ قد وطئت صدره ومشت على يديه، ودموعه تجري على خدّيه؛ إذاً لصاح الرسول وعزَّ عليه].

وكان الحسين عليه السلام شاعراً مُفلِقاً، فمن شعره:

كلَّما زِيدَ صاحبُ المال مالاً | زِيدَ في همِّه وفي الاشتغالِ
قد عرفناكِ يا منغِّصةَ العَيْـ | ـشِ ويا دارَ كلِّ فانٍ وبالِ
ليس يصفو لزاهدٍ طلبُ الزُّهْـ | ـدِ إذا كان مثقلاً بالعِيالِ[(٣)]

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٢١٩ـ٢٢٠ . وفيه: وذابحُه، بدل: وناصحُه.
(٢) يعني ابن الجوزي في «التبصرة» ٢/ ١٧ـ١٨ . والكلام الآتي بين حاصرتين من (م).
(٣) تاريخ دمشق ٥/ ٥٣ (مصورة دار البشير)، والبداية والنهاية ١١/ ٥٩٣ .

ودفع إلى سائل عشرة آلاف درهم، فقالت له فضَّة جاريتُه: أسرفتَ! فقال:

إذا جَـمَـعَـتْ مـالاً يـداي ولـم أنَـلْ فلا انبسطَتْ كفِّي ولا نَهَضَتْ رِجْلي
أريـنـي بـخـيـلاً نـالَ خُـلْـداً بِـبُـخْـلِـهِ وهـاتـي أَريـنـي بـاذلاً مـاتَ مـن بَـذْلِ
على الله إخْلَافُ الذي أَتْلَفَتْ يدي فلا مُهْلِكي بَذْلي ولا مُخْلدي بُخْلي(١)

ذكر أولاد الحسين رضي الله عنه:

[قال علماء السِّيَر:] كان له خمس ذكور وابنتان: علي الأكبر؛ قُتل مع أبيه بكربلاء، ولا عقب له، وأمُّه آمنة بنت أبي مرَّة بن عروة بن مسعود الثقفي، وأمُّها بنتُ أبي سفيان ابن حرب، وفيها يقول حسان بن ثابت:

طافَتْ بنا شمسُ النهارِ، ومَنْ رأى من الناس شمساً بالعشاء تطوفُ؟
بـنـو أمِّـهـا أوْفَـى قـريـشٍ بـذمَّـةٍ وأعـمـامُـهـا إمَّـا سـألْـتَ ثـقـيـفُ(٢)

وأما عليُّ الأصغر بنُ الحسين رضي الله عنه، فهو زين العابدين، والنسلُ له، وأمُّه أمُّ ولد، يقال لها: السُّلافة. وقيل: غزالة، سنديَّة.

وأما جعفر بن الحسين؛ فمات صغيراً، ولا بقيَّة له، وأمُّه السلافة؛ امرأةٌ من قُضاعة.

وأما عبد الله؛ فقُتل يوم الطَّفِّ مع أبيه، وأمُّه الرَّباب بنتُ امرىء القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم، وهي أمُّ سُكَينة بنتِ الحسين، وفيهما يقول الحسين رضي الله عنه:

لـعـمـركَ إنـنـي لأُحِـبُّ داراً تَـحُـلُّ بـهـا سُـكـيـنـةُ والـرَّبـابُ
أُحـبُّـهـمُ وأبـذُل فـوق جـهـدي ولـيـس لـعـاتـبٍ عـنـدي عـتـابُ
ولـسـتُ لـهـم وإنْ عَـتِـبُوا مـطـيـعـاً حـيـاتـي أو يـغـيِّـبـني الـترابُ(٣)

(١) تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٨٢ (طبعة مجمع دمشق).
(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٩.
(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٠٠، ونسب قريش ص ٥٩.

وأما فاطمة بنتُ الحسين؛ فأمُّها أمُّ إسحاق بنتُ طلحة بن عُبيد الله التيمي، من العشرة[١].

وكان الحَسَنُ بنُ الحَسَن قد خطب إلى عمِّه الحُسين رضي الله عنه إحدى ابنتيه، فأخرجَ له فاطمةَ وسُكينةَ، وخيَّره، فاختار فاطمةَ، فزوَّجه إيَّاها، فولدت له عبدَ الله، وإبراهيمَ، وحَسَناً، وزينب؛ بني الحَسَن بن الحَسَن، ثم ماتَ الحَسَن بن الحَسَن، فتزوَّجها عبدُ الله بنُ عَمرو بن عثمان؛ زوَّجها منه ولدُها عبدُ الله بنُ حَسَن بنِ حَسَن، فولدَتْ له محمداً الدِّيباج [سُمِّي بذلك] لحسنه[٢].

وكان عبدُ الله بن حسن يقول: لقد زوَّجتُها من عبد الله بن عَمرو، وما أحدٌ أبغضَ إليَّ منه، وما أحدٌ أحبَّ إليَّ اليوم منه ومن ولده محمدٍ الدِّيباج[٣].

وقال [أبو] القاسم[٤]: لمَّا احتُضر حَسَنُ بن حَسَن؛ قال لفاطمة بنتِ الحسين: إنكِ امرأةٌ مرغوبٌ فيكِ، وكأنِّي بعبد الله بن عَمرو بن عثمان إذا خرجَتْ جِنازتي قد جاء على فرس مُرجَّلاً لابساً حُلَّةً[٥]، يتعرَّضُ لك، وإنِّي لا أدعُ شيئاً من الدنيا همّاً غيرَكِ، ولا تنكحيه. فحلفَتْ له بالإيمان المغلَّظة من العِتاق والصَّدَقة، بعتق عبيدها وإمائها وصدقة مالِها أنَّها لا تتزوَّجُه.

فلما خرجت الجِنازة جاء عبد الله بن عَمرو على الصِّفَة التي ذكرها الحَسَن وهي حاسرة تضربُ وجْهَها، وأرسل إليها: غطِّ وجهَك، فلنا فيه رأي.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٠٠ و١٠/ ٤٣٩ .

(٢) ينظر «نسب قريش» ص ٥١-٥٢ . وما سلف بين حاصرتين من قبلي من أجل السياق.

(٣) في «تاريخ دمشق» ص ٢٨٠ (تراجم النساء): «ثم ما في الدنيا اليوم أحدٌ أحبَّ إليَّ من ابنه محمد أخي أبداً». ليس فيها لفظة «منه». وهي بنحوها في «نسب قريش» ص ٥٢ .

(٤) يعني ابن عساكر. وزدتُ لفظة «أبو» بين حاصرتين من عندي. والخبر في «تاريخه» ص٢٧٩ عن الزبير بن بكَّار.

(٥) في «نسب قريش» ص ٥٢ ، و«تاريخ دمشق» ص ٢٧٩ (تراجم النساء): مرجَّلاً جُمَّته، لابساً حلَّته.

فاسترخت يداها، وعُرف ذلك فيها، وغطَّت وجهها، فلما حلَّت للأزواج؛ أرسلَ إليها فخطَبها، فقالت له: قد حلفتُ الأَيْمانَ التي قد علمتَ. فقال: أنا أُخْلِفُ لكِ عن كلِّ شيءٍ شيئين. فتزوَّجَها، فولدَتْ له محمداً الدِّيباج؛ قتله المنصور[١].

وقال الزُّبير بن بكَّار: ضربت عليه[٢] فسطاطاً، وأقامَتْ سنةً، فلما مضتْ السنة، انصرفت، فسمعوا قائلاً يقول: هل وجدوا ما طلبوا؟ فأجابه آخر وقال: بل يئسوا وانقلبوا[٣].

وأراد[٤] عمر بنُ عبد العزيز رضي الله عنه أن يتزوَّجها، وكتب إلى الوليد يستأذنه[٥]، فجاء الجواب وقد تزوَّجت عبدَ الله بنَ عمرو بن عثمان.

وقال الزبير أيضاً: خطبها جماعة، فقالت: على ابن عمِّي دَيْن، فمن قضاه تزوَّجْتُه. فقال لها عبد الله بن عَمرو بن عثمان: كم دينُه؟ قالت: ألف ألف درهم. فاستكثرها. فقال له عُمر بن عبد العزيز: ويحك! فاطمة بنتُ الحسين بنِ فاطمة؛ انتهِزْها. فأرسل إليها بالمال، فقضت دينَ ابنِ عمِّها، وتزوَّجها.

ثمّ خلف عليها بعده ابنُ أبي عتيق البكري، فولدَتْ له آمنة[٦].

أسند الحديث عليه السلام عن رسول الله ﷺ، فأخرج له أحمدُ بنُ حنبل رحمه الله سبعةَ أحاديث:

فمنها عن ربيعة بن شيبان قال: قلت للحسين بن عليّ: ما تعقلُ من رسول الله ﷺ؟ قال: صَعِدْتُ غُرْفَةً، وأخذتُ تمرةً من تمر الصدقة، فلُكتُها في فيَّ، فقال النبيُّ ﷺ: «أَلْقِها، فإنَّا لا تحلُّ لنا الصدقة».

---

(١) الخبر في المصدرين السابقين، وينظر خبر محمد الديباج في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٧٩ـ٤٨٠ .

(٢) يعني على الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم.

(٣) تاريخ دمشق ص ٢٨٢ (ترجمة فاطمة ـ طبعة مجمع دمشق).

(٤) جاء في (ب) و(خ) قبله عبارة: «وكان الوليد بن عبد الملك قد خطبها، فتزوجت بعبد الله بن عمرو بن عثمان خوفاً من الوليد!». وهي واضحة الخطأ، فلم أثبتها. والخبر التالي مع التعليق عليه يبيّن الصواب.

(٥) الخبر في «تاريخ دمشق» ص ٢٨٠ (ترجمة فاطمة) وفيه: ففَرِقَ عمر من الوليد بن عبد الملك أن يخطبها بغير إذنه، فكتب إليه يستأذنُه فيها.

(٦) تاريخ دمشق ص ٢٧٧ (ترجمة فاطمة).

ومنها: قال حسين بنُ عليّ: قال رسول الله ﷺ: «للسائل حقّ ولو جاء على فرس».

ومنها: عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «البخيلُ مَنْ ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ»[١].

وقال ابنُ عساكر[٢]: حدَّثَ الحسين بنُ عليّ عن رسول الله ﷺ، وعن أبيه.

وروى عنه ابنُه عليُّ بن الحسين، وابنتُه فاطمة، وابنُ أخيه زيد بن الحسن، وسعيد ابنُ خالد، وطلحة بن عُبيد الله العُقيلي، وهمام بن غالب الفرزدق، وغيرُهم.

وفد الحسين رضي الله عنه على معاوية، وتوجّه غازياً إلى القسطنطينيّة في الجيش الذي كان أميرُه يزيد بن معاوية[٣].

وممَّن اسمُه الحسين بنُ علي جماعة كثيرة، منهم:

الحسين بن عليّ بن محمد بن أبي المضاء، أبو علي البعلبكّي[٤]، من بعلبكّ.

كان فاضلاً عالماً، مات في سنة سبع وأربعين وأربع مئة.

الحسين بن علي بن كوجك، ويعرف بالكوجكي.

حدَّث بطرابلس سنة تسع [وخمسين] وثلاث مئة[٥] عن أبيه، وعن أبي بكر الصنوبري الشاعر، وغيره.

وكان فصيحاً، ومن شعره:

وما ذاتُ بعلٍ مات عنها فُجاءةً ... وقد وجدَتْ حَمْلاً دُوَيْنَ الترائبِ
بأرضٍ نأَتْ عن والدَيْها كلاهما[٦] ... تعاورها الورَّاثُ من كلِّ جانبِ
فلمَّا استبانَ الحملُ منها تنهنهوا ... قليلاً وقد دبُّوا دبيب العقاربِ
فجاءتْ بمولودٍ غلامٍ فأحرزَتْ ... تراث أبيه الميْتِ دون الأقاربِ

---

(١) الأحاديث الثلاثة في «مسند أحمد» (١٧٣١) و(١٧٣٠) و(١٧٣٦) على الترتيب.

(٢) في تاريخه» ٥/ ١٢ (مصورة دار البشير). وينظر «تهذيب الكمال» ٦/ ٣٩٧ .

(٣) تاريخ دمشق ٥/ ١٢ .

(٤) في (ب) و(خ): البعلي، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥/ ٩٦ (مصورة دار البشير) والكلام ليس في (م).

(٥) في (ب): تسعين وثلاث مئة، وفي (خ): تسع وثلاث مئة، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥/ ٩٣ (مصورة دار البشير)، وينظر «الوافي بالوفيات» ٢١/ ٢٧ .

(٦) كذا في (ب) و(خ). وفي المصدرين السابقين: كليهما. وهو الجادة.

فلما غدا للمال ربّاً ونافست ... لإعجابها فيه عيون الكواعبِ[1]
وأصبح مأمولاً يُخاف ويُرتَجى ... جميلَ المُحيَّا ذا عِذارٍ وشاربِ
أُتيح له عَبْلُ الذراعين مُخْدِرٌ[2] ... جريءٌ على أقرانه غير هائبِ
فلم يبقَ منه غير عظم مجزَّرٍ ... وجُمجمةٍ ليست بذات ذوائبِ
بأوجعَ منِّي يومَ ولَّتْ حُدوجُهم[3] ... يؤمُّ بها الحادون وادي غباغبِ

ذكر استدعاء يزيد بن معاوية عُبيد الله بن زياد:

بعد قتل الحسين رضي الله عنه كتب يزيد بنُ معاوية إلى ابن زياد: أمَّا بعد، فإنك قد ارتفعت إلى غايةٍ أنتَ فيها كما قال الأول:

رُفعتَ فجاوزتَ السحابَ وفوقَهُ ... فما لكَ إلا مرقب الشمس مقعدُ

فإذا وقفتَ على كتابي هذا، فاقْدَمْ عليَّ لأُجازيَك على ما فعلت.

فقدم عليه ابن زياد في أرباب دولته وجميع بني أمية...[4] فخرجوا إليه، ولما دخلوا على يزيد؛ قام له واعتنَقَه، وقبَّل ما بين عينيه، وقبَّل ابنُ زياد يدَه، وأجلَسه معه على سريره وقرَّبه، وأدناه، وأجلسه معه على سريره في الخضراء، وكان منادمَه[5].

وقال يزيد ليلة للمغنِّي: غنِّ. وقال للساقي: اسقني. ثم قال:

اسقني شربة تُروِّي فؤادي ... ثم عُدْ واسْقِ مثلَها ابنَ زيادِ
موضع السرِّ والأمانةِ منِّي ... وعلى ثغر مغنمي وجهادي

وأقام عنده شهراً[6]، فوصله بألف ألف درهم، ومثلها عروضاً وجواهر ودوابًّا[7] وعبيداً، وأطلق له خَراج العراق سنة، وعاد إلى العراق.

---

(١) لم يرد هذا البيت في الأصل (خ)، وورد في (ب). والكلام كله ليس في (م).
(٢) في «القاموس»: أخدر العرينُ الأسدَ، فهو مُخْدِرٌ ومُخْدَر.
(٣) جمع حِدْج، وهو الحِمْل والهَوْدَج.
(٤) مكان النقاط كلمة غير واضحة، رسمها: بتلقيه.
(٥) سلف أن يزيد لما أتاه خبر قتل الحسين لعنَ ابنَ زياد وقال: قد كنتُ أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين. وهذا يناقض الخبر أعلاه. فليحرّر.
(٦) جاء خبر المنادمة في «الأغاني» ١٥/ ٢٩١-٢٩٢ بين يزيد وسَلْم بن زياد.
(٧) كذا في (ب) و(خ). والجادة: دوابّ، والكلام ليس في (م).

ذكر تعزية عبد الله بنِ الزُّبير لعبد الله بن عباس رضي الله عنهم:

قال ابن أبي مُلَيكة: بينا عبد الله بنُ عبَّاس في المسجد الحرام يتوقَّع خبر الحسين رضي الله عنه؛ أتاه آتٍ فسرَّه بشيءٍ، فاسترجع، فقلنا: ما حدث يا أبا العباس؟ قال: مصيبةٌ عظيمة عند الله نحتسبُها، أخبرني هذا أنه سمع عبد الله بن الزُّبير يقول: قُتل الحسين ابنُ عليّ.

فلم يبرح مكانَه حتى جاء عبد الله بنُ الزُّبير، فعزَّاه، ثم انصرف، فقام ابنُ عباس، فدخل منزلَه، ودخلَ عليه الناس يُعزُّونه.

ولقي المسورُ بنُ مَخْرَمة ابنَ الزُّبير، فقال له: قد جاء ما تحبُّ. فقال ابنُ الزبير: إليَّ تقولُ هذا! فواللهِ لوَدِدْتُ أن يبقى الحسين ما بقيَ بالحِمَى[1] حجر، واللهِ ما تمنَّيتُ ذلك. قال: فأنتَ أشرتَ عليه بالخروج إلى العراق. قال: نعم، ولكن ما علمتُ أنه يُقتل، ولم يكن بيدي أجلُه، ولقد جئتُ ابنَ عبَّاس فعزَّيتُه، فعرفت أنَّ ذلك يثقُل عليه مني، ولو تركتُ تعزيته [قال:] مثلي يُترك تعزيتُه بحسين؟! فما أصنعُ بهم يا أبا عبد الرحمن وهم أخوالي[2] وأسرتي، وصدورُهم وغِرَةٌ عليَّ وما أدري على أيِّ شيء. فقال له المسور[3]: الأمور تمضي، وبرَّ أخوالك[4]، فأبوك قد كان أحمدَ لهم منك.

انتهت ترجمة الحسين عليه السلام.

حمزة بن عَمرو بن عُويمر الأسلميّ

من الطبقة الثالثة من المهاجرين. قال حمزة: لما كنَّا في تبوك ونفَّر المنافقون بناقة رسول الله ﷺ في العقبة حتى سقطَ بعضُ متاعِه؛ قال حمزة: فنُوِّرَ لي في أصابعي الخمس، فأضاءت حتى جعلتُ ألقُطُ ما شذَّ من المتاع: السَّوط، والحَبْل، وأشباه ذلك.

---

(١) رسمت في (ب) و(خ) بالألف المدودة، وفي «طبقات ابن سعد» (والخبر فيه) ٦/ ٤٥١: بالجماء.

(٢) في (ب) و(خ): إخواني. والمثبت من «طبقات ابن سعد».

(٣) في (ب) و(خ): المستودع! والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٥١.

(٤) في (ب) و(خ): إخوانك، والمثبت من «الطبقات».

وحمزة هو الذي بشَّر كعب بنَ مالك بالتوبة، ونزع [كعب] ثوبيه، فكساه إيَّاهما[١].

وقدم حمزة الشام غازياً، وهو كان البشير إلى أبي بكر الصديق ﷺ بوقعة أجنادين[٢]. وقيل غيره.

وقدم حمزة مصر لغزو إفريقية سنة سبع وعشرين[٣].

وقال: كنتُ مع رسول الله ﷺ في سفر، فكان يعتقبني على راحلته، وسمَّاني مُتعباً، فكان يقول: «تعال يا مُتعب فاركب». فكان أحبَّ أسمائي إليَّ[٤].

ومات سنة إحدى وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة. وقيل: ابن ثمانين سنة[٥].

أسند الحديث عن رسول الله ﷺ؛ وروى عن أبي بكر، وعُمر ﷺ.

و[روى عنه] ابنُه محمد بنُ حمزة، وسليمان بنُ يسار، وعروة بنُ الزبير، وأبو سلمة ابنُ عبد الرحمن[٦].

الشَّريد بن سُوَيْد الثَّقفيّ

كنيتُه أبو عَمرو، وهو الذي أردفَه رسولُ الله ﷺ خلفَه، وأنشدَه من شعر أميَّة بن [أبي] الصَّلْت.

أسند الحديث عن رسول الله ﷺ[٧].

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب الثقفيُّ قال: سمعتُ عَمرو بنَ الشريد يذكر عن أبيه قال: استنشدني رسولُ الله ﷺ من شعر أميَّة، فأنشدتُه، فكلَّما أنشدتُه بيتاً قال: «هيه». حتى أنشدتُه مئة قافية، فقال: «إنْ كادَ لَيُسْلِمُ». انفرد بإخراجه مسلم[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٠ . وما بين حاصرتين منه.

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٣١٠ (مصورة دار البشير).

(٣) المصدر السابق ٥/ ٣١٦ .

(٤) المصدر السابق ٥/ ٣١٨ .

(٥) المصدر السابق ٥/ ٣١٨ و٣١٩ .

(٦) تاريخ دمشق ٥/ ٣١٠ ، وتهذيب الكمال ٧/ ٣٣٤ ، وما بين حاصرتين من قِبلي لضرورة السياق.

(٧) ينظر «طبقات» ابن سعد ٨/ ٧٤ .

(٨) مسند أحمد (١٩٤٥٧)، وصحيح مسلم (٢٢٥٥).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا هُشَيْم(١)، عن يعلى بن عطاء، عن عَمرو بن الشريد، عن أبيه قال: كان في وفد ثَقِيف رجلٌ مجذوم، فأرسلَ إليه رسول الله ﷺ: «ارْجِعْ، فقد بايعناك». انفرد بإخراجه مسلم(٢).

المنذر بن الجارود العبدي

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة.

وُلد على عهد رسول الله ﷺ، وكنيته أبو الأشعث، وقيل غير ذلك.

كان المنذر جواداً سيّداً، ولّاه عليٌّ عليه السلام إصطخر، فلم يأته أحد إلا وصله، ثم ولّاه عُبيد الله بنُ زياد ثغر الهند، فتوفيَ هناك في سنة إحدى وستين ـ أو [أول] اثنتين وستين ـ وهو ابنُ ستين سنة.

وكان من أمراء عليّ رضوان الله عليه يومَ الجمل على عبد القيس، ووفدَ على معاوية.

ولما ولّاه عُبيد الله بنُ زياد ثغرَ الهند خرج معه يُشَيِّعُه، فتعلَّق لواؤه بشيء، فاندقَّ، فاسترجع عُبيد الله وقال: لا يرجعُ إليكم المنذرُ أبداً. فما رجع(٣).

نوفل بن معاوية

ابن عمرو بن صخر بن يَعْمَر بن نُفاثة بن عديّ بن الدِّيل.

كان أبوه معاوية على بني الدِّيل في يوم الفِجار، وله يقول تأبَّطَ شرّاً:

فلا وأبيها ما نزلنا بعامرٍ ولا عامرٍ ولا النُّفاثيِّ(٤) نَوْفلِ

(١) هو ابنُ بشير، ووقع في (خ): هشام، وهو خطأ.

(٢) مسند أحمد (١٩٤٧٤)، وصحيح مسلم (٢٢٣١).

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١٢٢ و٩/ ٨٥ـ٨٦ (ترجمة أبيه الجارود)، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٠ـ٢٠٢ (مصورة دار البشير) وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٤) في (ب) و(خ): إلا المعاني! والمثبت من «الاشتقاق» ص ١٧٤، و«أسد الغابة» ٥/ ٣٧١. ورواية «الاشتقاق»: لعَمْر أبينا... والرواية في «الأغاني» ٢١/ ١٣٩: =

ونوفل من الطبقة الثالثة من المهاجرين، شهد فتحَ مكةَ وحنيناً والطائف مع رسول الله ﷺ، وشهد بدراً وأحداً والخندق مع المشركين.

وكان له ذِكْر ومكانة، ثم أسلم وحسُن إسلامُه، وحجَّ مع أبي بكر رضي الله عنه سنة تسع، ومع رسول الله ﷺ سنة عشر، وعاش مئة وعشرين، ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام. وتوفي في هذه السنة[1].

أسند نوفل عن رسول الله ﷺ أحاديث.

وابنُه سَلْمَى بن نوفل؛ كان من أجواد العرب، وفيه يقول الشاعر:

تُسَوَّدُ أقوامٌ وليسوا بسادةٍ ... بلِ السَّيِّدُ المحمودُ سَلْمَى بنُ نَوْفَلِ[2]

السنة الثانية والستون

فيها سارَ عَمرو بنُ سعيد بن العاص إلى الشام لمَّا ولَّى يزيدُ بنُ معاوية الوليدَ بن عتبة ابن أبي سفيان الحجاز.

[و] لمَّا قدم الوليد بنُ عُتبة المدينةَ أخذَ غلماناً لعمرو بن سَعِيد، فحبَسَهم، وحبسَ مواليَه، فأرسلَ إليه عَمرو: أَطْلِقْ مواليَّ وغلماني، فامتنع، وقال: لا بأس عليك، فلا تجزع، فقال أخوه أبانُ بنُ سعيد: أخي عَمرو يجزع! واللهِ لو قبضتُم على الجمر، وقبضَ عليه؛ ما تركَه حتى تتركوه.

فخرج عمرو من المدينة نحو الشام، فنزل على ليلتين من المدينة، وكتب إلى غلمانه ومواليه، وكانوا نحواً من ثلاث مئة رجل: قد بعثتُ إليكم ثلاث مئة جمل، فإذا أناخت بالمدينة، فاكسِرُوا باب الحبس واخرجوا، وليركب كلُّ واحد جملاً، والحقُوني.

= فلا وأبيك ما نزلنا بعامرٍ ... ولا عامرٍ ولا الرئيس ابن قَوْقَلِ
ولا بالشليل ربِّ مروان قاعداً ... بأحسن عيش والنُّفاثيِّ نوفلِ

قال أبو الفَرَج: عامر بن مالك أبو براء، ملاعب الأسنَّة، وعامر بن الطُّفيل، وابن قَوْقل: مالك بن ثعلبة.

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ١٣١-١٣٢.

(٢) المصدر السابق، والمنتظم ٦/ ١١. وبنحوه في «الكامل» للمبرد ١/ ١٦٦، و«الاشتقاق» ص ١٧٤، و«الأغاني» ١٣/ ٢٧٦، و«العقد الفريد» ٢/ ٢٨٨. وفي بعضها: سَلْم بنُ نوفل.

ولما وصلت الجمال؛ كسروا باب الحبس وركبوها، وخرجوا يطلبونه، فوجدوه قد تقدَّمهم، فساروا خلفَه.

وقدم على يزيدَ بن معاوية، فرحَّب به وأكرمه وأدنى مجلسَه، وعاتبه على تقصيره في أشياء كان يأمرُه بها في ابن الزبير، فلا يُنفذ منها إلا ما أراد، فقال له: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وإنَّ جُلَّ أهل الحجاز قد مالوا إليه وبايعوه سرّاً وعلانية، وأعطَوْه الرِّضى، ولم يكن معي من الجند ما أتقوّى بهم عليه لو ناهضتُه، وقد كان يحذر مني، وكنت أُدارِيه وألطف به لأتمكَّن منه، أو تلوح لي فرصة فأثبَ عليه، وقد بعثتَ الوليد، وسترى من خبره ما تعرفُ به مبالغتي [في أمرك] ومناصحتي لك.

فشكره يزيد وقال: أنت أصدقُ ممَّن رمى إليَّ عنك[١] هذه الأشياء، وحملني بها عليك، وأنت ممَّن أثقُ به وأرجو معونته، وأدَّخرُه لرأْب الصَّدْع وكفاية الهمّ، وكشف النوازل العظام.

فقال له عَمرو: ما أرى أحداً أولى بالقيام في[٢] مديد سلطانك وتوهين كيد عدوِّك منّي. وأقام عمرٌو عنده.

وأما الوليد بن عتبة فرام أمرَ ابنِ الزبير؛ فلم يقدر عليه لاحترازه وشدَّة امتناعه[٣].

وفيها خرج نَجْدَةُ بنُ عامر الحنفيُّ الحروريُّ باليمامة لمَّا قُتل الحسين رضي الله عنه، وكان على رأي الخوارج، وقام معه أهلُ اليمامة، وثار ابنُ الزبير بمكَّة.

وافترقَ الناس ثلاث فِرَق في الموقف، فكان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يُفيض من المُعَرَّف[٤]، ويُفيض معه عامَّةُ الناس، وابنُ الزبير واقفٌ في أصحابه، ونجدةُ واقفٌ في أصحابه، ثم يُفيض ابنُ الزُّبير بعد الوليد، ويُفيض نَجْدَةُ بعد ابنِ الزُّبير.

(١) في (خ): إليك عنك، والمثبت من (ب). وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٧٩ : ممَّن رقَّى هذه الأشياء عنك.
(٢) في (خ): من. والمثبت من (ب).
(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٧٨-٤٧٩ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٤ .
(٤) هو موضع الوقوف بعرفة. ينظر «معجم البلدان» ٥/ ١٥٤ . وتحرفت اللفظة في (ب) و(خ) إلى: المغرب.

وكان نَجْدَةُ يلقَى ابنَ الزُّبير كثيراً يتحدَّثان، حتى ظنَّ أكثرُ الناس أنه سيُبايعُه[١].

وفيها عزل يزيد الوليدَ بنَ عتبة عن الحجاز، وسببُه أنَّ ابن الزُّبير افتعل كتاباً على لسان أهل الحجاز إلى يزيد بن معاوية: أمَّا بعد، فإنَّك بعثتَ إلينا رجلاً أخرقَ، لا يتَّجه لأمر رَشَد، ولا يرعوي لِعظةِ الحليم، فلو بعثتَ إلينا رجلاً سهلَ الأخلاق، ليِّنَ الكَنَف؛ رَجَوْنا أنْ يتسهَّل من الأمور ما توعَّر منها، وأن يجمع ما تفرَّق، فانظر في ذلك، فإنَّ فيه صلاحَ خواصِّنا وعوامِّنا إن شاء الله تعالى.

فعزل الوليدَ، وولَّى عثمانَ بنَ محمد بن أبي سفيان، فقدم الحجاز حَدَثاً غِرّاً، لم يُحنّكه السّنّ، ولم تهذِّبه[٢] التجارب، ولم تضرِّسه[٣] الأمور، فكان لا يكاد ينظر في شيء من أمر السلطان، ولا من أمرِ العمل.

فأرسل عثمانُ جماعةً من أهل المدينة وافدين على يزيد، منهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، وعبدُ الله بنُ أبي عَمرو بن حفص بن المغيرة المخزوميّ، والمنذر ابن الزُّبير بن العوَّام، والمِسْوَر بنُ مَخْرمة، ورجالاً من أهل الشَّرَف، فلما دخلوا على يزيد أكرمهم، وأحسنَ إليهم، وأعظمَ جوائزَهم، فانصرفوا من عنده، وقدموا كلُّهم المدينة إلا المنذرَ بنَ الزُّبير، فإنه قدم البصرة على عُبيد الله بن زياد، وكان يزيد قد أجازه بمئة ألف درهم. فلمَّا قدم أولئك النفر المدينة؛ أظهروا شتمَ يزيد وعيبه، وقالوا: إنّا[٤] قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشربُ الخمر، ويعزف بالطنابير، وتعزف عنده القِيان، وإنَّا نشهدكم[٥] أننا قد خلعناه. فبايعهم[٦] الناس.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤٧٩ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٤ .

(٢) رسم الكلمة في النسختين (ب) و(خ): تهدم، ولعل الصواب ما أثبتُّه إن شاء الله. فهو المناسب إلى رسمها.

(٣) في (ب) و(خ): ولا تضربه. وعبارة تاريخ الطبري ٥/ ٤٧٩-٤٨٠ : فقدم فتى غرٌّ حَدَث غَمْر، لم يجرّب الأمور، ولم يحنّكه السنّ، ولم تضرِّسه التجارب.

(٤) في (ب) و(خ): بما، بدل: إنّا، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٨٠ .

(٥) في (ب) و(خ): أشهدكم، والمثبت من «تاريخ الطبري».

(٦) في المصدر السابق: فتابعهم.

وكان يزيد قد أجازَ عبد الله بنَ حنظلة بمئة ألف درهم، وكان معه ثمانية، فأجاز كلَّ واحد منهم بعَشَرَة آلاف درهم سوى الكسوة. فلما قدم المدينة سأل الناسُ عنه، فقال: واللهِ لقد أتيتُكم من عند رجل لو لم أجدْ غيرَ بنيَّ هؤلاء لجاهدتُه بهم. فقالوا: قد أعطاك ووصلك! فقال: واللهِ ما قبلتُ ذلك منه إلا لأتقوَّى به عليه(١).

ثم أظهر الباقون شتمه وعيبه، وقالوا: قدمنا من عند فاسق يشربُ الخمر، ويلعب بالطنابير والكلاب والقرود، وقد خلعناه كما خلعنا نِعالنا. فامتلأ المسجد بالنِّعال.

قال إبراهيم بن عبد الرحمن بن ربيعة المخزومي: لما وثبَ أهل المدينة ليالي الحرَّة، فأخرجوا بني أمية عن المدينة وأظهروا عيب يزيد بن معاوية وخلافه، أجمعوا على عبد الله بن حنظلة، وأسندوا أمرهم إليه، فبايعهم على الموت وقال: يا قوم اتقوا الله، فواللهِ ما خَرَجْنا على يزيد حتى خِفْنا أن نُرْمَى بالحجارة من السماء، إنَّ رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأَخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، لحقيقٌ بالقتال والقتل. واللهِ لو لم يكن أحدٌ من الناس لأبليتُ للهِ فيه بلاءً حسناً. فتواثب الناسُ يومئذٍ يُبايعون من كل النواحي.

وما كان لعبد الله بن حنظلة تلك الليالي مبيتٌ إلا في المسجد، وما كان يزيدُ على شَرْبةٍ من سَوِيق(٢)، يُفطر عليها إلى مثلها من الغد يؤتى بها في المسجد، وكان يصومُ الدهر، وما رُئيَ رافعاً رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى وإخْباتاً(٣).

وأما المنذر بن الزُّبير؛ فإنه أقام عند عُبيد الله بن زياد بالبصرة يُكرمه ويُحسن إليه، وكان صديقاً له.

فبينا هو عنده إذ جاء كتابُ يزيد بن معاوية ـ حين بلغه ما فعل ابنُ حنظلة والجماعة الذين كانوا معه ـ إلى ابن زياد يأمره أن يُوثِق المنذر بنَ الزبير ويحبسَه عنده حتى يأمرَ فيه بما يراه، فكره ابنُ زياد ذلك وكونه ضيفه، فأقرأه كتابَ يزيد، وأخبرَه أنه كارهٌ لذلك، وقال له: قد أصبحتَ لي ضيفاً، وكنتَ وادّاً لأبي، [و] قد أسديتُ إليك

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ١٥٢ (مصورة دار البشير ـ ترجمة عبد الله بن حنظلة).

(٢) السَّويق: طعامٌ يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير.

(٣) المصدر السابق ٩/ ١٥٣ .

معروفاً، وأُحبُّ أنْ أُتبعه بإحسان، فإذا اجتمع الناس عندي فسَلْني أن تلحقَ ببلادك، فإذا قلتُ: أقم عندنا فلك الكرامة، فقل: لي ضَيعة وشُغْل، ولابدَّ من انصرافي.

فلما اجتمع الناس قام فقال له ذلك، وقال له ابن زياد: أقم عندنا فلك الكرامة والمواساة، فقال: لابدَّ لي من الانصراف. فأذِنَ له.

فقدم المدينة، فكان ممَّن يحرِّضُ الناسَ على يزيد ويقول: واللهِ لقد أجازني بمئة ألف درهم، وما يمنعني ما صنع أن أُخبركم بحاله، واللهِ إنه ليشربُ الخمر، ويسكر، ويدع الصلاة. وبلغ يزيدَ، فقال: اللهمَّ إني أكرمتُه وآثرتُه، ففعل وقال ما قد علمتَ، اللهمَّ فجازه على الكذب والقطيعة[١].

ذكر قدوم النعمان بن بشير المدينة:

ولما فعل أهل المدينة ما فعلوا قال يزيد للنعمان: ائتِ عِدادَ الناس ثم قومَك[٢]، فائتهم فافْثَأْهُم[٣] عمَّا هم فيه وما يريدون، فإنَّ قومك إنْ لم ينهضُوا في هذا الأمر لم يتجاسر أحد على خلافي، وبها من عشيرتي من لا أوثر أن ينهض في هذه الفتنة فيهلك. فادْعُهم إلى الطاعة وخوّفهم الفتنة والفرقة وسفك الدماء.

فقدم النعمان المدينة، فدعا قومه، وخوّفهم الفتنة وقال: لا طاقة لنا بأهل الشام، وإنما أنا رجلٌ منكم. فقال له عبد الله بنُ مطيع العدويُّ: ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وإفسادِ ما أصلحَ اللهُ من أمرنا؟! فقال له النعمان: أما واللهِ لكأنّي بك إذا أقبلت الرجال تضربُ مفارق القوم وجباهَهم بالسيوف، وقد دارَتْ رحى المنون بين الفريقين؛ قد هربتَ على بغلتك تضرب جنبيها إلى مكة، وخلَّفْتَ هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يُقتلون في سككها وعلى أبواب دورهم وفي مساجدهم. فكان كما قال. وانصرف النعمان إلى يزيد فأخبره الخبر[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤٨٠-٤٨١ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٧ .

(٢) عبارة أنساب الأشراف: إن عدد الناس في المدينة الأنصار، وهم قومك وعبارة الطبري: ائتِ الناس وقومك إلخ.

(٣) في (ب) و(خ): فالقهم. والمثبت من المصدرين السابقين.

(٤) أنساب الأشراف ٤/ ٣٥٧ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٨١ .

ثم إنّ أهل المدينة اجتمعوا عند المنبر وخلعوا يزيد مرة ثانية، وكان يزيد لما شهد عليه الجماعة بشرب الخمر وفيهم المِسْور بن مخرمة؛ كتب إلى عامله عثمان بن محمد أن حُدَّ المِسْورَ حدَّ شاربِ الخمر. فجلده ثمانين، فقال ابن أبي عزَّة[١]:

أيشربُها صفراءَ كالمِسْكِ ريحُها أبو خالد ويُضربُ الحدَّ مسورُ[٢]؟!

ولم يوافقهم عبد الله بنُ عمر رضي الله عنهما، فقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا إسماعيل، حدثنا صخر بن جُويرية، عن نافع قال: لمَّا خلعَ الناسُ يزيد بنَ معاوية؛ جمعَ عبد الله بنُ عمر بنيه وأهلَه، ثم تشهَّد وقال: أمَّا بعد، فإنا قد بايعنا هذا الرجل على بَيْع الله ورسوله، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن الغادرَ يُنصبُ له لواءٌ يومَ القيامة يقال: هذه غَدْرَةُ فلان». وإنَّ من أعظم الغدر أن يُبايع رجلٌ رجلاً على بَيْع الله ورسوله، ثم ينكث بَيْعَتَه. فلا يخلعنَّ أحدٌ منكم يزيدَ، ولا يُشرفنَّ أحدٌ منكم في هذا الأمر، فيكون صَيْلَمٌ[٣] بيني وبينه. أخرجاه في الصحيحين[٤].

وفيها ولد محمد بن عبد الله بن عباس[٥] والد الخلفاء من بني العباس.

وفيها وُلد عمر بنُ عبد العزيز رضي الله عنه، وقيل في السنة الماضية.

وفيها كتب يزيد إلى عُبيد الله بن زياد أن يغزوَ عبد الله بنَ الزبير بمكة بجند العراق، فقال ابن زياد: لا والله، لا أجمعُهما للفاسق؛ قَتْلَ ابنِ رسولِ الله ﷺ وقتل ابن حواريِّه، وغزوَ بيتِ الله.

وكانت أمُّه مَرْجانة امرأةَ صِدْق، فشاورَها، فقالت: ما كفاك ما فعلتَ بابن رسول الله ﷺ حتى تفعل ذلك[٦]؟!

---

(١) في (خ): عروة، والمثبت من (ب). وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٦-٣٥٧: أبو حرَّة.

(٢) نُسب البيت في «المعارف» ٤٢٩، و«العقد الفريد» ٤/ ٣٥، و٦/ ٣٤٦ للمسور، والبيت فيهما بنحوه.

(٣) في (ب): صدا، وفي (خ): هذا. والمثبت من «مسند أحمد» (٥٠٨٨)، وفي رواية البخاري (٧١١١): الفيصل، وهما بمعنى.

(٤) صحيح البخاري (٣١٨٨)، وصحيح مسلم (١٧٣٥) دون ذكر القصة.

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٤٨١.

(٦) ينظر «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٨٣-٤٨٤، و«المنتظم» ٦/ ١٣.

وحجَّ بالناس عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ولم يمكِّنه ابنُ الزبير من دخول مكة، فوقف ناحية.

وكان عمال هذه السنة عمال السنة الماضية.

وفيها توفي

بُرَيْدَة بنُ الحُصَيْب

من الطبقة الثانية من المهاجرين.

قدم المدينة بعد بدر وأُحُد، وأقامَ عند رسول الله ﷺ، فغزا معه مغازيَه كلَّها بعد بدر وأُحُد.

واستعمله رسولُ الله ﷺ على أسارى المُرَيْسِيع، وكان معه يومَ الفتح لواءُ أسلم، ولم يزل مقيماً معه بالمدينة حتى مات رسول الله ﷺ، ومُصِّرت البصرة، فنزلَها، واختطَّ بها، ثم خرج إلى خراسان، وعبر النهر غازياً، ومات بمَرْو[١]، ودُفن في مقبرة جِصِّين[٢].

وأسند عن رسول الله ﷺ مئةً وستةً وستين حديثاً[٣]، منها حديث التُّرك.

قال الإمام أحمد رحمه الله[٤]: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا بشير بن المهاجر، حدثني عبد الله بن بُريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يسوقُ أمتي قومٌ عِراضُ الوجوه، صِغارُ الأعين، كأنَّ وجوهَهم الحَجَف، ثلاث مرات، حتى يلحقوا بهم بجزيرة العرب. أما السائقة الأولى؛ فينجو من هرب منهم، وأما الثانية؛ فيهلك بعض وينجو بعض. وأما الثالثة؛ فيُصطَلَمُون[٥] كلُّهم من بقي منهم».

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٢٧ـ٢٢٨، و٩/ ٨.

(٢) بكسر الجيم، أو فتحها. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ١٤١.

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٦٤، وفيه: مئة وسبعة وستون.

(٤) في «المسند» (٢٢٩٥١).

(٥) أي: يُستأصلون.

قالوا: يا نبيَّ الله، من هم؟ قال: «هم التُّرك. أَمَا والذي نفسي بيده ليَربِطُنَّ خيولَهم إلى سواري مساجد المسلمين». قال: وكان بُريدةُ لا يفارقه بعيران وثلاثة[١]، ومتاع السفر، والأسقية، يُعدُّ ذلك لهربٍ[٢]، مما سمع من النبيِّ ﷺ من البلاء من الترك.

ومن مسانيده: قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقةُ في الحجِّ كالنفقة في سبيل الله بسبع مئة ضعف»[٣].

الرَّبيع بن خُثَيْم

الكوفي الثوري، من الطبقة الأولى من التابعين، كنيتُه أبو يزيد، وكان عالماً فاضلاً، زاهداً عابداً، ورعاً خاشعاً.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول للربيع: يا أبا يزيد، لو أنَّ رسول الله ﷺ رآك لأحبَّك، وما رأيتُك إلا وذكرتُ المُخْبِتين.

وكان إذا رآه قرأ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾[الحج: ٣٤][٤].

وكان إذا جاء إلى باب ابن مسعود يقول عبد الله للجارية: مَنْ بالباب؟ فتقول: ذاك الشيخ الأعمى. من خشوعه[٥].

وقال أبو حيَّان التيمي [عن أبيه قال:] ما سمعتُ الربيعَ يذكر شيئاً من الدنيا قطّ، إلا أنه قال يوماً: كم للتَّيْم مسجد[٦]؟

وكان يقول: اتقوا السرائر اللاتي يَخفَيْن من الناس، وهنَّ للهِ بوادي. قيل له: وما دواؤهنَّ؟ قال: أن تتوبَ ثم لا تعود[٧].

---

(١) في «مسند» أحمد: أو ثلاثة.

(٢) في «المسند»: للهرب.

(٣) مسند أحمد (٢٣٠٠٠).

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٠٣، وحلية الأولياء ٢/ ١٠٦ و١٠٧، وصفة الصفوة ٣/ ٦٠، والمنتظم ٦/ ٨.

(٥) صفة الصفوة ٣/ ٥٩-٦٠، والمنتظم ٦/ ٨.

(٦) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٠٣، وصفة الصفوة ٣/ ٦٠. وما بين حاصرتين منهما.

(٧) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٠٥-٣٠٦، وصفة الصفوة ٣/ ٦١-٦٢.

وقال إبراهيم التَّيْمي: أخبرَني من صحبَ الرَّبيع عشرين عاماً، فما سمعَ منه كلمة تُعاب.

وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحنا مذنبين، نأكلُ أرزاقَنا وننتظر آجالنا.

وكان الربيع يتهجَّد في الليل، فمرت به هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية[الجاثية: ٢١]، فلم يزل يُرَدِّدُها حتى أصبح.

وكان يُعجبه السُّكّر يأكلُه، فإذا جاءه السائلُ يناولُه منه، فقيل له: ما يصنعُ بالسكر؟ فيقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[الإنسان: ٨].

وكان يبكي حتى يبلَّ لحيته بالدموع ويقول: أدركنا قوماً نحن في جانبهم لصوص[١].

وقال له عَزْرة[٢]: أوص لي بمصحفك. فنظر إلى ابنه وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[الأنفال: ٧٥].

وأصابه الفالج، فقيل له: لو تداويتَ. فقال: قد مضت عادٌ وثمودُ وأصحابُ الرَّسّ وقرونٌ بين ذلك كثيراً، كانت فيهم الأوجاع، وكان فيهم الواصف والموصوف له، فما بقي أحدٌ منهم[٣].

وقالت سُرِّيَّةُ الربيع: كان عملُه كلُّه سرّاً، إنْ كان الرجل لَيَجيءُ وقد نشر المصحف، فيغطِّيه بثوبه[٤].

وما رُئي متطوّعاً في مسجد قومه إلا مرَّة واحدة[٥].

وكان يقول: التمسوا الذنوب بالتوبة على أن لا تعودوا إلى مثلها.

وكانت العصافير إذا سجد جاءت فوقعت على ظهره[٦].

---

(١) ينظر ما سلف في «الطبقات» ٨/ ٣٠٥-٣٠٩، وصفة الصفوة ٣/ ٦٠-٦٨.

(٢) في (ب) و(خ): عروة، والمثبت من «الطبقات».

(٣) المصدر السابق ٨/ ٣١١.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ١٠٧، وصفة الصفوة ٣/ ٦١، والمنتظم ٦/ ٩.

(٥) صفة الصفوة ٣/ ٦١. وبنحوه في «طبقات ابن سعد» ٨/ ٣٠٧.

(٦) صفة الصفوة ٣/ ٦٣.

وقالت له أمُّه: يا بنيّ، ألا تنام الليل؟! فقال: يا أمّاه، مَنْ جَنَّ عليه الليل وهو يخاف البيات حُقَّ له أن لا ينام، فلما رأَتْ ما به من القلق والسَّهَر قالت: يا بنيّ، لعلك قتلتَ قتيلاً؟! فأقول: نعم. فتقول: من هو حتى يتحمَّل أهلُك عنك دِيَتَه؟ فيقول: هي نفسي[١]. إن جهنم لا تدعني أنام[٢].

وقال أبو عبد الله السُّلَمي: ضرب الربيعَ الفالجُ، فطال وجعُه، فاشْتَهى دجاجةً، فشَوَوْها له، فلما وضعوها بين يديه جاء سائل فقال: تصدَّقوا عليَّ. فقال: ادفعوها إليه. فقالت سُرِّيَّتُه: أنا أُعطيه ثمنها وكُلْ أنتَ شهوتَك. فقال: هات الثمن. فأحضرته، فقال: ادْفعي الجميع إلى السائل[٣].

وكان قميصُه يساوي ثلاثة دراهم.

وقال له أصحابه: لو جالستنا؟ فقال: لو فارق قلبي ذكر الموت ساعة لفسد.

وكان يقول: أنا بعصافير المسجد آنسُ بهم من أهلي.

وقال أبو وائل: خرجنا مع عبد الله بن مسعود ومعنا الربيع، فمررنا بالحدادين، فوقف الربيع ينظر إلى الحديد كيف يخرج من الكير، فمال الربيع حتى كاد يسقط.

ومررنا على أتُون تلتهب ناراً، فقرأ ابن مسعود: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] فصَعِقَ الربيع من الظهر إلى المغرب[٤].

وتوفي الربيع بالكوفة في هذه السنة، ورَوَى عن ابن مسعود وغيره، وكان مشغولاً بالعبادة عن الرواية[٥].

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١١٤، وصفة الصفوة ٣/ ٦٣.

(٢) هذا القول في رواية أخرى في المصدرين السابقين يخاطب به ابنته لما قالت له: أرى الناس ينامون ولا تنام؟

(٣) بنحوه في «صفة الصفوة» ٣/ ٦٤-٦٥.

(٤) ينظر ما سلف في «صفة الصفوة» ٣/ ٦٦-٦٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٣١٢، وصفة الصفوة ٣/ ٦٨.

عبد الله بن سَخْبَرَة الأزدي الكوفي

أبو مَعْمَر، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

كان ورعاً فاضلاً، وكان إذا حدَّث بالحديث وفيه لَحْن؛ حدَّث اقتداءً بما سمع(١).

روى عن علي، وعُمر، وابنِ مسعود، وخبَّاب، وأبي مسعود، وعلقمة ﷺ.

وقد روي أنه سمع أبا بكر الصديق ﷺ يقول: كفرٌ بالله ادِّعاءُ نسبٍ لا يُعرف.

قال ابن سعد(٢): وليس ذلك عندي يثبت. يعني سماع ابن سَخْبَرَة من أبي بكر رضوان الله عليه.

عقبة بن نافع بن عبد قيس الفِهْريُّ

أسلم يوم الفتح، وهو من الطبقة الرابعة من الصحابة(٣). وأمُّه من لَخْم، وكان أبوه نافع مع هبَّار بن الأسود لمَّا نَخَسَ بعيرَ زينب عليها السلام بنتِ رسول الله ﷺ لمَّا خرجت من مكَّة مهاجرة، وكان نافع أخا العاص بن وائل السَّهْمي لأمّه.

وشهد عقبة فتح مصر، وبعثه عَمرو بنُ العاص إلى أرض النُّوبة، فبلغ ما بين بَرْقة وزَوِيلة(٤).

ولما وليَ معاويةُ بعث عقبةَ إلى إفريقية، ففتحَها واختطَّ القيروان، وبنى بها المساكن.

ثم عزلَه معاوية، وولَّى مَسْلَمةَ بنَ مُخَلَّد مصرَ وإفريقية. وكان لمسلمة مولى يقال له: دينار، ويكنى أبا المهاجر، فأساء عزلَ عقبة(٥).

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٣_٢٢٤.

(٢) في «الطبقات» ٨/ ٢٢٣. وما قبله منه.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ١٣٨. غير أن ابن عبد البرّ قال في «الاستيعاب» ص ٥٦٣: وُلد على عهد رسول الله ﷺ، ولا تصحُّ له صحبة. ونقل ابن حجر في «الإصابة» ٧/ ٢٣٠ عن ابن يونس قوله: يقال: له صحبة، ولا يصحّ. وقال ابن عساكر ٤٨/ ١١٦: الأظهر أنه لا صحبة له.

(٤) ينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ١٣٩، و«تاريخ دمشق» ٤٨/ ١١٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) في الكلام اختصار. وتفصيلُه أنَّ مَسْلَمَة بن مُخَلَّد (وزن محمد) وجَّه مولاه أبا المهاجر إلى إفريقية، وعزل عقبةَ ابن نافع، فأساء أبو المهاجر عزلَه. ينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ١٤١.

فرجع عقبة إلى معاوية، فقال له: إني فتحتُ البلاد وبنيتُ المساجد وفعلتُ وفعلتُ، فأساء عزلي، فاستحيى معاويةُ منه وقال: ارجع إلى عملك. فرجع.

وقيل: إنه أقام حتى مات معاوية، وولَّاه يزيد إفريقية سنة اثنتين وستين، ومضى إليها، وقيَّد أبا المهاجر وأوثقه، ثم خرج عن إفريقية، فعرض له كُسَيْلَة الأودي(١) في جمع من البربر، والتقَوْا، فقُتل عقبة، وقُتل أبو المهاجر في قيوده.

وقال الواقدي: كان عمر رضي الله عنه قد منع الناسَ غزوَ إفريقية شفقةً عليهم، فلما مات غزاها عثمان بعبد الله بن سعد.

فلما قدم معاوية ولَّى عقبةَ بنَ نافع إفريقية، فخرج إليها في عشرة آلاف من المسلمين، فافتتحها واختطَّها، وبنى مكان قيروانها، وكان موضعُه غَيْضَة عظيمة لا تُرام من السِّباع والحيَّات والحشرات، فدعا عقبةُ اللهَ تعالى، فخرج ما كان فيها بإذن الله تعالى حتى إنْ كانت السِّباع لتحمل أولادَها.

وكان عقبة قد وقف على الغَيْضَة وقال: مَنْ وجدناه ههنا من الجنّ قتلناه. فارتَحِلُوا. وكان عقبة مجاب الدعوة(٢).

وقال خليفة: لما قيَّد [أبا] المهاجر وكبَّله؛ غزا السُّوس الأدنى وهو معه مُوثَق بالحديد، وكان حَنِقاً عليه - والسُّوس خلف طَنْجة - فلم يعرض له أحد، فانصرف راجعاً إلى إفريقية، فلما انتهى إلى تَهُوذة - وهي على ثمانية أيام من إفريقية - أمر أصحابَه فتفرَّقوا عنه، ولم يبقَ معه إلا نفرٌ يسير، فبلغ كُسَيلَةَ، وكان نصرانياً، فعرض له في جمع من الروم والبربر، فاقتتلوا، وقُتل عقبة، وأبو المهاجر في قيوده.

ثم سار كُسَيْلةُ إلى القيروان، فلقيَه زُهير بن قيس على بريد من القيروان، فقتلَ زهيرٌ كُسَيْلةَ وأصحابَه قتلاً ذريعاً(٣).

---

(١) في «طبقات ابن سعد» ٦/ ١٤٢ : الأوربي، وفي «تاريخ دمشق» ٤٨/ ١٢٦ : الأوددي.

(٢) ينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ١٤٠ ، وتاريخ خليفة» ص ٢١٠ ، و«تاريخ دمشق» ٤٨/ ١٢٢ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) ينظر «تاريخ خليفة» ص ٢٥١ ، و«تاريخ دمشق» ٤٨/ ١٢٥-١٢٦ .

وفتح عقبةُ غالبَ بلاد البربر، والقيروان اليوم هي التي اختطَّها عقبة بنُ نافع.

علقمة بن قيس

ابن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان النَّخَعي، أبو شِبْل، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

قال ابنُ سعد: كان عبد الله بنُ مسعود يُشْبِهُ رسولَ الله ﷺ(١) في هَدْيه ودَلِّه وسَمْتِه، وكان علقمة يُشَبَّهُ بعبد الله.

يقال: إنه وُلد على عهد رسول الله ﷺ، وهو عمُّ عبد الرحمن والأسود ابنَيْ يزيد(٢) ابن قيس، وخالُ إبراهيم النَّخَعي.

وكان علقمة والأسود يسافران مع ابن مسعود، وحجَّا مع أبي بكر وعمر ﵄(٣).

وحجَّ علقمة مع عمر ﵁ ثلاث حجج، وصلى خلفه سنين، وكان من أكابر أصحاب ابن مسعود.

وكان إذا قرأ عليه يقول: رتِّلْ، فداؤك أبي وأمي، فإنك زين القرَّاء(٤).

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألون علقمة ويستفتونه، وكان من الرَّبَّانيِّين(٥).

وقال منصور: قلتُ لإبراهيم: شهدَ علقمةُ صفِّين؟ قال: نعم، وقاتلَ حتى خَضَبَ سيفَه دماً، وقُتلَ(٦) فيها أخوه [أُبيُّ] بنُ قيس.

وقيل لعلقمة: لو دخلتَ على الأمير فأمرته بخير، فقال: لن أُصيبَ من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من ديني أفضل منه(٧).

---

(١) في «الطبقات» ٨/ ٢٠٧ : يُشَبَّهُ بالنبي ﷺ . وينظر «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٩٩ـ٣٠٠ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) تحرف في (ب) و(خ) إلى: وأبي زيد. وينظر «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٩٦ .

(٣) في «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٩٨ أن الأسود وعلقمة كانا يسافران مع أبي بكر وعمر.

(٤) ينظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٠٩ و٢١٠ ، و«تاريخ دمشق» ٣٠٧ـ٣٠٨ .

(٥) تاريخ دمشق ٤٨/ ٣١١ و٣١٤. وينظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢١١ .

(٦) في (ب) و(خ): وقال! والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٠٧ ، و«طبقات» خليفة ص ١٩٦ ، وما يأتي بين حاصرتين منهما.

(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٢١٠ ، وينظر «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٣١٧ .

وأقام علقمة بمرو سنتين يصلي ركعتين، وقيل: بخوارزم[١].

وكان يختم القرآن في كل ستّ ـ أو سبع أو خمس ـ ليال[٢].

وكان في بيته يعلفُ لغنمه، ويفتُّ لهنَّ[٣].

وكان بعين واحدة، ومات بالكوفة سنة اثنتين وستين. وقيل: ما بين الستين إلى السبعين[٤].

أسند علقمة الحديث عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وابن مسعود، وحُذيفة، وأبي الدرداء، وأبي موسى، وخبَّاب، وسلمان الفارسيّ، وأبي مسعود، وعائشة، ﭬ، في آخرين.

وروى عنه علماء الكوفة، والنَّخَعي، والشعبي، وغيرهما[٥].

عَمرو بن حزم

ابن زيد الأنصاري، من الطبقة الثالثة من الأنصار، وكنيتُه أبو الضحَّاك، وأمُّه خالدة بنت أبي أنس، من بني ساعدة.

استعملَه رسول الله ﷺ على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة[٦]، وكتب له كتاباً مشهوراً عند أهل العلم في الصدقات والدِّيَات.

وكان يُعلِّم أهلَ نجران السنن، ويأخذُ منهم الصدقات، وتوفّي رسولُ الله ﷺ وهو عاملُه على نجران[٧].

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢١٢.

(٢) في «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٣١٥ : كان علقمة يقرأ القرآن في خمس، والأسود في ستّ، وعبد الرحمن بن يزيد في سبع.

(٣) تاريخ دمشق ٤٨/ ٣١٧ـ٣١٨.

(٤) جاء في «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٣٢٥ ـ٣٢٧ أنه مات سنة ٦١ أو ٦٢ أو ٦٣ أو ٦٥ . وينظر «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٦١.

(٥) ينظر «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٨٨ ، و«تهذيب الكمال» ٢٠/ ٣٠١.

(٦) في (ب) و(خ): تسع عشرة سنة، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣١٨ ، و«تاريخ دمشق» ٥٥/ ٣٣ (طبعة مجمع دمشق) وهو الصواب.

(٧) ينظر «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣١٧ـ٣١٨ ، و«تاريخ دمشق» ٥٥/ ٣١ـ٤٣ . وينظر أيضاً «السنن الكبرى» للنسائي (٧٠٢٩)، و«صحيح ابن حبان» (٦٥٥٩).

ومات عمرو بالمدينة في هذه السنة[١].

وكان له من الولد محمد، وقُتل يوم الحَرَّة، وخالد، وعبد الله، ومعاوية، وسلمان[٢]، ومَعْمَر، وعامر، وحضرمي، وأمّ كلثوم، وعمارة، وخالدة، وحارثة، وحبيبة، وحفصة، ونائلة، وجميلة.

أسند عمرو الحديث عن رسول الله ﷺ.

مَسْلَمة بن مُخَلَّد

[ابن] الصامت الأنصاري، أبو معمر، ذكره ابنُ سعد فيمن نزل من الصحابة بمصر[٣]، وحكى عنه أنه قال: أسلمتُ وأنا ابنُ أربع سنين، وماتَ رسولُ الله ﷺ وأنا ابنُ أربعَ عشرةَ سنة.

وقد روى مَسْلَمةُ الحديثَ عن رسول الله ﷺ، وتحوَّل إلى مصر، فنزلَها، وكان من أهل خربتا، ثم صار إلى المدينة، فمات بها[٤].

وشهد صفّين مع معاوية أميراً على أهل فلسطين، وكان في الميسرة[٥]. وقد قيل: إنه لم يشهدها.

---

(١) وذكره أيضاً فيمن توفي في هذه السنة (يعني سنة ٦٢) ابنُ الجوزي في «المنتظم» ٦/ ١٠ ، وابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٦١٢ . غير أنه جاء في المصادر الأخرى أنه توفي سنة (٥١) أو (٥٢) أو (٥٣) أو (٥٤). وقال ابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٢١٥ : الصحيح أنه توفي بعد الخمسين لأن محمد بن سيرين روى أنه كلّم معاويةَ بكلام شديد لما أراد البيعة ليزيد. اهـ.

وعبارة ابن الجوزي في «المنتظم»: عاش عمرو حتى أدرك معاوية وبيعته لابنه يزيد.

قلت (القائل رضوان): وإنما دعا معاوية الناس إلى بيعة يزيد سنة (٥٦) كما سلف، فلعل ابن الجوزي وهم وأورده في «المنتظم» في وفيات هذه السنة (ونقله عنه المصنف) ولعل ابن كثير نقل كلام ابن الجوزي بالمعنى فوهم وقال: أدرك أيام يزيد بن معاوية، والله أعلم. وينظر أيضاً «تهذيب التهذيب» ٣/ ٢٦٤ .

(٢) في «الطبقات» ٥/ ٣١٨ : سليمان.

(٣) في «الطبقات» ٩/ ٥٠٩ ، وذكره أيضاً ٦/ ٥٦٢ في الطبقة الخامسة من الصحابة، وهم الذين توفي النبي ﷺ وهم أحداث الأسنان.

(٤) كذا في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٦٣ و٩/ ٥٠٩ . لكن أخرجه ابن عساكر ٦٧/ ١٨٢ من طريقه، وفيه: ثم صار إلى المغرب، فمات بها في خلافة معاوية بن أبي سفيان. اهـ. وسيرد أيضاً أنه مات بمصر دون أن ينبه المؤلف (أو المختصر) إلى ذلك.

(٥) تاريخ دمشق ٦٧/ ١٨٧ (طبعة مجمع دمشق).

وأقام والياً على مصر خمس عشرة سنة، واختطَّ بها، وتوفي بها وهو أميرٌ عليها.

وقيل: مات بالإسكندرية سنة اثنين وستين في ذي القَعْدة.

وقال مجاهد: صليتُ خلف مسلمة بن مخلد، فقرأ سورة البقرة في الصلاة، فما ترك منها واواً ولا ألفاً[١].

أسند مسلمةُ الحديث عن رسول الله ﷺ، فأخرج له الإمام أحمد رحمه الله حديثاً واحداً؛ قال[٢]: حدثني محمد بنُ بكر، أخبرنا [ابن] جُريج، عن المنكدر، عن أبي أيوب الأنصاريّ، عن مسلمة بن مخلد، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «من سترَ مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومَنْ نجّى مكروباً فكَّ الله عنه كُرْبَةً من كُرَب يوم القيامة، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته».

أمُّ سَلَمة رضوان الله عليها

زوج النبي ﷺ، واسمُها هند بنت أبي أمية. [قال ابن سعد[٣]: واسم أبي أمية] سهيل[٤] بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر[٥] بن مخزوم.

وكان يقال لأبيها: زاد الراكب؛ لأنَّ رفيقه لا يحتاج معه في السفر إلى زاد.

وأزواد الراكب من قريش ثلاثة: هذا، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وأبو أمية أشهرهم بذلك. وقيل: اسمه حذيفة. [وذكرنا تزويج رسول الله ﷺ بها في سنة أربع من الهجرة].

وكانت أمُّ سلمة رضي الله عنها من أفاضل أزواج رسول الله ﷺ، وأمُّها عاتكة بنت عامر بن ربيعة من بني كنانة [وقد ذكرنا طرفاً من أخبارها، وأنها أنكرت على عائشة خروجها إلى البصرة نوبة الجمل.

(١) المصدر السابق ٦٧/ ١٨٧ و١٨٨ .
(٢) مسند أحمد (١٦٩٥٩).
(٣) في «الطبقات» ١٠/ ٨٥ . والكلام بين حاصرتين من (م).
(٤) في (ب) و(خ): سهل. والمثبت من «الطبقات».
(٥) في (ب) و(خ): عمرو، والمثبت من «الطبقات».

واختلفوا في وفاتها فقال الواقدي:] توفيت في سنة اثنتين وستين في شوال، وصلَّى عليها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكانت أوصت أن لا يصليَ عليها، فما التفت، [وصلَّى بالناس العصر، ثم صلى عليها، وفي الناس ابنُ عمر، وأبو سعيد الخُدري.

وروى ابن سعد عن الواقدي أنها توفيت في سنة تسع وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة[١].

والأول أصح، لأنها كانت باقية لما قُتل الحسين، وقد ذكرنا هذا.

وقال الموفق رحمه الله[٢]: ماتت في سنة ستين.]

وكان لها يوم ماتت أربعٌ وثمانون سنة. وهي آخرُ أزواجِ رسولِ الله ﷺ موتاً.

ذكر أولادها:

وكلُّهم من أبي سلمة رضي الله عنه، وهم [سلمة، و] عُمر، وزينب، ودُرَّة، وأمُّ كلثوم[٣].

فأما عمر؛ فكنيتُه أبو حفص؛ توفّي رسول الله ﷺ وله تسع سنين، وشهد الجمل مع عليّ عليه السلام، بعث برايته إليه، وولَّاه عليّ رضوان الله عليه البحرين، ثم عزله، وولَّاه فارس، وقيل: حلوان، وقيل: ماسبذان.

وتوفي في أيام عبد الملك بن مروان بالمدينة.

وروى عن رسول الله ﷺ الحديث[٤].

وأما زينب؛ فلم يولد بالحبشة سواها، وتزوَّجها عبد الله بن زَمْعة بن الأسود، فولدت له عبدَ الرحمن، ويزيد، ووَهْباً، وأبا سلمة، وكبيراً، وأبا عبيدة، وقريبة، وأمَّ كلثوم، وأمَّ سلمة.

وقد كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أرضعت زينب بِلِبان ابنها عروة بن الزبير.

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٩٣.

(٢) في «التبيين في أنساب القرشيين» ص ٧٧، والكلام بين حاصرتين كلُّه من (م).

(٣) المصدر السابق ص ٧٧ و٣٨٢-٣٨٤. وما بين حاصرتين منه.

(٤) ينظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٣٢-٥٣٣، و«الاستيعاب» ص ٤٨٠، و«التبيين في أنساب القرشيين» ص ٣٨٣.

وكان اسمُها بَرَّة، فسمَّاها رسولُ الله ﷺ زينب، وقال: «لا تُزَكُّوا أنفسكم، والله أعلم بأهل البِرِّ منكم».

روت زينب عن أمِّها، وروى عنها عروة، وهو أخوها من الرَّضاع، وتوفِّيت في أيام طارق بالمدينة[١].

أسندت أمُّ سلمة الحديث عن رسول الله ﷺ؛ قال ابن البرقي: أسندَتْ ثلاث مئة وثمانية وسبعين حديثاً[٢].

السنة الثالثة والستون

فيها أخرجَ أهلُ المدينة عثمان بنَ محمد بن أبي سفيان عاملَ يزيد من المدينة ومن كان بها من بني أمية.

قال أبو مِخْنَف: لما بايع أهلُ المدينة عبدَ الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد؛ وثبوا على عامله، وعلى بني أمية ومواليهم، ومن يرى رأيهم من قريش، وكانوا نحواً من ألف رجل، فأخرجوهم فنزلوا دار مروان بن الحكم، وحاصروهم فيها حصاراً ضعيفاً.

وكان مروان يدبّر أمرهم[٣]، وكان عثمان بن محمد غلاماً حَدَثاً ليس له رأي، وكان عمرو بن عثمان متفقاً مع مروان على تدبير الأمور، فكتبوا إلى يزيد بن معاوية مع حبيب ابن كُرَّة يخبرونه بأنَّهم قد حُصروا، وكان عبد الملك معهم، فشرطوا على حبيب أن يسير في اثنتي عشرة ليلة، ويعود في مثلها.

قال حبيب: وخرج معي عبد الملك بن مروان، فقال: بعد أربع وعشرين ليلةً تجدني في هذا المكان جالساً أنتظرُك في مثل هذا الوقت.

وكان في الكتاب:

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٤٢٨ . وطارق: هو ابنُ عَمرو مولى عثمان بن عفَّان، وليَ المدينةَ لعبد الملك بن مروان خمسة أشهر سنة ثلاث وسبعين. ينظر «تاريخ دمشق» ٨/ ٤٨٨ (مصورة دار البشير).

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٦٤ .

(٣) في (ب) و(خ): وكان مروان بن بدر أميرهم! والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٨٢ .

أما بعد، فإنَّا محصورون في الدار، فيا غوثاه. ثلاثاً.

قال حبيب: فقدمتُ دمشق، فدخلتُ على يزيد بن معاوية وهو جالس على كرسيّ واضعٌ قدميه في طَسْت فيه ماء، وكان به وجع النِّقْرِس، فقرأ الكتاب، وتمثَّل:

لقد بدَّلُوا الحِلْمَ الذي من سَجِيَّتي   فبدَّلتُ قومي غِلظةً بلَيانِ

ثم قال: أما يكون بنو أمية ألف رجل مع مواليهم؟ قلتُ: بلى وأكثر. قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار؟! قلتُ: اجتمع الناسُ كلُّهم عليهم، فلم يكن لهم بهم طاقة.

فبعث إلى عَمرو بن سعيد، فأقرأه الكتاب، وأمرَه أن يسير [إليهم] في الناس، فقال له: قد كنتُ ضبطتُ[1] لك البلاد، وأحكمتُ الأمور، فأمَّا الآن؛ فحيثُ صارت دماء قريش تُهراق بالصعيد، فلا أحبُّ أن أتولَّى[2] ذلك، يتولَّاه من هو أبعدُ مني منهم.

فبعثني بالكتاب إلى مسلم بن عقبة المُرِّي ـ وهو شيخ كبير ضعيف مريض ـ فدخلتُ عليه بالكتاب، فقرأه وقال مثل ما قال يزيد، ثم قام معي فدخل على يزيد، فقال له: لا تمنعنَّ هؤلاء فإنهم أذلَّة، ما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار، أو يوماً واحداً؟! فقال له يزيد: لا خير في العيش بعدهم. اخْرُجْ فاندُب الناس، وفرّق فيهم أعطيتهم.

فقال حبيب: فأقبلتُ فأجدُ عبد الملك بن مروان جالساً في ذلك المكان بعينه في الساعة التي عيَّنَها، فأخبرتُه الخبر فسُرَّ، ودخل على مروان وبني أمية فأخبرهم.

وسار مسلم بن عقبة بذلك الجيش، وكان معاوية قد قال ليزيد: إنَّ لك من أهل المدينة يوماً عظيماً، فارْمِهم بمسلم بن عقبة، وأوصاه بذلك[3]. فقال له: إنْ حدثَ بك[4] حادث فاستخلفْ على الجيش حُصين بن نُمير السكوني، وقال له: ادْعُ القومَ

---

(١) في (ب) و(خ): أضبطت. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٨٣ وما بين حاصرتين منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٨.

(٢) في (ب) و(خ): أقول. والمثبت من «تاريخ الطبري».

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٩٥، وتاريخ دمشق ٦٧/ ٢٢٨-٢٢٩ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة مسلم بن عقبة).

(٤) في (ب) و(خ): به. وهو خطأ. وهذا قول يزيد لمسلم، وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٩، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٨٤.

ثلاثاً، فإن أجابوك، فَسِرْ إلى ابن الزُّبير، وإلَّا فقاتِلْهم، فإذا ظهرتَ عليهم فأَبِحْها ثلاثاً بما فيها من مال وسلاح وطعام للجند، فإذا مضت الثلاث؛ فاكفف عن الناس، وانظر عليَّ بنَ الحسين فاستَوْصِ به، وقرِّبْ مجلسه، فإنه لم يدخل فيما دخل فيه القوم، وقد جاءني كتابُه.

وعليٌّ لم يعلم بوصية يزيد لمسلم، وقد كان عليُّ بن الحسين رضي الله عنهما لما خرج بنو أمية أوى إليه مروان وامرأتُه عائشة بنت عثمان بن عفان.

قال الواقدي: لما أخرجَ أهلُ المدينة عثمان بنَ محمد كلَّم مروان عبدَ الله بنَ عمر أن يُغيِّب أهلَه عنده، فأبى ابنُ عمر أن يفعلَ ذلك، وكلَّم مروانُ عليَّ بن الحسين، فقال: يا أبا الحسن، إنَّ لي رَحِماً، فأريدُ أن يكون حُرَمِي مع حُرَمك. فقال: ابعث بهنَّ. فبعث بحُرَمِه إلى عليّ، فخرج بحُرَمِه وحُرَمِ مروان، فأنزلَهم بينبُع، فكان مروان يرى لعليّ ذلك.

ولمَّا قرُب الجيش من المدينة وثبَ أهلُها على بني أمية، فأخرجوهم بعد أن أخذوا العهودَ عليهم والمواثيق أنهم لا يبغونهم غائلة، ولا يدلُّوا عدوَّهم على عورة [و][1] كانوا عزموا على قتلهم لولا الأيمان.

ولما خرجوا؛ خرجت عائشة بنت عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الطائف، فمرَّت بعليّ ابن الحسين رضي الله عنه وهو بمالٍ له ظاهر المدينة قد اعتزلَها كراهيةَ أن يشهد شيئاً من أمرهم، فقال لها: خذي ابني عبد الله معك، فحمَلَتْه إلى الطائف[2].

وسار بنو أمية، فلقُوا مسلم بنَ عقبة بوادي القُرى، وتوجَّه مسلم إلى المدينة في اثني عشر ألفاً، وقيل: في سبعة وعشرين ألف فارس، وخمسة عشر ألف راجل.

وبلغ يزيد أنَّ ابن الزبير خطب وقال: أيها الناس، إني قد خلعتُ يزيدَ الخمور، ويزيد الطنبور، ويزيد الفجور، ويزيد القرود والصيود، ويزيد السلوات والفَلَوات، والأمَّهات والأخوات والبنات. ثم حثَّ على جهاده، ودعا إلى نفسه، وكتب إلى

(١) الواو بين حاصرتين زيادة من عندي من أجل السياق. والكلام بنحوه في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٨٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٨٥ .

المدينة بإخراج عامل يزيد[١].

ولما بلغ يزيد ذلك لبس ثياباً معصفرة، وجلس في بيته وقال:

أَبْلِغْ أبا بكرٍ إذا الليلُ سَرَى ... وهبطَ القومُ على وادي القُرَى
أَجَمْعَ سَكْرانَ من القوم ترى ... يا عجباً من مُلحدٍ قد افترى

فلما قدمت بنو أمية على مسلم بوادي القُرى، قال لهم: أشِيرُوا عليَّ. فسكتوا، فقال لعمرو بن عثمان: أشِرْ عليَّ فقال: لا أستطيع أن أُخبرك شيئاً؛ أخذَ القومُ علينا العهود والمواثيق أن لا ندلَّ على عورة، ولا نُظاهر عدوّاً. فانتهرَه وقال: لولا أنك ابنُ عثمان لقتلتك. فقال لعبد الملك: ماذا ترى؟ فقال له: انزل شرقيَّ المدينة، تأكل ثمارَها، وإذا قاتلوك تكون وجوهُهم في الشمس، وأنت في الظِّلّ، ثم قاتلهم، واستَعِنْ بالله عليهم، فإن الله ناصرُك عليهم؛ إذْ خلعوا طاعة الإمام، وفارقوا الجماعة. فقال له مسلم: للهِ دَرُّك[٢].

فقيل لعبد الملك: نقضتَ العهد. فقال: ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾.

ونزل شرقيَّ المدينة، وفعل ما قال عبد الملك، وركب مسلم فرسه، وجاء إلى المدينة، فوقف قريباً منها، ونادى: يا أهل المدينة، إنَّ أمير المؤمنين يزيدَ يزعُم أنكم الأصل، وإنه يكره هراقة دمائكم، وإني قد أجَّلْتُكم ثلاثاً، فمن رجع إلى الحق قبلناه منه، وانصرفنا عنكم إلى هذا الملحد الذي في الحرم بمكة، وإنْ أبيتُم كنَّا قد أعذرنا إليكم.

وأقام ثلاثاً، فلمَّا مضت الثلاث قال: يا أهل المدينة، ماذا تصنعون؟ أتُسالمون، أم تحاربون؟ قالوا: نُحارب. قال: لا تفعلوا، ادخلوا في الطاعة، ونجعلُ حدَّنا وشوكتنا على هذا الملحد الذي في الحرم الذي قد جمعَ أكثر المرَّاق والفسَّاق من كل أوب. فقالوا: يا عدوَّ الله، واللهِ لو أردتُم أن تجوزوا إليهم لما تركناكم ندعكم أن تأتوا بيتَ الله فتُخيفوا أهلَه، وتستحلُّوا حُرْمَتَه، لا واللهِ لا نفعل.

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٦.
(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤٨٦. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٩-٣٦٠.

وكانوا قد خَنْدَقُوا عليهم، وانقسموا أربعةَ أرباع: عبد الله بنُ مطيع على رُبْع، ومعقل بنُ سنان الأشجعي على رُبْع، وعبد الرحمن بن أزهر[١] بن عبد عوف ابنُ عمّ عبد الرحمن الزُّهري على رُبْع، وكان عبد الله بن حنظلة أميراً على الكلّ، وهو أكثرُهم عدداً[٢]، وأشدُّهم نكاية، وأحنقُهم على يزيد.

وأصبح مسلم بقرب من المدينة، والتَقَوا، فاقتتلوا، وضرب مسلمٌ فُسطاطه من ناحية المشرق، وبعث إليهم الخيل، فحمل ابنُ الغسيل في الرجال الذين معه، فكشفَ الخيل حتى وصلوا إلى مسلم بن عقبة، فنهض في وجوههم بالرجال، وصاح عليهم، واشتدَّ القتال، فقال الفضل بنُ العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب لعبد الله ابن حنظلة: مُرْ مَنْ كان معك من الفرسان فليأتني حتى أبلغ مسلماً، فإمَّا أن أقتله، أو أُقتل. فقال عبد الله بنُ حنظلة لعبد الله بن الضحاك من الأنصار: نادِ في الخيل فلتقف مع الفضل بن عبَّاس. فنادى فيهم، فاجتمعوا إلى الفضل، فقال لهم: احملوا. فحملوا على أهل الشام، فانكشفوا، وقصد الفضلُ رايةَ مسلم، فضرب حاملَها على رأسه وعليه المِغْفَر، فقطَعه، وفلقَ هامتَه، فقتله وهو يظنُّ أنه مسلم بنُ عقبة، فقال: خُذْها وأنا الفضل بن العبَّاس[٣]. ثم قال: قتلتُ طاغيتَهم وربِّ الكعبة.

وكان مسلم ناحيةً عن الرَّاية في خمس مئة راجلٍ جُثاةً على الرُّكَب، مُشْرِعي الأَسِنَّة، فناداه مسلم: أخطأَتْ اسْتُك الحُفَيرة. وإنَّما كان حاملُ الراية بعض غلمانه يقال له: روميّ، وكان شجاعاً.

ثم أخذ مسلم الراية، ونادى: يا أهل الشام، ما هذا القتال؟ قوم يريدون أن يدفعوا عن دينهم وينصروا إمامهم، قبَّحه الله من قتال. واللهِ ما تستحقُّون العطاء، شُدُّوا مع هذه الراية.

ثم حمل والتقاه الفضلُ بنُ العباس وأصحابُه وقصده، وصار أهل الشام كلُّهم مع الراية، فقاتل الفضلُ حتى سقط، وما بينه وبين أطناب فسطاط مسلم إلا نحو من عشرة

---

(١) كذا في (ب) و(خ)، والأصل الخطي لـ المنتظم ٦/ ١٤ (كما في حواشيه). وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٨٧، و«الكامل» ٤/ ١١٥: زهير.

(٢) لفظ العبارة في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٨٧، والمنتظم ٦/ ١٤: وكان أميرُ جماعتهم عبدُ الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري في أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً... وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٦١.

(٣) انقلب الاسم في (خ) و(ب)، فوقع فيهما: العباس بن الفضل. وعبارة الطبري: خُذْها مني وأنا ابنُ عبد المطَّلب.

أذرع، وقُتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف، وإبراهيم بن نُعيم العدويّ، ورجال من أهل المدينة [كثير](١).

وقال هشام: كان مسلم بن عقبة مريضاً يوم القتال، فأمرَ بسريره، فوُضع بين الصَّفَّين، واستلقى عليه وقال: يا أهل الشام، قاتِلُوا عن أميركم، أو دَعُوا. فحملوا على أرباع أهل المدينة، فهزموهم وعبد الله بن حنظلة واقف، فاجتمع إليه من انهزم من تلك الأرباع، وحمل الفضل بن العباس حتى وصل إلى سرير مسلم، وكان حسنَ اللون أحمر أزهر، فلما رفعَ السيف ليضرب به رأسَ مسلم؛ صاح مسلم بأصحابه: إن العبد الأحمر قاتلي، فأين أنتم يا بني الحرائر! اشتجِروه بالرماح. فطعنوه حتى صُرع(٢).

ثم إن خيل مسلم ورجالَه حملوا على عبد الله بن حنظلة، واستَدْعَى مسلم بفرسه، فركبه، وجعل يحرِّضُ أهلَ الشام، ويذكِّرُهم الأحساب والأنساب، ثم عاد إلى مكانه الذي كان فيه(٣).

ونادى ابنُ الغسيل: يا أهل دار الهجرة، ما أظنُّ أنَّ الله رَضِيَ عن أهل بلد من بلدان الإسلام بأرضى منه عنكم، ولا هو على بلد أسخطَ منه على هؤلاء، الشهادةَ، ثم الشهادة.

ثم زحفَ برايته غير بعيد، ووقف، وأمر مسلم بنُ عقبة عبد الله بنَ عِضاه الأشعريّ، فزحفَ إلى ابنِ الغسيل في خمس مئة، فدنَوْا منهم، وترامَوْا بالنَّبْل، فصاح ابنُ الغَسِيل: مَنْ اراد أن يتعجَّل إلى الجنة فليلزمْ هذه الرَّاية. وقاتل قتالاً شديداً لم يُرَ مثلُه، ثم جعل يُقدِّمُ بنيه بين يديه واحداً بعد واحد، حتى قُتلوا بين يديه، فقُتل، وقُتل معه أخوه لأمه محمد بنُ ثابت ابن قيس بن شمَّاس، وقتل معه محمد بنُ عمرو بن حَزْم الأنصاريُّ. ومرَّ عليه مروان فقال: يرحمُك الله، فرُبَّ ساريةٍ قد رأيتُك تُطيل القيام إلى جنبها(٤).

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤٨٨_٤٨٩ . وما بين حاصرتين منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٦٢_٣٦٣ .
(٢) أنساب الأشراف ٤/ ٣٦٣ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٨٩ .
(٣) ينظر المصدران السابقان .
(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٤٩٠_٤٩١ .

وقال الهيثم: حمل عبدُ الله بنُ حنظلة على أهل الشام حتى خرقَ الصفوف وهو في أوائل الخيل ومعه بنوه، فغشيَه النُّعاس، فمال إلى بعض بنيه، ثم انتبه، وإذا قد انهزم أصحابُه والتكبيرُ في المدينة، فكسرَ جَفْنَ سيفِه، وقاتل حتى قُتل هو وأولادُه[١].

وقيل: إنه نزلَ يصلِّي الظهر، فقتلُوه في الصلاة.

وقاتل محمد بن سعد بن أبي وقاص قتالاً شديداً، فلما انهزمَ الناس انهزم. وقُتل أعيانُ الأنصار، وهرب عبدُ الله بنُ مطيع على بغلته إلى مكة، وأباح مسلم المدينةَ ثلاثاً يقتلُون أهلَها، وينتهبون المال، ويقع أهل الشام على النساء، فأفزع ذلك من فيها من الصحابة، فخرج أبو سعيد الخدري، فدخل كهفاً في الجبل، فرآه رجل من أهل الشام، فدخل خلفَه؛ قال أبو سعيد: فانتضيتُ سيفي لأُرعبه لعلَّه ينصرف وهو يُقدم عليَّ، فشِمْتُ سيفي[٢]، ثم قلت له: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي﴾ الآية[المائدة: ٢٨] قال: مَنْ أنتَ؟ قلت: أبو سعيد الخُدري. قال: صاحبُ رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم. فانصرفَ عني[٣].

وحكى المدائني عن رجل من قريش قال: كنتُ أنزل بذي الحُليفة، فخرجتُ يوماً إلى المسجد، وإذا برجلٍ مريض، فقلت: مَنْ أنت؟ فقال: من خَثْعم، أقبلتُ من نجران إلى ههنا، فمرضتُ، فانصرفَ أصحابي وتركوني.

قال: فحوَّلتُه إلى منزلي، وخدمتُه، وأحسنتُ إليه، وقمتُ عليه أحسن القيام، فصحَّ وأقامَ عندنا مدَّةً كواحدٍ منَّا. وصُغْتُ لزوجتي حُلِيّاً من مئة دينار، وهو يراه.

وخرج الرجلُ إلى الشام، وتحوَّلنا إلى المدينة، فلما كان يومُ الحرَّة؛ خرجتُ من داري، فلمَّا انهزمَ الناس؛ عُدتُ إليها، وإذا بالرجل وأصحابِه ينهبون مالي، فقال: ما جئتُ إلا لأحقنَ دماءكم، أما الأموال فقد أباحها لي الأمير، وأنا أحقُّ مَنْ أخذَ مالك. فقلتُ له: اصرفْ أصحابَك وخُذه وحدَك. فصرفَهم، ثم قال: وأين الحُلِيّ؟ قلت: على

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٧٣، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٥، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٢٢٩.

(٢) أي: غمدتُه، وشامَه أيضاً: استلَّه. ضدٌّ. (معجم متن اللغة).

(٣) ينظر «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩١.

حاله. قال: فهاتِه. قلتُ: لما خرجنا من ذي الحليفة دفنتُه عند البئر التي تعرف في الدار، فإذا جاء المساء خرجنا إليها، فدفعتُه إليك. فقال: نعم. فلما أمسينا جاء، فخرجتُ ومعي اثنان من غلماني، فانتهينا إلى البئر، وطولُها ثلاثون ذراعاً، فقلتُ له: احفر ههنا عند رأس البئر. فأخذَ يحفر، فدفعناه، فوقع فيها، فاختنق، فلما أصبحنا جاء رجل ممَّن كان معه بالأمس، فقال: أين أبو المحرّش؟ قلنا: مضى من تحت الليل. فقال: خدَعَنا وأخذ المتاع. قلنا: ما أخذَ شيئاً، والمتاعُ عندنا، فادخلْ فخُذْهُ. فدخلَ، فأغلقنا الباب وقتلناه[١].

قال هشام: وجيء بجماعة من أعيان أهل المدينة إلى مسلم وهو نازل بقُباء، فأُتِيَ برجلين من قريش بعد الوقعة بيوم، وهما يزيد بن عبد الله بن زَمْعة[٢]، ومحمد بن أبي جَهْم بن حُذيفة العدويّ، فقال: بايعا[٣]. فقال القرشيَّان: نُبايع على كتاب الله وسنَّةِ رسوله. فقدَّمَهما، فضربَ أعناقَهما. فقال له مروان: سبحان الله يا مسلم! أتقتُل رجلين من قريش يبايعان على كتاب الله وسنَّة رسوله؟! فقال: لو قلتَ مثلَ قولِهما ما رأيتَ السماء إلا بَرْقَة.

وجيء بمعقل بن سِنان، فقال له: مرحباً بأبي محمد، وكان صديقاً له قبل ذلك، وكان قد عطش، فسقاه ماءً بثلج[٤]، وقال: والله لا شربتَ بعده ماءً أبداً إلا في نار جهنَّم. فقال: أنشدك اللهَ والرَّحِم. فقال مسلم: ألستَ ليلة خرجتَ من عند أمير المؤمنين يزيد وقد أتيتَه ببيعة أهلِ المدينة، فقلتَ لي: سِرْنا شهراً، ورجعنا من عند يزيد صِفْراً، وأتينا ببيعة هذا الفاسق ابن الفاسق؟! إني آليتُ لا أقدرُ عليك في حرب أو غيرها إلا ضربتُ عنقَك. ثم قتله[٥].

---

(١) المنتظم ٦/ ١٦-١٧.

(٢) في (ب) و(خ): ربيعة، وهو خطأ. والخبر في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩١-٤٩٢، وسيرد في تراجم من قتل يوم الحرة.

(٣) في (ب) و(خ): بايعوا... والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٢.

(٤) في «تاريخ الطبري» وغيره أنه سقاه عسلاً بثلج.

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٤٩٢. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٦٥-٣٦٦، و«الكامل» ٤/ ١١٩.

ثم أُتيَ بيزيد[١] بن وَهْب بن زَمْعَة[٢]، فقال له: بايع. فقال: على سنَّة عُمر. فقال: اقتُلُوه. قال: أنا أبايع. قال: لا واللهِ لا أُقيلُك عثرتك. فقال له مروان: إنّه صهري. فأمر بمروان فوُجئت عنقُه، ثم أمر به فقُتل[٣].

وقال لأهل المدينة: بايِعُوا على أنكم خَوَلٌ ليزيد بن معاوية. فبايَعوه.

ثم أُتي بعليّ بن الحسين ﵄، فأقبل يمشي بين مروان وعبد الملك لليد التي كانت له عند مروان، وإنما أراد عليٌّ ﵁ أن يلتمس عنده الأمان، فجاء فجلس بينهما، فدعا مروان بشراب، وإنما أراد أنْ يتحرَّم بذلك من مسلم لعليّ، فشربَ منه مروان، ثم ناولَه عليّاً، فلما وضع[٤] في يده؛ قال له: مسلم: لا تشربْ من شرابنا. فأُرْعِدَ كفُّه ولم يأمنه على نفسه، وبقي القَدَح في يده لا يشربه ولا يضعُه. ثم قال له مسلم: إنما جئتَ تمشي بينهما لتأمنَ عندي، واللهِ لو كان هذا الأمرُ إليهما لقتلتُك، ولكنَّ أمير المؤمنين أوصاني بك، وأخبرني أنك كاتبتَه، فذاك هو الذي نفعَك عندي. ثم قال: إلى ههنا. فأجلسه معه[٥].

وقال عَوَانة بن الحَكَم: أُتيَ بعليّ بن الحسين إلى مسلم؛ قال: مَنْ هذا؟ قالوا: عليّ. قال: مرحباً وأهلاً. ثم أجلسه معه على السرير والطِّنْفِسة، وقال: إن أمير المؤمنين أوصاني بك، وهؤلاء الخُبثاء شغلوني عنك وعن صِلتك. ثم قال لعلي: لعلَّ أهلَك فزعوا؟ قال: إي والله. فأمر بدابَّته أنْ يُحمل عليها إلى أهله[٦].

---

(١) في «تاريخ الطبري»: بزيد.

(٢) في (ب) و(خ): ربيعة، والمثبت من الطبري وغيره.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٩٣ .

(٤) في المصدر السابق: وقع.

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٤٩٣ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٦٧ .

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٤٩٣-٤٩٤ .

وجيء بسعيد[١] بن المسيِّب فقال له: بايع. فقال: على كتاب الله تعالى، وسنّة رسولِه، وسنة أبي بكر وعمر. فقال: اقتلوه. فشهدوا أنّه مجنون، فأطلقه.

قال هشام: وجيء بعَمرِو بنِ عثمان بن عفَّان، وكان ممَّن لم يخرج من المدينة مع من خرج من بني أمية، فزجَره وقال: يا أهل الشام، أتعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا الخبيث ابنُ الطيِّب، هذا عَمرو بن عثمان، إذا ظهر أهلُ المدينة؛ قال: أنا رجل منكم، وإذا ظهر أهل الشام قال: أنا ابنُ أمير المؤمنين. وأمر فنُتفتْ لحيتُه، ثم قال: يا أهل الشام، إن أمَّ هذا كانت تُدخل الجُعَل في فيها، ثم تقول لأمير المؤمنين: حاجَيْتُك[٢]، [ما] في فمي؟ وفي فمها ما ساءَها وباءَها. ثم خلَّى سبيله.

وكان مروان ممَّن يحرِّضُ مسلم بن عقبة على أهل المدينة، فلما قدم على يزيد أكرمه ووصله.

واختلفوا في وقعة الحرَّة، والأصحّ أنها كانت يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين[٣].

وقال الزُّهري: كان القتلى يوم الحرَّة من أهل المدينة سبع مئة من وجوه قريش وأعيان المهاجرين والأنصار والموالي، وأما من لا يُعرف من عبد وحرّ وامرأة؛ فعشرة آلاف[٤].

وقال الحسن البصري: قتلوا ابنَيْ زينب بنت أمِّ سلمة ربيبة رسول الله ﷺ[٥].

وافتضّ أهل الشام ألف عذراء[٦]، وقال مالك بن أنس: قُتل من وجوه القرَّاء سبع مئة.

(١) في (ب) و(خ): وعن سعيد. والصواب ما أثبتُّه. وينظر «المنتظم» ٦/ ١٦، و«البداية والنهاية» ١١/ ٦٢٢.

(٢) حاجاه، أي: ألقى عليه أُحْجِية (لغز يحتاج إلى حلّ)، وتحرفت لفظة حاجيتك في (ب) و(خ) إلى: صاحبك، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٤٩٤. وما بين حاصرتين منه، والخبر بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٦٦ـ٣٦٧.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٩٤، والمنتظم ٦/ ١٧.

(٤) المنتظم ١٦/ ١٦، والبداية والنهاية ١١/ ٦٢٣.

(٥) تاريخ دمشق ٦٧/ ٢٣٢ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) المصدر السابق.

وقالت أمُّ الهيثم بنت يزيد: رأيتُ امرأة من قريش تطوف بالبيت، فعرضَ لها أسود[١]، فعانقته وقبّلته، فقلت لها: يا أمة الله، أتفعلين هذا بهذا الأسود؟ فقالت: هو ابني وقع عليَّ أبوه يوم الحرَّة.

وقال هشام بن حسان: ولدَتْ ألفُ امرأة بعد الحَرَّة من غير زوج[٢].

وبعث مسلم بن عقبة إلى يزيد برأس عبد الله بن حنظلة، فكتب إليه يزيد: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

ولما قُتل أهل الحَرَّة، سمعَ الناسُ هاتفاً يهتفُ على أبي قُبيس بمكة وابنُ الزبير جالس عند البيت يسمع:

قُتِلَ الخِيارُ بنُو الخيارِ ... ذَوُو المهابةِ والسماحْ
الصائمون القائمون ... القانتون أولو الصلاحْ
المهتدون المتقون ... السابقون إلى الفلاحْ
ماذا بِواقِمَ[٣] والبقيعِ ... من الجَحاجِحةِ الصِّباحْ[٤]

وأكثرُ شعرِ الأنصار في يوم الحَرَّة، فقال محمد بن أسلم:

فإن تقتلُونا يومَ حرَّةِ واقم ... فنحن على الإسلام أوَّلُ مَنْ قَتَلْ
ونحن تركناكم[٥] ببدرٍ أذلَّةً ... وأُبْنا بأسيافٍ لنا فيكمُ عَمَلْ[٦]

وأقام مسلم بنُ عقبة بالمدينة أياماً، واستخلف عليها لما توجّه إلى مكة رَوْحَ بن زِنْباع الجُذامي[٧].

---

(١) في (ب) و(خ): الأسود. والمثبت من «المنتظم» ٦/ ١٥.
(٢) المنتظم ٦/ ١٥، والبداية والنهاية ١١/ ٦٢١.
(٣) واقِم: أُطُم (حصن) من آطام المدينة، كأنه سمّي بذلك لحصانته، ومعناه أنه يردُّ عن أهله. وحَرَّة واقم إلى جانبه نُسبت إليه. «معجم البلدان» ٥/ ٣٥٤.
(٤) الجحاجحة: جمع الجحجاح، وهو السيد الكريم، والصِّباح: جمع صَبِيح، وهو مشرق الوجه. ووقع في (ب) و(خ): الجحاجح والصياح. والمثبت من «مختصر تاريخ دمشق» ٣/ ١٥٦، وفيه بيت خامس:

وبقاع يثرب ويحهنّ ... من النوادب والصياح

(٥) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٧١: قتلناكم.
(٦) في المصدر السابق: منكم ثَقَل.
(٧) أنساب الأشراف ٤/ ٣٦٨، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٩٦، والمنتظم ٦/ ١٧.

وفيها ولَّى يزيد بنُ معاوية الحارثَ بنَ خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي مكَّةَ، فقدمَها، فمنعه ابنُ الزبير من الصلاة لمَّا خلع أهلُ المدينة يزيدَ، وكان يزيد قد ولَّى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب مكَّة، فلم يعرض لابن[١] الزُّبير، فعزلَه وولَّى الحارث[٢].

ذكر أخبار الحارث:

وسبب ولاية يزيد إيّاه أنَّ يزيد كان ولَّى مكةَ والمدينةَ عثمانَ بنَ أبي سفيان[٣]، فلم يستقم له حال، فولَّى يحيى بن الحكم بن صفوان، فأقامَ أياماً لم يعرض لابن[٤] الزبير، وكان الحارث مقيماً بمكّة، فكتب إلى يزيد يخبره بمداهنة يحيى ابنَ الزبير، فعزل يحيى، وولَّى الحارث، فمنعه ابنُ الزبير من الصلاة بالناس، فكان يصلي في داره بخدمه ومواليه وأهله.

والعاص بن هشام ـ جدُّ الحارث ـ قتله عليٌّ عليه السلام يومَ بدرٍ كافراً، وكان أبو لهب قد قَمَرَ العاص[٥][٦] واسترقَّه، وجعلَه قَيْناً[٧]، فأخرجه مكانَه يوم بدر، فقُتل[٨].

وقال البلاذري وابن عبد البَرّ: كان العاص خالَ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، فقتله عمر رضي الله عنه يومَ بدر[٩].

---

(١) في (ب) و(خ): بن.

(٢) في رواية ابن سعد ٧/ ٥٥، ومن طريقه ابن عساكر ٩/ ٩٤٩ (مصورة دار البشير). (ترجمة عبد الرحمن بن زيد): الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة.

(٣) لم أقف على من ذكر أن يزيد جمع لعثمان (وهو ابن محمد) بن أبي سفيان مكةَ والمدينة، إنما ولّاه المدينةَ بعد أن عزل الوليد بن عتبة عنها سنة (٦٢). ينظر «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٢٢-٢٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) في (ب) و(خ): ابن.

(٥) تاريخ دمشق ٤/ ٩٤ (مصورة دار البشير- ترجمة الحارث بن خالد بن العاص).

(٦) أي: غلبه في لعب القمار، وكان قامَرَه على ماله، فقمره، ثم قامره على نفسه، فقمره أيضاً. وانظر المصادر التالية.

(٧) أي: حدَّاداً.

(٨) الأغاني ٣/ ٣١١ (أخبار الحارث بن خالد).

(٩) ينظر «أنساب الأشراف» ٣/ ٣٤٧ و٨/ ٢٩٣.

وكنيةُ الحارث هذا أبو وابصة، وكان شاعراً، وهو القائل:

مَنْ كان يسألُ عنَّا أينَ منزلُنا ... فالأُقحوانةُ منَّا منزلٌ قَمَنُ[(١)]

إذْ نلبسُ العيشَ صَفْواً ما يُكَدِّرُهُ ... طَعْنُ الوُشاةِ ولا ينبو به[(٢)] الزمنُ

وساير الحارث بن خالد عليَّ بنَ عبد الله بن عباس، فأصاب رِكابُ عليّ ساقَ الحارث، فأوجعَه، فقال الحارث: سبحان الله! ما رأيتُ أحداً يُسايرُ الناس مثل هذا الرِّكاب. فقال عليّ: إنه عملُ قَيْنٍ كان له بمكة. يُعرِّضُ بالعاص جد الحارث؛ لما أسلَمه أبو لهب قيناً بمكّة[(٣)].

وكان الحارث أشعرَ أهلِ زمانه من قريش يحذُو حَذْوَ عمرَ بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى مدحٍ ولا هجاء، وهو القائل:

إنِّي وما نَحَرُوا غَداةَ مِنى ... عند الجِمار تؤودُها العُقْلُ[(٤)]

لو بُدِّلَتْ أعلى مساكِنِها ... سُفْلاً وأصبح سُفْلُها يعلُو[(٥)]

فيظلُّ[(٦)] يعرفُها الخبيرُ بها ... فيردُّه الإقْواءُ والمَحْلُ[(٧)]

وقال الهيثم: أقام الحارثُ في بيته معتزلاً للناس مدة أيام ابن الزبير، فلما وليَ عبد الملك ولَّاه إيَّاها[(٨)] بعد قتل ابن الزبير، فلما كان في سنة خمس وسبعين[(٩)] حجَّتْ عائشةُ بنتُ طلحة بن عبيد الله، فخرجت يوماً إلى الطواف وقد أذَّنَ المؤذِّن وكان الحارثُ يصلِّي بالناس، فأرسلت إليه: قد بقي من طوافي شيء يسير لم أُتمَّه، فاصبر

---

(١) أي: خليق وجدير.

(٢) في «الأغاني» ٣/ ٣٢٥ ، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٩٤ (مصورة دار البشير): بنا.

(٣) أنساب الأشراف ٨/ ٢٩٢-٢٩٣ . والقَيْن: الحدَّاد.

(٤) تؤودها: تُثقلُها. والعُقُل، جمع عِقال، وهو الحَبْل الذي يُعقل به البعير.

(٥) في (ب) و(خ): وأصبح علوها سفل. والمثبت من «الأغاني» ٣/ ٣١٣ .

(٦) في «الأغاني»: فيكاد.

(٧) الإقواء: النزول بخلاء من الأرض، لا ماء فيه ولا ناس، والمَحْل؛ يقال: أرضٌ مَحْلٌ، أي: لا مرعى بها.

(٨) يعني مكّة. ووقع في (ب) و(خ): فلما وليَ عبد الملك مكّة ولَّاه إيَّاها. والصواب ما أثبتُّه.، وينظر «تاريخ دمشق» ٤/ ١٩٦ (مصورة دار البشير).

(٩) في (ب) و(خ): سبع وخمسين، وهو خطأ ظاهر. وسنة (٧٥) هي السنة التي وليَ فيها الحارث بن خالد مكة لعبد الملك ينظر «الأغاني» ٣/ ٣٢٧ .

عليَّ قليلاً. فأمرَ المؤذِّنين فكفُّوا عن الإقامة حتى فرغت من طوافها، وجعل الناس يصيحون: الصلاة، الصلاة.

وبلغ عبدَ الملك، فكتب إليه: ويحك! أتركتَ الصلاةَ لأجل بنتِ طلحة؟! فقال: واللهِ لو لم تقضِ طوافَها إلى طلوع الشمس لَمَا كبَّرتُ. فعزله عبدُ الملك، فقال: ما أهونَ غضبَه عليَّ وعَزْلَه إذا رضيَتْ بنتُ طلحة.

فقدم على عبد الملك، فأقام ببابه شهراً لم يصل إليه، وجفاه عبد الملك، فانصرف وقال:

عطفتُ عليك النفسَ حتى كأنَّما ... بكفَّيْكَ بؤسي أو لديكَ نَعِيمُها

فما بي وإن أقْصَيْتَني من ضَراعةٍ ... ولا افْتَقَرَتْ نفسي إلى مَنْ يَسُومُها[1]

ولما ماتَ عمر بن عُبيد الله[2] التَّيمي عن عائشة قيل للحارث: ما يمنعُك الآن من تزويجها؟ فقال: كلا، لا يتحدَّثُ رجالات قريش أنَّ نَسِيبي بها[3] كان لشيءٍ من الباطل.

وكان الحارث قد خطبَها قبل أن تتزوَّج بمصعب بن الزُّبير، فامتنعت منه، وكانت تحبُّه، فقيل لها: أتُحبِّينَه وتمتنعينَ منه؟! فقالت: فيَّ عيبٌ ما أُحبُّ أن يَطَّلعَ عليه ولي الدنيا[4] وما فيها. قيل: وما هو؟ قالت: سوء خُلُق.

وقيل: إنما وَرَّتْ بسوء الخلق، وإنَّما كان عيبُها كِبَر أُذنَيْها وقدميها.

وكان الحارث يُشَبِّبُ بليلى بنت أبي مُرَّة بن عروة بن مسعود الثقفيّ، وأمُّها ميمونة بنتُ أبي سفيان بن حرب.

ومن شعر الحارث في ليلى:

لقد أرسَلَتْ في السِّرِّ ليلى تلُومُني ... وتَزْعُمُني ذا مَلَّةٍ طَرِفاً[5] جَلْدا

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٨/ ٢٤١، و«الأغاني» ٣/ ٣١٧-٣١٨ و٣٣٩-٣٤٠، وسياق الخبر فيهما عكس ما أورده المصنف هنا. وينظر أيضاً تاريخ دمشق ٤/ ٩٤-٩٥ (مصورة دار البشير).

(٢) في (ب) و(خ) و«الأغاني» ٣/ ٣٢٧: عبد الله، وهو خطأ.

(٣) النَّسِيب في الشعر: الرقيق منه، المتغزَّل به في النساء.

(٤) في (ب): في الدنيا، ولم ترد هاتان الكلمتان في (خ). والمثبت أقرب إلى الصواب، فلفظ العبارة في «أنساب الأشراف» ٨/ ٢٤١-٢٤٢: كان فيَّ عيب، ما يسرُّني أنَّ لي طِلاعَ الأرض ذهباً وأنه اطّلع عليه.

(٥) مَلَّةٍ، أي: مَلَل. وطَرِف، أي: لا يثبت على امرأة ولا صاحب.

وقد أخلفَتْنا كلَّ ما وعدَتْ بهِ ... ووالله ما أخلفتُها عامداً وَعْدا
فقلتُ مجيباً للرسولِ الذي أتى ... تُراه ـ لكَ الويلاتُ ـ مِنْ قولِها جِدًّا
إذا جئتَها فاقْرَ السلامَ وقُلْ لها ... دَعِي الجَوْرَ ليلى واسْلُكي مَنْهجاً قَصْدا
أفي مُكْثِنا عنكم لَيالٍ مَرِضْتُها ... تَزيدِينَني ليلى على مرضي جُهْدا
تَعُدِّينَ ذنباً واحداً ما جنَيْتُهُ ... عليَّ وما أُحصي ذنوبَكُمُ عَدًّا
فإنْ شئْتِ حرَّمتُ النِّساء سواكُمُ ... وإنْ شئْتِ لم أطعم نُقاخاً[1] ولا بَرْدا[2]

وخطب الحارثُ في مَقْدَمِهِ دمشق عَمْرةَ بنت النعمان بن بشير الأنصاري، فقالت:

كُهولُ دمشقَ وشُبَّانُها ... أحبُّ إليَّ من الجالِيَهْ[3]
لهم ذَفَرٌ كصُنانِ التُّيُو ... سِ أعْيَا على المِسْكِ والغَالِيَهْ

وبلغ الحارثَ فقال:

ساكناتُ العقيقِ أشهى إلى النَّفْـ ... ـسِ من الساكناتِ دورَ دمشقِ
يتضوَّعْنَ إنْ تطيَّبْنَ بالمِسْـ ... ـكِ صُناناً كأنَّه ريحُ مَرْقِ[4]

وتزوَّج الحارثُ أمَّ عبد الملك بنتَ عبد الله بن خالد بن أَسِيد ـ وهي أمُّ عمران ومحمد ابنَيْ عبد الله بن مطيع ـ وقال فيها:

يا أمَّ عمران ما زالَتْ وما بَرِحَتْ ... بنا الصَّبابةُ حتى مسَّنا الشَّفَقُ
القلبُ تاقَ إليكم كي يُلاقِيَكُمْ ... كما يتُوقُ إلى مَنْجاتِهِ الغَرِقُ
تُؤتيك شيئاً قليلاً وهي خائفةٌ ... كما يمسُّ بظهر الحيَّةِ الفَرِقُ

وأنشد رجلٌ هذه الأبيات وعمران [بن عبد الله] بن مطيع جالس، فذكر مجلس عمران، فاستحيا، فقطع البيت الآخِر، فقال له عمران: لا بأس عليك، فإنها كانت زوجتَه[5].

(١) النُّقاخ: الماء البارد العذب.
(٢) ينظر «الأغاني» ٣/ ٣٣٢ـ٣٣٣.
(٣) قال عوانة بن الحكم: الجالية أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمّونهم بذلك لأنهم كانوا يجلون عن بلادهم إلى الشام. «الأغاني» ٩/ ٢٢٨.
(٤) نسب قريش ص ٣١٣ـ٣١٤، وتاريخ دمشق ص ٢٥٩ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق). والأبيات بنحوها في «الأغاني» ٩/ ٢٢٧، والأوّلان فيه لحميدة بنت النعمان بن بشير.
(٥) الأغاني ٣/ ٣٣٠ (وما بين حاصرتين منه)، وتاريخ دمشق ٤/ ٩٥ (مصورة دار البشير).

فصل في شهداء الحَرَّة وغيرهم:

إبراهيم بن نُعيم النَّحَّام

ابن عبد الله بن أَسِيد العدويّ، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة.

كان أحدَ الرؤوس يوم الحرَّة، فقُتل يومئذ، فمرَّ عليه مروان ومسرف[١] ويدُه على فرجه، فقال مروان: واللهِ لئن حفظتَه في الممات لطالما حفظتَه في الحياة. فقال مسرف: والله ما أرى هؤلاء إلا أهل الجنّة، لا يسمعُ [هذا] منك أهل الشام، فيُكركرَهُم عن الطاعة. فقال مروان: إنهم بدَّلُوا وغيَّروا.

وكان لإبراهيم من الولد: محمد، وزيد، وعبدُ الله، وأبو بكر، وابنةٌ وأمُّها رُقَيَّة بنتُ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأمُّها أمُّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام[٢].

أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري

من الطبقة الأولى من التابعين، من أهل المدينة.

كنيتُه أبو كثير، وقيل: أبو عبد الرحمن، وهو من سَبْي عين التمر الذي سَبَى خالدٌ في خلافة أبي بكر رضوان الله عليه، وبعثَ بهم إلى المدينة.

قال ابنُ سِيرين: كاتب أبو أيوب الأنصاري أفلح على أربعين ألفاً، فجعل الناس يهنِّئونه ويقولون: ليَهْنِكَ العتقُ أبا كثير.

فلما رجع أبو أيوب إلى أهله؛ ندم على مكاتبته، فأرسل إليه: اردُدْ إليَّ الكتابة، وارجع كما كنتَ رقيقاً. فقال له ولده وأهله: أترجعُ رقيقاً وقد أعتقك الله؟! فقال أفلح: واللهِ لا يسألُني شيئاً إلا أعطيتُه إياه. فجاء بمكاتبته إلى أبي أيوب، فكسرها، فمكث ما شاء الله، ثم أرسل إليه أبو أيوب فقال: أنتَ حرٌّ لوجه الله، وما كان لك من مال فهو لك. ولم يأخذ منه شيئاً.

قُتل أفلح يومَ الحرَّة، وسمع عمر بن الخطاب ﷺ، وكان له دارٌ بالمدينة، وكان ثقة قليلَ الحديث[٣].

---

(١) يعني مسلم بن عقبة، ويسمّيه السلف مسرفاً لإسرافه وفتكه.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٩ـ١٧٠ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٨٨ـ٨٩ .

ذكوان مولى عائشة رضوان الله عليها.

وكنيتُه أبو عَمرو، وكان يؤمُّ قريشاً، وصلى خلفه عبد الرحمن بنُ أبي بكر.

وكانت عائشة رضي الله عنها تصلِّي خلفَه في بيتها في رمضان ويقرأُ من المصحف[١].

وهو من الطبقة الأولى من التابعين من موالي أهل المدينة، وله أحاديثُ قليلة.

مات ليالي الحرَّة، وقيل: قُتل يومَ الحرَّة[٢].

ربيعة بن كعب الأسلميّ

وكنيتُه أبو فراس، وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين من أهل الصُّفَّة. كان يخدم رسول الله ﷺ.

قال أبو عمران الجَوْني: أقطع رسولُ الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه وربيعةَ أرضاً فيها نخلة مائلة، أصلُها في أرض ربيعة، وفرعُها في أرض أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، فتنازعا، فقال أبو بكر رضوان الله عليه: هي لي، وقال ربيعة: هي لي. فأسرع إليه أبو بكر رضوان الله عليه، وكفَّ عنه ربيعة. فأراد قوم ربيعة أن يُسرعوا إلى أبي بكر، فمنعهم ربيعة وقال: أخافُ أن يغضبَ، فيغضبَ له رسول الله ﷺ، فيغضبَ اللهُ لغضب رسوله.

ثم انطلقا إلى رسول الله ﷺ، فأخبرَه ربيعة، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تردَّ عليه». فحوَّل أبو بكر وجهَه إلى الحائط يبكي. قال ربيعة: فقضى رسول الله ﷺ بالفَرْع لمن له الأصل[٣].

زيد بن محمد بن مَسْلَمة

من الطبقة الثانية من التابعين، قُتل يوم الحَرَّة.

(١) علّقه البخاري بنحوه في «صحيحه» (الفتح ٢/ ١٨٤).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩١، ومشاهير علماء الأمصار ص ٧٥، والثقات ٤/ ٢٢٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٨. وأخرج أحمد الحديث مطوَّلاً (١٦٥٧٧) وإسناده ضعيف جداً.

قال الحُصين بن عبد الرحمن بن عَمرو بن سعد بن معاذ: أوَّلُ دُورٍ نُهبت يوم الحَرَّة ـ [والحربُ] لم تنقطع بعدُ ـ من دور المدينة دارُ بني عبد الأشهل، فما تركوا في المنازل من حُلِيّ على امرأة، ولا أثاث ولا ثياب[1]، ولا فراش إلا نقضُوا صوفَه، ولا دجاجةٍ إلا ذُبحت، ولا حمام إلا ذبح، ثم يُسَمِّطون الدجاجَ والحمامَ خلفَهم[2]، ثم يخرجون من هذا البيت، فيدخلون هذا البيت. فلقد مكثنا على ذلك ثلاثاً، ومسلمُ بنُ عقبة نازلٌ بالعقيق والناسُ في هذا الأمر حتى رأينا هلال المحرَّم.

ولقد دُخل دارُ محمد بنِ مَسْلَمة، فتصايحَ النساء، فأقبل زيد بنُ محمد ومعه نفرٌ قِبَلَ الصوت، فوجدوا عشرة[3] ينتهبون، فقتلوا الشاميين، وخلَّصوا ما أخذوا منهم، وأقبلَ نفر آخر من الشاميين، فاقتتلوا على الباب وفي الدار، فقُتل زيدُ بنُ محمد على بابه، وقُتل معه سَلَمة بن عبَّاد بن وَقْش، وجعفر بن يزيد بن سِلْكان، فوُجدوا صَرْعى، وفي زيد بنِ محمد أربعٌ وعشرون ضربة[4]، منها أربع في وجهه.

سائب خاثر[5] المُغَنّي

أبو جعفر المدني، وكان منادم يزيد، ومعاويةُ يسمع غناءه فلا ينكر عليه.

ولما نزل أهلُ الشام المدينةَ وفعلوا ما فعلوا؛ جعل السائب يقول: أنا مُغَنّ، وقد خدمتُ أميرَ المؤمنين يزيد. فقال له واحد من أهل الشام: غنِّ لنا. فغنَّى، فقام إليه واحد، فقتله.

فلما عُرِضَتْ أسامي القتلى على يزيد وبلغ اسمَه قال: إنَّا لله، وبلغ القتل إلى سائب خاثر وطبقته! ما أظنُّ بقي في المدينة أحدٌ.

ثم قال: قبَّح الله أهلَ الشام، لعلَّهم صادفوه في طريق أو في حائط مستتراً، فقتلوه.

---

(١) في (ب) و(خ): من حليّ ولا أثاث ولا ثياب على امرأة. والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٥١ .

(٢) أي: يعلّقونه بالسُّمُوط، وهي السُّيُور (والسُّيُور جمع سَيْر، وهو ما يُقَدُّ من الجلد طولاً).

(٣) الكلمة غير مجوَّدة في (ب) و(خ)، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٥٢ .

(٤) في «الطبقات»: أربع عشرة.

(٥) في «الأغاني» ٨/ ٣٢١: سائب خاثر مولى بني ليث، أصلُه من فَيْء كسرى... واسم أبيه يشا. اهـ. وفي « تاريخ دمشق» ٧/ ٦٠ : سائب بن يسار. وتحرّف في (ب) و(خ) (في الموضعين) إلى: سائب بن جابر.

وقيل: إنه خرج يقاتل فقيل له: ارجع، فما أنتَ من أهل القتال. فقال: واللهِ لا أرجعُ بعد شيء سمعتُه ورأيتُه من يزيد بن معاوية(١).

سَعْد(٢) بن زيد

ابن ثابت الأنصاري، وأمُّه أمّ سَعْد بنت [سعد بن] الربيع، من الخزرج، قُتل يوم الحَرَّة، وقُتل معه سبعةٌ من إخوته، وهم: سعيد، وسليمان أخوه لأبيه وأمِّه، ويحيى(٣)، وسَلِيط، وزيد بن زيد، وعبد الله، وعبد الرحمن، بنو زيد بن ثابت لأمَّهات أولاد شتَّى.

وكلُّ بني زيد بن ثابت من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة(٤).

طارق بن شهاب البجلي الكوفي

أبو عبد الله، رأى رسولَ الله ﷺ، وروى عنه جماعة.

قال طارق: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ وقد وضع رِجْلَه في الغرز: أيُّ الجهاد أفضل؟ فقال: «كلمة حقّ عند سلطان جائر»(٥).

توفي طارق سنة ثلاث وستين، وقيل غير ذلك.

عبَّاد بن أبي نائلة

سِلكان بن سلامة بن وَقْش، من الطبقة الأولى من التابعين(٦) من أهل المدينة.

قُتل عبَّاد وابنُه سَلَمة بن عبَّاد يومَ الحَرَّة، وله عقب.

---

(١) ينظر المصدران السابقان، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٣٧٣، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٣٣٧.

(٢) في (ب) و(خ): سعيد، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٧/ ٢٥٩، وما يأتي بين حاصرتين منه.

(٣) يحيى أيضاً أخو سعد لأبيه وأمه، كما في «الطبقات» ٧/ ٢٦٠.

(٤) هم في «الطبقات» ٧/ ٢٥٩-٢٦١ غير سعيد.

(٥) مسند أحمد (١٨٨٣٠).

(٦) هو من الطبقة الثانية من التابعين كما في طبقات» ابن سعد ٧/ ٢٥١.

عبد الله بن أحمد[١] بن حفص

ابن المغيرة المخزومي، لأبيه صحبة.

وعبد الله من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة. وهو أوَّلُ من خلعَ يزيد؛ قدم عليه مع أهل المدينة قال: يا أهل الكوفة، واللهِ لقد وصلني يزيد وأعطاني، ولكنه سكراناً يدع الصلاة[٢].

عبد الله بن حنظلة

ابن أبي عامر الراهب، أدرك رسول الله ﷺ، وله رؤية ورواية.

وأمُّه جميلة بنتُ عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول، دخل بها أبوه حنظلة في الليلة التي صبيحتُها يوم أُحُد، وعَلِقَتْ به تلك الليلة، وولدَتْه بعد أُحد بتسعة أشهر. وقُبض رسولُ الله ﷺ وله سبع سنين. وروى عن أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما.

وفرض له عمر ألفي درهم، فأتاه طلحة التيمي رضي الله عنه بابن أخٍ له، ففرض له دون ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، فَضَّلتَ هذا الأنصاريَّ على ابن أخي. قال: نعم؛ لأني رأيتُ أباه يستنُّ بسيفه[٣] يومَ أُحُد كما يستنُّ الجمل.

وكان عبد الله يتوضَّأُ لكلِّ صلاة[٤]، وكان صالحاً فاضلاً مقدَّماً في الأنصار.

وقال مولًى له: لم يكن لمولاي فراش ينام عليه، وإنَّما كان إذا أَعْيا من الصلاة؛ ألقى نفسَه وتوسَّد ذراعيه شيئاً يسيراً[٥].

---

(١) وكنية أحمد أبو عَمرو، وهو مشهور بها. ينظر «تاريخ دمشق» ص ٣٠٧-٣٠٩ (طبعة مجمع دمشق - جزء فيه حرف العين بدون رقم). وهذه الترجمة من (ب) وحدها؛ لم ترد في (خ).

(٢) أخبار مكة ٣/ ٢١٦، وتاريخ دمشق (الجزء المذكور سابقاً). وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٧٢.

(٣) أي: يمرحُ ويخطُرُ به. (النهاية - سنّ) وتحرّف قوله: يستنُّ، في «تاريخ دمشق» ص ٢٠٨ (طبعة مجمع دمشق - تراجم حرف العين) إلى: يستتر.

(٤) تاريخ دمشق ص ٢٠٣ (الجزء المذكور سابقاً).

(٥) المصدر السابق ص ٢٠٩.

وقال صفوان بن سليمان: لقيَ الشيطانُ ابن حنظلة، فقال له: احفظ عنّي شيئاً أعلِّمُك إيَّاه، فقال: لا حاجة لي فيه. قال: فاسْمَعْ، فإن كان خيراً قبلتَ، وإن كان شرّاً رددتَ. يا ابنَ حنظلة، لا تسألنَّ أحداً غير الله، وانظر كيف تكونُ عند الغضب(١).

وقال إبراهيم بن عبد الرحمن(٢) بن عبد الله بن أبي ربيعة: لما نزلَ مسلم بنُ عقبة وادي القرى خطب عبد الله بنُ حنظلة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيُّها الناس، إنَّما خرجتُم غضباً لله ولدينكم، فأَبْلُوا لله بلاءً حسناً ليوجبَ لكم به المغفرة، ويُحِلَّكمُ به رضوانه. فقد نزل القوم وادي القرى ومعهم مروان بنُ الحكم، واللهُ - إنْ شاء - مُحِينُهُ(٣) بنقضِه العهدَ والميثاقَ عند منبرِ رسول الله ﷺ.

فتصايحَ الناس، وجعلوا ينالون من مروان ويقولون: الوَزَغُ ابنُ الوَزَغ(٤). وعبدُ الله يُهدِّئهم ويقول: إن الشَّتْم ليس بشيء، ولكن اصدُقُوهم اللقاء، واللهِ ما صدقَ قومٌ إلا نُصروا. ثم دعا ونزل.

وصبَّح القومُ المدينةَ، وقاتلوها أياماً، ودُخلت من نواحيها، فلبس عبدُ الله درعين، وقاتل قتالاً شديداً.

وحانت صلاة الظهر فقال لغلامه: احْمِ ظهري حتى أُصلِّي. فلمَّا فرغَ من صلاته قال له غلامه: انهزمَ الناس، وقد بقيَ معنا خمسة أنفس، فقال: ويحك، إنَّما خرجْنا لنموت. فنزعَ الدِّرع، وتقلَّدَ السيف، وصاح في الناس، وأهلُ المدينة كالنَّعام الجافل، وأهلُ الشام يقتلُونهم في كل وجه.

فحمل عبدُ الله عليهم وقاتل، فضربَه رجلٌ من أهل الشام بالسيف، فقطعَ منكبه ووقع ميتاً.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (ب) و(خ): عبد الكريم. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٧/ ٦٩ ، و«تاريخ دمشق» ص ٢١٢ طبعة المجمع المذكورة.

(٣) أي: مُهْلِكُه. وتحرفت العبارة في (ب) و(خ) إلى: والله إني ساحته.

(٤) الوَزَغ: الفاسد المريض الضعيف.

وجاء رجلان برأسه إلى مُسرف، كلٌّ واحد يزعُم أنه قتلَه؛ أحدهما يقال له: مالك الفَزاري، والآخر: سعد بن الجَوْن الكوفي الحمصي، فقال لهما مُسْرف: أميرُ المؤمنين يحكمُ بينكما، وبعث معهما بالرأس، فقدما على يزيد، فأجازهما بجوائز عظيمة، ثم ردَّهما إلى الحُصين بن نُمير، فقُتلا معه في حصارهم ابنَ الزبير.

ومرَّ مروان على عبد الله وهو مقتول ومعه مسرف[(١)] وقد أشار عبدُ الله إلى السماء بيده فقال مروان: لئن أشرتَ بها إلى السماء ميتاً؛ فطالما دعوتَ اللهَ بها حيّاً.

وقال عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه قال: رأيتُ عبد الله بن حنظلة في النوم بعد مقتله في أحسن صورة ومعه لواؤه، فقلتُ: يا أبا عبد الرحمن، أما قُتلتَ؟! قال: بلى، ولقيتُ ربي فأدخلَني الجنة، فأنا أسرحُ فيها، وآكلُ من ثمارها. فقلت: فما صُنعَ بأصحابك؟ فقال: هم حولي، وهذا لوائي لم يُحَلَّ عَقْدُه حتى الساعة[(٢)].

ومعظم أولاده قُتلوا معه؛ قال الواقدي: أصيب معه سبعةُ بنين، منهم عبد الرحمن، والحكم، والحارث، وعاصم[(٣)].

وأخرج الإمام أحمد ﵁ لعبد الله حديثين[(٤)].

وروى عن أبي بكر وعمر ﵄، وروى عنه من الصحابة قيس بن سعد بن عبادة.

عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قُتل يوم الحرَّة[(٥)].

وأبوه عبدُ الرحمن

شهدَ أُحُداً والخندقَ وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وهو المنهوش في حُريرات الأفاعي، فأمرَ رسول الله ﷺ عُمارة بنَ حزم، فرقاه، فشفيَ، وهي رُقْيَةُ آلِ حزم إلى اليوم.

---

(١) من قوله: ومرّ مروان إلى هذا الموضع، سقط من (ب). وينظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٧١، و«تاريخ دمشق» ص ٢١٣.
(٢) المصدران السابقان.
(٣) تاريخ خليفة ص ٢٤٥ ، و«تاريخ دمشق» ص ٢١٤ .
(٤) أخرج له أحمد في «المسند» ثلاثة أحاديث: (٢١٩٥٧) ـ (٢١٩٦٠).
(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٨٦ (في ترجمة أبيه عبد الرحمن بن سهل)، وتاريخ خليفة ص ٢٤٧ .

وحُرَيْرات الأفاعي[١] بين الأبواء ومكة على ثمانية أميال من مكة، كانت منزلاً للناس، فأجْلَتْهم منه الحيَّات.

قال ابن عساكر[٢]: جاءت جدَّتان إلى أبي بكر ﷺ، فأعطى السُّدُس أمَّ الأمّ، دون أمّ الأب، فقال له عبد الرحمن ـ أبو صاحب هذه الترجمة ـ: يا خليفة رسول الله ﷺ: أعطيتَها التي لو ماتت لم يرثها، وتركتَ التي لو ماتت ورثَها. قال: فجعله أبو بكر ﷺ بينهما.

عبد الله بن أبي نملة

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قُتل يومَ الحرَّة هو وأخوه محمد، وهما لأمّ ولد.

وأبو نَمْلة شهد مع رسول الله ﷺ أحداً والخندق وما بعدها، وعاشَ إلى أيام خلافة عبد الملك بن مروان. وقد روى عنه الزُّهريّ. وإنما ولداه قُتلا يومَ الحَرَّة[٣].

عَمْرو بن ثابت بن قيس بن الخَطِيم الأنصاري[٤]

[محمد بن أُبيّ بن كعب

ابن قيس] من الطبقة الأولى[٥] من أهل المدينة، أبو معاذ.

---

(١) وسمَّاها البكري في معجمه» ٢/ ٤٣٥ : حَرَّة الأفاعي.

(٢) لم أقف عليه في «تاريخ دمشق»، وهو في «الاستيعاب» ص ٤٥٥ـ٤٥٦ لابن عبد البر.

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٦٧ـ٢٦٨ .

(٤) بعده في (ب) و(خ): من الطبقة الأولى...إلخ، من الكلام الوارد في الترجمة التالية، وهو خطأ، فثمة سقط في النسختين، (وينظر التعليق بعد التالي). وقد أورد ابنُ سعد في «الطبقات» ٧/ ٢٥٥ عمراً ومحمداً ويزيد بني ثابت بن قيس بن الخطيم في الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة وقال: قُتلوا جميعاً يوم الحرَّة. اهـ. وذكرهم أيضاً في ترجمة أبيهم ثابت بن قيس ٤/ ٢٦٠ .

(٥) يعني من التابعين.

وُلد على عهد رسول الله ﷺ، وروى عن أبيه، وعن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وروى عنه بُسْرُ بن سعيد، وكان ثقةً قليل الحديث، قُتل يوم الحَرَّة، رحمة الله عليه(١).

محمد بن ثابت بن قيس

ابن شمَّاس الأنصاري، من الطبقة الأولى(٢) من أهل المدينة. وأمُّه جميلة بنتُ عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول، وهو أخو عبد الله بنِ حَنْظَلة لأمِّه(٣).

وُلد محمد على عهد رسول الله ﷺ، وحنَّكه بريقه، وروى عن رسول الله ﷺ حديثاً(٤).

وأمُّه جميلة هي التي اختلعت من ثابت بن قيس؛ ولدَتْه بعد فراقها إيَّاه، وحلفت أن لا تَلْبُنَه من لبنها، فجاء به [ثابت] في خِرْقة إلى رسول الله ﷺ، وأخبره الخبر(٥)، فتَفَلَ في فيه، وسمَّاه محمداً، وحنَّكه بتمرةِ عجوة، وقال: «اذهَبْ، فإنَّ الله رازقُه». وإذا بامرأة تسألُ عن ثابت بن قيس وتقول: إني رأيتُ كأنِّي أُرضِعُ ابناً له يقال له: محمد، وإذا بِدِرْعِها ينعصِرُ من لبنها. فأخذَتْه فأرضعَتْه(٦).

قُتل محمد يوم الحَرَّة وأخواه عبد الله ويحيى بنو ثابت(٧).

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٧٩ . واستدركتُ ما بين حاصرتين منه لتصحيح السياق.

(٢) يعني من التابعين.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٨٣-٨٤ ، وما بين حاصرتين مستفاد منه.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٨٥)، وابن عساكر ٦١/ ١٧٨ و١٧٩ من طريق يوسف بن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس، عن أبيه، عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال: «اكشف البأس ربَّ الناس عن ثابت بن قيس بن شمَّاس».

(٥) في (ب) و(خ): وحلفت أن لا تَلْبُنَه بلبنها، فجاءت به... وأخبرته الخبر. وهو خطأ. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦١/ ١٧٦ (طبعة المجمع).

(٦) ينظر «تاريخ دمشق» ٦١/ ١٧٦-١٧٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٧) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١/ ٣١٣ : ومن الاتفاق أن بني ثابت بن قيس بن الخطيم الأوسي الظفري - وهم عمر - (في بعض المصادر: عَمرو) -، ومحمد، ويزيد - قُتلوا أيضاً يوم الحرَّة.

محمد بن أبي الجَهْم

ابن حُذيفة العدويّ، من الطبقة الأولى[١] من أهل المدينة، وكان أحدَ رؤوس أهل الحَرَّة.

قُتل محمدٌ يومَ الحَرَّة صبراً، أُخذ أسيراً، فأمَّنَه مسرف، فلمَّا رآه قال: بايعْ أمير المؤمنين على أنَّك عبدٌ له قِنٌّ، إن شاء أعتقكَ، وإن شاء استرقَّك. فقال: أيجوزُ استرقاقُ الحرّ؟! فقال: أنت الوافدُ على أمير المؤمنين، فوصلَك وأحسنَ جائزتك، ثم عُدتَ إلى المدينة، فشهدتَ عليه بشرب الخمر، واللهِ لا تركتُك تشهدُ بعدها أبداً بشهادة. ثم ضرب عنقه، وبعث برأسه إلى أبيه وقال: أتعرفُ هذا؟ قال: نعم، هذا رأسُ سَيِّدِ فتيان قُريش[٢].

محمد بن عمرو بن حزم

ابن مالك بن النجَّار الأنصاريّ، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة.

وُلد قبل وفاة رسول الله ﷺ بنجران سنة عشرٍ من الهجرة، وكان يوم الحَرَّة تحت راية الخزرج، فأبلى بلاءً حسناً، وأبلى في أهل الشام، فانتظموه بالرِّماح، فوقع صريعاً، وانهزم الناس.

وقال ابن عساكر: إن الذين تسوَّروا على عثمان رضي الله عنه الدار إنَّما تسوَّروا من دار آل حزم، فأرسل إليهم عثمان: إنَّما نُرْمَى من قِبَلكم. فقال محمد: هذا ما نحن نرميه، ولكنَّ الله يرميه. فأُخبر عثمان رضوان الله عليه بقوله، فقال: كذبَ، لو رماني الله ما أخطأني.

أسند محمد بن عمرو عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبيه عَمرو بن حزم، وعمرو بن العاص[٣].

وروى عنه ابنُه أبو بكر الفقيه. وكان قليل الحديث ثقة، وله عقبٌ بالمدينة وبغداد[٤].

---

(١) يعني من التابعين.

(٢) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٧٠، و«تاريخ دمشق» ٦٣/ ١٩٧ـ١٩٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) في (ب): وأبيه عمرو بن عمرو بن حزم بن العاص، ومثلها في (خ) بزيادة عمرو! والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦٤/ ٥٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٧٢، وتاريخ دمشق ٦٤/ ٥٣ـ٦١.

مَعْقِلُ بنُ سِنان الأشجعيّ

أبو محمد، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، شهد فتح مكة مع النبيِّ ﷺ، وكانت معه راية أشجع يوم حنين، وبعثه رسول الله ﷺ يستنفر له الأعراب لغزو مكة.

ولما جيء به أسيراً يوم الحَرَّة إلى مسلم ـ وكان بينه وبين مسلم رَحِمٌ وصداقة ـ فقال له معقل: نشدتُك اللهَ والرَّحِمَ وصحبةَ رسول الله ﷺ. فقال: وما عُذري عند أمير المؤمنين إن قتلتُ بني عمِّه، وتركتُ ابنَ عمِّي؟ فضربَ عنقه.

وكان مَعْقِل فاضلاً تقيّاً، وكان قد سكنَ الكوفة، ثم تحوَّل إلى المدينة[١].

وهو الذي رُوِيَ عنه حديث بَرْوَع بنت واشِق:

قال الإمام أحمد رحمه الله[٢]: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة قال: أُتِيَ ابنُ مسعود في امرأة تزوَّجها رجل، ثم مات عنها ولم يفرض لها صَداقاً، ولم يكن دخلَ بها. فاختلفوا إليه، فقال: أَرَى لها مثلَ صَداق نسائها، ولها الميراث، وعليها العِدَّة. فشهدَ معقل بنُ سِنان الأشجعيُّ أنَّ رسول الله ﷺ قضى في بَرْوَع بنت واشق بمثل ما قضى.

وقال الشاعر يرثي مَعْقل بنَ سنان:

ألا تلكُمُ الأنصارُ تبكي سَرَاتَها وأشجعُ تبكي مَعْقِلَ بنَ سِنانِ

وروى عن معقل مسروقٌ، وعبدُ الله بنُ عتبة بن مسعود، وعلقمة بن قيس، ونافع بن جبير بن مُطعِم في آخرين.

يعقوب بن طلحة بن عُبيد الله التَّيْمي

من الطبقة الأولى[٣] من أهل المدينة. وأمُّه أمُّ أبان بنت عُتبَة بن ربيعة بن عبد شمس.

وكان سخيّاً جواداً، قُتل يومَ الحَرَّة، وفيه يقول عبد الله بن الزَّبِير الأسدي وقد قدمَ الكَرَوَّسُ بنُ زيد[٤] بمصاب أهلِ الحَرَّة إلى الكوفة:

---

(١) ينظر «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٧٠، و«مختصر تاريخ دمشق» ٢٥/ ١٣٠-١٣٣.

(٢) المسند (١٥٩٤٣).

(٣) يعني من التابعين. ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٦٣.

(٤) في (ب) و(خ): يزيد، وهو خطأ.

لعمري لقد جاء الكَرَوَّسُ كاظماً على خبرٍ للمسلمين وجيعِ
حديثٌ أتاني عن لؤيّ بنِ غالبٍ فما رقأَتْ ليلَ التمامِ دموعي
يُخبِّر أنْ لم يبقَ إلا أراملٌ وإلا دمٌ قد سالَ كلَّ مَريعِ
قُرُومٌ تلاقَتْ من قُريش فأنهلَتْ بأصهبَ من ماء السماء نقيعِ
وكم حولَ سَلْعٍ[1] من عجوزٍ مصابةٍ وأبيضَ فيَّاضِ اليدينِ صريعِ
طَلوعِ ثنايا المجدِ سامٍ بطَرْفِهِ قُبيلَ تلاقيهم أشمَّ منيعِ
شبابٌ كيعقوبَ بنِ طلحةَ أَقْفَرتْ منازلُه من رُومة[2] فبقيعِ
فواللهِ ما هذا بعيشٍ فيُشْتَهى هنيءٍ ولا موتٍ يُريحُ سريعِ

وَهْب بن عبد الله بن زَمْعة[3].

ابن الأسود بن المطَّلب بن أسد بن عبد العُزَّى، وأمُّه زينب بنتُ أبي سَلَمة بن عبد الأسد المخزومي، وأمُّ زينب أمُّ سَلَمة زوجُ النبيِّ ﷺ.

ووَهْب من الطبقة الثالثة[4] من أهل المدينة، قُتل يومَ الحَرَّة.

وأبو عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَة[5]. كان له أولاد، منهم هند تزوَّجها عبدُ الله بنُ حسن بنِ حسن بنِ عليّ، فأولدَها محمداً، وإبراهيم، وموسى بنَ عبد الله بن حسن.

ويزيد بن عبد الله بن زَمْعَة

لأمّ ولد[6]، قُتل يوم الحَرَّة. ولما دخل مسرف المدينة جمع الناس وقال لهم: بايعُوا على أنَّكم خَوَلٌ ليزيد، وأنَّكم عَبيدُ العَصَا. فقال له يزيد بنُ عبد الله بنِ زَمْعَة: أيُّها الأمير، إنما

(١) في (ب) و(خ): شبل، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٦٤ .
(٢) في (ب) و(خ): طيبة، والمثبت من «الطبقات» ٧/ ١٦٤ ، ونسب قريش ص ٢٨٢ ، و«الأغاني» ١٤/ ٢٤٠ .
(٣) في (ب) و(خ): ربيعة، وكذا في الموضعين الآتيين، وهو خطأ.
(٤) يعني من التابعين. ينظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٠٣ .
(٥) هو أخو وهب بن عبد الله لأبيه وأمّه، وذكره هنا استطراداً ولم يُقتل يوم الحَرَّة. ينظر «الطبقات» ٧/ ٤٠٢-٤٠٣ .
(٦) كذا وقع، وهو وهم من المصنف، أو المختصِر، وإنَّما أمُّه زينبُ بنتُ أبي سلمة ربيبةُ رسول الله ﷺ، ويزيد بن عبد الله بن زَمْعَة شقيق (أخ لأم وأب) لوهب وأبي عبيدة المذكورَيْن. ينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥١٨ و٧/ ٤٠٢ -٤٠٣ ، و«التبيين في أنساب القرشيين» ص ٢٧٧ .

نُبايع على ما يبايع عليه المسلمون. فقال مسرف: الحمد لله الذي سقاني من دمك. وكان حَنِقاً عليه؛ لأنَّ بني أسد بن عبد العُزَّى بايعوا ابنَ الزُّبير، فقدَّم يزيد، فضرب عنقه.

ولما خرج مسلم يريدُ مكَّة؛ تبعته أمُّ ولد يزيد بن عبد الله[١] ثلاثةَ أيام حتى مات مسرف، فانتهت إلى قبره، فنَبَشَتْه وصلَبَتْه[٢].

أبو سعيد[٣] بن عبد الرحمن

ابن الحارث بن هشام، من الطبقة الثانية من أهل المدينة، قُتل يوم الحَرَّة، ومعه ابنُه محمد، وأمُّ محمد ميمونةُ بنت عُبيد الله بن العبَّاس بن عبد المطَّلب.

فهؤلاء أعيان من قُتل يومَ الحَرَّة.

وقال الواقدي: قُتل يوم الحَرَّة من أبناء المهاجرين والأنصار ثلاث مئة وأكثر. وقيل: ألف.

وكان في جملة من قُتل الفَضْل بن العبَّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب، وأبو بكر بن عبد الله[٤] بن جعفر بن أبي طالب، وأبو بكر بن عبد الله[٥] بن عمر بن الخطاب، وابنا زينب بنت أبي سلمة[٦] ربيبةِ رسول الله ﷺ. ضرب مسلم أعناقهم.

ولم ينج من الصحابة إلا أبو سعيد الخُدري، وجابرُ بن عبد الله، وسهل بن سعد.

مسروق بن الأجدع

ابن مالك بن أمية الهمداني الكوفي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، كنيتُه أبو عائشة.

---

(١) هي أمُّ ابنِه يزيد بن يزيد. ينظر «نسب قريش» ص ٢٢٢ .
(٢) المصدر السابق، وطبقات ابن سعد ٧/ ٤٠٤ ، وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٦٩ـ٣٧٠ .
(٣) كذا في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٢٠٩ . وفي «تاريخ» خليفة ص ٢٤٣ : أبو سعد.
(٤) في «تاريخ» خليفة ص ٢٤٠ : أبو بكر عبد الله، وهو خطأ.
(٥) في «تاريخ» خليفة ص ٢٤٣ : عُبيد الله. وينظر تاريخ الإسلام ٢/ ٥٩١ .
(٦) هما وَهْب ويزيد ابنا عبد الله بن زَمْعَة، وسلف ذكرهما قريباً.

وشهد القادسية هو وثلاثة إخوة له: عبدُ الله وأبو بكر والمنتشر بنو الأجدع، فقُتلوا، وجُرح مسروق فشَلَّت يدُه، وأصابَتْه في رأسه آمَّة[1]، وكان يقول: ما يسرُّني أنها ليست بي.

وسمِّي مسروقاً لأنه سُرق وهو صغير.

وكان إذا دخل على عائشة رضي الله عنها تقول: خُوضُوا لابني عَسَلاً[2].

وشفع مسروق لرجل في شفاعة، فأهدى له جارية، فغضب وقال: لو علمتُ أنَّ هذا في نفسك ما تكلَّمتُ ولا أتكلَّمُ في حاجتك أبداً، سمعتُ عبد الله بنَ مسعود يقول: مَنْ شفع شفاعةً ليردَّ بها حقّاً، أو يدفعَ بها ظلماً، فأُهديَ له هديةٌ، فقبلَها، فذلك سُحْتٌ، فقيل له: ما كنَّا نرى السحت إلا أخذ الرِّشْوة على الحكم. فقال: أخْذُ الرِّشْوة على الحكم كفر[3].

وكان مسروق فاضلاً، ولا يأخذ على القضاء رزقاً، ولما وليَ القضاء قيل له: ماحملكَ على هذا؟ قال: ثلاث شياطين[4]: إبليس وزياد وشُريح، لم يَدَعُوني حتى[5] أوقعوني فيه.

وقال الشعبي: كان مسروق أعلمَ من شُريح بالفتوى، وكان شُريح أعلمَ منه بالقضاء، وكان شُريح يستشير مسروقاً[6].

وكان يصلي حتى تتورَّم قدماه، فكانت امرأتُه تجلسُ خلفَه، فتبكي رحمةً له ممَّا يصنع بنفسه[7].

وقال مسروق: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله تعالى[8].

---

(١) أي: ضربة في رأسه بلغت أمَّ الرأس.

(٢) بنحوه في «الطبقات» ٨/ ٢٠٠.

(٣) المصدر السابق ٨/ ٢٠٢ـ٢٠٣.

(٤) كذا في (ب) و(خ): ولم أقف على هذا اللفظ في مصادر الخبر.

(٥) في (ب) و(خ): لم يدعوا لي حق حتى... والصواب ما أثبتُّه، ولفظه في «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٠٤، وتاريخ دمشق ٦٧/ ١٠٥ـ١٠٦ (طبعة مجمع دمشق): لم يدعني ثلاثة: زياد وشُريح والشيطان حتى...

(٦) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٠٤، وتاريخ دمشق ٦٧/ ٩٨.

(٧) تاريخ دمشق ٦٧/ ١١١، وبنحوه في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٢٠٢.

(٨) أعمار الأعيان ص ٢٨.

وقال: بحسب المرء من الجهل أن يُعجب بعمله، وبحسب المرء من العلم أن يخشى الله[١].

وحجَّ مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع[٢].

وكان يُرْخي السِّتر بينه وبين أهله، ثم يُقبل على صلاته ويخلِّيهم ودنياهم[٣].

وغُشيَ على مسروق في يوم صائف وهو صائم، فقالت له ابنتُه: ارْفُقْ بنفسك. فقال: الرفقَ أطلبُ في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ ممَّا تَعُدُّون[٤].

وقال سالم بن أبي الجَعْد[٥]: الثمانية الذين انتهى إليهم الزهد من التابعين: عامر ابن عبد القيس، وهَرِم بن حيَّان، والحسن البصريّ، وأبو مسلم الخَوْلاني، وأُويس القَرْني، والرَّبيع بن خُثَيم، والأسود بن يزيد، ومسروق.

وقال ابن عساكر: حضر مسروق صِفِّين مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولم يقاتل، وشهد معه الحَكَمين والنَّهروان.

وكان أبوه أفرس فارس في اليمن، وخالُ مسروق عَمْرُو بنُ معدي كرب[٦].

ذكر وفاته:

لما احتُضر مسروق قال: أما إني لا أدعُ صفراءَ ولا بيضاء إلا ما في سيفي هذا، فبِيعوه وكفِّنوني به.

وقال أبو سعيد[٧]: لم يكن له كفن، فقال: استَقْرِضُوا ثمن كفني، ولا تستقرضوه من زرَّاع، ولكن من صاحب ماشية.

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ١١٣-١١٤ .

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٩٥ ، وتاريخ دمشق ٦٧/ ١١٠-١١١ .

(٣) الحلية ٢/ ٩٦ ، وتاريخ دمشق ٦٧/ ١١٥ .

(٤) تاريخ دمشق ٦٧/ ١١٣ . وقوله: في يوم كان مقدارُه... من الآية (٥) من سورة السجدة.

(٥) كذا وقع. والخبر في مصادره من كلام علقمة بن مرثد. ولعلَّ نظر المصنف سبق إلى الخبر الذي قبله في «تاريخ دمشق» ٦٧/ ١٠٤ فهو مروي عن سالم بن أبي الجعد.

(٦) تاريخ دمشق ٦٧/ ٨٩ .

(٧) لم أعرف أبا سعيد هذا. ولعله محرَّف عن لفظ ابن سعد فالخبر في «طبقاته» ٨/ ٢٠٤ ، وهو من قول عامر الشعبي، وأخرجه أيضاً ابن عساكر في «تاريخه» ٦٧/ ١٢٠-١٢١ .

وقال المدائني: قال مسروق: لا تكفِّنوني من مال مُضارِب، ولا من مال يتيم، وادفنوني في النواويس. قالوا: مع الكفار! قال: نعم، يُبعثون يَدْعُون أصنامَهم، وأنا أُبعث وأنا أشهدُ أن لا إله إلا الله[١].

مات سنة ثلاث وستين[٢]، وهو ابن تسعين سنة[٣]، ودُفن بالكوفة، وقيل: سنة اثنتين وستين وله ثلاث وستون سنة[٤]. وقيل: مات بعد السبعين[٥]، ودفن بواسط في محلَّة يقال لها: السلسلة[٦].

وأسند عن الخلفاء الأربعة ﵃، وكان أخصَّ أصحاب ابن مسعود وأعلَمَهم. وروى عن ابنِ مسعود، وأُبيٍّ بن كعب، وخبَّاب بن الأرتّ، ومعاذ، وابنِ عُمر، وابنِ عَمرو، وزيد بن ثابت، والمغيرة بن شعبة، وعائشة ﵃ في آخرين.

وكانت عائشة رضوان الله عليها تحبُّه وتقول: إنك من ولدي ومن أحبِّهم إليَّ[٧]. وكان يُنكر عليها يومَ الجمل.

وروى عنه الشعبي، وأبو الضُّحى ـ واسمُه مسلم بن صُبَيْحِ، وسعيد بنُ جبير، وأبو وائل ـ وهو أكبرُ منه ـ والنَّخَعي، وابنُ سِيرين[٨]، وخلقٌ كثير.

واتفقوا على صدقه وزهده وورعِه وعلمه وعبادته، وأنه كان أقومَ بالفتوى من جميع أصحاب ابن مسعود ﵁.

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ١٢١ . والنواويس: جمع الناووس، وهي مقبرة النصارى.
(٢) وهو قول الجمهور، كما ذكر ابن حجر في «الإصابة» ١٠/ ٢٦ . وينظر الكلام بعد تعليق.
(٣) كذا في النسختين (ب) و(خ)، ولم أقف على هذا القول. وينظر التعليق بعده.
(٤) في (ب) و(خ): وله ثلاثون سنة، وهو خطأ بالتأكيد، فالنسختان كثيرتا التحريف. وقد ذُكر أنه توفي سنة (٦٣) في «تاريخ دمشق» ٦٧/ ١٢٢ ، و«أعمار الأعيان» ص ٤١ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٠ ، و«تهذيب الكمال» ٢٧/ ٤٥٧ ، و«الإصابة» ١٠/ ٢٦ . قال ابن حجر: ولعلها سبعين (يعني ثلاثاً وسبعين)... لقول ابن المديني: إنه صلَّى خلف أبي بكر ﵁. اهـ ونقل العلائي في «جامع التحصيل» ص ٣٤١ عن إبراهيم الحربي أنه مات وله ثمان وسبعون سنة.
(٥) في «طبقات خليفة» ص ١٤٩ أنه مات سنة ثلاث وسبعين. وينظر التعليق السابق.
(٦) تاريخ دمشق ٦٧/ ١٢٥ ، ووفيات الأعيان ٢٥/ ٤٩٠ .
(٧) تاريخ دمشق ٦٧/ ٩٣ .
(٨) في «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٨٢ ، و«تهذيب الكمال» ٢٧/ ٤٥٣ : أنس بن سيرين.

السنة الرابعة والستُّون

فيها توجَّه مُسرفُ بن عُقبة من المدينة إلى مكة لقتال ابنِ الزبير، ولمَّا سار عن المدينة خلَّف عليها رَوْحَ بنَ زِنْباع، وقيل: عَمرو بن مُحرز الأشجعي.

فلما وصل إلى قفا المشلَّل(١) نزل به الموت، فدعا الحُصين بنَ نُمير السَّكوني وقال له: يا بَرْذَعة الحمار، أما واللهِ لو كان لي من الأمر شيءٌ ما ولَّيْتُك من أمر هذا الجيش شيئاً، ولكنَّ أمير المؤمنين أمرني بذلك، فاحفظ عنّي أربعاً: أسرع السَّيْر، وعجِّل الوِقاع، وعَمِّ الأخبار، ولا تُمكِّن قريشاً(٢) من أذنك، ولا تردَّنَّ أهلَ الشام عن عدوِّهم، ولا تُقيمنَّ إلا ثلاثاً، وناجزِ ابنَ الزبير.

ثم كان آخر كلامه أن قال: اللَّهمَّ إنِّي لم أعمل عملاً قطُّ بعد الإيمان(٣) أحبَّ إليَّ في الدنيا والأخرى من قتال أهل المدينة. ومات، فدُفن بقفا المُشَلَّل. وقيل: بقُديد.

وسار الحصين(٤) بنُ نُمير إلى مكة، فقدمَها لأربع ليال بقين من المحرَّم، وقد اجتمع إلى ابن الزُّبير خلقٌ عظيم، وجاءه فَلٌّ(٥) المدينة. وجاء نجدةُ الحروريّ ومعه أهلُ اليمامة يحمون الكعبة.

فلما نزلَ الحُصين بظاهر مكة قال عبد الله بن الزبير لأخيه المنذر بن الزبير: يا أخي، ما لهؤلاء إلا أنا وأنت. وكان المنذرُ ممَّن شهدَ الحرَّة، ولحق بأخيه، فقال المنذر: أنا. فخرج إليهم في جيش ومعه المِسْور بنُ مَخْرَمَة، ومصعبُ بنُ عبد الرحمن ابن عوف. فدعا رجلٌ من أهل الشام إلى المبارزة، فخرج إليه المنذرُ على بغلة له،

---

(١) المشلَّل: جبل يُهْبَط منه إلى قُدَيْد (وقديد موضع قرب مكة).

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٦: قرشياً.

(٣) الكلمة غير مجودة في (ب) و(خ) ورسمها: الرياد. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٧٦. ولفظ العبارة في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٧: بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...

(٤) في (م): السنة الثالثة والستون من الهجرة النبوية. مسير الحصين بن نمير إلى مكة. قال علماء السير: سار الحصين...

(٥) الفَلُّ: المنهزم، يقال للواحد والجمع. ووقع في (ب) و(خ): قلّ، وفي (م): وفد. وعبارة «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٧٦: وأتاه فَلّ أهل الحرَّة.

والشاميُّ على بغلة، فاختلفا ضربتين، قَتَلَ كلٌّ واحد منهما صاحبَه، وعلمَ ابنُ الزُّبير، فركب بغلةً وخرج إليهم، وصاح بالمسور وفرسانه، وقاتلوا قتالاً شديداً إلى الليل[١].

وكان المختار بن أبي عُبيد يومئذ في مكة عند ابن الزُّبير، فقاتل قتالاً شديداً، ولما قُتل المنذرُ والمِسْوَر بنُ مخرمة ومصعبُ بنُ عبد الرحمن بن عوف نادى المختار[٢]: يا أهل الإسلام، إليَّ إليَّ، أنا المختار بنُ أبي عُبيد، صاحبُ الجسر، أنا ابنُ الكرَّار، لا ابنُ الفرَّار، أنا ابنُ المُقْدِمِين غيرِ المُحْجِمين، إليَّ يا أهلَ الحِفاظ وحُماةَ الأَدْبار. وردُّوا أهل الشام على أعقابهم. ثم إنَّهم[٣] تحاجزوا.

وهذا أوَّلُ يوم ناجزوه ونازلوه، ثم أقاموا يُقاتلونه بقيَّة المحرّم وصفَر كلَّه وثلاثةَ أيام من ربيع الأول، آخرها يوم السبت.

فلما كان يوم السبت[٤] رابع ربيع الأول، قذفوا البيت بالمناجيق[٥]، وفيها قُدور النِّفْط والنار. وارتجز أهل الشام:

خطَّارةٌ مثلُ الفَنِيقِ المُزْبِدِ[٦] ... نرمي بها أعوادَ هذا[٧] المسجد

وجعلَ عَمرو بنُ حَوْط السَّدوسي يقول:

كيف تَرَى صنيعَ أمِّ فَرْوَه ... تأخذُهُم بين الصَّفا والمَرْوَه

وأمُّ فَرْوةَ والخطَّارة هي المنجنيق.

واحترقت الكعبة، [واختلفوا في سبب حريقها على أقوال، ذكرها الواقدي قال: احترقت الكعبة] يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين قبل أن يأتيَ نَعْيُ يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوماً، وجاء نعيُه لهلال ربيع الآخِر ليلةَ الثلاثاء.

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٧٦-٣٧٧، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٤٩٧.

(٢) لفظ العبارة في (ب) و(خ): ولما ولى المنذر والمسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف قد قتلوا نادى المختار...(؟) والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٧٥.

(٣) في (ب) و(خ): على أنهم. والمثبت من (م) والكلام فيها مختصر.

(٤) في (م): السنة الرابعة والستون. ذكر حريق البيت وقذفه بالمناجنيق (كذا). قالوا: فلما كان يوم السبت...

(٥) كذا في (ب) و(خ)، يعني جمع المنجنيق. والذي في «القاموس» أن الجمع: مجانق ومجانيق.

(٦) الفَنِيق: الصُّبح المشرق، والمزْبِد: شديد البياض، والخطَّارة المنجنيق وسيرد.

(٧) في (م): عُوَّاذ أهل.

[قال:] رماها رجلٌ من أهل الشام بقبس من نار في رأس رمح، فطارت منه شرارة فعلقت بأستار الكعبة، فأحرقها، وتهدَّم بناؤها[١].

وقيل: إن أصحابَ ابنِ الزبير كانوا يُوقدون حول الكعبة، فأقبلت شرارةٌ هبَّتْ بها الرِّيح، فأحرقت باب[٢] الكعبة، ثم احترق الكلّ.

وقيل: قام رجل من أصحاب ابن الزبير. يُجمِّرُ الكعبة، ويدور حولها، فلعبت النار في أستارها، فاحترقت.

وقال الواقدي: إنَّ أصحاب يزيد رموها[٣] بمنجنيق فيه نار فأحرقوها.

[قال الواقدي: فحدَّثني عبد الله بن زيد قال: حدثني عروة بن أُذينة قال: قدمَتْ بي أمي مكة يوم احترقت الكعبة، فرأيتُها مجرَّدة من الحرير، ورأيت الركن قد انصدع فيه ثلاثة أمكنة، واسودّ. فقلتُ: ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب ابن الزبير، فقالوا: أخذ هذا قَبَساً في رأس رمح، فهبَّت به النار، فاحترقت أستارُها، ودخل النار فأحرق الخشب[٤] والسقوف، فذلك الذي أحوجَ ابن الزبير إلى بنائها].

فبينما هم على ذلك إذ جاءهم نعي يزيد بن معاوية [الهلال ربيع الآخِر]، فكان مدة حصارهم لمكة سبعة وتسعين يوماً[٥].

[وقيل: قاتلوها ستين يوماً.

وقيل: وكان بين موت يزيد ووقعة الحَرَّة ثلاثة أشهر.

وظهر مصداق قوله ﷺ: «مَنْ أرادَ أهلَ مدينتي بسوء أذابه الله كما يذوبُ المِلحُ في الماء». [أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وذكر أحاديث في هذا المعنى][٦].

---

(١) سيرد الخبر بأطول منه بين حاصرتين من (م). وما وقع هنا بين حاصرتين منها أيضاً.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٨ : ثياب.

(٣) في (م): وفي رواية عن الواقدي أن أهل الشام رموها...

(٤) كذا وقع سياق الكلام في (م)، وهو ما بين حاصرتين، والخبر بنحوه في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٨-٤٩٩ .

(٥) كذا وقع في (ب) و(خ) و(م) وهو خطأ، وإنما مدّة الحصار أربعة وستون يوماً، وهي بين قدوم الحُصين مكة لأربع بقين من المحرم (كما سلف) وخبر نعي يزيد لهلال ربيع الآخِر، وهو ما ذكره الطبري في «تاريخه» ٥/ ٤٩٨ .

(٦) صحيح مسلم (١٣٨٦). وأخرجه أيضاً من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ. والكلام بين حاصرتين من (م).

ولما بلغ ابنَ الزبير هلاكُ يزيد ـ وأهلُ الشام لا يعلمون وقد حصروه حصاراً شديداً وضيَّقوا عليه ـ نادى: يا أهل الشام، علام تقاتلونا وقد هلك طاغيتكم؟ فلم يصدِّقوه حتى قدم ثابت بن قيس بن المقفع[١] النَّخَعي الكوفي، فمرَّ بالحُصين، وكان بينهما صداقة وصهر، فأخبره.

ولما تيقَّن الحُصين ذلك بعث لابن الزبير يقول: موعدُنا بيننا وبينك الليلة الأبطح. فالتقيا، فقال له الحُصين: إنْ يكُ هذا الرجل قد هلك؛ فأنت أحقُّ الناس بهذا الأمر من بين سائر الناس، فهلمَّ أبايعْك، واخرُجْ معي إلى الشام، فإن هذا الجيش الذي معي هم وجوه أهل الشام وفرسانُهم، فواللهِ لا يختلفُ عليك اثنان، وتُؤَمِّنُ الناسَ، وتُهدِرُ هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي بيننا وبين أهل الحرَّة. قال: أنا أُهدِرُ تلك الدماء! أما والله لا أفعلُ حتى أقتلَ بكلِّ رجل منهم عشرة.

فأخذ الحُصين يكلِّمه سراً وابن الزُّبير يجهر جهراً. فقال له الحُصين: قبَّح الله من يعدُّك بعدها داهية أو أريباً، أنا أكلِّمُك سرّاً وأنت تكلِّمُني علانية، وأدعوك إلى الخلافة وتهدِّدُني بالقتل[٢]!

ولما التقيا بالأبطح راثت فرسُ أحدِهما، فجاء حمام الحرم يلتقطُ من رَوْث الفرس، فكفَّ الحُصين فرسَه لئلا يطأ الحمام، فقال له ابن الزبير: أتتحرَّج من قتل الحمام، وتقتلُ المسلمين في الحرم، وتنتهكُ حرمةَ الكعبة؟!

ولما لم يتفقا على أمر؛ قال له الحُصين: ائذن لي ولأصحابي أن نطوف بالبيت وننصرف. فأذنَ لهم[٣].

وقال ابن سعد[٤]: قال ابن الزبير: قد مات يزيد، وأنا أحقُّ بهذا الأمر، لأن عثمان عهدَ إليّ في ذلك عهداً صلَّى به خلفي طلحةُ والزُّبير، وعرفَتْه أمُّ المؤمنين عائشة،

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٠١ : المُنْقع، وفي «اللباب» ٣/ ١٠٨ : المقنع.
(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠٢ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٨٦ .
(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠١ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٠ .
(٤) في «الطبقات» ٦/ ٤٨٧ .

فبايِعْني وادْخُلْ فيما دخلَ فيه المسلمون. فقال له الحُصين: يا أبا بكر، إني واللهِ لا أتقرَّب إليكم بغير ما في نفسي، أَقْدَمُ الشام، فإنْ رأيتُهم مجتمعين عليك أطعتك وقاتلتُ من عصاك، وإنْ وجدتُهم مجتمعين على غيرك أطعتُه وقاتلتُك. ولكن سِرْ معي إلى الشام أُمَلِّكْكَ رقابَ العرب. فقال ابن الزبير: أَوَ أبعثُ رسولاً؟ فقال له الحُصين: تَبّاً لك سائر اليوم، إنَّ رسولك لا يكونُ مثلَك. وافترقا.

ثم صاح الحُصين في الناس، وسار نحو المدينة، وندم ابن الزُّبير على ما صنع، فبعث إلى الحُصين: أمَّا سَيْري إلى الشام؛ فلستُ فاعلاً ذلك، أكرهُ أنْ أخرج من مكة، ولكنْ بايِعُوا لي بالشام، فإنّي مؤمِّنُك وعاذل عليك[1]. فقال الحُصين: إن لم تخرج بنفسك، وإلا فهناك أناسٌ من هذا البيت كثير يطلبونها[2].

وأمِنَ الناسُ، ووضعت الحرب أوزارَها، ودَعَا ابنُ الزُّبير من يومه ذلك إلى نفسه، وسُمِّي أميرَ المؤمنين، وتركَ الشِّعار الذي كان يُدعى به عائذَ البيت، ولا حُكم إلا لله، وفارقَتْه الخوارج وتركوه[3].

ولما قارب الحُصين المدينة التقاه عليُّ بنُ حسين بن عليّ عليه السلام ومعه قَتٌّ وشعير، وهو على راحلة، [فسلّم على الحُصين] فلم يلتفت إليه الحُصين، ومع الحُصين فرسٌ أنثى عتيق، وقد فَنِيَ قَتُّه وشعيرُه، فجعل الحُصين يَسُبُّ غلامَه ويقول: من أين نجد ههنا لدوابِّنا علفاً؟! فقال له عليُّ بن الحسين ﵄: معنا قَتٌّ وشعير لدابَّتك. فأقبل حينئذ على عليٍّ ﵁، فبعث إليه بما كان معه من قَتٍّ وشعير.

وطمع أهل الحجاز والمدينة في أهل الشام؛ بحيث إنه ما كان ينفرد أحدهم إلا وأُخِذَ بلجام فرسه ونُكِسَ عنها، فنزل أهل الشام فكانوا لا يفترقون. وقالت لهم بنو أمية: خُذُونا معكم. فخرجوا معهم.

ولما قدموا دمشق وجدوا معاوية بن يزيد قد بُويع من أبيه[4].

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٠٢: مؤمّنكم وعاذل فيكم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٨٧.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠٢-٥٠٣.

الباب الثالث

في بيعة معاوية بن يزيد

وكنيتُه أبو يزيد، وقيل: أبو عبد الرحمن، فلما وليَ الخلافة كُنّيَ أبا ليلى؛ على كنية المستضعفين من العرب، وفيه يقول الشاعر:

إنّـي أرى فـتـنـةً تـغـلـي مَـرَاجـلُـهـا والمُلْكُ بعد أبي ليلى لمن غَلَبا[1]

ولم يكن في بني أمية من يعادلُه في نُسُكه وعبادته، ووُلد بأذرعات سنة إحدى وأربعين[2].

واختلفوا في أمِّه، فقيل: هي أمُّ هانىء بنت أبي هاشم بن عُتبة بن ربيعة، وقيل: أمّ هاشم، وقيل: فاختة، وقيل: أمُّ حبيب بنت أبي هاشم بن عتبة. والمشهور أنَّ اسمها فاختة، وكنيتها أمّ هاشم.

ذكر بيعته:

بُويع يوم الخميس منتصف ربيع الأول ـ وقيل: يوم الاثنين ـ عند وفاة أبيه سنة أربع وستين بعهد من أبيه يزيد، ورضًى من بني أمية من غير خلاف.

وفي ولايته يقول عبد الله بن همَّام السَّلُولي:

تـلـقَّـاهـا يـزيـدٌ عـن أبـيـه فـدونَـكَـهـا مـعـاويُ عـن يـزيـدا
أَدِيـرُوهـا بـنـي حـربٍ عـلـيـكـمْ ولا تَـرْمُـوا بـهـا الـغَـرَض الـبـعـيـدا
فـإنْ دنـيـاكُـمُ بـكُـمُ اطْـمـأنَّـتْ فـأَوْلُـوا أهـلَـهـا خَـلَـفـاً جـديـدا[3]

وكان معاوية كارهاً للأمر، غير مريد له، وكان مشغولاً بالعبادة. ولما بُويع خطبَ فقال: أيُّها الناس، إنَّا بُلينا بكم، وبُليتُم بنا، وما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا،

(١) نسب قريش ص ١٢٨، وأنساب الأشراف ٤/ ٣٩٦، والمعارف ص ٣٥٢، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٠٠، وتاريخ دمشق ٦٨/ ٤٠٦ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) في «تاريخ الإسلام» ٢/ ٧٢١: مولده سنة ثلاث وأربعين.

(٣) ينظر «نسب قريش» ص ١٢٩، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤٠٠ و٤٠٤.

ألا وإنَّ جدِّي معاويةَ نازعَ هذا الأمر من كان أولَى منه، فمضى لسبيله، وأقام جدِّي بعده على ما قد علمتُم، فركبَ منكم ما تعلمون، وركبتُم منه ما لا تنكرون، ثم أتَتْه منيَّتُه، فصار مرتهناً بعمله، ثم قَلَّدَ أبي هذا الأمر، فركبه هواه، فأخلفه الأمل، وقصَّر عنه الأجل، فانقطعت مدَّتُه، وصار أسيرَ جُرْمِهِ، رهين[1] ذنبه. ثم بكى وقال: لستُ بالمختار لتقلُّد أموركم، ولا بالمتحمّل لتبعاتكم، فشأنُكم أمركم، فواللهِ لئن كانت الدنيا مغنماً فلقد نلنا منها حظّاً، وإنْ تكن شرّاً؛ فحسبُ آل أبي سفيان ما أصابوا منه.

وكان مروان حاضراً، فقال: سنَّها واللهِ عُمَريَّة. وسمعه معاوية فقال: يا مروان، ومتى صار معاوية بنُ يزيد مثل عمر بن الخطاب؟! ومن أين لي برجال مثل رجال عمر؟! ثم نزل[2].

وقال الهيثم: خطب وقال: أيُّها الناس، إني ضعيف، فاختارُوا لأنفسكم من ترضَوْنه. ثم نزل، فدخل داره، فقالت له أمُّه: يا ليتني كنت نَسْياً منسياً ولم تضعف هذا الضعف. فقال: أنا ـ واللهِ ـ وَدِدْتُ أني كنتُ كذلك ولم أُعرِّض نفسي لجهنَّم[3].

وقال أبو عَوانة: إن معاوية بنَ يزيد خطب وقال: أمَّا بعد، فإني نظرتُ في أمري وأمرِكم، فضعفتُ عنه، فابْتَغَيْتُ[4] لكم رجلاً مثل عمرَ بنِ الخطاب حين فزعَ إليه أبو بكر، فلم أجده، فابْتَغَيْتُ لكم سِتَّةً في الشورى مثل سِتَّة عمر، فلم أجِدْهم، فأنتُم أولى بأمركم، فاختارُوا له من أحببتُم.

ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وتغيَّب حتى مات. فقال بعض الناس: دُسَّ إليه من سقاه سُمّاً، وقال بعضهم: طُعن[5].

وقرَّر عمالَ أبيه، ولم يولِّ أحداً، ولم يعزل أحداً، بل أقام مريضاً إلى أن مات، رحمه الله.

---

(١) في (ب) و(خ): عفير (؟) ولعل المثبت هو مراد المصنف، وفي «تاريخ اليعقوبي» ٢/ ٢٥٤ : رهناً بذنبه.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٨ـ٣٩٩ .

(٤) في (ب) و(خ): فأبغيت (في الموضعين) والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٠ـ٥٣١ .

(٥) المصدر السابق.

وفيها اتَّفق أهلُ البصرة على عُبيد الله بن زياد على أن يقوم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمام يرضَوْنه لأنفسهم، وأرسل رسولاً إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل ذلك، فحصبوا رسولَه، ثم نفاه أهلُ البصرة بعد ذلك(١).

كان عُبيد الله بن زياد بالبصرة، وخليفتُه بالكوفة عَمرو بن حُريث المخزومي، فجاء نعي يزيد إلى البصرة، فقام ابنُ زياد خطيباً فقال في خطبته: يا أهل البصرة، قد وَلِيتُكم وفي ديوان مقاتلتكم سبعون ألفاً، وهم اليوم ثمانون ألفاً، وكان في ديوان عيالكم سبعون ألفاً، وهم اليوم مئة وعشرون ألفاً، وما تركتُ لكم ذا ظِنَّة تخافون منه إلا وهو في حبسي، وإنَّ يزيد بن معاوية قد مات، واختلفَ أهل الشام، وأنتم اليوم أكثرُ الناس عدداً وأغناهم، فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضَوْنه لدينكم وجماعتكم، فأنا أول راضٍ به وتابعٌ له. فقالوا: ما نعلمُ أحداً أقوى عليها منك، فهلمَّ فلنبايعك. فقال: لا حاجةَ لي فيها، فاختاروا لأنفسكم رجلاً، فإن اجتمعَ أهلُ الشام على رجل ترضَوْنَه دخلتُم فيما دخل فيه الناس، وإلا أنتم على حالكم. فقالوا: ما نرى لها سواك. فبايَعوه وانصرفوا ويقولون: أيظنُّ ابنُ مَرْجانة أنْ نستقادَ له في الجماعة. كذبَ عدوُّ الله(٢).

وبعث ابنُ زياد إلى خليفته على الكوفة عَمرو بنِ حُريث مع عامر بن مسمع القيسي وسعد ابن القرحاء ليُخبروا أهلَ الكوفة بما فعل أهلُ البصرة، فجمع عَمرو بنُ حُريث الناس، وأخبرَهم باتفاق أهل البصرة على إمرة عُبيد الله عليهم حتى يتفق الناس على إمام. وقال ابن حريث: إنما البصرة والكوفة شيءٌ واحد. ثم قام الرسولان وقالا: ليكن أمرُنا وأمرُكم جميعاً. فقام يزيد(٣) بن الحارث بن رُويم الشيباني فقال: أنحن نُبايع ابنَ مَرْجانةَ الفاسقَ ابنَ الفاسق الدعيّ! لا والله، ولا كرامة. ثم حَصَبَ الرسولين(٤) وعَمرَو بنَ حُرَيْث، وحصبَهم الناس، فأخرجوهم من الكوفة، فقدموا البصرة، وأخبرُوا ابنَ زياد بما لَقُوا.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠٣.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٦٥-٤٦٦، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٠٤-٥٠٥.

(٣) في (ب) و(خ): زيد. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٢٤ و٥٢٥.

(٤) في (ب): الرسولان. وفي (خ): خطب الرسولان، وثمة أخطاء أخرى مثلها فيهما لم أشر إليها لئلا أُثقل الحواشي بما لا فائدة فيه.

وبلغَ أهلَ البصرة وقالوا: نخلعُ الفاسقَ كما خلعه أهلُ الكوفة. فوثبوا عليه[١].

وقال يونس بن حبيب الجَرْمي: كان يزيد بنُ معاوية قد تغيَّر على ابنِ زياد، وسببُه أنَّ ابنَ زياد لما قتلَ الحسينَ وبني أبيه، وبعثَ برؤوسهم والسبايا إلى يزيد، سُرَّ بقتلهم أولاً، وحسُنَتْ حالةُ ابنِ زياد عنده. ثم لم يلبث إلا يسيراً، فندم على قتل الحسين رضي الله عنه، وكان يقول: وماذا عليَّ لو احتملتُ الأذى، وأنزلتُه معي في داري حفظاً لرسول الله ﷺ، ورعاية لحقِّه وقرابته، وحكَّمْتُه فيما يريد. وكان يُكثر من ذلك ويقول: لعنَ الله ابنَ مَرْجانة، فإنه اضطره إلى أن قُتل، وقد كان سألَه أن يُخلِّيَ سبيلَه؛ فإمَّا أن يرجع من حيث جاء، أو يأتيَني فيضعَ يده في يدي، أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفَّاه الله تعالى، فأبى ذلك وقتلَه، فبغَّضني إلى المسلمين، وزرعَ لي في قلوبهم العداوة، فأبغضني البَرُّ والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حُسيناً، مالي ولابنِ مَرْجانة، لعنه الله وغضب عليه.

وبلغ ابنَ زياد، فأرسل مولًى له يقال له: أيوب بن حُمْران إلى الشام ليأتيه بالخبر، فعاد إليه بموت يزيد، فأمر عُبيد الله منادياً، فنادى: الصلاة جامعة. فاجتمعَ الناس، فخطبَ، ونَعَى يزيد، وعرَّض بثَلْبه لِما بلغَه عنه. فقال له الأحنفُ بنُ قيس: إنه قد كان ليزيد في أعناقنا بيعة. فأعرضَ عنه.

ثم قال عُبيد الله: إن أهل الشام قد اختلفوا.. وذكر بمعنى ما تقدَّم. فبايعوه عن رضًى منهم، فلما خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أكفَّهم بباب الدار والحيطان ويقولون: أيظنُّ ابنُ مَرْجانة أنَّا نُولِّيه أمرَنا؟!

وجعل سلطانُ ابن زياد يضعُف وأمرُه لا يُمتثل، ويأمر بحبسِ شخص فيُحالُ بين أعوانه وبينَه.

ودعا سَلَمةُ بنُ ذُؤيب بن عبد الله اليربوعي إلى عبد الله بنِ الزُّبير، فاجتمع إليه ناس، وبايعوه لعبد الله ابن الزبير، فجمع ابنُ زياد القبائل وقال: هذا سَلَمة بن ذُؤيب يدعوكم إلى الفُرقة ليضربَ بعضَكم ببعض، وأنا فقد ضعُف سلطاني، وما بايعتموني

---

(١) المصدران السابقان قبل تعليق.

على هذا. فقال الأحنف وأشرافُ الكوفة: نحن نجيئك بِسَلَمة. ومضَوْا إليه، فلم يقدِرُوا عليه، فلم يعودوا إلى ابنِ زياد.

وكان في بيت المال ثمانية آلاف ألف درهم، وقيل: تسعة عشر ألف ألف، فجمعَ الأشراف والعظماء وقال: هذا بيتُ مالكم وفيئكم، فخُذُوا أُعطِياتِكم وأرزاقَ ذراريكم منه. وأمر الكَتَبة باستخراج أساميهم، واستعجل في ذلك؛ حتى كان الكتَّاب يكتبون أسامي الناس في الليل على الشمع. فلمَّا[1] صنعوا به ما صنعوا وقعدوا عنه، ولم يحضر إليه سَلَمة بنُ ذؤيب؛ منعهم المال، وأخذَه معه لمَّا هرب، وفرَّقه في آل زياد، فذلك المال في آل زياد إلى اليوم.

ثم دعا عُبيد الله البخاريَّة الذين قدم بهم معه من بُخارا وقال لهم: تُقاتلون معي. فقالوا: إنْ أمَرَنا قُوَّادنا قاتلنا. فقال له إخوتُه: عمَّن تقاتل؟ ما ثَمَّ خليفةٌ فتقاتلَ عنه، وإن هُزمتَ أمدَّك، والحربُ دُوَل، فلا ندري ما يكون، وعندنا أموال، فإن ظهروا علينا أخذُوها فهلكنا. وقال له أخوه عَبْدُ الله بنُ زياد لأبيه وأمّه: واللهِ لئن قاتلتَ القوم لأعتمدنَّ على ظُبَةِ سيفي حتى يخرج من صُلبي.

فلما رأى عُبيد الله ذلك أرسلَ إلى الحارث بن قيس بن صُهْبان فقال له: يا حارث، إن نفسي تأبى غيرَكم، وقد احتجتُ إلى الهَرَب والجِوار، وقد اخترتُكم[2]. فقال له: إنْ أخرجتُك نهاراً خفتُ أن لا أصل بك إلى قومي حتى أُقتل أو تُقتل، ولكن أُقيمُ معك إلى الليل، وأُردِفُك خلفي لئلا تُعرف. قال: نعم.

وخرج به وبإخوته وأهله ومعهم الأموال، فجعل عُبيد الله يسألُه عن قبيلة قبيلة، فقال له: أين نحن؟ فقال: في بني سلمة[3]. فقال: سلمنا. ثم أتى على بني ناجية،

---

(١) في (ب) و(خ): فما. والتصويب من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٠٩.

(٢) في (خ): اخترتك. والمثبت من (ب). وعبارة الطبري ٥/ ٥٠٩: إن أبي كان أوصاني إن احتجت إلى الهرب يوماً أن أختاركم. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٧.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٥١٠: بني سُليم.

فقال: أين نحن؟ فقال: في بني ناجية. فقال: نَجَوْنا إن شاء الله تعالى. وعرفه رجلٌ منهم فرماه بسهم، فوقع في عمامةِ ابنِ زياد. ومضى به الحارث حتى أنزله دار نفسه في الجهاضم.

ثم مضى الحارث إلى مسعود[(١)] بن عَمرِو بن عديّ، فلمَّا رآه مسعود قال: يا حارِ، قد كنَّا نتعوَّذُ من شرِّ طوارق الليل[(٢)]، فنعوذُ بالله من شرِّ ما أتيتَنا به. فقال الحارث: ما طَرَقْتُك إلا بخير، وقد علمتَ أنَّ قومَك أَنْجَوْا زياداً فوَفَوْا له[(٣)]، فصارت مَكْرُمةً لهم في العرب يفتخرون بها، وقد بايعتُم عُبيدَ الله على الرِّضَى، وله قبلَ هذه بيعةٌ في أعناقكم. فقال مسعود: يا حارِ، أتَرَى لنا أنْ نُعادِيَ أهل مِصرِنا في عُبيد الله، وقد أَبْلَيْنا في أبيه ما أبلينا، ثم لم يُكافئنا، ولم يشكرنا. فقال له الحارث: إنَّه لا يُعاديك أحدٌ على الوفاء بالبيعة حتى تُبلغَه مأمنَه[(٤)].

وقيل: إنَّ عُبيد الله قال له في الطريق: يا حارث، إنك قد أحسنتَ وأجملت، فهل أنت صانعٌ ما أُشيرُ به عليك؟ قال: نعم. قال: قد عرفتَ منزلةَ مسعود بنِ عَمرو في قومه، وشرفَه وسنَّه وطاعةَ قومه له، فهل لك أن تذهب بي إلى داره، فأكونَ في وسط الأَزْد؟ فإنك إنْ لم تفعل صدعَ عليك أمرُ قومك. قال الحارث: قلتُ: نعم. فانطلقتُ به، فما شعرَ مسعود حتى دخلنا عليه وهو جالس وبين يديه نار تُوقد، فلما نظر في وجوهنا عرَفَنا، فقال: إنه قد كان يتعوَّذ من طوارق السوء، وإنكما من طوارق السوء. قال: فقلتُ له: أفتُخرجُه بعد ما دخل عليك؟! قال: فأمره، فدخل بيتَ عبد الغافر بن مسعود، ثم ركب مسعود من ليلته ومعه جماعة[(٥)] من قومه، فطافوا في الأزد فقالوا:

---

(١) في (ب) و(خ): ابن مسعود وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٥١٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٦٨ .

(٢) في (خ): الليل والنهار، والمثبت من (ب). وهو كذلك في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥١٠ .

(٣) في (ب) و(خ): وقوله، بدل: فوفوا له. والمثبت من «تاريخ» الطبري.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠٩ـ٥١٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٧ـ٤٤٨ .

(٥) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٦٨ ؛ و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥١١ : الحارث وجماعة.

إنّ ابن زياد قد فُقد، ولا نأمنُ أن تَلَطَّخُوا به، فأَصْبِحُوا في السلاح. وأصبحَ الناس فقالوا: ما ابنُ زياد إلا في الأَزْد[١].

فأرسل شقيق بن ثور إلى مسعود بن عَمرو يقول: احذر الفتنة، وأَخْرِجْ ابنَ زياد.

وكان ابن زياد وأخوه عَبْدُ الله عند مسعود، وبلغَهما، فقال عبد الله: واللهِ لا نخرجُ عنكم، فقد أجرتُمونا وعقدتُم لنا عقد الذِّمَّة، فلا نخرج حتى نُقتل بينكم، فيكونَ عاراً عليكم إلى يوم القيامة.

وقيل: إن الحارث لم يكلِّم ابنَ عَمرو في ابنِ زياد، ولكنّه أمرَ عُبيد الله، فحملَ معه مئة ألف درهم، فأتى بها أمَّ بِسْطام امرأةَ مسعود ـ وهي بنت عمِّه ـ ومعه عُبيد الله وعَبد الله ابنا زياد، فاستأذنَ عليها، فأذنَتْ، فقال لها الحارث: قد أتيتُكِ بأمر تَسُودين به نساءك، وتبنين[٢] به شرف قومك، وتتعجَّلين عيناً هي لك خاصة، هذه مئةُ ألف درهم، خُذِيها فهي لك، وضُمِّي إليكِ عَبدَ الله وعُبيد الله. فقالت: أخافُ أن لا يقبله مسعود، فقال: اجعلي عليهما ثوباً، وأدخليهما في الفراش بينكِ وبين مسعود ففعلت[٣].

فلما رأى مسعود ابنَ زياد قال له: قد أجارتني بنتُ عمِّك، وهذا ثوبُك عليّ وطعامُك في بطني. فسكتَ، وأخذَت المال. فلم يزل في دار مسعود حتى قُتل مسعود[٤].

وكان مسعود جميلاً يسمى القمر لجماله، وأقام ابنُ زياد في داره أربعين يوماً، فلما قُتل مسعود هرب ابن زُياد إلى الشام. ويقال: إنَّ ابن زياد استخلفَه على البصرة لما هرب.

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥١٣ : وتُتِمِّين.

(٣) قوله: فقال اجعلي عليهما ثوباً... إلى هذا الموضع من (ب)، وليس في (خ). وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٥١٣ : فقال الحارث: ألبسيه ثوباً من أثوابي، وأدخليه بيتك، وخلّي بيننا وبين مسعود. وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٨ : فأدْخَلَته حَجلَتَها وألبَسَته ثوباً لزوجها.

(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٨ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥١٣ .

واختلفوا في قتل مسعود؛ قال مَعْمَر: قتلَه بنو تميم في حرب وقعت بينهم في هذه الأيام سببها لطمةٌ لطمها رجلٌ من الأزد رجلاً من بني تميم، فقُتل من الفريقين ألوفٌ من القبائل، وخرج ابنُ زياد هارباً إلى الشام، وطلبه أهلُ البصرة، ففاتَهم، فقدم الشام ولم يُبرموا أمراً، فأشار على مروان بأنْ يدعوَ إلى نفسه، وأنْ يطلبَ الخلافة، فقبل من رأيه.

وأمَّا أهلُ البصرة؛ فاختاروا عبدَ الله بنَ الحارث بن عبد المطلب، وأمُّه هند بنتُ أبي سفيان، ويلقَّب بَبَّهْ. ومال قومٌ إلى عبد الله بن الأسود الزُّهريّ، وكان أهلُ البصرة قد فوَّضوا أمرَهم في الاختيار إلى قيس بن الهيثم السُّلَميّ، ونُعمانَ بنِ صُهْبان الراسبيّ. فاختارَ النعمانُ بَبَّهْ، وقال: إن هذا من بني عمّ رسول الله ﷺ، وأمُّه بنتُ أبي سفيان، فإنْ كان المُلك فيهم(١)، فهو ابنُ أُختهم(٢). فرضُوا به(٣).

وأمَّا أهلُ الكوفة؛ فطردوا عمرَو بنَ حُرَيْث، وأجمعوا على عامر بن مسعود، وكانوا قد اتفقوا على عُمر(٤) بنِ سعد بن أبي وقَّاص، فجاءت نساءُ هَمْدان ورجالُهم يبكون حسيناً رضي الله عنه قد تقلَّدُوا سيوفَهم وقالوا: لا واللهِ ولا كرامة. فطردوا ابن سعد ووَلَّوْا عامرَ ابنَ مسعود، وكتبوا إلى ابن الزُّبير، فأقرَّه، وأقرَّ بَبَّهْ(٥).

وخطب عامر بن مسعود يوماً فقال: إنَّ لكل قوم أشربةً ولذاتٍ، فاطلبوها في مظانِّها واكسروها بالماء، وتوارَوْا(٦) عني بهذه الجدران، وإني قد تزوَّجتُ، فأعينوني بأُعطياتكم شهراً. فأخذ من الناس أرزاق شهر، فقال عبد الله بن همَّام السَّلُولي:

---

(١) يعني في قريش.

(٢) يعني أن «ابن أخت القوم منهم» كما في الحديث، ووقع في (ب) و(خ): أخيهم، وهو خطأ.

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٩-٤٥٠ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٥١٣-٥١٤ .

(٤) في (ب) و(خ): عمرو، وهو خطأ.

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٥٢٤ .

(٦) في (ب) و(خ): ونوروا. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ٨ والخبر فيه بنحوه.

اشرَبْ شرابَك وانْعَمْ غيرَ محمودِ[١] واكسره بالماء لا تعص ابنَ مسعودِ
إن الأمير له في الخمر مأربةٌ فاشرَبْ هنيئاً مريئاً غير تصريدِ[٢]

وبلغ ابنَ الزبير، فعزلَه بابن مُطيع.

وفيها بُويعَ ابنُ الزُّبير بالخلافة بمكَّة، فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله والخلفاءِ بعدَه، وأوَّلُ من بايعَه مصعبُ بنُ عبد الرحمن بن عوف. فقال الناس: هذا أمرٌ فيه صعوبة. وبايعَه عبيدُ الله بنُ علي بن أبي طالب، وعبدُ الله بنُ جعفر. وأراد ابنَ عُمر ومحمد بنَ الحنفية وابنَ عبَّاس على البيعة، فأبَوْا[٣].

وولَّى ابنُ الزبير أخاه مصعب بنَ الزبير على المدينة، فبايعوه، وبعث الحارث بن عبد الله بن ربيعة إلى البصرة فبايعوه، وبعث ابن مطيع إلى الكوفة فبايعوه، وبعث عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم إلى مصر، فبايعوه، وبعث إلى اليمن بَحِير بن رَيْسَان، وكان عليها والياً ليزيد، فجاءته بيعتُه، وبعث إلى خُراسان، فبايعوه[٤]، وإلى الضحَّاك ابن قيس الفهري، فأخذ له البيعة على أهل الشام، واستَوْسَقَت له البلاد كلُّها ما خلا طائفةً من أهل الشام كان فيها مروان وأهل بيته، وأهل الأردن وفلسطين.

وبُويع لسبع ليال بقين من رجب سنة أربع وستين بعد أن أقام الناس جمادى الأول والآخِر وأياماً من رجب بغير إمام.

وكان ناتل بن قيس الجُذامي عند عبد الله بن الزُّبير، فكتب له عهده على الأردنّ وفلسطين، فخرج إليها، وكان على الأردن حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي؛ ولَّاه إيَّاها معاوية بن أبي سفيان، ثم أقرَّه عليها يزيد، فأرسل إليه ناتل الجُذامي: إما أن تخرجَ من بلاد قومي ـ يعني جُذاماً ـ وإلا قاتلتك[٥].

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٨، و«الكامل» ٤/ ١٤٣: محسود.
(٢) التصريد في السَّقي: دون الرَّيّ. ووقع في «الكامل»: مرصود.
(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩١ و٦/ ٥.
(٤) والذي دعا له بخراسان عبد الله بن خازم السلمي كما في المصدر السابق.
(٥) أنساب الأشراف ٥/ ٢٨٨.

ولم يكن لحسان به طاقة، فنزلَ حسان طبريَّة، وأظهرَ الدعاء لخالد بن يزيد بن معاوية.

ثم سار حسان فنزل الجابية، وانضافَ إليه الحُصين بن نُمير السَّكوني، ومالك بن هُبيرة، ورَوْح بن زِنْباع الجُذامي، وزِمْل بن عَمرو العدويّ، وعبد الله بن مَسْعَدة الفَزَاريّ، وعبد الله بن عِضاه الأشعريّ، ومروانُ بن الحكم، ومعه ابنُه عبد الملك، وهو يومئذ ابن ثمانٍ وعشرين سنة، ومروان لا تمرُّ بباله الخلافة ولا يفكّر فيها، وكان معهم خالدُ بن يزيد [بن معاوية] وعَمْرو بن سعيد الأشدق. وأجابهم قومٌ من البلقاء وأذرعات[١].

وكان الضحاك بن قيس بدمشق، والنعمان بن بشير بحمص، وزُفر بن الحارث بقِنّسرين قد ضبطوا الشام لابن الزُّبير، وذلك بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية ولم يبق بالشام من عَصِيَ على ابنِ الزُّبير إلا حسانُ بن مالك بن بَحْدَل، ومن سمَّينا معه، وأخذ ناتلُ الجُذامي البيعةَ لابن الزبير على أهل فلسطين.

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٢٨٩.

الباب الرابع

في ولاية مروان بن الحكم

ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية اختلف الناس بالشام، فكان أوَّلَ من خالف من أمراء الأجناد النعمانُ بنُ بشير بحمص، دعا إلى ابن الزبير، ثم الضحَّاك بن قيس الفِهْري؛ دعا بدمشق سرّاً لابنِ الزُّبير، ولم يظهر ذلك لمكان بني أمية وكلب.

وبلغ حسانَ بنَ مالك بن بَحْدَل الكلبيّ وهو بفلسطين، وكان هواه في خالد بن يزيد؛ لأن يزيد كان ابنَ أخته ميسون، فأمسك، وكتب إلى الضحَّاك بن قيس كتاباً يعظِّم فيه بني أمية ويذكر بلاءهم عنده، ويذمُّ ابنَ الزبير، ويذكر خلافَه ومفارقتَه الجماعة، ويدعوه إلى أن يُبايع لرجلٍ[1] من بني حرب، وبعث بالكتاب مع ناعصة[2] بن كريب الطابخي، وأعطاه نسخة الكتاب، وقال له: إن قرأ الضحَّاك الكتاب على الناس؛ وإلَّا؛ فاقرأْ أنت نسختَه عليهم. وكتب إلى بني أمية يُعلمهم ما كتب به إلى الضحَّاك، وما أمرَ به ناعصة، وأمرَهم أن يحضروا ذلك.

فقرأ الضحَّاك كتاب حسان ولم يقرأه على الناس، فكان في ذلك اختلاف وكلام، فَسَكَّنَهم خالد بن يزيد[3].

---

(١) في (ب) و(خ): الرجل، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٤٤ .

(٢) في (خ) (في الموضعين)، وفي «تاريخ دمشق» (مصورة دار البشير) باعضة، وفي «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٤٤ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٢ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ١١/ ١٣٢ : ناغضة، والمثبت من (ب) (في هذا الموضع) وهو كذلك في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٦ .

(٣) قوله: «فكان في ذلك اختلاف وكلام، فسكّنهم خالد بن يزيد» سيتكرر بعده مفصَّلاً. والسبب أن مختصِر الكتاب جمع بين روايتين، فالكلام حتى هذا الموضع من ترجمة الضحاك بن قيس في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٤٣_٥٤٤ ، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤١٦ (مصورة دار البشير). والكلام بعده من رواية أخرى، هو بنحوه في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٦_٢٩٧ و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٢_٥٣٣ . وينظر «تاريخ دمشق» ٨/ ٤١٦ (مصورة دار البشير)، أو «مختصره» ١١/ ١٣٢ .

فقام ناعصة، فقرأ نسخة الكتاب على الناس بمشهد من بني أمية، فقام الوليد بنُ عتبة بن أبي سفيان، وسفيان بن الأبرد، ويزيد بن أبي النّمس، وغيرهم، فكذَّبوا ابنَ الزُّبير ونالوا منه، وقالوا: خلع خليفتين. وأثْنَوْا على حسان.

وقام عمرو[١] بن زيد الحكمي، فشتم حساناً، وأثنى على ابنِ الزُّبير، وأمرَ الضحَّاك بالوليد بن عُتبة ومن شتمَ ابنَ الزُّبير، فحُبسوا.

وثار جماعة إلى عمرو بن زيد الحكمي، فضربوه، فقام خالد بن يزيد، فصعد مِرْقاتَين من المنبر والضحَّاك في أعلاه، فتكلَّم خالد بكلام وجيز سكَّن الناس[٢].

ونزل الضحاك، فصلَّى بالناس الجمعة، وجاءت كلب فأخرجوا سفيان بن الأبرد، وجاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس فقال الوليد بن عتبة: لو كنتُ من كلب أو غسان لأُخرجت. فجاء خالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية فأخرجوه[٣] من السجن، وكان معهما أخوالهما من كلب. فكان أهل الشام يسمُّون ذلك اليوم يوم جَيْرُون الأول[٤].

ودخل الضحَّاك دارَه، ومكثوا أياماً[٥]، فخرج الضحَّاك يوماً، فصلَّى بالناس صلاة الصبح، وذكر يزيد بن معاوية فسبَّه، فقام إليه رجل من كلب، فضربه بِعَصاً، واقتتلَ الناس بالسيوف، ودخل الضحاك دار الإمارة.

وافترق الناس ثلاث فِرَق؛ فرقة زُبيريَّة، وفِرْقة بَحْدَلِيَّة؛ هواهم مع بني حرب، وفرقة لا يُبالون لمن كان الأمر؛ لبني أمية أو لغيرهم، وأرادوا الوليد بنَ عتبة بن أبي سفيان على البيعة، فأبى، وهلك في تلك الليالي.

---

(١) كذا في (خ)، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٢ . وفي (ب) و«أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٦ : عمر. وكذا في الموضع الآتي.

(٢) سلف هذا المعنى، وينظر الكلام قبل تعليق.

(٣) كذا في (ب) و(خ). والجادة: فأخرجاه.

(٤) أنساب الأشراف ٥/ ٢٩٦ ـ٢٩٧ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٣٢ ـ٥٣٣ . ولم ترد كلمة: الأول، في «أنساب الأشراف». وجاء فيه بعده: وجَيْرون موضع بدمشق عند المسجد.

(٥) رجع الكلام من هذا الموضع إلى ابن سعد وابن عساكر، وهو بنحوه في المصدرين السابقين.

وأرسل الضحاك بن قيس إلى بني أمية، فأتاه مروان وعمرو بن سعيد، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية، فاعتذرَ إليهم، وذكرَ حُسن بلائهم عنده، وأنه لم يُرد شيئاً يكرهونه، وقال: اكتبوا إلى حسان بن مالك بن بَحْدَل حتى ينزل الجابية، ثم نسير إليه، فنستخلف رجلاً منكم.

فكتبوا إلى حسان، فأقبل حتى نزل الجابية، فلما استقلَّت[1] الرايات متوجّهة قال معن بن ثور[2] السُّلمي ومن معه من قيس للضحاك: دَعَوْتَنا إلى بيعة رجل من أحزم الناس رأياً، وأفضلهم ديناً، فلما أجبناك خرجتَ بنا إلى هذا الأعرابيّ من كلب لتُبايع ابنَ أخته. قال: فتقولون ماذا؟ قالوا: تنصرفُ، وتُظهر البيعة لابن الزبير. ففعل الضحاك، وبايعه الناس لابن الزبير.

وبلغ ابنَ الزبير، فكتب للضحاك بعهده على الشام، وكتب الضحاك إلى أمراء الأجناد ممن دعا إلى ابن الزبير فأتوه.

فلما رأى ذلك مروان خرج من الشام يريد ابنَ الزبير ليبايعه ويأخذ منه أماناً لبني أمية، وخرج معه عَمرو بن سعيد بن العاص، فلما كانوا بأذرعات لقيهم عُبيد الله بنُ زياد مقبلاً من العراق، فسألهم عن حالهم، فأخبروه، فقال لمروان: سبحان الله! أرضيتَ لنفسك [بهذا] وأنت شيخ قريش وسيِّد بني عبد مناف أن تُبايع لأبي خُبيب؟! واللهِ لأنتَ أولى بها منه. فقال له مروان: ما الرأي؟ قال: أن ترجعَ وتدعو إلى نفسك، وأنا أكفيك قريشاً. وقال عمرو بن سعيد: وأنا أكفيك بني أمية.

فرجع مروان وعَمرو بنُ سعيد إلى الشام، فنزلا تدمر، ودخل عُبيد الله بن زياد دمشق، فنزل بباب الفراديس، وكان يتردَّد إلى الضحاك كلَّ يوم يسلِّم عليه، فقال له يوماً: يا أبا أُنيس، العجبُ منك وأنت شيخُ قريش، تدعو لابن الزُّبير، وتدعُ نفسك، وأنت أرضى عند

---

(١) في (ب) و(خ): استقبلت. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٤٤ ، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤١٦ (مصورة دار البشير).

(٢) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٧ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٥٣٣ : ثور بن معن بن يزيد. قال البلاذري: ويقال: معن بن يزيد.

الناس منه! فدعا إلى نفسه، ورجع عن ابن الزبير ثلاثة أيام، فقال الناس: دَعَوْتَنا إلى بيعة رجل، وأخذتَ عهودنا، ثم دعوتَ إلى خلعه من غير حَدَث! وامتنعوا عليه[١].

فلما رأى ذلك عاد إلى ابن الزبير، فأفسده ذلك عند الناس وغيَّرهم عليه، ثم قال له ابنُ زياد: يا أبا أُنيس، مَنْ أرادَ ما أردتَ ما ينزل المدائن والحصون، ابْرُزْ عن دمشق، واجمع الناس، وتصفَّح الخيل. وكان ذلك خديعةً من ابن زياد.

فخرج الضحاك، فنزل المَرْج، وبقي عُبيد الله بدمشق، ومروان وبنو أمية بتدمر، [وخالد] وعَبدُ الله ابنا يزيد بالجابية مع حسان [بن مالك بن بَحْدَل]، فكتب عُبيد الله إلى مروان: ادْعُ إلى نفسك، ثم سِرْ إلى الضحاك فقد أَصْحَرْتُهُ لك[٢].

فدعا مروان بني أمية، فبايعوه[٣]، وتزوَّج أمَّ خالد بن يزيد. [وخرج عُبيد الله][٤] فنزل المرج، وكتب إلى مروان أن أَقْبِل.

وقيل: كان الناس بالجابية أهواؤهم مختلفة، فكان مالك بن هُبيرة السَّكوني يهوَى هوى أولاد يزيد، والحُصين بن نُمير يهوى أن تكون الخلافة لمروان. فقال [مالك] للحصين[٥]: هلمَّ فلنبايعْ هذا الغلام - يعني خالد بن يزيد - فنحن ولَدْنا أباه، وهو ابنُ أُختِنا، وقد عرفتَ أن أباه حملنا على رقاب العرب[٦]: فقال حُصين: لا لعَمرو الله، لا تأتينا العرب بشيخ، ونأتيها بصبيّ. فقال مالك: هذا ولمَّا تَرِد تِهامة[٧]، ولا بلغَ الحِزام الطُّبْيَيْنِ[٨]، واللهِ لئن استخلفتَ مروان وآل مروان لَيَحْسُدُنَّك على سَوْطك

(١) وقع خرم في (ب) بدءاً من هذا الموضع، وحتى فقرة وقعة مرج راهط.

(٢) أي: أخرجتُه إلى الصحراء. وفي «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٤٦، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤١٧: أصحر لك.

(٣) في (خ) (والكلام منها): فدعا مروان إلى نفسه وبايعوا بني أمية... والمثبت من المصدرين السابقين. وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٤) ما بين حاصرتين من المصدرين السابقين.

(٥) في (خ): فقال الحصين. وهو خطأ. والكلام في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٣٥-٥٣٦.

(٦) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٣٦: فقد عرفتَ منزلتنا كانت من أبيه، فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً.

(٧) هو مَثَلٌ، ذكره السيوطي في «المُزهر» ١/ ٤٨٩ بلفظ: هذا ولما تردي تِهامة. قال: يُضرب لمن يجزع قبل وقت الجَزَع.

(٨) قوله: بلغ الحزام الطُّبْيَيْنِ، مَثَل أيضاً، ويقال أيضاً بلفظ: جاوز الحزام الطُّبْيَيْنِ. قال الميداني في «مجمع الأمثال» ١/ ١٦٦: الطُّبْيُ للحافر والسِّباع: كالضِّرع لغيرها. يُضرب هذا عند بلوغ الشدة منتهاها. وينظر «الفائق» ٢/ ١٠٣.

وشِراكُ نعلك وظلٍّ شجرة تستظلُّ بها. إنَّ مروان أبو عشرة وأخو عشرة وعمُّ عشرة[١]، فإن بايعتُموه صرتُم عبيداً لهم، ولكن عليكم بابن أختكم خالد[٢].

وقال أهل الأردنّ وغيرهم: يا مروان، أنت شيخ كبير، وابنُ يزيد غلام، وابنُ الزُّبير كهل، والحديدُ إنما يقرع بعضُه بعضاً[٣]. وقال الحُصين: إنّي رأيتُ في المنام قنديلاً معلَّقاً من السماء، وأنَّ مَنْ يمدُّ عنقه إلى الخلافة تناوله. فلم ينله أحد، ومدَّ يده مروان فنالَه.

واجتمع رأيُهم على مروان، فقام رَوْحُ بن زِنْباع خطيباً، فقال: أيُّها الناس، إنكم تذكرون عبد الله بنَ عمر للخلافة، وإنَّه لا تُنكر صحبتُه لرسول الله ﷺ وقَدَمُه في الإسلام، ولكنَّه رجل ضعيف، ولا يصلح لأمر أمَّة محمد ﷺ الضعيفُ.

وإنكم تذكرون ابنَ الزُّبير وابنَ حواريّ رسول الله ﷺ وابن أسماء بنتِ أبي بكر الصدِّيق ذاتِ النطاقين، وإنه كما تذكرون في قدمه وفضله وعبادته، ولكنه ألحدَ في الحرم، وسفكَ الدماء، وخلع خليفتين؛ يزيد و[ابنَه] معاوية، وشقَّ عصا المسلمين، وليس يصلح لأمرِ أمَّةِ محمد ﷺ مَنْ يكون كذا.

وأمَّا مروان بنُ الحَكَم فواللهِ ما كان في الإسلام صَدْع قطّ إلا كان مروان ممَّن يَشْعَبُ ذلك الصَّدْع[٤]، وهو الذي قاتلَ عن أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان يومَ الدَّار[٥].

وكان هَوَى حسان بن مالك بن بَحْدَل مع ابن أخته خالد بن يزيد [فقال له ابن عِضاه الأشعريّ: أراك تريد هذا الأمر لخالد بن يزيد] وهو حَدَث السِّنّ. فقال له حسان: إنَّه واللهِ لمعدن المُلك والرِّياسة. فقال ابن عضاه لأصحابه: قُوموا بنا إلى خالد. فجاؤوا،

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٣٦ : أبو عشيرة، وأخو عشيرة، وعمّ عشيرة. وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٥-٥٣٦ .

(٣) المصدر السابق ٥/ ٥٣٤ .

(٤) أي: يَلُمُّه ويُصلحه (وهو من الأضداد؛ فمعنى شَعَبَ أيضاً: تفرَّق).

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٦ . وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٩ .

فرأَوْه نائماً متصبِّحاً، فقال ابنُ عِضاه: يا قوم، أتجعلون نحورَنا للأسنَّة والسهام لهذا الغلام وهو نائم في هذه الساعة؟!

ثم أتى مروانَ، فألفاه يقرأ القرآن والمصحف بين يديه، وفرسه مربوط إلى جانب فسطاطه، ورُمْحُه مركوز على الفسطاط، ودِرعُه وسلاحُه إلى جانبه، فقال ابن عضاه: هذا واللهِ المُجِدُّ المُشَمِّر الحازم الذي يصلحُ لهذا الأمر، وهو شيخ قريش وابنُ عمّ الخليفة المظلوم.

وجاء إلى حسان، فأخبره الخبر، فقال: أنا منعتكم[1]؟ وإنما كرهتُ أن يخرج هذا الأمر عن بني أمية إلى ابن الزبير[2].

وأجمعَ رأيُ القوم على بيعة مروان، وبعده لخالد، [ثم لعمرو بن سعيد بن العاص ١
من بعد خالد] على أنَّ إمرة دمشق لعمرو بن سعيد، وإمرة حمص لخالد بن يزيد.

فدعا حسانُ خالدَ بنَ يزيد وقال له: يا ابن أخت، إن القوم قد أَبَوْك لحداثة سنِّك، وإني واللهِ لا أُريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك، وما أُبايع مروان إلا نظراً لكم. فقال خالد بن يزيد: عَجَزْتَ عنا. فقال: لا والله، ما عجزتُ عنك، ولكن الرأيَ لك ما رأيتُ. ثم دعا مروان وقال له: يا مروان، واللهِ ما كلُّ الناس يرضى بك. فقال مروان: إنْ يُرِدِ [الله] أنْ يُعطِيَنِيها فلا مانع له، وإن منعها عني لم يقدر أحدٌ أن يُعطِيَنيها. فقال حسان: صدقتَ[3].

واختلفوا في بيعته على أقوال: أحدُها: في المحرم سنة خمس وستين، والثالث: يوم الخميس في رجب سنة أربع وستين[4].

وسار مروان إلى دمشق لقتال الضحَّاك، وسار حسان إلى الأردنّ.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٠ : رأيي لرأيكم تبع، بدل قوله: أنا منعتكم.

(٢) ينظر المصدر السابق ٥/ ٢٨٩-٢٩٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٧ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) كذا وقع في (خ) (والكلام منها فقط)، فلم يرد فيها إلا قولان. وفي قول أنه بُويع لمروان في ذي القعدة من سنة (٦٥). وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٥ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٤ (مع ص ٥٣٧)، و«تاريخ دمشق» ٦٦/ ٤٤٦-٤٤٨ (طبعة مجمع دمشق).

حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي

هو أخو ميسون أمِّ[١] يزيد بن معاوية، وكنيتُه أبو سليمان، وكان زعيم بني كلب.

شهد مع معاوية صفِّين، وكان يومئذٍ على كلب، وكان له قَدْرٌ وجاه عند بني أمية.

وقال البلاذُري[٢]: سُلِّم عليه بالخلافة أربعين ليلة، ثم سلَّمها إلى مروان.

وكانت داره بدمشق المعروف بقصر [ابن] أبي الحديد، ويقال له: قصر البحادلة، أقطعه إيَّاه معاوية بن أبي سفيان[٣].

وإليه يُنسب دير [ابن] بَحْدَل من إقليم بيت لِهْيا[٤] من غوطة دمشق، أقطعه إياه يزيد ابن معاوية، وولَّاه يزيد قِنّسرين والجزيرة[٥].

وهو القائل في الخلافة:

فإن لم يكن منا الخليفةُ نفسُه ... فما نالها إلا ونحن شهودُ

ولم يذكر تاريخ وفاته.

وقعة مَرْج راهط[٦]

وراهط اسم رجل كان ينزلُه في الجاهلية.

---

(١) في (خ): بن، بدل: أمّ! وسلف في سياق الكلام (الصفحة السابقة) أن خالد بن يزيد ابنُ أخته. ونسبَ المرزوقي ميسون في «شرح الحماسة» ٢/ ٦٥٠ فقال: ميسون بنت مالك بن بحدل، ونُسبت في «تاريخ دمشق» ص ٣٩٧ (تراجم النساء) وغيره: ميسون بنت بحدل. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٦٧٣: كان حسان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد، ويزيدُ: ابنُ ميسون، وميسون: بنت بَحْدَل. اهـ. وذكر ابن العديم في «تاريخ حلب» ٥/ ٢٢٣٥ أيضاً أن ميسون عمة حسان.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ٣٠٠.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٤/ ٣٩٤ (مصورة دار البشير) أو «مختصره» ٦/ ٣٠٨ وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٤٨ (مصورة دار البشير): بيت الآبار. وهي من غوطة دمشق، كما في «معجم البلدان» ١/ ٥١٩.

(٥) قوله: وإليه يُنسب دير ابن بحدل... إلى هذا الموضع، يتعلق بأخيه سعيد بن مالك بن بحدل، كما في المصدر السابق. وما بين حاصرتين منه.

(٦) هو موضع شرقيّ دمشق بعد مرج عذراء.

وسار مروان ومعه خمسة آلاف، وجاءته السكاسك وكلب والموالي وغسان، فصار في أحد عشر ألفاً، وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد، وعلى ميسرته عُبيد الله بن زياد.

وجاء أمراء الأجناد إلى الضحَّاك، فصار في ثلاثين ألفاً[١]، وجعل على ميمنته زياد ابن عمرو العقيلي، وعلى ميسرته زُفر بن الحارث.

وكان يزيد بن أبي النّمس الغساني مختبئاً بدمشق، فلما وصل مروان إلى المرج ثار بها، وثار معه عَبيدُ أهل دمشق، وأخرج[٢] عاملَ الضحاك منها، وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان، و أمدَّه بالمال والرِّجال والسلاح، فكان ذلك أوَّلَ فَتْحٍ فُتح لبني أمية. فأقاموا يقتتلون عشرين يوماً[٣].

وقيل: أقبلَ مروان من تدمر في خمسة آلاف، وأقبل عبَّاد بن زياد من حُوَّارِين في ألفين من مواليه وغيرهم، وأمدَّ النعمانُ بنُ بشير الضَّحَّاك من حمص بشُرحبيل بن ذي الكَلاع، وأقبل زُفر بن الحارث بعسكر قِنّسرين لنُصرة الضحَّاك [فكان الضحَّاك في ثلاثين ألفاً] وصار مروان في ثلاثة عشر ألفاً؛ أكثرهم رجَّالة، ولم يكن في عسكر مروان سوى ثمانين عتيقاً[٤]؛ منها أربعون لعبَّاد بن زياد، وأربعون لسائر الناس، فأقاموا بالمرج عشرين يوماً يقتتلون، فقال ابن زياد لمروان: الحرب خُدْعة، وقد علمت شجاعةَ قيس، وإنك لا تنالُ منهم شيئاً إلا بمكيدة، فكِدْهُم. قال: وكيف أصنع؟ قال: ادعُهم إلى الموادعة، فإذا كفُّوا عن القتال فكُرَّ عليهم وهم غارُّون[٥].

فبعث إلى الضحاك فأمسك عن القتال، والقيسيةُ تطمع أن يبايع الضحاك لمروان.

وأعدَّ مروان أصحابه، فلم يشعر الضحاك وأصحابُه إلا بالخيل قد شدَّتْ عليهم، ففزع الناس إلى راياتهم وقد غَشَوْهم على غير عِدَة[٦].

---

(١) من قوله: وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد.. إلى هذا الموضع من (ب) وسقط من (خ).

(٢) في (ب) و(خ): فلما خرج. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٧ .

(٤) أي: فرساً. يقال: فرس عتيق، أي: جواد رائع. «مختار الصحاح» (عتق)..

(٥) جمع غارّ، أي: غافلون.

(٦) تاريخ دمشق ٨/ ٤١٧ (مصورة دار البشير) أو مختصره ١١/ ١٣٤ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

فاقتتلوا، وترجَّل مروان ومن معه، وصاح الضحَّاك: اغد[١] يا ابن الزرقاء. قال مروان: نعم. وكان قد تفرَّق عن الضحاك أصحابُه، فترجَّل أيضاً، وترجَّلت القيسيَّة معه، وقاتلت قتالاً لم يُعهد مثلُه، وقُتل من القيسيَّة مقتلةٌ لم يُقتل مثلُها في موطن قطّ، وقُتل مع الضحَّاك يومئذٍ ثمانون رجلاً من أشراف قيس ممَّن كان يأخذ في العطاء ألفين، وقُتل من أصحاب مروان خلقٌ عظيم لم يُقتل مثلُهم من القبائل[٢].

وجُرح الضحاك، فسقط إلى الأرض، ولم تعلم به القيسيَّة، ومرَّ به رجل من كلب، فحزَّ رأسَه، واسم الرجل زُحْمَة[٣] بن عبد الله، والذي قتله مالك بن يزيد[٤] الكلبي من بني عُليم.

وجاء زُحْمة برأسه إلى مروان، فقال له: أنتَ قتلته؟ قال: لا. فأعجبَه صدقُه، وأحسنَ إليه[٥].

ولما حضر بين يدي مروان رأسُ الضحاك أُسقِطَ في يده، وقال: الآن حين كبِرَتْ سنِّي، ورقَّ عظمي، وصِرْتُ في مثل ظِمْءِ الحمار[٦]؛ أقبلتُ بالكتائب أضربُ بعضَها ببعض[٧]!.

ولم يضحك رجالٌ من قيس بعد يوم المَرْج حتى ماتوا، ولم يحضرها عبد الملك بن مروان تورُّعاً.

وكانت الوَقْعة في ذي الحجة سنة أربع وستين في منتصفه. وقيل: في تمامه.

---

(١) كذا في (ب) و(خ). ولعلها: أغدراً.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٧.

(٣) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٤، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٨: زُحنة. وذكر ابن ماكولا الاسمين في «الإكمال» ٣/ ٣١٦ و٤/ ٣٦، وذكر الاسمين أيضاً صاحب «القاموس» ذكره في (زحم - زحن). وتحرف في (ب) و(خ) إلى: وحمة.

(٤) وقع خرم في (ب) بدءاً من هذا الموضع، وحتى ص ٣٠٦ قبيل فقرة ذكر رواية يزيد بن معاوية للحديث.

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٨.

(٦) الظِّمْءُ، بالكسر: ما بين الشَّرْبَتيْن والوِرْدَيْن، وما بقي منه إلا ظِمْءُ الحمار، أي: يسير؛ لأنه ليس شيء أقصر ظمئاً منه. ينظر «القاموس المحيط» (ظمأ).

(٧) أنساب الأشراف ٥/ ٣٠١، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٣٨.

وكان بشر بن مروان يرتجز وبيده الراية ويقول:

إنَّ على الرئيس حقّاً حقَّا أن يخضب الصَّعْدَةَ أو تندقَّا[١]

واختلفوا هل شهد الوقعة زُفر بن الحارث الكلابي أم لا؟ ولحق زُفر بقرقيسيا [فلما انتهى إليها وعليها عِياض بن أسلم الجُرَشيّ ـ وكان يزيد بن معاوية ولّاه قرقيسيا ـ فحال عياض بين زُفر وبين دخول قرقيسيا] فقال زُفر: أحلفُ لك بالطلاق والعِتاق إذا دخلتُ حمَّامها خرجتُ منها. فأذنَ له في دخولها، فدخلَها ولم يدخل حمَّامها، وأخرجَ عِياضاً منها، وتحصَّن زُفر بها، وثابَتْ إليه قيس.

وخرج ناتل الجُذامي من فلسطين هارباً إلى ابن الزُّبير بمكة، وأجمع الناس على مروان، واستوسق له الشام، فولّى عليه عمَّالَه[٢].

وقال أبو مِخْنَف: شهد زُفر بن الحارث يومَ المرج، فلما انهزم الناس؛ انهزم معه شابَّان من بني سُليم، وجاءت خيلُ مروان في طلبهم، فقالا له: انجُ بنفسك، فنحن مقتولان، فهرب زُفر وتركهما، حتى أتى قرقيسيا، فاجتمعت إليه قيس فرأَّسوه عليهم، فقال:

أريني سلاحي لا أبا لك إنني أرى الحربَ لا تزدادُ إلا تماديا
أتانيَ عن مروان بالغيب أنه مُقِيدٌ دمي أو قاطعٌ من لسانيا
ففي العِيس مَنْجَاةٌ وفي الأرض مَهْرَبٌ إذا نحن رفَّعنا لهنَّ المثانيا
فلا تحسبوا أني[٣] تَغَيَّبْتُ غافلاً ولا تفرحوا إنْ جئتُكم بلقائيا
فقد يَنبُتُ المَرعَى على دِمَن الثَّرى وتبقى حزازاتُ النُّفوسِ كما هيا
أتَذْهَبُ كلبٌ لم تَنَلْها رماحُنا وتُترك قتلى راهطٍ هي ما هيا
لعمري لقد أبْقَتْ وقيعة راهطٍ لحسَّان[٤] صَدْعاً بَيِّناً متنائيا
أَبَعْدَ ابنِ عَمرٍو وابنِ مَعْنٍ تتابَعا[٥] ومَقْتَلِ همَّامٍ أُمَنَّى الأمانيا

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٩، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٥. والصَّعْدَة: القناة المستوية.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٩ـ٥٤٠ وما سلف بين حاصرتين منه، وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٧.

(٣) في المصدرين السابقين: فلا تحسبوني إنْ.

(٤) في «الأغاني» ١٩/ ١٩٦: لمروان.

(٥) في «الأغاني»: أبعد ابن صقر وابن عمرو تتابعا.

فـلـم تُـرَ مـنّـي نَـبْـوَةٌ قـبـلَ هـذه ... فِـرارِي وتَـرْكـي صـاحـبـيَّ ورائـيـا
أَيَـذْهَـبُ يـومٌ واحـدٌ إنْ أسـأتُـه ... بـصـالـح أيَّـامـي وحُـسْـنِ بـلائـيـا
فلا صُلْحَ حتى تَنْحِطَ الخيلُ بالقَنا(١) ... وتـثـأرَ مـن نـسـوان كـلـبٍ نـسـائـيـا

فأجابه جوَّاس(٢) [ابن قعطل] فقال:

لـعـمـري لـقـد أبـقَـتْ وقـيـعـةُ راهـطٍ ... عـلـى زُفَـرٍ داءً مـن الـداء بـاقـيـا
مـقـيـماً ثَـوَى بـيـن الـضُّـلـوع مـحـلُّـهُ ... وبين الحَشَا أعيا الطبيبَ المداويا
تُـبَـكِّـي عـلـى قـتـلـى سُـلـيـمٍ وعـامـرٍ ... وذُبـيـان مـعـذوراً وتُـبـكِـي الـبـواكـيـا
دعـا بـسـلاحٍ ثـم أحـجـمَ إذْ رَأَى ... سـيـوفَ جـنـابٍ والـطِّـوالَ الـمَـذَاكـيـا
عـلـيـهـا كـأُسْـدِ الـغـابِ فـتـيـانُ نَـجْـدَةٍ ... إذا أشرعوا نحو الطِّعان العواليا(٣)

وقال البلاذُري: لما استوسقت لابن الزبير البلاد(٤) غير طبريَّة والأردن، قال عَمرو ابنُ سعيد لمروان: ما يمنعُك من طلب الخلافة وأنت شيخُ قريش وكبيرُها وأحق بها من غيرك؟ فقال: ليس لي بالضحَّاك طاقة. قال: فانكح أمَّ خالد بن يزيد، فيصير موالي معاوية وأتباعه معك. قال: فدونك وإيَّاها. فأتاها عَمرو، فمازال يخدعُها حتى أجابت، فنكحَها مروان، وقويَ أمرُه.

وبعث إليه الضحَّاك، فقال: بايع ابنَ الزبير. فقال: اخرج إلى المَرْج حتى أشترط عليك شروطاً على رؤوس الملأ، ثم أبايعك(٥).

وكان في نفس مروان أن يُبايع لابن الزبير، وخرجوا إلى المَرْج، فقال مروان لعمرو ابن سعيد: إذا سايرتُ الضحَّاك فاركب الفرس الفلاني - وكان سيِّء الخُلُق؛ يَكْدُمُ مَنْ يقربُ منه، ويمشي معترضاً - ثم تتبيَّن(٦) بيني وبين الضحاك، فإني سآمرك أن ترجع

---

(١) القَنَا: جمع قَناة، وهي الرُّمح. ونَحْطُ الخيل: صوتُها من الثِّقَل والإعياء. ينظر «القاموس».
(٢) في (خ): (والكلام منها): ابن جوّاس، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٥/ ٣١٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٤٢.
(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٥٤١-٥٤٢، وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٩-٣١٠. ولم تجوَّد بعض الكلمات في (خ) (والكلام منها) فأثبتُّها من «تاريخ» الطبري. قوله: العَوالي: هو جمع العالية، وهي أعلى القَناة (الرُّمح).
(٤) في (خ): استقامت الأمر لابن الزبير البلاد. وهي عبارة مضطربة، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٢٩.
(٥) في (خ) (والكلام منها): أو أبايعك. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٣٠.
(٦) اللفظة غير واضحة في (خ) (والكلام منها) والمثبت من «أنساب الأشراف». وقوله: يكدم، أي: يعضّ.

وتركب غيره، فإذا رجعتَ فسِرْ إلى دمشق، وأغلق أبوابها، وخلِّ بيني وبين العبد ـ يعني الضحَّاك ـ حتى يحكم الله بيننا.

ففعل عَمرو ما أمره مروان، ودخلَ دمشق، وبلغ الضحاك، فركب في القيسيَّة، وقصد قتل مروان، والتقَوْا، فقُتل الضحَّاك.

وفيها بايع أهلُ خُراسان سَلْمَ بنَ زياد بن أبيه بعد موت يزيد وابنه معاوية حتى يجتمع الناس على إمام.

ولم يجتمع أهلُ خُراسان على أمير كاجتماعهم على سَلْم، ومن محبَّتهم له أنهم سَمَّوْا أولادَهم باسمه، فما وُلد منهم مولود إلا وسمَّوْه سَلْماً، فأُحصيَ ذلك، فبلغَ عشرين ألف مولود مدَّةَ ولايته عليهم.

وكان جاء نعي يزيد وابنه معاوية، وجاءه مقتل يزيد بن زياد من سجستان، وأَسْرُ أبي عُبيدة بن زياد، فازداد حزناً. وكان قد بعث بالهدايا والتُّحف إلى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم.

ولما كتم ما بلغَه من ذلك، وعلم ابنُ عَرَادةَ الشاعرُ قال:

يـا أيُّـهـا الـمـلـكُ الـمـغـلِّـقُ بـابَـهُ ... حَـدَثَـتْ أمـورٌ شـأنُـهـنَّ عـظـيـمُ
قَـتْـلَـى بـجَـنْـزَةَ[1] والـذيـن بـكـابُـلٍ ... ويـزيـدُ أُعْـلِـنَ شـأنُـهُ الـمـكـتـومُ
أَبـنـي أمـيَّـةَ إنَّ آخـرَ مُـلْـكِـكُـمْ ... جـسـدٌ بـحُـوَّاريـن ثَـمَّ مُـقِـيـمُ
طـرقَـتْ مـنـيَّـتُـه وعـنـد وسـادِهِ ... كـوبٌ وزِقٌّ راعـفٌ مَـرْثُـومُ[2]
ومُـرِنَّـةٌ تـبـكـي عـلـى نَـشْـوانِـهِ ... بـالـصَّـنْـج تـقـعـدُ تـارةً وتـقـومُ

فلمَّا ظهر هذا الشعر أظهر سَلْم موتَ يزيد وموتَ معاوية ابنِه، وبايعه الناس على الرِّضى حتى يستقيم الناس على خليفة، وأقاموا شهرين ثم نكثوا.

ولما نكثوا خرج سَلْم عن خُراسان، واستخلف عليها المهلَّب بنَ أبي صُفْرة، فلما كان بِسَرَخْس؛ لقيَه سليمان بن مَرْثَد أحدُ بني قيس بن ثعلبة، فقال له: من استخلَفْتَ على خراسان؟ قال: المُهلَّب. قال: ضاقَتْ عليك نزار حتى ولَّيتَ رجلاً من اليمن!

---

(١) جنزة: مدينة بين شروان وأذربيجان. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ١٧١ .

(٢) أي: ملطَّخ.

فلما صار بنَيْسابور؛ لقيَه عبدُ الله بن خازم، فسألَه أن يُولِّيَه خُراسان، فقال: عليها المهلَّب. فقال: لابدَّ. فولَّاه إيَّاها، وخرج المُهَلَّب من مَرْو لما علم به(١).

وجرت بين ابن خازم وبكر بن وائل حروبٌ عظيمة قُتل من بكر بن وائل فيها ثمانيةُ آلاف.

وقال له هلال الضَّبِّي: يا ابن خازم، اتَّقِ الله، فإنَّما تُقاتل إخوتَك وبني أبيك، وقد أفنيتَهم، فلو أعطيتَهم شيئاً يرضَوْن به، وأصلحتَ هذا الأمر. فقال: واللهِ لو أعطيتُهم خُراسان ما رضُوا، وأنتَ رسولي(٢) إليهم.

فخرج الرجل حتى لقيَ منهم جماعة فقالوا: لولا أنك رسولٌ لقتلناك. قال: فما يُرضيكم؟ قالوا: إمَّا أن تخرجوا من خراسان، فلا يبقى بها من مُضَر أحد، وإمَّا أن تقيموا وتنزلوا لنا عن كل ذهبٍ وفضَّة وسلاح.

فرجع إلى ابن خازم فأخبره. فقال: إنَّ ربيعة لم تزل ساخطةً على ربِّها منذ بعث الله رسولَه من مُضَر(٣).

ثم رجع ابنُ خازم إلى مرو.

وفيها تحركت الشيعة بالكوفة، وتعاهدوا على الطلب بدم الحسين عليه السلام(٤).

لمَّا قُتل الحسينُ رضي الله عنه، ورجع ابنُ زياد من معسكره بالنُّخَيلة إلى الكوفة؛ ندمت الشيعة على ما فعلوا، وعزموا على الطلب بثأر الحسين رضي الله عنه، وقالوا: كاتبناه وأقدمناه لننصره فخذلناه. ورأوا أنه لا يغسلُ عنهم الإثم والعار إلا أن يقتُلُوا قَتَلَتَهُ، أو يُقتلوا فيه.

فاتفقوا على أن يردُّوا أمرَهم إلى خمسة نفر ـ وكانوا رؤوس الشيعة ـ وهم: سليمان ابن صُرَد الخُزاعي، وكانت له صُحبة مع رسول الله ﷺ، والمسيَّب بن نَجَبَة، وعبد الله ابن سَعْد(٥) بن نُفَيل الأزدي، وعبد الله بن والي التيمي، ورِفاعة بن شدَّاد البَجَليّ.

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٥٤٥ـ٥٤٦ .

(٢) في (خ) (والكلام منها): رسول، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٤٨ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٥٥١ .

(٥) في (خ) (والكلام منها): سعيد. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٨ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٥٢ .

واجتمعوا في منزل سُليمان، وكانوا من خيار أصحاب عليّ عليه السلام، فبدأ المسيَّب بن نَجَبَة بالكلام، فحمد اللهَ وأثْنَى عليه، وكان من جملة كلامه أن قال:

أمَّا بعد، فإنَّا قد ابتُلينا بطُول العُمر والفتن، فنرغب إلى الله تعالى أن لا يجعلنا ممَّن يقول له غداً: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[فاطر: ٣٧]، فإن أمير المؤمنين قال: العُمر الذي أعذرَ اللهُ فيه إلى ابن آدم ستون سنة. وليس فينا رجل إلا وقد بلغَها، وقد ابتلانا اللهُ، فَوجَدَنَا كاذِبِين في نُصرة ابنِ بنتِ رسول الله ﷺ، فقد راسلناه وكاتبناه، ووعدناه نصرنا، ثم تخلَّينا عنه حتى قُتل إلى جانبنا، فلا نحن نصرناه بأيدينا، ولا خَذَّلْنا عنه بألسنتنا، ولا قوَّيناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصر من عشائرنا، فما عُذْرُنا عند ربِّنا وعند لقاء نبيِّنا ﷺ وقد قُتل بينَنا ولدُه وحبيبُه وذُرِّيتُه؟ لا والله، دون أن نَقتُل قاتليه والمؤلِّبين عليه، أو نُقتَل في طلب ذلك، عسى ربُّنا أن يرضى عنا، فولُّوا عليكم أيها القوم رجلاً منكم، فلا بدَّ من أميرٍ ترجعون إليه، ورايةٍ تحفُّون بها.

فقال له رِفاعة بن شدَّاد: إن الله قد هداك لأَصْوبِ القول، ودعوتَ إلى أرشد الأمور، وهو جهادُ الفاسقين، والتوبةُ من الذنب العظيم. وقلتَ: وَلُّوا أمركم رجلاً تفزعون إليه، فإنْ يكن أنتَ ذاك؛ تكن عندنا مَرْضياً، وإنْ رأيتَ ورأى أصحابُنا ولَّينا هذا الشيخَ أمرَ الشيعة، فإنه صاحبُ رسول الله ﷺ، وله السابقةُ والقِدَم - وأشار إلى سليمان بنِ صُرَد - فإنَّه المحمودُ في بأْسِه ودِينه، الموثوقُ بحَزْمه.

وقال عبد الله بن والي وعبدُ الله بنُ سعد بنحو ما قال رِفاعة، فقال المسيَّب بن نَجَبَة: أصبتُم ووُفِّقتُم، وأنا أرى مثلَ ما رأيتُم، فولُّوا أمرَكم سليمانَ بنَ صُرَد.

فتكلَّم سليمان، وكان من جمل كلامه:

إنَّا كنَّا نمدُّ أعناقَنا إلى قدوم آلِ نبيِّنا ﷺ، ونُمنِّيهم النصر، فلما قدموا؛ وَنَيْنا عنهم، وتَرَبَّصْنا عليهم، حتى قتل فينا وَلَدُ نبيِّنا ﷺ وسلالتُه وبَضْعَةٌ من لحمه ودمه، وجعل

يستصرخ فلا يُصْرَخ، ويستغيثُ فلا يُغاث، ويسأل النِّصْفَ[١] فلا يُعْطَى. واتخذه الفاسقون غَرَضاً للنَّبْل ودَوْم الرماح[٢] حتى أقصدوه، وعَدَوْا عليه فسلبوه. ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية[البقرة: ٥٤].

وذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى، ثم قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ الآية[الأنفال: ٦٠][٣].

ثم كاتبوا إخوانَهم: سعد بنَ حذيفة بن اليمان، وكان بالمدائن، وإلى المثنى بن مُخَرِّبة العَبْدي، وإلى جميع الأمصار، وأن يكون اجتماعهم بالنُّخيلة غُرَّةَ ربيع الآخِر سنة خمس وستين[٤].

فقال أبو مِخْنَف: كان بداية أمرهم في سنة إحدى وستين بعد مقتل الحسين عليه السلام، وكانوا يستعدون للحرب، ويجمعون الأموال والسلاح حتى هلك يزيد بنُ معاوية يوم الخميس لأربع عشرة مضت من ربيع الأول سنة أربع وستين، فكان بين مقتل الحسين ﷺ وهلاك يزيد ثلاث سنين وشهران وأربعةُ أيام. وكان عُبيد الله بن زياد بالبصرة، وعمرو بن حُريث خليفتُه بالكوفة، فاجتمعت الشيعة إلى سليمان بنِ صُرد وقالوا: قد مات هذا الطاغية والأمر الآن إلى ضعف، فإنْ شئتَ وثبنا على عمرو بنِ حُريث، فأخرجناه من القصر، وأظهرنا الطلب بدم الحسين، وقتلنا قَتَلَتَهُ. فقال سليمان: رويداً لا تعجلوا، فإنَّ قتلةَ الحسين هم أشرافُ أهل الكوفة وفرسانُ العرب، وهم المُطالَبون بدمه، ومتى علموا بما تريدون كانوا أشدَّ عليكم، فاثبتُوا حتى ننظر في هذا الأمر، ونبثَّ الدعاة، وتكثر الشيعة[٥].

وفيها ولَّى عبدُ الله بنُ الزُّبير عبد الله بنَ يزيد الخَطْمي الأنصاري الكوفة على حربها، وولَّى إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله الأعرج على خَرَاجها، فقدماها

---

(١) أي: الإنصاف.

(٢) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠ : ودريئة، وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٥٤ : ودريَّة للرِّماح.

(٣) أنساب الأشراف ٦/ ٢٨ـ٣٠ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٥٢ـ٥٥٤ .

(٤) في (خ) (والكلام منها): ربيع الأول سنة سبع وستين. والتصويب من المصدرين السابقين ٦/ ٣١ و٥/ ٥٥٦ .

(٥) ينظر «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٥٨ـ٥٥٩ .

لثمان بقين من رمضان، وقدم المختار بن أبي عبيد قبلهما بثمانية أيام، وكان قدوم الجميع من مكة[١].

ذكر قدوم المختار الكوفة:

كانت الشيعة تشتمُ المختار وتلعنُه وتُبغضه لِما كان منه في أمر الحَسَن بن عليّ عليه السلام وقوله لعمِّه: سَلِّم الحَسَن إلى معاوية[٢].

فلما قدم مسلم بنُ عقيل الكوفة أنزله المختار في داره وبايَعَه، ولما خرجَ قاتلَ معه، فلما غلب مال المختار[٣]...

وأخذه ابنُ زياد، فحبسه، وكانت صفيَّةُ أختُ المختار تحت عبد الله بنِ عُمر رضي الله عنهما، فدخلت عليه وبكت، وقالت: لا أرضى إلا بخلاص أخي، فإني أخافُ عليه من ابن مَرْجانة لا يقتلُه[٤].

فكتبَ ابنُ عمر رضي الله عنهما إلى يزيد بن معاوية بسببه، فكتب يزيدُ إلى ابن زياد أن أطلقْ المختارَ حين تنظُر في كتابي هذا، والسلام.

فلما وقف ابنُ زياد على الكتاب؛ أحضرَ المختار وقال له: قد أجَّلْتُك ثلاثاً، فإن وجدتُك بعدَها؛ فأنتَ أخبر.

وكان ابنُ زياد لما جيءَ به إليه ليلةَ خرجَ مسلم بنُ عَقيل؛ شَتَمَه وضربَه بقضيب فشَتَرَ عينَه[٥].

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣١-٣٢، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٠، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٢٤٢.

(٢) يعني لما طعن الجراحُ بنُ سنان الحَسَنَ بنَ عليّ رضي الله عنه في مُظْلِم ساباط (قرب المدائن)، وحُمل الحَسَنُ إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود (عمُّ المختار) من قِبَل علي رضي الله عنه، فأشار المختار على عمّه أن يبعث بالحسن إلى معاوية، فأبى عمُّه ذلك. ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٣٨٢.

(٣) كذا. وبعدها في (خ) (والكلام منها فقط) ما لفظه: «من داره وبايعه، ولما خرج قاتل معه». وهو كلام مكرر، وجاء في هامشها لفظة: كذا. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٩، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٩.

(٤) يعني أن يقتله.

(٥) أي: قلبَ جَفْنَها.

فلما انقضت الثلاث خرج المختار من الكوفة يريد مكة، فلقيَه ابن الغرق[١] ـ مولى لثقيف ـ من وراء واقصة، فلما رأى شَتَرَ عينِه استرجع وتوجَّع، وقال له: ما بال عينك؟! فقال: خبطني ابنُ الزانية بالقضيب، قتلني اللهُ إن لم أُقطِّعه إرْباً إرباً، فاحفَظْ عنّي ما أقول حتى تَرَى مصداقَه، إن الفتنة قد أَرْعَدَتْ وأبرقَتْ، وكانت[٢] قد أينعت، فوطئت في خِطامها، فإذا رأيتَ ذلك وسمعتَ بمكان قد ظهرتُ به، فوالله لآخُذنَّ بدم المظلوم الشهيد بالطُّفوف، واللهِ لأقتلنَّ بقتله عِدَّة القتلى التي قُتلت على دم يحيى بن زكريا. قال ابنُ الغرق: فقلت: هذه أعجوبة أعجبُ من الأولى. فقال: هو ما أقول لك، فاحفظه عني حتى تَرَى مصداقه. ثم ساق راحلته ومضى. فقلت في نفسي: هذا الأمرُ [الذي] يذكر أنه كائن؛ شيءٌ يحدِّثُ به نفسَه، وليس كلُّ ما يتمنَّاه الإنسان يكون. قال: فواللهِ ما مِتُّ حتى رأيتُ كلَّ ما قال قد كان.

قال ابن الغرق: فحدَّثتُ بذلك الحجَّاجَ بنَ يوسف، فضحك، ثم قال: فقد كان يقول أيضاً: ورافعةٍ ذَيْلَها، وداعيةٍ ويلَها، بدجلةَ أو حولَها.

قال: فقلتُ له: أترى هذا شيئاً يخترعُه، أو تخريصاً يخترصُه، أو هو من علم أوتيَه؟ فقال: والله ما أدري ما هذا الذي تسألُ عنه، ولكن للهِ درُّه! أيُّ رجلٍ ومِسْعَرِ حرب ومُقارِعِ أعداءٍ كان[٣]!

وقال عبَّاسُ بنُ سهل بنِ سعد: قدم المختار مكة، فأتى عبدَ الله بنَ الزبير وأنا عنده، فسلَّم عليه، فرحَّب به وقال له: يا أبا إسحاق، كيف تركتَ الناسَ بالكوفة؟ قال: هم لسلطانهم في العلانية أولياء، وفي السِّرِّ أعداء. فقال ابن الزُّبير: هذه صفةُ عبيد السوء؛ إذا رأَوْا أربابهم أطاعوهم، فإذا غابوا عنهم شتموهم.

ثم قال المختار لابن الزبير: ما تنتظرُ؟ مُدَّ يدك لنبايعَك، وأعطِنا ما يُرضينا، وثِبْ على الحجاز، فإنهم كلَّهم معك.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٧١ : ابن العرق. ولم أعرفه.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٧٢ : وكأنْ.

(٣) أنساب الأشراف ٦/ ٣٩ـ٤٠ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٦٩ـ٥٧٣ .ولفظة «الذي» بين حاصرتين منه.

ثم قام من عنده، فغاب عنه سنة، فسألني عنه فقال: هل عندك من المختار خبر؟ فقلتُ له: ما لي به عهد من يوم كان عندك، وقد قدم قوم من الطائف معتمرين، فسألتُهم عنه فقالوا: قدم علينا الطائف وهو يزعم أنه سيِّد[1] الجبَّارين. قال: قاتلَه الله، لقد انبعث كذَّاباً متكهِّناً، إن يُهلكِ اللهُ الجبَّارين فهو أحدُهم.

قال عباس: فواللهِ ما فرغنا من منطقنا حتى عَنَّ لنا المختارُ في طرف المسجد، فقال ابن الزبير: اذكُر غائباً تره. فأتى الكعبة، فطاف بالبيت، ثم صلَّى ركعتين عند الحِجْر، وجلس، فأطافَ به رجالٌ من معارفه من أهل الطائف، واستبطأ ابنُ الزبير قيامَه [إليه]، فقال لي: ما شأنُه، أترى ما يأتينا؟ فقلت: أنا أعلمُ لك علمه. فقمتُ إليه، فسلَّمتُ عليه، وجلستُ وقلت له: أين كنتَ؟ قال: بالطائف. فقلت: مثلك [يغيبُ] عن مثل ما اجتمعَ عليه أهلُ الشَّرف من قريش والأنصار وثَقِيف وغيرهم من القبائل على بيعة هذا الرجل! فهلَّا أتيتَه فبايعتَه، وأخذتَ بحظِّك من هذا الأمر؟ فقال: أما رأيتَني أتيتُه عامَ أوَّل، فأشرتُ عليه بالرأي، فطوى أمرَه عنّي؟ فأردتُ أن أُرِيَهُ أنِّي مستغنٍ عنه، واللهِ لهو أحوجُ إليَّ منِّي إليه.

قال: فأخبرتُ ابنَ الزبير، فقال: قُلْ له: ميعادُك الليلةَ عند الحِجْر. فاجتمعا، فسلَّم عليه ورحَّب به، وسكتا طويلاً، ثم قال له المختار، لا خير في الدنيا وفي الإكثار من المنطق، ولا في التقصير عن الحاجة، إني جئتُك لأبايعَك على أن لا تقضيَ الأمورَ دوني، وعلى أن أكونَ أوَّلَ من تأذن له، وإذا ظهرتَ استعنتَ [بي] على أفضلِ عملِك. فقال له ابن الزُّبير: أُبايعُك على كتاب الله وسنَّةِ نبيِّه ﷺ. فقال: مالي في هذا من الحظِّ إلا لمن هو أبعدُ الناس عنك[2]. واللهِ لا أُبايعك على هذا أبداً.

قال عبَّاس: فالتقمتُ أُذن ابنِ الزُّبير وقلت له: اشتر منه دينَه حتى ترى رأيَك. فقال له ابن الزُّبير: فإنَّ لك ما سألتَ. فبايعَه، وأقامَ معه حتى شهدَ الحصار الأول حين قدم الحُصين بن نُمير السَّكوني، وقاتلَ فأبلَى بلاءً حسناً، وكان في عصابة في نحو ثلاث مئة، وجعل ينادي: أنا المختار. فما كان يتوجَّه إلى طائفة من أهل الشام إلا كشفَهم.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٧٤: مبير، بدل: سيد. وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) عبارة الطبري ٥/ ٥٧٥: مالي في هذا الأمر من الحظّ ما ليس لأقصى الخلق منك.

وقاتل يوم تحريق الكعبة قتالاً عظيماً، وأقام عند ابنِ الزُّبير حتى هلك يزيد، وأقام خمسة أشهر بعد هلاك يزيد، فلما رآه لا يستعملُه؛ عزم على قصد الكوفة.

فقدم مكةَ هانىءُ بنُ أبي حيَّة الوادعي يريد العُمرة[1]، فلقيَه المختار، فسألَه عن الناس بالكوفة، فقال: قد اتَّسقوا على ابنِ الزبير إلا طائفةً من أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعُهم على رأيه أكل بهم الأرض. فقال المختار: أنا أبو إسحاق، أنا واللهِ أجمعُهم على رأي الحقّ، وألقى بهم[2] ركبان الباطل، وأقتلُ بهم كلَّ جبَّار عنيد. فقال هانىء: ويحك يا ابنَ أبي عُبيد! لا تُوضِع في الضلال، وليكن صاحبُهم غيرك، فإنَّ صاحبَ الفتنة أقربُ شيء أجلاً، وأسوأُ الناس عملاً. فقال المختار: ما أدعو إلى الفتنة، وإنما أدعو إلى الهدى والجماعة.

ثم ركب المختار رواحلَه، وسار إلى الكوفة، فلقيَه سَلَمَةُ بن مَرْثَد الهَمْداني بالقَرْعَاء[3] ـ وكان ناسكاً شجاعاً ـ فسأله المختار عن الناس، فقال: هم كغنم ضلَّ راعيها. فقال المختار: وأنا أُحْسِنُ رِعايتَها، وأَبلغُ نهايتَها. فوعظَه سَلَمة وقال له: اتَّق الله، فإنَّك ميِّت ومبعوثٌ ومُحاسَب.

فسار المختار حتى قدم الكوفةَ في شهر رمضان سنة أربع وستين، فلما قدم المختار وجدَ وُجوه الشيعة وأشرافَهم قد اجتمعوا على سليمان بن صُرد، فحسده وقال لهم: إني جئتكم من عند المهدي محمد بن الحنفيَّة وليّ الأمر، وأنا وزيرُه، وإن سليمان بن صُرَد لا خبرة له بالحروب، وليس بذي تجربة، وإنما يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلُكم[4].

ومازال حتى مالت إليه طائفة منهم، وأما رؤساؤهم فمع سليمان بن صُرد، لا يعدلون به أحداً.

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٧٧ : عمرة رمضان.

(٢) في المصدر السابق ٥/ ٥٧٨ : أجمعهم على مرّ الحق وأنفي بهم.

(٣) هو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المُغِيثة. وقبل واقصة إذا كان متوجهاً إلى مكة. «معجم البلدان» ٤/ ٣٢٥ .

(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٢_٤٣ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٠_٥٦١ و٥٨٠ .

قال: فخرجَ سليمان نحو الجزيرة، فقال عُمر بن سعد بن أبي وقاص وشَبَث بن رِبْعيّ ويزيد بن الحارث بن رُوَيْم لعبد الله بن يزيد الخَطْمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة[١]: إنَّ المختار أشدُّ عليكم من سليمان بن صُرد، لأن سليمان إنما خرج ليقاتل عدوَّكم، والمختار يريدُ أن يثبَ عليكم في مصركم، فاسجُنوه ليستقيم لكم الأمر.

فسار إليه عبد الله بنُ يزيد الخَطْمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة، فأحاطوا به وأخرجوه من داره، فقال إبراهيم لعبد الله: شُدَّه كِتافاً، ومَشِّه حافياً. فقال له عبد الله: هذا رجل ما ظهر لنا منه عداوةٌ ولا حرب، وإنما أخذناه على الظَّنّ، فلا أشدُّه كِتافاً ولا أُمشِّيه حافياً. فقال إبراهيم للمختار: يا ابنَ أبي عُبيد، ما هذا الذي يبلغُنا عنك؟ فقال المختار: أمَّا ما بلغك عنّي فباطل، وأعوذ بالله من غِشٍّ كغِشِّ أبيك وجدِّك.

فأركبوا المختار على بغلةٍ له دهماء، فقال إبراهيم لعبد الله: ألا تقيِّدُه؟ فقال: كفى بالسجن قيداً. فقال: أمَا [وربِّ البحار، و] النخيل والأشجار، والمَهَامِهِ والقِفار، والملائكة الأبرار، والمصطَفَيْنَ الأخيار، لأقتلنَّ كلَّ جبَّار بكلِّ لَدْنٍ خَطَّار، ومهنَّدٍ بتَّار، في جموعٍ من الأنصار، ليسوا بأغمار ولا أشرار[٢]، حتى إذا أقمتُ عمود الدين، وشَفَيْتُ غليل صدور المسلمين والمؤمنين، وأدركتُ بثأر النبيِّين؛ لم يكبُر عليَّ زوالُ الدنيا، ولم أَحْفَل بالموت إذا أتى.

فكان يَسْجَعُ لأصحابه من هذا السَّجْع وأمثالِه[٣].

وأتى يزيد بن الحارث بن رُوَيْم الشَّيباني إلى عبد الله بن يزيد الخَطْمي فقال له: إنَّ الناس يتحدَّثون أن الشيعة خارجةٌ عليك مع سليمان بن صُرد، ومنهم طائفة قليلة مع المختار، والمختار يتربَّص بخروجه ما يؤول إليه أمرُ ابنِ صُرَد، فإن رأيتَ أن تجمعَ الشُّرَط والمقاتلة، ثم تنهضَ إليهم فتقاتلَهم. فقال عبد الله: إن قاتلونا قاتلناهم، وإن

---

(١) سلف ص٢٦٧ أن عبد الله بن يزيد الخطمي أمير الكوفة على حَرْبها من قِبَل ابن الزبير، وإبراهيم بن محمد ابن طلحة أميرها على الخَراج. وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨٠-٥٨١ .

(٢) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨١ : ليسوا بميل أغمار، ولا بعُزل أشرار.

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٢-٤٣ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨٠-٥٨٢ . وما سلف بين حاصرتين منهما.

تركونا لم نطلبهم. وقال: ما الذي يريدون؟ قال: يذكرون أنهم يطلبون بدم الحسين. فقال: فأنا قتلتُ الحسين؟! لعنَ الله قاتلَ الحسين.

وكان سليمان بن صُرَد وأصحابُه يريدون [أن] يثبوا بالكوفة، فصَعِدَ عبدُ الله المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمَّا بعد، فقد بلَغَني أن طائفةً من أهل المصر يُريدون الخروج علينا، فسألتُ عن السبب، فذُكر لي أنهم يطلبون بدم الحسين بنِ عليّ، فرحم الله هؤلاء القوم، فقد دُلِلْتُ على أماكنهم، وقيل لي: ابدأ بهم قبل أن يبدؤوا بك. فأبيتُ ذلك وقلتُ: إنْ قاتلوني قاتلتُهم، وإن تركوني لم أطلبهم، وعلامَ يُقاتلونني؟! فوالله ما أنا قتلتُ حسيناً! فلعنَ اللهُ قاتلَه، وهؤلاء القوم آمنون، فليخرجوا ظاهرين، ثم ليسيروا إلى قَتَلَةِ الحسين رحمه الله، وأنا لهم على قاتله ظهير ومعين. وهذا ابنُ زياد قاتلُ الحسين وقاتلُ أماثلكم وخِيارِكم قد توجَّه إليكم، فاسْتَعِدُّوا له[1]، فهو أولى من أن يقتل بعضُكم بعضاً ويسفك بعضكم دمَ بعض، فيلقاكم وقد رَقَقْتُم[2]، وتلك أمنيَّةُ عدوِّكم.

فقام إبراهيم بنُ محمد بن طلحة، فقال: أيُّها الناس، لا يغرَّنَّكم كلامُ هذا المداهن الموادع، واللهِ لئن خرجَ علينا خارجٌ لَنقتلنَّه[3]، ولئن تيقَّنَّا أنَّ أحداً خارجٌ علينا لنأخذنَّ الوالد بولده، والمولودَ بوالده، والحميم بحميمه، حتى تدينوا للحق وتَذَلَّلُوا للطاعة.

فقام المسيَّب بنُ نَجَبة، فقطع عليه كلامَه وقال: يا ابن الناكثين، أنت تهدِّدُنا بسيفك وغَشْمك[4]. واللهِ [إني لأرجو ألا يخرجك الله من] بين ظهراني هذا المصر حتى يُثَلِّثُوا بك أباك وجدَّك. وأمَّا أنت أيُّها الأمير؛ فقد قلتَ قولاً رشيداً، والله إني أظنُّ من[5] يريدُ هذا الأمر مستنصحاً لك، وقابلاً قولَك.

---

(١) في (خ) (والكلام منها): فاستعدُّوا أمثاله (؟). وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٢ .

(٢) في (خ): وقفتم. والمثبت من المصدر السابق.

(٣) في (خ): ليقتلنا. والمثبت من المصدر السابق.

(٤) الغَشْم: الظلم والغَضَب. ووقع في (خ): وبجسمك! والتصويب من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٢ ، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٥) في (خ): أظنُّ أنَّ من. والمثبت من المصدر السابق، من أجل قوله بعده: مستنصحاً . . .

فقال إبراهيم: إي واللهِ ليُقتلَنَّ، وقد داهن[(١)] ثم أعلن.

فقام عبد الله بن والي التَّيْمي فقال: يا أخا بني تيم[(٢)] بنِ مُرَّة، ما اعتراضُك بينَنا وبين أميرنا، إنَّما أنت أميرُ جِزْيَةٍ وخَراج، ولست بأميرنا ولا سلطانَ لك علينا، فأَقْبِلْ على جِزْيتك وخَراجك، فواللهِ ما أفسدَ أمر هذه الأمةِ إلا والداك[(٣)] الناكثان، فعاد عليهما شؤم ذلك، وكانت عليهما وعلى الناكثين دائرة السُّوء.

فغضب جماعةٌ من أصحاب إبراهيم بن محمد، وغضبت الشيعة، فتخاصموا، ونزل عبدُ الله من المنبر، فقال إبراهيم: داهن الخَطْميُّ أهلَ الكوفة، واللهِ لأكتبنَّ بذلك إلى ابن الزُّبير.

وبلغ الخَطْميَّ، فدخل عليه وقال: واللهِ ما أردتُ بما قلتُ إلا العافيةَ، وإصلاحَ ذات البَيْن، وإطفاءَ النائرة. فقبل إبراهيمُ ذلك منه.

وأقبلت الشيعةُ يتجهَّزون ويشترون السلاح ظاهرين لا يخافون.

وفيها فارقت الخوارجُ عبد الله بنَ الزُّبير، وكانوا قد اجتمعوا عنده يحمون الكعبة، ويقاتلون أهلَ الشام، وكان عُبيد الله بن زياد لما قَتلَ الخوارجَ تفرَّقوا في البلاد، واجتمعوا إلى نافع بن الأزرق، وقالوا له: قد هلك الطاغية يزيد، وأقام ابنُ الزُّبير عائذاً بالبيت، فماذا ترى؟ قال: سيروا بنا إليه، فإن كان على رأينا جاهدنا معه عدوَّه، وإن لم يكن على رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا، ونظرنا بعد ذلك في أمرنا.

فقدموا على ابن الزبير فسُرَّ بهم، وسألوه، فقال: أنا على مثل رأيكم. وأعطاهم الرِّضى من غير توقيف. فقاتلوا معه حتى مات يزيد بنُ معاوية ورجع أهل الشام عن مكة، فقال بعضهم لبعض: قد زعم أنه على رأيكم، وإنما كان أمسِ يُقاتلكم هو وأبوه وينادون: يا لثارات عثمان. فاسألوه عن عثمان، فإن برئَ منه؛ فهو منكم، وإن أبى؛ فهو عدوُّكم.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٦٢ : أدهن.

(٢) في (خ) (والكلام منها): سمرة، بدل: بني تيم! والمثبت من المصدر السابق.

(٣) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٦٣ : والدك وجدُّك.

فمشَوا إليه وقالوا: أيها الإنسان، إنَّا قاتَلْنا معك ظنّاً أنَّك على رأينا، ولم نبحث معك، فأخْبِرْنا عن رأيك في عثمان. فنظر؛ فإذا حولَه من أصحابه قليل، فقال لهم: موعدُكم العشيَّة لأُخبركم من ذلك بما تريدون.

فانصرفوا، فأمر أصحابَه بلبس السلاح، وأن يأتوه العشيَّة، ففعلوا، وجاءت الخوارج، فرأوا أصحابه حوله سِماطَيْن[1]، وعليهم السلاح، وجماعة من عنده وأشراف أصحابه قيام على رأسه بالأعمدة، فلما رأَوْا ذلك قال نافع بن الأزرق لأصحابه: خشيَ واللهِ غائلتكم، وقد أزمعَ على خلافكم فاستعدَّ لكم.

فدنا منه نافع وقال له: يا ابنَ الزبير، اتَّقِ ربَّك، وأبغضِ الجائر[2] المستأثر الذي أوَّل مَنْ سنَّ الضلالة، وأحْدَثَ الأحداث، وخالفَ حكم الكتاب، وإن خالفتَ فأنتَ من الذين استمتعوا بِخَلَاقهم.

ثم قال: قُم يا عبيدة بن هلال، فَصِفْ لهذا الإنسان أمرَنا الذي نحن عليه، وندعو إليه الناس. وكان عبيدة من الفصحاء.

فتقدَّم فخطبَ خطبةً بليغة؛ ذكرَ فيها سيرةَ رسول الله ﷺ والخليفتين بعدَه، ثم قال:

فقام عثمان فحمى الأحماء، وآثر الأقرباء، واستعمل الفتيان، وآوى طريد رسول الله ﷺ، وأحرقَ الكتاب، وخالف السنن، وفعل ما فعل، فسارت إليه طائفةٌ من المسلمين؛ أخذ الله ميثاقَهم على طاعته؛ لا يخافون في الله لَوْمَةَ لائم، فقتلوه، فنحن لهم أولياء، ومن ابنِ عفَّان وأوليائه بُرَآء، فما تقول أنتَ يا ابنَ الزُّبير؟

فحمد اللهَ ابنُ الزبير، وصلَّى على رسوله ﷺ، ثم قال: قد علمتُ ما وصفتَ به رسولَ الله ﷺ والخليفتين بعدَه، فلقد وُفِّقتَ وأصبتَ. وأمَّا ابنُ عفَّان؛ فإني لا أعلمُ أحداً من خلق الله أعلمَ بمكانه وأمرِه منِّي، فإني كنتُ معه حين نَقَمُوا عليه واستَعْتَبُوه، وقد أجابَ عن جميع ما نَقَمُوا به، فما سمعوه منه، وقتلوه، وإنَّني وليُّ مَنْ والاه، وعدوُّ مَنْ عاداه.

---

(١) السِّماط: الصف.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٦٥ : الخائن.

فقالت الخوارج: فبرىء اللهُ منك يا عدوَّ الله. قال: وبرىءَ اللهُ منكم يا أعداء الله.

ثم تفرَّقوا في البلاد، فبعضُهم تولّى البصرة، وبعضُهم اليمامة، وبعضهم هَجَر، وكانوا زيادةً على عَشَرة آلاف، ورؤساؤهم نافع بنُ الأزرق الحنظليُّ، وعبدُ الله بن صفَّار السَّعْديّ من بني صَرِيم بن مُقاعس، وعبدُ الله بن إباض، وحنظلة بن بَيْهس، وأبو طالوت من بني زِمَّان[(١)]، وغيرهم، ثم خرجوا بعد ذلك على الأمراء.

وسنذكر ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وفيها هدم ابنُ الزُّبير الكعبة وبناها:

لمّا ارتحل الحُصين بن نُمير عن مكة لخمس ليالٍ خلون من شهر ربيع الأوَّل، سنة أربع وستين أمرَ عبدُ الله بنُ الزُّبير بتلك الأخصاص[(٢)] التي حول الكعبة فهُدمت، فبَدَتِ الكعبةُ، وكَنسَ المسجدَ، وأزالَ ما فيه من الحجارة والدِّماء.

وقد وهت الكعبة من أعلاها إلى أسفلها من حجارة المنجنيق، فإذا الرُّكن قد اسودَّ واحترق من النار التي كانت حول الكعبة.

فشاورَ ابنُ الزبير الناس في هدمها وإعادة البناء، فأشار عليه جابرُ بن عبد الله وعُبيد ابن عُمير وغيرُهما بذلك، وأبى عليه عبد الله بنُ عبَّاس وقال: أخشى أن يأتي بعدك من يهدمُها، فلا تزال تُهدمُ حتى يتهاونَ الناسُ بحرمتها، إنه قد فَرَقَ[(٣)] لي فيها رأيٌ، أرى أن تُصلحَ ما وَهَى منها، وتدعَ بيتاً أسلمَ الناسُ عليه، وأحجاراً بُعث رسولُ الله ﷺ عليها. فقال ابنُ الزُّبير: لو أنَّ أحدَكم احترقَ بيتُه، ما رضيَ حتى يجدِّدَه، فكيف ببيت ربِّكم؟! إني مستخيرٌ ربي ثلاثاً، ثم عازمٌ على أمر.

---

(١) في (خ) (والكلام منها): مازن. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٦.

(٢) جمع الخُصّ، وهو البيت من شجر أو قصب، ويجمع أيضاً على خِصاص. وينظر «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٢١٦.

(٣) أي: بدا وظهر. وذكر ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٤٤٠ أنه يقال: فُرِق، على ما لم يُسمَّ فاعلُه. اهـ. وهذا الحرف في «صحيح» مسلم (١٣٣٣): (٤٠٢). وينظر «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٢١٦-٢١٧، و«البداية والنهاية» ١١/ ٦٩١.

فما مضت الثلاث حتى اجتمع رأيُه على نقضها، فتحاماه الناسُ خوفاً أن ينزلَ عليهم من السماء أمر.

ثم صَعِدَه رجلٌ، فألقى منه[١] حجراً، فلما رأى الناسُ أنه لم يصبه [شيء] تتابعوا على نقضه، فنقضوه حتى بلغوا به الأرض.

ثم حفر الأساس، فوجدوا أصلاً بالحِجْر مشبَّكاً كأصابع[٢] اليدين، فدعا عبد الله ابنُ الزبير خمسين رجلاً من قريش وأشْهَدَهُم على ذلك، وجعل الحَجَر في تابوت في سَرَقَةٍ[٣] من حرير، ثم بنى البيت، وأدخل الحِجْرَ فيه، وجعلَ للكعبة بابين موضوعين بالأرض، بابٌ يُدخل منه، وبابٌ يُخرج منه بإزائه[٤]، وقال: إن عائشةَ حدَّثَتْني أنَّ رسول الله ﷺ قال لها: «إنْ أرادَ قومُك أن يَبْنُوا البيتَ على ما كان عليه على عهد إبراهيم فليفعلوا»[٥].

قال: فأرَتْني عائشةُ الذي أراها رسولُ الله ﷺ، فكان عندي مذروعاً حتى ولِيتُ هذا الأمر، فلم أعْدُ به ما قال رسول الله ﷺ. فرأى الناس يومئذ أنه قد أصاب حتى بلغ موضع الركن الأسود؛ فوضعه بيده، وشدَّه بفضَّة؛ لأنه كان قد انصدع، ثم ردَّ الكعبة على بنائها، فجعلها سبعة وعشرين ذراعاً، ولَطَّخَ جُدُرَها بالمسك، وسَتَرَها بالدِّيباج.

ثم اعتمر من خيمة حمامة[٦]، وهي عند مساجد عائشة رضوان الله عليها، ثم طاف بالبيت وصلَّى وسعى.

ولمَّا ألحقها بالأرض جعل أعمدةً، فستر عليها ستوراً حتى ارتفع البناء[٧].

---

(١) في (خ) (والكلام منها): فألقى عليه منه!

(٢) الكلمة غير واضحة في (خ). والمثبت من «البداية والنهاية» ١١/ ٦٩٢.

(٣) السَّرَقَة: واحدة السَّرَق، وهي شُقَق الحرير الجيِّد. وتحرفت اللفظة في (خ) إلى: خرقة. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٨٧.

(٤) في «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٢٠٧: وجعلَ البابَ الآخر بإزائه في ظهر الكعبة مقابله.

(٥) هو بنحوه من حديث مسلم (١٣٣٣) المشار إليه قريباً.

(٦) كذا في (خ). وفي «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٢٢٠: جمانة.

(٧) أي: رفَعَ الأعمدةَ وجعل عليها الستور ليستقبلها المصلُّون ريثما يرتفع البناء. وكان من الأنسب أن ترد هذه الفقرة أثناء كلامه عن البناء.

قال يزيد بن رُومان: شهدتُ [ابنَ] الزُّبير حين هَدَمَ البيت وبناه، وأدخلَ فيه من الحِجْر، وقد رأيتُ أساسَ إبراهيم حجارة كأسنمة البُخْت. قال جرير بن حازم: فقلتُ ليزيد بن رُومان: أين موضعُه؟ قال: أُرِيكَهُ الآن. فدخلتُ معه الحِجْر، فأشارَ إلى مكان، وقال: ههنا. فَحَزَرْتُ من الحِجْرِ ستَّةَ أذرع، أو نحوها[١].

وقال عبد الله بن الزُّبير ﵄: قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «لولا أنَّ الناسَ حديثُ عهدٍ بكفر، وليس عندي من النفقة ما أتقوَّى به على بنيانه؛ لكنتُ أُدْخِلُ فيه من الحِجْرِ خمسة أذرع». وذكر الحديث.

ثم قال ابن الزبير: فأنا اليوم أجدُ ما أُنفق، ولستُ أخافُ الناس. فزاد فيه خمسةَ أذرع من الحِجْر، حتى إذا بدا الأساس[٢] نظر الناسُ إليه، فبنى البناء. وكان طولُ الكعبة ثمانيةَ عشرَ ذراعاً[٣]. فلما زاد فيه استقصره، فزاد في طوله عشرة أذْرُع، وجعل له بابين.

فلمَّا قُتل ابنُ الزُّبير كتبَ الحجَّاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك، وأنَّ ابنَ الزُّبير قد وضع البناءَ على أساسٍ نظر إليه العُدُول من أهل مكة، فكتب إليه عبدُ الملك: لسنا من تلطيخ ابنِ الزُّبير في شيء، أمَّا ما زاد في طوله، فأقرَّه، وأمَّا ما زاد من الحِجْر، فرُدَّه إلى بنائه، وسُدَّ الباب الذي فتحه. فنقضَه الحجَّاج، وأعاده إلى بنائه.

[و] بينا عبدُ الملك يطوفُ بالبيت إذ قال: قاتلَ اللهُ ابنَ الزُّبير حيث يكذبُ على أمِّ المؤمنين حيث يقول: سمعتُها تقول كذا وكذا. فقال له الحارث بنُ عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي: لا تَقُلْ هذا يا أمير المؤمنين، فأنا سمعتُها تُحدِّثُ هذا. فقال عبد الملك: لو كنتُ سمعتُه قبلَ أن أهدمه لتركتُه على ما بنى [ابنُ] الزبير[٤].

---

(١) صحيح البخاري (١٥٨٦).

(٢) في «صحيح» مسلم (١٣٣٣): (٤٠٤): حتى أبدى أُسّاً.

(٣) في «صحيح» مسلم: ثماني عشرة ذراعاً. والذراع يذكَّر ويؤنّث.

(٤) صحيح مسلم (١٣٣٣): (٤٠٢)، والذي قبله فيه برقم (٤٠٢).

ولما أراد ابنُ الزُّبير هَدْمَ الكعبة وبناءها أرسل إلى اليمن أربعة آلاف بعير تحملُ الوَرْس ليجعله مَدَرَها، فقيل له: إن الوَرْس يَرْفَتُّ. فقَسَمه في عجائز قريش، وبناها بالقَصَّة، [وكان في المسجد جراثيم، فقال: أيُّها الناس، ابْطَحُوا به[١].

ومعنى يَرْفَتُّ، أي: يتفتَّت، والقَصَّة معناها الجَصّ. والجراثيم: تراب وطين يعلو على وجه الأرض. وابْطَحُوا، أي: سَوُّوا. وأراد ابن الزُّبير تعديل المسجد[٢].

وقال الجوهري: الوَرْسُ نَبْتٌ أصفر يكون باليمن، تتَّخذُ منه الغُمْرَةُ للوجه، ووَرَّسْتُ الثوبَ توريساً: صبغتُه بالوَرْس][٣].

وحجَّ بالناس عبد الله بنُ الزبير رضي الله عنهما، وكان على المدينة عُبيدة بن الزُّبير، وعلى الكوفة عبدُ الله بنُ يزيد الخَطْميّ.

وكان شُريح القاضي على الكوفة، فامتنع في هذه السنة من القضاء وقال: لا أقضي في أيام الفتنة. فوليَ قضاءها سعدُ[٤] بنُ نِمْران.

وكان على ولاية البصرة عُمر بن عُبيد الله بن معمر التَّيْميّ.

قالوا: وفي هذه السنة وقع الطاعون الجارف بالبصرة، مات في اليوم الأول سبعون ألفاً، وفي اليوم الثاني تسعون ألفاً[٥]، وفي اليوم الثالث ثلاثة وتسعون ألفاً[٦]، وفي اليوم الرابع جميعُ الناس إلا القليل، وكانوا يَسُدُّون باب الدار على أهلها.

وماتت أمُّ الأمير عُمر بن عُبيد الله بن معمر، فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أعلاجاً، فحملوها إلى قبرها. فيقال: إنهم ماتوا عند قبرها[٧].

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ١٥٧ ، ونُسب الخبر في (م) إليه. والكلام بين حاصرتين منها. قوله: مَدَرَها، أي: طينها. وسيرد معنى الكلام.

(٢) قال ابن قتيبة: إنما أراد أن المسجد كان متعلّياً غير مستوي الأرض، ففيه مواضع قد عَلَتْ، ومواضع قد تحفَّرت، فأمرهم أن يَبْطَحُوا، أي: يُسَوُّوا الأرض بالبطحاء.

(٣) الصحاح (ورس). والكلام بين حاصرتين من (م).

(٤) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٨٢ : سعيد.

(٥) في «المنتظم» ٦/ ٢٥ : واحد وسبعون ألفاً.

(٦) في المصدر السابق: ثلاثة وسبعون ألفاً.

(٧) ينظر إضافة إلى المصدر السابق: أنساب الأشراف ٤/ ٤٧٣ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٦١٢-٦١٣ .

وقيل: إن الطاعون الجارف كان في أيام عبد الملك بن مروان.

وكان على قضاء البصرة هشام بن هُبيرة، وعلى خُراسان عبد الله بنُ خازم أميراً، والكلُّ من قِبَل ابن الزُّبير.

وفيها توفي ·

جابرُ بن سَمُرة

ابن جُنادة السُّوائي[١]، وجدُّه جُنادة صحبَ رسول الله ﷺ[٢]، وروى عنه أيضاً، وكذا جابر، وكنيةُ جابر أبو عبد الله. وقيل: أبو خالد.

أسند جابر الحديث عن رسول الله ﷺ.

ربيعة بن عَمرو

ابن الغاز الجُرَشي له صحبة، وكان قاضي معاوية على الأرباع، وكان يقصُّ على الناس، وكان فقيهاً.

وقُتل مع الضحَّاك بن قيس في مَرْج راهط[٣].

زِمْل بن عَمرو

ابن العِتْر بن خَشَّاف العُذْري[٤]، من الطبقة الرابعة من الصحابة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٠٦ و٨/ ١٤٦ . وقال: توفي بالكوفة في أول خلافة عبد الملك بن مروان في ولاية بشر ابن مروان على الكوفة. اهـ. ونسبه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ص ١١٦ : جابر بن سمرة بن عمرو، وقال: توفي سنة ست وستين في أيام المختار بن أبي عبيد. وعدَّه المِزّي في «تهذيب الكمال» ٤/ ٤٣٩-٤٤٠ وهماً. وذكر ابن حبان في «مشاهير علماء الأمصار» ص ٤٧ ، و«الثقات» ٣/ ٥٢ أنه مات سنة (٧٤).

(٢) كذا وقع في (خ) (والكلام منها). وهو وهم غالباً، فلم يُذكر جدُّه جُنادة في الصحابة، وإنما لجابر ولأبيه سَمُرة صحبة. روى الجماعة لجابر، وروى لأبيه سَمُرة: البخاريُّ ومسلم وأبو داود والترمذي. ينظر «تهذيب الكمال» ٤/ ٤٣٧ و١٢/ ١٢٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٤١ ، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٨٠ ، ومرج راهط: موضع شرقي دمشق بعد مرج عذراء، وسلف ذكر الواقعة.

(٤) ينظر «توضيح المشتبه» ٣/ ٤٢٩ .

وفد على رسول الله ﷺ، وكتب له كتاباً، وعقدَ له لواءً، [و] شهد [به] صفِّين مع معاوية، وشهد المَرْج(١) مع مروان، وقتل في ذلك اليوم.

وكان [مع] مروان بالجابية، وهو أحد شهود التحكيم من جانب معاوية، وأقطعه داراً بباب توما.

ولما قدم زِمْل على رسول الله ﷺ أنشده:

إليك رسولَ الله أعملتُ نَصَّها ... أكلِّفُها حَزْناً وقَوْزاً من الرَّملِ(٢)
لأنصرَ خيرَ الناسِ نصراً مؤزَّراً ... وأعقدَ حبلاً من حبالك في حَبْلي
وأشهد أنَّ الله لا شيءَ غيرُه ... أدينُ بها ما أثقلت قدمي(٣) نعلي

الضحَّاك بن قيس

ابن خالد الأكبر بن وَهْب بن ثعلبة بن واثلة بن عَمرو بن شيبان بن مُحارب بن فِهْر، أبو أُنَيْس، من الطبقة الخامسة، ممن مات رسول الله ﷺ [وهم أحداث الأسنان](٤) وسمع منه وصحبَه شيئاً يسيراً.

وكان فقيهاً، وقُبض رسول الله ﷺ وهو غلام لم يبلغ(٥). وليَ الضحاك الكوفة لمعاوية سنة أربع وخمسين، وعُزل عنها سنة سبع وخمسين(٦).

---

(١) في (خ) (والكلام منها): شهد صفّين مع معاوية وشهد به المَرْج. وأثبتُّ لفظ تاريخ دمشق ٦/ ٤٤٠ (مصورة دار البشير)، وهو بنحوه في طبقات» ابن سعد / ٤٤٠ .

(٢) النَّصُّ من الشيء: منتهاه، والحَزْن من الأرض: ما غلُظ، والقَوْز: العالي من الرَّمْل.

(٣) في (خ) (والكلام منها): من دمي. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦/ ٤٤٠ .

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٤٣ . وما بين حاصرتين لابدَّ منه لإتمام الكلام.

(٥) ينظر «مختصر تاريخ دمشق ١١/ ١٣١ . ونُسب الكلام في (م) للواقدي. وجاء الكلام السالف فيها مختصراً، وجاء فيها في هذا الموضع: وقال ابن عساكر: صحب النبيَّ ﷺ شيئاً يسيراً. قال: وقيل: لا صحبة له. والأصح أن له صحبة.

(٦) نُسبت هذه الفقرة في (م) للزبير بن بكّار، وجاء فيها بعد ذلك قوله: ووليَ مكانه عبد الرحمن بن أم الحكم. وينظر «تاريخ» خليفة ص ٢٢٣ و٢٢٤ ، و«ثقات» ابن حبان ٣/ ٥٤ ، فقد ذكر أن مدة ولاية الضحاك سنتان ونصف.

ثم ضمَّه معاويةُ إلى الشام، فكان معه حتى مات معاوية ويزيد[١] ووثب مروان على الشام.

وشهد صفِّينَ مع معاوية، وكان على أهل دمشق وهم في القلب، وكانت له دار بدمشق في حجر الذهب ممَّا يلي حائط المدينة مشرفة على بردى.

[وخرج إلى المَرْج فقُتل، والله أعلم][٢].

وأسند الحديثَ عن رسول الله ﷺ؛ قال الإمام أحمد بن حنبل ﵁: حدثنا عفَّان ابن مُسلم، حدثنا حمَّاد بنُ سَلَمة، حدثنا عليُّ بن زيد، عن الحسن قال: لمَّا مات يزيد ابن معاوية كتب الضحَّاك بنُ قيس إلى قَيْس بن الهيثم: سلامٌ عليك، أمَّا بعد، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم[٣]، يموت فيها قلبُ الرجل كما يموتُ بَدَنُه، يُصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، يبيعُ أقوامٌ دينَهم وخَلاقَهم بعَرَضٍ من الدنيا قليل»[٤]. وإنَّ يزيد بن معاوية قد مات، وأنتم إخوانُنا وأشقَّاؤُنا، فلا تسبقونا حتى نختار لأنفسنا[٥].

وروى عن الضحَّاك جماعة من الصحابة، منهم معاوية، وكان معاوية أكبرَ منه، فقال: حدَّثني الضحاك - والضحاك جالس عند المنبر - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال على الناس والٍ من قريش»[٦].

وروى عن الضحَّاك جماعةٌ من التابعين، منهم: أبو إسحاق السَّبيعيّ، وتميم بن طَرَفة، والشَّعبي، وميمون بن مِهْران، وسِمَاك بن حَرْب، وعبد الملك بن عُمير، وغيرهم.

فوَلَدَ الضحَّاك عَمْراً، وأمُّه من بني عوف بن حرب. ومحمداً وعبدَ الرحمن؛ أمُّهما ماويَّة بنت يزيد بن جَبَلَة، كَلْبِيَّة. وحبيباً، وأمُّه أمُّ عبد الله بنتُ عروة.

---

(١) كذا ولعلَّ صواب العبارة: فكان فيها حتى مات معاوية بنُ يزيد... الخ. أو أنَّ ثمة سقطاً وقع..

(٢) ينظر المصدر السابق. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٣) بعدها في «مسند» أحمد (١٥٧٥٣): فتناً كقطع الدُّخان.

(٤) لفظة «قليل» ليست في «المسند». وذكره محقِّقوه أن المرفوع من الحديث صحيح لغيره.

(٥) أخرجه أيضاً ابن سعد ٦/ ٥٤٣ عن عفَّان بن مسلم بهذا الإسناد.

(٦) أخرجه ابن عساكر ٨/ ٤٠٩.

وأختُ الضحَّاك فاطمةُ بنتُ قيس روت حديث الجسَّاسة[١]، وزوَّجها رسولُ الله ﷺ أسامَةَ بنَ زيد، وحديثُها في الصحيح، وكانت من المهاجرات الأول ذات عقل وجمال، وكانت أكبرَ من الضحاك بعشر سنين.

روى عنها أبو سَلَمة بنُ عبد الرحمن، والشعبيُّ، والنَّخَعيُّ[٢]، وغيرُهم[٣].

عثمان بن عَنْبَسة بن أبي سفيان

أُمُّه زينب بنت الزُّبير بن العوَّام، وأُمُّها أمُّ كلثوم بنتُ عقبة بن أبي مُعَيْط.

وهو الذي تَمَّمَ صلاة الوليد بنِ عُتْبة على معاوية بن يزيد[٤].

وقالت له بنو أمية عند موت معاوية بن يزيد: هلُمَّ إلينا نُبايعْك بالخلافة. قال: على أن لا أُحاربَ أحداً. قالوا: لا. قال: فأنا ذاهب إلى خالي عبد الله بنِ الزبير. فقال له مروان: هذه ساعةُ أعمام لا ساعةُ أخوال.

ثم خرج إلى مكة إلى خاله ابنِ الزبير، فجفاه لأجل بني أمية. وأقام أياماً، فمرض وتوفي بمكة، فحملَه ابنُه إلى الطائف، فدفنَه عند قبر أبيه عَنْبَسة بن أبي سفيان[٥].

وكان عثمان أقام عند خاله عبد الله بن الزُّبير إلى يوم المَرْج، فخرج إلى قتال مروان، وحمل على ألف دابة، فلما قُتل الضحاك انهزم عثمان إلى خاله ابن الزبير، فأرسل إليه يقول: إن بأصحابي حاجة، فبعث إليه بمئة مُدٍّ برّ، ومئة مُدٍّ شعير. فأرسل إليه عثمان يقول: أحملُ على ألف دابَّة في قتال قومي، وتبعثُ لي بهذا؟! واللهِ لا كلَّمتُك أبداً. وقال:

بأيِّ بلاءٍ أو بأيَّةِ نعمةٍ تبعتُ بني العوَّام دون بني حربِ
أأختارُ[٦] أذْواداً كراماً صحائحاً بعاريةِ الأصلاب مُجْدِبةٍ[٧] جَرْبِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) يعني الأسود بن يزيد النَّخَعي، كما في «تهذيب الكمال» ٣٥/ ٢٦٤ .

(٣) ينظر المصدر السابق، و«طبقات» ابن سعد ١٠/ ٢٥٩ ، و«الاستيعاب» ص ٩٢٩ .

(٤) سيرد هذا الخبر في ترجمة معاوية بن يزيد بعد ثلاث تراجم.

(٥) «تاريخ دمشق» ٤٧/ ١٣ و١٦ . (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عثمان بن عنبسة).

(٦) في «تاريخ دمشق» المجلَّدان ٣٥ ـ ٣٦/ ٥٩١ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عبد الله بن عثمان بن عنبسة): أأُتبع.

(٧) اللفظتان: بعارية، مجدبة، من المصدر السابق. إذ لم تتبيّن لي في (خ) (والكلام منها). وينظر معجم الشعراء» للمرزباني ص ٣٤٦ ، ففيه رواية أخرى للشعر.

واستحيى عثمان من الرجوع إلى بني أمية، فأقام بمكة، فلما احتُضر قال لابنه عبد الله: يا بُنيّ، الحَقْ بقومك، فإن أباك لم يغتبط بفراقهم.

وأوصى إلى خالد بن يزيد بن معاوية وهو بالشام. ولما مات عثمان خرج ولده عبد الله إلى الشام، فأدخله خالد على عبد الملك، فلمَّا رآه قال: لا رحم الله أباك، ولا جَبَر يُتْمك، واللهِ لا أدعُ لك بيضاءَ ولا صفراء ولا خضراء إلا قبضتُها.

فجمع الغلامُ رداءه، ثم رمى به في وجه عبد الملك [ثم قال: اقبض هذا أولاً. وخرج حاسراً، فقال عبد الملك] لابنه الوليد: يا وليد، رَجَلٌ واللهِ، فاجعله في صحابتك(١).

مسلم بن عقبة

ابن رياح المُرّي، أبو عُقْبَة، أدركَ رسولَ الله ﷺ، ولم يره.

وذكره ابن سُمَيْع في الطبقة الثانية من التابعين.

ولما فعل بأهل المدينة ما فعل قال الناس: مُسْرِف بن عُقبة؛ لإسرافه وفتكه.

وشهد مع معاوية صفِّين، ومات بالمُشَلَّل لسبع ليال بقين من المحرَّم سنة أربع وستين، وكان قد أصابه الفالج.

ولما نَبَشَتْهُ أمُّ ولد يزيد بن عبد الله وجدت معه في القبر ثعباناً قد التوى على عنقه يَمَصُّ أرْنَبَةَ أنفه، وكان له بضع وتسعون سنة، وكانت به النَّوْطَة، وهي ورمٌ يكون في نحر البعير وأرفاغِه(٢).

وأوصى لبني مُرَّة بزَرَّاعته(٣) التي بحوران صدقة، وما أغلقت عليه أمُّ ولده بابَها فهو لها(٤).

المِسْوَرُ بن مَخْرَمَة

ابن نوفل بن أُهيب بن عبد مناف بن زُهرة، أبو عبد الرحمن، من الطبقة الخامسة من أهل مكة، ممَّن قُبض رسولُ الله ﷺ وهم حُدثاء الأسنان(٥).

---

(١) تاريخ دمشق (الطبعة المذكورة آنفاً) وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) جمع رَفْغ، وهو أصل الفخذ. ينظر «القاموس».

(٣) الزَّرَّاعة: الأرض التي يُزرع فيها.

(٤) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٤٩٦_٤٩٧، و «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٢٢٦_٢٣٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٢١.

وُلد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وحُفظ عنه أحاديث[١].

وأمُّه عاتكة بنت عوف أخت عبد الرحمن لأبيه وأمِّه.

قدم مصر سنة سبع وعشرين لغزو المغرب[١]، وكانت الخوارج تعظِّمه لدينه، وينتحلُون رأيه، وقد برَّأه الله منهم[٢].

[وقال البلاذري: لمَّا عاد المِسْور من عند يزيد بن معاوية سُئل عنه، فقال: يشرب الخمر، وينام عن الصلاة. وبلغ يزيد، فكتب إلى عامله: اجْلِدْهُ مئة جلدة. وقد ذكرناه][٣].

[وقال ابن سعد:][٤] خرج المِسْورُ إلى سوق ذي المجاز، فرأى رجلاً ألثغ يؤمُّ الناس، فأخَّره، وقدَّم رجلاً آخر، فشكاه الرجل إلى عُمر رضوان الله عليه، فقال له: لِمَ فعلتَ هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذه أسواقٌ يجتمع إليها ناسٌ كثير، وعامَّتُهم أعراب لم يسمعوا القرآن، والرجلُ ألثغ [ـ أو أرَتّ ـ]، فخشيتُ أن يتفرَّقوا بالقرآن على لسانه، فقدَّمتُ رجلاً عربيّاً فصيحاً. فقال له عمر رضوان الله عليه: جزاك الله خيراً.

[وقال ابن سعد[٥]: لمَّا حُوصر عثمان؛ بعثَ بالمسور إلى معاوية يأمره أن يبعثَ إليه بالجيش لينصره. فركب معاوية رواحله من دمشق، وقدم المدينة في ثلاث رواحل ومعه مسلم بن عقبة ومعاوية بن حُديج، فدخل على عثمان نصف الليل، وكان قد قطع إليه البلاد في عشر ليال فقال له عثمان: وأين الجيش؟ فقال: ما جئتُك إلا في ثلاث رواحل[٦]، فقال له عثمان: لا وصل الله رحمك، ولا أعزَّ نصرك، ولا جزاك خيراً. فواللهِ ما أُقتَلُ إلا فيك، ولا انْتُقِمَ عليَّ إلا من أجلك. فقال له معاوية: لو بعثتُ إليك الجيش، فبلغَهم وصوله، عاجلوك فقتلوك، ولكن اخرج معي إلى الشام على

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ٢٨٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) المصدر السابق ٦٧/ ٢٨٥ .

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٦ . والكلام بين حاصرتين من (م).

(٤) في «الطبقات» ٦/ ٥٢٢ . والكلام بين حاصرتين من (م).

(٥) في «الطبقات» ٦/ ٥٢٤ . وهذا الخبر بين حاصرتين من (م).

(٦) في «الطبقات»: ثلاثة رهط.

النَّجائب، فواللهِ ما هي إلا ثلاث حتى ترى معالم الشام، فإنَّ الشام أكثر الإسلام (رجالاً) وأحسنُهم رأياً فيك. فقال عثمان: بئسما قلت، وبئسما أشرتَ به. وقد ذكرنا في السيرة طرفاً منه.

قال ابن سعد: ورجع معاوية إلى الشام، ورجع المسور إلى المدينة، وهو ذامّ لمعاوية غير عاذر له. وهذا كان في الحصار الأول.

قال ابن سعد: فلما كان في الحصار الثاني بعث عثمان بالمسور أيضاً إلى معاوية، فأغذَّ السير (حتى قدم) على معاوية، فقال: أدرك عثمان. فقال معاوية: إنَّ عثمان أحسنَ فأحسنَ الله إليه، ثم غيَّر فغيّر الله به. ثم قال: يا مسور، تركتُم عثمان حتى إذا كانت نفسه في حنجرته جئتم فقلتُم: اذهبْ فادفعْ عنه الموت! ليس ذلك بيدي.

قال: ثم أنزَلَني معه في مَشْرُبَة[1] على رأسه، فما دخل عليَّ أحد حتى قُتل عثمان.

قال: ولما أنزلني معاوية في المَشْرُبَة؛ قلتُ: أُريد أن أُخبر أهلَ الشام، فقال لي: لا يا أبا عبد الرحمن. وكانت كنية المسور أبو عبد الرحمن][2].

[وقال ابن سعد[3]: كان المسور لا يشرب من الماء الذي يوضع في المسجد، ويقول: هو صدقة].

وكان المسور يصوم الدهر[4].

وكان يقول: لقد وارت الأرضُ أقواماً لو رأوني جالساً معكم لاستحييتُ منهم[5].

وسمع ابناً له يحلفُ ويقول: كفرتُ بالله. فضرب بيده في صدره وقال: قل: آمنتُ بالله. ثلاثاً[6].

---

(١) المَشْرَبَة، بفتح الراء، وتضم: الغرفة أو العِلِّيَّة. ينظر «القاموس».

(٢) هذا الخبر وهو ما بين حاصرتين من (م)، والألفاظ الواقعة فيه بين أقواس عادية من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٢٤_٥٢٥ ، والخبر فيه.

(٣) في «الطبقات» ٦/ ٥٢٥ . وذكره ابن عساكر ٦٧/ ٢٩٤ ، وهو من النسخة (م).

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٢٦ ، وتاريخ دمشق ٦٧/ ٢٩٤ .

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٢٥ ، وتاريخ دمشق ٦٧/ ٢٩٥ .

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٢٥ .

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها، فقال قوم:] قتل في المعركة يوم قتل المنذر بن الزبير(١).

وقيل: كان قائماً عند البيت يصلِّي، فجاء حجرُ المنجنيق، فأصاب حائطَ الكعبة، فجاءت منه فلقة، فضربت وجه المسور، فمرضَ أياماً، ثم ماتَ في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد(٢).

وقال الشيخ موفق الدين رضي الله عنه(٣): قدم المسور المدينة في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، فسمع من النبي ﷺ، وحفظ عنه، وكان فقيهاً من أهل الفضل والدين، ولم يزل بالمدينة حتى قُتل عثمان، فانتقل إلى مكة، ولم يزل بها حتى مات معاوية، فكره بيعةَ يزيد، وصار إلى ابن الزُّبير، وقاتل معه، وأبلى بلاءً حسناً. فبينا هو يصلي يوماً في الحِجْر جاءه حجر المنجنيق، فقتله في مستهلّ ربيع الأول سنة أربع وستين، وصلَّى عليه ابنُ الزُّبير، ودفن بالحَجُون وهو ابن اثنين وستين سنة، وصلَّى عليه ابنُ الزبير وأهلُ الشام(٤).

وأسند الحديث عن رسول الله ﷺ، وروى عن أبي بكر، وعُمر، وعثمان، وعليّ، وخالِه عبد الرحمن بن عوف، وأبي هريرة، رضي الله عنهم، وغيرِهم.

وروى عنه علي بن الحُسين، وعبدُ الله وعروة ابنا الزبير، وعبدُ الله بنُ أبي مُلَيْكة، وابنُه عبد الرحمن بن المسور، وابنتُه أمُّ بكر بنت المسور.

ذكر أولاده:

كان له من الولد: عبد الرحمن، وآمنة، ورَمْلَة، وأمُّ بكر، وصفيّة(٥)؛ أمُّهم أمَةُ الله بنتُ شُرَحْبيل بن حسنة.

---

(١) قُتل المنذر بن الزبير في هذه السنة (سنة ٦٤) في حصار مكة. وسيفرد المصنف ترجمته قريباً.

(٢) نُسب هذا القول في (م) لابن سعد والزبير بن بكار، وهو في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٢٩. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٨٨.

(٣) في «التبيين في أنساب القرشيين» ص ٢٩٢-٢٩٣. باختلاف يسير.

(٤) قوله آخر الفقرة: وصلَّى عليه ابنُ الزبير وأهل الشام، ليس في «التبيين».

(٥) في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٢١: صُفَيًّا.

وأبو بكر [بن] عبد الرحمن بن المِسْوَر كان شاعراً، وهو القائل[(١)]:

بينما نحنُ بالبَلاكِثِ فالقا ... عِ[(٢)] سِراعاً والعِيسُ تهوي هُوِيّا
خَطَرَتْ خَطْرَةٌ على القلبِ من ذِكْـ ... ـراكِ وَهْناً فما استطعتُ مُضِيّا
قلتُ لبَّيكِ إذ دعاني لكِ الشَّوْ ... قُ وللحادِيَيْنِ[(٣)] كُرَّا المَطِيّا

وكان للمِسْوَر من الولد[أيضاً][(٤)]: عبدُ الله، وهشام، ومحمد، والحصين[(٥)]، وحفصة، أمُّهم بنتُ الزِّبرقان بن بدر، وبُرَيْهة، وأمُّها بادية بنت غَيْلان الثقفي، وعَمْرو، وحمزة، وجعفر، وعَوْن، لأمَّهات أولاد شتَّى.

مصعب بنُ عبد الرحمن بن عوف

أبو زُرارة، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمُّه أمُّ حُرَيْث[(٦)] من سَبْي بَهْراء، من قُضاعة.

وكان شجاعاً، وكان على شرطة مروان بالمدينة، فأمره أن يهدم دور بني هاشم ومن كان في حيِّزهم[(٧)]، فقال: أيها الأمير، إنه لا ذنب لهؤلاء، وما أنا بفاعل، فقال مروان: انتفَخَ سَحْرُك[(٨)]، أَلْقِ سيفَنا.

---

(١) كذا نَسبَ الأبيات ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ٢/ ٥٦٢ ، والتبريزي في «شرح الحماسة» ٣/ ١٢٤ لأبي بكر ابن عبد الرحمن بن المسور، وذكر ابنُ قتيبة أنها من الشعر الذي نُحِلَهُ مجنون ليلى. ونَسَبَ الزُّبير بن بكار الأبيات - فيما ذكر ابن عبد ربّه في «العقد» ٦/ ٤٧ - للمسور بن مخرمة، ونَسبَ ياقوت الأبيات في «معجم البلدان» ١/ ٤٧٨ لكُثيِّر، ونُسب في «الحماسة» (الشرح المذكور)، وفي «اللسان» (بلكث) ٢/ ١١٩ لبعض القرشيين.

(٢) بَلاكِثُ والقاع: موضعان بالمدينة.

(٣) في (خ) (والكلام منها): قلت للشوق إذ دعاني لبيك وللحاديَيْن... والمثبت من المصادر المذكورة قبل.

(٤) كذا وقع سياق الكلام في (خ) (والكلام منها فقط) وزدتُ لفظة «أيضاً» بين حاصرتين من أجل السياق. فقد سلف ذكر بعض ولده. وينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٢١ .

(٥) بعده في (خ): وعون. وسيرد اسمه، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٢١ والكلام منه.

(٦) في (خ): أمّ حرب. والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٣/ ١١٨-١١٩ و٧/ ١٥٦ .

(٧) كذا وقع في (خ) (والكلام منها) وهو وهم. وإنما الذي أمره بهدم دور بني هاشم (ودورِ بني أسد أيضاً) عمرُو بن سعيد الأشدق والي المدينة ليزيد وذلك لمَّا أبى الحسين بنُ علي وعبد الله بنُ الزبير ﷺ بيعةَ يزيد. وقد كان مصعب بن عبد الرحمن على شُرَط عَمرو، وقبل ذلك على شُرَط مروان في زمن معاوية. ينظر «نسب قريش» ص ٢٦٨ ، و«الأغاني» ٥/ ٧٤-٧٥ .

(٨) كذا وقع، وإنما القائل عمرو بن سعيد الأشدق، وينظر التعليق السالف قبله. قوله: انتفَخَ سَحْرُك، أي: رئتُك؛ أي: تجاوَزْتَ قدرك. وقال ابن الأثير في «النهاية» ٢/ ٣٤٦ : يقال ذلك للجَبَان.

فألقاه، ثم خرج إلى عبد الله بن الزُّبير، فكان معه، وهو الذي قاتل عمرَو بنَ الزُّبير.

وخرج مصعبُ والمختار[١] إلى مَسْلَحةٍ للحُصين فحاربوهم، فأصبحوا وقد قَتَلُوا من أهل الشام مئة.

وكان يُعرف قتلى مصعب بوَثَباتٍ يشبُهنَّ، فكان بين كل وَثْبة ووَثْبة أحد عشر[٢] ذراعاً، وكان لا يخفى جُرحُ سيفِه.

والتقى أهلُ الشام وأصحابُ ابنِ الزبير، فحمل مصعب، فقتل من أهل الشام خمسين رجلاً[٣]، ورجع وقد انحنى سيفُه، فقال:

إنَّا لَنُورِدُها بِيضاً ونُصْدِرُها حُمْراً وفيها انحناءٌ بعد تقويمِ

ذكر وفاته:

قُتل مع ابن الزُّبير، وقيل: مات بمكة سنة أربع وستين، وقد رثاه رجل من جُذام فقال:

للهِ عَيْنا مَنْ رأى مثلَ مصعبٍ أعَفَّ وأقضى بالكتابِ وأَفْهَما

وقالوا أصابَتْ مصعباً بعضُ نَبْلِهم فعزَّ علينا من أُصيب[٤] وعزَّ ما

ذكر أولاده:

زُرارة، وعبد الرحمن؛ أُمُّهما ليلى بنت الأسود بن عوف، ومصعبُ بن مصعب لأمِّ ولد، وكان له بنات[٥].

ومن ولد مصعب: أبو مصعب أحمدُ بن أبي بكر[٦] بن الحارث بن زُرارة بن مصعب ابن عبد الرحمن، فقيهُ أهل المدينة، وهو صاحب مالك بن أنس[٧].

---

(١) زاد معهما في «نسب قريش» ص ٢٦٩ مصعب بن الزبير.

(٢) في «نسب قريش»: ثنتا عشرة.

(٣) في «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٥٨ : خمسة، بدل: خمسين رجلاً.

(٤) في (خ) (والكلام منها): ما أصاب، والمثبت من «نسب قريش» ص ٢٦٩ . وفيه بيتان آخران.

(٥) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٥٦ .

(٦) واسم أبي بكر: القاسم.

(٧) وله رواية للموطَّأ فيها زيادات على غيرها، وقد طُبعت. توفي سنة (٢٤٢). ينظر «السِّيَر» ١١/ ٤٣٨ .

معاوية بن يزيد بن معاوية

مات حتف أنفِه. وقيل: إن بني أمية دَسُّوا إليه سُمّاً، فأكله فمات. وقيل: إنه فُلِجَ ومات، وكان الضحَّاك يصلِّي بالناس.

وقيل لمعاوية: ألا تستخلفُ أخاك خالداً؟ فقال: لا أتحمَّلُها حيّاً ولا ميتاً.

ولما احتُضر اجتمع إليه بنو أمية وقالوا له: اعهد إلى من ترى من أهل بيتك. فقال: والله ما ذُقْتُ حلاوةَ خلافتكم، فكيف أتقلَّد وِزْرَها؟!

وفي رواية: كيف أتعجَّلُ مرارتها وتتعجَّلُون أنتم حلاوتَها؟ اللهم إني بريءٌ منها متخلٍّ عنها، اللَّهم إنّي لا أجدُ [نفراً] كأهلِ الشورى فأجعلها إليهم فينصبون من يرون لها أهلاً[١].

ثم قال لحسان بن مالك خازن بيت المال: احفظ ما قِبَلك حتى يجتمع الناس على إمام يرضَوْنه[٢].

وصلَّى عليه الوليد بن عُتبة، فكبَّرَ تكبيرتين، فطُعن في الثالثة، فوقع ميتاً، فتقدَّم عثمان بن عنبسة، فصلَّى عليه، ودُفن بالباب الصغير عند قبور آبائه، وبكى الناس عليه، وحزنوا لفقده لعفَّته وزَهادته، وكان رَبْعاً نحيفاً تعتريه صُفْرة، ونقش خاتمه: الدنيا غرورة.

و[كانت][٣] مدة ولايته أربعين يوماً، وقيل: ستين. وقيل: عشرين. وقيل: ثلاثة أشهر.

وعاش ثلاثاً وعشرين سنة. وقيل: خمس عشرة سنة. وقيل: عشرين سنة. وقيل: ثلاثة عشر. والأول أصحّ[٤].

---

(١) ينظر «مروج الذهب» ٥/١٦٩، وفيه: ينصبون من يرون الخ (بدون فاء) وهو الأشبه. وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/٣٩٨ و٣٩٩.

(٣) ما بين حاصرتين لضرورة السياق.

(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/٣٩٦ـ٣٩٧، و« تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤٠٤ـ٤٠٩ (طبعة مجمع دمشق).

وانقضى بموته مُلْك بني حَرْب، وزال الأمر عنهم، ولم يكن لمعاوية عقب، ووليَها مروان وبنوه.

المنذر بن الزبير بن العوَّام

أبو عثمان، وأمُّه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، من الطبقة الثانية(١) من أهل المدينة.

وكان شجاعاً سخيّاً، غزا مع يزيد بن معاوية القسطنطينية.

وغاضب المنذرُ أخاه عبدَ الله، وخرج إلى معاوية، فأعطاه ألفَ [ألفِ] درهم، وأقطعه موضعَ دارِه بالبصرة(٢)، واحتُضر معاوية في تلك الحال [قبل أن يقبض جائزته، وأوصى معاوية أن يَدخل المنذرُ في قبره] فدخل قبره، فلما قدم يزيد أمضاها له، فقيل ليزيد: [تعطي] هذا المال للمنذر وأنت تتوقَّع خلاف أخيه عبد الله عليك! فقال: أكرهُ أن أردَّ شيئاً فعلَه أبي(٣).

وكتب له إلى عُبيد الله بن زياد بإنفاذ قطائعه، وزاده عليها. وخرج من البصرة، فأتى مكة صُبْح ثامنة(٤). فسمع أخوه عبدُ الله صوتَه، فقال: هذا أبو عثمان، جاشَتْه إليكم الحرب. فأقام عند أخيه يقاتل معه حتى قُتل.

وخرج المنذر إلى أهل الشام في اليوم الذي قُتل فيه وهو يقول:

لم يبقَ إلا حَسَبي وديني ... وصارمٌ(٥) تلتذُّه يميني

---

(١) يعني من التابعين. ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٨١، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٢٠٣ (مصورة دار البشير).

(٢) بعدها في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٢٠٤، و«مختصره» ٢٥/ ٢٤٨: بالكَلَّاء التي تُعرف بالزُّبير، وأقطعه موضع ماله بالبصرة الذي يُعرف بمنذران.

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٤ (مصورة دار البشير) و«مختصره» ٢٥/ ٢٤٨، وما بين حاصرتين منهما.

(٤) في الكلام اختصار مخلّ، فجاء في المصدرين السابقين أنه ورد على يزيد بن معاوية خلافُ عَبدِ الله بنِ الزُّبير له وإباؤه بيعتَه، فكتب يزيد إلى عُبيد الله بن زياد بذلك، وأمرَه بأن يبعث إليه المنذرَ بنَ الزبير، فأخبر ابنُ زياد المنذرَ بالكتاب، وخيَّره بين أن يبقى عنده ويشتمل عليه ابنُ زياد، أو أن يخرجَ حيث شاء، فاتفقا على كتمان الكتاب ثلاث ليال ريثما يَخرجَ المنذر من البصرة، فخرج منها وأصبح بمكة صُبْح ثامنة ...

(٥) في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٢٠٦: وصارمي. وفي «مختصره» مثل ما هنا.

فلما قتل قال عبد الله: قُتل المنذر، وقاتلَ عن حَسَبه ودينه.

وقتل وله أربعون سنة.

وكان ولدُه **محمدُ بنُ المنذر** يُعْدَلُ بكثير من أعمامه [أعيان] بني الزبير مروءةً وشجاعةً ولساناً وجَلَداً، وكان من فرسان عمِّه عبد الله.

[وقدم على عبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير] يطلب مالَه، وكان قد قُبض [مع ما قُبض من أموال ابنِ الزبير] فكان يحيى بن الحكم[١] عند عبد الملك فقال له يحيى: يا محمد، مَنْ صاحبُ يوم كذا وكذا، ويوم كذا وكذا؟ فعدَّدَ وَقَعاتٍ ومحمدٌ يقول: أنا. فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، هذا الذي فعل بنا الأفاعيل! فقال محمد: رُدُّوا عليَّ سيفي، وخُذُوا أمانكم، فلا حاجةَ لي به. فقال عبد الملك: لا تفعل.

وكان لمحمد ابنٌ يقال له: فُليح بن محمد، وكان له قَدْرٌ وفضل[٢].

النعمان بن بشير

ابن سعد بن ثعلبة بن خلَّاس بن زيد بن مالك بن الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، أبو محمد[٣]، من الطبقة الخامسة من الخزرج، وممَّن توفّي رسول الله ﷺ وهم حُدَثاء الأسنان.

وأُمُّه عَمْرَةُ بنتُ رواحة[٤]، وفيها قال الشاعر:

وعَمْرَةُ من سَرَواتِ النِّساءِ تَنْفَحُ بالمِسْكِ أردانُها[٥]

(١) في (خ) (والكلام منها): يحيى بن مروان، والتصويب من «تاريخ دمشق» ٦٥/ ٢٤ (طبعة مجمع دمشق) وما سلف بين حاصرتين منه، ولا يستقيم الكلام بدونه، وثمة أخطاء لغوية مع تحريف في (خ) لم أُثبته كي لا تطول الحواشي بما لا فائدة فيه، وإنما أكتفي بما أذكره لتوضيح سوء هذه النسخة، وليس لديّ في هذه الصفحات نسخة أخرى.

(٢) ذكره ابن حبّان في «الثقات» ٩/ ١١ . وينظر «تعجيل المنفعة» ص ٣٣٥ .

(٣) وفي «طبقات» ابن سعد ٥/ ٣٦٣ : أبو عبد الله، وذكر له الكنيتين ابنُ عساكر. ينظر «مختصر تاريخ دمشق ٢٦/ ١٦٠ .

(٤) هي أخت عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

(٥) البيت لقيس بن الخَطِيم. وينظر «المعارف» ص ٢٩٤ ، و«الأغاني» ١٦/ ٢٨ ، و«العقد الفريد» ٦/ ٢٠٩ . قوله: أردانُها؛ جمع رُدْن، وهو الكُمّ.

وقال عبد الملك بن عمير: إن بشير بنَ سعد أبا النعمان لمَّا ولدَ النعمان؛ جاء به إلى رسول الله ﷺ، فحنَّكه بيده، فقال: يا رسول الله، ادْعُ اللهَ أن يُكْثِرَ مالَه وولَدَه. فقال له: «أما تَرْضَى أن يعيشَ كما عاش خالُه حميداً، ويموت شهيداً، ويقتله منافقٌ من أهل الشام»[١]؟.

والنعمان أوَّلُ مَنْ نصرَ عثمانَ رضوان الله عليه، وخرج بقميصه إلى الشام.

واستعملَه معاوية على الكوفة، وأمرَه أن يزيدَ في أعطياتهم عَشَرَةَ دنانير، فكان يعطي بعضاً ويمنعُ بعضاً ويقول: أنا قُفْلٌ، ومفتاحُه بالشام.

وكان يُكثر تلاوة القرآن على المنبر ويقول: إن فقدتُموني لم تجدوا أحداً يحدِّثُكم عن رسول الله ﷺ بعدي.

وشَكَوْه إلى معاوية، فكتب إليه: كَمِّلْ لهم أُعطياتِهم. فقال ابنُ همَّام السَّلُولي:

أفاطِمُ قد طال التَّدَلُّلُ والمَطْلُ ... أجِدَّكِ[٢] لا صَرْمٌ جَلِيٌّ ولا وَصْلُ
زيادَتُنا نعمانُ لا تَحْبِسَنَّها ... تقِ[٣] اللهَ فينا والكتابَ الذي تتلُو
فإنك قد حُمِّلْتَ فينا أمانةً ... وقد عجَزَتْ عنها الصلادِمَةُ[٤] البُزْلُ[٥]
فلا يكُ بابُ الشَّرِّ تُحسِنُ فَتْحَهُ ... [علينا] وبابُ الخيرِ أنتَ له قُفْلُ
وقد نِلْتَ سلطاناً عظيماً فلا يكنْ ... لغيركَ جَمَّاتُ النَّدَى ولك البُخْلُ

---

(١) لفظ هذه الرواية ملفَّق من روايتين، الأولى: عن عبد الملك بن عُمير أنَّ بشير بن سعد جاء بالنعمان بن بشير إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ادعُ لابني هذا، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أنْ يبلغ ما بلغتَ، ثم يأتي الشام، فيقتله منافق من أهل الشام؟». والرواية الثانية: عن عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ عَمْرَةَ بنت رواحة جاءت تحمل ابنها النعمان في لِيفِهِ إلى رسول الله ﷺ، فدعا بتمرة فمضغها، ثم حنَّكه بها، فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يُكثرَ مالَه وولدَه. فقال: «أوَ ما تَرْضَيْنَ أن يعيشَ كما عاش خالُه؟ عاش حميداً، وقُتل شهيداً، ودخل الجنة». أخرجهما ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ٣٦٤ و٣٦٥، وأخرجهما من طريقه ابن عساكر في «تاريخه» ١٧/ ٥٩٠ (مصورة دار البشير). وينظر «الاستيعاب» ص ٩٢٢ (ترجمة عمرة بنت رواحة).

(٢) في «القاموس» و«التاج» (جدد): أَجِدَّكَ، بفتح الجيم وكسرها، والكسر أفصح، أي: مالَكَ؟ أجِدّاً منك؟ فإذا كسر استحلفَه بجِدِّه، وإذا فتح استحلفَه ببَخْتِه.

(٣) في «الأغاني» ١٦/ ٣١ : خف.

(٤) الصِّلْدام: الصُّلب الحافر. ورواية «الأغاني»: الصلاخمة، والصِّلْخام من الإبل: الصُّلْب الشديد.

(٥) البُزْل: جمع بازل، وهو الجملُ في تاسع سِنِيِّه. (وتسكين الزاي لضرورة الشعر).

وأنتَ امرؤٌ حُلْوُ اللسانِ بليغُهُ ... فما بالُهُ عند الزيادةِ لا يَحْلُو
وقبلَكَ ما كانَتْ علينا أئمَّةٌ ... يَهُمُّهُمُ تقويمُنا وهُمُ عَضْلُ(١)
يذمُّون دُنْيانا وهم يَرْضَعُونَها ... أفاوِيقَ حتى ما لَنا منهُمُ سَجْلُ(٢)
إذا نطقُوا بالقولِ قالُوا فأحسَنُوا ... ولكنَّ حُسْنَ القولِ خالفَهُ الفعلُ(٣)

ولما عزلَ معاويةُ النعمانَ عن الكوفة ولَّاه حمصَ، فوفد عليه أعشى هَمْدان، فقال: ما أقْدَمَك أبا المُصَبِّح؟ قال: لتَصِلَني وتقضيَ ديني. فقال: واللهِ ما عندنا شيء. ثم صَعِدَ المنبر وقال: يا أهل حمص، أنتُم في الديوانِ عشرون ألفاً، وهذا ابنُ عمٍّ لكم من أهل القرآن والشرف؛ قدم عليكم يسترفدُكم، فما ترون فيه؟ فقالوا: أيُّها الأمير، احكم بما تراه. فقال: بل أنتم. فقالوا: قد جعلنا له من كلِّ عطاء رجل منَّا دينارين معجَّلة من بيت المال. فدفعَ له أربعين ألف [دينار] معجَّلة، فقال الأعشى:

فلم أرَ للحاجات عند انكماشِها ... كنعمانَ نُعمانِ النَّدى ابنِ بشيرِ
إذا قال أوْفَى بالمقال ولم يكن ... كَمُدْلٍ إلى الأقوام حَبْلَ غُرورِ(٤)

يُعرِّضُ بمروان؛ لأنه قصده، فوعَدَه ومَطَلَهُ، فلم يلقَ منه خيراً.

وقال الهيثم: أقام النعمان والياً على الكوفة سبعة أشهر(٥)، ثم عاد إلى الشام.

ذكر مقتله:

لما بلغَ النعمانَ وهو بحمص مقتلُ الضَّحَّاك بالمَرْج؛ خرجَ هارباً ليلاً ومعه امرأتُه نائلة بنت عُمارة الكلبيَّة وولدُه، وثَقَلُه، فقصدَ زُفَر بن الحارث، فضلَّ عن الطريق، وطلبه عَمرو(٦) بن الخلي الكلاعي، ـ وكان النعمان قد حدَّه في الخمر ـ فقتلَه وأقبلَ

(١) جمع أعْضَل، وهو المعوجُّ في صلابة.
(٢) الأفاويق جمع الفِيقة، وهو اللبن الذي يجتمع في الضَّرع بين الحَلْبَتَيْن، والسَّجْل هنا: النَّصيب.
(٣) الأبيات في «أنساب الأشراف» ٤/ ٢٠ـ٢١ ، وما بين حاصرتين منه، وهي بنحوها في «الأغاني» ١٦/ ٣١ ، وفيهما أبيات أخرى.
(٤) ينظر «الأغاني» ٦/ ٤٩ـ٥٠ و١٦/ ٣٤ ، و«الاستيعاب» ص ٧٢٤ ، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٩١ـ٥٩٢ (مصورة دار البشير) أو «مختصره» ٢٦/ ١٦٢ .
(٥) الاستيعاب ص ٧٢٤ . وفي «تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٨٦ و«الجرح والتعديل» ٨/ ٤٤٤ : تسعة أشهر.
(٦) كذا في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣١٧ . وفي غيره من المصادر: خالد.

برأسه وبنائلة امرأتِه وولدها، فألقى الرأس في حِجْر ابنتِه أمّ أبان، فقالت نائلة: ألقُوه في حِجْري، فأنا أحقُّ به منها. فأُلقي في حِجْرها. وجاءت كلب، فأخذوا نائلةَ وولدَها.

وقُتل غِيلة ما بين حمص وسَلَميَّة، وقيل: بقرية من قُرى حمص يقال لها: بِيرِين[١].

ذكر أولاده

فولدَ [النعمانُ] عبدَ الله، ومحمداً، وأمةَ الله، وحَبِيبة؛ أمُّهم أمُّ عبدِ الله بنت عمرو ابن جَرْوَة[٢]، أنصاريَّة.

ويزيدَ، وأباناً، وأمَّ أبان؛ تزوَّجَها الحجَّاجُ؛ أمُّهم نائلة الكلبيَّة.

والوليدَ، ويحيى، وبشيراً؛ أمُّهم أمُّ ولد.

وأمَّ محمد، وهي حُميدة بنتُ ليلى، من كِنْدة؛ تزوَّجَها رَوْح بنُ زِنباع الجُذامي.

وعمرةَ؛ تزوَّجها المختار بنُ أبي عُبيد؛ وأمُّها ليلى بنتُ هانىء؛ كندية[٣].

أسند النعمان عن النبيِّ ﷺ أحاديث[٤].

وأبوه شهدَ العقَبَةَ وبدراً وأحداً والمشاهدَ كلَّها[٥].

ومحمد بن النعمان؛ روى عن أبيه، وروى عنه الزُّهري، وسمع منه بدمشق. وكانت له دار بدمشق[٦].

وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة[٧]، وذكره ابن سُميع في الرابعة وقال: هو دمشقي ثقة[٨].

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٣١٧، والاستيعاب ص ٧٢٥، وتاريخ دمشق ١٧/ ٥٨٦-٥٨٧، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤١٧. ووقع في «الاستيعاب»: بيران، والصواب: بِيرِين كما هو مثبت، وذكرها ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٥٢٦.

(٢) في (خ): أم عبد الله بن عمرو بن حزم. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٥/ ٣٦٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) له مئة حديث وأربعة عشر حديثاً، أخرج له في الصحيحين عشرة أحاديث، المتفق عليه منها خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة. ينظر «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٣٦٥ و٤٠١.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٩٢-٤٩٣.

(٦) تاريخ دمشق ٦٥/ ١٢٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٨) وهو من رجال «تهذيب الكمال» ٢٦/ ٥٥٧، روى له الجماعة سوى أبي داود.

[رَوْح بنُ زِنْباع]

وكان رَوْح بنُ زِنْباع[١] بن سلامة الجُذامي رئيساً في قومه جُذام سيِّداً، وكنيتُه أبو زُرْعة، وقيل: أبو زِنْباع.

وكان ممَّن ثبت مع مروان، ولم يُبايع ابنَ الزُّبير وقال: واللهِ لا نرضى أن ينتقل المُلك من الشام إلى الحجاز[٢].

وشدّ من مروان حتى ولي الخلافة.

وكان أميراً على فلسطين، فنُسب إليها، وكان خِصِّيصاً بعبد الملك، لا يقدر أن يصبر عنه[٣].

وكان لأبيه زِنْباع صحبة، واختلفوا في رَوْح، فقال مسلم: كان له صحبة ورواية[٤].

وكذا قال الشيخ جمال الدين ابن الجوزي رحمه الله. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس له صحبة.

روى [رَوْح بنُ] زِنْباع عن عُبادة بن الصامت، ومعاوية، وكعب الأحبار، وغيرهم. وروى عنه ابنُه رَوْح [بنُ رَوْح][٥].

وقال هشام: جهَّز عبد الملك بن مروان جيشاً إلى ابن الزُّبير، فمروا بانقاع[٦] فيه راهبة، فناداها رَوْح، فأشرفت عليه بوجه كأنه فلقة قمر، فقالت: إلى أين يذهب هذا الجيش؟ فقال رَوْح: إلى ابن الزُّبير. قالت: وما تصنعون به؟ قال: نُقاتله. قالت: على

---

(١) كذا وقع في (خ) والكلام منها فقط. وجاء فوقه لفظ: كذا وجد. والكلام يتعلق بترجمة رَوْح بن زِنْباع، لذا زدتُ ما سلف قبله بين حاصرتين للإشارة إلى ذلك، ووفاتُه سنة (٨٤)، وليس في هذه السنة، ولعل المصنف أورده في وفيات هذه السنة لأنه لم يتبين له تاريخها كما سيرد. والله أعلم.

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٣٠٢ (مصورة دار البشير) أو «مختصره» ٨/ ٣٤١ .

(٣) في «تاريخ دمشق»: لا يكاد يغيب عنه.

(٤) الكنى والأسماء ١/ ٣٤٤ ، ونقله عنه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص ٢٣٦ ، وليس فيهما قوله: ورواية. وقال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٩٨ : أرسل عن النبي ﷺ.

(٥) تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٨ . وما بين حاصرتين منه، والكلام من غير هذا الاستدراك يعود على زنباع، وهو خطأ.

(٦) كذا رسمُ اللفظة في (خ) ولم تتبيّن لي.

أيِّ شيء؟ قال: على الدنيا. فقالت: قبَّح اللهُ هذه الوجوه، واللهِ لو كانت الدنيا كلها لرجلٍ واحد ما كان غنيًّا بها مع الموت.

قال المصنف رحمه الله: لم أقف على تاريخ وفاة رَوْح بن زِنْباع[١].

وقد قيل: إنه يُدعى لغير أبيه، وكلُّ من لا يُدعى لأبيه يُقال له: رَوْح، وهي كنية المنبوذين.

قال رَوْح: رأيتُ تميماً الداريّ وهو أمير على بيت القدس وهو ينقِّي شعيرَ فرسِه، فقلت له: أَمَا كان لك مَنْ يكفيك هذا؟ قال: بلى، ولكني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ ربطَ فرساً في سبيل الله، ثم تولّى حَسَّه، ومسحه بيده، وتنقية شَعيرِه؛ كان له بكلِّ شَعِيرةٍ حسنة، وتُمحى عنه سيئة»[٢].

يزيد بن معاوية

ابن أبي سفيان صخر بن حرب، وأمُّه ميسون بنت مالك بن بَحْدَل[٣] بن أُنيف الكلبي.

وُلد سنة خمس ـ أو ستّ ـ وعشرين بالماطرون[٤]، وقيل: سنة سبعٍ وعشرين في بيت رأس[٥].

وهو أوَّلُ من أظهر شرب الخمر، والاستهتار بالغناء والصيد، واتخاذ الغلمان والقِيان والكلاب، وما يضحك منه المترفون، والدُّيوك والمنافرة بينهم، واللعب بالملاهي والقرود.

---

(١) ذكر ابن عساكر في تاريخه» ٦/ ٣٠٤ (مصورة دار البشير) عن ابن زَبْر أنه مات سنة أربع وثمانين بالأردنّ.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٢٩٩ .

(٣) في «تاريخ دمشق» ص ٣٩٧ (تراجم النساء): ميسون بنت بحدل. وتنظر ترجمة حسان بن مالك بن بحدل السالفة ص٢٥٩ والتعليق عليها.

(٤) موضع قرب دمشق. ينظر «معجم البلدان» ٥/ ٤٢_٤٣ .

(٥) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٩١ (مصورة دار البشير) أو «مختصره» ٢٨/ ١٩ . وبيت رأس: اسم لقريتين في كل منهما كروم كثيرة ينسب إليها الخمر، إحداهما بالبيت المقدس، وقيل: كورة (يعني بقعة كبيرة فيها قرى) بالأردن. والأخرى من نواحي حلب. ينظر «معجم البلدان» ١/ ٥٢٠ .

وكان له قرد يقال له: أبو قَيْس، فكان اليوم الذي يصبح يزيد فيه مخموراً يشدُّ القرد على فرسه يُسرِجُه بحبال من إبْرَيْسَم، والناس يمشون بين يديه، ومواكب الملك تُقاد بين يديه.

وكان ينادم هذا القرد، وكان يسقيه الخمر، ويُلبسه الأقبية الصُّفْر والحُمْر، وقَلانِس الذهب.

وكان يُسابق بين الخيل والقردُ عليها، وأركبَ القرد على أتان وحشيَّة، وأرسلَها في الحلبة، فقال يزيد:

تَمَسَّكْ أبا قيسٍ إذا ما ركبتَها ... فليس عليها إنْ هلكتَ ضمانُ
فقد سَبَقَتْ خيلَ الجماعةِ كلَّها ... وخيلَ أميرِ المؤمنين أتانُ[(١)]

فسبقت الأتانُ الوحشية [الخيلَ][(٢)] كلَّها، وسقطت ميتة، ومات أبو قيس معها، فحزن عليه يزيد، وكفَّنَه ودفَنه، وأمر أهلَ الشام أن يُعزُّوه فيه وقال يزيد في ذلك:

لم يبق قرد[(٣)] كريم ذو محافظة ... إلا أتانا يعزِّي في أبي قيسِ
شيخ العشيرة أمضاها وأحملها ... له المساعي مع القربوس والدِّيسِ
يد الجياد على وحشية سبقت ... ثم انثنى وعمود الموت في الكيسِ
لا يُبعدُ اللهُ قبراً أنت ساكنُه ... فيه الكمال وفيه لحيةُ التَّيْسِ

وجاء نعي معاوية إلى يزيد وهو بحُوَّارين يتصيَّد، فلم يأتِ منزلَه حتى أتى قبر القرد فترحَّم عليه.

وكان يشربُ الخمر مع القرد، ويحمله ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمُسخ[(٤)].

وكان مُغْرًى بشرب الخمر مكثراً منه، وهو القائل:

أقولُ لصحبٍ جمَّع الكأسُ شملَهمْ ... وداعي صبابات الهوى يترنَّمُ

---

(١) الخبر والشعر بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٧-٣١٨. وينظر «مروج الذهب» ٥/ ١٥٧-١٥٨.
(٢) زدتُ لفظة «الخيل» من قِبلي لضرورة السياق.
(٣) في «فوات الوفيات» ٤/ ٣٣٠: قَرْم.
(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٨.

خُذُوا ما صفا من عيشنا قبلَ فَوْتِهِ ... فكلٌّ وإنْ طالَ المدى يتصرَّمُ
ألا إنَّ أَهْنَا العيشِ ما سَمَحَتْ به ... صروفُ الليالي والحوادثُ نُوَّمُ
ولا تتركوا يومَ السرورِ إلى غدٍ ... فرُبَّ غدٍ يأتي بما ليس نعلمُ[(١)]

وحكى البلاذُري[(٢)] أنَّ سبب وفاة يزيد أنه حملَ قِرْدَةً على أتانٍ وهو سكران، ثم ركض خلفها، فسقط يزيد، فاندقَّت عنقه، أو سقط من جوفه شيء فمات.

وقال الهيثم: ما همَّ يزيدُ بشيء من القُبح إلا ارتكبه، ولم يَحجَّ في خلافته شُغلاً بما كان فيه من اللهو.

ولما جهَّز يزيد مسلم بنَ عُقبة لقتال أهل المدينة وابنِ الزبير؛ أعجبه ذلك الجيش، فكتب إلى ابن الزبير:

أُدْعُو إلهك في السماء فإنَّني ... أَدْعُو إليك رجالَ عَكَّ وأشْعرِ
كيف النجاةُ أبا خُبيبٍ منهمُ ... فاحْتَلْ لنفسك قبل مأْتَى العسكرِ[(٣)]

فكتب إليه ابنُ الزبير: أتستهزئُ بإلهي الذي في السماء؟! وأنت يزيد القرود، ويزيد الصيود، ويزيد الخمور، ويزيد الفسوق.. وعدَّد أفعاله.

فكتب إليه يزيد وقال:

لقد عبتَ ما لا عيبَ فيه على الفتى ... من الصيد واللذَّات والأكلِ والشُّربِ
ولكنَّما العارُ الشَّنَار الذي به ... يُعيّر خلق الله في الشرق والغرب
صيانة كف المرء عن بذلِ مالِهِ ... عن الطارق الملهوفِ والجارِ ذي الجَنْبِ

فسار يزيد إلى نخل[(٤)] ابن الزبير، ومات يزيد عقب وصول كتابه إلى ابن الزبير رضي الله عنه.

وكان يزيد قد عزم على الحجّ ويدخل اليمن، فقال رجل من تنوخ:

---

(١) ينظر «فوات الوفيات» ٤/ ٣٣١ ، وفيه زيادة أبيات. وينظر أيضاً «تمام المتون في شرح ابن زيدون» ص ٨٢ .

(٢) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٨ .

(٣) البيتان في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٦٠ و«مروج الذهب» ٥/ ١٦٢ . وفي صدر البيت الأول نظر، ويُستبعد أن يقوله يزيد، وقد نُسب إليه ما لم يقله. قال البلاذُري: والشاميون يقولون: إنما قال: اجْمَعْ رجالَ الأَبْطَحَيْنِ فإنَّني أدعو إليك الخ.

(٤) كذا في (خ)، وليس في هذا الموضع نسخة أخرى.

يـزيـدُ صـديـقُ الـقـردِ مَـلَّ جِـوارَنـا فـحـنَّ إلـى أرض الـقـرودِ يـزيـدُ
فتبّاً لـمـن أمسى [علـينـا] خـليفةً صـحـابـتُـه الأدنَـوْن مـنـه قـرودُ(١)

وجلست ميسون يوماً تُرجِّلُ ابنها يزيد وهي يومئذٍ مطلَّقة من معاوية، ومعاويةُ وامرأتُه فاختة في موضع ينظران إليهما ولم يعلما. فلما فرغت من تَرْجِيلِه قبَّلتْ ما بين عينيه.

ومضى يزيد، فأتْبَعَتْه فاختةُ بصرَها وقالت: لعن الله سواد ساقَي أمِّك. فقال معاوية: أما والله لقد تفرَّجَ وركاها عن خير ما انفرجَتْ عليه وركاكِ. فقالت فاختة: لا والله، ولكنَّك تحبُّ يزيد وتؤثِرُه. فقال: سوف أُبيِّنُ لك.

فدعا عبدَ الله ـ وهو ولد معاوية من فاختة وكان محمَّقاً، وهو أكبر من يزيد ـ وقال له: يا بُنيّ، سلني. فقال: تشتري لي كلباً فارهاً وحماراً سابقاً. فقال: أنت حمار، وأشتري لك حماراً! قم واخرج. ثم دعا يزيد وقال: سَلْني فقال: أسألُك الخلافةَ بعدَك، وأرجو أن أموتَ قبلك وتوليني الصائفة، وتأذن لي في الحجّ، وتزيد في عطاء أهل الشام عشرةَ دنانير لكلِّ رجل، وتفرض لأيتام بني جُمح وبني سهم وعديّ. فقال: مالَكَ ولبني عديّ؟ فقال: قد حالفوني. فقبَّلَ معاوية ما بين عينيه، وقال: قد فعلت(٢).

وكان يزيد شاعراً فصيحاً خطيباً، غزا القسطنطينيّة في حياة أبيه على جيشٍ فيه كثير من الصحابة، وحجَّ بالناس مراراً، ولكن ابتلاه الله في ولايته بالمفاسد؛ من قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته، ووقعة الحَرَّة، والتَّتْبِير والقتل، ورميِ البيت الحرام بالمجانيق وتحريقه، ونحو ذلك.

ولما توفِّي الحسن بن علي رضوان الله عليه قال معاوية لابنه يزيد: اذهب إلى ابن عباس فعَزِّه. وكان ابنُ عبَّاس بالشام، فجاء يزيد، فجلس بين يدي ابن عبَّاس؛ فقال له ابن عباس: ارتفع. فقال: لا، هذا مجلس المعزِّي، لا مجلسُ المُهَنِّي(٣).

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٣١٩. وأثبتُّ منه ألفاظاً لم تجوَّد في (خ).
(٢) الخبر في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٩٢ و٣٩٣ (مصورة دار البشير). وجمع فيه المصنف (أو المختصر) بين روايتين.
(٣) المصدر السابق ١٨/ ٣٩٥.

وقيل: خطباء قريش خمسة: معاوية، وابنُه يزيد، وعبدُ الملك بن مروان، وسعيد ابن العاص، وعبد الله بن الزُّبير.

ذكر وفاته:

توفي يزيد لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين(١).

وقيل: لتسع عشرة ليلة خلت من صفر(٢). والأول أشهر.

ومات بدمشق، ودُفن بمقبرة الباب الصغير عند أهله. وقيل: مات بحُوَّارِين؛ قرية من قرى حمص [كان مولعاً بتلك الأماكن قبل ولايته] وهذا أشهر(٣).

وقد ذكرَتْه الشعراء في أشعارها فقال ابنُ عرادة يشير إليه:

أبَني أميَّةَ إنَّ آخرَ ملككِم ... جسدٌ بحُوَّارين ثمَّ مقيمُ(٤)

وقال آخر:

يا أيها القبر بحُوَّارينا ... ضَمَمْتَ شرَّ الناسِ أجمعينا(٥)

وقيل لعمرو بن عَبْد(٦) الخولاني الذي خَلَفَ على امرأة أبي مسلم(٧): ألا تُصلِّي على يزيد؟ فقال: تصلي عليه ظِباء حُوَّارِين.

وقيل: إنه مات بحُوَّارِين، وحُمل على أيدي الرِّجال إلى دمشق، فدفن بالباب الصغير عند أبيه [معاوية](٨).

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٣٩٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٩.
(٢) نسب هذا القول في (م) للكلبي. وهو في «أنساب الأشراف» ٤/ ٢٩٣-٢٩٤.
(٣) ينظر المصدر السابق: والكلام بين حاصرتين من (م).
(٤) البيت مع بيتين آخرين في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٤.
(٥) كذا في «مروج الذهب» ٥/ ١٢٦، ونُسب البيت فيه لرجل من عذرة. وجاء في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٥ بروايتين: وفيهما: خير الناس أجمعينا، ونُسبا فيه لرجل من عَنَزَة يقال له: أبو بكر بن حنظلة.
(٦) في (خ) (والكلام منها): عبد الله. وهو خطأ.
(٧) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٤: قيل لأبي مسلم...، بدل قوله: وقيل لعمرو بن عبد. الخ.
(٨) أنساب الأشراف ٤/ ٣٩٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٩، ونُسب الخبر في (م) لابن عساكر.

قال المصنف رحمه الله: والأشهر أنَّ قبره بحُوَّارين، وقد نبشه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس لما زال مُلك بني أمية من حُوَّارين، فلم يجد فيه إلا خطّاً من رماد[١]، [وسنذكره هناك].

وصلَّى عليه ابنُه معاوية. واختلفوا في سنّه على أقوال، أحدها: أنه مات ابنَ ثمان وثلاثين سنة[٢] والثاني: ابن تسع وثلاثين سنة، والثالث: ابن اثنتين وثلاثين سنة [وقد حكى هذه الأقوال الطبري][٣].

وينبغي أن نرجع في هذا إلى تحقيق مولده[٤].

واختلفوا في مدَّة ولايته، فقيل: ثلاث سنين وثمانية أشهر، وقيل: ثلاث سنين وتسعة أشهر.

[قلت:] والتاريخ يكشف ذلك، فإنه [لا خلاف أنه] وليَ عند موت أبيه في أول رجب سنة ستين، ومات في ربيع الأول سنة أربع وستين، فقد كملت له ثلاث سنين وثمانية أشهر وأياماً[٥].

[قال ابن الكلبي:] وكانت سني ولايته تُدعى سني الشُّؤم.

ذكر أولاده وأزواجه:

كان له من الأولاد: معاوية، وخالد، وعبد الله الأكبر، وأبو سفيان؛ أمُّهم فاختة بنت أبي هاشم بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس.

فأما معاويةُ فقد ذكرناه، وأما خالد، فنذكُره في سنة تسعين.

وكان ليزيد: عبدُ الله الأصغر، وعبدُ الرحمن، وعُتبة، ويزيد، ومحمد، وحرب، والربيع، وعبد الله ويلقب أصغر الأصاغر، وعُمر، وأبو بكر، وعثمان.

---

(١) في (خ): يزيد، بدل: رماد. والمثبت من (م)، والكلمتان الآتيتان بين حاصرتين منها.

(٢) في (خ): ومات وله ثمان وثلاثين! (كذا) بدل: واختلفوا في سنّه... إلخ. والمثبت من (م).

(٣) تاريخه ٥/ ٤٩٩ . والكلام بين حاصرتين من (م).

(٤) في (م): وينبغي أن نرجع في هذا إلى الخلاف في مولده على ما ذكرنا، فإن كان وُلد سنة خمس وعشرين، فقد كان ابن ثمان وثلاثين سنة، وعلى هذا الأسلوب.

(٥) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٩ : ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمان ليال. (والكلام الواقع بين حاصرتين من م).

فهؤلاء خمسة عشر ذكراً.

وكان له من البنات: عاتكة، ورَمْلَة، وأمُّ عبد الرحمن، وأم يزيد، وأم محمد، فهؤلاء خمس[١].

وذكر له ابنُ عساكر ولداً آخر؛ قال: واسمُه أميَّة، من أهل عذراء، له ذكر[٢].

فنذكر أعيان أولاده، وقد انقرضوا، فلم يبق له عقب: عبد الله الأكبر، وأبو سفيان أشقاء خالد ومعاوية، وأمُّهم فاختة بنت أبي هاشم، و هي التي يقال لها: أمُّ خالد[٣]، وهي التي أشار إليها ابنُ سيرين فقال: أشْوَقُ بيتٍ قالته العرب قول يزيد بن معاوية:

إذا سرتُ مِيلاً أو تباعدتُ ساعةً دَعَتْني دواعي الشوق من أمِّ خالدِ

وتزوَّج [يزيد] أمَّ مسكين بنت عُمر[٤] بن عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم قلاها وطلَّقها، وكان يُبغض عُبيد الله بنَ زياد، فتزوَّجَتْه مغايظةً ليزيد، فقُتل عنها، فتزوَّجت محمد بنَ المنذر بن الزبير، ثم نافَرَتْه وقالت: واللهِ ما تزوَّجْتُك رغبةً فيك، ولكني أردتُ أن أغسلَ سوأةً وقعتُ فيها[٥].

وعبد الله الأصغر[٦]: يلقَّب بالأُسوار لجودة رميه، وكان فارساً صاحب خيل، وأمُّه أمُّ كلثوم بنتُ عبد الله بن عامر بن كُريز، وفيه يقول عديّ بن الرِّقاع العاملي:

علم الناسُ أنَّ خير قريشٍ حَسَباً حين يُنسبُ الأُسوارُ

بين حَرْب وعامر بن كُرَيْزٍ فأُولاكَ الأكابر الأخيارُ

---

(١) ينظر أولاد يزيد في «نسب قريش» ص ١٢٨-١٣٢، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٥-٣٩٦، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٠٠.

(٢) تاريخ دمشق ٣/ ١٣٩ (مصورة دار البشير) ونقله ابن عساكر فيه عن ابن أبي العجائز.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٩٥. وتاريخ دمشق ٣٩/ ٣٤٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) في (خ) (والكلام منها): أم بكر بنت عمرو وهو خطأ. وزدتُ لفظة «يزيد» بين حاصرتين للإيضاح. وينظر «نسب قريش» ص ٣٦٠، و«تاريخ دمشق» ص ٥٤٨ (تراجم النساء - طبعة مجمع دمشق). ووقع في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٢١: أم مسكين بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

(٥) أنساب الأشراف ٤/ ٣٢٢. وينظر «نسب قريش» ص ٣٦٠-٣٦١.

(٦) أنساب الأشراف ٤/ ٣٩٥ و٤٠٧. وجاء في «تاريخ دمشق» ٣٩/ ٣٤٤-٣٤٥ (طبعة مجمع دمشق): عبد الله الأكبر، ويقال: الأوسط. وينظر «نسب قريش» ص ١٢٩.

وعبدُ الرحمن بن يزيد: أمُّه أمُّ ولد، وكان ناسكاً، ذكره ابن سُميع في الطبقة الثالثة من أهل الشام(١).

وروى الحديث عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وروى عنه محمد بن قيس قاضي عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه(٢).

وقال أبو زُرعة الدمشقي: خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية، وكانا من صالحي القوم(٣).

وكان عبد الرحمن خِلًّا لعبد الملك بن مروان، وهو الذي وعظَ مَسْلَمةَ بن عبد الملك لمَّا لامَه على التَّنسُّك والانقطاع إلى العبادة، فقال: يا مسلمة، هل أنتَ في الحال التي أنت فيها مستعدٌّ للموت؟ قال: لا. قال: فهل عزمتَ على التحوُّل عنها إلى حالة ترضى بها؟ قال: لا. قال: فهذه حال ما أقام عليها عاقل(٤).

وعُمر بن يزيد، أمُّه أمُّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر، مات في حياة أبيه، أصابته صاعقةٌ فأحرقته. وقيل: رعدت السماء فمات، فقال عبد الله بن همَّام:

عُمَرَ الخيرِ يا شَبِيهَ أبيهِ ... أنتَ لو عشتَ قد خَلَفْتَ يزيدا
سُلِّطَ الحَتْفُ في الغمام عليه ... فتلقَّى الغمامُ رُوحاً سعيدا
أيُّها الراكبانِ من عَبْدِ شمسٍ ... أبْلِغا الشامَ أهلَها والجُنُودا
أنَّ خير الفتيانِ أصبحَ في لَحْـ ... ـدٍ وأمْسى بين الكرام فقيدا(٥)

وعُتبة بن يزيد الأعور، روى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه(٦).

وأما بنات يزيد؛ فمنهن عاتكة بنت يزيد [تزوَّجها عبد الملك بن مروان] فأولدها يزيدَ بنَ عبد الملك، وليَ الخلافة(٧).

---

(١) تاريخ دمشق ٤٢/ ١١٥ (طبعة مجمع دمشق).
(٢) المصدر السابق ٤٢/ ١١٢ .
(٣) المصدر السابق ٤٢/ ١١٥ .
(٤) تنظر روايات الخبر في المصدر السابق ٤٢/ ١١٨ـ١١٩ .
(٥) أنساب الأشراف ٤/ ٤٠٩ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٣١٧ (طبعة مجمع دمشق).
(٦) تاريخ دمشق ٤٥/ ١٤٥ (طبعة مجمع دمشق). وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤١٠ .
(٧) وليَ الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز. وزدتُ ما بين حاصرتين من عندي لضرورة السياق.

وإليها تُنسبُ أرض عاتكة خارج باب الجابية، وكانت بها قصور عاتكة، وتمتدُّ منها إلى جانب بَرَدَى[(١)].

وكانت عاتكة من أشرف نساء قريش، جليلة نبيلة عاقلة، من الطبقة الثالثة من نساء قريش، دمشقية، [ذكرها أبو زرعة] فيمن حدَّث بالشام من النساء، روى عنها المهاجر الأنصاري[(٢)].

وهي التي بكت لما توجَّه عبد الملك بنُ مروان لقتال مصعب بنِ الزبير و[بكى] معها أترابُها وجواريها، فقال عبد الملك: قاتلَ اللهُ ابنَ أبي جمعة[(٣)] حيث يقول:

إذا ما أراد الغزوَ لم تَثْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عليها نظم دُرٍّ يَزِينُها

نَهَتْهُ فلمَّا لم تَرَ النَّهيَ عاقَهُ بكَتْ فبكى ممَّا عراها قطينُها

قال المصنف رحمه الله: وقد اتفق لابنتها فاطمة..[(٤)]

وكانت [عاتكةُ][(٥)] تضع خمارها بين يدي اثني عشر خليفة، كلُّهم لها مَحْرَم: أبوها يزيد، وجدُّها معاوية، وأخوها معاوية بن يزيد، وزوجها عبدُ الملك، وزوجُ ابنتها عمر

---

(١) تاريخ دمشق ص ٢٠٣ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٤، واستظهرتُ منه ما أوردتُه بين حاصرتين.

(٣) هو كُثَيِّر عَزَّة. وينظر «الأغاني» ٩/ ٢١، و«العقد الفريد» ٤/ ٤٠٧، و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٠١ (ترجمة كُثيّر ـ طبعة مجمع دمشق)، وتراجم النساء من تاريخ دمشق ص ٢٠٤ (طبعة المجمع أيضاً)، و«ديوان كُثيّر» ص ٣٦٥ـ٣٦٦.

(٤) كذا في (خ) (والكلام منها) وفيه انقطاع ظاهر، ولعل سياق خبر فاطمة هذه سقط من الناسخ، إذ يعني المصنِّف بابنتها فاطمة أنها بنتُ عبد الملك زوجُ عمر بن عبد العزيز (كما سيرد)، وفي قوله: ابنتها فاطمة، وَهْم تابعَ فيه جدَّه ابنَ الجوزيّ في «التلقيح»، فقد ذكر فيه ص٧٠٠ أنَّ لفاطمة هذه ثلاثةَ عشرَ مَحْرَماً كلُّ واحد منهم خليفة. وأوردهم (ووقع في مطبوعه سقط). وكذا ذكر ابنُ الأثير في «الباهر» ص٩٤، فذكر أن معاوية جدُّ أمِّها لأبيها، ويزيد جدُّها لأمِّها، ومعاوية بن يزيد خالُها، ومروان جدُّها لأبيها، وعبد الملك أبوها، والوليد وسليمان ويزيد وهشام إخوتُها، وعمر بن عبد العزيز زوجُها، والوليد بن يزيد ابنُ أخيها، ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد هما ابنا أخيها أيضاً. وقد تعقَّب أبو شامة هذا الكلام في «الروضتين» ١/ ٢٣٢ وقال: وهذا كلُّه مبنيّ على أصل فيه خلل، وهو أنَّ فاطمة بنت عبد الملك ليست أمُّها عاتكةَ بنتَ يزيد بن معاوية، بل أمُّها مخزوميَّة [وهي أمُّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص]. اهـ. فذكرَ رحمه الله أنه كان لفاطمة هذه عَشَرة محارم من الخلفاء يمكن أن تضع خمارَها عندهم، وليس ثلاثة عشر. وقد أفادني بما نقلتُه عن "الروضتين" محقِّقُه الأستاذ إبراهيم الزيبق جزاه الله خيراً. وينظر «تاريخ» دمشق ص٢٩٠-٢٩١ (تراجم النساء) وينظر الخبر التالي.

(٥) ما بين حاصرتين زيادة من عندي لضرورة السياق.

ابنُ عبد العزيز ﷺ[١]، وابنُها يزيد بنُ عبد الملك، وابنُ ابنِها الوليد بنُ يزيد، وبنو زوجها: الوليدُ، وسليمان، وهشام، وابنا ابن زوجها يزيدُ وإبراهيم المخلوع ابنا الوليد ابن عبد الملك.

ويقال: إنها عاشت حتى أدركت قتل ابنِ ابنِها الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٢].

أرسل عبد الملك بنُ مروان إلى عاتكة بنت يزيد زوجته يقول: أشهِدي بمالك لولدِك. فقالت: أرْسِلْ إليَّ شهوداً. فأرسلَ إليها جماعة؛ فيهم رَوْح بن زِنْباع، فقالت: إن أولادي في غنًى عنّي، اِشهدوا على أنني قد جعلتُ مالي وقفاً على آل أبي سفيان، فهم أحوجُ، لتغيّر حالهم.

فخرج رَوْح إلى عبد الملك وهو ممتقع اللون، فقال: أرسلتَني إلى معاوية جالساً في إيوانه. وأخبره الخبر[٣].

ورَمْلَة بنت يزيد؛ تزوَّجها عُتْبة بن عُتْبة بن أبي سفيان، فمات عنها، فخَلَفَ عليها عبَّاد بن زياد، فولدت له، ثم تزوَّج عبَّاد أمَّ عبد الرحمن بنت يزيد بعد رَمْلَة؛ زوَّجه إيَّاها خالد بنُ يزيد، فعيَّره عبدُ الملك بنُ مروان وقال: زوَّجْتَه وقد عرفتَ دعوتَه، فقال له خالد: أما إنه سِلْفُك[٤]، وهو دَعِيِّي، ولو كان دَعِيَّ غيري[٥] لما زوَّجْتُه.

وأمُّ يزيد بنت يزيد، تزوَّجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان[٦]، فولدت له دِحْية[٧].

---

(١) كذا قال المصنف رحمه الله، ويعني بابنتها فاطمةَ بنتَ عبد الملك، وكذا قال جدُّه في «التلقيح» ص٧٠٠، وهو وهم كما سلف الكلام قبل تعليق. وجاء الخبر في «تاريخ دمشق» ص٢٠٥ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة عاتكة) على الصواب، إذ لم ترد فيه هذه العبارة، وجاء فيه بَدَلَها: وأبو زوجها مروان بن الحكم.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٥.

(٤) سِلْفُ الرجل: زوجُ أختِ امرأتِه. وعبدُ الملك بن مروان زوجُ عاتكة بنت يزيد أختِ رملة وأمِّ عبد الرحمن اللتين تزوَّجهما عبَّاد بن زياد واحدة بعد أخرى. ينظر «نسب قريش» ص ١٣٠، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٥-٣٩٦، و«تاريخ دمشق» ص ٦١ (جزء بدون رقم - ترجمة عباد بن زياد، طبعة مجمع دمشق)، و٤٥/ ١٣٧-١٣٨ (طبعة المجمع - ترجمة عتبة بن عتبة بن أبي سفيان).

(٥) في (خ) (والكلام منها): دعا غيرك. والمثبت من المصادر السابقة.

(٦) في هذا الموضع انتهى الخرم في (ب) الذي بدأ ص ٢٦١ أثناء خبر وقعة مرج راهط.

(٧) نسب قريش ص ١٣٠، وأنساب الأشراف ٤/ ٣٩٥.

وأم محمد بنت يزيد [تزوَّجَها عَمرو بن عُتبة بن أبي سفيان، فولَدَتْ له. وأمُّ عثمان بنت يزيد] تزوَّجَها عثمان بنُ أبي سفيان، فولدت له أمَّ الحكم(١).

فهولاء بناتُ يزيد لأمَّهات أولاد شتَّى، غير عاتكة، فإنَّ أُمَّها أمُّ كلثوم بنتُ عبد الله ابن عامر.

ومن نساء يزيد أمُّ محمد بنت عبد الله بن جعفر، خطبها يزيد من أبيها عبدِ الله بن جعفر، فزوَّجه إيَّاها، فحُملت إليه من الشام، فخرج يتلقَّاها وقال:

جاءت بها دُهْم البغال وشبهُها مُسَيَّرةً في جوف قَرٍّ مُسَتَّرِ
مُقابلةٌ بين النبيِّ محمدٍ وبين عليٍّ والجواد ابن جعفرِ
مُنافِيَّةٌ غَرَّاءُ جادَتْ بِوُدِّها لعبدٍ مُنافيٍّ أَغَرَّ مشهَّر

وبلغ عبدَ الله بن جعفر فقال: ما أراه ينسى نفسه في كلّ حال(٢).

وهذه أمّ أبيها بنتُ عبد الله بن جعفر تزوَّجها عبدُ الملك بنُ مروان لما تولَّى الخلافة، فعضَّ يوماً على تفاحة، ورمى بها إليها، فأخذَت السكين وقَوَّرَتْ موضع عضَّته، فقال عبد الملك: ما هذا؟ قالت: أُمِيطُ عنها الأذى. فطلَّقها عبدُ الملك، فتزوَّجها عليُّ بن عبد الله بن عباس أبو الخلفاء، فولَدَت له وماتت عنده(٣).

وقيل: إنَ التي قَوَّرت التفاحة عاتكة بنت يزيد. والأول أصحّ.

ذكر رواية يزيد الحديث:

قال ابن عساكر: روى يزيد الحديث عن أبيه معاوية، وروى عنه ابنُه خالد بنُ يزيد، وعبد الملك بنُ مروان(٤).

---

(١) نسب قريش ص ١٣٠، وما سلف بين حاصرتين منه. وعثمان بن أبي سفيان هو عثمان بن محمد بن أبي سفيان، كما في «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٤٣ (ترجمة عثمان بن يزيد بن معاوية).

(٢) تاريخ دمشق ٥٤٧-٥٤٨ (تراجم النساء) وجاء الخبر في «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٠ في خالد بن يزيد، بدل أبيه يزيد.

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ٦١.

(٤) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٨٩ (مصورة دار البشير).

وقال عبد الله ابنُ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: سألتُ أبي فقلتُ: أتروي الحديث عن يزيد؟ فقال: لا ولا كرامة، أنسيتَ ما فعلَ من قتلِ الحسين بن علي، وهدمِ الكعبة وحرمتها، وإباحتِهِ المدينة ثلاثاً، وغير ذلك[١]؟!

ذكر طرف من الأشعار المنسوبة إليه:

له ديوان مشهور، وقيل: إنَّ معظم الشعر المنسوب إليه منحول[٢]، والله أعلم.

فمن شعره قال:

ومُـدامـةٍ صـفـراءَ فـي قـارورةٍ ... زرقـاءَ تـحـمـلُـهـا يَـدٌ بـيـضـاءُ
فـالـخـمرُ شمسٌ والـحَـبَـابُ كـواكـبٌ ... والـكَـفُّ قـطـبٌ والـزُّجـاج سـمـاءُ[٣]

وله:

ومـشـمـولـةٍ صـاغ الـمـزاجُ لـرأسـهـا ... سـمـاءَ عـقـيـقٍ رُصِّـعَـتْ بـالـكـواكـبِ
بنتْ كعبةَ اللَّذَّاتِ في حَرَمِ الصِّبا ... فحجَّ إليها اللَّهوُ من كلِّ جانبِ[٤]

وله:

وأنـا ابنُ زمزمَ والـحَطِيم[٥] ومولدي ... بـطـحـاءُ مـكـة والـمـحـلَّـةُ يـثـربُ
وإلـى أبـي سـفـيـانَ يُـعْـزَى مـولـدي ... فَـمَـنِ الـمـشـاكِـلُ لـي إذا مـا أُنْـسَـبُ
ولَـوَ انَّ حـيّـاً لارتـفـاع قـبـيـلـةٍ ... وَلَـجَ الـسـمـاءَ ولـجـتُـهـا لا أُحْـجَـبُ
وأنـا الـمـجـيـرُ عـلـى الزمـان وصَـرْفِـهِ ... مـن جـاء مـن حِـدْثـانِـهِ يـتـعـتَّـبُ

ومنه:

أيـا سَـمُـراتٍ بـالـمُـحَـصَّـبِ من مِـنًـى ... تَـعَـرَّيْـتِ مـن أوراقِـكِ الـخَـضِـراتِ

---

(١) هو بنحوه في «منهاج السنة» ٢/ ٢٥٣.

(٢) سأنسب الأشعار الآتية إلى قائليها على حسب ما يمكنني الوقوف عليه.

(٣) نُسب البيتان في «يتيمة الدهر» ٢/ ٢٢٨، و«معاهد التنصيص» ٢/ ١٨٢ لأبي بكر الخالدي، وفيهما: والإناء سماءُ. قوله: الحَبَاب، يعني الفقاقيع على وجه الشراب.

(٤) أخذهما ابنُ بقيّ الأندلسي، وهما في ترجمته في «الخريدة» ٣/ ٥٧٩ (قسم شعراء المغرب)، وصدر البيت الأول فيه: ومشمولة في الكأس تحسب أنها. وينظر «وفيات الأعيان» ٦/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٥) الحَطِيم: جدار حِجْر الكعبة.

يُرادُ من الأشجارِ طِيبُ ظلالِها ... وما يُجتنَى منها من الثمراتِ
إذا لم يكنْ فيكنَّ ظلٌّ ولا جَنًى ... فأبعدكنَّ اللهُ من شَجَراتِ[1]

ومنه:

وقائلةٍ لي حين شَبَّهتُ وجهَها ... ببدرِ الدُّجى يوماً وقد ضاقَ منهجي
تُشَبِّهُني بالبدر! هذا تناقصٌ ... بقدري ولكنْ لستُ أوَّلَ من هُجِي
ألم ترَ أنَّ البدرَ عند كمالِهِ ... إذا بلغَ التشبيه عادَ كدُمْلُجِي[2]
فلا فخرَ إنْ شبَّهتَ بالبدر مَبْسَمي ... وبالسحر أجفاني وبالليل مَدْعَجي[3]
فقلت [لها] لا تنكري ضعفَ خاطري ... وكثرةَ إفراطي وعُظْمَ تلجلجي
فلم يبق لي عقلٌ من الحبِّ ثابتٌ ... أُقايِسُ بين المستوي والمعوَّجِ

ومنه:

دعُوني أَدَعْها وهي بي مُستهامةٌ ... بنفس[4] حتى تقطَّعَ النفسُ الكبدا
فتركي لها مادام فيَّ بقيَّةٌ ... بأحسنَ لي من أنْ أكونَ لها عبدا
ولما التقينا للوداع وقلبُها ... وقلبي يَبُثَّانِ الصبابةَ والوَجْدا
بكت لؤلؤاً رَطْباً ففاضت مدامعي ... عقيقاً فصار الكلُّ في نحرها[5] عِقْدا

[وقال:

اسقني شَرْبَةً تُرَوِّي فؤادي ... ثمَّ مِلْ واسْقِ مثلَها ابنَ زيادِ
موضعَ السِّرِّ والأمانةِ (عندي) ... وعلى ثَغْرِ مغنمي وجهادي[6]

وقال:

تمتَّعْ من الدنيا بساعتك التي ... تكونُ بها مالم تُعِقْكَ العَوائقُ

(١) نُسب هذا البيت في «التدوين في أخبار قزوين» ٤/ ١٧٤ لعلي رضي الله عنه.
(٢) الدُّمْلُج: الحِلْية تحيط بالعضد.
(٣) من دَعَجِ العين، وهو شدة سوادها وبياضها واتساعها.
(٤) كذا في (خ) و(م). ولعلها: بنفسي، (وفي هذا الموضع من النسخة ب خرم).
(٥) في (م): جيدها.
(٦) سلف البيتان ص ١٨٦، وفي الخبر ثمة أن ابن زياد هو عُبيد الله، وفي «الأغاني» ١٥/ ٢٩١-٢٩٢ أنه سَلْم بن زياد.

فلا يومُك الماضي عليك بعائدٍ ولا يومُك الآتي به أنت واثقُ

وقال[١]:

ألامُ على نَجْدٍ وأبكي صبابةً رُوَيْدَكَ يا دمعي ويا عاذِلي رِفْقا
فلي بالحِمى مَنْ لا أُطيقُ فِراقَهُ به يَسْعَدُ الواشي ولكنْ به أشقى
إذا لم يَدَعْ مني هواه وهجرُه[٢] سوى رَمَقٍ يا أهل نَجْدٍ فكم أبقى
ولولا الهوى ما رقَّ للناس جانبي ولا رضيَ الواشونَ منّي بما ألقى[٣]

وقال:

يا صَرْخَةَ البَيْنِ كم فَتَّتِّ من كَبِدٍ ويا منادي فراقٍ كم تُنادينا
ويا غُرابُ بِشَتِّ الشَّمْلِ تُخبِرُنا فارَقْتَ إلْفَكَ كم بالبَيْنِ تَنْعِينا[٤]
أقولُ للرَّبْع إذْ طالَ الوقوفُ به ما بالُ أطلالِ ليلى لا تُحيِّينا
لولا اللِّوَى ما لَوَى قلبي الغرامُ ولا أضحى فؤادي بوادي الحُزْنِ محزونا
واللهِ ما طلَبَتْ أرواحُنا بَدَلاً عنكُمْ ولا انصرَفَتْ منّا أمانينا
إنَّ الزمانَ الذي قد كان يُضحِكُنا أُنساً بقربِكُمُ قد عاد يُبْكِينا
أذاقَنا فَقْدُ مَنْ كُنَّا نُسَرُّ به يُميتُنا في الهوى طَوْراً ويُحْيِينا

وقال:

ما حرَّم اللهُ شُرْبَ الخمرِ من عَبَثٍ منه ولكنْ لِسِرٍّ مُودَعٍ فيها
لمَّا رأى الناسَ أمْسَوْا مُغْرَمين بها وكلَّ معنًى حَوَوْهُ من معانيها
أوْحَى بتحريمها خَوْفاً عليه بأنْ يُضْحُوْا لها سُجَّداً من دونِ باريها][٥]

---

(١) نسب ياقوت الأبيات الأربعة الآتية (مع بيت خامس) في «معجم الأدباء» ١٧/ ٢٦١ لمحمد بن أحمد الأَبِيوَرْدِي، وهي في «ديوانه» ٢/ ٢٢٧.

(٢) في المصدرين السابقين: نواه وحبُّه.

(٣) في المصدرين السابقين: ولا رَضِيَتْ مني (وفي الديوان: منكم) قريش بما ألقى.

(٤) كذا لضرورة الشعر، والجادة: تنعانا.

(٥) الأبيات الواقعة بين حاصرتين (يعني من قوله: اسقني شربة... إلى هذا الموضع) من النسخة (م). وفي نسبة هذا الشعر إلى يزيد نظر.

ومنه:

أمِنْ شَرْبةٍ من ماء كرمٍ شربتُها غضبتَ عليَّ؟ الآن طابَ لي السُّكْرُ
سأشْربُ فاغضَبْ لا رضيتَ، كلاهما حبيبٌ إلى قلبي عقوقُك والخمرُ(١)

ومنه:

زائرٌ نَمَّ عليه حُسْنُهُ كيف يُخفي الليلُ بدراً طلَعَا
رصدَ الخَلْوةَ حتى أمْكَنَتْ ورَعَى العاذلَ حتى هَجَعَا
كابدَ الأهوالَ في زَوْرَتِهِ ثمَّ ما سلَّم حتى ودَّعا(٢)

ومنه:

قد شربنا المُدامَ من كفِّ ساقٍ ناعسِ الطَّرْفِ ناعمِ الأطرافِ
بين ليلى ذوائبٌ وظلام وصباحَيْ سوالفٍ وسُلافِ

ومنه:

أقولُ لعيني حين جادَتْ بدمعها(٣) وإنسانُها في لُجَّةِ الدمعِ يغرقُ
خُذي بنصيبٍ من محاسن وجهِها ذَرِي(٤) الدمعَ لليومِ الذي نتفرَّقُ

ومنه:

مستوقفي بين ذلِّ الصَّدِّ والمللِ لم يبقَ لي منكَ إلا لذَّةُ الأملِ
لا تَرْحَلَنَّ فما أبْقَيْتَ من جَلَدِي ما أستطيعُ به توديعَ مُرْتَحِلِ
ولا من الغَمْضِ ما أقري الخيالَ به ولا من الدمع ما أبكي على طَلَلِ(٥)

ومنه:

لَيْلِي ولَيْلَى نَفَى نَوْمي اختلافُهما حتى لقد صيَّراني في الهوى مَثَلا

---

(١) فوات الوفيات ٤/ ٣٣٣. ونقل ابنُ قتيبة في «عيون الأخبار» ٣/ ٩٣ عن الأصمعي أن أعرابياً عاتب ابنَه في شرب النبيذ، فلم يُعْتِب، وقال البيتين.

(٢) أورد ابن خَلّكان الأبيات (باختلاف يسير) مع بيت رابع في «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٥٠ في ترجمة العكَوَّك أبي الحسن علي بن جبلة، وذكر أنها من مشهور شعره. ونسبها ياقوت في «معجم الأدباء» ١٧/ ١٢٣ لمحمد بن أحمد الهاشمي.

(٣) في «الحماسة البصرية» ٢/ ١٤٥: بمائها.

(٤) في المصدر السابق: دعي.

(٥) جاءت الأبيات الثلاثة في «يتيمة الدهر» ٣/ ٤٤٨ ضمن قصيدة لأبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي.

يجودُ بالطُّولِ ليلِي كلَّما بخلَتْ ... بالطَّول لَيْلَى، وإن جادَتْ به بَخِلا[١]

ومنه:

خُذُوا بدمي ذاتَ الوِشاح فإنَّني ... نظرتُ بعيني في أناملها دمي

ولا تُخبروني إنْ سمعتُم بموتها ... بل خبِّروها إنْ سمعتُمُ بمأتمي

وميالةِ الأعطاف مهضومةِ الحَشَا ... تبدَّت لنا بين الحَطِيمِ وزمزمِ

لها حُكْمُ لقمانٍ وصورةُ يوسفٍ ... ونغمةُ داودٍ وعفَّةُ مريمِ

ولي حزنُ يعقوبٍ وذلّة يونسٍ[٢] ... وآلامُ أيوبٍ ووَحْدةُ آدمِ

فلا تحسبوا أني قتيلُ صوارمٍ ... ولكن لِحاظٍ قد رمَتْني بأسهمِ

ولو لم يمسَّ الأرضَ فاضلُ بُرْدِها ... لما كان عندي فُسحةٌ في التيمُّمِ

ومنه:

متى شافهَتْ بي[٣] العِيسُ سَلْمَى مُسَلِّماً ... وأنْجَدَ بالسَّارِينَ مَنْ كان مُتْهِما

تَقَلْقَلَ قلبي واقْشَعَرَّتْ جوارحي ... إذا قيل هذا رَمْلُ يَبْرِينَ والحِمَى

كأنَّ حَمامَ الأيكِ بعد فراقِنا ... أقامَ لفقداني هنالك مأتما

على مُقْلَةٍ تبكي العَقِيقَ بمثلِهِ ... وتفضُلُ حزناً مالكاً ومُتَمِّما

سَقَى عَلَمَيْهَا مُغْدِقُ الوَبْلِ مُسْبِلٌ ... إذا ما بكى في رَبْعِ دارٍ تَبَسَّمَا

يَهُلُّ بمنهلِّ العَزَالِ[٤] بطاقةٍ ... فيُلبِسُه ثوباً من الوَشْيِ مُعْلَمَا

ومنه:

ولمَّا تلاقَيْنا وجَدْتُ بَنَانَها ... مُخَضَّبةً تحكي عُصارةَ عَنْدَمِ

فقلتُ خَضَبْتِ الكَفَّ بعدي وهكذا ... يكون جزاءُ المستهامِ المُتَيَّمِ

فقالت وأذكَتْ في الحَشَا لوعةَ الجَوَى ... من النارِ لم تُخمد ولم تتضرَّمِ

---

(١) نسبهما العبَّاسيّ في «معاهد التنصيص» ١/ ٢٦٦ لبعض المتأخرين، ولم يسمّه.

(٢) كذا في (ب) و(خ) و(م)، وليست لائقة أن تُقال لنبيّ!.

(٣) في (ب): في. والأبيات ليست في (م).

(٤) كذا في (ب) و(خ). والعَزَالي جمع العَزْلاء، وهو مصبّ الماء من القِرْبة ونحوها. يقال: أرسلت السماء عَزَالِيَها، أي: انهمرت المطر.

بَكَيْتُ دماً يومَ النَّوى فمسَحْتُهُ بكفِّيَ فاحْمرَّتْ بنانيَ من دمِ
ولو قبلَ مَبْكاها بَكَيْتُ صَبَابةً بسُعْدَى شَفَيْتُ النفسَ قبل التندُّمِ
ولكنْ بَكَتْ قبلي فَهَيَّجَ لي البُكَا بُكاها وكان الفَضْلُ للمتقدِّمِ

ومنه:

يا جَوارِ[ي] الحَيِّ عُذْنَنِيَهْ حَجَبُوا عنِّي مُعَذِّبِيَهْ
رَشَأٌ[1] كالبَدْرِ طَلْعَتُهُ لو سقاني سُمَّ سَاعَتِيَهْ
لم أقُلْ إني سَلَوْتُ ولا إنَّ مَنْ أهْوَاه مِلَّتِيَهْ
فهو حَجِّي وهو معتَمَري وهو فَرْضي وهو سُنَّتِيَهْ
وهو قصدي وهو معتمدي وهو جالينوسُ عِلَّتِيَهْ
قَرِّبُوا عُوداً وباطِيَةً[2] فبذا أدْرَكْتُ حَاجَتِيَهْ

السنة الخامسة والستون

فيها خرج سليمان بنُ صُرَد إلى النُّخَيْلَة[3] في مستهلّ ربيع الآخِر للوعد الذي كان قد واعدَ عليه أصحابَه، ويسمَّى جيش التَّوَّابين، فنزل بها، وخرج إليه الناس، فلم يعجبه قلَّتهم، فبعث إلى حكيم بنِ منقذ الكندي[4] والوليد بنِ غُصين، فقال: اذهبا إلى الكوفة، فناديا: يا لَثارات الحسين، فدخلا إلى الكوفة، وبلغا المسجد الأعظم، وسمع الناس، فخرجوا وقاموا من الفُرُش، منهم عبد الله بن خازم الأزدي؛ كان مع زوجته سهلة بنت سبرة، من الأزد، وكانت من أجمل الناس وأحبِّهم إليه، فلما سمع الصوت قام، فلبس درعه، وحمل سلاحه، وركب فرسه، فقالت له امرأته: أَجُنِنْتَ؟! إلى أين؟ قال: ويحكِ! أما تسمعين داعيَ الله؟! فأنا مُجيبُه، وطالبٌ بدم هذا الرجل،

(١) الرَّشَأ: ولدُ الظَّبْيَة إذا قويَ وتحرَّك ومشى مع أمه.
(٢) البَاطِيَة: الخمر وإناؤها.
(٣) موضع قرب الكوفة على سمت الشام، خطب فيها علي رضي الله عنه خطبة مشهورة، ذمّ فيها أهل الكوفة. ينظر «معجم البلدان» ٥/ ٢٧٨.
(٤) في (ب) و(خ): الكناني، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨٣، و«الكامل» ٤/ ١٧٥. ووقع في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٣: حكم بن منقذ.

أو يقضيَ الله ما أحبَّ. فقالت: إلى من تدعُ بيتَك وولدَك؟ قال: إلى الله تعالى، ثم قال: اللهم احفظني فيهم. وخرج حتى لحق بهم.

وخرج أشراف الكوفة، فأصبحوا في النُّخَيْلة، فكانوا ستة عشر ألفاً، وقيل: أربعة آلاف، وكان أسماؤهم في ديوان سليمان ستة عشر ألفاً، فلم يصفَ منهم سوى أربعة آلاف، فقال حُميد بن مسلم لسليمان: إن المختار يُثبِّط الناس عنك. فقال: أما تخافون الله؟! أما تذكرون ما أعطَوْنا من المواثيق والعهود؟!

ثم أقام بالنُّخيلة ثلاثاً يبعثُ أصحابَه إلى الكوفة يُذَكِّرُهم اللهَ والعهودَ التي أعطَوْه، فخرج إليه منهم [نحوٌ من ألف] رجل[1]، فقال المسيّب بن نَجَبَة لسليمان: إنه لا ينفعُك الكاره، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النِّيَّة، فلا تنتظرنَّ أحداً، واكْمِشْ في أمرك.

فقام سليمان متوكِّئاً على قوسه فقال: أيها الناس، مَنْ كان إنما أخرجَتْه إرادةُ وجهِ الله عزَّ وجلَّ وثوابِ الآخرة، فذلك منَّا ونحن منه، ومن كان إنما يريد الدنيا؛ فواللهِ ما نُريد إلا وجهَ الله تعالى، وما معنا ذهبٌ ولا فضَّة، ولا حريرٌ ولا خزّ، ولا عَرَضُ الدنيا، وإنما هي سيوفُنا على عواتقنا، ورماحُنا في أكفِّنا، وزادٌ قَدْرَ البُلغة إلى أنْ نُلاقيَ عدوَّنا، فمن لم يكن منَّا فلا يَصْحَبْنَا.

فتنادى الناس من كلِّ جانب: لا لِدُنْيا خرجنا، ولا لها طلبنا. فقيل له: أتسير إلى قَتَلَةِ الحسين بالشام، وقَتَلَتُهُ عندنا بالكوفة كلهم؟! [منهم] عُمر[2] بن سعد، ورؤوس الأرباع، وأشراف القبائل؟!

وقال له عبد الله بن سعد: أين تذهب وتدع الأوتار وراءنا؟ فقال سليمان: إن ابن زياد هو الذي جهَّز إلى قتاله، وعبَّأ الجيوش، وفعل ما فعل، فإذا فرغنا منه عُدنا إلى أعدائه بالكوفة، ولو قاتلتُم أهلَ مصركم؛ ما عَدِمَ الرجل أن يرى رجلاً قد قتلَ أباه أو

---

(١) في (ب) و(خ): فخرج إليهم منهم رجل. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨٤، وما بين حاصرتين منه، وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٣.

(٢) في (ب) و(خ): عمرو. وهو خطأ. وكذا في الموضع الآتي. والكلام هنا مختصر عن رواية الطبري ٥/ ٥٨٥_٥٨٦. وما بين حاصرتين منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٣.

أخاه أو حميمه، فيقع التخاذل، فإذا فرغتُم من الفاسق ابنِ الفاسق ابنِ مَرْجَانة؛ حصل لكم المراد. فقالوا: صدقت.

وبلغ عبد الله بنَ يزيد الخَطْمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة ذلك، فخرجا إليهم في أشراف أهل الكوفة بعد أن طلبا الإذن في خروجهما إليهم، فأذنَ سليمان وأصحابُه، فقال عبدُ الله بنُ يزيد لكلٍّ من هو معروف بقتل الحسين رضي الله عنه: لا تصحبونا إلى القوم، إنا نخافُ عليكم منهم. فتأخَّروا عنه.

وكان عُمر بن سعد تلك الأيام التي عسكر فيها [سليمان] بالنُّخَيْلَة لا يبيتُ في داره، بل في قصر الإمارة مع الخَطْمِيّ خوفاً لا يُبَيِّتُوه في داره.

ولما دخل الخَطْميُّ وإبراهيم بنُ محمد بن طلحة على سليمان؛ حمدَ اللهَ الخطميُّ وأثنى عليه[1] وعلى رسوله وقال: أما بعد، فإنَّ المسلم أخو المسلم لا يخونُه ولا يغشُّه، وأنتم إخوانُنا وأهلُ بلدنا وأحبّ خلق الله إلينا، فلا تَفْجَعونا بأنفسكم، ولا تشذُّوا[2] علينا برأيكم، ولا تنقصوا عَدَدَنَا بخُروجكم من جماعتنا، أقيموا معنا، فإذا تيقَّنَّا أنَّ عدوَّنا قد شارف بلادنا؛ خرجنا بجماعتنا فقاتلناه. وتكلَّم إبراهيم بمثل ذلك.

فقال لهما سليمان: إني قد علمتُ أنكما قد مَحَضْتُما النصيحةَ، واجتهدتُما في المشورة، ونحن إنما خرجنا للهِ تعالى، ولا نُرانا إلا شاخصين.

فقال الخَطْمي: فأقيموا حتى نجهِّز معكم جيشاً كثيفاً تلقَون عدوَّكم به، فتكونوا به ظاهرين عليه، فقال سليمان: انصرفا الآن حتى نرى رأينا. فقال لهم الخَطْمي وابنُ طلحة: أقيموا ونحن نخصُّك وأصحابَك بخراج جُوخَى دون الناس. فقال سليمان: ما خرجنا للدنيا، بل لبذل نفوسِنا لله تعالى.

وإنما فعل الخَطْمي وابنُ طلحة ذلك خوفاً من ابن زياد أن يفجأهم.

---

(١) وقع خرم في (ب) بدءاً من هذا الموضع وحتى ص٣٧٣ (أحداث سنة ٦٦ أول ذكر مسير جيش المختار).
(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٨٧ : ولا تستبدُّوا.

ثم أجمع القوم على المسير إلى قتال ابنِ زياد، وكانوا قد انتظروا إخوانهم من أهل البصرة والمدائن، وأبطؤوا عليهم، فقال سليمان: لعلَّ عوَّقهم قلةُ نفقة، أو أمر آخر، فسيروا، فهم يلحقون بنا.

فساروا عشيَّة الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الآخِر سنة خمس وستين، فنزل سليمان دار الأعور[1]، وتخلَّف عنه ناسٌ كثير، ثم سار، فنزل أقساس[2] ـ بلد على شاطىء الفرات ـ لعرض الناس، فسقط منهم نحوٌ من ألف رجل، فقال سليمان: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ لأنَّ الله كره انبعاثهم فثبَّطهم.

ثم أدلجوا، فَصَبَّحُوا قبرَ الحسين عليه السلام، فلما رأَوْه صاحُوا صيحة عظيمة واحدة، وبكَوْا، فما رُئي باكياً أكثر من ذلك اليوم[3]. وقالوا: يا ربَّنا، إنَّا خذلنا ابنَ بنتِ نبيِّنا ﷺ، فاغفر لنا ذنوبنا، وتُبْ علينا. وتضرَّعوا وبكَوْا.

ثم ساروا [و] على الناس أربعة[4]: سُليمان بن صُرَد، وهو أمير القوم، والمسيَّب ابن نَجَبَة الفَزَاري، وعبد الله بنُ سعد الأَزْدي، وعبد الله بن وال التَّيْمي، ورِفاعة بن شدَّاد البَجَلي، والأمورُ راجعةٌ إلى ابنِ صُرَد، فأخذُوا على طريق [الحَصَّاصة، ثم على] الأنبار، ثم على صَنْدُودَاء[5]، ثم على القَيَّارة، وجعل سليمانُ على مقدمته كُريب بن يزيد[6] الحميري. وتَقَدَّمهم عبد الله بنُ عوف الأحمري[7] يرتجز، فقال وهو على فرس كُمَيْت[8]:

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٤، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٥٨٩ : دير الأعور، وفي «الكامل» ٤/ ١٧٧ : دار الأهواز.

(٢) قرية بالكوفة يقال لها: أقساس مالك، نسبة إلى مالك بن عبد هند. ينظر «معجم البلدان» ١/ ٢٣٦ .

(٣) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٨٩ : فما رئي يومٌ كان أكثر باكياً منه. وفي «الكامل» ٤/ ١٧٨ : فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم.

(٤) بل خمسة، وسلف ذِكرُهم ص٢٦٥ (أحداث سنة ٦٤). وزدتُ الواو بين حاصرتين للسياق.

(٥) في (خ): صدوديا. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٤ . وما بين حاصرتين منه ومن «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٩٠ ، ووقع فيه: الصدود، بدل: صدوداء.

(٦) كذا في «تاريخ الطبري»، وفي «أنساب الأشراف»: مرثد.

(٧) في (خ): الأحمشي. وهو خطأ، وهو: عبد الله بن عوف بن الأحمر.

(٨) الكُمَيْت من الخيل: ما كان لونُه بين الأسود والأحمر.

خَرَجْنَ يلمعْنَ بنا أرسالا   عَوابساً يَحْمِلْننا أبطالا
نريدُ أن نَلْقَى بها الأقتالا[(١)]   القاسطين الغُدُر الضُلّالا
وقد رَفَضْنا الأهل والأموالا   والخَفِراتِ البِيضَ والحِجَالا[(٢)]
نُرْضِي به ذا[(٣)] النِّعم المِفْضالا

وكان عبد الله الخَطْمي قد كتبَ إلى سليمان والتوابين كتاباً، فلَحِقَهم بالقَيَّارة[(٤)]، فقرأه سليمان عليهم، وإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن يزيد إلى سليمان بنِ صُرَد ومن معه من المسلمين، سلامٌ عليك، أما بعد، فإنَّ كتابي إليكم كتابُ ناصحٍ شفيق، وكم من ناصحٍ مُستغشّ، وكم من غاشٍّ ناصح، بلغني أنكم تريدون المسير بالعدد اليسير إلى الجمع الكبير، وإنَّ من أراد أن ينقلَ الجبال عن أماكنها تَكِلُّ مَعاولُه، ويفرَغُ وهو مذمومُ الفعل والعقل، يا قومنا لا تُطمِعُوا عدوَّكم في أهل بلادكم، فإنكم أخيارٌ كلُّكم، وأعلامُ أهل مصركم، ومتى ما يُصيبُكم عدوُّكم أطمعه ذلك فيمن وراءَكم، يا قومنا «إنَّهم إن يَظْهَرُوا عليكم يرجُموكم أو يُعيدوكم في ملتهم ولن تُفلحوا إذاً أبداً» وإنَّ أيدِيَنا وأيديَكم واحدة، وعدوَّنا وعدوَّكم واحد، ومتى تجتمعْ كلمتُنا نظهرْ على عدوِّنا، ومتى تختلفْ تَهُنْ شوكتُنا على [مَنْ] خالفَنا، يا قومنا لا تستغشُّوا نُصحي، ولا تُخالفوا أمري، وأقْبِلُوا حين يُقرأ عليكم كتابي، أقبلَ الله بكم إلى طاعته، وأدْبَرَ بكم عن معصيته، والسلام.

وقال سليمان لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ قالوا: قد أبَيْنا هذا عليهم ونحن في مصرنا بين أهلنا، فالآن حين خرجنا ووطَّنَّا أنفُسنا على الجهاد، ودنَونا من أرض عدوّنا! ما هذا برأي، فما تقول أنت؟ فقال سليمان: إنكم لم تكونوا أقربَ من إحدى الحُسْنَيَيْنِ منكم من يومكم هذا للشهادة أو الفتح، ولا أرى أن تنصرفوا عمّا جعلكم[(٥)] الله عليه من

---

(١) جمع قِتْل، وهو المِثْل والنظير في قتال وغيره.

(٢) الخَفِرات: جمع خَفِرة، وهي شديدة الحياء، والحِجال جمع حَجَلة، وهي ساتر كالقُبَّة يزيَّن بالثياب والستور للعروس.

(٣) في (خ) (والكلام منها): يرضَى به ذو. والتصويب من «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩١.

(٤) الذي لحقهم بالقَيَّارة بالكتاب هو المُحِلّ بن خليفة الطائي، كما في المصدر السابق.

(٥) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٢: جمعكم.

الحق، ونحن وهؤلاء مختلفون، لأنهم يدعُوننا إلى الجهاد مع ابن الزبير لو ظهروا، ونحن لا نرى ذلك إلا ضلالاً، وإن نحن ظهرنا رَدَدْنا هذا الأمر إلى أهله، فإن أُصِبْنا فعلى نيَّاتنا، تائبين من ذنوبنا، إنَّ لنا شكلاً ولابن الزبير شكلاً، ونحن وإياه كما قال القائل:

أرى لكِ شَكْلاً غيرَ شكلي فأقْصِري عن اللَّوم إذْ بُدِّلْتِ واختلفَ الشَّكْلُ

ثم كتبوا جواب الخَطْمي:

بسم الله الرحمن الرحيم، للأمير عبد الله بن يزيد، من سليمان بن صُرَد ومن معه من المؤمنين، سلامٌ عليك، أما بعد، فقد أتانا كتابُك، وعلمنا ما ذكرتَ، فنِعْمَ ـ واللهِ ـ الوالي، ونِعْمَ الأميرُ، ونِعْمَ أخو العشيرة، أنتَ ـ واللهِ ـ مَنْ نأمنُه بالغيب، ونستنصحه في المشورة، ونشكره على كلّ حال، وقد سمعنا الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ١١١ـ١١٢] إنَّ القوم قد استبشروا ببيعتهم التي بايعوه، وتابوا من عظيم ذنبهم، وتوجَّهوا إلى الله، وتوكلوا عليه، ورضُوا بما قضى الله لهم ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ والسلام عليك.

ولما قرأ الكتاب قال: استمات القوم، واللهِ ليُقتَلُنَّ كراماً مسلمين، ولا يُقتلون حتى يكثر القتل بينهم(١).

وساروا، فنزلوا هِيْت، ثم ساروا فنزلوا قريباً من قَرْقِيسيا، وبها زُفَر بن الحارث الكلابي قد تحصَّنَ بها، ولم يخرج إليهم، فبعثَ سليمان بنُ صُرَد المسيَّبَ بنَ نَجَبَة وقال له: ائتِ ابنَ عمِّك هذا، فقل له فليُخْرجْ لنا سُوقاً، فإنَّا لسنا إيَّاه نريد، وإنَّما قصدنا هؤلاء المُحِلِّين.

فجاء المسيَّب إلى باب الحصن، فقال: افتحوا، ممَّن تتحصَّنُون؟ فقال له هُذَيل بنُ زُفَر: مَنْ أنت؟ فقال: أنا المسيَّب بن نَجَبَة. فمضى الهُذَيل إلى أبيه، فقال له: قد جاء إلى الباب المسيِّب، فقال زُفَر: هذا فارس مُضَر الحمراء كلِّها، وهو رجل ناسك له دين. [ائذنْ له].

---

(١) ينظر «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٠ـ٥٩٣. وما سيرد بين حاصرتين منه.

فأذن له، فدخل، فأجلسه زُفر إلى جانبه، وسَاءَلَه، فألطفَ له في المسألة، فقال له: ما إياك نُريد، وإنَّما نريد هؤلاء المُحِلِّين، فأَخْرِجْ لنا سُوقاً، فما نُقيم بساحتك إلا يوماً.

فأمر زُفر ابنَه الهُذيل أن يُخرج لهم سوقاً، وأمر للمسيِّب بألف درهم وفرس، فقبلَ الفرسَ، وردَّ الدراهم، وقال: ما خرجنا لهذا، وهذا الفرس أتَقَوَّى به على جهاد الظالمين المُحِلِّين. وبعث لسليمان والمقدَّمين جوائز وطعاماً وعَلَفاً، وشعيراً كثيراً، ودقيقاً، فحملوا منه ما أطاقوا.

ثم أصبحوا من الغد، فارتحلوا على تعبئة، وخرج زُفَر فشيَّعهم وقال لسليمان بن صُرَد: إنَّ ابن زياد قد بعث إليكم خمسة أمراء قد فَصَلُوا عن الرقَّة، منهم الحُصين بنُ نُمير السَّكوني، وشُرَحْبيل بن ذي الكَلاع، وأدهم بن محرز الباهلي، وربيعة بن مخارق الغَنَوي، وحملة[1] بن عبد الله الخثعمي، وقد أَتَوكم [في] مثل الشجر والشَّوْك، واللهِ لقلَّما رأيتُ[2] رجالاً أحسنَ هيئة وعُدَّة منهم، وإنِّي أعرضُ عليكم رأياً لعلَّ اللهَ أن يجعلَ لنا ولكم فيه خيراً: إنْ شئتُم فتحنا لكم الباب[3]، فدخلتُموها، فكان أمرُنا واحداً، ويدُنا واحدة، وإنْ شئتُم نزلتُم إلى جانب قرقيسيا، وخرجنا فخيَّمْنا إلى جانب خيمكم، فإذا جاءنا العدوّ قاتلناه جميعاً.

فقال ابنُ صُرَد: قد أرادَنا أهلُ مِصْرنا على مثل هذا، فأبينا، ولسنا بفاعلين. فقال زفر: فاقْبَلُوا ما أُشيرُ به عليكم، فإني واللهِ للقومِ عدوّ، وأنا لكم محبٌّ، إنَّ القومَ لمَّا أقبلوا من الشام نزلُوا الرَّقَّة، وقد رحلوا عنها طالبين عين وَرْدَة[4]، فبادِرُوهم إلى عين الوردة، واجعلوا المدينةَ وراء ظهوركم والرُّسْداق والماء والمادة بين أيديكم، وأمَّا من ناحيتي فأنتم آمنون، والله ما رأيتُ جيشاً أحسنَ منكم، فبادِرُوا واسبِقُوهم، وإذا التقيتُم فلا تقفوا لهم ترامونهم وتطاعنونهم، فإنهم أكثرُ منكم، فإن استُهدفتُم لهم لم يلبثوا أن يصرعوكم، وليس معكم رجَّالة، ومعهم الرجَّالة والفُرسان، والرجَّالةُ تحمي

(١) كذا في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٤ . وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٤ ، و«الكامل» ٤/ ١٨٠ : جبلة.
(٢) في (خ) (والكلام منها): لقد قلت ما رأيت. والمثبت من «تاريخ الطبري»، ولفظة «في» بين حاصرتين منه.
(٣) في «تاريخ الطبري»: مدينتنا، بدل: الباب.
(٤) هي رأس عين في الجزيرة (جزيرة الشام). ينظر «معجم البلدان» ٤/ ١٨٠ .

فرسانَها، وأنتُم ليس معكم رجَّالة يحمونكم، فإذا التقيتُم فبُثُّوا المَقَانِبَ[١] والكَتائبَ فيما بين ميمنتهم وميسرتهم، فإنْ حمَلَتْ كتيبةٌ ترجَّلَت الكتيبةُ التي إلى جانبها وحَمَتْها، ومتى شاءت كتيبة ارتفعت، ومتى شاءت شغلت[٢]، ولا تكونوا صفّاً واحداً، فإنَّ الرجال إذا حملوا على الصفّ انتقض، ولْتُرْدِفِ الكتائب بعضُها بعضاً.

ثم وقف زُفر، فدعا لهم، وسأل اللهَ النُّصرة والمعونة، فدعا له الناس.

وقال له ابن صُرَد: نِعْمَ المنزولُ به أنت، أكرمتَ النُّزُل، وأحسنتَ الضيافة، ونصحتَ في المشورة.

ثم إنَّ القوم جَدُّوا في المسير، ورتّب ابنُ صُرَد الكتائب كما أمره زُفَر، وساروا على الشَّمْسانيَّة، ثم على السُّكَيْر[٣]، حتى أَتَوْا عين وَرْدَة، فنزلوها في غربها، وسبقوا القومَ إليها، فعسكروا، وأقاموا خمساً، وأراحوا خيلهم واستراحوا إلى أن جاء القوم، فكانت الوقعة على عين وَرْدَة.

حديث الوقعة

وأقام ابنُ صُرَد لمَّا نزل على عين وردة خمساً، وأقبلت عساكر الشام مع ابن زياد، فأقام ابنُ زياد بالرَّقَّة، وجهَّزَ إليهم الجيوش، فقصدوهم حتى بقي أهل الشام من عين وَرْدَة على يوم وليلة، وكان عُبيد الله بنُ زياد في ثلاثين ألفاً، والتوَّابون في أربعة آلاف[٤].

وعلم سليمان بنُ صُرد، فقام فخطب، وقال في خطبته: أما بعد، فإنَّ الله قد أتاكم بعدوِّكم الذي دأبتُم في السير إليه آناء الليل وأطراف النهار، فإذا لقيتُموهم فاصدُقوهم اللقاء، واصبروا، فإنَّ الله مع الصابرين، وإنكم قد أتيتُموهم في عُقر دارهم، [وما غُزِيَ قومٌ في عُقر دارهم][٥] إلا ذَلُّوا، لا تقتلوا مدبراً، ولا تُجهزُوا على جريح، ولا تُوَلُّوهم الأدبار. هذه سيرةُ أمير المؤمنين علي عليه السلام.

---

(١) المقانب: جمع مِقْنَب، وهي جماعة من الفرسان والخيل دون المئة تجتمع للغارة. المعجم الوسيط».

(٢) يقارن بما في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٥ .

(٣) الشمسانية والسُّكَيْر: بُلَيْدتان على الخابور. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٢٣١ و٣٦٢ . وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٤ .

(٤) ينظر ما سلف ص ٣١٤ عن عدد التوَّابين، وجاء بعده في (خ) (والكلام منها): وعين وردة!

(٥) ما بين حاصرتين من عندي لضرورة السياق.

ثم قال: فإنْ أنا قُتلتُ، فأميرُ الناس المسيِّب بن نَجَبَة، فإنْ أُصيب المسيِّب؛ فعبدُ الله ابنُ سعد بنِ نُفيل، فإنْ أُصيب؛ فعبدُ الله بن وال، فإن أصيب؛ فرِفاعة بن شدَّاد.

ثم بعث المسيَّبَ بنَ نَجَبَة في خمس مئة[1] فارس، وقال: سِرْ حتى تلقى أوائلَ عسكرهم، فشُنَّ عليهم الغارة، فإنْ رأيتَ ما تُحبُّ؛ وإلَّا فعُدْ إلينا.

فسار نحو القوم، فلقُوا راعياً من الأعراب يطرُدُ أحمرةً ويقول:

يا مالِ لا تَعْجَلْ إلى صَحْبي واسْرَحْ فإنك آمنُ السِّرْبِ

فاستبشرَ بقوله، وساروا، فوقعوا على عسكر ذي كَلاع وهم غارُّون[2]، فحملوا عليهم، فانهزموا، وتركوا عسكرَهم وما فيه، فحازه المسيّب وقال: الرَّجْعة، فإنكم قد غنمتُم وسلمتُم.

فعادوا إلى أصحابهم، وبلغ عُبيدَ الله بنَ زياد، فسرَّح إليهم الحُصينَ بنَ نُمير السَّكوني في اثنَيْ عشرَ ألفاً، فجاء إلى عين وَرْدَة يوم الأربعاء لثمان ليال بقين من جمادى الأولى، وجعل ابنُ صُرَد على ميمنته عبدَ الله بنَ سعد بنِ نُفيل، وعلى ميسرته المسيّب بن نَجَبَة، ووقفَ سليمان في القلب، وجعلَ الحُصين على ميمنته حملة[3] بن عبد الله، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغَنَويَّ، فنادَوْا: ادْخُلوا في طاعة أمير المؤمنين، وقال التَّوابون: ادفعوا إلينا عُبيدَ الله بنَ زياد لنقتلَه ببعض قَتَلَةِ الحسين[4]، ثم نردَّ هذا الأمر في بيت نبيِّنا ﷺ. فأبَوْا عليهم، والتقَوْا واقتتلُوا، وكان الظَّفَرُ للتوَّابين.

فلما كان من الغد قدم عليهم من ذي الكَلاع ثمانيةُ آلاف؛ أمدَّهم به ابنُ زياد، فاقتتلُوا اليوم الثاني إلى الليل، وكثُرت الجِراح في الفريقين.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٥، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٦ و«الكامل» ٤/ ١٨١: أربع مئة.

(٢) أي: غافلون، جمع غارّ.

(٣) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٨: جَبلَة، وفي «الكامل» ٤/ ١٨٢: جملة.

(٤) ودعَوْهم أيضاً ـ كما في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٩٨ ـ إلى أن يخلعوا عبدَ الملك بنَ مروان، وأن يُخرِجَ مَنْ ببلادهم من آل ابن الزبير. وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٥، و«الكامل» ٤/ ١٨٢.

فلما كان اليوم الثالث ـ وهو يوم الجمعة ـ اقتتلوا قتالاً عظيماً، وأحاط بهم أهلُ الشام من كلِّ جانب فترجَّل سليمانُ، وكسَرَ جَفْن سيفِه ونادى: يا عبادَ الله، من أراد الرَّوَاح إلى ربِّه والتوبةَ من ذنبه والوفاءَ بعهده؛ فليأْتِ إليّ. فترجَّل معه ناس، وكسروا جُفُون سيوفهم، وحملوا حتى صاروا في وسط القوم، وقتلُوا من أهل الشام مقتلَةً عظيمة، ورأى الحُصين سليمان فعرفَه، فرماه بسهم، فوقع في نحره[1]، فقال: فُزْتُ وربِّ الكعبة.

وأخذ الرايةَ المسيَّبُ بنُ نَجَبَة، وحملَ فأبلى بلاءً حسناً، فقُتل، فأخذها عبد الله بنُ سعد وقال: رحم الله أخويَّ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الآية [الأحزاب: ٢٣] ثم قُتل، فأخذَها عبدُ الله بنُ وال، فقُتل وهو يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩][2].

وجاء الليل، ولم يبق من الأمراء إلا رِفاعة بن شدَّاد البَجَلي، فسار بمن بقي من الناس في الليل، فقطع الخابور، ومرُّوا قريباً من قرقيسيا، فبعث إليهم زُفَر الطعامَ والعلفَ والأطبَّاء، وقال: أقيموا عندنا ما أحببتُم، فلكم الكرامة والمواساة، فأقاموا ثلاثاً، ثم تزوَّدوا وساروا، وكان أهل البصرة وأهل المدائن قد ساروا خلفهم، فلما انتهوا إلى هِيْت؛ بلغهم خبرُ الوقعة، فعادُوا. ولما وصل القوم إلى الكوفة؛ وجدوا المختار محبوساً[3].

وبعث ابنُ زياد برأس ابن صُرَد وابن نَجَبَة إلى مروان، فصعد المنبر وقال: قد أهلك الله رؤوس الضلالة سليمان وأصحابه. وعدَّهم[4].

ولما قدم التوَّابون الكوفة كتب إليهم المختار من الحبس: مرحباً بالعَصَب الذين أعظم الله لهم الأجر، ورضيَ عنهم، أما وربِّ البَنِيَّةِ التي بنى ما خطا أحدٌ منكم

(١) جاء في المصادر أن الذي رماه بسهم فقتله هو يزيد بن الحُصين. ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٥، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٩٩، و«مروج الذهب» ٥/ ٢١٦ـ٢١٧، و«الكامل» ٤/ ١٨٣.

(٢) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٦٠٢.

(٣) المصدر السابق ٥/ ٦٠٥.

(٤) المصدر السابق.

خُطوة، ولا رتا رَتْوةً(١) إلا كان ثواب الله له أعظمَ من الدنيا وما فيها، إنَّ سليمان بن صُرَد قضى ما عليه، وتوفَّاه الله، فجعل رُوحه مع أرواح النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي به تُنصرون، وإنما أنا الأميرُ المأمون، قاتلُ الجبَّارين المُحِلِّين، والمُقِيدُ من الأوتار، فأَعِدُّوا واستعدُّوا، وأبشروا واستبشروا، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنةِ رسولِه، والطلبِ بدماء أهل البيت، والدفعِ عن المساكين، ورَدْعِ الظالمين(٢).

وفيها عقدَ مروان البيعة لابنيه عبدِ الملك وعبدِ العزيز، وكان مروان حين بُويع بالخلافة عهد إلى خالد بن يزيد بعده، ثم إلى عمرو بن سعيد بن العاص، فلما فتح مصر عهد إلى ابنه عبد العزيز، فعزَّ ذلك على بني أمية وآل حرب وقالوا: غَدَرَ وكذَب. وعزموا على خلعه، فعهد إلى عبد الملك وولَّاه فلسطين، وعهد بعهده إلى عبد العزيز، وولَّاه مصر.

وفيها سار مروان إلى مصر، فافتتحَها، وكان على مصر عبد الرحمن بن عُتبة بن أبي إياس بن جَحْدم، فخرج مروان من دمشق، واستخلف عليها ولدَه عبد الملك.

ولما مرَّ مروان بفلسطين ـ وقيل: بِرَفَح ـ كان بها أهلُ السائب بن هشام العامري(٣)، وكان السائب مقيماً بمصر عند [ابن] جَحْدم، [وعند] وصول مروان إلى الساحل(٤) جهَّز إليه السائبَ في ثلاثة آلاف فارس، وكان مروان لما مرَّ بأهل السائب قال له رَوْح ابن زِنْباع: خذ ابنَي السائب معك رهينة. فأخذَهما، وسارَ مروان إلى مصر، فالتقَوْا دون الفسطاط، فأخرج مروان ابنَي السائب بين الصفَّين، ونادى منادي مروان: إنْ لم يرجع السائب عن قتالنا وإلا قتلناهما.

فرجع السائب إلى الفسطاط، فبعث إليه ابنُ جَحْدم جيوشاً ومروان يهزمُها، فصالحه ابنُ جَحْدم على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله، فأجابه مروان، وخرج إلى ابنِ الزبير إلى مكة(٥).

---

(١) بمعنى ماقبلها، أي: خطا خطوة.

(٢) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٦٠٦ .

(٣) في (خ) (والكلام منها فقط): العدوي، وهو خطأ.. وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣١٩ .

(٤) كذا في (خ). وزدتُ ما بين حاصرتين لضرورة السياق.

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣١٨-٣١٩ .

وقيل: إن مروان قتلَ ابنَ جحدم في هذه السنة، واستخلفَ عبدَ العزيز على مصر[١].

وعاد مروان إلى الشام، وقال لعبد العزيز: يا بُنيّ، أَرْسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ، وإن كان عليك حقٌّ غُدوةً فلا تؤخِّرْه إلى عشيَّة، وعلى العكس، وإيَّاك أن يظهر منك كذبٌ لرعيَّتك، فإنه إن ظهر لهم منك ذلك في الباطل لم يصدِّقُوك في الحقّ، واستشر جلساءك [وأهل العلم، وقرِّب أهل الحَسَب والدين والمروءة، وليكونوا جلساءك]، ثم اعرف لهم منازلهم، وإن غضبتَ على أحد من رعيَّتك، فلا تُعاقبه حتى يسكنَ غضبُك، ولا تؤاخذه عند سَوْرَة الغضب. أقول قولي هذا وأستخلفُ اللهَ عليك[٢].

ذكر يوم الرَّبَذَة:

[قال علماء السِّيَر:] ولما عاد مروان من مصر جهَّزَ جيشاً إلى ابن الزُّبير مع حُبَيْش بن دُلَجَة في ستَّة آلاف وأربعِ مئة؛ فيهم يوسف بن الحَكَم الثقفي، ومعه ابنُه الحجَّاج [ابن يوسف]، وكان جابر بن الأسود بن عوف عامل ابن الزبير على المدينة، فهرب إلى مكة.

وجهَّز إليهم عبد الله بن الزُّبير جيشاً من الحجاز، وكتب إلى البصرة يطلب الجيوش، وكان على البصرة الحارث بن [عبد الله بن أبي ربيعة، ويقال له: القُباع، وكان ابن الزبير قد ولّى][٣] عبدَ الله بنَ مطيع الكوفة.

فجهَّزَ الحارثُ الحَنْتَفَ[٤] بنَ سِجْف التميميّ على جيش البصرة، واجتمعوا بجيش الكوفة، وساروا في خمسة آلاف.

وكان حُبَيْش بن دُلَجَة لما أتى المدينة؛ نزل عسكرُه بالجُرْف، ودخل هو المدينة، فنزل بدار مروان، وهي دار الإمارة، واستعمل على سوق المدينة رجلاً من مزينة يُدعى مالكاً.

---

(١) من قوله: وكان على مصر عبد الرحمن بن عتبة... إلى هذا الموضع، وقع بدلاً منه في (م) ما صورتُه: «وقال الواقدي: كان ذلك سنة أربع وستين، وقال هشام: في سنة خمس وستين، وقد ذكرنا أن عبد العزيز وليَ مصر، وجعله مروان وليَّ عهده».

(٢) العقد الفريد ١/ ٤٢، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٢-٣٣٣. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٣) ما بين حاصرتين من (م)، ووقع فيها: بن ربيعة، وهو خطأ.

(٤) في (م): الحنيف (وكذا في المواضع الآتية). ولم تجوّد في (خ). والصواب ما أثبتُّه. وينظر «الإكمال» ٢/ ٥٦٠، و«توضيح المشتبه» ٣/ ٣٧٥.

وأخاف حُبيشٌ أهلَ المدينة، وآذاهم وقال لهم: يا أهل النِّفاق والشِّقاق.

[وقال أبو اليقظان:] وصعد منبرَ رسولِ الله ﷺ، فجعلَ يأكل التمر على المنبر، ويرميهم بالنَّوَى ويقول: إن هذا ليس بموضع الأكل، ولكني أردتُ أن أعرِّفكم هوانكم عليَّ. ألستُم خذلتُم أمير المؤمنين [عثمان] وفعلتُم وفعلتُم؟ وإنَّ لكم يوماً كيوم الحَرَّة[١].

وأساء السيرة، وأفسد أصحابُه فيها، وأخرجوا الناس من منازلهم.

[قال ابن سعد: ووصل الحَنْتَفُ في ذلك الحال ومعه جيوش العراق كما ذكرنا][٢].

[وقال هشام:] ولما وصل حُبيش إلى المدينة التقاه جيشُ ابنِ الزُّبير، فاقتتلوا، فكانت في أوَّل النهار على أهل الشام، ثم صارت في آخره على أهل الحجاز، فانهزموا، ودخل حُبيش المدينة، وفعل ما فعل، فبينا هو كذلك إذ أقبل الحَنْتَفُ في جيوش أهل العراق، وانضاف إليه مَنْ هربَ من جيش الحجاز، فخرج إليهم حُبَيْش، وخلَّف بالمدينة بعضَ أصحابه خوفاً من مَدَد ابنِ الزبير أن يصل إليها، وكمن له الحَنْتَفُ بالرَّبَذَة. ولما وصلَ إليها لم يشعر إلا بالكمين من كل ناحية، فأخذتهم الرِّماح والسيوف، وقتلوا أهلَ الشام قتلاً ذريعاً، وقُتل حُبَيْش بنُ دُلَجَة، وأُسِرَ من أهل الشام خمسُ مئة[٣].

وهرب يوسف ومعه ابنه الحجَّاج؛ أردفَه خلفَه، فكان الحجَّاج يقول: ما أقبحَ الهزيمة! لقد لقينا يوم الرَّبَذَة ما لا يُوصف.

[قلت:] وكان الحجَّاج يُعيَّر بذلك اليوم؛ ولَّى الحجاجُ خالدَ بنَ عتَّابِ بنِ ورقاء التميميّ - وكنيتُه أبو سليمان - الرَّيّ، وكانت أمُّه أمَّ ولد، وكان خالد قد حلف لا يسبُّ أمَّه أحدٌ إلا سبَّ أباه[٤] كائناً من كان، فكتب إليه الحجَّاجُ يَلْخَنُ أمَّه[٥] ويقول له: أنتَ

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٢٢-٣٢٤، و«تاريخ دمشق» ٤/ ١٩٥ (مصورة دار البشير).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) ولم أقف عليه في «طبقات» ابن سعد.

(٣) ينظر المصدران السابقان، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٦١١-٦١٢.

(٤) في (خ) (والكلام منها فقط): أبيه. وأثبتُّ اللفظة على الجادة.

(٥) أي قال له: يا ابن اللَّخناء، من اللَّخَن، وهو نتن الرِّيح عامَّة، وتقال في السَّبّ. يقال: لَخِنَ الرجلُ ولَخِنَت المرأة، أي: أنتنت أرفاغُهما (مواضع اجتماع الوسخ من البدن).

هربتَ عن أبيك حتى قُتل [فكتب إليه خالد: كتبتَ تَلْحَنُني، وتزعم أنني فررتُ عن أبي حتى قُتل][1]، ولَعَمْرِي إنني ما ذهلتُ عنه إلا بعد ما قُتل، ولم أجد لي مساعداً، وأمَّا أنتَ يا ابنَ اللَّخناء المستفرمة بعَجَم الزَّبيب؛ أخبِرْني عنك حين مررتَ أنتَ وأبوك يومَ الرَّبَذَة على جمل ثَفَال[2]؛ أيُّكما كان أمام صاحِبه؟!

فقرأ الحجاج كتابه وقال: صدق:

أنـا الـذي فَـرَرْتُ يـومَ الـحَـرَّهْ [ثـم ثَـبَـتُّ كَـرَّةً بِـفَـرَّهْ]

والـشـيـخُ لا يـفـرُّ إلا مَـرَّهْ

ثم طلبه، فهربَ إلى الشام، ولم يأخذ من بيت المال درهماً.

وكتب الحجَّاج إلى عبد الملك [بما كان منه. وقدم خالد الشام، فسأل عن وزير عبد الملك]، فقيل: رَوْحُ بن زِنْباع. فأتاه حين طلعت الشمس، فقال: إني أتيتُك مستجيراً. قال: قد أجرتُك، إلا أن تكون خالداً. قال: فأنا خالد. فتغيَّر وجهُ رَوْح وقال: أنْشُدك الله إلا خرجتَ عنّي، فإنّي أخافُ عبدَ الملك. فقال: أَنْظِرني حتى تغرب الشمس. فجعل رَوْح يُراعيها حتى خرج خالد، فأتى زُفَر بنَ الحارث، فاستجارَ به، فأجارَه، ودخل على عبد الملك بعد ما أَسَنَّ زُفَر، فقال: قد أجرتُ خالداً فقال: لا ولا كرامة. فقال: يا عبد الملك لو كنتَ تعلمُ أنَّ يدي تُطيق حَمْلَ القناة، وأن تُمسك عِنانَ الجَواد؛ لأَجَرْتَ من أجرتُ. فضحك عبدُ الملك وقال: قد أجرناه.

وأُتيَ عَتَّاب بن ورقاء بامرأةٍ من الخوارج، فقال لها: يا عدوَّة الله، ما الذي حَمَلَكِ على الخروج علينا؟ أما سمعتِ قول الله تعالى:

كُـتـبَ الـقـتـلُ والـقـتـالُ عـلـيـنـا وعـلـى الـغـانـيـات جَـرُّ الـذُّيُـولِ

فقالت: يا عدوَّ الله، جهلُكَ بكتاب الله هو الذي أخرجني عليك[3].

---

(١) ما بين حاصرتين من «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٠٨ (مصورة دار البشير - ترجمة خالد بن عتاب).

(٢) الثَّفال من الدوابّ: البطيء الثقيل الذي لا ينبعث إلا كرهاً.

(٣) ينظر هذا الخبر والذي قبله في «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٠٧-٥٠٨ أو «مختصره» ٧/ ٣٨٨-٣٨٩، والكلام المستدرك بين حاصرتين منهما.

ثم قدم الحَنْتَف المدينة، وتلقَّاه أهلُها، وفرحوا به [وقالوا: ما أنت إلا الحتف، لا الحَنْتَف][١].

وبعث ابنُ الزبير أخاه مصعباً، فضرب رقابَ الأُسارى في مصارع شهداء الحَرَّة، فيُقال: أصحاب حُبَيْش زادوا على قتلى الحَرَّة.

وجعل الحنتفُ يضربُ أعناقَهم ويقول: يا لَثارات أهل الحَرَّة. وقال الحَنْتَف: مَنْ أتاني بيوسف الثقفيّ وابنِهِ الحجَّاج، فله ما أراد. فسارت الخيلُ في آثارهما، فلم تدركهما.

ودعا أهلُ المدينة؛ الرجالُ والنساءُ والصبيان للحَنْتَف وقالوا: شفيتَ الصدور. وسار الحَنْتَف إلى مكة[٢].

وقيل: إن الذي قتل حُبَيْش بن دُلَجَة يزيدُ بن سِيَاه [الأسواري؛ رماه بنُشَّابة فقتله، فلما دخلوا المدينة؛ وقف يزيد بن سِياه] على بِرْذَوْن أشهب، وعليه ثياب بياض، فاسودَّ البِرْذَوْن والثياب ممَّا طرح عليه الناس من الطِّيب، ومسحُوا بأيديهم[٣].

وفيها قُتل نافع بنُ الأزرق الخارجيّ، وكانت شوكةُ الخوارج قد اشتدَّت[٤] لأنه كان قد وقع الخلاف بين الأزد وتميم والقبائل بسبب قتل مسعود بن عمرو، فقصد نافع البصرة، فلم يظفر منها بشيء، فسار إلى الأهواز، فأرسل إليه أهل البصرة مسلمَ بنَ عبيس، فالتقوا بمكان يقال له: دَوْلَاب[٥]، فاقتتلوا قتالاً لم يُرَ مثلُه، فقُتلَ مسلمُ بنُ عبيس [و] نافعُ بنُ الأزرق، فأمَّرت الخوارجُ عليهم عبد الله بنَ الماحوز، وأمَّر أهلُ البصرة عليهم الحجَّاج بن باب الحميري، فأقاموا أياماً يقتتلون، وجاءت الخوارجَ نجدةٌ، فانهزمَ أهلُ البصرة بعد قتالٍ شديد، وجاء الفَلُّ[٦] إلى البصرة، فخاف أهلُها.

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٣٢٦. وما بين حاصرتين من (م).
(٢) ينظر المصدر السابق ٥/ ٣٢٦-٣٢٧، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٦١٢.
(٣) تاريخ الطبري، وما بين حاصرتين منه.
(٤) اقتصر كلام هذه الفقرة في (م) على لفظ: وفيها قُتل نافع بن الأزرق الخارجي، وكان شوكةَ الخوارج، وكانوا قد اشتدُّوا بالبصرة، وكان قد قتل بمكان يقال له: دولاب.
(٥) يطلق هذا الاسم على أكثر من موضع، والمراد به هنا قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ. ذكره ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٤٨٥، وذكر أن المحدثين يقولون: دُولاب، بضم الدال، وقال: وقد رُوي بالفتح.
(٦) أي المنهزمون (وتقال هذه اللفظة للواحد والجمع). (وزدتُ الواو السالفة بين حاصرتين لضرورة السياق).

ثم قصدت الخوارجُ البصرة، فبينما هم كذلك؛ إذ قدم المهلَّب بنُ أبي صُفْرة من عند عبد الله بنِ الزُّبير بعهده على خُراسان، فقال الأحنفُ بنُ قيس للحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة: واللهِ ما لهم غيرُ المهلَّب. فكلَّموه في ذلك، فقال: هذا عهدُ ابنِ الزُّبير معي على خُراسان، ولم أكن لأَدعَ أمرَه.

فاتَّفق الأحنفُ والحارثُ والأشرافُ على أن يفتعلوا كتاباً على لسانِ ابنِ الزُّبير يأمرُه فيه بقتال الخوارج. فكتبوه، وفيه:

أمَّا بعد، فإن الحارثَ بن عبد الله كتب إليَّ يُخبرُني أنَّ الأزارقة أصابُوا جنداً من المسلمين، وأنهم قد أقبلوا نحو البصرة، وكنتُ قد وجَّهْتك إلى خُراسان وكتبتُ عهدك، وقد رأيتُ أن تتولَّى قتالَ الخوارج، فإنَّ الأجر فيه أعظمُ من مسيرك إلى خراسان.

فلما قرأ المهلَّب الكتاب قال: واللهِ لا أسيرُ إليهم حتى تجعلُوا لي ما غلبتُ عليه، وتُقوُّوني من بيت المال، وأنتخبُ من فرسانكم ووجوهِكم مَنْ شئتُ. فأجابُوه إلا طائفة من بكر بن وائل ومالك بن مسمع، فحقَدَها عليهم المهلَّب.

وسار إلى الخوارج، فخندَقَ عليه واحترزَ، فلم يظفروا منه بشيء، فكانَ أشدَّ عليهم من جميع مَنْ قاتلَهم، ولم يزل يقاتلُهم ويظهرُ عليهم حتى انهزموا مقتولين مسلوبين إلى أرض كَرْمان، ونواحي أصبهان[1].

وأقام المهلَّب بالأهواز حتى عُزل الحارثُ بنُ عبد الله ـ المعروف بالقُبَاع ـ عن البصرة، وجاء مصعبُ بنُ الزبير عاملاً عليها، وبلغَ ابنَ الزُّبير أنَّ أهل البصرة افتعلوا ذلك الكتاب، فلم يقل شيئاً، وسُرَّ بقتل الخوارج وهزيمتهم إلى كَرْمان، وكتبَ إلى المهلَّب فشكره.

ولما هزم المهلَّبُ الأزارقة كتب إلى الحارث كتاباً يخبره فيه بما جرى، وبدأ باسم الحارث، فقال: للأمير الحارث من المهلَّب.

---

(١) ينظر الخبر مفصلاً في «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٥٢ـ٢٧٠ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٦١٣ـ٦١٩ .

فكتب إليه القُباع: أمَّا بعد، فقد وصلَني كتابُك يا أخا الأزد تذكرُ فيه نصر الله إيَّاك وظَفَرك بالقوم، فهنيئاً لك يا أخا الأزد بشرف الدنيا وعزِّها وثواب الآخرة، والسلام عليك.

فلما قرأ المهلَّب كتابَه ضحك ثم قال: أتُراه ما يعرفني إلا بأخي الأزد؟ ما أهل مكة إلا أعراب(١)!

وكان الوقعة بينهم بمكان يقال له: سِلَّى وسِلِّبْرَى(٢) في ثلاثين ألفاً، والخوارج في اثني عشر ألفاً، فقتل من الخوارج تسعة آلاف(٣)، وانهزم الباقون.

وفيها ولَّى مروان ابنَه محمداً الجزيرة(٤).

وفيها عزل عبد الله بنُ الزبير عبدَ الله بن يزيد الخَطْميّ عن الكوفة، وولَّاها أخاه مصعباً.

وكان سببُ عزله أنَّه خطبَ الناس، فقال: قد رأيتُم ما صنع اللهُ بقوم ثمود في ناقة(٥) قيمتُها خمس مئة درهم. فسمِّي مقوِّمَ الناقة. وبلغ ابنَ الزبير، فقال: إنَّ هذا لهو التكلُّف.

وفيها خالفَ مَنْ كان بخُراسان من بني تميم عبدَ الله بنَ خازم.

وسببُه أن بني تميم أعانوه على من كان بها من ربيعة حتى صفت له خُراسان، فجفاهم بعد ذلك، فحاربوه، وجرت بينهم حروبٌ كثيرة(٦).

وفيها مات مروان بن الحكم، ووليَ ابنُه عبدُ الملك(٧).

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٦٢٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٦٩ .

(٢) لم تجوّد اللفظتان في (خ) (والكلام منها): وهما معاً لموضع واحد من نواحي خوزستان قرب جنديسابور، وهي مَنَاذر الصغرى، ذكرها ياقوت في «معجمه» ٣/ ٢٣٢ ، وذكر فيها الوقعة بين الخوارج والمهلّب.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٦٢٢ ، و«معجم البلدان» ٣/ ٢٣٢ : سبعة آلاف.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٦٢٢ .

(٥) كذا في (خ) (والكلام منها)، وثمود قوم صالح، وعبارة الطبري (والكلام فيه) ٥/ ٦٢٢ : بقومٍ في ناقة.

(٦) تاريخ الطبري ٥/ ٦٢٣ .

(٧) المنتظم ٦/ ٣٨ . وينظر خبر تولية مروان لابنه عبد الملك في «تاريخ» الطبري ٥/ ٦١٠ .

الباب الخامس

في ولايةِ عبد الملك

وكنيتُه أبو الوليد، وأبو مروان(١)، وكان يُلَقَّبُ بِرَشْحِ الحَجَر؛ لبُخله(٢)، وأبا الذِّبَّان؛ لِبَخَرِه(٣)، فإنه لم يكن أحد يستطيع أن يدنوَ منه حتى يجعلَ على فيه منديلاً.

[وحكى ابنُ عساكر عن مصعب الزُّهري قال: سمَّى مروانُ ابنَه عبدَ الملك القاسمَ، وكان يُكنى به، فلما بلغه النهي؛ حوَّل اسمه، فسمَّاه عبدَ الملك، وكنَّاه أبا الوليد. قال: هو أوَّلُ من سَمَّى في الإسلام عبدَ الملك](٤).

وأمُّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة(٥) بن أبي العاص بن أمية [بن عبد شمس].

ومعاوية هذا هو الذي جَدعَ أنفَ حمزة ﷺ [يومَ أُحُد وهو قتيل](٦)

وُلد عبد الملك سنة ثلاث وعشرين، وقيل: سنة ستّ وعشرين، ووُلدَ لستة أشهر، وقيل: لسبعة، وقيل: لأربعة.

ولما وَلِيَ الخلافة دخل عليه عُبيد الله بن ظَبْيان، فقال له عبد الملك(٧): ما هذا الذي يقول الناس فيك؟ قال: وما يقولون؟ [قال: يقولون:] إنك لا تشبه أباك. فقال عُبيد الله: [واللهِ لَأَنا أشبهُ به من الماء بالماء، والغراب بالغراب، ولكنْ أَدُلُّك على مَنْ لم يُشبه أباه. قال: مَنْ هو؟ قال:] مَنْ لم تُنْضِجْه الأرحام، ولم يولد لتمام، ولم يشبه

(١) في (م): قال علماء السير ممن سمّينا: كان يكنى أبا الوليد وقيل: أبو مروان.

(٢) لأن الحجر لا يرشحُ الماء إلا نادراً.

(٣) البَخَر ـ بالتحريك ـ النَّتن في الفم وغيره.

(٤) ينظر «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٤٢ (طبعة مجمع دمشق) والكلام بين حاصرتين من (م).

(٥) في (م): معاوية بن حُديج بن المغيرة. وهو خطأ. وينظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢١، ونسب قريش ص ١٦٠، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٢ و٢٤٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) ما بين حاصرتين من «أنساب الأشراف» ١/ ٤٠١. وقوله: ومعاوية هو الذي جدع...إلخ تحرَّف في (م) إلى قوله: وقيل: إن معاوية هو حُديج. وينظر أيضاً «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٠.

(٧) في (خ) (والكلام منها): دخل عليه عَبْد الله بن ظبيان، فقال له عبد الله. وهو خطأ. وعُبيد الله بن ظبيان هو عُبيد الله بن زياد بن ظبيان.

الأخوال والأعمام. وعنى به عبدَ الملك. فقال عبد الملك: ومَنْ ذاك؟ قال عُبيد الله: ابنُ عمّي سُويد بن منجوف. فسكتَ عبدُ الملك[(١)].

[ذكر بيعته وما يتعلق بها

قال علماء السِّير:]

وبويع أول يوم من رمضان عند وفاة أبيه بعهدٍ منه[(٢)].

[وقال ابن عائشة:] ولم يكن بالمدينة شابٌّ أورعَ منه، ولا أنسك ولا أفقه ولا أكثر صلاةً وعبادة، وكان يسمَّى حمامةَ المسجد[(٣)]. وجاءَتْه الخلافةُ والمصحفُ في حِجْره، فأطبقه وقال: هذا فراقُ بيني وبينِك، هذا آخِرُ العهد بك[(٤)].

[وقال عمر بن شبَّة:] جهَّز يزيد بن معاوية جيشاً لقتال ابن الزُّبير إلى مكة، فنفضَ عبدُ الملك ثوبَه واستعاذ بالله ثلاثاً، وقال: أتبعثُ جيشاً إلى حرم الله يُقاتلُ ابن حواريّ رسول الله ﷺ؟! فضرب يوسف اليهوديُّ صدرَه وقال: لِمَ نَفَضْتَ ثوبَك؟! الجيشُ الذي تُسيِّرُهُ أنتَ أعظم[(٥)]!

ووقع من عبد الملك فَلْس في بئر الحُشّ[(٦)] قبل أن يليَ الخلافة، فاكترى مَنْ أخرجه بثلاثة عشر ديناراً، فقيل له في ذلك، فقال: كان عليه اسم الله تعالى.

وقد كان أسرع إليه الشيب، فقيل له في ذلك، فقال: وكيف لا يُسرع [إليَّ] الشيبُ وأنا أعرضُ عقلي على الناس في كل جمعة. يعني الخطبة[(٧)].

---

(١) أنساب الأشراف ٦/ ٣١٧، والعقد الفريد ٤/ ٣١-٣٢ (وما بين حاصرتين منه). وينظر «مجمع الأمثال» ١/ ٣٨٦، و«المستقصى في أمثال العرب» ١/ ١٨٨، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٧ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة مصعب بن الزبير).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢٣، وأنساب الأشراف ٦/ ٣٠٠، ومروج الذهب ٥/ ٢٠٩، وتاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٦ و٢٥٧ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة عبد الملك). وما سلف وسيرد بين حاصرتين من (م).

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٨، و«المنتظم» ٦/ ٣٩.

(٤) ينظر «تاريخ بغداد» ١٢/ ١٢٧-١٢٩، و«تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٤٧-٢٤٨ و٢٥٦ (الطبعة المذكورة).

(٥) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٥٥.

(٦) أي: الكنيف. وفي (م): الحشى. والخبر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٦٧ وفيه: في بئر قذرة.

(٧) المصدر السابق ٤٣/ ٢٦٦.

وكان معاوية جعله على ديوان المدينة مكان زيد بن ثابت وهو ابن ستَّ عشرةَ سنة[١].

وكان له يوم حُصر عثمان رضي الله عنه ثلاث عشرة سنة، وقيل: عشر سنين.

[وقال أبو اليقظان:] وكان عبد الملك حازماً فهماً فطناً ممارساً للأمور، لا يكل أمره إلى غيره[٢].

قال مالك بن عُمارة بن عقيل: كنت أجالس عبدَ الملك بن مروان بفِناء الكعبة وهو صبيّ، فقال لي يوماً: يا مالك، إنْ عشت، فسترى الأعناقَ إليَّ مائلةً، والآمالَ نحوي سامية، فإذا كان ذلك، فما عليك أن تجعلني لرجائك باباً، ولأمَلِك سبباً؟ فوالله لأملأنَّ يديك مني عطيَّة، ولأكسونَّك مني نعمة.

ومضى على هذا دهر، فلمَّا أفضت الخلافةُ إليه؛ رجعت من مكة إلى دمشق، فأقمتُ ببابه أسبوعاً لم أصل إليه، فلما كان يومُ جمعة؛ خرج إلى المسجد، فخطبَ، فأقبلتُ عليه بوجهي، فأعرض عنّي، أفعلُ ذلك مراراً، فعزَّ عليَّ، فلما انصرفَ من صلاته إذا برجل قد دخلَ المسجد فقال: أين مالك بنُ عُمارة؟ قلت: ها أنا ذا. فقال: أجِبْ أميرَ المؤمنين.

فدخلتُ وسلَّمتُ عليه، فردَّ، وأدناني حتى أجلسني معه على سريره، ثم سألني عن أهل مكة، وعن أهلي، ثم قال: لعلك ساءك ما رأيتَ منّي؟ قلت: نعم. قال: لا يَسُوءُك، فإنَّ ذلك مقامٌ لا يُسمع فيه إلا ما رأيتَ، وههنا قضاء حقِّك.

ثم أمر، فأُخْلِيَ لي منزلٌ إلى جانب قصره، وأُقيم لي فيه جميعُ ما أَحتاجُ إليه، وكنتُ أحضرُ عنده غداءه وعشاءه، فمللتُ من المقام، وتبيَّن فيَّ ذلك، فقال: لعلك اشتَقْتَ إلى أهلك؟ قلت: نعم، فقد وغرتُ[٣] عليهم الأوبة. فقال: يا غلام، عليَّ بعشر بِدَر،

---

(١) أنساب الأشراف ٦/ ٣٠١، والمعارف ص ٣٥٥.

(٢) ينظر «البداية والنهاية» ١٢/ ٣٨١ـ٣٨٢. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها): ولعلها: وعَرْتُ، أي: حبستُ. وفي أصول «تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٣٣ (كما في حاشيته ـ طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة مالك بن عمارة): وعدت إليهم.

وعشرة أسفاط من دقّ مصر[١]، وعشرة غلمان، وعشر جَوارٍ، وعشرة أفراس، وعشرة أبغل، وعشر نُوق. فأُحْضرَ الجميع، فقال: يا مالك، أتَراني وفّيْتُ لك؟ فقال: وإنك ذاكرٌ ذلك؟! فقال: وما خيرٌ فيمن لا يذكرُ ما وعدَه، وينسى[٢] ما أوعدَ به، واللهِ لم يكن ذلك لشيءٍ رويناه، ولا خَبَرٍ سمعناه[٣]، ولكنّي تخلّقتُ به في الصِّبا، فكنتُ لا أُسَاري ولا أُماري، ولا هتكتُ ستراً حظره الله عليّ، وكنتُ أعرِفُ للأديب حقَّه، وأُكرمُ العالِم لعلمه، فرفع اللهُ درجتي، وأرجو أن يُلحقَني بالصالحين، فإنْ أقمتَ عندنا؛ فبالرُّحْب والسَّعَة، وإنْ رحلتَ؛ ففي الحفظ والدَّعَة.

[وذكره المسعودي[٤] وقال:] جاءه في ليلة واحدة مقتلُ عُبيد الله بن زياد ومن كان معه، ومقتلُ حُبَيْش بن دُلَجة، وكان على جيش المدينة، ودخولُ ناتل بن قيس الجُذامي فلسطين من قبل ابن الزبير، وخبرُ ملك الروم لاوى أنه نزل المِصِّيصة يريد الشام، ونزول [مصعب] بن الزُّبير[٥] فلسطين، وأن عَبِيد دمشقَ وأوباشَها نزلوا على أهلها وفتحوا السجون، وأخرجوا من كان بها، وأن العربَ أغارت على حمص وبعلبكّ والبقاع، وغير ذلك ممّا نُمِيَ إليه من مفظّعات الأمور، فلم يُرَ عبد الملك في ليلة قبلها أشدَّ ضحكاً، ولا أحسنَ وجهاً، ولا أبسطَ لساناً، ولا أثبت جَناناً منه في تلك الليلة تجلُّداً وسياسة للملك[٦]، وتركاً لإظهار الفشل.

[وسنذكر سيرته مفرّقة في الكتاب]

ذكر صفته:

كان أبيض أشهل، وقيل: أسمر، وكان مفتوح الفم، مُشَبَّك الأسنان بالذهب، لم يغيِّر شيبه، وقيل: إنه خضب، ثم ترك[٧].

---

(١) هي ثياب من الكتّان الخالص. ينظر «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» ص ٥٣٠ .

(٢) كذا في (خ) (والكلام منها) و«تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٣٣ . والجادّة: ولا ينسى.

(٣) في «تاريخ دمشق»: «لم يكن ذلك عن شيءٍ سمعناه ولا خبر رويناه». وهو أشبه.

(٤) في «مروج الذهب» ٥/ ٢٢٤-٢٢٥ . والكلام بين حاصرتين من (م).

(٥) في (خ) (والكلام منها): ونزل ابن الزبير، وأثبتُّ من اللفظ ما يناسب الرسم، مع استدراك اسم «مصعب» للإيضاح، وعبارة المسعودي: ومسير مصعب بن الزبير من المدينة إلى فلسطين.

(٦) في «مروج الذهب»: للملوك.

(٧) ينظر «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٤٦ (طبعة مجمع دمشق).

وحجَّ في هذه السنة بالناس ابنُ الزبير، وكان على المدينة مصعبُ بنُ الزُّبير، وعلى الكوفة عبدُ الله بنُ مُطيع، وكان على البصرة القُبَاع[1]، وعلى قضائها هشام بنُ هُبيرة، وعلى خُراسان عبدُ الله بن خازم[2].

وفيها توفي

جميل بن عبد الله بن معمر[3]

العُذْريّ، أبو عبد الله [صاحب بُثَيْنَة][4].

وبُثَيْنَة بنتُ حُيَيّ[5] بن ثعلبة العُذْري، لأبيها صحبة، وكنيتُها أمّ عبد الملك، وقيل غير ذلك.

وكان جميل قد هَوِيَها من الصغر، فلما بلغَ خَطَبها إلى أهلها، فلم يزوِّجوه، فهام بها، وقال فيها الأشعار، [وشبَّب بها.

ذكر طرف من أخبارها:

ذكرها ابن الكلبي وغيره وقالوا:] كانت بُثينة تسكن بوادي القُرى، وكان جميل يزورها، ونَذِرَ به[6] أهلُها، وأرادوا قتله، فهَجَاهم، فاسْتَعْدَوْا عليه مروان [بن الحكم] وهو والي المدينة [لمعاوية بن أبي سفيان] فقال: واللهِ لأقطعنَّ لسانَه، فقال جميل [لما بلغه الخبر]:

---

(١) هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٦٢٢-٦٢٣ .

(٣) وكذا أورده ابن الجوزي في «المنتظم» ٦/ ٤٢ فيمن توفي في هذه السنة (٦٥) وأغلب المصادر ذكرت أنه مات سنة (٨٢).

ووقع في (خ): جميل بن معمر بن عبد الله، وهو خطأ، واقتصر في (م) على قوله: جميل العذري.

(٤) أضفتُ ما بين حاصرتين من عندي من أجل السياق.

(٥) كذا في (خ) و(م)، وكذا في «الإكمال» ١/ ١٨٥ ، و«تاريخ دمشق» ص ٦٤ (طبعة مجمع دمشق - تراجم النساء). لكن جاء في صدر ترجمتها فيه: بُثينة بنت حبا. وفي «الإصابة» ٢/ ٣٠٩ : حَيّ. ووقع في «الأغاني» ٨/ ٩٢ : حبأ.

(٦) أي: علم به. ووقع في (م): ودرت.

أتـانـيَ عـن مـروانَ بـالـغـيـب أنـه مُـقِـيـدٌ دمـي أو قـاطـعٌ مـن لِـسـانِـيـا
ففي العِيس مَنْجاةٌ وفي الأرض مهربٌ إذا نـحـن رفَّـعْـنـا لـهـنَّ الـمـثـانـيـا[١]

ولحقَ بجُذام، فأقام عندهم حتى عُزل مروان.

ووفدَ على عبد الملك بن مروان، وكان من فحول الشعراء، وهو معدودٌ في طبقاتهم.

[وله مع سُكينة بنت الحسين عليه السلام واقعة، وكان يَقْدَمُ عليها، ويَقْرِضُ شِعره مع جملة الشعراء، وكانت تُفضّله عليهم. وسنذكره في ترجمتهما][٢].

ولم يزل هائماً ببُثينة إلى أن مات في هذه السنة من حبِّها. وقيل: تأخَّرت وفاتُه عن ذلك.

ولم يمدح قطّ أحداً[٣]؛ خرج مع الوليد بن عبد الملك في سفر، فقال له [الوليد]: انزل فارْجُزْ. ظنّاً منه أنّه يمدحُه، فنزل وقال:

أنـا جـمـيـلٌ فـي الـسَّـنـام مـن مَـعَـدّ فـي الـذّروة الـعَـلـيـاء والـرُّكـنِ الأَشَـدّ

فقال له الوليد: اركَبْ لا ركبتَ[٤].

[قالوا: وهذا كان في حجّ الوليد بعد الثمانين، فإن صحَّت هذه الرواية، فقد عاش إلى أيام الوليد.

وذكر الخرائطي في «اعتلال القلوب»[٥] ـ وقد تقدم إسنادُنا إليه ـ قال: حدثنا الحسن بن علي،] قال المُثَنّى بنُ سعيد الجُعْفي: إنّ كُثيِّر عَزَّة لقيَ جميلاً، فقال: متى

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٣٥ . وينظر «الأغاني» ٢٢/ ١٥٣ (أخبار جوّاس بن قطبة). وما سلف بين حاصرتين في هذه الفقرة من (م).

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ص ١٦٣ و١٦٩ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء ـ ترجمة سُكينة). والكلام بين حاصرتين من (م).

(٣) في (م): قال هشام: لم يمدح جميل أحداً قطّ.

(٤) ينظر «الأغاني» ٨/ ١٣٣ ، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٩ (مصورة دار البشير)، أو «مختصره» ٦/ ١١٣ .

(٥) ص٢٦٢ . وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخه»٤/ ١٣(المصورة المذكورة) وهذا الكلام بين حاصرتين من(م).

عهدُك ببُثَيْنَة؟ قال: منذ عام أوّل؛ لقيتُها بوادي الدَّوْم تغسل ثوباً. فقال له كُثَيِّر: أتحبُّ أنْ تلقَاها الليلة؟ قال: نعم. وقد كان كُثَيِّر عند أهلها، فرجع إليهم، فقال له أبوها: ما ردَّك؟ قال: بيتان قُلتهما في عَزَّة[١].

[قال: وما هي؟ فقال كُثَيِّر يشير إلى بُثَيْنَة؟]:

فقلت لها يا عَزَّ أُرسِلُ صاحبي ... إلى باب داري والرسولُ مُوَكَّلُ

أَمَا تذكرينَ العهدَ يومَ لَقِيتُكمْ ... بأسفل وادي الدَّوْم والثوبُ يُغسَلُ

وسمعَتْه بُثَيْنَة، فقالت: اخْسَ اخْسَ. فقال أبوها: ما هاجكِ يا بُثَيْنَة؟ فقالت: كلبٌ لا يزالُ يأتينا من وراء هذا الجَبَل بالليل وأنصاف النهار [فرجع إليه كُثَيِّر وقال: قد وعَدَتْك يا ذا من وراء هذا الجبل في الليل وأنصاف النهار] فالْقَها إذا شئت[٢].

ومات بالشام، وقيل: بمصر؛ قال عبَّاس[٣] بن سهل الساعديّ: بينا أنا بالشام إذْ لَقِيَني رجلٌ، فقال: هل لك في جميل بن معمر؟ فإنه ثقيل، لنعوده. قلت: نعم. فدخلنا عليه وهو يجودُ بنفسه، فنظر إلى عبَّاس وقال: يا ابنَ سهل، ما تقول في رجل لم يشربِ الخمر قطّ، ولم يَزْنِ، ولم يقتُل نفساً، وهو يشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله؟ فقال: أظنُّ أنه نجا، وأرجو له الجنة [ـ أو: وأدخله الله الجنة ـ][٤] مَنْ هذا الرجل؟ فقال جميل: أنا. فقال: والله ما أظنُّك سلمتَ وأنتَ منذ عشرين سنةً تُشَبِّبُ ببُثَيْنَة. فقال والموتُ يَكْرُبُه: لا نالَتْني شفاعةُ محمد ﷺ يومَ القيامة إن كنتُ وضعتُ يدي عليها لريبة قطّ، [وأنا في أول يوم من أيام الآخرة. ومات.

وقد ذكرها المدائني عن ابن سهل بن سعد الساعدي، وزاد في آخرها:] وإنَّ أكثر ما نلتُ منها أني كنتُ آخذُ يدَها، فأضعُها على قلبي فأستريح. فهذا آخرُ وقتٍ من أوقات الدنيا، وأوَّلُ وقت من أوقات الآخرة.

---

(١) بعدها كلمتان في (خ) غير واضحتين. والكلام بعده بين حاصرتين من (م).

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ١٣ـ١٤ (مصورة دار البشير) أو «مختصره» ٦/ ١١٣ـ١١٤ . وينظر منه أيضاً جزء تراجم النساء ص٦٧ . والكلام السالف بين حاصرتين من (م).

(٣) عبارة (م): ذِكرُ وفاته: واختلفوا في أيّ مكان مات على قولين، أحدهما بالشام، والثاني: بمصر. فأما من قال بالشام؛ فيحتجّ بما روى الخرائطي أيضاً عن عباس. . . والخبر في «اعتلال القلوب» ص ١٠١ . وأورده ابن قُتيبة في «الشعر والشعراء» ١/ ٤٤٠ فقال: عن سهل بن سعد الساعدي أو ابنه عبّاس.

(٤) ما بين حاصرتين من (م).

[وفي رواية المدائني أيضاً ما يدلُّ على أنه مات بمصر؛ لأنه زاد في الحكاية].

قال المدائني: ثم أُغمي عليه وأفاق فقال:

بَكَرَ النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ وثَوَى بمصرَ ثواءَ غيرِ قُفُولِ
قُومي بُثينةُ فاندُبي بعويلِ وابكي خليلَكِ قبل كلِّ خليلِ

وأشار جدِّي في «المنتظم» إلى أنه مات بمصر، فقال: لما احتُضر جميل بمصر قال: من يُعلم بُثينة؟ فقال رجل: أنا. فلما مات؛ خرج الرجلُ بعد موت جميل، فسافر حتى قدمَ حيَّ بني عُذْرَة، وأتى ذلك الرجلُ إلى حيِّ بُثَيْنَة، فأنشد البيتين: بَكَرَ النعيّ... فلما فرغ منها[1]؛ خرجت بُثينة مكشوفة الرأس تقول:

وإنَّ سُلُوِّي[2] عن جميلٍ لَسَاعةٌ من الدهر ما حانَتْ ولا حانَ حينُها
سواءٌ علينا يا جميلُ بنَ معمرٍ إذا مِتَّ بَأْساءُ الحياةِ ولِينُها[3]

[وقال ابنُ قُتيبة: سافر إلى مصر، فمات بها.

واختلفوا في أيّ سنة مات على قولين: أحدُهما: في سنة خمس وستين. والثاني: أنه عاش إلى سنة اثنتين وثمانين].

وقال العسكريّ: [من] الشعراء ثلاثة يُدعون جميلاً؛ أحدهم هذا، والثاني: جميل ابن المعلّى بن فَزارة، وهو القائل:

وأُعرِضُ عن مَطاعِمَ قد أراها فأتركُها وفي قلبي انطواءُ
فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

والثالث: جميل بن سِيدَان الأسدي، وهو القائل:

أَيا جُمْلُ هَلْ دَيْنٌ مُؤدًّى لِحينِهِ فقد حَلَّ ذاك الدَّيْنُ واحْتَاجَ طالِبُهْ

---

(١) من قوله: وأشار جدّي في «المنتظم»... إلى هذا الموضع من (م) ووقع بدله في (خ) بعد البيتين السابقين لفظ: «فلما مات جاء رجل إلى حي بُثينة وأنشد البيتين، فلما فرغ منها...» وآثرت إثبات لفظ (م) للفائدة، وما سبق بين حاصرتين منها. والخبر في «المنتظم» ٦/ ٤٥-٤٦ .

(٢) في (م): سألوني، وهو تحريف.

(٣) ينظر «الشعر والشعراء» ١/ ٤٤٢ ، و«الأغاني» ٨/ ١٥٤ ، و«تاريخ دمشق» ص ٦٨-٦٩ (تراجم النساء - طبعة مجمع دمشق). قال ابن عساكر في بيتَيْ بُثينة: يقال: إنها لم تقل غيرهما.

وطـالَـتْ بـه أحـلامُـه إنْ قَـضَـيْـتِـهِ وظَـلَّ بـمـا مَـنَّـيْـتِ يـلـمـعُ حـاجِـبُـهْ
أَجِـدِّي وِصـالاً أو أَبِـيـنِـي صَـرِيـمـةً فأكرمُ أن لا يَكْذِبَ المرءَ صاحِبُهْ[1]

وقال جميل بن معمر في «الحماسة»[2]:

فـلـيـتَ رجـالاً فـيـكِ قـد نَـذَرُوا دمـي وهَـمُّـوا بـقَـتْـلِـي يـا بُـثَـيْـنُ لَـقُـونـي
إذا مـا رأَوْنـي طـالـعـاً مـن ثَـنِـيَّـةٍ يـقـولـون مَـنْ هـذا وقـد عـرفـونـي
يـقـولـون لـي أهـلاً وسـهـلاً ومَـرْحـبـاً ولـو ظـفـروا بـي سـاعـةً قـتـلـونـي
فـكـيـف ولا تـوفـي دمـاؤهـمُ دمـي ولا مـالُـهـم ذو كَـثْـرةٍ فـيَـدُونـي[3]

معناه: ليس في دمائهم كلِّها وفاء بدمي؛ لأني خطير[4] شريف، وكان دية الشريف في الجاهلية ألفاً من الإبل؛ إلى أنْ نحرَ عبدُ المطَّلب المئة من الإبل عن ولده [عبد الله] فتقرَّر الأمر على ذلك.

وفيها يقول:

لَـحَـى الـلـهُ مَـنْ لا يـنـفـعُ الـوُدُّ عـنـدَه ومَـنْ حَـبْـلُـهُ إنْ مُـدَّ غـيـرُ مَـتِـيـنِ
ومَـنْ هـو إنْ تُـحْـدِثْ لـه الـعـيـنُ نـظـرةً يُـقَـضَّـبْ لـهـا أسـبـابَ كـلِّ قَـرِيـنِ
ومَـنْ هـو ذُو لـونـيـنِ لـيـس بـدائـمٍ عـلـى خُـلُـقٍ خَـوَّانُ كـلِّ أمـيـنِ[5]

[والأبيات في ديوان جميل، وديوانُه مشهور، ومن شعره:]

حَـلَّـتْ بُـثَـيْـنَـةُ مـن قـلـبـي بـمـنـزلـةٍ بـيـنَ الـجـوانـحِ لـم يَـحْـلِـلْ بـهـا أحـدُ
وعـاذلـيـن لَـحَـوْنـي فـي مـحـبَّـتِـهـا يـا لـيـتَـهـم وجـدُوا مـثـلَ الـذي أجـدُ
لـمـا أطـالـوا عـتـابـي فـيـكِ قـلـتُ لـهـمْ لا تُفرِطُوا. بعضَ هذا اللوم، واقْتَصِدُوا
قـد مـات قـبـلـي أخـو هـنـد وصـاحـبُـهُ مُـرَقِّـشٌ واشْـتَـفَـى مـن عُـرْوَةَ الـكَـمَـدُ
وكـلُّـهُـمْ كـان فـي عِـشْـقٍ مَـنِـيَّـتُـهُ وقـد وَجَـدْتُ بـهـا فـوق الـذي وَجَـدُوا

(١) ينظر «المؤتلف والمختلف» للآمدي ص ٩٧-٩٨ ، و«شرح الحماسة» للتبريزي ١/ ١٧٠ .
(٢) في (م): ومن أبيات جميل في بُثينة.
(٣) ينظر «شرح ديوان الحماسة» للمروزقي ١/ ٣٢٤-٣٢٥ .
(٤) في (م): لا خطر. بدل: لأني خطير (؟).
(٥) ينظر «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي ١/ ١٧٠ . قوله: يُقضَّب، أي: يُقطَّع.

إنِّـي لَأَحْـسِـبُـنـي أو كِـدْتُ أعـلـمُـهُ ... أنْ سوف تُوردُني الحوضَ الذي وردوا[١]

وقال أيضاً:

فيا وَيْحَ نفسي حَسْبُ نفسي الذي بها ... ويـا وَيْـحَ أهـلي ما أُصِيبُ به أهـلي

ولـو تـركـتْ عـقـلي معي ما طَلَبْتُها ... ولكـنْ طِلَابِيها لِمَا فاتَ من عقلي

خـليـليَّ فيـمـا عِشْتُـما هَـلْ رَأَيْتُـما ... قـتيلاً بكى من حُبِّ قاتلِهِ مثلي[٢]

[وقال ابن عساكر: روى جميل الحديث عن رسول الله ﷺ، وإسنادُه عن أنس بن مالك. فقال محمد بن راشد: قلتُ لجميل: لو قرأتَ القرآن لكان أعْوَدَ عليك من الشعر. فقال: حدثني أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من الشِّعر لحكمة» أو: لحكماً][٣].

حُبَيْش بن دُلَجَة القَيْني

كان من وجوه أهل الشام، من أهل الأردنّ، شهد صِفِّين مع معاوية، وكان على قُضاعة[٤] الأردنّ يومئذ، وولَّاه يزيد بن معاوية على أهل الأردنّ لمَّا وجَّههم إلى أهل الحَرَّة من زِيزا[٥].

وهو أوَّلُ أمير أكلَ على منبر رسول الله ﷺ، وقتلَه حَنْتَف بن السِّجف بن سَعْد[٦] بن عوف التميمي.

وقيل: رماه يزيد بن سِياه الأسواري بِنُشَّابَة فقتله[٧]، وذلك غرَّة رمضان سنة خمس وستين، وقُتل معه عبد الله بنُ مروان، وعُبيد الله بنُ الحَكَم، وهرب الباقون[٨].

---

(١) بنحوه في «تاريخ دمشق» ٤/ ١٦ـ١٧، وفيه زيادة بيت، وليس فيه البيت الأول.

(٢) ينظر «الشعر والشعراء» ١/ ٤٤٣ـ٤٤٤، و«الأغاني» ٨/ ١٣٩ـ١٤١.

(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٨. ومتن الحديث صحيح من غير حديث أنس ﷺ. وهذا الكلام بين حاصرتين من (م).

(٤) في (خ) (والكلام منها): قضاء. وهو خطأ. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٤/ ١٩٣ (مصورة دار البشير).

(٥) وزن ضِيزَى. وهي قرية من قُرى البلقاء من كورة دمشق. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ١٦٣ و«تاريخ دمشق» ٤/ ١٩٣ (مصورة دار البشير)، و«القاموس» (زيز).

(٦) في (خ) (والكلام منها): وسعد، بدل: بن سعد، وهو خطأ وينظر «تاريخ دمشق» الوضع المذكور آنفاً.

(٧) ينظر ما سلف ص٣٢٤-٣٢٧ (ذكر يوم الرَّبَذَة).

(٨) تاريخ دمشق ٤/ ١٩٣ (مصورة دار البشير).

وكان حُبيش بن دُلَجَة جليلاً، وكان له قدم صدق عند مروان، وكان يُجلسه معه على سريره، فدخل يوماً، فرأى رَوْحَ بنَ زِنْباع موضعَه جالساً على السرير ـ وكان محمولاً لِنَقْرِسٍ كان به، ورَوْح كذلك ـ فأمر حُبَيْش حَمَلَتَهُ أن لا يضعوه، وقال: إنْ رَدَدْتُم علينا موضعنا؛ وإلا انصرفنا عنكم. فقال مروان: مهلاً فإنَّ لأبي زُرْعة ـ يعني رَوْحاً ـ مثلَ سِنِّك، وبه مثلُ علَّتك. يعني النَّقْرِس. فقال حُبَيْش: أوَلَهُ مثل يدي عندك؟ قال: وله مثلُ يدِك عندي؛ إلا أنَّ يده غير مكدَّرة بمَنّ. فقال حُبيش: إنّي لأظنُّك يا مروان أحمق. فقال: أظنّاً أيُّها الشيخ ظنَنْتَه، أم يقيناً تَيقَّنْتَه؟ فقال: بل ظنّاً ظننتُه. قال مروان: فإنَّ أحمقَ ما يكون الشيخُ إذا أُعجِبَ بظنِّه[١].

سليمان بن صُرَد

ابن الجَوْن بن أبي الجَوْن عبدِ العُزَّى بن منقذ الخُزاعي، أبو المطرِّف، من الطبقة الثالثة[٢] من المهاجرين.

أسلم، وصحبَ رسولَ الله ﷺ، وكان اسمُه يسار، فسمَّاه رسولُ الله ﷺ سليمان.

وكانت له سنٌّ عالية وشَرَف في قومه، فلما قُبض رسولُ الله ﷺ نزلَ الكوفة لمَّا نزلها المسلمون.

وشهد مع عليّ عليه السلام الجمل وصِفّين.

وكان فيمن كتبَ إلى الحسين رضي الله عنه يستقدمُه إلى العراق، فلما قدمَها لم يقاتل معه خوفاً من ابن زياد، وكان كثير التَّنَسُّك[٣] والتوقُّف، ثم ندم بعد ذلك هو والمسيِّب بن نَجَبَة بعد قتل الحسين رضي الله عنه.

فكاتبَ أهلَ الأمصار ليقوموا معه للطلب بدم الحسين رضي الله عنه [على ما ذكرنا]، فقُتل بعين وَرْدَة، وحُمل رأسُه ورأسُ المسيّب إلى مروان [بن الحكم]، فعلّقهما بدمشق.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (م): ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة... وهو في «طبقاته» ٥/ ١٩٦ .

(٣) في «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٩٦ : الشكّ. وما سيرد بين حاصرتين من (م).

وكان له يوم قُتل ثلاث وتسعون سنة. والذي حملَ رأسَه ورأسَ المسيّب رجل يقال له: أدهم بن مُحْرِز الباهلي[١].

وأدهم بن مُحْرز الباهلي

أحد أمراء الجيش الذين وُجِّهُوا[٢] مع ابن زياد لقتال التَّوابين بعين وَرْدَة، وهو أوَّلُ مولود وُلد بحمص، وفُرض له بها، وشهد صفِّين مع معاوية، وكنيتُه أبو مالك.

ولمَّا قدم على عبد الملك بِبشارة الفتح بقتل سليمان بن صُرد، والمسيِّب بن نَجَبَة؛ صعد عبدُ الملك المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنَّ الله قد أهلكَ من رؤوس أهل العراق ملقح فتنة، ورأس ضلالة سليمان بن صُرَد، والمسيِّب بن نَجَبَة. ألا وإن الله قتلَ من رؤوسهم رأسين عظيمين ظالمين [عبد الله بن سعد، وعبد الله بن وال] فلم يبقَ أحدٌ منهم بعدها عنده دفاع ولا امتناع[٣].

وقال الخطيب[٤]: دخل أدهم على عبد الملك ورأسُه ولحيتُه كالثَّغام[٥]، فقال له عبد الملك: لو غيَّرتَ هذا الشيب. فخرج من عنده، فاختضب بسواد، ثم دخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قلتُ بيتاً، ولا أقولُ بعدَه شيئاً.

قال: هات. فقال:

ولـمَّـا رأيـتُ الـشـيـبَ شَـيْـناً لأهـلـه تفتَّيْتُ[٦] وابْتَعْتُ الشبابَ بدرهمِ

فضحك عبد الملك.

أسند سليمان [بن صُرَد] الحديث عن رسول الله ﷺ.

---

(١) المصدر السابق ٥/ ١٩٦ـ١٩٧ . وسلف خبر سليمان بن صُرد مطوَّلاً أوائل أحداث هذه السنة (٦٥).

(٢) في (خ) (والكلام منها): وجهوهم، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٢/ ٦٥٨ (مصورة دار البشير).

(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٥٩ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) أخرج ابن عساكر الخبر في «تاريخه» ٢/ ٦٥٨ـ٦٥٩ من طريق الخطيب، وليس هو في «تاريخ بغداد».

(٥) جمع ثَغَامة، وهي شجرة بيضاء الثمر والزهر، تنبت في قمة الجبل.

(٦) تَفَتَّى، أي: صار فَتًى، واتَّخذ سبيل الفتوَّة.

فمنه: [قال أحمد[١]، عن يونس، بإسناده إلى أبي عُكاشة[٢] الهمداني قال:] قال رِفاعة البَجَلي[٣]: دخلتُ على المختار بن أبي عُبيد قصرَه، فسمعتُه يقول: قام الآن من عندي جبريل. [قال:] فهممتُ أنْ أضربَ عنقَه، فذكرتُ حديثاً حدَّثَنَاه سُليمان بن صُرد عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا ائْتَمَنَكَ رجلٌ على دمه، فلا تقتله». قال: و[كان] قد ائتمنني على دمه، فكرهتُ دمَه[٤].

عبد الله بنُ عَمرو بن العاص

ابن وائل بن هاشم بن سُعَيْد بن سهم السهمي. [وكنيتُه] أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو نُصَيْر[٥].

كان فاضلاً عالماً حافظاً مجتهداً في العبادة، من الطبقة الثالثة[٦] من المهاجرين.

وكان من علماء الصحابة وعُبَّادِهم [وكان اسمُه العاص، فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله[٧].

قال ابن سعد:] وأمُّه رَيْطة بنت منبِّه بن الحجَّاج [بن عامر]، أسلمت يومَ الفتح، وأتَتْ رسولَ الله ﷺ، فبايَعَتْه[٨].

أسلمْ عبدُ الله قبل أبيه، وكان بينه وبين أبيه في السنّ اثنتا عشرة سنة، وقيل: أكثر، وقيل: سنّ البلوغ[٩].

---

(١) الكلام بين حاصرتين من (م)، وفيها: قال حدثنا أحمد، وهو خطأ. والحديث في «مسنده» (٢٧٢٠٧).
(٢) في (م) (والكلام منها): عكامس، بدل: أبي عكاشة، وهو خطأ، والتصويب من مصادر الحديث.
(٣) في (خ) و(م): الجُهَني، وهو خطأ. والتصويب من مصادر الحديث. ورفاعة الجُهَني - وهو ابنُ عَرَابة - صحابي، أما رِفاعة البَجَلي - وهو ابنُ شدّاد الفِتْياني - فتابعي. ينظر «تهذيب الكمال» ٩/ ٢٠٤-٢٠٧ .
(٤) ذكر المزي في «تهذيب الكمال» ٩/ ٢٠٦ أن هذه الرواية وهم، وذكر في ٣٤/ ٩٩-١٠٠ (ترجمة أبي عكاشة) أن المحفوظ: رِفاعة بن شداد، عن عمرو بن الحَمِق، وليس عن سليمان بن صُرَد، وهو ما أخرجه ابن ماجه (٢٦٨٨).
(٥) الاستيعاب ص ٤٢١ ، وتاريخ دمشق ٣٧/ ١٤٦ (طبعة مجمع دمشق) واستغرب ابن عبد البر الكنية الأخيرة.
(٦) في (م): وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة... وهو في طبقات» ابن سعد ٥/ ٨٢ .
(٧) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٥٥ (طبعة مجمع دمشق).
(٨) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٥٥ ، وكلُّ ما سلف بين حاصرتين من أول الترجمة من (م).
(٩) ينظر «الاستيعاب» ص ٤٢١ ، و«تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٥٤-١٥٦ .

[وفي «المسند» عن عبد الله بن عمرو قال: كنتُ أكتُبُ كلَّ شيء أسمعُه من رسول الله ﷺ أُريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: إن رسول الله ﷺ بَشَرٌ يتكلَّمُ في الغضب (والرِّضا) فأمسكتُ عن الكتابة، وذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «اكتُبْ، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حقّ»][1].

وكان عَبدُ الله يقول: حفظتُ عن رسول الله ﷺ ألفَ مَثَل[2].

[وقال ابن إسحاق:] وكان عنده صحيفة يسمِّيها الصادقة، فيها ما سمعه من رسول الله ﷺ، وكان يقول: ليس بيني وبين رسول الله ﷺ فيها أحد.

[وقال الواقدي: كان عبد الله أحمرَ طُوالاً، عظيم البطن، لا يُغيِّر شَيْبَه، وذهب بصرُه في آخر عُمره.

وقال أبو الزاهرية: كان رسول الله ﷺ يفضّلُ عبد الله بن عَمرو على أبيه.

وقال أحمد: حدثنا هُشيم، عن حُصين بن (عبد الرحمن و)[3] المُغيرة الضَّبِّيّ، عن مجاهد، عن عبد الله بن عَمرو قال: زوَّجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلَتْ عليَّ؛ جعلتُ لا أَنْحاشُ لها، ممَّا بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة. فجاء أبي عمرٌو إلى كَنَّتِه، فسألها: كيف وجَدْتِ بَعْلكِ؟ فقالت: خير البُعولة، إلا أنه لم يُفَتِّش لنا كَنَفاً، ولم يقرب لنا فراشاً. قال: فعَضَّني[4] بلسانه وقال: أَنْكَحْتُك امرأةً من قريش ذاتَ حَسَب[5] وجمال، فعَضَلْتَها؟! وشكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أتصومُ النهار؟» قلتُ: نعم. قال: «وتقومُ الليل؟». قلت: نعم. قال: «لكنِّي أَصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصلِّي وأنام، وأَمَسُّ النساء، فمن رَغِبَ عن سُنَّتي، فليس منّي».

---

(١) الكلام بين حاصرتين من (م)، وهو في «مسند» أحمد (٦٥١٠).

(٢) الاستيعاب ص ٤٢٢، وتاريخ دمشق ٣٧/ ١٦١ـ١٦٢ (طبعة مجمع دمشق)، ورواه أحمد (١٧٨٠٦) عن عمرو بن العاص. وضعَّف محقِّقوه إسناده.

(٣) لفظ: «عبد الرحمن و» من «المسند» (٦٤٧٧).

(٤) في (م) (والخبر منها): فعضهني. والتصويب من «المسند». وعضَّ فلاناً بلسانه، أي: ذكره بسوء. وينظر «النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٢٠٠ (عذم).

(٥) في (م): حسن، بدل: حَسَب، والمثبت من «المسند».

وقال: «اقْرأ القرآن في كلِّ شهر». فقال: أجدني أقوى من ذلك. قال: «فاقْرَأْه في كلِّ ثلاث، ثم (قال): «صُمْ في كلِّ شهر ثلاثة أيام». قال: إنّي أقْوَى من ذلك. قال: «صُمْ يوماً وأَفْطِرْ يوماً، فإنه أفضلُ الصيام، وهو صيامُ أخي داود».

قال مجاهد: فكان عبدُ الله حين ضَعُفَ وكَبِرَ يقول: يا ليتني قبلتُ رُخْصة رسولِ الله ﷺ[١].

وروى عبد الله بنُ أحمد بإسناده عن عبد الله بن عمرو][٢] قال: لأَنْ أدمَع دَمْعَةً من خشية الله أحبُّ إليَّ من أنْ أتصدَّقَ بألف دينار[٣].

وروى عبد الله بن أحمد بإسناده عن عبد الله بن عمرو أنه دخل على رسول الله ﷺ البيتَ فقال له: «هل تعلمُ مَنْ معنا». قال: لا. قال: «هو جبريل». قال: فقلتُ: السلام عليك يا جبريل. فقال رسول الله ﷺ: «قد ردَّ عليك». فذهب بصرُه في آخر عمره.

[وقال ابنُ قُتيبة: شهد عبد الله بن عمرو مع أبيه صفّين، وكان يضرب بسيفين[٤].

قلت: وهذا من أوهام ابن قُتيبة، فإن عبد الله لم يُقاتل في صِفّين.

وقد روينا أنه لما قُتل عمار قال عبد الله لأبيه: قتلتم عماراً! وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلك الفئة الباغية». فقال له معاوية: فما لك معنا؟! فقال: إن رسول الله قال لي: «أطع أباك». فأنا معكم، ولستُ أقاتل].

وحضر صِفّين مع أبيه وقال: يا ليتني مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة [ـ أو بعشر سنين ـ] وواللهِ ما رميتُ فيها بسهم، ولا طعنتُ فيها برمح، ولا ضربتُ فيها بسيف، ولوددت أنّي لم أحضُرْها، وأنا أستغفرُ الله من ذلك وأتوب إليه[٥].

---

(١) الحديث في «مسند» أحمد (٦٤٧٧)، وما وقع فيه بين أقواس عادية منه.
(٢) من قوله: وقال الواقدي... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (م).
(٣) هو في «شُعب الإيمان» (٨١٦) ولم أقف عليه من طريق عبد الله بن أحمد.
(٤) المعارف ص ٢٨٦ . وهذا الكلام الواقع بين حاصرتين من (م).
(٥) التبيين في أنساب القرشيين ص ٤٦٤ ، ونُسب الكلام في (م) إليه، وما وقع فيه بين حاصرتين منها.

[وكذا حكى عنه ابن عساكر[١]. وقال:] وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، وكان الأمير يوم قيساريَّة[٢].

وقال له أبوه: يا بنيّ، ما الشَّرَف؟ قال: كفُّ الأذى، وبَذْلُ النَّدى. قال: فما المروءة؟ قال: عِرْفان الحقّ، وتعاهدُ الصنيعة. قال: فما المجد؟ قال: احتمالُ المغارم، واقتناء المكارم[٣].

[قال: وقال عبد الله: إذا لم تبكُوا فتَباكَوْا.

وذكره الموفَّق في «الأنساب»[٤] فقال: كان عبد الله حافظاً فاضلاً عالماً، قرأ الكتب، ووُلد لعمرو وعَمرٌو ابنُ اثنتي عشرة سنة].

وقال أبو هريرة: ما كان أحدٌ أحفظَ لحديث رسول الله ﷺ منّي إلا عبدَ الله بنَ عَمرو، فإنَّه كان يكتُبُ، وأنا لا أكتب، استأذنَ رسولَ الله ﷺ في الكتابة، فأذِنَ له، فقال: يا رسول الله أكتبُ كلَّ ما أسمعُ منك في الرضا والغضب؟ قال: «نعم، فإني لا أقول إلا حقّاً»[٥].

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها؛ ذكر ابن سعد عن الواقديّ أنه قال[٦]: توفِّي عبدُ الله بن عَمرو بالشام سنة خمس وستين، وهو ابنُ اثنتين وسبعين سنة.

قال جدِّي رحمه الله في «الصفوة»: وقد زعم قومٌ أنه مات بمكة، ويقال: بالطائف، ويقال: بمصر. هذا صورة ما ذكره جدّي في «الصفوة»[٧].

---

(١) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٨١ . وينظر «طبقات» ابن سعد ٥/ ٨٧ـ٨٨ .

(٢) المصدر السابق ٣٧/ ١٧٤ .

(٣) المصدر السابق ٣٧/ ١٧٢ .

(٤) واسمه «التبيين في أنساب القرشيين» والكلام فيه ص ٤٦٤ .

(٥) ينظر «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٦٢ـ١٦٥ (طبعة مجمع دمشق). وما سلف نحوه أول الترجمة.

(٦) طبقات ابن سعد ٥/ ٩٠ .

(٧) صفة الصفوة ١/ ٦٦٠ . ومن قوله أول الفقرة: واختلفوا فيها... إلى هذا الموضع من (م). ووقع في (خ) مختصراً بلفظ: توفي بالشام سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل: توفي بمكة، وقيل: بالطائف، وقيل: بمصر، وسترد أيضاً.

وقيل: [توفي] سنة ثلاث وستين ليالي الحرَّة[١]. وقيل: سنة تسع وستين[٢]، وقيل: سنة ثمان وستين[٣].

قال ابنُ الكلبيّ[٤]: كان عبد الله بن عمرو معتزلاً مع أبيه لأمر عثمان، فلما خرج أبوه إلى معاوية خرج معه، فشهد صفِّين، ثم ندم بعد ذلك، وقال: ما لي ولِصِفِّين! مالي ولقتال المسلمين! ثم خرج مع أبيه إلى مصر، فلما حضرت عَمراً الوفاةُ استخلفه على مصر، فأقرَّه معاوية سنةً، ثم عزلَه، وكان يحجُّ ويعتمرُ ويأتي الشام، ثم رجع إلى مصر[٥]، وكان قد ابتنى بها داراً، فلم يزل بها حتى مات في سنة سبع وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان، فدفن في داره.

وقيل: مات فدفن بمكان يقال له: السَّبْع بفلسطين[٦]. وهو الذي نزله الخليل عليه السلام [وقد ذكرناه في سيرة الخليل.

وقال الهيثم: مات بمكة، وقال أبو اليقظان: بالطائف][٧].

وقيل: مات بقرية من قرى عسقلان يقال لها: أولاس[٨] [بينها وبين عسقلان فرسخان، وأهل مصر يقولون: مات بمصر، ودفن عند قبر أبيه عمرو، بداره الصغيرة بدار الإمارة. والله أعلم][٩].

---

(١) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٨٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) كذا في (خ) (والكلام منها). ولعلها محرفة عن: سبع وستين، وهي في «تهذيب الكمال» ١٥/ ٣٦٢.

(٣) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٩٠ و١٩٢، وتهذيب الكمال ١٥/ ٣٦٢. وجاء بعد هذا في (خ) أيضاً: وقيل: سنة اثنتين وسبعين، وقيل: سنة تسع وسبعين. ولم تذكر المصادر هذين القولين.

(٤) الكلام من (خ) فقط. والخبر في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٥٠١ عن عمرو بن عاصم الكلابي.

(٥) في (خ) (والكلام منها): البصرة. بدل: مصر. وهو خطأ. والتصويب من «الطبقات».

(٦) الاستيعاب ص ٤٢٢. وقد نُسب هذا القول في (م) لابن عبد البرّ. وينظر «معجم البلدان» ٣/ ١٨٥.

(٧) الكلام بين حاصرتين من (م). وسلف أنه مات بمكة أو بالطائف من كلام ابن الجوزي (جدّ المصنف) أول الفقرة.

(٨) تاريخ دمشق ٣٧/ ١٨٨. وفيه: ملامس، بدل: أولاس. ونُسب هذا القول في (م) لخليفة. ولم أقف عليه في «تاريخه» أو «طبقاته». والذي في «طبقاته» ص ٢٩٩ أنه مات بالطائف سنة ستّ وستين.

(٩) الكلام بين حاصرتين من (م).

وقيل: بقرية غيلان من بيت جبرين[١].

[تفسير قوله: لا أنحاشُ لها. معناه: لا أكترِثُ لها، ولا ألتفت إليها.

والكَنَّةُ: امرأة الولد.

قال: والخَتَن: كلُّ مَنْ كان من قِبَل المرأة، مثل الأب والأخ، وهم الأَخْتانُ.

قال: هكذا عند العرب. وأما عند العامة؛ فخَتَنُ الرجل زوجُ ابنته.

قال: وأمَّا الأصهار؛ فأهل بيت المرأة. عن الخليل؛ (قال:) ومن العرب من يجعلُ الصِّهْرَ من الأَحْماء (والأَخْتان جميعاً).

وأمَّا الأحماء؛ فَحَماةُ المرأة أمُّ زَوْجِها، لا لغةَ فيه (غير هذه)][٢].

ذكر أولاده:

كان له من الولد محمد، أمُّه بنتُ مَحْمِيَةَ بنِ جَزْء الزُّبيدي ـ وقيل: عمرة بنت عُبيد الله بن العبَّاس[٣] ـ ومحمد هو أبو شُعيب، وهشام، وهاشم، وعمران، وأمّ إياس، وأمّ عبد الله، وأم سعيد، أمُّهم أمُّ هاشم، كِنديَّة[٤].

أسند عبد الله بنُ عمرو الحديث عن رسول الله ﷺ؛ روى سبع مئة حديث، وقيل: روى من المتون سوى الطرق نيِّفاً وخمس مئة[٥].

---

(١) هذا القول من (خ). ولم أقف عليه. ووقع في «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٨٨ بعد القول الذي قبله ما صورتُه: وغيلان من عمل بيت جبريل.

(٢) من قوله: تفسير قوله: لا أنحاش... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (م). وما جاء فيه بين قوسين عاديَّين من «الصحاح». وجاء في حاشية (م) ما نصُّه: (قال في «القاموس»: الصِّهْر زوج بنت الرجل وزوج أخته، والأَخْتَان أصهارٌ أيضاً. وقد صاهرهم، وفيهم، وأصهر بهم وإليهم: صار فيهم صِهْراً. انتهى. وقال أيضاً في مادة ختن: الخَتَن بالتحريك: الصِّهر، أو كلُّ من كان من قِبَل المرأة كالأب والأخ، والخُتُونة بالضم: المصاهرة، كالخُتون، وتزوُّجُ الرجلِ المرأة، وخاتَنَه: تزوَّج إليه. انتهى. أقول: وإذا عرفتَ ذلك؛ علمتَ أن قوله: وأما عند العامّة ختن الرجل زوج ابنته مشيراً بذلك إلى أنه لا أصل له عند علماء اللغة؛ ليس بصحيح؛ لثبوت أصله كما نقلتُ لك، فتأمّل ما في كلامه، والله أعلم. لكاتبه محمد).

(٣) لم أقف على هذا القول. وينظر التعليق التالي.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٨٣، وتاريخ دمشق ٣٧/ ١٤٩. دون قوله: وقيل: عمرة بنت عُبيد الله بن العبَّاس.

(٥) ينظر «التلقيح» ص ٣٦٣.

وروى عن كبار الصحابة كأبي بكر، وعُمر، وعبدِ الرحمن بنِ عوف، ومعاذِ بن جبل، وأبي الدرداء، وأبيه عَمرو، وغيرهم ﷺ.

وروى عنه ابنُ المسيِّب، وعروة بن الزبير، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، وطاوس، وابن أبي مُليكة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأخوه حُميد بن عبد الرحمن، وعطاء بن يسار، في خلق كثير من أهل الحجاز، واليمن، والعراق، وأهل الشام، وكان من المكثرين(١).

[ومن مسانيده في القُسطنطينية؛ قال (أحمد): حدثنا يحيى بن إسحاق بإسناده إلى أبي قَبِيل قال: كنتُ عند عبد الله بن عَمرو بن العاص، فسئل: أيُّ المدينتين تُفتحُ أوّلاً؛ القسطنطينية، أو رُوميَّة؟ فقال: قال رسول الله ﷺ وقد سُئل عن ذلك فقال: «مدينة هرقل». يعني القُسطنطينية.

ومن مسانيده في الكاسيات وأسنمة البُخْت، قال أحمد بإسناده إلى عيسى بن هلال الصَّدَفي؛ قال: سمعتُ عبدَ الله بنَ عَمرو يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سيكون نساءٌ في أمتي يركَبْنَ على السُّرُوج كأشباه الرِّجال، كاسياتٍ عاريات، على رؤوسهنَّ كأَسْنمةِ البُخْتِ العِجاف، مائلاتٍ مُميلات، فالعنُوهنَّ، فإنَّهن ملعونات».

ومن مسانيده في المرضى؛ قال أحمد بإسناده عن عبد الله بن عَمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحدٌ من الناس يُصابُ ببلاءٍ في جسده إلا أمرَ اللهُ الملائكةَ الذين يحفظونه، فقال: اكتُبوا لعبدي في كلّ يوم وليلة ما كان يعملُ من خير مادام في وَثاقي».

ومن مسانيده في خراب الكعبة؛ قال أحمد بإسناده عن مجاهد، عن عبد الله بن عَمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخَرِّبُ الكعبةَ ذو السُّوَيْقَتَيْن من الحبشة، ويَسْلُبُها حُلِيَّها، ولكأني أنظرُ إليه أُصَيْلِعَ أُفَيْدِعَ، يَضربُ عليها بمِسْحَاتِهِ ومِعْوَلِه». الفَدَع: زيغٌ بين القَدَم وعَظْم السَّاق.

وأيضاً:

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٤٦_١٤٧ (طبعة مجمع دمشق) و«تهذيب الكمال» ١٥/ ٣٥٨_٣٦٢.

عبد الله بن عَمرو بن قيس

أبو أُبَيّ الأنصاري، له صحبة ورواية.

قلت: وأخرج له أحمد في «المسند» حديثين؛ قال أحمد بإسناده عن أبي أُبَيّ(١) ابنِ امرأةِ عُبادة بنِ الصامت، عن النبي ﷺ قال: «سيكون أمراء لتشغلنَّهم أشياءُ، يؤخّرون الصلاة عن وقتها، فصلُّوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم تطوّعاً». انتهى حديثه](٢).

عبد الله بن عبد الرحمن(٣)

ابن عتبة، ويُعرف بابن جَحْدَم، الفِهْري، أمير مصر لما حصرها مروان [ابن الحَكَم](٤)، وكان أبوه عبد الرحمن على مصر من قِبَل ابنِ الزُّبير(٥)، فأقام عليها تسعة أشهر، فقيل: قتله مروان بمصر، وقيل: عاش إلى بعد زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ووليَ دمشقَ(٦) ليزيد بن عبد الملك.

قال هشام بنُ عمَّار: أجدبت دمشق، فخرج بالناس يستسقي، فصعد المنبر دون المجلس وقال: اللهم إنَّا لم نكن بأجمعنا نجيء إلى غيرك(٧)، وقد جئناك لأمر لا ينقصك شيئاً، وهو بنا أرفق(٨)، فاسْقِنا. قال: فسُقُوا من وقتهم.

---

(١) في (م) (والكلام منها): ابن أُبي، والتصويب من «المسند» (٢٣٨٥٢).

(٢) من قوله: ومن مسانيده في القسطنطينية... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (م). وورد في (خ) من هذا الكلام كله حديث ذي السويقتين فقط. وتنظر الأحاديث المذكورة في «مسند» أحمد على الترتيب: (٦٦٤٥) و(٧٠٨٣) و(٦٤٨٢) و(٧٠٥٣) و(٢٣٨٥٢).

(٣) بدءاً من هذه الترجمة أُضيفت نسخة أحمد الثالث، ورمزها (أ).

(٤) إنما أمير مصر أبوه عبد الرحمن كما سيأتي في الكلام بعده. وسلف خبرُه ص ٣٢٣-٣٢٤ .

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨٩ و٣١٨-٣١٩ .

(٦) يعني عبد الله بن عبد الرحمن. وقد تداخل الكلام هنا بين عبد الرحمن وابنه. ينظر «مختصر تاريخ دمشق» ١٢/ ٣٣٧ .

(٧) في (م): أحد غيرك. وفي «مختصر تاريخ دمشق» ١٢/ ٣٣٧ : أحد دونك.

(٨) في «مختصر تاريخ دمشق» : رافق، وفي (م): أن نسق. وعبارة «المختصر»: إنَّا لم نكن لنجيء بأجمعنا إلى أحد دونك - وكلُّ شيء هو دونك - في أمر لا ينقصه شيئاً وهو بنا رافق إلا أعطاناه، اللهم ولك المَثَل الأعلى، جئناك الغداة نطلب في أمر لا ينقصك وهو بنا رافق...

مالك بن هُبيرة

ابن خالد بن مسلم السَّكوني[(١)].

[قال ابن عبد البرّ: كنيتُه] أبو سعيد. وقيل: أبو سليمان.

له حديث واحد [في الصفّ على الجنازة]؛ قال الإمام أحمد بنُ حنبل رضي الله عنه: حدثنا يزيد بنُ هارون، حدثنا حماد بنُ زيد، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن مَرْثد[(٢)] بن عبد الله اليَزَني، عن مالك بن هُبيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن يموت، فيصلِّي عليه أُمَّةٌ من المسلمين يبلغوا[(٣)] أن يكونوا ثلاث صفوف[(٤)]؛ إلا غُفر له».

قال: وكان مالك بن هُبيرة يتحرَّى إذا قلَّ أهل الجِنازة أن يجعلهم ثلاث صفوف.

[وفي رواية: «ما صلَّى على ميّت ثلاث صفوف؛ إلا وجبت له الجنة».

وليس في الصحابة مَن اسمُه مالك بن هُبيرة سواه][(٥)].

قال ابن عساكر[(٦)]: كانت دار مالك بالباب الشرقيّ بدمشق، ولما قَتَلَ معاويةُ حُجْرَ ابنَ عديّ الكندي وأصحابَه كان بدمشق، وولّاه معاويةُ الصائفة وحمص.

وحضر مع مروان الجابية لما بُويع، وشهد معه وقعة المَرْج، وكان على الرَّجَّالة.

وسكن حمص، ولم يُعْقِب، وكان معاوية يثني عليه ويقول: ما أصبح عندي من العرب أوثقَ في نفسي نصحاً للمسلمين مثل مالك [بن هُبيرة].

وكانت وفاته ببيت رأس[(٧)].

---

(١) في (م): اليزني، وقيل: السكوني. وما سيرد بين حاصرتين منها.

(٢) في (أ) و(خ): زيد، وهو تحريف.

(٣) في (أ) و(خ): لم يبلغوا. والمثبت من «مسند» أحمد (١٦٧٢٤)، وهو بنحوه في (م) كما في التعليق التالي.

(٤) في (م): يبلغوا ثلاث صفوف.

(٥) ما بين حاصرتين من (م)، وينظر «تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٦٦-١٦٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٦٣-١٦٤ .

(٧) المصدر السابق ٦٦/ ١٧٢ . وبيت رأس - كما في «معجم البلدان» ١/ ٥٢٠ - اسم لقريتين، في كل واحدة منهما كروم كثيرة يُنسب إليها الخمر، إحداهما بالبيت المقدّس - وقيل: بالأردن - والأخرى من نواحي حلب.

مروان بن الحَكَم

ابن [أبي] العاص بن أمية بن عَبْد شمس، أبو عبد الملك، من الطبقة الأولى من التابعين، من أهل المدينة(١).

أدرك رسولَ الله ﷺ، ولم يحفظ عنه شيئاً، وقُبض رسولُ الله ﷺ وهو ابن ثمانِ سنين.

[قال هشام:] ومولدُه بالأبواء سنة اثنتين من الهجرة، وأمُّه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أميَّة بن مُحَرِّث من بني كنانة، كنيتُها أمُّ عثمان.

وأمُّها الصَّعبة بنتُ أبي طلحة بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار [بن قصي].

قال الواقدي: وتُلقَّبُ بالزرقاء، وكانوا يُعَيَّرون بها.

قال ابن الكلبي: وكان لها راية في الجاهلية تُعرف بها.

وقال البَلاذُري: الزَّرقاء أمُّ جدَّة مروان، لأن أمَّه آمنة بنت صفية، وصفية تلقَّب بالصعبة بنت أبي طلحة العَبْدري، وأمُّ الصعبة مارية بنت موهوب و[مارية] هي الزرقاء(٢) [وكان موهوب ـ ويقال: مهيب ـ قَيْناً بمكة].

وقيل: اسم الزَّرقاء أرنب بنت موهب(٣).

ذكر صفته:

[قال الواقدي:] كان مروان طُوالاً دقيقاً، يلقَّب بخيط باطل، وهو الذي يُرى في الشمس من لُعابها(٤).

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩. ونسب الكلام في (م) إليه.

(٢) الكلام بنحوه في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨١، وفيه: موهب، بدل: موهوب.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٤٢٣. وما سلف وسيرد بين حاصرتين من (م). والقَيْن: الحدَّاد.

(٤) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦: كان مروان يلقَّب بخيط باطل لقدّته وطوله؛ شُبّه بالخيط الأبيض الذي يُرى في الشمس. وجاء في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٤٧٣: كان قصيراً أحمر الوجه، أوقصَ، دقيق العنق، كبير الرأس واللحية. وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٢/ ٧٠٧: كان يلقَّب خيط باطل لدقَّة عنقه. وذكر الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٧٦ أن مروان لقِّب بذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً، وقال: الخيوط التي تتراءى في الهواء عند شدّة الحرّ يقال لها: مُخاط الشيطان، ولُعاب الشمس، وخيط باطل.

وفيه يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم:

لـعـمـري ومـا أدري وإنـي لـسـائـلٌ ... حَلِيلةَ مضروبِ القَفَا كيف يصنعُ
لَحَى اللهُ قوماً أَمَّرُوا خَيْطَ باطلٍ ... على الناسِ يُعطي من يشاء ويمنعُ[١]

[وكان قد ضُرب مروانُ على قَفَاه يوم الدَّار، فكان يلقَّب بمضروب القَفَا. وقد ذكرناه هناك.

ذكر طرف من أخباره وسيرته:

رُوي أنه قُبض رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثمان سنين؛ قال:][٢]ولم يزل مروان مع أبيه الحكم حتى مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، فضمَّه عثمان رضوان الله عليه إليه، وجعله كاتبه، وأعطاه أموالاً عظيمة، وكان يتأوَّل في ذلك صلة الرحم، فنقم الناسُ على عثمان رضوان الله عليه بسبب تقريبه إليه، فكان يرتكب أموراً لا يعلم بها عثمان رضوان الله عليه، ويرون أن كثيراً ممَّا نسب إلى عثمان رضوان الله عليه لم يأمر به، وإنما هو عن رأي مروان.

وكان الناس قد شَنَفُوا لعثمان رضي الله عنه[٣] لما كان يصنع مروان، وكان عثمان رضوان الله عليه رجلاً حَيِيّاً كريماً، فكان يصدِّقُ مروان في بعض ذلك، ويردُّ عليه بعضاً.

فلما حُصر[عثمان] قاتل مروانُ دونَه أشدَّ القتال.

[قال ابن سَعْد أيضاً[٤]: وأرادت عائشةُ الحجَّ وعثمانُ محصور، فأتاها مروان، وزيد بنُ ثابت، وعبد الرحمن بن عتَّاب بن أسيد بن أبي العيص، فقالوا: يا أُمَّ المؤمنين، لو أقمتِ، فإنَّ أمير المؤمنين محصور، ومقامُكِ ممَّا يدفع الله به عنه. فلم تُجبهم وقالت: قد أحضرتُ رواحلي. فقام مروان وهو يقول:

حـرَّقَ قـيـسٌ عـلـيَّ الـبـلاد ... حـتـى إذا اسـتـعَـرَتْ أجـذمـا

---

(١) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨٦.
(٢) الكلام بين حاصرتين من (م).
(٣) أي: اعترضوا عليه.
(٤) في «الطبقات» ٧/ ٤٠-٤١، وما قبله منه.

فقالت عائشة: أيُّها المُتَمثِّلُ عليَّ بالأشعار، وَدِدْتُ ـ واللهِ ـ أنَّك وصاحبَك هذا الذي يعنيك أمرُه؛ في رِجْل كلٍّ واحد منكما رَحًى، وأنتُما في البحر. ثم خرجَتْ إلى الحجّ. وقد ذكرناه.

وقال البلاذُري[١]: ولّاه معاويةُ البحرين، ثم ولّاه المدينة مرَّتين، وكان يولّيه مرة، وسعيد بن العاص مرَّة. وقد تقدَّم هذا.

وقال المدائني:][٢] وكان مروان من أقرأ الناس للقرآن، وكان يقول: ما أتيتُ بفاحشة قطّ.

وقيل لأبي البليغ: كيف رأيت مروان عند طلب الحاجة إليه؟ فقال: رأيتُ رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر، وحاجتَه إلى قضاء الحاجة أشدَّ من حاجة صاحبها[٣].

وتنازعَ مروان وعَمرو بنُ العاص في شيء، فقال له عمرو: يا ابن الزرقاء. فقال مروان: إنْ كانت زرقاء، فقد أنجبَتْ وأدَّت الشَّبَه إذْ لم تؤدِّه النابغة[٤].

[وقال ابن سعد[٥]: ولَّى معاويةُ مروان المدينة لما وليَ الأمر سنة اثنتين وأربعين، ثم عزله وولَّى سعيد بن العاص، ثم عزل سعيداً وأعاد مروان، ثم عزله وأعاد سعيداً، ثم عزله وولَّى مروان[٦]، ثم عزله وولَّى سعيداً. ثم ولَّى الوليدَ بنَ عتبة بن أبي سفيان، فلم يزل على المدينة حتى مات معاوية، ومروان يومئذ معزول عن المدينة، ثم ولّى يزيدُ بنُ معاوية المدينة بعد الوليد بنِ عتبة عثمانَ بنَ محمد بن أبي سفيان، فأخرجه أهل المدينة وبني أمية، وأجْلَوْهم إلى الشام، وفيهم مروان، والتقاهم مُسْرف بن عقبة، فرجعوا معه إلى المدينة ، وكانت نَوْبَةُ الحَرَّة، وجعل مروان يُؤَلِّبُ مسرف على أهل المدينة، ويدلُّه على عوراتهم بعد ما أخذوا عليه العهود والمواثيق.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨٦ .

(٢) من قوله: قال ابن سعد أيضاً: وأرادت عائشة... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (م).

(٣) العقد الفريد ١/ ٢٣٠ .

(٤) أنساب الأشراف ٥/ ٢٩١ . والنابغة أمُّ عمرو بن العاص، من بني عَنَزَة.

(٥) في «الطبقات» ٧/ ٤٢ـ٤٣ .

(٦) كذا جاء ذكر تولية مروان للمرة الثالثة في (م) (والكلام منها) وجاء في «الطبقات» مرتين، وسلف كذلك من قول البلاذري.

وكتب مسرف إلى يزيد يشكرُ مروان، فلما قدم على يزيد أكرمه ووصله.

وأقام مروان بالشام حتى مات يزيد بن معاوية، ووليَ ابنُه معاويةُ بن يزيد، ومات، ووقع الاختلاف إلى أن وَليَ مروان الخلافة.

وقال الهيثم بنُ عديّ:][1] ودخل مروان ضيعة له بالغوطة أقطعه إيَّاها معاوية، فقال لوكيله: إني لأظنُّك قد خُنتني. فقال: لا تظنَّ، ولكن تيقَّن، واللهِ إني لأخونُك، وإنك لتخونُ معاوية، وإنَّ معاوية، ليخونُ ربَّه، فأبعدَ الله شرَّ الثلاثة[2].

[قال ابن عساكر:] وكان يهوديّ اسمُه يوسف قد أسلم وقرأ الكتب، وكان إذا مرَّ بدار مروان يقول: ويلٌ لأمَّةِ محمد ﷺ من أهل هذه الدار حتى تجيء راياتٌ سودٌ من قِبَل خُراسان. وكان صديقاً لمروان، فكان يقول له: يا مروان[3]، اتَّقِ اللهَ في أمَّة محمدٍ ﷺ إذا وَليتَهُمْ.

[وقد ذكرنا اليهودي لما جهَّز يزيد بن معاوية الجيش إلى ابن الزبير، واستعظم الأمر عبدُ الملك بن مروان.

وقال المدائني: قال رسول الله ﷺ للحكم: «كأنّي ببنيك يصعدون على منبري وينزلون».

وقال ابن عباس في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية يَنْزُون على منابره نَزْو القردة. فساءه ذلك][4].

---

(١) من قوله: وقال ابن سعد: ولَّى معاوية مروان... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (م).

(٢) بنحوه في «العقد الفريد» ١/ ٣٢.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٥٥ (طبعة مجمع دمشق): وكان صديقاً لعبد الملك بن مروان... يا ابن مروان. والخبر في ترجمة عبد الملك، ولم أقف عليه في ترجمة مروان. وينظر الكلام التالي والتعليق عليه.

(٤) من قوله: وقد ذكرنا اليهودي... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (م). وقد ضعَّف هذه الأخبار ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٧٠١ وابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٧١١. وسلف خبر اليهودي مع عبد الملك في فقرة: ولاية عبد الملك، في أحداث هذه السنة (٦٥).

وقال عَمرو بن مُرَّة الجهني: استأذنَ الحَكَم على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ائذنوا له، لعنه الله، ولعنَ مَنْ يخرجُ[(١)] من صُلْبِه»[(٢)].

[فإن قيل: فقد قالت عائشة لمروان: أشهدُ أن رسول الله لعنَ أباك وأنتَ في صُلْبِه. ومروان وُلد بعد الهجرة.

قلنا: إنما لعن الحكم لما كان في مكة قبل الهجرة، فإنه كان يُبالغ في أذى رسول الله. وقد ذكرناه][(٣)].

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها على قولين:

أحدهما: أنه طُعن، فمات فجأة.

والثاني: أن أمَّ خالد بن يزيد قتَلَتْه.

وقد اختلفت الرواية فيه، فقال ابنُ سعد بإسناده عن أبي الحُويرث قال: لما بايع أهل الشام مروان قيل له: تزوَّج أمّ خالد حتى تصغّر شأن ابنها، فلا يُطلب للخلافة. فتزوَّجَها. فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشي بين الصفَّين، فقال مروان: والله إنه ما علمتُ لأحمق. ثم قال: تعال يا ابن الرَّطبة. يُقصِّر به ليسقطه في عين أهل الشام.

فرجع إلى أمه، فأخبرها، فقالت له: لا يُعرف ذلك فيك واسكت، فأنا أكفيكه. ثم دخل عليها مروان، فقال: هل قال لكِ خالد شيئاً؟ قالت: أنت عند خالد أشدُّ إعظاماً من أن يقول فيك شيئاً.

ثم مكثت أياماً، فنام مروان عندها، فغطَّتْه بالوسادة حتى قتلته. هذا صورة ما حكى ابنُ سعد عن الواقدي، وقد أشار إليه الطبري[(٤)].

---

(١) في (م): ولعن ما نسل وما يخرج...

(٢) نُسب الخبر في (م) للبلاذُري، وهو في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٨٥، وتتمته فيه: «إلا المؤمنين، وقليلٌ ما هم، يشرُفون في الدنيا، ويتَّضعون في الآخرة».

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

(٤) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٥/ ٦١٠-٦١١ من طريق ابن سعد، عن الواقدي، عن موسى بن يعقوب، عن أبي الحويرث. وهو بنحوه في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٦ من طريق آخر

وقال المدائني: إنما تزوَّج مروان أمَّ خالد بعد عوده من مصر[١]؛ قال: لمَّا رَجَعَ مروان من مصر نزل الأردنّ، فخطب أمَّ خالد بن يزيد، وهي أمُّ هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة بن ربيعة[٢]، فأخبرَتْ ابنَها خالداً، فقال: واللهِ ما يريد إلا أن يُسقط منزلتي وحُرمتي ويفضحني بين الناس. فأَبَتْ إلا أن تتزوَّجه، فلما دخلَ بها ليلة البناء؛ قعدت معه على فراشه، فأقبل ينظر إلى السقف ويحدِّثُ نفسه، ولم يكلِّمها حتى أصبح، وخرجَ إلى الصلاة، فأرسلت إلى صاحب شرطته وقالت: أما ترى ما صنع بي صاحبُك من الاستخفاف؟! وقد عصيتُ ولدي والناسَ فيه. فأخبر مروان بما قالت، فقال: إنّي كنتُ شابّاً وأنا مقبلٌ على أمر آخرتي لا أؤثر عليها شيئاً، فلما كَبِر سنِّي واقترب أجلي آثرت دنياي على آخرتي، فأُتيتُ بها وأنا مفكِّر في ذلك، فشُغلت عنها[٣].

[وقال الهيثم: مازال مستخفّاً بها وبابنها منذ دخل بها ليفضحَها ويفضحَ ابنَها حتى قَتَلَته][٤].

ودخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشي بين الصفَّين، فقال مروان: والله إنه ما علمتُ لأحمق. ثم قال: تعال يا ابن الرطبة. فقال له خالد: يا مروان، واللهِ ما أحسنتَ العِشْرة، ولا أدَّيْتَ الأمانة، واللهِ لقد نَهَيْنَاها عنك فأبت، فأبعدَ اللهُ ساعتك. ثم نهض، فدخل على أمِّه باكياً، فأخبرَها، فقالت: اكْتُمْ هذا، فوالله لا سمعتَ بعدها منه ما تكره.

ودخل مروان عليها فقال لها: ما الذي قال لك خالد؟ قالت: وما عساه أن يقول، وأنت عنده بمنزلة الوالد.

وجاء وقت القائلة، فنام عندها فاتفقت مع جواريها على خنقه، فأخذَتْ وسادةً، فجعلتها على وجهه، فخنقته، ثم رفعت الوسادة وقامت، فشقت جيبها، وفعل جواريها كذلك، ثم صِحْنَ وولْوَلْنَ.

---

(١) من قوله: واختلفوا فيها على قولين... إلى هذا الموضع أثبتُّه من (م)، وقد وقع في (أ) و(خ) مختصراً جداً. ولم يرد فيهما أيضاً خبر ابن سعد.

(٢) في (أ): زمعة.

(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٣١٣-٣١٤.

(٤) ما بين حاصرتين من (م).

ويقال: كان في آخر رمق، واعتُقل لسانُه[١]، ودخل أولادُه وأمُّ خالد عند رأسه فجعلَ يُشير إليها بيده، أي: هي التي قتلتني. فلم يفهموا، وجعلت تقول: إنه لم يشتغل عني بما هو فيه، ألا ترون كيف يُوصيكم بي؟

وعلم الناسُ بعد ذلك، فكان عبد الملك [بن مروان] يقول: واللهِ إني لأعرفُ ثأري في هذا الدار. يعني دار أمِّ خالد.

[قال الهيثم:] فمروان يعدّ من قتلة النساء.

وكانت وفاتُه بدمشق غرَّة شهر رمضان [أو لهلال شهر رمضان] هذه السنة. وصلَّى عليه عبد الملك. وقيل: عبد الرحمن بن أمِّ الحكم؛ [كان خليفتَه على دمشق][٢]. ودُفن بين باب الجابية والباب الصغير.

[وهذا قول عامة العلماء أنه مات بدمشق مستهلّ رمضان، وقد نصَّ عليه الطبري].

وقيل: مات بِلُدّ. وقيل: بالصِّنَّبْرة [عند انصرافه من مصر][٣].

وكانت ولايتُه على الشام ومصر والجزيرة ثمانية أشهر، وقيل: تسعة أشهر وأياماً، وقيل: عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام[٤].

وقد قال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: يا مروان، لتحملنَّ راية ضلالة بعد ما يشيب صِدْغاك، وإن لك إمرةً كَلَحْسَةِ الكلب أنفَهُ[٥] [وقد ذكرناه يوم الجمل].

وعاش ثلاثاً وستين سنة، وكان نقش خاتمه: آمنتُ بالله مخلصاً[٦].

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٣٤ أنه اعتُقل لسانُه من شربة لبن مسموم.

(٢) نُسب هذا القول في (م) للبلاذري، وهو في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٣٥. والكلام الواقع بين حاصرتين من (م).

(٣) تاريخ دمشق ٦٦/ ٤٧٣ (طبعة مجمع دمشق) ونسب هذا القول في (م) إليه، وما بين حاصرتين منها. لُدّ: القرية المعروفة قرب بيت المقدس والتي يُقتَل عندها الدَّجَّال، والصِّنَّبْرَة: موضع بالأردنّ بينه وبين طبريّة ثلاثةُ أميال. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٤٢٥ و٥/ ١٥ .

(٤) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٤٧٠-٤٧٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٦ ، ونسب الكلام في (م) إليه. وما بين حاصرتين بعده من (م).

(٦) نُسب الكلام في (م) لابن سعد، ولم أقف عليه عنده ولا عند غيره. وذكر ابن عساكر في «تاريخه» ٤٣/ ٢٨٥ هذا النقش لخاتم عبد الملك بن مروان، وذكر في ٦٦/ ٤٥٨ رواية أن نقش خاتم مروان: آمنت بالعزيز الرحيم، وفي رواية أخرى: العزة لله.

وحجَّ بالناس ستَّ حِجَج[١] في أيام معاوية: سنة ثلاث وأربعين، وسبع وأربعين، [وثمان وأربعين]، وأربع وخمسين [وستّ وخمسين].

وكان كاتبه عبيدُ بنُ أوس[٢]، وحاجبُه المنهال مولاه[٣]، وقاضيه أبو إدريس الخَوْلاني، وصاحب شرطته يحيى بن قيس الغسَّاني[٤].

وكان مروان شاعراً، وذكر أبو العلاء [المعرّي] في خطبة «لزوم ما لا يلزم[٥]»:

وهَلْ نحنُ إلا مثلُ مَنْ كان قَبْلَنا ... نموتُ كما ماتُوا ونحيا كما حَيُوا
وينقُص منا كلَّ يوم وليلةٍ ... ولا بد أن نلقى من الدهر ما لَقُوا
نُؤمِّلُ أنْ نبقى وكيف بقاؤنا ... فهلَّا الأُلى كانوا مضَوْا قبلَنا بقُوا
فَنُوا وهُمُ يرجُون مثلَ رجائِنا ... ونحن فنَفْنَى مرةً مثلَ ما فَنُوا
لنا ولهم يومَ القيامة موعدٌ ... ونُدعى له يومَ الحساب إذا دُعوا
ويُحبس منَّا من مضى لاجتماعنا ... بموطنِ حقٍّ ثم نُجزَى كما جُزُوا
فمنهم سعيدٌ سَعْدَةً ليس بعدَها ... شقاءٌ ومنهم بالذي قدَّمُوا شَقُوا[٦]

ذكر أولاده:

كان له من الولد عبدُ الملك [وبه كان يُكنى]، ومعاوية، وأمّ عَمْرو[٧]؛ أمُّهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية ـ [ومعاوية أبو عائشة هو الذي جَدَع أنف

---

(١) كذا وقع: «ستّ حجج»، وما سيرد ذكره خمس حجج، وما بين حاصرتين من (م)، وجاء في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٤٣٢ ـ ٤٣٤ أنه حجَّ في السنوات: (٤٣ ـ ٤٥ ـ ٤٨ ـ ٥٤ ـ ٥٥).

(٢) في «المحبّر» ص ٣٧٧ أن عُبيد بن أوس كاتب معاوية ﷺ.

(٣) في «المحبّر» ص ٢٥٩ : أبو المنهال الأسود.

(٤) المحبر ص ٣٧٣.

(٥) في (م): «وذكر أبو العلاء المعرّي أبياتاً وقال: إنها تنسب إليه وهي هذه». والأبيات في «لزوم ما لا يلزم» ١/ ٢٣ . وينظر التعليق التالي.

(٦) الأبيات الأربعة الأولى في «معجم الشعراء» للمرزباني ص ٣١٧ مع بيت خامس:
وننزلُ داراً أصبحوا ينزلونها ... ونَبْلَى على رَيْب الزمان كما بَلُوا
ولم أقف على مصدر آخر للأبيات الثلاثة الأخيرة.

(٧) ذُكر معهم في (م) عبد العزيز، وهو خطأ، لقوله بعده: أمُّهم عائشة... فأمُّ عبد العزيز بن مروان ليلى بنت زبّان، كما سيرد.

حمزة بن عبد المطّلب يومَ أُحد، وقد ذكرناه، وذكرنا أنه قُتل على أُحد بعد انصراف قريش بثلاثة أيام؛ قتله عليٌّ بأمر رسول الله ﷺ][1] ـ وأم عائشة فاطمةُ بنتُ عامر بن جُذيم من بني جُمح، وأمُّها سُكينة بنتُ أبي مُعَيْط[2].

وعبدُ العزيز، وأمُّ عثمان؛ أمُّهما[3] ليلى بنت زبَّان بن الأصبغ، كلبيَّة.

وبشر، وعبد الرحمن؛ درج؛ أمُّهما قُطَيَّة بنت بشر بن عامر، كلبيَّة أيضاً.

وأبان، وعبدُ الله، وعُبيدُ الله، وأيوبُ، وعثمان، وداود، ورَمْلَة، وأمُّهم أمُّ أبان بنت عثمان بن عفَّان رضوان الله عليه، وأُمُّ أُمِّ أبان رَمْلَةُ بنتُ شَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس.

وعَمْرو، وأمُّ عَمرو[4]؛ وأمُّهما زينبُ بنتُ عمرو بن أمّ سلمة[5] زوج النبي ﷺ.

ومحمدُ، وعُمرُ، كل واحد منهما لأمِّ ولد[6].

وأمَّا عبد الملك؛ فنذكره.

وأما معاوية بنُ مروان [فقال البلاذُري:] كان أحمق، ويُكنى أبا المغيرة، طارَ له بازي، فأمرَ بغلق أبواب دمشق لئلا يخرج البازي من الباب.

[قال:] وسمع قائلاً يقول: لا أفلحَ حقلٌ لا يَرَى اسْتَ صاحبِه، فنزل إلى بستان [له] وأحدثَ فيه.

[قال: ومرَّ يوماً بديراني يقرأ الإنجيل ويقول: حَرْ، فقال له: يا ديراني، ما تقرأ؟ قال: الإنجيل. قال: ففي الإنجيل حر؟ قال: لا، ولكن لي أسفل العِلّيّه حمارٌ يطحن،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م). وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٠. وسلف ذكر معاوية أبي عائشة ص٣٣٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (أ) و(خ): أمها، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٠، والكلام ليس في (م).

(٤) كذا في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٠، وفي «نسب قريش» ص ١٦١: عُمر وأمّ عُمر. وفي «تاريخ دمشق» ص ٥٤٢ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق) أنه يقال لأمّ عُمر هذه أيضاً: أمّ عَمرو.

(٥) في «نسب قريش» ص١٦١، و«تاريخ دمشق»(الطبعة المذكورة): زينب بنت عُمر بن أبي سلمة. وفي «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٠: زينب بن أبي سلمة.

(٦) ينظر بالإضافة إلى المصادر السابقة: أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٠ـ٣٤١، وجمهرة أنساب العرب ص ٨٧ـ٨٨.

وفي رقبته جلجل، وربَّما غفل، فأقول: حر، فيدور. فقال: وما يُدريك لعلَّه يقفُ ويحرِّكُ رأسَه، فتظنُّ أنه يمشي؟ فقال الديراني: من لي بحمار يكون عقلُه مثل عقل الأمير!

وقد ذكرنا أنه كان لمعاوية بن أبي سفيان ولد اسمه عبد الله، وكان أحمق، وجرى له مثل هذا.

قال البلاذُري:][1] وقال يوماً لأخيه عبد الملك: متى يكون يوم الأضحى من شهر رمضان؟ فقال عبد الملك لأبي الزُّعَيْزِعَة: أَقِمْه. فأقامه[2].

[وقال البلاذري أيضاً:] وتزوَّج امرأةً، فلما أصبح قال لأبيها: لقد نكحتُ ابنتَك البارحةَ بقضيب ما رأَتْ مثلَه قطّ. فقال [له] أبوها: لو كنتَ خصِياً ما زوَّجناك.

[قال:] وتزوَّج بكراً، فلما أصبح قال لأمِّها: ملأَتْني ابنتُكِ البارحةَ دماً. فقالت: إنَّها من نسوة يختبئن ذلك الدم لأزواجهنّ. فقال: لو نهيتموهنّ عن هذا لكان أحسن. فقالت: لو كنتَ خَصِياً لاسترحتَ من هذا، وعلى مَنْ زوَّجك لعنةُ الله[3].

وقال له خالد بنُ يزيد: ما لي أرى أخاك عبدَ الملك لا يُوَلِّيك ولاية؟ فقال: لو أردتُ لولَّاني. فقال: سَلْهُ أنْ يُولِّيَك بيت لِهْيَا[4]. فغدا على عبد الملك فقال: ألستُ أخاك وشقيقَك؟ قال: بلى. قال: فولّني ولاية. قال: ما تريد؟ قال: بيتَ لِهْيَا. قال: متى لقيتَ خالدَ بنَ يزيد؟ قال: عشيَّةَ أمس. قال: لا تكلِّمه. ودخل خالد عليه فقال: كيف أصبحتَ يا أبا المغيرة؟ قال: قد نهاني هذا عن كلامك. وأشار إلى عبد الملك[5].

---

(١) من قوله: قال ومرّ بديراني... إلى هذا الموضع، وهو الواقع بين حاصرتين من (م). وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٤١_٣٤٢.

(٢) المصدر السابق. وأبو الزُّعيزعة، مولى عبد الملك، بربريّ. ينظر المصدر نفسه ٥/ ٢٩.

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٤٢، و«المعارف» ص ٣٥٤، و«العقد الفريد» ٦/ ١٥٨.

(٤) هي قرية بغوطة دمشق. وجاء في حاشية النسخة (م) ما صورتُه: بيت لهيا بيت الأصنام. وينظر «معجم البلدان» ١/ ٥٢٢.

(٥) أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٣، ونُسب الخبر في (م) لابن عساكر، ولم أقف عليه عنده.

[قال]: وقال له خالد يوماً: أتحبُّ أن تكونَ أميرَ المؤمنين؟ قال: نعم. قال: إذا خرج عبد الملك يوم الجمعة للصلاة والخطبة، فاسْبِقْه واصعد المنبر، وقد صرتَ أمير المؤمنين. قال: فسبقه إلى المنبر وصعد، فالتفت عبدُ الملك إلى خالد وقال: هذا عملُك؟ قال: نعم[١].

[قال: ومات له جار، فجاء أهلُه يطلبون له منه كفناً، فقال: ما عندي شيء. ولكن اصبروا يومين ثلاثة.

وقال البلاذري:] وُلد لمعاوية هذا: الوليد، وعبد الملك، وبشر، والمغيرة، فأما الوليد فقتله عبدُ الله بن علي لما فتح دمشق [وهدمَ سورَها] وهدمَ داره[٢].

وأما عبد الله[٣] بن مروان؛ فكان أحمق أيضاً، أهدى إلى الوليد بن عتبة قَطِيفةً حمراءَ، وكتبَ إليه: قد بعثتُ إليك قَطِيفةً حمراءَ حمراءَ. فكتبَ إليه: وصلَتْ، وأنت واللهِ يا ابن العمّ أحمق أحمق[٤].

وأمَّا عبدُ العزيز؛ فكنيتُه أبو الأصبغ، ولّاه أبوه العهدَ بعدَ عبد الملك؛ وأعطاه مصر، وسنذكره.

وأما بشر بن مروان؛ فولّاه أخوه الكوفةَ والبصرةَ، وكنيتُه أبو مروان، مات بالبصرة، وسنذكره.

وأمَّا أبان بن مروان؛ فولَّاه عبدُ الملك فلسطين، وكان الحجَّاج بنُ يوسف على شرطته.

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٣، وما سلف وسيرد بين حاصرتين من (م).

(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٤٢، وليس فيه ذِكر الوليد من أولاد معاوية بن مروان، وإنما نبَّه البلاذُري على أنه ليس لمعاوية بن مروان هذا من الولد إلا عبد الملك والمغيرة وبشر، وأن الوليد المذكور أعلاه إنما هو ابنُ معاوية بن مروان بن عبد الملك.

(٣) كذا في (أ) و(خ)، ولم يرد الكلام في (م). وينظر التعليق التالي.

(٤) الخبر في «البيان والتبيين» ٢/ ٢٣٢، و«العقد الفريد» ٦/ ١٥٧ وفيهما أن عُبيد الله بن مروان أرسل إلى ابن أخيه الوليد بن عبد الملك بالقطيفة، وجاء قول الوليد في آخرها: وأنتَ ـ واللهِ ـ يا عمّ أحمق أحمق. ولم يذكر ابنُ عساكر في «تاريخه» ٤٤/ ٤١٦ في ترجمة عُبيد الله بن مروان هذا المعنى فيه، بل على العكس من ذلك؛ أورد ما يفيد أنَّ له شأناً وذِكْراً. والله أعلم.

وأما داود بن مروان؛ فولدَ سليمانَ وكان أعورَ، وتزوَّج[١] فاطمة بنت عبد الملك[٢] بعد وفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

وأما محمد بن مروان؛ فكان أشجعَ بني مروان، وأحسنَهم خَلْقاً وخُلُقاً، وكنيتُه أبو عبد الرحمن، وكان عبد الملك يحسدُه على شجاعته، ويحبُّ أن يضع منه، وهو الذي قتل مصعبَ بن الزُّبير وإبراهيم بن الأشتر، فازداد عبد الملك له حسداً، وفيه يقول الشاعر:

جَمعَ ابنُ مروانَ الأغرُّ محمدٌ ما بين أشْتَرِهِمْ وبين المصعبِ

ولما تبيَّن لمحمد حَسَدُ عبد الملك له، عزمَ على قصد أرمينية، وكان والياً عليها[٣]، فدخل على أخيه عبد الملك مودّعاً له وهو يقول:

فإنَّك لن تَرَى طَرْداً لِحُرٍّ كإلصاقٍ به طَرَفَ الهوانِ
ولو كنَّا بمنزلةٍ جميعاً جريتَ وأنت مضطربُ العِنانِ

فرقَّ له عبدُ الملك وقال: أقسمتُ عليك بالله يا أخي إلا أقمتَ، فواللهِ لا رأيتَ منّي مكروهاً بعدَها. وولّاه الجزيرة والموصل مضافاً إلى أرمينية[٤].

فولد محمد بنُ مروان يزيدَ بنَ محمد، وأمُّه أمُّ يزيد بنتُ عبد الله[٥] بن شيبة بن ربيعة، وعبدَ الرحمن، وأمُّه أمُّ جميل من ولد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، ومروانَ، وأمُّه كرديَّة؛ أخذها [أبوه] محمد من عسكر ابن الأشتر، فيُقال: إنه لمَّا أخذها كانت حاملاً بمروان، فوُلد على فراش محمد، ومروان هذا هو الجعدي آخرُ خلفاء بني أمية.

---

(١) يعني سليمان بن داود. وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٤٤، و«تاريخ دمشق» ٧/ ٦٠٥ (مصورة دار البشير).

(٢) في «أنساب الأشراف»: فاطمة بنت عبد الملك بن عبد العزيز، وهو خطأ. وينظر «جمهرة أنساب العرب» ص ٨٨.

(٣) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٧٠: عزم على إتيان أرمينية لغزو العدوّ بها. وجاء فيه خبر تولية أرمينية وغيرها بعد اعتذار عبد الملك إليه.

(٤) أنساب الأشراف ٥/ ٣٧١. وينظر «تاريخ دمشق» ٦٤/ ٣١٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) في «أنساب الأشراف»: أمّ يزيد بنت يزيد بن عُبيد الله... وسمَّاها ابن سعد في «الطبقات» ٧/ ٢٣٣: رملة. وينظر «نسب قريش» ص ١٦٩.

وأمُّ عَمرو بنتُ مروان تزوَّجها الوليد بن عثمان بن عفَّان[١].

وعمرو بن مروان نذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

أسند مروان الحديث عن عُمر، وعثمان، وعليّ، وزيد بن ثابت ﷺ[٢].

وروى حديث مسّ الذَّكَر عن بُسْرة بنت صفوان؛ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله[٣]: حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عُلَيَّة، حدَّثنا عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: سمعتُ عروة بن الزُّبير يحدِّث أبي[٤] قال: ذاكرتُ مروانَ بنَ الحَكَم مَسَّ الذَّكَر وقلت: ليس فيه وضوء. قال: فإنَّ بُسْرَةَ بنت صفوان تحدِّثُ فيه للوضوء[٥]. فأرسل إليها رسولاً، فذكر الرسولُ أنَّها تحدِّثُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من مَسَّ ذَكَرَهُ فليَتَوَضَّأْ».

وهذه بُسْرة بنتُ صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ، وأمُّها سالمة بنت أمية، وأخوها لأمِّها عُقْبة بن أبي مُعَيْط، وكانت بُسْرة عند المغيرة بن أبي العاص، فولَدَتْ له معاوية بن المغيرة، وهو جدُّ عبد الملك بن مروان لأمّه، وأمُّ عبد الملك عائشةُ بنتُ معاوية بن المغيرة[٦].

[الكلام على الحديث:

اختلف الفقهاء في مَسّ الذَّكَر؛ هل ينقض الوضوء أم لا؟ قال أبو حنيفة وأصحابُه: لا ينقض، وهو قولُ عُمر، وعليّ، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وحذيفة ابن اليمان، وعمران بن الحُصين، وأبي الدَّرداء، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقّاص، وعمار بن ياسر، وفقهاء الصحابة من التابعين ومن بعدهم: الحسن، وابن المسيِّب،

(١) نسب قريش ص ١٦٠ . وأمُّ أمِّ عَمرو ـ كما سلف (أول الفقرة) وحسب هذا المصدر ـ هي عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي. وجاء في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٤٠ أن الوليد بن عثمان بن عفان (المذكور أعلاه) تزوَّج أمَّ عثمان بنت مروان، وأن سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان تزوّج أمّ عَمرو. وذكر ابن عساكر في «تاريخه» ص ٥٤٢ (تراجم النساء) أن سعيد بن خالد بن عَمرو تزوَّج أمَّ عُمر ـ ويقال: أمّ عَمرو ـ وأمُّها زينب بنت عُمر بن أبي سلمة (وسلف ذكرها). والله أعلم.

(٢) تاريخ دمشق ٦٦/ ٤١١(طبعة مجمع دمشق).

(٣) مسند أحمد (٢٧٢٩٣).

(٤) في (م): يحدِّث عن أبي.

(٥) لفظة للوضوء ليست في «المسند». وفي (م): في الوضوء.

(٦) ينظر «الاستيعاب» ص ٨٧٦ . وينظر أيضاً ص٣٣٠ (أول الباب الخامس).

وابن جُبير، والنَّخَعي، وربيعة، والثوري، والشعبي، ومالك في رواية عنه وعن أحمد، وفي الرواية الأخرى عن مالك وأحمد أنه ينقض، وهو قول عائشة، وابن عمر، وأبان ابن عثمان، وعطاء، وأبي العالية، وعروة بن الزبير، والزُّهري، والشافعي. وعلى هذا الخلاف في مسّ الدُّبُر، واحتجوا بحديث بُسرة بنت صفوان. وفي رواية: «وأيّما امرأة مَسَّتْ فرجَها فلتتوضَّأ». والله أعلم][1].

السنة السادسة والستون

فيها أُطلق المختار من السجن، وثار لطلب الثأر من قتلة الحسين عليه السلام.

وقد ذكرنا[2] أنَّ التَّوَّابين لمَّا قدموا من عين وَرْدَة ونزلوا الكوفة؛ كتبَ إليهم المختار من السجن يُعزِّيهم في سليمان بن صُرَد ويقول: أنا صاحبُ الطلب بثأر أهل البيت.

وكان عبد الله بن خَطْمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة قد حبساه، وكان يكاتبُ الشيعة من الحبس ويكاتبونه، ومالوا إليه بعد سليمان بن صُرد، وبعثوا إليه، ورأسُهم[3] رِفاعة بن شدَّاد أحد الأمراء الذين تقدَّم ذكرهم.

ورِفاعة هو الذي قدم بمن بقيَ من جيش التَّوَّابين، وكان معه رؤوس الشيعة، فأرسلوا إلى المختار: إنْ شئتَ سِرْنا إليك فأخرجناك من السجن؛ فعلنا. فأرسلَ إليهم مع رسولهم عبد الله بن كامل: ما أُريد هذا، وأنا خارجٌ في هذه الأيام.

قال هشام في روايته عن أبي مِخْنَف قال: وكان المختار قد بعث غلاماً إلى مكة إلى ابن عُمر ـ واسم الغلام زِرْبِيّ[4] ـ وكتب معه كتاباً يقول: إني حُبستُ ظلماً. وسأله أن يكتبَ إلى عبد الله بن يزيد الخَطْمي وإلى إبراهيم يشفع إليهما في إطلاقه.

---

(١) من قوله: الكلام على الحديث... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين من (م). وجاء في حاشيتها ما صورتُه: (لله درُّ المصنف في نُصرته مذهب أبي حنيفة وإسناده مذهبه إلى معظم الصحابة رضوان الله عليهم وعليه. وبذلك يُعلم أنه حنفي المذهب، وقد ذُكر في طبقات الحنفية، وله ترجمة واسعة جميلة؛ فليراجعها من أراد الإطلاع. والله أعلم). اهـ. قلت: ورواية: «وأيما امرأة مسّت فرجها فلتتوضأ» في «مسند أحمد» (٧٠٧٦). من حديث عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما.

(٢) ص ٣٢٢-٣٢٣. وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٦٠٦.

(٣) في (ص): ورؤساهم. وقد أضيفت هذه النسخة بدءاً من هذه السنة (٦٦) وهي نسخة أياصوفيا.

(٤) في (أ) و(خ) و(ﷺ): رزينا. وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٨ : ويُدعى الغلام زربيّاً، وأثبتُّ اللفظة على الجادّة.

فكتب عبدُ الله بنُ عمر إليهما: قد علمتما ما بيني وبينكما من الوُدّ، وما بيني وبين المختار من الصِّهْر، وأنا أُقسمُ عليكما بحقّ ما بيني وبينكما لما خلَّيتُما سبيلَه حين تَنظران[1] في كتابي هذا. والسلام.

فلما وقفا على الكتاب طلبا من يكفل المختار بنفسه، فكفله جماعةٌ من الأشراف، ثم دعا به عبدُ الله وإبراهيم، فأحلفاه أنه لا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فإنْ هو فعل؛ فعليه ألفُ بَدَنة ينحرُها عند الكعبة، ومماليكُه وجواريه أحرار.

وخرجَ إلى داره، فكان يقول بعد ذلك: قاتلهما الله، أتراهما يريان أنِّي أفي لهما؟! أمَّا اليمين بالله فمن حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها. الحديث[2]. وأمَّا ألفُ بَدَنة؛ فهو أهونُ عليَّ من بَصْقة. وأمَّا عتقُ عبيدي؛ فوددتُ أنّي استتبَّ أمري، ثم لم أملك مملوكاً أبداً.

واختلفت إليه الشيعة، ورضُوا به، ولم يزل أمرُه يشتدّ ويقوى حتى عزلَ ابنُ الزبير عبدَ الله بنَ يزيد وإبراهيم بن محمد، وولَّى على الكوفة عبدَ الله بنَ مطيع، وعلى البصرة الحارث بنَ عبد الله بن أبي ربيعة، فسار إليهما فلقيَهما بَحِير بن رَيْسان الحِمْيَريّ، فقال لهما[3]: إنَّ القمر الليلة بالنَّاطح[4]، فلا تسيرا.

فأمَّا الحارث فأطاعه، وأقامَ يسيراً ثم شخصَ إلى البصرة، وأمَّا ابنُ مُطيع؛ فقال: وهل نطلب إلا النَّطْح. قال: فلقيَ ـ واللهِ ـ نَطْحاً وبَطْحاً، والبلاءُ موكَّلٌ بالمنطق[5].

---

(١) في (أ) و(ص): تنظرا، وفي (خ): تنظروا. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٨. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣ـ٤٤.

(٢) وتتمته: فليأت الذي هو خير وليكفِّر عن يمينه. وللحديث روايات كثيرة. وينظر «مسند» أحمد (٦٩٠٧).

(٣) عبارة الطبري ٦/ ٩ : فبلغ ذلك بَحِير بن ريسان الحميري، فلقيهما فقال لهما... الخ. فيلاحظ أن قوله: «فسار إليهما» تكرار بالمعنى لقوله: «فلقيهما» ولا حاجة إليه.

(٤) النَّاطح ـ ويسمَّى الشَّرَطان (تثنية شَرَط، أي: العَلَامة) ـ هو الأول من منازل القمر الثمانية والعشرين، ويُتطيَّر منه. ينظر «صبح الأعشى» ٢/ ١٦٤ .

(٥) قوله: والبلاء موكّل بالمنطق، هو من كلام عمر بن عبد الرحمن بن هشام راوي الخبر كما في «تاريخ الطبري» ٦/ ٩ـ١٠ . وهو مَثَل؛ قال الميداني في «مجمع الأمثال» ١/ ١٧ :يقال: أوَّلُ من قاله أبو بكر الصدِّيق ﷺ (وذكر خبره).

وفرَّق ابنُ الزُّبير عمَّالَه في البلاد، وبلغَ عبدَ الملك بنَ مروان فقال: مَن استعملَ على الكوفة؟ قيل: عبدُ الله بنُ مطيع. فقال: حازم وكثيراً ما يسقط، وشجاعٌ وما يكرهُ أن يَفِرّ. قال: ومَنْ بعثَ إلى البصرة؟ قالوا: الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة. قال: لا حُرَّ بوادي عوف[١]. قال: ومَنْ بعث على المدينة؟ قالوا: [بعثَ] أخاه مصعباً. فقال: ذاك الليث النَّهْد، وهو رجل أهل بيته.

قال هشام بروايته عن أبي مِخْنَف قال: قدم عبدُ الله بنُ مطيع الكوفة لخمس بقين من رمضان، فقال لعبد الله بن يزيد الخَطْمي: إنْ أَحَبَبْتَ أن تُقيمَ معي أكرمتُ مثواك، وإنْ لحقتَ بابن الزُّبير أكرَمَك. وقال لإبراهيم بن محمد: الْحَقْ بابن الزُّبير. فلحق بالمدينة، وكسر الخَرَاج، فلم يُؤاخذه ابنُ الزبير[٢].

وأما ابنُ مطيع فولَّى شرطتَه إياس بن مُضارب العجلي.

وصعد ابنُ مطيع المنبر، فخطب وقال: إن أمير المؤمنين عبدَ الله بنَ الزبير بعثني على مِصْركم، وأمرني بجباية فيئكم، وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا بِرِضاً منكم، وأن أسير فيكم بسيرة عمر بن الخطاب، وأعملَ بوصيَّته فيكم، وبسيرة عثمان، فاتقوا الله، ولا تختلفُوا، وخُذُوا على أيدي سفهائكم، وإلا تفعلوا فلُومُوا أنفسكم ولا تلومُوني. وذكر كلاماً فيه تهديدٌ ووعيد.

فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال: أمَّا أمرُ ابنِ الزُّبير إيَّاك ألَّا تحمل فضل فيئنا عنّا إلا بِرِضاً منَّا، فنحن لا نرضى أن تُخرج فضلةً عنَّا، وأن لا تَقسم فيئنا [إلا فينا، وأن لا يُسَار فينا] إلا بسيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا حتى مضى لسبيله رحمه الله، ولا حاجةَ لنا في سيرة عثمان في فيئنا وفي أنفسنا، فإنها إنما كانت أثرةً [و] هوًى، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا، فقد كان لا يألُو الناس خيراً. فقال يزيد بن أنس: صدقَ السائب، كلُّنا على مثلِ رأيه. فقال ابنُ مطيع: نسيرُ فيكم بكلِّ سيرة أَحْبَبْتُموها. ثم نزل[٣].

---

(١) هو مَثَل؛ قال أبو عُبيد في «الأمثال» ص ٩٤ : إنْ أرادوا أنَّ من ناوَأنا ذلَّ عندنا قالوا: لا حُرَّ بوادي عَوْف؛ يقول: كلُّ من صار في ناحيته خضع له وذلَّ. وعَوْف: هو ابنُ مُحلِّم الشيباني. وينظر أيضاً «مجمع الأمثال» ٢/ ٢٣٦ . وتحرَّفت كلمة «حرّ» في (أ) و(خ) و(ص) إلى: خير.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٠ : كسر على ابن الزُّبير الخَرَاج وقال: إنما كانت فتنة، فكفّ عنه ابن الزُّبير.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٠-١١ . (وما سلف بين حاصرتين منه). وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٥ .

وحكى أبو مِخْنَف عن عامر الشعبي قال: كنتُ أنا وأبي أوَّلَ مَنْ أجابَ المختار. قال: فلما تهيَّأَ خروجُه قال له أحمر بن شُميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شدَّاد: إنَّ أشراف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع، فإنْ وافَقَنَا إبراهيمُ بنُ الأشْتَر رَجَوْنا النصر عليهم، فإنه فتًى رئيس[1]، وابنُ رجل شريف، وله عشيرة. قال: فالْقَوْه فأَخْبِروه ما نحنُ عليه.

قال الشعبي: فخرجوا إليه وأنا وأبي معهم فقالوا له: قد أتيناك في أمرٍ، فإنْ قبلتَه كان خيراً لك، وإن تركتَه فقد أدَّيْنا إليك النصيحة، ونحبُّ أن يكون عندك مستوراً. وكان المخاطب له يزيد بن أنس.

فقال إبراهيم: مثلي لا تُخاف غائلتُه ولا سِعايتُه، ولا التقرُّب إلى سلطانه[2]. قالوا: إنَّا ندعوك إلى أمرٍ إن أجَبْتَنا [إليه] عادت لك منزلةُ أبيك. ودعَوْه إلى أمرِهم وما هم عليه، وقالوا: تُحيي من أبيك أمراً قد مات. فقال لهم إبراهيم: فإني أجيبُكم[3] إلى ما دعيتموني[4] إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن تُولُّوني الأمر. فقالوا له: أنتَ أهل لذلك، ولكن لا سبيل إلى ذلك، هذا المختار قد جاءنا من قِبَل المهديّ، وهو المأمور بالقتال، وقد أُمِرْنا بطاعته. فسكت إبراهيم. وعادوا فأخبروا المختار.

قال الشعبي: فأقام المختارُ ثلاثاً، ثم دعا بضعةَ عشرَ رجلاً من وجوه أصحابه وأنا وأبي فيهم، ثم خرج يمشي أمامَنا ليلاً، ولا ندري أين يذهب بنا، حتى أتى بابَ إبراهيم بن الأشتر، فاستأذنَ، فأذنَ له، فدخلْنا، فأجلسه معه على فراشه، ووُضعت لنا الوسائد، فأخرج له المختار كتاباً وقال: هذا كتابُ المهديّ محمد بن أمير المؤمنين، وهو يسألُك أن تنصرَنا وتُؤازرَنا، فإنْ فعلتَ اغتبطتَ، وإنْ لم تفعل فهذا الكتاب حجَّةٌ عليك.

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٥ (والرواية فيه): بئيس، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٧ : فتى ماض.
(٢) بعدها في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٥ : باغتياب الناس.
(٣) في (أ) و(خ) و(ص): فإن أجبتكم. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦ . وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٧ : قد أجبتكم. ولفظة «إليه» السالفة بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري.
(٤) كذا في (أ) و(خ) و(ص). وهي لغة. وفي «تاريخ الطبري»: دعوتموني.

قال الشعبي: وكان المختار قد دفع إليَّ الكتاب، فقال لي: ادْفَعْه إليه. فدفعتُه إليه، فدعا بالمصباح، وفضَّ ختمه، ثم قرأه.

وفيه: من محمد المهديّ إلى إبراهيم الأشتر، أمَّا بعد، فقد بعثتُ إليك بوزيري، وأميني، وأمَرتُه بقتال عدوِّي والطلبِ بثأر[1] أهل بيتي، فانهض معه بنفسك وأهلك وعشيرتك، فإنْ ساعدتَ وزيري ونهضت معه؛ كانَتْ لك عندي بذلك الفضيلة، ولك أعنَّةُ الخيل وكلُّ مصر ظهرتَ عليه، وكلُّ ثَغْر فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام، وإنْ أبيتَ هلكتَ هلاكاً لا تستقيِلُه أبداً. والسلام.

فقال إبراهيم: قد كتبَ إليَّ محمد وقد كتبتُ إليه قبل اليوم، فما كان يكتبُ إليَّ إلا باسمه واسم أبيه! فقال المختار: ذاك زمان وهذا زمان. قال: فمَنْ يعلمُ أنَّ هذا كتابُ ابنِ الحنفية إليّ؟ قال المختار: يزيد بن أنس، وأحمر بن شُميط، وعبد الله بنُ كامل، وجماعة.

قال الشعبي: فشهدُوا إلا أنا وأبي، فتأخَّر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفراش، وأجلسَ عليه المختار، ثم بايعَه على النُّصرة، وقام المختار وأصحابُه فخرجوا، وخرج إبراهيم مع المختار حتى دخل داره ورجع.

قال الشعبيّ: فأخذ إبراهيمُ بيدي وقال: انصرفْ بنا يا شعبيّ. فانصرفتُ معه، فلما دخل رَحْلَه قال: لِمَ لَمْ تشهَدْ أنت ولا أبوك؟ أترى هؤلاء شهدوا على حقّ؟ قال: فقلتُ: قد شهدوا على ما رأيتَ، وهم سادة القرَّاء ومشيخةُ المصر وفرسانُ العرب، ولا أرى مثلَ هؤلاء يقولون إلا حقّاً. قال الشعبي: فقلت هذه المقالةَ وأنا - واللهِ - مُتَّهِمٌ لهم في شهادتهم، غيرَ أنِّي على رأي القوم، وأحبُّ تمام الأمر، فلم أُطلِعْه على ما في نفسي من ذلك. فقال ابنُ الأشتر: اكتبْ لي أسماءهم، فلستُ أعرفُ كلَّهم. قال: فكتبتُ له:

هذا ما شهد به السائب بن مالك الأشعري، ويزيد بن أنس الأسديّ، وأحمر بن شُميط الأحمسي، ومالك بن عَمرو[2] النَّهدي. حتى أتيتُ على أسمائهم، وقال: اكتُب صورةَ الكتاب، فكتبتُه.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٦ : بدماء. وكذا في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٧ ، والكلام فيه بنحوه.

(٢) في (أ) و(خ): عُمر، والمثبت من (ص) وهو الموافق لما في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٧ .

فكان إبراهيمُ يأتي كلَّ ليلة إلى المختار إلى أن يَبْهَارَّ الليل[١]؛ يدبِّرُون أمرَهم، واتفقوا على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة خلت من ربيع الأول سنة ستّ وستين.

وأُخبِرَ إياسُ بنُ مضارب صاحبُ شرطةِ عبدِ الله بن مطيع بأنَّهم على الخروج في إحدى الليلتين، فأَخبرَ ابنَ مطيع بأنهم على الخروج[٢]، فاستعدَّ، وفرَّق القبائل، فبعثَ عبد الرحمن بنَ سعيد بن قيس إلى جَبَّانةِ السَّبِيع، وبعثَ كعبَ بنَ أبي كعب الخثعمي إلى جَبَّانةِ بشر، وبعثَ زَحْر بنَ قيس إلى جبَّانة كِنْدَة، وبعث شَمِر بن ذي الجَوْشَن إلى جَبَّانةِ سالم، وبعثَ شَبَثَ بنَ رِبْعيّ إلى السَّبَخَة، وفرَّق القبائل.

وكان خروجُ هؤلاء يومَ الاثنين، فنزلوا هذه الجَبَابِين، وأحاطت الشُّرَط بقصر الإمارة وفيه ابنُ مُطيع.

فحكى أبو مِخْنَف عن حُميد بنِ مسلم قال: خرجتُ مع إبراهيم بن الأشتر من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء في كتيبة نحو المئة، وعلينا الدُّرُوع قد كَفَرْنَاهَا بالأقبية[٣] ونحن متقلِّدُون السيوف، ليس معنا سلاح إلا السيوف، وكان إبراهيم فتًى حَدَثاً شجاعاً، فقال: واللهِ لأَمُرَّنَّ على جانب القصر، ولأُرْعِبَنَّ عدوَّنا، ولأُرِيَنَّهم هوانَهم علينا.

قال: وسِرْنا، فلما جاوَزْنا دار عَمْرِو بن حُريث لقينا إياس بن مضارب[٤] في الشُّرَط، فقال: مَنْ أنتم؟ فقال: أنا إبراهيم بن الأشتر. فقال له إياس: ما هذا الجمع معك، وقد بلغني أنك تمرُّ كلَّ عشيَّة ههنا؟ وما أنا بمفارقك حتى آتيَ بك الأمير. فقال له إبراهيم: خَلِّ سبيلَنا. فقال: لا والله. وكان مع إياس رجل يقال له: أبو قَطَن، وبيده رمح، فدنا منه إبراهيم، وأخَذَ الرُّمح، وطعنَ إياسَ بنَ مُضارب في نحره، فصَرَعَه، وقال لرجل من أصحابه: انزِلْ فاحتزَّ رأسَه. فنزل فاحتزَّ رأسه، وتفرَّق عنه أصحابُه.

(١) أي: ينتصف.

(٢) قوله: بأنهم على الخروج، من (أ). وفي هذا الموضع من (ص) سقط.

(٣) أي: غطَّيناها بالأقبية. والأقبية جمع قَبَاء، وهو الثوب يُلبس فوق الثياب.

(٤) من قوله: وأُخبر إياس بن مضارب... إلى هذا الموضع، سقط من (ص).

وأخبروا ابنَ مطيع، فبعثَ ابنَه راشد بنَ إياس مكان أبيه على الشُّرطة.

وأقبل ابنُ الأشتر إلى المختار ليلةَ الأربعاء وقال: إنَّا كنَّا قد أبعدنا الخروج من القابلة ليلة الخميس، وقد حدثَ أمرٌ لا بدَّ من الخروج الليلة. وأخبره الخبر وقال: هذا رأسُ إياس بن مضارب، فقال له: بشَّرك الله بخير. هذا أوَّلُ الفتح.

ثم أمر المختار سعيد بنَ منقذ، فأوقدَ هَرَادي[1] النيران وقال لعبد الله بن شدَّاد: قُم فنادِ: يا منصور أَمِتْ. وقال لسفيان بن ليل[2] ولقدامة بن مالك: نادِيا: يا ثارات[3] الحسين. ولبس سلاحه وخرج، وتقدَّمه ابنُ الأشتر إلى القبائل الذين كانوا في الجَبَابِين، فَدار عليهم، فهزمهم.

وركب ابنُ مطيع والقبائل، وقامت الحرب على ساق، ونزل المختار في أصحابه بدير هند.

ونادى أبو عثمان[4]: ألا إنَّ أمين آل محمد قد نزل بدير هند، فاخْرجُوا إليه رحمكم الله.

قال: فخرجوا من الدُّور يتداعَوْن: يا لَثارات الحسين، وكان قد بايعه منهم اثنا عشر ألفاً، فلحق بهم منهم ثلاثة آلاف وخمس مئة[5]، فاجتمعوا قبل انفجار الصبح، فأصبح المختار على تعبئة.

قال أبو مِخْنَف: فحُدِّثتُ عن الوالبي[6] قال: خرجتُ أنا وحُميد بن مسلم والنُّعمان ابن أبي الجعد إلى المختار في تلك الليلة، فصلى الفجر بغَلَس؛ قرأ فيها بالنازعات، وعبس وتولى، فواللهِ ما سمعْنا إماماً أَمَّ قوماً أَفْصَحَ لهجةً منه.

---

(١) جمع هُرْديَّة، وهي الحُرْديَّة، وهي قصبات تُضَمّ ملويَّةً بِطاقاتِ الكرم تُحمل عليها قضبانُه. ينظر «تاج العروس» (هرد) وتحرفت في (أ) إلى: هواري، وفي (خ) إلى: هوادي، والكلام ليس في (ص). والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠.

(٢) في النسخ: سفيان بن أبي ليلى، والتصويب من «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠.

(٣) في (أ) و(خ): فناد يا ثارات. والمثبت من (ص). وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٠: فناد يا لثارات.

(٤) هو النَّهدي؛ خرج فنادَى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم يخافون أن يظهروا... ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٢.

(٥) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٣: وثمان مئة. وكذا في «أنساب الأشراف» ٦/ ٥١ والكلام فيه بنحوه.

(٦) في «تاريخ الطبري»: فحدَّثني الوالبي.

قال: ونادى ابنُ مطيع في الناس أن يجتمعوا إلى المسجد، فاجتمعوا، فجهَّز شَبَث ابنَ رِبْعيّ في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار، وبعث معه راشدَ بنَ إياس في أربعة آلاف من الشُّرَط.

وأقبل شَبَثُ بن رِبْعيّ في آخر الليل نحو المختار، فسمعَ المختارُ ضجَّة عظيمة، فقال: ما هذا؟ قالوا: شَبَث بن رِبْعيّ قد أقبلَ إليك ومعه راشد بن إياس. فقال المختارُ لابنِ الأشتر: عليك براشد، وأنا لِشَبَث. فالتقى ابنُ الأشتر لراشد، وأحاط شَبَثُ بنُ رِبعيّ بالمختار وإبراهيم في تسع مئة، وراشدٌ في أربعة آلاف، فحمل نصر ابن خزيمة[1] العبسيّ على راشد، فطعنه فقتله، ثم نادى: قتلتُ راشداً. ونزلَ فاحتزَّ رأسه، وحمله على رمح، فانهزم أصحابُه.

وجاء ابنُ الأشتر وأصحابُه إلى المختار وقد أحاطَ به شَبَثُ بنُ رِبْعيّ، فاقتتلوا وابنُ مطيع قائمٌ بالكُناسَة يجهِّزُ الجيوش وقد دخل أصحابَ ابنِ مطيع الخوفُ والفشلُ.

وحمل المختار في الرَّجَّالة وقد ترجَّل، وكذا ابنُ الأشتر، فانهزم شَبَث بنُ رِبْعيّ ومن معه حتى توارَوْا ببيوت الكوفة.

واستفحل أمرُ المختار، وجاءَتْه الشيعة من كل مكان، فقال: اطلُبوا القصر. فطلبوه والقتالُ يعمل وابنُ مطيع قائمٌ على الكُناسة، فصاح ابنُ الأشتر: شُدُّوا عليهم، فشَدُّوا عليهم، فانهزموا ودخل ابنُ مطيع إلى القصر ومعه وجوهُ أهل الكوفة، فحصروه في القصر ثلاثاً.

فقال أصحابُه: ما ترى؟ فالقومُ في إقبال، ونحنُ في إدبار. وقال شَبَث بنُ رِبْعيّ: أيُّها الأمير، الرأيُ أن تأخذَ لنفسك ولمن معك أماناً. فقال: أكرهُ ذلك والبلادُ كلُّها والبصرةُ والعراقُ لابنِ الزُّبير. فقال: اخرج بحيث لا يشعروا بك، واذهب حيث شئتَ. فقال: حتى أنظرَ.

فلما جاء الليل، حمدَ اللهَ ابنُ مطيع وقال: قد علمتُ أنَّما فعلَ هذا سفهاؤكم وأراذلُكم. أما أولو الفضل منكم فسامعون مطيعون، وأنا مبلّغ ذلك صاحبي ومُعْلِمُه

(١) كذا في (أ) و(خ) و(ص). وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٦ : خزيمة بن نصر.

طاعتكم وجهادكم عدوَّه، حتى كان اللهُ الغالبَ على أمره، وقد أشرتُم عليَّ بالخروج، وقد رأيتُ أنْ أخرجَ في هذه الساعة. فقال له شَبَث بنُ رِبْعيّ: جزاك الله من أمير خيراً، فقد - واللهِ - عففتَ عن أموالِنا، وأكرمتَ أشرافَنا، ونصحتَ لصاحبك، وقضيتَ الذي عليك، وما كنَّا لنفارقَك إلا ونحن منك في إذن.

ثم خرج، وخلَّى القصر وما فيه، وقال أصحابه لابن الأشتر: نحن آمِنُون؟ قال: نعم. فخرجوا، فبايعوا المختار(١).

وجاء المختار، فدخل القصر، وثابَ إليه الناس، فصعد المنبر وقال:

الحمد لله الذي وعدَ وليَّه النصر، وعدوَّه الحصر(٢) وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضيّاً، وقد خابَ من افترى، أيُّها الناس، إنَّه قد رُفِعَتْ لنا راية، ومُدَّتْ لنا غاية، فقيل لنا في الراية أنِ ارْفَعُوها ولا تضعوها، وفي الغاية أنِ اجْرُوا إليها ولا تَعْدُوها. فسمعنا دعوةَ الدَّاعي، ومقالةَ الواعي.

وذكر كلاماً [طويلاً] في هذا المعنى وقال: والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً(٣)، والأرضَ فِجاجاً سُبُلاً، ما بايعتُم بيعةً بعد بيعةِ عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه وآلِه أهدى من هذه.

وبايعه الناس على كتاب الله وسنة رسوله، والطلبِ بدماء أهلِ البيت، وجهادِ المُحِلِّين، والدَّفعِ عن الضعفاء والمظلومين.

وكان ابن مطيع قد نزل دار أبي موسى، وجاء عبدُ الله بنُ كامل إلى المختار فقال: أعلمتَ أنَّ ابنَ مطيع في دار أبي موسى؟ فلم يجبه بشيء، وكان ابنُ مطيع صديقاً للمختار، فلما جاء المساء بعثَ المختار إلى ابنِ مطيع بمئة ألف درهم، وقال له: تجهَّزْ بهذه واذهب، فإني قد علمتُ بمكانك، وأنه ما منعك من الخروج إلا ضِيقةُ ذاتِ يدك، فاخْرجْ.

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٢-٥٣، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٢٩-٣٣، والكلام مختصر من روايته.

(٢) في المصدرين السابقين: الخُسر.

(٣) في (خ): سقفاً محفوظاً مكفوفاً. وفي (ص): السماء بروجاً وسقفاً مكفوفاً. والمثبت من (أ) وهو الموافق لما في المصدرين السابقين وما سلف بين حاصرتين من (ص).

وأصاب المختار في بيت المال تسعة آلاف ألف [درهم] ففرَّقها في أصحابه على أقدارهم، وهم ثلاثةُ آلاف وثمان مئة رجل، فأعطى كلَّ واحد منهم خمس مئة درهم، وقرَّب الأشراف، وأحسنَ إلى الناس، فمالوا إليه.

واستعملَ على شرطته عبدَ الله بنَ كامل اليشكري[١]، وعلى حرسه كيسان أبا عَمْرَة.

قال أبو مِخْنَف: وأوَّلُ رايةٍ عَقَدَها المختار رايةٌ لعبدِ الله بنِ الحارث أخي إبراهيمَ ابنِ الأشتر على أرمينية، وبعثَ محمدَ بنَ عُمير بن عُطارد على أَذْرَبيجان، وعبدَ الرحمن بن سعيد على الموصل، وإسحاقَ بنَ مسعود على المدائن، وسَعْدَ بنَ حذيفة على حُلْوان، وفرَّق عمَّالَه في البلاد.

وكان عبدُ الله بنُ الزبير قد ولَّى محمد بنَ الأشعث بن قيس على الموصل، فلما وصل إليها عبد الرحمن بن سعيد خرج عنها محمد، فنزل تكريت، فأقام بها لينظر ما يؤول إليه [أمرُ] الناس، ثم جاء إلى الكوفة، فبايعَ المختار.

وكان المختار يجلس فيقضي بين الناس، ثم أمر شُرَيْحاً، فكان يقضي بين الناس، فقال الناس: أليس قد عزل عليُّ بنُ أبي طالب شُرَيْحاً عن القضاء، وشهد شُرَيْح على حُجْر [بن عديّ] وأصحابِه، وكان شُرَيْح عثمانيّاً؟ وبلغه قولُ الناس، فخاف، فتمارضَ، فجعل المختارُ موضعَه عبدَ الله بنَ عتبة بن مسعود، ثم إن عبد الله مرض، فجعلَ المختارُ مكانَه عبدَ الله بنَ مالك قاضياً[٢].

ذكر مسير جيش المختار إلى ابن زياد، وقيام أهل الكوفة على المختار:

روى هشام بنُ محمد عن عَوَانة بن الحَكَم الكلبي قال: كان مروان بن الحَكَم قد جعلَ لعبيد الله بنِ زياد لمَّا بَعثه إلى العراق ما غَلَبَ عليه، وأمره بنهب الكوفة ويبيحها ثلاثاً، فمَرَّ بالجزيرة، وبها قيس عَيْلَان[٣] على طاعة ابن الزبير، وكان مروان قد أصاب

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٥، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٣٣: الشاكري.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٣٣-٣٥. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٥.

(٣) في (أ) و(خ): قيس بن عيلان، والمثبت من (ص). وفي هذا الموضع ينتهي الخرم في (ب) الذي بدأ ص٣١٥ أوائل السنة الخامسة والستين.

قيساً يوم مَرْج راهط، فأقام ابنُ زياد مشتغلاً بقيس نحواً من سنة، ثم أقبل إلى الموصل، فانحاز عبدُ الرحمن بنُ سعيد إلى تكريت، وكتب إلى المختار يعرِّفُه، فدعا المختارُ يزيد بن أنس وقال له: أنت صاحبُ الخيل التي تُوردُها منابتَ الزيتون، فاخرجْ[1]، فإني مُمِدُّك بالرِّجال والأموال.

فاختارَ من وجوه الفرسان ثلاثة آلاف، وخرج معه المختار يشيِّعُه وقال له: إذا لقيتَ عدوَّك فلا تُناظره، وإذا أمكنَتْك الفرصة فلا تُؤخِّرْها، وليكن خبرُك كلَّ يوم عندي.

وسار يزيد بالجيش، فبات بسُورَا[2]، ثم غدا بهم، فبات بالمدائن، ثم اعترض بهم أرض جُوخَى، وخرجَ بهم على الراذان[3]، وقطعَ أرضَ الموصل، ونزل ببويلي[4].

وبلغَ ابنَ زياد، فبعثَ إليهم ربيعةَ بنَ المخارق في ثلاثة آلاف، وأردفَه عبدَ الله بنَ حملة الخثعميّ في ثلاثة آلاف.

ومرض يزيد بن أنس، فركب على حمار، وجعل يقف على الأرباع يوصيهم ويقول: يا شرطةَ الله، اصبروا تُؤْجَرُوا، وقاتِلُوا عدوَّكم تظفروا، وإن هلكتُ فأميرُكم ورقاء بنُ عتَّاب[5] الأسديّ، فإن هلك فأميرُكم عبد الله بنُ ضمرة العُذْري، فإن هلك فأميرُكم سِعْر بن أبي سِعْر الحنفي. وهؤلاء كلُّهم كانوا رؤوس الأرباع.

ثم جعل يزيدُ بنُ أنس عبدَ الله بنَ ضمرة العُذْري على ميمنته، وسِعْر بن أبي سعر على ميسرته، وورقة[6] بن عتَّاب - أو ابن عازب - الأسدي على الخيل، ونزلَ هو فوُضعَ بين الرجال على سرير، ثم قال: قاتِلُوا عن أميركم إن شئتُم، أو فِرُّوا عنه.

---

(١) يعني إلى الموصل، كما في «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٩، وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٦.

(٢) موضع بالعراق من أرض بابل، قريبة من الحِلَّة. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٢٧٨.

(٣) جُوخَى وراذان (الأسفل والأعلى) من سَواد بغداد. وينظر «معجم البلدان» ٢/ ١٧٩، و٣/ ١٢. وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٠: الراذانات.

(٤) كذا في (أ) و(خ) و(ص). وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٠: ببنات تلي، وفي «الكامل» ٤/ ٢٣٠: بباتلي. ولم أقف على أيٍّ منها.

(٥) كذا في (أ) و(خ) و(ص). وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٦، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٤١، و«الكامل» ٦/ ٢٢٩: عازب. وسيرد في سياق الكلام: بن عتاب، أو ابن عازب.

(٦) كذا في النسخ الخطية المذكورة. وهو ورقاء المذكور قبل.

وكان ذلك في يوم عَرَفَة في ذي الحجة سنة ستٍّ وستين، واقتتلوا قبل طلوع الشمس، فلم يرتفع الضحى حتى هزموا[١] أهلَ الشام، وحمل ورقاء وعبدُ الله بنُ ضَمْرة على ابن المُخارق، فقتلاه، وحَوَوْا عسكرَهم وما فيه، وفرُّوا.

وكان ابنُ المخارق قد تقدَّم عبدَ الله بنَ حملة، فالتقى أهلَ الشام[٢] عبدُ الله بنُ حملة، فردَّهم، وأقبلوا معه، فبات مقابلاً لعسكر يزيد بن أنس، ثم أصبحوا على القتال، وذلك في يوم الأضحى، فهزمهم عسكرُ المختار أقبحَ من هزيمة أمسِ، وقتلوهم قتلاً ذريعاً، وانهزمَ ابنُ حملة حتى انتهى إلى ابن زياد فأخبره بما لَقُوا[٣].

وفي رواية أن عسكر المختار لما هَزَمُوا أهل الشام ترجَّل عبد الله بنُ حملة ونادى: يا أهل السمع والطاعة الكرَّةَ الكرَّةَ[٤]. فحمل عليه عبد الله بنُ قُراد الخثعمي، فقتلَه، وحَوَى ما في عسكره، وأُتيَ يزيدُ بنُ أنس بثلاث مئة أسير، فضرب أعناقهم.

ومات يزيدُ بنُ أنس في آخر النهار، فصلَّى عليه ورقاء بن عازب الأسدي، ودفنَه، فلما رأى أصحابُه ذلك سُقط في أيديهم، وكسرَ موتُه قلوبَهم، فتسلَّلُوا، فقال لهم ورقاء: ماذا ترون؟ هذا عُبيد الله بنُ زياد في ثمانين ألفاً من أهل الشام، فأشيرُوا عليَّ، فإنَّما أنا واحدٌ منكم. فقالوا: قد هلك أميرُنا، وتفرَّقت عنا طائفة تسلَّلُوا من بيننا، فلو انصرفنا من قِبَلِ أنفسِنا من قَبْل لقاء عدوّنا، فيعلمون أنَّما[٥] رَدَّنا عنهم هلاكُ صاحبنا، وقد قَتَلْنا منهم أميرين، فلا يزالون لنا هائبين، ولو لقيناهم لكنَّا مخاطرين. فقال: هذا هو الرأي. فرجعوا على حامية لم يفقدوا غير يزيد بن أنس[٦].

وبلغ أهلَ الكوفة رجوعُهم، ولم يعلموا السبب، وأُرْجِفَ أهلُ الكوفة بأنه قد هُزموا، فدعا المختارُ إبراهيمَ بنَ الأشتر، فعقدَ له على سبعة آلاف رجل، وقال له: سِرْ

---

(١) وقع سهو لناسخ (ب) فكتب بعد هذا الموضع حوالي لوحة ونصف من موضع آخر، وهو الآتي قريباً من قول شبث: حتى أخرج إلى أصحابي. ونُبّه في هامشها على أن يؤخّر هذا الكلام.

(٢) يعني المنهزمين ممن كان في جيش ربيعة بن المخارق.

(٣) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٤١ـ٤٢ .

(٤) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٢ : الكرَّةَ بعد الفَرَّة .

(٥) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٣ : أنّا إنّما.

(٦) المصدر السابق. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٧ .

حتى تلقى جيش ابنِ أنس، فارْدُدْهم معك، وسِرْ حتى تلقى عدوَّك، فتُناجزَهم. فخرج ابنُ الأشتر، فعسكر بحمَّام أعْيَن. وهذه رواية هشام[١].

وقال أبو مِخْنَف[٢]: لما مات يزيدُ بنُ أنس اجتمع أشرافُ أهلِ الكوفة وقالوا: قُتل ابنُ أنس، وتأمَّر هذا الرجل علينا بغير رضاً منَّا. يعنون المختار. ولقد أدنى عبيدَنا، فأطمعهم فينا. واتَّعدوا منزل شَبَث بن رِبْعيّ، وقالوا: نجتمع في بيت شيخنا وكبيرنا. وكان شَبَث جاهلياً إسلامياً. وتحدَّثوا وقالوا: لم يكن شيء أشدَّ علينا ولا أعظم من جَعْلِ المختار للموالي والعبيد من الفَيْء نصيباً[٣]، فقال لهم شَبَث بنُ رِبْعيّ: دعُوني ألقى المختار.

فلقيَه في منزله، فذكر خصالاً نقموها على المختار، فقال: أنا أُرضيهم بكلِّ ما أحبُّوا. قال شَبَث: فتردُّ عبيدَهم إليهم، ولا تجعلُ لهم نصيباً في الفيء. فقال: أنا أفعل ذلك؛ على أن تُقاتلوا معي بني أمية وابنَ الزُّبير. فقال شبث: ما أدري حتى أخرج[٤] إلى أصحابي، وأُفاوضَهم في ذلك. وخرج فلم يعد إليه.

واتفقوا على قتال المختار، وهم: شَبَث بن رِبْعيّ، وشَمِر بن ذي الجَوْشَن، ومحمد ابن الأشعث، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وكعب بن أبي كعب الخثعمي، وأشراف أهل الكوفة، وقالوا: زَعَمَ أن محمد بن الحنفية ولَّاه، ولم يكن كذلك.

قال: وأشار عليهم عبد الرحمن بنُ مِخْنَف أن لا تفعلوا، وقال: أخافُ أن تتفارقوا وتتخاذلوا وتختلفوا[٥]، ومع المختار فرسانُكم وشُجعانكم، منهم فلان وفلان، ثم معه مواليكم وعبيدُكم، وكلمتُهم واحدة، وعبيدكم[٦] أشدُّ حنقاً عليكم من عدوّكم، فهو مُقاتِلُكم بشجاعة العرب، وعدواة العجم، وإن انتظرتموهم قليلاً كُفيتُموهم بقدوم أهل

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٤٢_٤٣ . والرواية فيه عن هشام عن أبي مخنف.
(٢) المصدر السابق.
(٣) في (ص): شيئاً.
(٤) في (ب): أرجع. وفي هذا الموضع نهاية الكلام الذي سها فيه ناسخها، وأشرتُ إليه من قبل.
(٥) في (أ): يتفارقوا ويتخاذلوا ويختلفوا.
(٦) في (ص): وعبيدهم.

الشام وعساكر [أهل] البصرة، وتكونوا قد كُفيتُم بغيركم، ولا تجعلوا بأسَكُم بينكم. فقالوا: ننشدك اللهَ أن تُخالفَنا، وتُفسد علينا رأينا. قال: فاصبروا حتى يذهب عنه ابنُ الأشتر، ويصلَ ساباط[1].

فلما سار ابنُ الأشتر إلى ساباط؛ ثارُوا بالمختار ـ وتسمى هذه الوقعة وقعة جبَّانة السَّبِيع ـ فخرج عبد الرحمن بنُ سعيد بن قيس الهَمْداني في هَمْدان، فنزل جَبَّانَةَ السَّبِيع، وخرج زَحْر ابنُ قيس الجُعفي وإسحاق بن محمد بن الأشعث إلى جَبَّانة كِنْدة[2]، وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جَبَّانة [بِشْر]، وسارَ بِشْر[3] بن جرير في بَجِيلَة، وخرج شَمِر بن ذي الجَوْشَن في قيس، فنزل جبَّانةَ بني سَلُول، وخرج شَبَث بن رِبْعيّ، ومحمد بن الأشعث، وحجَّار بن أبجر، وعَمرو بن الحجَّاج الزَّبيديّ، وقتلةُ الحسين، فنزلوا جَبَّانَةَ السَّبِيع، واجتمعوا في مكان واحد، فسُرَّ المختار باجتماعهم في مكان واحد.

وبعثَ المختار إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط مع عَمرو بن بُويه[4] يقول ألَّا تضعَ كتابي من يدك حتى تُقبل بجميع من معك. فركضَ عَمرو بكتابه.

وأمر المختارُ أصحابَه بالكفّ عن القتال، فأرسل إليهم: ماذا تريدون؟ قالوا: زعمتَ أنَّ ابنَ الحنفية أرسلك، ولم يُرسلك. قال: فابعثوا إليه وفداً يسألونه، وأرادَ مطاولتَهم حتى يصلَ ابنُ الأشتر.

ووصلَ رسولُ المختار إلى ابن الأشتر عشيَّةَ ذلك [اليوم]، فسارَ ليلاً بمن معه، فقدمَ الكوفة في اليوم الثالث من خروجهم على المختار، فسار ابنُ الأشتر على الكُناسة، وسار المختار إلى جَبَّانةِ السَّبِيع، واقتتلوا قتالاً شديداً، فظهر عليهم المختار وابنُ الأشتر، وأخذوا منهم خمس مئة أسير، فكان يسألُ عن الرجل: هل شهدَ قتلَ

---

(١) وكان المختار قد أرسل ابنَ الأشتر لردّ جيش يزيد بن أنس وأن يسير بهم للقاء ابن زياد كما سلف الكلام، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/ ١٨ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٧ . وساباط هي ساباط المدائن، في الجانب الغربي من دجلة. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ١٦٦ ، و«الروض المعطار» ص ٢٩٦ . وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٢) في الخبر تفصيل، وهو من أكثر من رواية. يقارن بما في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٥ .

(٣) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٥ : بشير.

(٤) كذا في (أ) و(ب) و(خ)، وعلى الباء في (ب) ضمة، وفي (ص): نوبة، وفي «تاريخ» الطبري ٦/ ٤٦ ، و«البداية والنهاية» ١٢/ ١٨ : توبة.

الحسين؟ فإن قيل: نعم، ضرب عنقه، فقتل عامَّتَهم، ونادَى مُنادِي المختار: مَنْ أغلقَ بابَه فهو آمن، إلا رجلاً(١) شَرَكَ في دم آل محمد ﷺ.

ذكر من قَتَلَ المختارُ من قَتَلَةِ الحسين ومن هربَ منهم:

قال علماء السِّير: ولمَّا سمع الناس منادي المختار؛ خرج عَمرو بنُ الحجَّاج الزّبيدي ـ وكان ممَّن شهد قتل الحسين ـ فركبَ راحلتَه، وأخذ طريق واقصة، فلم يُر(٢) حتى الساعة(٣).

وقُتل فرات بن زَحْر بن قيس، وزَحْر هو الذي بعثَه ابنُ زياد برأس الحسين إلى يزيد.

وبعث المختارُ غلاماً له يقال له: زِرْبِيّ(٤) في طلب شَمِر بن ذي الجَوْشن، فلحقه ببعض الطريق ومعه جماعة، فقَتَلَ شَمِرٌ زِرْبِيّاً ونجا، وكان شَمِر قد نزل ساتِيدَما(٥)، فقُتل هناك، وسنذكره في آخر السنة.

وقال أبو مِخْنَف: ولما عاد [المختار] إلى القصر من جبَّانةِ السَّبِيع؛ ناداه سُراقة بنُ مرداس البارقي ـ وقد أسروه ـ بأعلى صوته، وكان ممَّن خرج عليه:

اسْتُرْ(٦) علَيَّ اليومَ يا خَيْرَ مَعَدّْ وخيرَ مَنْ حَنَى(٧) ولبَّى وسَجَدْ

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): رجل. وأثبتُّ اللفظة على الجادة. ووقع في (م) (والكلام فيها مختصر جداً): إلا من شرك... وينظر الخبر مفصلاً في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٦ـ٥١ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٨ـ٥٩ .

(٢) في النسخ المذكورة: يُرى، وأثبتُّ اللفظةَ على الجادَّة.

(٣) يعني ساعة رواية الخبر، وراويه عامر الشعبي كما في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٢ . ووقع في النسخ الخطية لفظة: القيامة، بدل: الساعة؛ نقل مختصر الكتاب لفظة «الساعة» بالمعنى، فحرَّفه إلى: «القيامة»! وهو من طرائف التصحيف. وعبارة «الكامل» ٤/ ٢٣٦ : فلم يُر له خبر حتى الساعة، وعبارة «البداية والنهاية» ١٢/ ١٩ : فلا يُدرى أين ذهب من الأرض.

(٤) في (ص) و(م): زرنبا، وفي (أ): زرينا، وفي (خ): رزينا. والعبارة في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٢ : وبعث المختار غلاماً له يُدعى زِرْبِيّاً. وأثبتُّ الاسم منه على سياق العبارة هنا. وسلف اسمه أيضاً ص٣٦٤ .

(٥) هو جبل قرب الموصل والجزيرة وتلك النواحي، أو هو نهر بين آمِد وميَّافارقين من روافد دجلة. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ١٦٨ـ١٦٩ ، و«الروض المعطار» ص ٢٣٣ .

(٦) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٤ : امْنُنْ.

(٧) كذا في (أ) و(ب) و(خ). وفي (ص): صلّى، وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٤ : حيَّا.

فأمرَ به المختارُ إلى السجن، ثم أحضره بعد ذلك، فأنشدَه:

أَلا أَبْلغْ أبا إسحاقَ أنّا ... نَزَوْنا نَزْوةً كانَتْ عَلَينا
خَرَجْنَا لا نَرى الضُّعفاء شيئاً ... وكان خُروجُنا بَطَراً وحَيْنَا
نَراهُم في مصافِهِمُ قليلاً ... وهم مِثْلُ الدَّبَى[1] حين التَقَيْنا

ومنها:

نُصِرْتَ على عدوِّك كلَّ يومٍ ... بكلِّ كتيبةٍ تَنْعَى حُسَيْنا
كنصرِ محمدٍ في يوم بدرٍ ... ويومَ الشِّعْبِ إذْ لاقَى حُنَيْنَا
فأَسْجِحْ إذْ ملكتَ فلو مَلَكْنَا ... لَجُرْنا في الحكومة واعتَدَيْنا
تَقَبَّلْ توبةً منّي فإنّي ... سأشكرُ إنْ جعلتَ النَّقْدَ دَيْنَا

فأراد قتله، فقيل: إنه يحلفُ بالله لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البُلْقِ بين السماء والأرض، فقال له المختار: فاصعد المنبر فأَعْلِمِ المسلمين ذلك. فصعد، فأخبرهم ثم نزل، فخلا به المختار وقال: قد علمتُ أنك لم تَرَ الملائكة، وإنما أردتَ أن لا أقتلَكَ، فاذْهَبْ حيث شئتَ، لا تُفسد عَلَيَّ أصحابي[2].

وخرج أشرافُ الكوفة إلى البصرة وفيهم سُراقةُ بن مِرْداس وهو يقول:

ألا أبْلِغْ أبا إسحاق أنّي ... رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمِتاتِ
كفرتُ بوَحْيِكُم وجعلتُ نَذْراً ... عليَّ قتالَكم حتى المماتِ
أُرِي عينيَّ ما لم ترأياه ... كلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
إذا قالوا أقولُ لهم كَذَبْتُم ... وإنْ خرجوا لبستُ لهم لذاتي[3]

وفي رواية: أنه لما أُسر قال: ما أنتم أسرتُموني، ما أَسَرَني إلا قومٌ على دوابَّ بُلْق، عليهم ثيابٌ بيض. فقال المختار: أولئك الملائكة. فأطلقَه[4].

(١) أي: الجراد.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٥٤_٥٥ .
(٣) كذا في (أ) و(ب) و(خ). وفي (ص): لذاتي، ولم يتبيَّن لي. وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٥ ، و«البداية والنهاية» ١٢/ ٢٣ : أداتي..
(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٥٥ . وينظر «العقد الفريد» ٢/ ١٧٠ .

وسُراقةُ هذا هو الذي أغرى بين الأخطل وجرير حتى تهاجيا.

وكانت وقعة جَبَّانة السَّبيع يوم الأربعاء لستّ ليال بقين من ذي الحجة سنة ستّ وستين، وانجلت الوقعة عن سبع مئة وثمانين قتيلاً من القبائل[١].

وتجرَّدَ المختار لقَتَلَةِ الحسين وقال: إنْ تركتُ منهم أحداً يمشي على وجه الأرض فأنا الكذَّاب كما سَمَّوْني. اطلُبوا لي قَتَلَةَ الحسين، فإني[٢] لا يطيبُ لي طعامٌ ولا أُسِيغُ[٣] الشرابَ حتى أُطَهِّرَ الأرضَ منهم، ولا أُبقي في المصر أحداً. فدُلَّ على جماعة، منهم عبدُ الله بنُ أسيد بن النَّزَّال الجُهنيّ، ومالك بن نُسير[٤] البَدِّيّ، وحَمَلُ ابنُ مالك المحاربيّ، وكانوا بالقادسية، فأُخذوا، فأُدْخِلُوا على المختار، فقال لهم: يا أعداء الله وأعداءَ كتابه ورسوله وآل بيته، قتلتُم من أُمِرتُم بالصلاة عليه في الصلاة! فقالوا: بُعثنا ونحن كارهون، فامنُنْ علينا. فقال المختار للبَدِّيّ: أنتَ صاحبُ بُرْنُسِهِ؟ فقال عبد الله بن كامل: نعم، هو هو. فقال: اقطعوا يديه ورجليه. ففعلوا، فقال: دعُوه فليضطرب حتى يموت. فتُرك، فنزفَ الدمُ حتى مات، وقَتَلَ الآخَرَ[ين]، وقتلَ خلقاً كثيراً ممَّن قاتلَ الحسين وشهدَ قتلَه[٥].

وبعثَ أبا عَمْرَة صاحب حَرَسِه، فأحاطَ بدار خوليّ بن يزيد الأصبحي ـ وهو الذي حملَ رأس الحسين إلى ابن زياد ـ فاختبأ في مخرجه، فقال أبو عَمرة لامرأة خولي: أين زوجك؟ فقالت: لا أدري. وأشارَتْ بيدها إلى المخرج، فدخلوا عليه، وإذا به قد وضع على رأسه قَوْصَرَّة[٦]، فأخرجوه، وأتَوْا به المختار، فقتلَه إلى جانب مَنْ قَتَلَ من أهله، وحرَّقه، وكانت امرأتُه من حضرموت يقال لها: العَيُوف بنت مالك بن نهار بن عقرب، وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين[٧].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٦ـ٥٧ .

(٢) في (ص): فإنه.

(٣) في (ص): ولا يشبع لي (ولعلها يسيغ). وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٧ : يسوغ.

(٤) في (أ) و(ص): بشير.

(٥) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧ـ٥٩ . وما بين حاصرتين مستفاد منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٧ .

(٦) هو وعاء للتمر من قصب.

(٧) تاريخ الطبري ٦/ ٥٩ـ٦٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٥ .

وقتل المختار عُمر بنَ سعد، وسنذكره في آخر السنة.

وبعث المختار عبدَ الله بنَ كامل إلى حكيم بن طُفيل الطائي السِّنْبِسيّ ـ وكان رمى الحسين بن عليّ بسهم، فكان يفتخر ويقول: رميتُ الحسين بسهم، فتعلّق بسرباله، وأخذَ سَلَبَ العبَّاس بن عليّ بعد ما قُتل ـ فأخذه عبد الله بنُ كامل، فاستغاثَ أهلُه بعَدِيّ بنِ حاتم، فقال له ابن كامل: الأمر في هذا إلى المختار. فمضى عديٌّ إلى المختار، وكان قد شفَّعه في جماعة، فقالت الشيعة لابن كامل: نخاف أنَّ المختار يُشَفِّعُ عدياً في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت، فَدَعْنا نقتُلْه. فقال: افعلوا. فنصبوه غَرَضاً، وقالوا: سلبتَ العبَّاس ثيابَه، واللهِ لَنَسْلُبَنَّكَ ثيابَك وأنت حيّ. فنزعُوها عنه. وقالوا: جعلتَ حُسيناً غَرَضاً لِنَبْلك، وايْمُ اللهِ لنفعلنَّ بك كما فعلتَ به. فرَمَوْه رَشْقاً واحداً حتى مات. وكان المختار قد شَفَّعَ عَدِيّاً فيه، فلما قتلُوه جرى بين عديٍّ وابنِ كامل كلامٌ[١].

وبعث المختار إلى قاتل عليّ بن الحُسين ـ واسمه مُرَّة بن منقذ العبديّ ـ فأتاه ابنُ كامل، فأحاطَ بداره، وكان شجاعاً، فخرج إليهم وهو على فرس وبيده رمح، فحملَ عليهم، فطعنَ واحداً يقال له: عُبيد الله بن نَاجية الشبامي، فصرعه ولم يُضِرْه، وضربه ابنُ كامل بالسيف، فاتَّقاه بيده اليسرى فأسرع فيها [السيف] ثم نجا، ولحق بالبصرة، وشَلَّتْ يدُه[٢].

وبعث المختار عبدَ الله الشاكري إلى قاتل عبد الله بن مسلم بن عَقِيل، واسمُ الرجل زيد بن رُقاد، وكان يقول: لقد رميتُ فتًى منهم بسهم، فأثبتُّ كفَّه في جبهته كان يتَّقى بكفِّه النَّبْل، ثم إنني رميتُ الغلام بسهم آخر فقتلتُه، والغلام هو عبدُ الله بنُ مسلم، فلما أحاطوا بداره خرج مُصْلِتاً بسيفه، فقال ابنُ كامل: لا تضربوه بسيف إلا بالحجارة. فضربوه حتى سقط وبه رمق، فأحرقوه وفيه رُوحٌ بعد.

وطلب المختار سنان بن أنس الذي ادَّعى أنَّه قتلَ الحسين، فوجده قد هرب إلى البصرة، فهدم داره[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٦٢ـ٦٤ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٦ .

(٢) أنساب الأشراف ٦/ ٦٨ ، وتاريخ الطبري ٦/ ٦٤ .

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٦٤ـ٦٥ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٦ .

وطلب المختار محمد بن الأشعث بن قيس، فهرب إلى البصرة[١].

واختلفوا في شَبَث بن رِبْعيّ فقال قوم: قتله المختار، وقيل: مات على فراشه.

وذكر ابنُ سعد ما يدلُّ عليه، فإنه ذكره في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة وقال[٢]: شَبَث بن رِبْعيّ، ويكنى أبا عبد القدُّوس بن حُصين بن عُثيم بن ربيعة بن زيد التميمي.

وحكى ابن سعد[٣] عن الأعمش قال: شهدتُ جنازة شَبَث بن رِبْعيّ، فأقاموا العبيد على حِدَةٍ، والجواريَ على حِدَةٍ، والخيل على حِدَة، والنُّوقَ على حدةٍ، والبُخْت على حِدَة. وذكر الأصناف قال: ورأيتُهم ينوحون عليه يلتدمون.

ولم يذكر تاريخ وفاته، وذكره فيمن روى عن عثمان، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وطلحة والزُّبير، وأسامة بن زيد، وأبي مسعود الأنصاري، وعَمرو بن العاص، وابنِه عبد الله بن عَمرو، ولم يرو عن عُمر وعليّ وابنِ مسعود شيئاً[٤].

وسنذكرُ في آخر السنة أعيان قتلة الحسين، وما يتعلق بذلك.

فصل

وفي هذه السنة بعثَ عبدُ الملك بنُ مروان جيشاً إلى المدينة لقتال مصعب بن الزبير، وبلغ المختارَ، فبعثَ جيشاً لمصعب؛ ظاهرُ الأمر نجدةٌ على عبد الملك، وباطنُ الأمر أنَّه ممكرٌ[٥] بابن الزُّبير.

قال هشام عن أبي مِخنف: كان عبد الله بن مطيع لما أُخرج[٦] من الكوفة لم ير القُدوم على ابن الزبير مكةَ على ذاك الوجه[٧]، فسار إلى البصرة، وأقام حتى قدم عليه

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٦٦.
(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٣٥.
(٣) المصدر السابق ٨/ ٣٣٥-٣٣٦.
(٤) المصدر السابق ٨/ ٣٣١.
(٥) كذا في النسخ. ولعله اسم فاعل من أمكر، لغة في مكر.
(٦) في (ص): خرج.
(٧) يعني مهزوماً مَفلولاً، ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٧١. و«الكامل» ٤/ ٢٤٦.

عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فأقاما جميعاً بالبصرة، وسبب قدوم عمر ابن عبد الرحمن البصرة؛ أنَّ المختار كتبَ إلى ابن الزُّبير يخادعُه ويقول: قد عرفتَ مناصحتي إياك وجهادي لعدوِّك وما كنتَ أعطيتَني إذا أنا فعلتُ ذلك، فلمَّا وفَيتُ لك لم تَفِ لي بما عاهَدْتَني عليه، وقد رأيتَ منِّي ما رأيتَ، فإنْ تُرِدْ مراجعتي أراجِعْك، وإنْ تُرِدْ مناصحتي أَنْصَحْ لك. والسلام.

وإنما قصد المختار أن يستجمعَ له الأمر، وهو لا يُطلع الشِّيعة على ذلك، بل يُظهر أنَّه وزيرُ ابنِ الحنفيَّة.

فدعا ابنُ الزبير عمر بنَ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميَّ وقال له: اذْهبْ إلى الكوفة، فقد ولَّيْتُكَها. قال: فإنَّ المختار بها؟ قال: فإنه سامعٌ مطيع.

فجهَّزه بأربعين ألفاً[1]، وعَلِمَ المختار، فبعثَ إليه من الطريق بثمانين ألفاً ـ وقيل: بسبعين ألفاً[2] ـ وقال: اذهبْ حيث شئتَ، ولا تقرب الكوفة، فمضى إلى البصرة.

وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك بنَ الحارث بن الحكم بن أبي العاص إلى وادي القرى، والمختارُ لابن الزُّبير مُكايدٌ ومخادِع، فكتب إلى ابن الزبير:

قد بلغني أنَّ عبد الملك [بن مروان] قد جهَّزَ جيشاً إلى وادي القُرى، فإنْ أحببتَ أَمْدَدْتُك.

فكتب إليه ابنُ الزُّبير: إنْ كنتَ على طاعتي وتُبايع الناس لي قِبَلَكَ؛ صدَّقْتُ مقالتَك، وكفَفْتُ جنودي عن بلادك، وعجِّلْ بتسريح الجيش لِيَلْقَوْا مَنْ بوادي القُرى.

فدعا المختار شُرَحْبيل بنَ وَرْس الهَمْداني، فجهَّزَه في ثلاثة آلاف أكثرُهم من الموالي، وقال له: سِرْ حتى تأتيَ المدينةَ، فإذا دخَلْتَها فاكتُبْ إليَّ بذلك حتى يأتيَك أمري. وكان في عزمه إذا دخلوا المدينة أنْ يبعثَ عليها[3] أميراً من قِبَله، ويأمرَ ابنَ وَرْس أن يمضيَ إلى مكَّة، فيحاصرَ ابنَ الزُّبير.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٢: فتجهَّزَ بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأربعين ألفاً..

(٢) يعني أن المختار أرسل إليه ضعفَ ما أنفق في مسيره، كما في المصدر السابق. ووقع في (أ): بتسعين ألفاً.

(٣) في (ص): إليها.

وخافَ ابنُ الزبير مكيدةَ المختار، فأرسلَ من مكةَ عبَّاسَ بن سهل في ألفين، وقال له: إنْ رأيتَ القوم في طاعتي، وإلَّا فكايدهم حتى تُهلكهم.

وسار عبَّاس، فالْتَقَوْا على الرَّقَم[١] وشُرَحْبيل على تعبئة، وعبَّاس على غير تعبئة، فقال له عبَّاس: ألستَ في طاعة ابن الزبير؟ فقال له ابنُ وَرْس: بلى. قال: فسِرْ بنا إلى عدوِّنا إلى وادي القُرى. فقال ابن وَرْس: إنما أُمرتُ أن آتيَ المدينةَ، فإذا نزلتُها رأيتُ رأيي، وكتبتُ إلى صاحبي فيرى رأيه. فرَدَّدَ عليه القول وهو لا يرجعُ عن الأوَّل، فعلم خلافه، فسكتَ ولم يُظهر له شيئاً ممَّا في نفسه.

ومضى فنزل على الماء، وبعثَ إلى ابن وَرْس بجزائر ودقيق وغنم، وكان ابنُ وَرْس قد جاع هو وأصحابُه، فاشتغلوا بالذبح والطبخ، فركب عبَّاس في أصحابه، وحملَ على القوم، فنادى ابنُ وَرْس أصحابَه: إليَّ يا شُرَطَةَ الله، فإنَّ المُحِلِّين الملحدين قد فجروا وغَدَرُوا[٢]. فلم يوافِ إليه من أصحابه سوى مئة رجل، فثبتَ وقاتل حتى قُتل في سبعين من أهل الحِفاظ، وانهزم الباقون، ومات بعضُهم بالعطش. وقيل[٣]: معظمُهم.

وبلغ المختارَ، فكتبَ إلى محمد بن الحنفية: أما بعد، فإني كنتُ بعثتُ إليك جنداً ليُذِلُّوا لك الأعداء، ويحوزوا لك البلاد، فسارُوا إليك حتى إذا أطلُّوا[٤] على طيبة، لَقِيَهم جندُ الملحد، فخدعوهم وغرُّوهم، حتى إذا اطمأنُّوا إليهم ووثقوا بهم؛ وثَبُوا عليهم فقتلوهم، فإنْ رأيتَ أنْ أبعثَ[٥] إلى المدينة جنداً كثيفاً، وتبعثُ إليهم من قِبَلِكَ رُسُلاً ليعلم[٦] أهلُ المدينة أنّي في طاعتك، فافعلْ.

---

(١) بفتح أوله وثانيه: جبال دون مكة بديار غطفان، وماء عندها أيضاً. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٥٨ . ووقع في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٣ : الرقيم. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٥ .

(٢) في (أ) و(ب) و(خ): وعَدَوا، وفي (ص): بَغَوا علينا وفجروا. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٧٤ .

(٣) في (أ) و(ب) و (ص): وقُتل. والمثبت من (خ) وهو المناسب لما في عبارة الطبري ٦/ ٧٤ : فرجعوا فمات أكثرهم في الطريق. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٦ .

(٤) في (خ): اطلعوا، وفي (ص): أظلوا. وكذلك هي في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٥ . والمثبت من (أ) و(ب).

(٥) المثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٦ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٧٥ ، ووقع في النسخ: فإني رأيتُ أني أبعثُ وهو خطأ.

(٦) في (أ) و(ب): لتعلم.

فكتب إليه ابنُ الحنفية: أما بعد، فإني لو أردتُ القتال لوجدتُ الناس سراعاً إليَّ والأعوانَ كثيراً، ولكنّي قد اعتزلتُ الناس، وصبرتُ حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين. وقال لرسول المختار إليه ـ واسمه صالح بن مسعود ـ قل له: فليتَّقِ الله، وليكفَّ عن الدماء[١]، وعليه بطاعة الله[٢].

وفيها حبسَ عبدُ الله بنُ الزُّبير محمد بن الحنفيَّة ومن كان معه من أهل بيته وسبعةَ عشرَ[٣] رجلاً من أشراف الكوفة.

وسببُه ما حكاه هشام بن محمد عن أبي مِخْنَف أنَّ ابنَ الزُّبير أرسل إليهم: بايِعُوا. فقالوا: حتى يجتمع الناس على إمام[٤]. فحبَسَهم، وتوعَّدهم بالقتل والحريق، وضربَ لهم أجلاً لئن لم يبايعوا فيه ليحرقنَّهم، وحبسَهم في زمزم.

فأرسلوا إلى المختار، وأخبرُوه بالحال، وقالوا: قد تَواعَدَنا بالقتل والحريق، فلا تخذُلُونا كما خذلتُم الحسين وأهلَ بيته.

فلما وصل كتابُه[٥] إلى المختار؛ جمع الشيعة، وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا كتاب مهديِّكم وصريحُ أهل بيت نبيِّكم ﷺ، وقد أصبح محصوراً ينتظرُ القتل والحريق. وقال: لستُ أبا إسحاق إن لم أنصره نصراً مؤزَّراً. ثم سجع فقال: وأُسَرِّبُ إليهم الخيل في إثر الخيل، كالسَّيْلِ يتلُوه السَّيْل، حتى يَحُلَّ بابنِ الكاهليَّة الوَيْل.

ثم جهَّز إليهم أبا عبد الله الجَدَليّ، وظَبْيَان بن عثمان[٦] التميمي، وعُمير بن طارق، وغيرهم، في مئة وخمسين فارساً أوَّلاً فأوَّل[٧]، ويُسمَّوْن الخشبيَّة؛ لأنهم كانوا يقاتلون بالخشب، فقدموا مكة وهم ينادون: يا لَثارات الحسين. فأَتَوْا زمزم وقد أعدَّ ابنُ الزُّبير

---

(١) في (خ): الدنيا.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٧٥ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٦ .
(٣) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): تسعة عشر، والمثبت من (م) وهو الموافق لما في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٦ .
(٤) في (ب): أمر.
(٥) في (م): كتابهم.
(٦) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٦ : عمارة، وهو الأشبه، فلم يرد ذكر لظبيان بن عثمان في المصادر.
(٧) في الكلام تفصيل غير هذا، فظبيان بن عثمان (أو ابن عمارة كما في التعليق قبله) لم يكن مع المئة والخمسين هؤلاء الذين وصلوا أولاً إلى الحرم. ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٧٦-٧٧ .

الحطب على بابها، وقد بقيَ من الأجل يومان. فكسروا بابَ زمزم، ودخلوا على ابنِ الحنفيَّة، فقالوا: خَلِّ بيننا وبين القوم. فقال: إنِّي لا أستحلُّ القتال في حَرَم الله.

وخافَهم ابنُ الزُّبير[1]، وخَرجَ ابنُ الحنفيَّة ومن معه إلى شِعبِ عليّ، وتتابعت جيوش المختار، حتى صار محمد في أربعة آلاف، وقدموا معهم بمال من عند المختار، فقسمه محمد في ذلك الجيش[2].

وقيل: إنَّ ابنَ الزبير امتنعَ من إخراجهم حتى يُبايعوا، فقال له أبو عبد الله الجَدَليّ: وربِّ الرُّكن والمقام، والحِلِّ والحرام، لتنتهينَّ أو لنُجالِدَنَّك[3] بأسيافنا جِلاداً يرتابُ منه المبطلون. ثم قالوا لمحمد: خلِّ بيننا وبين المُحِلّ[4]. فنهاهم عن القتال.

وقد أخرج البخاريُّ[5] أنَّ ابنَ الزُّبير لمَّا دعاهم إلى البيعة قال ابنُ عبَّاس: وأين بهذا الأمر عنه؟ وأبوه حواريُّ رسول الله ﷺ. وسنذكرُ الحديث فيما بعد.

وقال الهيثم: إنَّما حبسَهم في حبس عارم[6].

فصل

وفيها جهَّز المختار إبراهيمَ بنَ الأشتر لقتال أهل الشام، فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ستّ وستين، وقيل: سلخ ذي الحجة، وجهَّز معه وجوه أصحابه وفرسانهم وذوي البصائر منهم ممَّن قد شهد الحروب. وخرج المختار يشيِّعُه والكرسيُّ[7] بين يديه، وكان سادنُه حَوْشَب البُرْسُمي[8]، والمختار يقول:

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٧٦-٧٧ أنه قدم إليهم أبو المعتمر في مئة، وهانىء بن قيس في مئة، وظبيان بن عثمان في مئتين... فلما رآهم ابنُ الزبير خافهم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): لنُجادلنَّك، وأثبتُّ اللفظة أعلاه لقوله بعده: جِلاداً في النسخ المذكورة غير (ص)، فوقع فيها جدالاً. وعبارة الطبري ٦/ ٧٧ كما هو مثبت.

(٤) في (ص): القوم.

(٥) بنحوه في «صحيحه» (٤٦٦٥) وهو قطعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) قال ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٦٦ : أظنُّه بالطائف.

(٧) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): بشيعة الكرسي، وفي (أ): يشيّعه الكرسي. وفي (م): بشيعته والكرسي. والمثبت مناسب لما في «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٧ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٨١ .

(٨) نسبة إلى بُرْسُم، بطن من حِمْير. ينظر «اللباب» ١/ ١٣٩ .

أَمَـا وربِّ الـمُـرْسَـلاتِ عُـرْفـا لَـنَـقْـتُـلَـنَّ بـعـدُ صـفّـاً[١] صـفَّـا
وبـعـدَ ألـفٍ قـاسـطـيـن ألـفـا

ثم أوصى ابنَ الأشتر فقال: إذا لقيتَ عدوَّك فَنَاجِزْهم ساعةَ تَلْقاهُم، وإنْ لقيتَهم ليلاً أو نهاراً؛ فناجِزْهم حتى يحكم الله بينك وبينهم.

ثم عاد إلى الكوفة، وباتَ ابنُ الأشتر بحمَّام أعين، ومنه سار في جيشٍ كثيف[٢].

حديث الكرسي الذي كان يستنصر به المختار:

واختلفوا فيه؛ فقال قوم: إن هذا الكرسيَّ كان لرجل زيَّات من أهل الكوفة، فقال الطُّفيل بن جَعْدة بن هُبيرة: احتجتُ إلى شيء من الورق [لكي أنتفع به] وكان الزيَّات جاراً لي وقد علاه الوسخ عنده، فخطر ببالي لو كان للمختار في هذا شيء. فقلتُ للزيَّات: أرْسِلْ إليَّ بالكرسي. فأرسَلَه[٣] إليّ، فأتيتُ المختار، فقلت له: ههنا كرسي فيه أثارَةٌ من علم؛ كان يجلسُ عليه جَعْدة بنُ هبيرة[٤].

وقال أبو اليقظان: إنَّ الطفيل قال للمختار: إنَّ هذا الكرسيّ كان لأمير المؤمنين عليّ. فقال: عليَّ به. فحُمل إليه، فأمر للطُّفيل باثني عشر ألفاً. ثم دخل المختارُ المسجد، وصَعِدَ المنبر واجتمع الناس، وقد غشَّى الكرسيَّ بالديباج، فقال: أيُّها الناس، إنه لم يكن في الأمم الخالية أمرٌ إلا وكان في هذه الأمة مثلُه، وقد كان في بني إسرائيل التابوت، فيه بقيَّةٌ مما ترك آلُ موسى وآلُ هارون، وإنَّ هذا فينا مثلُ التابوت، اكشفوا عنه، [فكشفوا عنه] أثوابَه، وقامت السَّبَئيَّة، فرفعوا أيديَهم وكبَّروا ثلاثاً، وقام شَبَث بن رِبعي، فقال: يا معشر مضر، لا تكفروا بالله العظيم. فضربوه وأخرجوه[٥].

وروى هشام عن أبي مِخْنَف أنَّ المختار قال لآل جَعْدة بن هُبيرة بن أبي وَهْب المخزومي ـ وكانت أمُّ جَعْدة بن[٦] هُبيرة أمَّ هانىء بنت أبي طالب ـ: ائتوني بكرسيّ

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٧، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٨١: بعد صفت.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٨١ـ٨٢.

(٣) في (ص): فأرسل به.

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٨٢ـ٨٣.

(٥) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٨٣.

(٦) في (ب) و(خ): بنت. وهو خطأ.

عليّ بن أبي طالب. فقالوا: لا والله، ما هو عندنا، وما ندري من أين نجيء به[١]. فقال: لابدّ. فجاؤوه بكرسيّ، فقَبِلَه منهم، وغشّاه بالحرير والدِّيباج.

وكان أول من سَدَنَهُ موسى بن أبي موسى الأشعري، وأمُّه أمُّ كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب، ثم سَدَنَه بعد ذلك حَوْشَب البُرْسُمي، إلى أن هلك المختار[٢].

وبنو جَعْدة أصهارُ عليٍّ عليه السلام.

ثم إن المختار غشّاه بالحرير والدِّيباج، وحلّاه بالذهب والفضة، وكان المختار إذا قاتل قدَّمه بين يديه، ودعا يستنصر[٣] به، وتؤمِّنُ السَّدَنةُ على دعائه: وكان من دعائه: اللهمَّ لا تؤاخذنا بما فعل السُّفَهاء منَّا، اللهمَّ انْصُرْنا على من ناوأنا[٤].

وكان يقدِّمُه [بين يديه مثل تابوت بني إسرائيل، وكان] بين يديه يومَ جبَّانة السَّبِيع، فنُصر على القوم، فافتُتن الناسُ به[٥].

فصل:

وحجَّ بالناس في هذه السَّنَة عبدُ الله بنُ الزبير، وكان على المدينة أخوه مصعب بنُ الزبير من قِبَلِ أخيه عبدِ الله، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى قضائها هشام بنُ هُبيرة، وكان على الكوفة المختار قد غلب عليها، وعلى خُراسان عبد الله بن خازم[٦].

---

(١) في (م): فقالت: والله ما ندري أين هو، وما هو عندنا، ومن أيّ الأماكن نجيء به؟

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٩-٧٠، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٨٤-٨٥.

(٣) في (م): حتى يستنصر.

(٤) لم أقف عليه، غير أن قوله: «اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا» هو من قول ابن الأشتر لما رأى أصحاب الكرسيّ يستنصرون ويدعون. ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٧، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٨٢.

(٥) لم يرد في المصادر المذكورة أن الكرسيّ كان معه يومَ جَبَّانة السَّبيع، وإنما فيها أنه كان معه يوم قتاله ابن زياد. ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٨٣، و«الكامل» ٤/ ٢٥٩، و«البداية والنهاية» ١٢/ ٣٧. وما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٦) تاريخ الطبري ٦/ ٨٠-٨١.

وعلى الشام عبدُ الملك بن مروان وعماله، وعلى مصر عبد العزيز بن مروان، وعلى أرمينية والجزيرة محمد بنُ مروان، وعُبيدُ الله بنُ زياد نازلٌ بأرض الموصل.

وفيها توفيّ

أسماء بنُ حارثة

ابن سعيد بن عبد الله بن غياث من بني أفصى، من الطبقة الثالثة من المهاجرين[١]، وكنيتُه أبو هند[٢].

وكان هو وأخوه هند بن حارثة ملازمَيْن لخدمة رسول الله ﷺ، ومن أهل الصُّفَّة؛ لأنَّهما كانا فقيرَيْن.

وقال ابنُ سعد[٣]: وذكر بعض أهل العلم أنهم كانوا ثمانية إخوة، صحبوا النبيَّ ﷺ، وشهدوا[٤] معه بيعة الرضوان، وهم: أسماء، وهند، وخِداش، وذؤيب، وحُمْران، وفَضَالة، وسَلَمة، ومالك، بنو حارثة بن سعيد.

واختلفوا في وفاة أسماء بن حارثة، فقال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ستٍّ وستين وهو ابنُ ثمانين سنة.

قال: وسمعتُ أنَّه مات بالبصرة في أيام معاوية وولاية زياد عليها، وله صحبةٌ ورواية[٥].

وأخرج له ابنُ سعد حديثاً[٦].

قال: ومن ولد أسماء بن حارثة غَيْلانُ بن عبد الله بن أسماء بن حارثة، وكان من قُوَّاد أبي جعفر المنصور، وكان له ذكر في دعوة بني العبَّاس[٧].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٦.

(٢) في «الاستيعاب» ص ٦٥ : يكنى أبا محمد.

(٣) في «الطبقات» ٥/ ٢٢٧.

(٤) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): وشهد. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «طبقات» ابن سعد ٥/ ٢٢٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٧.

(٦) المصدر السابق. والحديث في صيام يوم عاشوراء.

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٦.

وليس في الصحابة من اسمه أسماء سوى رجلين، أحدهما هذا، والثاني: أسماء ابن وثَّاب[١]، له رواية[٢].

قال ابنُ سعد: وأمَّا هند أخو أسماء فمات في خلافة معاوية بالمدينة[٣].

وفيها توفِّي

أسماء بن خارجة

ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزَاري، أحدُ الأجواد، من الطبقة الأولى من التابعين، من أهل الكوفة، وكنيتُه أبو حسَّان، وكان قد ساد الناس بمكارم الأخلاق.

ذكر طرف من أخباره:

حكى أبو القاسم ابن عساكر قال: أتى الأخطل الشاعر إلى عبد الملك بن مروان، فسأله في حَمالاتٍ تحمَّلها عن قومه، فأبى أنْ يُعطيَه إيَّاها، وعرض عليه نصفها، فأبى، وقدم العراق، فسألَها بشر بن مروان أخا عبد الملك، فقال له كما قال عبد الملك، فأتى أسماء بنَ خارجة، فسألَه إيَّاها، فتحمَّل عنه الكلَّ [بعد أن أكرمه، وأجازه بجوائز سنيَّة] فقال:

إذا ما[٤] ماتَ خارجةُ بنُ حصنٍ ... فلا مَطَرَتْ على الأرض السماءُ
ولا رجعَ البشيرُ بغُنْمِ جيشٍ ... ولا حَمَلَتْ على الطُّهْر النساءُ
فيومٌ منك خيرٌ من رجالٍ ... كثيرٍ حولَهم نَعَمٌ وشَاءُ
فبورِكَ في بَنِيكَ وفي بنيهم ... وإن كثُروا ونحن لك الفِداءُ

---

(١) كذا في النسخ الخطية. وفي «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٢١: رئاب، وفي «الإصابة» ١/ ٥٩: رياب، وفي «الاستيعاب» ص ٦٦، و«تجريد أسماء الصحابة» ص ١٧: رِبَان، ولعله الصواب، وجاء في «القاموس» (ربن): وككِتاب: اسم لشخص من جَرْم، وليس في العرب رِبَان، بالراء، غيره، ومن سواه بالزاي.

(٢) المثبت من (م)، وفي غيرها: رؤية. وذكر حديثه ابنُ سعد، وهو في مخاصمته بني عقيل إلى النبي ﷺ في العقيق، فقضى به لجُرم. قال ابن حجر: وهو ماء في أرض بني عامر، وليس الذي بالمدينة. وذكر الذهبي في «التجريد» أن حديثه منقطع.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٧.

(٤) لفظة «ما» من (أ) و(م).

وبلغَ عبدَ الملك فقال: عرَّضَ بنا الخبيث[١].

وقوله: خارجة بن حصن: فإنَّما أراد أسماء بن خارجة بن حصن، فحذفَ المضاف، وأقامَ المضاف إليه مُقامه.

قلت: حذفُ الاسم غيرُ مستحسن، ولو قال: إذا ما مات أسماءُ بنُ حصن، كان أحسن؛ لأنَّ نسبتَه إلى جدِّه أولى من حذف اسمه بمرَّة[٢].

واختلفوا في قائل الأبيات، فقيل: إنَّها للقَطامي[٣]. وذكرأبو الفرج الأصبهاني[٤] أنها لعبد الله بن الزَّبِير ـ بفتح الزاي ـ الأسدي.

وقال عبدُ الله بنُ بكر السهمي: لمَّا أراد أسماءُ بن خارجة أن يُهْدِيَ ابنتَه إلى زوجها قال لها: يا بُنيَّة، كُوني لزوجك أَمَةً يكنْ لكِ عبداً، ولا تدني منه فيَمَلَّكِ، ولا تَتَباعَدِي عنه فيَتَغيَّرَ عليكِ، وكُوني له كما قلتُ لأمِّك [حين صحبتُها]:

خُذِي العفو مني تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضبُ
فإنِّي رأيتُ الحبَّ في الصدر والأَذَى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

وقال الرِّياشي: قال أسماء بن خارجة لامرأته: اخْضِبي لحيتي. فقالت: إلى كم نَرْقَعُ منك ما قد خَلَقَ؟ فقال:

عَيَّرْتِني خَلَقاً أَبْلَيْتِ[٥] جِدَّتَهُ ... وهَلْ رَأَيْتِ جديداً لم يَعُدْ خَلَقَا
كما لَبِسْتِ جديدي فالْبَسِي خَلَقي ... فلا جديدَ لمن لا[٦] يلبَسُ الخَلَقَا

وحكى أبو اليقظان قال: دخلَ أسماءُ بنُ خارجة على عبد الملك بن مروان، فقال له: بِمَ سُدْتَ الناس؟ فقال: هو من غيري أحسن. قال: لقد بلغني عنك خصال شريفة،

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٢ـ٣ (مصورة دار البشير) وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٢) قال ابن عساكر بإثر الخبر: الصواب: إذا مات ابنُ خارجة بن حصن... قلت: وعندئذ فلا حاجة لتقدير الحذف أو نسبته إلى جدِّه. والله أعلم.

(٣) أوردها له محمد بن سلّام في «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٣٩ـ٥٤٠ وفيه: إذا مات ابنُ خارجة بن حصن...

(٤) في «الأغاني» ١٤/ ٢٤٦.

(٥) في (ب) و(خ): أبديتِ.

(٦) في (أ): لم.

فأنا عزمتُ عليك إلا ذكرتَ بعضها. فقال: أمَّا إذْ عزمتَ عليَّ؛ فَنَعَمْ. فقال عبد الملك: هذه أوَّلُها. فقال أسماء: ما سألني أحدٌ حاجة إلَّا ورأيتُ الفضلَ له عليَّ، ولا دعوتُ أحداً إلى طعام إلَّا ورأيتُ له المِنَّةَ عليَّ، ولا جلسَ إليَّ رجلٌ إلَّا ورأيتُ له الفضلَ عليَّ، ولا تقدَّمتُ جليساً بركبةٍ قط، ولا قصدَني قاصدٌ في حاجة إلَّا وبالغتُ في قضائها، ولا شتمتُ أحداً قطُّ؛ لأنه إنَّما يشتمُني أحدُ رجلين؛ إمَّا كريمٌ فكانت منه هفوة، فأنا أحقُّ بغفرها، وإمَّا لئيم، فأصونُ عرضي عنه، فقال له عبد الملك: حُقَّ لك أن تكون[1] سيِّداً شريفاً[2].

وقال ابن الكلبي: خرج أسماءُ بن خارجة في أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة، فنزل في رياض مُعْشِبَة، وهناك رجلٌ من بني عبس نازلٌ، فلما رأى قِبابَ أسماءَ وأبنيتَه؛ قَوَّضَ أبنيتَه ليرحل، فقال له أسماء: ما شأنُك؟ فقال: لي كلبٌ هو أحبُّ إليَّ من ولدي، وأخاف أنْ يُؤذِيَكُم فيقتلَه بعضُ غلمانكم[3]. فقال له: أقِمْ، وأنا ضامنٌ لكلبك. ثم قال لغلمانه: إذا رأيتُم كلبَهُ قد ولَغ في قدوري وقِصاعي فلا تُهِيجُوه. وأقامَ على ذلك مدَّة، ثم ارتحل أسماء، ونزل الروضةَ رجلٌ من بني أسد، وجاء الكلب على عادته، فضربَه الأسديُّ فقتلَه، فجاء العبسيُّ إلى أسماء، وقال له: أنتَ قتلتَ كلبي. قال: وكيف؟! قال: عوَّدْتَه عادةً ذهب يرومُها من غيرك فقُتل. فأمرَ له بمئة ناقة دِيَة الكلب[4].

وكانت وفاة أسماء في هذه السنة وهو ابنُ ثمانين سنة[5].

أسند عن عليٍّ، وابنِ مسعود، وروى عنه ابنُه مالك بن أسماء، وعليُّ بنُ ربيعة الأسدي.

---

(١) في (خ) و(م): حق له أن يكون...

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٣/ ٢ (مصورة دار البشير).

(٣) في (م): غلمانك.

(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٣ـ٥ .

(٥) كذا في «مختصر تاريخ دمشق» ٤/ ٣٨٥ . ولم أجد هذا في مصورة دار البشير لـ «تاريخ دمشق»، وجاء فيه عن الزيادي ٣/ ٧ أنه مات وهو ابنُ تسعين سنة.

وفيها هلك

شَمِر بن ذي الجَوْشَن

الضِّبابي، حيّ[١] من بني كلاب .

وذكر ابنُ سعد أباه ذا الجَوْشَن، فقال: اسمه شُرحبيل بن الأعور بن عَمرو بن معاوية، وهو الضِّباب ـ بكسر الضاد ـ ابن كلاب بن ربيعة.

قال ابن سعد بإسناده عن عيسى بن يونس عن أبيه، عن جدِّه، عن ذي الجَوْشَن الضِّبابي قال[٢]: قدمتُ على رسول الله ﷺ بعد ما فرغ من بدر، فقلتُ: أتيتُك بابن القَرْحاء ـ يعني فرسه ـ فخُذْه، وكان يومئذٍ مشركاً، فقال له رسول الله ﷺ: «لا آخذُه، وإنْ شئتَ أنْ أقضيَك[٣] به المختار من دروع بَدْر؛ فعلتُ»[٤]. فقلتُ: ما كنتُ لأقضيَك اليوم فرساً بدرع[٥].

قال ابن سعد: قال محمد بنُ عمر: ثم أسلم بعد ذلك.

وفي رواية ابن سعد أيضاً أنَّ النبيَّ ﷺ قال لذي الجَوْشَن: «هل لك أن تكون من[٦] أوائل هذا الأمر؟». قال: لا. قال: «فما يمنعُك؟» قال: رأيتُ قومك قد كذَّبوك وأخرجوك وقاتلوك، فانظرُ، فإنْ ظهرتَ عليهم آمنتُ بك واتَّبعتُك، وإن ظهروا عليك لم أتَّبِعْك. فقال له رسول الله ﷺ: «لعلَّك إنْ بَقِيتَ قريباً سترى ظهوري عليهم». قال ذو الجَوْشَن: فواللهِ إني لَبِضَرِيَّةٍ[٧]؛ إذا براكب قد أقبل من مكة، قلنا: ما الخبر؟ قال: ظهر محمدٌ على أهل مكة.

---

(١) لفظة «حي» ليست في (ص).

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٤ .

(٣) في (أ): أقضيتك، وفي (ب) و(خ): أن أقضيتك. والخبر بنحوه في «مسند» أحمد (١٥٩٦٥) وفيه: أن أقيضك.

(٤) لفظة «فعلت» ليست في (أ) و(ص).

(٥) في (أ) و(خ) و(ص): بدرهم.

(٦) في (خ): في.

(٧) ضَرِيَّة: موضع بأرض نجد. ينظر «النهاية» ٣/ ٨٧ . وتحرف اللفظ في (أ) و(ب) و(ص) إلى: لنصرته. وفي رواية «مسند» أحمد (١٥٩٦٥): إني لبأهلي بالغَوْر.

قال: وكان ذو الجوشن يتوجَّع على تركه الإسلام حين دعاه رسول الله ﷺ إليه. وهذه رواية ابن سعد.

وقال ابن البَرْقي: اسم ذي الجوشن أوس بن الأعور، والضِّبابي لقب أحد أبويه[١] اسمه ضَبّ، فنسبوه إليه.

وقال أبو إسحاق السَّبِيعي: إنما سُمِّي بذي الجَوْشن لأن صدره كان ناتئاً.

وقال ابن سعد عن أبي إسحاق قال[٢]: كان شَمِر بن ذي الجوشن لا يكادُ يصلِّي معنا، ويجيء بعد الصلاة، فيصلي، ثم يقول: اللهمَّ اغْفر لي فإني كريم لم تلدني اللئام. قال: فقلت له: إنك لسيِّئُ الرأي يومَ تُسارع إلى قتل ابن بنت رسول الله ﷺ. فقال: دعنا يا أبا إسحاق، فلو كنَّا كما تقول أنت وأصحابُك؛ لكنَّا شرّاً من الحُمُر السُّقاة[٣].

ذكر مقتله:

قد ذكرنا أن المختار بعث غلامَه زِرْبيّاً[٤] في طلب شَمِر، وأنَّ شَمِر طعنَه فقتلَه، ومضى حتى نزل بساتِيدَما[٥].

قال أبو مِخْنَف: فنزل إلى جانب قرية يقال لها: الكلتانيَّة[٦] على شاطئ نهر إلى جانبه تلّ، فأرسل إلى تلك القرية، فأخذ منها عِلْجاً، فضربه، ثم قال: النَّجاءَ بكتابي هذا إلى مصعب بن الزبير [بالبصرة، وكتب عنوانه: للأمير المصعب بن الزبير] من شَمِر ابن ذي الجَوْشن.

قال: فمضى العِلْجُ حتى دخلَ قرية، وفيها أبو عَمْرة، وقد كان المختار بعثه إلى تلك القرية ليكون مَسْلَحَةً له فيها خوفاً من البصرة، فلقيَ ذلك العِلْجُ عِلْجاً، فوقف معه

---

(١) في (ص): آبائه.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٥.

(٣) المصدر السابق، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٨/ ١٢٣ (مصورة دار البشير).

(٤) في (أ) و(ص) و(م): زرنباً، وفي (خ): رزيناً، وفي (ب): زرينا. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٢.

(٥) هو جبل قرب الموصل والجزيرة، أو نهر بين آمد وميَّافارقين، وسلف ذكره ص ٣٧٨.

(٦) في النسخ الخطية: الكلبانية (في الموضعين) والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٢، وذكرها ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٤٧٦.

يشكو إليه ما لقيَ من شَمِر، ومرَّ رجل من أصحاب أبي عَمْرة، فرأى الكتابَ مع العِلْج، فقرأ عنوانَه، فقال: وأين صاحبُ هذا الكتاب؟ قال: في الكلتانية، وإذا بينهم وبينها ثلاثة فراسخ، فأقبلُوا يسيرون إليه.

قال مسلم بن عبد الله الضِّبابي: وكنتُ مع شَمِر في تلك الليلة، فقلت: لو ارتحلتَ بنا من هذا المكان، فإنَّا نتخوَّف. فقال: كلُّ هذا فَرَقاً من الكذَّاب! واللهِ لا أتحوَّلُ منه ثلاثة أيام، ملأَ الله قلوبكم رعباً.

قال: وكان في ذلك المكان دَبَىً كثير، فبينما أنا بين النائم واليقظان؛ إذ سمعتُ وَقْعَ حوافر الخيل، فقلت: هذا صوتُ الدَّبَى، ثم إنني سمعتُه أشدَّ من ذلك، فقمتُ وإذا بهم قد أشرفوا علينا من التلّ وكبَّروا، ثم أحاطوا بنا، وخرجنا نشتدّ على أرجلنا، وتركنا خيلَنا.

قال: فآتي على شَمِر وإنَّه لمشتمل ببُرْد محقَّق خَلِق، وكان أبرص، وكأني أنظر إلى بياض كَشْحَيْهِ من فوق البُرْد، وإنه ليُطاعنُهم بالرُّمح، قد أعجلوه أن يلبس سلاحَه وثيابه.

قال: فمضينا وتركناه، فما هو إلا أن مكثتُ ساعة إذ سمعتُ: اللهُ أكبر، قُتل الخبيثُ[(١)].

وقال الهيثم: ولما أحاطوا به قاتل[(٢)]، فأثخنوه، وذبحوه، وأوطأ أبو عَمْرَةَ الخيل على ظهره وبطنه.

وقال أبو اليقظان: خرج عليهم وبيده السيف وهو يقول: أنا قاتل الحسين بن علي، فحمل عليه عبد الرحمن بنُ عبد الله الهَمْداني، فطعنه، فأنفذه، ونزل فذبحه، وبعث برأسه إلى المختار، وألقى جُثَّته فأكلتها الكلابُ[(٣)].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٢ـ٥٣ ، وتاريخ دمشق ٨/ ١٢٤ .

(٢) في (م): بقي يقاتل.

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٥ـ٦٦ .

وفيها توفِّي

عُمر[١] بنُ سعد بن أبي وقَّاص

قد ذكرنا أن عُمر بن سعد لمَّا أقبل على أبيه وهو نازل بالعقيق ورآه من بعيد قال: أعوذ بالله من شرِّ هذا الراكب[٢].

وقال الهيثم: كان سعد بنُ أبي وقَّاص جالساً يوماً، فجاءه غلامٌ له ودمُه يسيلُ على عقبيه، فقال له سعد: مَنْ فعلَ بك هذا؟ فقال: عمر. فقال سعد: اللهمَّ اقْتُلْه، وأَسِلْ دَمَه. وكان سعدٌ مستجابَ الدعوة[٣]. ففعل به المختارُ ذلك.

ذكر مقتله:

حكى أبو مِخْنَف قال: قال المختار يوماً لجلسائه: لأقتلنَّ [غداً][٤] رجلاً عظيم القدمين، غائرَ العينين، مشرفَ الحاجبين، يسرُّ مقتلُهُ المؤمنين والملائكة المقرَّبين.

قال: وكان الهيثم بن الأسود النَّخَعي عند المختار، فوقع في نفسه أنه يريد عُمر بن سعد، فأرسلَ إليه مع ابنه العُرْيان وقال: خُذْ حذرَك، فما يريد غيرَك. فقال: بعد أن أعطاني العهود والمواثيق! وكان المختار أوَّلَ ما ظهر؛ كلَّمه عبدُ الله بنُ جَعْدة بن هُبيرة - وكان عنده كريماً لقرابته من عليّ عليه السلام - فقال: أُريد أماناً لعُمر بن سعد. فكتب إليه أماناً، مضمونُهُ: هذا أمانٌ لعُمر بن سعد من المختار أنه آمنٌ على نفسه ومالِه وأهلِه وولده ما أطاعَ ولزمَ رَحْلَه ومصره ما لم يُحْدِثْ حَدَثاً. وأشهدَ فيه عبدَ الله ابنَ شدَّاد، وعبدَ الله ابنَ كامل، وغيرَهما. قالوا: وأراد المختار بقوله: ما لم يُحْدِثْ حَدَثاً أي: يأتي الخلاء.

ولما بعث إليه الهيثمُ مع ابنه العُريان؛ خرج ليلاً من رَحْلِه ومنزله إلى حمَّام[٥]، فقال له بعضُ مواليه: ما تُريد؟ فأخبره، فقال: وأيُّ حَدَث أعظمُ ممَّا أتيتَ؟ خرجتَ عن رَحْلك ومنزلك، ارجع إلى رَحْلك. فرجع.

---

(١) المثبت من (م)، وفي غيرها من النسخ الخطية: عَمرو، وهو خطأ.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٦٥).

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٤ .

(٤) لفظة: غداً، من «تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠ .

(٥) في (م): حَمَّامه .

وأُخبر المختار بانطلاقه، فقال: كلّا، إنَّ في عنقه سلسلةً تردُّه أن ينطلق(١). وأصبح المختار، فجلس على كرسيِّه، وبعث أبا عَمْرة إلى عُمر وقال: ائتني به، فقد نكث وأرادَ الخروج عليَّ.

وفي رواية: فلما أصبح عُمر بعث بابنه حفص بن عمر إلى المختار، فقال له: إن أبي يقول لك: هل أنتَ مقيم على أمَانك؟ فقال: اقعدْ. ثم قال لأبي عَمْرة: اذهب فائتني برأسه. فجاء إليه وقال: أجِبْ الأمير. فقام ليلبس جُبَّتَه، فعثرَ فيها، فضربه أبو عَمْرة بسيفه، فأبانَ رأسَه، وجاء برأسه في طرف قَبائه، فوضعه بين يدي المختار، فقال لابنه حفص: أتعرفُ هذا الرأس؟ قال: نعم، ولا خير في الحياة بعده. أو: لا خير في العيش بعده. فقال له المختار: فإنَّك لا تعيش بعده. فأمر به، فقُتل، ووُضع رأسُه إلى جانب رأس أبيه، وقال المختار: عُمر بحسين، وحفص بعليّ بن الحسين، ولا سَوَاء، واللهِ لو قتلتُ به ثلاثةَ أرباع قريش ما وَفَوْا بأُنْمُلَةٍ من أنامله(٢).

وقال أبو مِخْنَف: إنما هيَّج المختار على قتل عُمر بن سعد أنَّ يزيد بن شَراحيل الأنصاريّ ذَكَرَ عند محمد بن الحنفيَّة خروجَ المختار وطلبَه بدماء أهل البيت، فقال محمد ابن الحنفية: يزعم أنه لنا شيعةٌ، وقَتَلَةُ الحُسين جلساؤُه على الكراسي يحدِّثُونه ويُحدِّثُهم.

فلما رجع يزيد إلى الكوفة قال له المختار: ما قال لك المهديّ؟ فأخبره، فما لبث المختار أن قتلَ عُمر بن سعد وابنَه، وبعث برأسَيْهما إلى ابن الحنفيَّة مع مسافر بن سعيد الناعطي، وظَبْيَان بن عُمارة التميمي، وكتب معهما:

إلى المهديّ محمد بن عليّ من المختار بن أبي عبيد، أمَّا بعد، فإنَّ الله بعثني نقمةً على أعدائكم، فهم بين قتيل وأسير، وطريدٍ وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم، ونصرَ مؤازريكم، وقد قَتَلْنا كلَّ من شَرِكَ في دماء أهل البيت، ومَنْ قَدَرْنا عليه، ولن يُعجزنا مَنْ بقي حتى لا يبقى على أديم الأرض منهم أحد. والسلام(٣).

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٦١ : لو جهد أن ينطلق ما استطاع.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٦٤-٦٥ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٦٠-٦١ ، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٤٣-٤٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٦٢ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٤٥ .

ذكر طرف من أخبار عُمر بن سعد:

ذكره ابنُ سَعْد في الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة[١].

وأمُّه رَمْلَة بنت أبي الأنياب[٢]، من كِنْدة، وأصله من المدينة، وسكن الكوفة.

وحدَّث عن أبيه، وروى عنه ابنُه إبراهيم بن عمر، والزُّهري، وقَتَادة.

وكان مع أبيه بدُومة الجندل، وهو الذي حرَّض أباه على حضورها، ثم ندم سعد، فأحرمَ بعُمرةٍ من البيت المقدَّس[٣].

وقال ابنُ عساكر: حدَّث الفَلَّاس عن يحيى بن سعيد القطَّان أنه روى حديثاً عن عُمر ابن سعد، فقام إليه رجل، فقال: أما تخافُ الله؟! أتَرْوِي عن قاتل الحسين؟! فبكى يحيى بن سعيد وقال: أخطأتُ، واللهِ لا حَدَّثْتُ عنه أبداً[٤].

قال: وقال ابنُ أبي خيثمة: سألتُ ابنَ معين عن عُمر بن سعد: أثقة هو؟ فقال: كيف يكون مَنْ قتلَ الحسين ثقةً[٥]؟!

قال: وقال ابنُ وَهْب: كان سعدٌ واجداً على ابنه عُمر، فأتاه أناس يشفعون فيه، فتكلَّموا وبالغوا، وتكلَّم عمر، فكأنَّما لم يتكلَّم معه أحد، فقال سعد: هذا الذي يُبَغِّضُك إليَّ، سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يكونُ في آخر الزمان قومٌ يأكلون بألسنتهم كما تَلحَسُ البقرُ من الأرض بألسنتها»[٦].

(١) كذا في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٣٢ من طريق ابن سعد. ولم أقف عليه عنده في هذه الطبقة، وأورده في «طبقاته» ٧/ ١٦٦ في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة.

(٢) كذا في رواية ابنِ البَرْقي؛ ذكرها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٣٢-٣٣، وأورد روايات أخرى أن أمَّه ماويّة بنت قيس، وفي «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٦٦: مارية بنت قيس.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٦٦-٦٧، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٢٩ و٣٤. والقصة في أمر اجتماع الحَكَمين (أبي موسى الأشعري وعَمرو بن العاص) بدومة الجندل. وينظر «صحيح» مسلم (٢٩٦٥).

(٤) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٠.

(٥) المصدر السابق ٥٤/ ٤٣.

(٦) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٥، وهو بنحوه في «مسند» أحمد (١٥١٧).

وقال ابنُ عساكر أيضاً[١]: روى الحُميدي عن سفيان قال: قال عُمر بن سعد للحسين: إنَّ قوماً من السفهاء يزعمون أني قاتلُك. فقال الحسين: ليسوا بسفهاء، ولكنهم حكماء. ثم قال الحسين: واللهِ إنه ليقرُّ بعيني أنك لا تأكل بُرَّ العراق بعدي إلا قليلاً.

قال: وكان عمر بن سعد إذا مرَّ على الناس قالوا: هذا قاتلُ الحسين بن علي رضي الله عنه[٢].

فصل يتعلق بعقوبة قاتليه

ذكر جدِّي رحمه الله في «المنتظم»[٣] عن ابن عباس قال: أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ أني قتلتُ بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتلٌ بابنِ فاطمة سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

وروى ابنُ عساكر في «تاريخه» عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «قاتل الحسين في النار».

وقال الواقدي: ما بقي أحدٌ ممَّن شهد قتله، أو شارك فيه، إلا عُوقب في الدنيا بالقتل والبلاء، وفي الآخرة بالعذاب.

قال: وقال ابن الرمَّاح: كان عندنا بالكوفة شيخ أعمى قد شهدَ قتل الحسين، فسألناه عن سبب ذهاب بصره، فبكى وقال: كنت عاشر عشرة، غير أني لم أضرب بسيف، ولم أرم بسهم، ولم أطعن برمح، فرجعتُ إلى منزلي وعيناي كأنهما كوكبان، فنمتُ تلك الليلة، فأتاني آتٍ في منامي، فقال: أجِبْ رسول الله ﷺ. فقلت: ما لي ولرسول الله ﷺ. فأخذ بتلبابي، ثم جَذَبَني، وانطلق بي إلى مكان، فإذا رسولُ الله ﷺ جالس وعنده جماعة، وهو حاسرٌ عن ذراعيه، وبيده سيفٌ مسلول ونطع، وإذا بأصحابي التسعة مُذَبَّحين بين يديه، فسلَّمتُ عليه، فقال: لا سلَّم الله عليك يا عدوّ الله، انتهكْتَ حُرْمَتي، وشهدتَ قتلَ ولدي وأهلِ بيتي، ولم تَرْعَ حقِّي. فقلت: يا رسول الله، ما رميتُ بسهم، ولا ضربتُ بسيف، ولا طعنتُ برمح. فقال: ولكنَّك كثَّرتَ سوادَ القوم. وإذا بين

---

(١) المصدر السابق ٥٤/ ٣٨.

(٢) تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٨. وفيه في آخر الخبر: وذلك قبل أن يقتلَه.

(٣) ٥/ ٣٤٦. وهو في «تاريخ دمشق». ينظر «مختصره» ٧/ ١٤٩.

يديه طست فيه دمُ الحسين وهو يغلي، فأقعدني بين يديه وكحلني منه بميل في كلِّ عين، فأصبحتُ أعمى كما تَرَوْن[١].

وقال السُّدِّيّ: نزلتُ بكربلاء ومعي طعام للتجارة، فنزلنا على رجل فتعشَّينا عنده، وتذاكرنا حديث قتل الحسين، وقلنا: ما شَرَكَ أحدٌ في دمه إلا ومات أقبح موتة. فقال الرجل: أنا شَرَكْتُ في دمه، وكنتُ فيمن قتلَه، وما أصابني شيء. قال: ونمنا، فلمَّا كان آخِرُ الليل؛ ارتفع الصُّراخ من جانب الدار، فقلنا: ما الخبر؟ قال: قام الرجل يُصلحُ المصباح، فاحترقت إصبعه، ثم دَبَّ الحريقُ في جسده، فبقي حُمَمَةً. قال السُّدِّيّ: فأنا ـ واللهِ ـ رأيتُه كأنَّه فحمة[٢].

وقال أبو القاسم السِّمناني: ومن أعجب الأشياء ما نُشاهد في الدنيا أنَّ الحسين عليه السلام لم يخلِّف ولداً سوى عليّ زين العابدين، وهو أبو الأئمة، وقد نَشَرَ اللهُ من ذُرِّيَّته بعدد الرَّمل والحَصَى ساداتٍ وأشراف[٣]، ومات يزيد بن معاوية، وترك نحواً من عشرين ولداً، وليس له اليومَ على وجه الأرض نسل، والله أعلم.

السنة السابعة والستون

فيها قُتل عبيد الله بن زياد، والحُصين بن نُمير السَّكوني الذي رمى الكعبة بالمجانيق وحرَّقها، وأعيانُ الشام[٤]، وسنذكره في آخر السنة.

وفيها قُتل المختارُ أيضاً، ومحمد بنُ الأشعث، وعُبيد الله بنُ عليّ بن أبي طالب، وعَمرة بنتُ النعمان بن بشير زوجةُ المختار، وسنذكرهم إن شاء الله تعالى.

وفيها عزلَ عبدُ الله بنُ الزُّبير القُباع عن البصرة، وولَّى أخاه مصعبَ بنَ الزُّبير عليها.

قال عُمر بنُ شَبَّة: فقدِمَ المصعبُ من مكَّة إلى البصرة، فأناخ على باب المسجد[٥] وهو متلثِّم، ثم دخل، فصعد المنبر، وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الملقب

(١) ينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ١٥٧.

(٢) المصدر السابق ٧/ ١٥١.

(٣) كذا في النسخ الخطية، والجادة: وأشرافاً.

(٤) في (أ) و(ب): وأعيان أهل الشام.

(٥) في (أ) و(خ) و(ص) و(م): باب البصرة، وليس في (ب)، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٩٣.

بالقُباع، واجتمع الناس، فَسَفَر عن وجهه، فعرفوه، وجاء الحارث، فجلس على درجة المنبر، فقام مصعب، فحمد الله وأثنى عليه، وقرأ: ﴿طسٓمٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ﴾ إلى قوله: ﴿مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ [القصص: ١ ـ ٦] ولما قرأ: ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ أشار إلى مكة بيده إلى أخيه، ولما قرأ: ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ أشار بيده نحو الشام إلى عبد الملك بن مروان.

ثم قال: يا أهل البصرة، بلغني أنكم تُلقِّبون أمراءكم، وقد سمَّيتُ نفسي الجزَّار[١].

قلت: ومعنى هذا أنهم لقَّبوا الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباعَ؛ مَرَّ بسوق البصرة، فرأى مكيالاً، فقال: إنَّ مكيالكم لَقُباع.

وقد ذكره الجوهري فقال: والقُباع بضم القاف والتخفيف: مكيال ضخم، وهو لقب الحارث بن عبد الله والي البصرة.

وقال الشاعر يخاطب ابنَ الزبير ـ وقيل: هي لأبي الأسود الدِّيلي ـ:

أميرَ المؤمنين جُزِيتَ خيراً أرِحْنا من قُباع ابنِ[٢] المغيرَهْ

وقال أبو عبيد: القُباع مكيال ضيِّق الأعلى، واسعُ الأسفل.

وهذا:

الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة

واسمُ أبي ربيعة عَمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو[٣] بن مخزوم.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة؛ قال[٤]: وأمُّه أمُّ ولد.

قال: واستعملَه عبدُ الله بنُ الزبير على البصرة، وكان رجلاً سهَّاكاً، فمرَّ بمكيالٍ بالبصرة، فقال: إن هذا لَقُباع صالح، فلقَّبوه القُباع. ومعنى سهَّاكاً أي: فيه خِفَّة، من قولهم: فرس سهَّاك، أي: خفيف الجري.

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٩٣ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ١١٥ـ١١٦ .

(٢) في (ص): بني، وكذا في «الصحاح» (قبع). والبيت مع بيتين آخرين في «الأغاني» ١/ ١١٠ .

(٣) في (أ) و(ب) و(ص): عُمر.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢ .

قال ابن سعد[١]: وكان خطيباً عفيفاً، وكان فيه سواد؛ لأنَّ أمَّه كانت سوداء حبشية نصرانية، فماتت فشهد القُباع جنازتها وأعيانُ أهل البصرة، فكانوا ناحية، وجاء أهل دينها فوَلُوها، وكانوا على حِدَة[٢].

وعزلَه ابنُ الزُّبير عنهم بعد أن أقام والياً سنةً، واستعمل مكانه المصعب بنَ الزُّبير.

وذكر ابنُ سعد له أولاداً، ولم يذكر تاريخ وفاته[٣].

وذكره غير ابن سعد، فقال البلاذُري[٤]: اسم أمِّ القُباع سيح؛ صادَتْ طيراً من حمام مكة، فأكلَتْه، وسنذكره في ترجمة ابن الزبير.

وقال أبو عبيدة وحكاه ابنُ عساكر: والقُباع [أخو عمر] بن أبي ربيعة الشاعر[٥]. ويقال لأبي ربيعة: ذو الرُّمحين، وأمُّ القُباع بنتُ أبرهة من الحبشة، سباها أبوه عبد الله ابنُ أبي ربيعة - وكان عاملَ عثمان بن عفَّان على اليمن - وكانت نصرانية، ولم يعلم القُباع بها، فلما توفِّيت جاء القُباع، فجلس على باب دارها ومعه أشرافُ أهل البصرة وهم جلوس ينتظرون جنازتها، فخرجت إليه مولاة له فقالت: قد وجدنا على رقبة أمِّك صليباً حين جرَّدناها للغَسْل. فقام قائماً وقال: أيها الناس، انصرفوا رحمكم الله، فإنَّ لها أهلَ مِلَّةٍ هم أولى بها منكم. فانصرف الحارث، وعظُم في عيون الناس، وكان في الجمع جماعةٌ من الصحابة، فقال بعضهم: لقد ساد هذا الفتى أهلَ زمانه[٦].

وقال خليفة[٧]: أقام المصعب بن الزبير بالكوفة نحواً من سنتين، ثم انحدر إلى البصرة، واستخلفَ القُباع، ثم رجع مصعب إلى الكوفة فقتل بعد ما أقام بها[٨].

---

(١) المصدر السابق ٧/ ٣٣، وما قبله منه.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٩٧-٢٩٨.

(٣) ذكر الصفدي في «الوافي بالوفيات» ١١/ ٢٥٥ أن وفاته في حدود التسعين.

(٤) أنساب الأشراف ٨/ ٢٩٦، وينظر أيضاً ٦/ ١١٠.

(٥) الكلام في (أ) و(ب) و(خ) و(ص)، وليس في (م). وما بين حاصرتين زيادة من عندي لصحة السياق ولم أقف عليه عند ابن عساكر.

(٦) ينظر «أنساب الأشراف» ٨/ ٢٩٦-٢٩٨، و«تاريخ دمشق» ٤/ ١٠٨ و١٠٩ و١١١ (مصورة دار البشير).

(٧) الخبر في «تاريخ دمشق» ٤/ ١١٠ (مصورة دار البشير) من طريق خليفة.

(٨) بعده في (خ): ثم رجع مصعب إلى الكوفة! وهو سهو من الناسخ، وما أكثر ذلك فيها، ولم أكتبه كلَّه لئلا تطول الحواشي بما لا فائدة فيه.

وقال ابنُ عساكر[1]: وحكى الحُميدي عن سفيان قال: أول من وضع الدنانير وزن سبعة الحارث. يعني العشرة من الدراهم وزن سبعة دنانير من ذهب.

قال: ولما ولّاه عبد الله بنُ الزُّبير البصرة هدم دار الفرزدق الشاعر مرتين، فقال الفرزدق:

أحارثُ داري مرَّتينِ هدمتَها ... وكنتَ ابنَ أخْتٍ لا تجار[2] غوائلُه
وأنتَ امْرُؤٌ بطحاءُ مكةَ لم يزل ... بها منكمُ معطي الجزيلِ وفاعلُه

وقال البلاذُري: مات الحارث بمكَّة. ولم يذكر تاريخ وفاته أيضاً[3].

والحارث هو الذي حدَّث عبدَ الملك بنَ مروان حديث عائشة في هدم البيت وإدخال الحِجْر فيه. وقد ذكرناه.

[وروى عن عائشة وأمّ سَلَمة، ولم نقف على تاريخ وفاته].

وروى عنه الزُّهري وغيره[4].

وفيها بعد قتلِ المختار عزلَ ابنُ الزُّبير أخاه مصعباً عن البصرة، واستعمل عليها ابنَه حمزة بنَ عبد الله.

واختلفوا في سبب عزل المصعب، فقال عُمر بن شَبَّة: لمَّا سار المصعب إلى قتال المختار؛ استخلف على البصرة عمر بن عُبيد الله بن معمر[5]، فلمَّا قَتَلَ المختارَ؛ وفدَ على أخيه عبد الله بن الزُّبير، فحبسه عنده، وولَّى ابنَه حمزة، واعتذرَ إلى مصعب وقال: واللهِ إنِّي لأعلمُ أنَّك أكفى من حمزة، ولكنِّي رأيتُ فيه ما رأى عثمانُ حين عزلَ أبا موسى، وولَّى عبد الله بنَ عامر.

وكان حمزة بن عبد الله مُتلَوِّناً؛ يجود حتى لا يُبقي شيئاً، ويبخل حتى لا يسمح بشيء، فظهَرتْ منه بالبصرة خِفَّةٌ وضعف؛ ركب يوماً إلى فيض البصرة فقال: إنْ رفقوا

---

(١) المصدر السابق ٤/ ١١٢.
(٢) في (م) و«ديوان» الفرزدق ٢/ ١٧٢: لا تُخاف، والخبر في «تاريخ دمشق» ٤/ ١١١.
(٣) أنساب الأشراف ٨/ ٢٩٧، وقد سلف أنَّ ابن سعد لم يذكر له تاريخ وفاة.
(٤) تاريخ دمشق ٤/ ١٠٦ (مصورة دار البشير) وما سلف بين حاصرتين من (م).
(٥) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١١٧: عُبيد الله بن معمر، وينظر تفصيله في «أنساب الأشراف» ٦/ ٨٥.

بهذا الغدير كفاهم مدَّة الصيف، ثم ركبَ إليه يوماً فلم يرَ فيه شيئاً، فقال: لقد رأيتُه ذات يوم، فظننتُ أنَّه يكفيهم.

وذكروا عنه أشياء، واستخفَّ بالأشراف، وسفك الدم، فكتب الأحنف بنُ قيس إلى عبد الله بن الزبير يخبره ويقول: أَعِدْ إلينا مصعباً. فعزله.

ولما شخص حمزة من البصرة أخذ معه بيوت الأموال، فلم يَدَع فيها شيئاً، ولما قدم الحجاز لم يذهب بالمال إلى أبيه، بل أتى المدينة، فأودَعَه رجالاً، فذهبوا به. وهذه روايات عُمر بن شَبَّة[(١)].

وأمَّا هشام؛ فإنَّه روى عن أبي مِخْنَف أنَّ المصعب بنَ الزُّبير لما قتلَ المختارَ أقام بالكوفة سنةً معزولاً عن البصرة؛ عزلَه عنها أخوه عبدُ الله بابنه حمزة، ثم وفد المصعب على أخيه عبد الله بمكة، فأعاده إلى البصرة.

ويقال: إن المصعب لمَّا أعاده أخوه إلى البصرة استخلفَ على الكوفة الحارثَ بنَ عبد الله بن أبي ربيعة[(٢)].

قلت: والمشهورُ أنَّ المصعب بنَ الزُّبير بعد ما قتلَ المختارَ؛ قدمَ على أخيه عبد الله بمكة، واستخلفَ على الكوفة إبراهيم بنَ الأشتر.

وكان قد استمالَ ابنَ الأشتر، وذلك لأنَّ المصعب لما قتلَ المختارَ كتب عبدُ الملك ابنُ مروان إلى ابن الأشتر: ادْخُلْ في طاعتي ولك العراق. فقال: ذاك لو لم أقتل ابنَ زياد وأشرافَ أهل الشام.

وكتب إليه مصعب: ادْخُلْ في طاعتي ولك الشام. فمالَ إلى مصعب، وقدم عليه، فأكرمه، ولم يزل معه حتى قُتلا.

ولمَّا سارَ المصعب إلى مكة واستخلفَ ابنَ الأشتر على الكوفة، قال له أخوه عبد الله بن الزبير: من استخلفتَ على الكوفة؟ فقال: ابنَ الأشتر. فقال له عبد الله: عمدتَ إلى راية خَفَضَها الله، فرفعتَها، فقال مصعب: إبراهيم سيِّدُ[(٣)] مَنْ خلفي، إن

---

(١) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ١١٧ـ١١٨ .

(٢) ينظر المصدر السابق ٦/ ١١٨ .

(٣) في (م): سند.

رضيَ؛ رَضُوا، وإن سَخِط؛ سَخِطُوا. فكشفَ ابن الزُّبير إزارَه، وإذا على كتفه ضَرْبةٌ قد أجافَتْه، وقال: أتراني أُحِبُّ ابنَ الأشتر بعدما ضربَني أبوه يومَ الجمل هذه [الضَّرْبة]؟ فقال له المصعب: فما ذنبُه[1]؟

وقال الهيثم[2]: وفد مصعب على أخيه عبد الله ثلاث مرات من العراق إلى مكة: الأُولى: لمَّا قتلَ المختارَ، والثانية: بمال البصرة، والثالثة: لمَّا بلغَه أنَّ عبد الملك بن مروان يريد أن يقصد العراق؛ قدم عليه يستشيره فيما يفعل، و لم يُقم عنده إلا ليلةً واحدة. ثم ركب رواحلَه وعاد إلى البصرة، وكان معه في المرَّة الأولى إبراهيم بن الأشتر.

فصل

وحجَّ بالناس عبدُ الله بنُ الزبير، وكان العامل على الكوفة مصعب بن الزُّبير، وفي البصرة خلاف قد ذكرناه.

وكان على قضاء الكوفة عبدُ الله بنُ عُتبة بن مسعود، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيْرة[3]، وعلى خُراسان عبدُ الله بنُ خازم السلمي، وعلى الشام ومصر عبد الملك بن مروان.

فصل

وفيها قتل

الحُصين بنُ نُمير

السَّكوني الحمصي. وذكره ابنُ عبد البَرّ[4]، فقال: مرَّت السَّكُون من كِنْدة مع الحُصين بن نُمير ومعاوية بن حُديج على عمر بن الخطاب ﷺ مراراً، وعُمر يُعرِضُ عنهم، فقيل في ذلك، فقال: ما مرَّ بي قومٌ من العرب أكرهَ إليَّ منهم. فعجب الناسُ من رأي عمر فيهم، وإذا هم رؤوس الفتنة. أمَّا معاوية بن حُديج فقتل محمد بنَ أبي بكر

(١) الخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٦٤ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة مصعب بن الزبير).
(٢) أنساب الأشراف ٦/ ٩٧.
(٣) في (أ) و(ب) و(خ). المغيرة. وهو خطأ. والمثبت من (ص). والكلام في «تاريخ الطبري» ٦/ ١١٨.
(٤) لم أقف على الخبر من كلام ابن عبد البر، وهو في «تاريخ دمشق» ٥/ ١٥٨ (مصورة دار البشير).

الصديق ﷺ، وأمَّا الحُصَين بن نُمير فكان ممَّن أعانَ على عثمان بن عفَّان وغزاه وحصره في داره حتى قُتل، وشهد صفّين مع معاوية، وكان رأساً في الفتنة، وولَّاه يزيد ابن معاوية قتال ابنِ الزبير لمَّا مات مسرف[١] بن عقبة، فضرب الكعبة بالمجانيق، فستروها بالخشب، فأحرق الخشب. وأشير به الحجَّاج[٢] في ذلك لمَّا حاصر ابن الزبير.

وذكره ابنُ عساكر فقال: كنيتُه أبو عبد الرحمن، وكان في جيشِ ابن زياد، وفعل بالتوَّابين ما فعل، وقتَل من قتَل منهم.

وكان مع ابن زياد لما لقيَ إبراهيمَ بنَ الأشتر، فقُتل، وبعث إبراهيمُ برأسه ورأسِ ابنِ زياد إلى المختار مع رؤوس جماعة من الأعيان، فبعث بها المختار إلى ابن الزبير.

وكان الحُصين قد نصبَ على ابن الزبير القَذَّافات، فقال: انْصِبُوا رأسَ كلِّ رجل عند قذَّافتِهِ التي كان يرمي بها. ففعلوا، وأحرقَ ابنُ الأشتر جُثَّة الحُصين بن نُمير [مع جُثَّة عُبيد الله بن زياد.

وحكى هشام عن أبي مِخْنَف قال: حمل شريك بن جرير التغلبيّ على الحُصين بن نُمير] وهو يحسبُه ابنَ زياد، فاعتنقَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، ونادى التغلبيّ: اقتلُوني وابنَ الزانية. فقُتل الحُصين بنُ نُمير[٣].

وفيها توفّي

عُبيد الله بنُ عليّ بنِ أبي طالب عليه السلام

وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة.

قال ابنُ سعد[٤]: وأمُّه ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك التميمي.

---

(١) في (أ): مسلم. وهو نفسه. ومسرف لقب له.

(٢) كذا. ولعله: على الحَجَّاج.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٩٠، وتاريخ دمشق ٤٤/ ٢٤٤ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة ابن زياد) وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٧٩. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١١٨.

وذكر ابنُ سعد قصته فقال: قدم على المختار الكوفةَ من الحجاز، فسأله أنْ يُعطيَه شيئاً، فقال: أَقَدِمْتَ بكتاب من عند المهديّ؟ قال: لا. فحبَسه أياماً، ثم خلَّى عنه وقال: اخْرُجْ عنَّا. فسارَ إلى البصرة.

وقال الزُّبير بن بكّار[1]: قدم على المختار الكوفة، فقال له المختار: إنَّ صاحب أمرِنا هذا لا يَحِيكُ[2] فيه السِّلاحُ، فإنْ كنتَ ذلك بايعناك. فخرج هارباً إلى البصرة.

رجع الحديث إلى ابن سعد قال: فخرج هارباً إلى مصعب بن الزبير، فنزل بالبصرة على خاله نُعيم بن مسعود التميمي، وأعطاه مصعب مئة ألف درهم.

ثم سارَ مصعب بن الزبير من البصرة إلى الكوفة لقتال المختار، واستخلفَ على البصرة عمرَ بنَ عُبيد الله بن معمر، فلما سار مصعب تخلَّف عنده عُبيدُ الله[3] بنُ علي عند أخواله، وسارَ خالُه نعيم بن مسعود مع المصعب إلى العراق.

فجاءت بنو سعد بن زيد مناة إلى عُبيد الله وقالوا: نحن أَخْوالُك أيضاً، ولنا فيك نصيب، فتحوَّل إلينا لنكرِمَك، فحوَّلوه إليهم، وأنزلوه بينهم، وبايعوه بالخلافة، فقال: يا قوم، لا تعجلوا، لا تفعلوا، وهو كارهٌ.

وبلغ المصعبَ، فكتبَ إلى ابنِ معمر خليفتِهِ على البصرة يُعَجِّزُهُ ويقول: كيف غفلتَ عن عُبيد الله وعمَّا أخذوا له من البيعة؟!

ثم دعا مصعبٌ خالَه نُعيمَ بنَ مسعود فقال له: قد كنتُ لك محبّاً[4] ومكرماً، فما حملك على أن تدع ابنَ أختك بالبصرة يؤلِّب الناس ويخدعُهم؟! فحلفَ له بالله إنَّه ما علمَ بشيء من ذلك. فصدَّقه مصعب. فقال له نُعيم: أنا أكفيك أمره، وأقدم به عليك.

---

(١) الخبر في «تاريخ دمشق» ٦١/ ١٣٢ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة محمد بن الأشعث) من طريق الزُّبير بن بكّار، وهو بنحوه في «نسب قريش» ص ٤٣ـ٤٤ .

(٢) أي: لا يؤثّر. وفي نسب قريش: لا يعمل.

(٣) في (ب) و(خ): واستخلف على البصرة ابن معمر وعُبيد الله... وفي (أ): واستخلف على البصرة عمر بن عبد الله بن معمر وعبيد الله... والمثبت من (ص) وسلف قريباً مثلُه ص(٢٩٧) (بإثر ترجمة القُباع) وجاء في «طبقات» ابن سعد ٧/ ١١٨ : عُبيد الله بن عمر بن عبيد الله بن معمر.

(٤) في «طبقات» ابن سعد ٧/ ١١٨ : محسناً.

وسار نُعيم حتى أتى البصرة، فلام بني سعد، وقال: ما أردتُم إلا هلاكَ تميم كلها، فادْفَعُوا إليَّ ابنَ أختي. فتلاوموا ساعة، ثم دفعوه إليه، فخرج فقدم به على مصعب، فقال له: يا ابنَ أخي، ما حملَك على ما صنعتَ؟ فحلف له عُبيد الله إنه ما أراد ذلك، ولا علم به حتى فعلوه، ولقد كان كارهاً له، فصدَّقه مصعب.

وأمر مصعب صاحب مقدّمته عبَّاداً الحَبَطيّ أن يسير إلى جمع المختار [فسار معه عُبيد الله بنُ علي، فنزلوا المذار، ونزل جيش المختار](١) بإزائهم، فقُتل أصحابُ المختار في تلك الليلة(٢)، فلم يُفلتْ منهم إلا الشَّريد(٣)، [وقتل عُبيد الله بن علي بن أبي طالب في تلك الليلة]. وهذا قولُ ابن سعد(٤).

وقال الهيثم: قتلَه المختار وهو لا يعرفه في المعركة، فمرَّ به المهلَّبُ بنُ أبي صُفْرة، فرآه مقتولاً، فاسترجع، وجاء إلى مصعب فأخبره، فقال: إنَّا لله، [قاتلَ اللهُ] مَنْ قَتلَه. فقال: [ومن هو؟ قال:] مَنْ زَعَم أنَّه شيعةٌ له. يعني المختار(٥).

فصل: وفيها قُتل

عُبيد الله بنُ زياد

قد ذكرنا مسير إبراهيم بن الأشتر إلى لقائه، فذكر هشام عن أبي مِخْنَف عن أشياخه قالوا: سار ابنُ الأشتر مُجِدّاً يريد ابنَ زياد قبل أن يدخلَ أرض العراق، فالتقيا على النهر الذي يقال له: الخازِر، عند قرية يقال لها: بازيتا(٦)؛ بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ، وجعل ابنُ الأشتر على مقدمته الطُّفيلَ بنَ لَقِيط النَّخعيّ، وكان شجاعاً، وسار على تعبئة، وضمَّ رجالَه إليه، ونزلَ على القرية المسمَّاة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) بعدها في (أ) و(ب) و(خ) و(م): ذلك الجيش، والمثبت من (ص) وهو الصواب.

(٣) في (م): فلم يُفلت منهم إلا من أطال الله أجلَه، وفسح في مدَّته، وما نجا منهم أحد إلا القليل أو الشريد.

(٤) في «الطبقات» ٧/ ١١٨-١١٩ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٩١ ، و«تاريخ الطبري» ٦/ ١٠٤ . وما سلف بين حاصرتين من (م). وينظر «تاريخ دمشق» ٦١/ ١٣٢ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة محمد بن الأشعث).

(٦) كذا في (ب) و(خ) و(ص). وفي (أ): باريتا، وفي (م): بادبازيتا. وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٨٦ : باربيثا. ولم أقف عليها.

وجاء ابنُ زياد، فنزل قريباً منهم على جانب الخازِر، وكان عُمير بن الحُباب السُّلَمي في عسكر ابن زياد، فأرسلَ إلى ابن الأشتر أن الْقَنِي إذا شئت[١]. وكانت قيس كلّها بالجزيرة، وهم مخالفون لمروان وآل مروان لما جرى عليهم يوم المَرْج. وكان عُمير في قيس على ميسرة ابنِ زياد، فالتقيا ليلاً، فبايعه عُمير، ووعدَه أن ينهزمَ بالناس، فقال له ابنُ الأشتر: ما رأيك أُخندِقُ علينا ونتلوَّم[٢] يومين أو ثلاثة؟[٣] قال عُمير: اللهَ اللهَ أن تفعل، نَاجِزْهم، ومتى طاولتَهم جاءتهم الأمداد، فاستظهروا، ووَهَنْتَ. فقال: الآن علمتُ أنك لي ناصح، وكذا أوصاني صاحبي. فقال: صدق[٤]، فلا تَعْدُوَنَّ رأيَه، فإنَّه قد ضَرَّسَتْه الحروب[٥]، وهو شيخُها. فقال: نعم.

وبات ابنُ الأشتر يُعَبِّىءُ أصحابَه، فجعلَ في الميمنة سفيان بن يزيد الأزدي، وعلى ميسرته عليَّ بن مالك الجُشَمي، وعلى الخيل أخاه عبد الرحمن بنَ الأشتر[٦]، وعلى الرَّجّالة الطُّفيل بنُ لَقِيط، وكانت رايتُه مع مالك بن مُزاحم.

فلما طلع الفجر صلَّى بهم إبراهيم الفجر بغَلَس[٧]، ثم سارَ رُويداً إلى تلٍّ هناك يُشرف على القوم، فنزلَ إبراهيم يمشي، ونظر، فإذا هم لم يتحرك منهم أحد، فأرسلَ عبدَ الله بنَ زهير السَّلُولي يكشفُ أخبارهم، فلقيَه رجلٌ منهم، فناداه: يا شيعة أبي تراب، يا شيعة المختار الكذَّاب، ويحكم! إلامَ تدعون؟ فقال له عبد الله: يا ثارات الحسين، ادفعوا إلينا ابنَ زياد الفاسق الدَّعيّ ابن مَرْجانة لنقتلَه ببعض موالينا، فإنه قتلَ ابنَ رسولِ الله ﷺ.

وجرى بينهما كلام، منه أنَّ عبد الله قال للشاميّ: إذا دفعتُم إلينا ابنَ زياد جعلنا بيننا وبينكم كتابَ الله حَكَماً. فقال له الشاميّ: قد جَرَّبناكم مرةً في مثل هذا فغدرتُم - يعني

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٨٦ : أرسل عُمير بن الحُباب إلى ابن الأشتر: إني معك، وأنا أريد الليلة لقاءك، فأرسلَ إليه ابنُ الأشتر أنِ الْقَني إذا شئت.

(٢) تلوَّم في الأمر: تمكَّث وانتظر.

(٣) قوله: أُخندِق علينا ونتلوَّم يومين أو ثلاثة، جاء بدله في (م): أترى نطاولهم يومين ثلاثة.

(٤) قوله: فقال: الآن علمت أنك... فقال صدق. من (أ) و(ص) و(م).

(٥) أي: جرَّبَتْهُ وأحكَمَتْهُ.

(٦) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٨٧ : وكانت خيلُه قليلة.

(٧) الغَلَس: ظلمة آخر الليل. أي: صلَّى بهم أولَ الوقت.

نوبة الحَكَمْين - فإنَّا جعلناهما بيننا وبينكم، فلم ترضَوْا بحكمهما. فقال له عبد الله: إنهما خالفا واتَّبعا أهواءهما، ولو اجتمعا على رجل واحد تبعنا حكمهما ورضينا به، وإنما اختلفا وتفرَّقا عن غير شيء.

ومضى الشاميُّ إلى عسكره، وعاد عبدُ الله، فأخبر ابنَ الأشتر، فجاء، فوقف على الرايات، وقال: يا أنصار الدين، وشيعةَ الحقّ، وشُرطة الله، هذا ابنُ مَرْجانة قاتلُ الحسين بن عليّ ابنِ فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ، حالَ بينَه وبين بناته ونسائه وبين ماء الفرات أن يشربوا منه، فواللهِ ما عمل فرعونُ ببني إسرائيل ما فعلَ ابنُ مَرْجانةَ بأهلِ رسول الله ﷺ، وقد[1] جاء الله به إليكم، وأرجو من الله أن يكون سفكُ دمه على أيديكم. وجعل يسير بين الصفوف ويحرِّضُهم.

وزحف القوم، وجعل ابنُ زياد على ميمنته الحُصين بن نُمير السَّكوني، وعلى ميسرته عُمير بن الحُباب السُّلَمي، وعلى الخيل شُرَحْبيل بن ذي الكَلاع[2]، وكان ابنُ زياد في ثمانين ألفاً وقيل: في ثلاثين ألفاً، وابنُ الأشتر في تسعة آلاف أو عشرة آلاف.

والتقَوْا، فحملَ الحُصين بن نُمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة ابن الأشتر وعليها عليُّ بنُ مالك الجُشَمي، فثبتَ، فقُتل عليٌّ، وقُتل رجالٌ من أهل بيته وأهل الحِفاظ، وانهزمت الميسرةُ، فصاح بهم عبد الله بنُ ورقاء السَّلُوليّ وقد أخذَ رايةَ عليّ الجُشَمي: إلى أين يا شُرطة الله[3]، هذا أميرُكم يقاتلُ.

فأَقْبَلُوا إلى [ابن الأشتر، وإذا به كاشفٌ عن رأسه ينادي: إليَّ إليَّ، فأنا][4] ابنُ الأشتر. فثابُوا إليه، فقال لصاحب الميمنة: احْمِلْ على الميسرة. وهو يظنُّ أنَّ عُمير بنَ الحُباب ينهزم، فما انهزم، وثبتَ، وقاتلَ قتالاً شديداً، فقال ابنُ الأشتر: غَدَرَ وربِّ الكعبة. فما بقي إلا أن يقصدَ هذا السَّواد الأعظم[5]. فقصدوه بالسيوف والعَمَد، وابنُ

---

(١) في (ص) و«تاريخ» الطبري ٦/ ٨٨ : قد.

(٢) في (ب) و(خ): شُرحبيل بن حسنة بن ذي الكلاع، وهو خطأ.

(٣) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٨٩ : إليَّ يا شرطة الله.

(٤) ما بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٥) يعني أن إبراهيم لمَّا رأى ذلك؛ أمرَ أصحابَه أن يقصدوا السَّواد الأعظم ليفضُّوه، فلا يبقى للقوم ثباتٌ بعده. ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٨٩ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٧٩ .

الأشتر ينادي: يا شرطةَ الله، هؤلاء قَتَلَةُ أولادِ رسولِ الله ﷺ، إليَّ إليَّ. وهم يحملون ويقولون: لبيك لبَّيك، وحملُوا على أهل الشام، فأزالوهم عن مواقعهم.

وأنزلَ الله نصرَه على ابنِ الأشتر، فانهزم أهلُ الشام، وملكوا أكتافهم، وقُتل ابنُ زياد، وابنُ نُمير، وشُرحبيل بن ذي الكَلاع، وادَّعى قَتْلَه ثلاثة: سفيان بن يزيد بن المغفَّل الأزدي، وورقاء بنُ عازب الأسدي، وعبد الله[1] بن زهير السُّلمي.

وقُتل أعيانُ أهل الشام، وانهزم عُمير بنُ الحُباب، وبعث إلى ابنِ الأشتر يقول: أجيئك؟ قال: لا، حتى تسكنَ فورة شُرطة الله، فإني أخافُ أن يقتلوك.

وكان من غرق في الخازِر من أهل الشام أكثرَ ممَّن قُتل وأُسر[2].

واختلفوا في قاتل ابنِ زياد على أقوال:

أحدُها: أنَّ إبراهيم بنَ الأشتر قتلَه؛ فحكى هشام عن أبي مِخْنَف قال: قال إبراهيم ابنُ الأشتر: قتلتُ رجلاً وجدتُ منه رائحة المسك، شرَّقَتْ يداه، وغرَّبَتْ رِجْلاه تحت راية منفردة على شاطىء نهر خازِر، فالتمسوه، فإذا هو عُبيد الله بنُ زياد قتيلاً؛ ضربَه إبراهيم، فقدَّه نصفين.

والثاني: شريك بن جرير[3] التغلبيّ؛ قال الطبريّ: حدَّثني عبد الله بن أحمد بإسناده عن الحسن بن كثير قال: كان شريك بن جرير[4] التغلبي مع عليّ عليه السلام في حروبه، فأصيبت إحدى عينيه معه يوم صفِّين، فلما قُتل علي لحقَ ببيت المقدس، فأقام به، فلما قُتل الحُسين قال: أُعاهد الله تعالى لئن خرج طالبٌ[5] يطلب دم الحسين لأقتُلَنَّ ابنَ الزانية، أو لأموتنَّ دونَه.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٩١ : عُبيد الله.

(٢) ينظر ما سلف في هذا الخبر: أنساب الأشراف ٦/ ٧٧-٧٩، وتاريخ الطبري ٦/ ٨٦-٩٠.

(٣) في (ص): حريز، وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ٩٠ : حدير. وسلف ذكر شريك هذا ص٤٠٦ في خبر قَتْل الحُصين بن نُمير.

(٤) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٩٠ : حدير.

(٥) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): طالباً. والمثبت من (م) وهو الجادَّة.

فلما خرج المختار يطلبُ بدم الحسين جاءه، فلما خرجَ ابنُ الأشتر إلى ابن زياد؛ وجَّهه معه، فجعله ابنُ الأشتر على خيل ربيعة، فقال لأصحابه: إني عاهدتُ اللهَ تعالى على كذا وكذا. فبايعه منهم ثلاث مئة على الموت، فلمَّا التَقَوْا حملَ على الكتائب، وثارَ العَجاج، فلما [انفرج الفريقان و] انفرجت عن الناس إذا به وبابن زياد قتيلان، ليس معهما[١] أحد.

والثالث: رجل من بكر بن وائل؛ ذكره المدائني قال: لما أُتيَ برأس الحسين إلى بين يدي ابنِ زياد؛ كان رجلٌ من بني بكر بن وائل حاضراً عنده، فقال في نفسه: للهِ عليَّ إنْ أصَبتُ عشرةً من المسلمين خرجوا عليك يا ابن زياد لأخرجنَّ معهم. فلما قام المختار للطلب بدم الحسين، وسار ابنُ الأشتر إلى ابن زياد؛ خرج هذا الرجل راكباً على فرس وبيده رمح وهو يقول:

وكلُّ عيشٍ قد أراه[٢] فاسدا غيرَ مُقامِ الرُّمحِ في ظلِّ الفَرَسْ[٣]

وكان ابنُ زياد قد عبَّأَ الخيل كراديس كراديس[٤]، فحملَ الرجلُ حتى خرق الصفوف إلى ابن زياد، وناداه: يا ابن زياد[٥]، يا ملعون، يا خليفة الملعون. ثم اطَّعَنا[٦]، فإذا هما قتيلان.

وأصاب ابنُ الأشتر من عسكر أهل الشام من الغنائم ما لم يصبه سواه [لأنه رجع كاسباً غانماً].

ذكر طرف من أخبار ابن زياد:

قال علماء السير: كان جبَّاراً دعيّاً، فاسقاً متهتكاً، لا يُبالي بما فعل.

---

(١) في (أ) و(ب) و(ص): بينهما. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٢) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): أره، والمثبت من (م) وينظر التعليق التالي.

(٣) كذا وقع لفظ البيت في النسخ من تفعيلات الرَّجَز. وجاء في «تاريخ الطبري» ٦/ ٩١، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٢٤٤ من بحر الرَّمَل، ولفظه فيهما:

كلُّ عيشٍ قد أراه قذراً غير رَكْزِ الرُّمح في ظلِّ الفرس

وجاء فيهما ذكر البيت في خبر شريك التغلبي المذكور قبل هذا الخبر.

(٤) جمع كُردوس، وهي الكتيبة، أو القطعة العظيمة من الخيل، وهي الكُردوسة. «معجم متن اللغة».

(٥) قوله: يا ابن زياد، من (ب).

(٦) في (م): اطَّاعَنا. وما سيرد بين حاصرتين منها.

قال ابنُ عساكر: وكان يُكنى أبا حفص، وكان يواجهُ أصحاب رسول الله ﷺ بالعظائم؛ قال لعائذ بن عَمرو، إنما أنت من نُخالة[١] أصحاب محمد ﷺ[٢].

وقال لزيد بن أرقم: أنت شيخ قد خرفت[٣].

قلت: وقد أخرج أحمد في «المسند»[٤] وغيرُه طرفاً من هذا، فقال: حدَّثنا يزيد بن هارون بإسناده عن الحسن قال: دخل عائذ بن عمرو على عُبيد الله بن زياد، فقال له: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «شَرُّ الرِّعاءِ الحُطَمة» فإيَّاك أن تكونَ منهم. فقال: اجلس، فإنَّما أنتَ من[٥] نُخالة[٦] أصحاب محمد ﷺ. فقال: وهل كانت فيهم نُخالة؟! إنما النُّخَالةُ بعدهم. أخرجه مسلم بمعناه[٧].

وروى ابنُ عساكر عن الحسن قال[٨]: قدم علينا ابنُ زياد أميراً على البصرة؛ أمَّره معاوية؛ غلاماً سفيهاً يسفك الدماء سفكاً شديداً، وفينا عبد الله بنُ المُغفَّل المزني صاحب رسول الله ﷺ، وكان عبد الله بن مُغَفَّل من السبعة[٩] الذين بعثهم عمر رضي الله عنه إلى أهل البصرة يفقّهونهم. فدخلَ على عُبيد الله بن زياد ذات يوم، فقال له: يا ابنَ زياد، انْتَهِ عمَّا أراكَ تصنع، فإنَّ شرّ الرِّعاءِ الحُطَمة. فقال له ابنُ زياد: ما أنتَ وذاك؟

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(م): حثالة. والمثبت من (ص)، وهو الموافق لمصادر الخبر.

(٢) تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٣٢ (طبعة مجمع دمشق). والخبر عند مسلم (١٨٣٠). وسيذكره المصنف عن أحمد.

(٣) قال ابنُ زياد ذلك لزيد رضي الله عنه لما قال له زيد: اعْلُ بهذا القضيب عن هاتين الثَّنِيَّتَيْن - يعني ثَنِيَّتَيْ الحسين رضي الله عنه وقد كان ابن زياد ينكتُ بهما - فوالذي لا إله غيره لقد رأيتُ شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبِّلُهما. ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٥٠٤-٥٠٥، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٤٥٦، وقد سلف الخبر ص١٥١. وأخرج أحمد (١٩٢٦٦) أن ابنَ زياد قال لزيد بن أرقم رضي الله عنه: ما أحاديثُ تُحدِّثُها وترويها عن رسول الله ﷺ لا نجدُها في كتاب الله عزّ وجلّ، تحدِّثُ أنَّ له حوضاً في الجنة؟ قال: قد حدَّثناه رسول الله ﷺ ووعَدَناه. قال: كذبت، ولكنك شيخ قد خرفت. قال: إني قد سمعَتْه أُذناي ووعاه قلبي...

(٤) مسند أحمد (٢٠٦٣٧)، وهو حديث عائذ بن عمرو الذي ذكره أولاً.

(٥) في (ب) و(خ) و(م): رجل من.

(٦) المثبت من (ص)، وفي غيرها: حُثالة.

(٧) صحيح مسلم (١٨٣٠).

(٨) تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٢٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٩) في «تاريخ دمشق»: التسعة.

إنما أنت من حُثالة أصحاب محمد ﷺ[١]. فقال: أوَكانَ فيهم حُثالة؟! لا أمَّ لك، بل كانوا أهل بيوتات وشرف، أشهدُ لقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما من والٍ بات ليلةً غاشًّا لرعيَّته إلا حرَّم اللهُ عليه الجنَّة».

قال: ومرض عبد الله بن مُغَفَّل، فأتاه ابنُ زياد عائداً، فقال له: اعهد إلينا شيئاً نفعلْ فيه الذي تحبُّ. قال: أفاعلٌ أنتَ ذلك؟ قال: نعم. قال: فإنِّي أسألُك أن لا تُصلِّيَ عليَّ، ولا تَقُمْ على قبري، وأن تُخَلِّيَ بيني وبين أصحابي يتولَّوْنَ أمري. وقد ذكرناه. فما شيَّعه ولا صلَّى عليه.

وقال ابنُ عساكر أيضاً: وُلد ابنُ زياد سنة تسع وثلاثين، وكان لمَّا قُتل الحسين ابنَ ثمان وعشرين سنة[٢]، فقد كان يوم قُتل ابنَ ثلاث وثلاثين.

قال: وقال البخاريّ: وأمُّه مَرْجانة[٣]، سبيَّةٌ من أهل أصبهان.

قال: وهو أوَّلُ من ضربَ الدراهم الزُّيُوف، وجهرَ بالمعوِّذَتَيْن[٤].

وقال المدائني: كان ابنُ زياد يقول حبَّذا الإمارة؛ لولا قعقعةُ لجام البريد والتشزُّن[٥] للخطب[٦].

قال: وقام رجل ضرير في جامع البصرة فقال: تصدَّقوا على من لا قائد له فيُؤَدِّيه[٧]، ولا بصرَ له فيهديه. فأشار الحسنُ إلى دار ابنِ زياد وقال: ما كان له قائدٌ يقودُه إلى خير، ولا بصر فيبصر به ما ينفعه فيؤدّيه[٨].

---

(١) من قوله: فقال: وهل كانت فيهم نخالة في الحديث قبله إلى هذا الموضع، ليس في (ب) و(خ).

(٢) هاتان روايتان في «تاريخ» ابن عساكر ٤٤/ ٢١٢، جمع بينهما المختصر هنا، ولا تناسبَ بينهما، فعلى قول من قال: وُلد سنة تسع وثلاثين لايكون له ثمان وعشرون سنة لمَّا قُتل الحسين سنة (٦١). وقد ذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٥٤٥ ما يفيد أنه ولد سنة ثلاث وثلاثين.

(٣) هو في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٢١٣ عن ابن معين، ولم أقف عليه عند البخاري.

(٤) المصدر السابق ٤٤/ ٢٢٥.

(٥) في (م): والتشرُّف.

(٦) أنساب الأشراف ٤/ ٤١٩.

(٧) الخبر في المصدر السابق، وفيه: يقوده.

(٨) قوله: فيؤديه، ليس في (م)، وقوله: ما ينفعه فيؤديه، ليس في (ص).

وقال الترمذي بإسناده عن عُمارة بن عمير قال: لما جيء برأس ابنِ زياد إلى الكوفة مع جملة الرؤوس؛ أُلقِيَتْ بالكُناسة، فكانت حيَّةٌ تجيءُ كلَّ يوم، فتدخلُ في فيه، وتخرج من مَنْخِرَيْه. فعلت ذلك ثلاثة أيام. فكانت إذا أقبلت؛ قال الناس: جاءَتْ جاءَتْ[١].

قال هشام: فأقامت الرؤوس أياماً بالكوفة، ثم بعثَ بها المختار إلى مكة إلى محمد ابن الحنفية، وقيل: إلى عبد الله بن الزبير، فنصبها بمكة.

وأحرق ابنُ الأشتر جثَّة ابن زياد وجثث الباقين[٢].

وقال هشام: لما قُتل ابنُ زياد كانت معه امرأتُه هند بنت أسماء بن خارجة الفَزَاري، وكانت لا تُفارقُه، فلبسَتْ قَباءً وعمامةً ومِنْطَقَةً[٣]، وحَمَلَتِ السلاح، وركبتْ فرسَ ابنِ زياد الذي يقال له: الكامل، وسارَتْ وحدَها من الزَّاب حتى دخلت الكوفة في يوم وليلة[٤].

وقال المدائني: قال إبراهيم النَّخَعي: ما رأينا رجلاً شرّاً من ابن زياد[٥].

وقال الشعبي: كان أكولاً؛ أكلَ في يوم خمس مرات، وأكلَ عشر بطّات، وجَدْياً وزِنْبيلاً من عنب، وأكلَ آخرَ النهار شيئاً آخر[٦]. ولهذا قال له عبد الله بن المغفَّل: «شرُّ الرِّعاء الحُطَمَة».

وقال هشام: حلفَ ابنُ زياد ليقتلنَّ المختار، وليضعنَّ رِجْلَه على رأسه. وبلغَ المختارَ، فقال: كذاب، أنا واللهِ أقتلُه، وأضعُ قدمي على رأسه. فكان كما قال[٧].

---

(١) الخبر بنحوه في «سنن» الترمذي (٣٧٨٠) ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٤٤/ ٢٤٦.

(٢) سلف في ترجمة الحصين بن نمير السالفة ص٤٠٦.

(٣) الخبر في «تاريخ دمشق» ص ٤٣٦ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق) وفيه: قَباءه وعمامته ومنطقته. والقَباء ثوب يُلبس فوق الثياب، والمِنْطَقَة: ما يشدُّ به الوسط.

(٤) في «تاريخ دمشق»: في بقية يومها وليلتها. وذكر الطبري في «تاريخه» ٦/ ٩٠ أن عُيينة بن أسماء أخا هند هو الذي ذهب بها. قوله: الزَّاب: هو من أرض الموصل، وعنده أيضاً: نهر الخازر، الذي كانت عنده الوقعة، وسلف ذكره أول الخبر.

(٥) أنساب الأشراف ٤/ ٤٢٣.

(٦) بنحوه في المصدر السابق ٤/ ٤٢٦.

(٧) ينظر المصدر السابق.

وذكر القاضي التَّنوخي أنَّ ابنَ زياد لما قتل الحسين وعاد إلى البصرة بنى داره بالبيضاء[١]، وصوَّر على بابها رؤوساً مقطّعة، مثل رأس الحسين وأصحابه، وصوَّرَ في دهليزها صورة أسد وكبش وكلب، وكتبَ على كل واحد شيئاً، فكتبَ على الأسد: أسد كافح، وعلى الكبش: [كبش] ناطح، وعلى الكلب: [كلب] نابح. فَمَرَّ بالباب أعرابيٌّ، فقال: أما إنَّ صاحبَها لا يسكنُها إلا ليلة لا تتمّ.

وبلغَ ابنَ زياد، فضربَه وحبَسه، فما أمسى المساء حتى قدم رسولُ ابنِ الزُّبير، فأخذَ له البيعةَ، وهرب ابنُ زياد من ليلته إلى الأزد، فأجاروه، ثم أخرجوه إلى الشام، وكسرَ الأعرابيّ باب الحبس وخرج، ولم يعد ابنُ زياد بعدها إلى البصرة، وقُتل.

وقال الهيثم: وكان مقتلُ ابن زياد في المحرَّم، وعلم المختار بالوقعة، فخرج من الكوفة، فنزل المدائن، وكان يقول: أبشِروا بالفتح، فإنه يأتيكم في هذين اليومين. وجاءت البشائر، وبعث إبراهيمُ إلى المختار بالرؤوس، ومضى هو إلى الموصل، وملك الجزيرة، وبعثَ أخاه عبدَ الرحمن على نَصِيبين وما والاها[٢].

وفيها توُفّي

عُمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

وأمُّه الصَّهْباء بنت عبَّاد[٣]. وقيل: هي أمُّ حبيب بنت ربيعة من تغلب بن وائل، سباها خالد بنُ الوليد من عين التمر، وقيل: في أيَّام الرِّدَّة.

وعُمر من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة. وهو عُمر الأكبر، وأختُه رُقَيَّة بنتُ علي لأبيه وأمّه.

قال ابنُ سعد: وكان عليٌّ قد سمَّاه باسم عمر بن الخطاب، وسمَّى ابناً له بعثمان.

---

(١) ينظر «معجم البلدان» ١/ ٥٣٠ . وما سيرد بين حاصرتين من (م).

(٢) ينظر الكلام مفصَّلاً في«تاريخ» الطبري ٦/ ٩١-٩٢ وقد ساق خبر قتله في أحداث سنة (٦٧)، وذكر ابن عساكر في «تاريخ دمشق»٤٤/ ٢٤٧ أنه قتل سنة (٦٦).

(٣) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٤٧ (طبعة مجمع دمشق). وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١١٧ .

وذكر محمد بن سلام[1] أنَّ عُمر لما وليَ الخلافة وُلد عُمر بنُ عليّ، فقال عُمر لعليّ: هَبْهُ لي. فقال: هُو لك. فقال: قد نَحَلْتُه اسمي وغلامي مورِّقاً.

وقال مصعب بن عبد الله[2]: وُلد عُمر ورُقَيَّة في بطنٍ واحد توأمين، وكان عُمر آخِرَ ولدِ عليّ.

واختلفوا في وفاته، فقال خليفة: مات عُمر سنة سبع وستين[3].

وقال مصعب بن عبد الله[4]: عاش طويلاً، وقدم مع أبان بن عثمان بن عفان على الوليد بن عبد الملك يسألُه أنْ يولِّيَه صدقاتِ أبيه، وكان يليها يومئذ [ابنُ أخيه] الحسنُ ابنُ الحسن، فعرضَ عليه الوليد الصِّلة وقضاءَ الدَّيْن، فقال: لا حاجةَ لي في صلتك، وإنَّما قدمتُ عليك بسبب الصدقة، وأنا أولى بها من غيري. فقال الوليد لأَبَان: أَخْبِرْهُ أنَّني لا أُدخِلُ على أولاد فاطمةَ أحداً من غيرهم، فإنها بنتُ رسول الله ﷺ. فانصرف عُمر غضباناً، ولم يقبل صِلَتَه.

وهذا يدلُّ على أنه عاشَ بعد الثمانين، فإنْ صحَّت رواية خليفة فقد كانت وِفادتُه على عبد الملك بن مروان.

روى عُمر الحديثَ عن أبيه عليّ، وروى عنه ابنُه محمد بن عمر.

وكان محمد من العلماء؛ ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل المدينة؛ قال[5]: وأمُّه أسماء بنت عَقِيل بن أبي طالب.

قال: فولدَ محمد بنُ عُمر: عُمرَ، وعُبيدَ الله؛ وأمُّهما خديجة[6] بنت عليّ بن حُسين ابن عليّ بن أبي طالب.

---

(١) هو في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٤٧ (طبعة مجمع دمشق) من طريق محمد بن سلّام.

(٢) في «نسب قريش» ص ٤٢ . ومن طريقه ابن عساكر في المصدر السابق.

(٣) طبقات خليفة ص ٢٣٠ ، ومن طريقه ابن عساكر، وجاء عندهما بعده: قُتل مع مصعب أيام المختار.

(٤) نسب قريش ص ٤٢ ، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٤٧ـ٢٤٨ . وما سيرد بين حاصرتين من (م).

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٣ .

(٦) في «الطبقات»: عُمر وعبد الله وعُبيد الله... وأمُّهم خديجة...

وجعفرَ بنَ محمد، وأمُّه أمُّ هاشم بنت جعفر بن جعدة بن هُبيرة المخزومي. وكلُّهم رَوَى الحديثَ، ولهم عَقِبٌ بيَنْبُع.

وفيها توفِّيت

عَمْرَة بنتُ النُّعمان

ابن بشير الأنصاري امرأة المختار بن أبي عُبيد.

حكى هشام بن محمد عن أبي مِخْنَف قال[1]: لمَّا قُتلَ المختار؛ أحضر مصعبُ بنُ الزُّبير امرأتي المختار: عَمْرة بنتَ النعمان بن بشير، وأمَّ ثابت بنت سَمُرة بن جندب، وقال لهما: ما تقولان في المختار؟ فقالت أمُّ ثابت: أقول ما تقولون فيه. فأرسلها. وأمَّا عَمْرَة فقالت: رحم الله أبا إسحاق، لقد كان عبداً صالحاً، فسجنها، وكتب إلى أخيه ابن الزُّبير يقول: إنَّها تزعُم أنه نبيّ. فكتبَ إليه: اقتُلْها. فأخرجها ليلاً بين الحيرةِ والكوفة، فقتلَها. فقبَّحَ الناسُ على مصعب وأخيه عبدِ الله قَتْلَ امرأة.

وقال عُمر بن أبي ربيعة القُرشي:

إنَّ من أعجبِ العجائبِ عندي ... قَتْلَ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ

قُتِلَتْ هكذا على غير جُرْمٍ ... إنَّ لله دَرَّها مِنْ قتيلِ

كُتِبَ القَتْلُ والقتالُ علينا ... وعلى الغانيات جَرُّ الذُّيولِ

وقال الجوهري: العُطْبُول من النساء: الحسناء التامَّة. وأنشد:

[إنَّ من أعجبِ العجائبِ عندي] ... قَتْلَ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ[2]

وقال أبو حسان الزِّيادي: إنَّ مصعباً قتلَ عمرةَ بغير أمرِ أخيه عبدِ الله، فلمَّا علمَ كتبَ إليه يلومُه ويُعَنِّفُه[3].

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري:

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١١٢، وتاريخ دمشق ص ٢٦١ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق).

(٢) الصحاح ٥/ ١٧٦٨ (عطبل) وما بين حاصرتين منه.

(٣) تاريخ دمشق ص ٢٦٣ (الطبعة المذكورة قبل).

أتى راكبٌ بالأمرِ ذي النبأ العَجَبْ بقتلِ ابنةِ النُّعمانِ ذي الدِّينِ والحَسَبْ
بـقـتـلِ فـتـاةٍ ذاتِ دَلٍّ سَـتِـيـرةٍ مهذَّبةِ الأخلاقِ والخِيمِ والنَّسَبْ[١]
أتـانـي بـأنَّ الـمـلـحـدينَ تـوافَـقُـوا على قَتْلِها لا جُنِّبُوا القتلَ والسَّلَبْ
ولا هـنـأَتْ آلَ الـزُّبـيـرِ مـعـيـشـةٌ وذاقُوا لباسَ الذُّلِّ والخوفِ والحَرَبْ
كـأنَّـهـمُ إذْ أبـرزُوهـا وقُـطِّـعَـتْ بأسيافهم فازوا بمملكة العَرَبْ

من أبيات[٢].

انتهت ترجمتها، والله أعلم.

وفيها توفي

محمد بن الأشعث

ابن قيس الكنديّ، وكنيتُه أبو القاسم.

وذكره ابنُ سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة[٣].

وقال[٤]: فولد الأشعث محمداً، وإسحاق، وإسماعيل، وحبابة[٥] وقُريبة[٦]، وأمُّهم أمُّ فَرْوة بنتُ أبي قُحافة أختُ أبي بكر الصِّدِّيق.

وقد ذكرنا الأشعث بنَ قيس ورِدَّتَه عن الإسلام، وعَوْدَه إليه، وتزويجَه بأمِّ فَرْوة.

وقال يحيى بنُ معين: أربعة اسْمُهُم محمد، وكُنيتُهم أبو القاسم: هذا، وابنُ الحنفيَّة، ومحمد بنُ طلحة، ومحمد بن حاطب[٧].

وقال هُشيم[٨]: كان محمد بن الأشعث يدخلُ على عائشة، فتكنِّيه بأبي القاسم.

---

(١) قوله: سَتيرة، أي: عفيفة، والخِيم: السَّجِيَّة والطبيعة، والأصل.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ١١٣، وتاريخ دمشق ص ٢٦٢.
(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٦٨.
(٤) في «الطبقات» ٦/ ٢٣٠ (ترجمة أبيه الأشعث بن قيس) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦١/ ١٢٧ (طبعة مجمع دمشق).
(٥) في «الطبقات»: حبانة.
(٦) قوله: وقريبة، من (ص) و(م)، وهو في المصدرين السابقين.
(٧) تاريخ دمشق ٦١/ ١٢٨ (طبعة مجمع دمشق).
(٨) المصدر السابق ٦١/ ١٣٠ـ ١٣١. وتحرف لفظ هُشيم في (أ) و(ب) إلى: هيثم، وفي (خ) إلى: الهيثم.

وقال أبو نُعيم الحافظ[١]: ذُكر لنا أنَّ محمداً وُلد على عهد رسول الله ﷺ. وليس بصحيح؛ لأنَّ أبا بكر إنَّما زوَّجه بأخته بعد الرِّدَّة، وقد ذكرناه.

وقال الزُّبير بن بكَّار: هرب محمد بن الأشعث من المختار إلى البصرة، فهدم المختار داره بالكوفة، وبنى بلَبِنِها وآلتها دارَ حُجْرِ بنِ عديّ، وكان زيادٌ قد هَدَمَها[٢].

وأقام محمدٌ بالبصرة، وكان المختارُ حَنِقاً عليه؛ لأنه ممَّن شهد قتلَ الحُسين، ويقال: إنه أخذ قَطِيفة الحسين.

وهو الذي خدع مسلم بن عقيل، وغَدرَ بِه، وسلَّمه إلى ابن زياد حتى قتله.

فلما قصد مصعبُ المختار؛ قَدَّمَ في مقدِّمته ابنَ الأشعث وعُبيد الله بنَ عليّ [بن أبي طالب] فقُتلا تحت الليل، ولم يُعرفا، وبلغ مصعباً، فبكى وقال[٣]: لقد تنغَّصَ عليَّ هذا الفتح حيثُ لم يشهده عُبيد الله ومحمد[٤].

وقال ابنُ سعد[٥]: وَلَدَ محمدُ بنُ الأشعث أكثرَ من ثلاثين ولداً ذكوراً.

ومن أولاده عبد الرحمن بن محمد الخارج على الحجَّاج [وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى].

وفيها قتل

المختار بن أبي عبيد الثقفيّ

قد ذكرنا أنَّ أباه أبا عُبيد بن مسعود، قُتل يومَ الجسر، وجدُّه مسعود عظيمُ القريتين[٦].

---

(١) أخرجه ابن عساكر ٦١/ ١٢٩ من طريق أبي نُعيم.

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٦١/ ١٣٤ .

(٣) في «تاريخ دمشق» ٦١/ ١٣٣ : قال المصعب للأحنف بن قيس.

(٤) المصدر السابق. وينظر ما سلف في ترجمة عُبيد الله بن علي قبل عدّة تراجم.

(٥) في «الطبقات» ٦/ ٢٣١ . وما سيرد بين حاصرتين من (م).

(٦) المعارف ص ٤٠٠ . وهذا أحد الأقوال.

ولد المختار عام الهجرة، وذكره البلاذُريّ فقال[١]: تزوَّج أبوه دَوْمة بنت عَمرو بن وَهْب بن معتِّب، وكان قبل تزوُّجه بها يختارُ أن يتزوَّج في نساء قومه، فرأى في منامه قائلاً يقول له: تزوَّجْ دَوْمة، فإنها عظيمة الحَوْمَة[٢]، لا تسمعُ من لائمٍ فيها لَوْمة.

فتزوَّجها، فلمَّا اشتملت على المختار؛ رأت في منامها قائلاً يقول: أبشري بولدٍ، أسدٍ من الأُسْد، إذ الرجال في كَبَد، يتغالبون على بلد وأيِّ بلد.

فلما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ولدَتْه قيل لها[٣]: إنَّ ابنكِ قبل أن يتسعسع، وبعد أن يترعرع، كثيرُ التَّبَع، قليل الهَلَع، خَنْشَلِيل[٤] ورِع[٥]، يُدان[٦] بما صنع.

دَوْمة: بفتح الدال، وحَوْمةُ القتال: معظمُه، والكَبَد: الشِّدَّة، وتسعسعَ: كَبِرَ وهَرِم. والخَنْشَلِيل: الماضي[٧]. والهَلَع: الخوف.

ذكر طرف من أخباره:

قال قوم: كان يلقَّب بكَيْسان، وإليه تنسب الكَيْسانيَّة[٨].

وقال صاحب «المِلَل والنِّحَل»[٩]: كَيْسان مَوْلَى عليّ عليه السلام، وقيل: تلميذ محمد بن الحنفيَّة.

قال: وأمَّا المختار؛ فأصحابُه يقال لهم: المُختاريَّة.

---

(١) أنساب الأشراف ٦/ ٣٨.

(٢) في (ب) و(خ) و(ص): الحرمة.

(٣) كذا وقع السِّياق في النسخ وعبارة البلاذُري: وُلد المختارُ... في السنة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ... ثم أورد في ترجمته الخبر التالف الآتي.

(٤) في (م): خيشليل، وفي غيرها: حيشليل (في الموضعين). والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٨.

(٥) في المصدر السابق: غير ورع.

(٦) في (م): بدار، وفي النسخ الأربع الأخرى: بدار بدار (؟) والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٨.

(٧) في «القاموس»: الخَنْشَلِيل: الضخم الشديد.

(٨) المعارف ص ٦٢٢.

(٩) ١/ ١٩٦ (للشهرستاني، بهامش الفصل في الملل لابن حزم)

قال: وكان خارجيّاً، ثم صار زُبيريّاً[١]، ثم صار شيعيّاً وكَيْسانِيّاً[٢]. وكان يدعو إلى محمد بن الحنفيَّة ويزعم أنه من أصحابه، ولمَّا علم محمد بذلك تبرَّأ منه، وقال: إنَّما يموّه بنا على الناس ليتمَّ أمرُه.

قال: ومن مذهب المختار أنه يُجوِّز البَدَاءَ على الله تعالى، وهو أنْ يأمرَ بشيء، ثم يأمرَ بعده بخلافه، وإنما ذهبَ إلى هذا لأنَّه كان يدَّعي علم ما يظهر من الأحوال؛ إمَّا بِوَحْيٍ يُوحَى إليه، أو برسالةٍ من الإمام، فكان إذا وعدَ أصحابه بشيء؛ فإنْ وافق كونُه [قولَه] اعتقدوا صحة ما قال، وإن لم يوافق؛ قال: بدا لربّكم[٣].

وكان لا يُفرِّقُ بين النَّسخ والبَدَاء، وذلك لأنَّ النسخ عبارةٌ عن الرفع أصلاً، والبَدَاء عبارةٌ عن امتداد الحكم إلى وقت معيّن، ثم يرتفع.

قلت: وما ذهب إليه المختار مذهبُ اليهود، فإنَّهم لا يُفرِّقون بين النسخ والبَدَاء، وقد استوفينا الكلام فيه في التفسير[٤].

قال[٥]: وكان المختار مُمَخْرِقاً؛ ابتدعَ أشياء، منها الكرسيّ، وأنَّه من ذخائر أمير المؤمنين، وجعلَه مثل التابوت لبني إسرائيل.

وكان يزعُم أنَّ جبريل يأتيه بالوحي. وذكر أشياء.

وقال هشام: كان مع أبيه يوم الجسر، وكان له يومئذٍ ثلاثَ عشرة سنة، وكان صاحبَ همَّة؛ كان يقول في صغره: واللهِ لأعلُوَنَّ منبراً بعد منبر، ولأهزمنَّ عسكراً بعد عسكر، ولأُخِيفَنَّ أهلَ الحرمين، ولأدعونَّ[٦] أهل المشرقين والمغربين، ولأجهِّزنَّ من الجيوش مئين، وإن خبري لفي زُبُر الأوَّلِين.

---

(١) في النسخ الخطية: زيدياً، والمثبت من «الملل والنِّحل».

(٢) في النسخ الخطية: وكاسانياً. والمثبت من المصدر السابق.

(٣) الملل والنِّحل ١/ ١٩٧-١٩٨ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) النسخ: نقلُ العِباد من حُكم إلى حكم لضَرْبٍ من المصلحة، بينما البَدَاء: أن يبدوَ ويظهرَ مالم يكن ظاهراً، وهو مستحيل على الله عزَّ وجلَّ. ينظر«الغُنْية في أصول الدين» ص١٥٦ ، و«تفسير» القرطبي٢/ ٣٠٣ (الآية: ١٠٦ من البقرة) و «كشاف اصطلاحات الفنون»١/ ٣١٣ .

(٥) بنحوه في المصدر السابق.

(٦) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٨ : ولأُذعرنَّ. وهو الأشبه.

وقال الهيثم: لما قدم على ابن الزبير وقاتل معه ووعده أن يولِّيه الولايات؛ لم يف له بما وعد، فاجتمع بابن الحنفيَّة وقال: أنا أطلب ثأركم وأقتلُ من قتلكم. فلم يُجبه محمد إلى شيء، فقال: سكوته إذْنٌ. وقال محمد: كفى بالله ناصراً. فقدم الكوفة، وادَّعى ما ادَّعى(١).

وقال الهيثم: وله أسجاع معروفة، منها ما قد ذكرناه.

وقال ابن عساكر عن أبي مِخْنَف ـ واسمُه لوط بن يحيى العامري ـ قال: قيل لابن الزبير: إنَّ المختار يزعم أنه يُوحى إليه! فقال: صدق. ثم قرأ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾(٢)[الشعراء: ٢٢١ـ٢٢٢].

قال: وكان ابنُ عبَّاس إذا أثنى على المختار؛ يقول له محمد بنُ الحنفيَّة: لا تقل فيه خيراً، نحن أعلم به(٣).

وقال أبو اليقظان: لما جيء برأس المختار إلى ابن الزبير؛ توجَّع ابنُ عباس وقال: قتلَ قَتَلَتَنا، وطلبَ بدمائنا، وشَفَى صدورَنا. فقال عروة بن الزبير: قُتل الكذَّاب وهذا رأسُه. فقال له ابنُ عباس قد بقيَتْ لكم عَقَبَةٌ كبيرة، إنْ صعدتُموها، وإلا فأنتم والمختار سواء. يعني عبد الملك بن مروان(٤).

ذكر مقتل المختار:

حكى الطبريّ(٥) عن هشام، عن أبي مِخْنَف، عن حبيب بن بديل(٦) قال: قدم شَبَث ابن رِبْعيّ على مصعب بن الزُّبير البصرة وتحتَه بغلة قد قطعَ ذنَبَها، وطرفَ أذنِها، وقد شقَّ قَباءَه وهو ينادي: واغَوْثاه. ودخل على مصعب ومعه وجوهُ أهل الكوفة؛ محمد بن

(١) ينظر المصدر السابق ٦/ ٤٢.

(٢) لم أقف عليه عند ابن عساكر، وهو في «أنساب الأشراف» ٦/ ٩٨، و«تفسير» الطبري١٧/ ٦٧١ من طريق آخر.

(٣) أنساب الأشراف ٦/ ٩٩.

(٤) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٩٨: قد بقيت لكم عقبة إن صعدتموها فأنتم أنتم. يعني عبد الملك وأهل الشام.

(٥) في «تاريخه» ٦/ ٩٤.

(٦) في (م): يزيد. وهو خطأ.

الأشعث وغيره، فشَكَوْا إليه ما لَقُوا من المختار، وسألوه المسير إليه معهم إلى الكوفة يستنصرون به. وكان المختار قد هدم دار ابنِ الأشعث.

قلت: وقولُ الطبريّ: إن شَبَث بن رِبْعيّ ومحمد بن الأشعث قدما على مصعب البصرة: وهمٌ[(١)]، فإنَّ مصعباً إنما وليَ البصرة في هذه السنة. ولما قدموا البصرة عامَ أوَّل كان عليها القُباع[(٢)]، وعزلَه ابنُ الزبير وولَّى أخاه مصعباً، وذلك بعد قتلِ مَنْ قتلَ المختارُ مِنْ قَتَلَةِ الحسين.

قال أبو مِخْنَف: ولما كثَّر أهلُ الكوفة على المصعب وحرَّضوه على قصد المختار، قال: لا أَسِيرُ إليه حتى يَقْدَمَ المهلَّبُ بنُ أبي صُفْرة. وكتب إلى المهلَّب، فأبطأ عليه، وكان المهلَّب يكره قتالَ المختار، فقال مصعب لابن الأشعث: سِرْ إلى المهلَّب فاستَحِثَّه. فسار ابنُ الأشعث بكتاب مصعب إلى المهلَّب، فقال له المهلَّب: أما وجدَ مصعبٌ بريداً غيرك ـ أو مثلك ـ يا محمد تأتي بريداً؟! فقال محمد: ما أنا ببريد، غير أنَّ نساءنا وأبناءنا قد غَلَبَنا عليهم عبيدُنا وموالينا.

فسار المهلَّب بجيوش عظيمة، وخرجَ مصعب من البصرة، وقدَّمَ[(٣)] بين يديه عبَّاد بن الحُصين الحَبَطيّ التميمي، وبعثَ عمرَ بنَ عُبيد الله بن معمر على ميمنته، والمهلَّب على ميسرته، ورتَّب القبائل؛ في كل قبيلة أعيانهم؛ كمالك بن مِسْمَع في بكر بن وائل، والأحنف بن قيس على بني تميم، وزياد بن عَمرو الأزدي في الأزد، وقيس بن الهيثم على أهل العالية.

وبلغ المختارَ، فقام خطيباً وقال: يا أهل الحقّ وأنصار الله، إنَّ فُرَّارَكم الذين بَغَوْا عليكم قد أَتَوْكم بأشباههم من الفاسقين، فعليكم بالصبر والثبات. وذكر كلاماً في هذا المعنى.

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ): وهو وهم. والمثبت من (ص)، وهذه الفقرة ليست في (م).

(٢) هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة. وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٩٣ .

(٣) لفظ: «مصعب من البصرة وقدَّم» سقط من (خ).

ثم ندب المختارُ أحمرَ بنَ شُميط، فخرج فعسكرَ بحمَّام أعين في جيش كثيف، وبعث على مقدِّمته أبا كامل[١] الشاكري، وسار حتى نزل المذار[٢]، وجاء المصعب، فعسكر قريباً منه، وجاء أحمر فنزل في عسكره، وجعل في ميمنته عبد الله بنَ كامل، وعلى ميسرته عبدَ الله بنَ وَهْب الجُشَمي، وعلى الخيل وزير بن عَبْد[٣] السَّلُولي، وعلى الرَّجَّالة بشر[٤] بن إسماعيل الكندي، وجعل أبا عمرة على الموالي.

وتزاحفا، فقال عبَّاد بنُ الحُصين ـ وكان على مقدِّمة مصعب ـ وقد دنا من أحمر بن شُميط وأصحابه: يا قوم، إنَّا ندعوكم إلى [كتاب الله، وسنَّةِ رسولِه، وبيعةِ أمير المؤمنين عبد الله بنِ الزُّبير. وقال أحمر: ونحن ندعوكم إلى][٥] كتاب الله، وسنَّةِ رسوله، وبيعةِ المختار، وأن يكون هذا الأمرُ شورى في آل الرسول، فإن خالَفَنا أحدٌ جاهَدْناه. فأخبر عبَّادٌ المصعبَ، فقال: القتال.

فالتقَوْا فاقتتلوا، وصبرَ أهلُ الكوفة، وقُتل ابن شُميط والأعيان، وعاد باقي الجيش إلى الكوفة مفلولين.

وجاء مصعب، فقطع دجلة من تلقاء واسط القصب ـ ولم تك واسط هذه بُنيت بعد ـ ثم حملَ الأثقال[٦] والضعفاء في نهر يقال له: نهر خُرْشاذ، ثم خرجوا منه إلى نهر قُوسان، ثم خرجوا منه إلى الفرات.

وجاء الخبر إلى المختار وعنده عبد الرحمن بن أبي عُمير الثقفي فقال له[٧]: قُتلت واللهِ العبيدُ قِتْلةً ما سُمع بمثلها قطّ، وقُتل ابنُ شميط وابنُ كامل وفلان وفلان.

---

(١) كذا في النسخ الخطية و«البداية والنهاية» ١٢/ ٦٠ . وفي «تاريخ» الطبري ٦/ ٩٦ : ابن كامل. وهو عبد الله ابن كامل.

(٢) قال ياقوت: المذار في مَيْسان بين واسط والبصرة، وهي قصبة مَيْسان، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام. «معجم البلدان» ٥/ ٨٨ .

(٣) كذا في (أ) و(ب) و(خ) و(ص). وفي (م) و«البداية والنهاية» ١٢/ ٦٠ : بن عبد الله. وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٨٤ و«تاريخ» الطبري ٦/ ٩٦ : رزين بن عبد.

(٤) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٨٤ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٩٦ : كثير.

(٥) ما بين حاصرتين من (ص) و(م)، وقد سقط من النسخ الأخرى، وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٩٦ .

(٦) في (م): الأموال.

(٧) في (م): فقال له عبد الرحمن. وهو خطأ.

ثم قال: ما من الموت بُدٌّ، وما من موتة أموتُها أحبَّ إليَّ من موتة ابن شميط، حبذا مَصارعُ الكرام!

قال: فعلمتُ أنه إن لم يُصب حاجتَه مقتول.

[ولما بلغ المختار أنهم قد أقبلوا في السفن](١) والظَّهر؛ خرج، فسار إلى مجتمع الأنهار - نهر السَّيْلَحين، ونهر الحِيرَة، ونهر القادسية - فسَكَرَ الفرات على مجتمع الأنهار، فذهب ماءُ الفرات كلُّه في هذه الأنهار، وبقيت سفن القوم في الطين، فخرجوا منها يمشون، وجاء المختار فحالَ بينهم وبين الكوفة، وقد كان حَصَّنَ القصر.

ونزل المختار بحَرُورَاء، واستعمل على الكوفة عبدَ الله بنَ شدَّاد، وجعلَ المختارُ على ميمنته سُليم بن زيد(٢) الكندي، وعلى ميسرته سعد(٣) بن منقذ الهَمْداني، وبعث على الخيل عُمر بن عبد الله(٤) النَّهدي، وعلى الرَّجَّالة مالك بن عَمرو النَّهدي.

وجعل مصعب على ميمنته المهلَّب، وعلى الميسرة عُمر بنَ عُبيد الله بن معمر التَّيْميّ، وعلى الخيل عبَّاد بن الحُصين، وعلى الرَّجَّالة مقاتل بن مِسْمَع البكريّ، ونزل مصعب يمشي متنكِّباً قوساً له، وجعلَ على أهل الكوفة محمد بنَ الأشعث، وجاء محمد فنزلَ بين المختار ومصعب(٥).

وجهَّز المختار إلى كلِّ قبيلة من القوم كُرْدُوساً(٦)، فبعث إلى بكر بن وائل سعيدَ بنَ منقذ، وإلى عبد القيس مالك بن المنذر(٧)، وإلى أهل العالية عبدَ الله بنَ جَعْدة، وإلى الأزد مسافرَ بنَ سعيد بن نمران الناعطي، وإلى بني تميم سُليمَ بنَ يزيدَ الكِنْديّ، وبعث إلى محمد بن الأشعث السائبَ بنَ مالك الأشعريَّ، ووقفَ هو في بقية أصحابه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ص) و(م). وينظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٩٩.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٩٩: يزيد، وسيرد كذلك.

(٣) في المصدر السابق: سعيد.

(٤) في (ص): عبيد الله.

(٥) تاريخ الطبري ٦/ ٩٨-٩٩، وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٨٩-٩٠.

(٦) الكُردوس: الكتيبة، أو القطعة العظيمة من الخيل. «معجم متن اللغة».

(٧) كذا وقع في النسخ، وهو وهم من المختصِر غالباً. والصواب: عبد الرحمن بن شُريح، كما في المصدرين السابقين واللفظُ فيهما: وبعثَ إلى عبد القيس - وعليهم مالك بنُ المنذر - عبدَ الرحمن بنَ شُريح.....

واقتتلُوا أشدَّ قتال إلى الليل، فقُتل عامةُ أصحاب المختار، وقُتل محمد بن الأشعث في تلك الليلة، وتفرَّق عن المختار أصحابُه، فقيل له: أيُّها الأمير، القصرَ القصرَ، فقال: واللهِ ما خرجتُ منه وأنا أريدُ أن أعودَ إليه، ولكن هذا حكم الله. وسار إلى القصر فدخله.

وجاء مصعب، ففرَّقَ القبائل في الجَبَابِين(١)، ومنع المختارَ المادَّةَ والماء، فكان يشربُ هو وأصحابُه الماء من البئر.

ثم قال مصعب: اِقْرَبُوا من القصر، فقَرُبُوا واقتسموا المحالّ، وكان المختار يخرجُ فيقاتلُهم.

واشتدَّ عليهم الحِصار، وانقطعت عنهم المادَّة، فقال المختار لأصحابه: إنَّ الحِصارَ لا يَزِيدُنا إلا ضعفاً، فانْزِلُوا بنا فلنقاتل حتى نُقتلَ كراماً إنْ متنا(٢)، وواللهِ ما أنا بآيس ـ إنْ أنتُم صدقتموهم ـ أن ينصرَكم الله.

قال: فضعُفوا ووَهَنُوا، فقال [المختار]: أمَّا أنا، فواللهِ لا أُعطي بيدي. فأرسلَ إلى امرأته أمِّ ثابت بنت سَمُرة بن جندب الفزاري، فأرسلَتْ إليه بطيب كثير، فاغتسلَ وتطيَّبَ وتحنَّط، ثم خرج في تسعةَ عشرَ رجلاً، فيهم السائب بن مالك الأشعري ـ وكان خليفتَه على الكوفة إذا خرج عنهاـ فقال المختار للسائب: إنما أنا رجلٌ من العرب، رأيتُ ابنَ الزبير قد انْتَزَى على الحجاز، ونجدةَ الحروريَّ على اليمامة، ومروانَ على الشام، فلم أكن دون أحد منهم، فأخذتُ هذه البلادَ، فكنتُ كأحدهم إلا أنّني طلبتُ بثأر أهل بيتِ رسولِ الله ﷺ، وقتلتُ قَتَلَتَهم، ومن شَرِكَ في دمائهم، وبالغتُ في ذلك إلى يومي هذا. ثم حملَ على القوم فضاربهم بسيفه [حتى قُتل](٣).

---

(١) جمع جَبَّانة، وهي: جَبَّانة السَّبِيع، وجَبَّانة كِنْدة، وجَبَّانة مُراد... ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٩١ـ٩٢، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٠٤ـ١٠٥ .

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٠٦ : إنْ نحن قُتلنا.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٠٧ وما بين حاصرتين منه. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٩٢ـ٩٣ .

وكان قد قال المختار لأصحابه في القصر: إن نزلتُم على حكمهم قتلوكم بما لَهم عندكم من الثأر، فاخرجوا معي فموتوا كراماً. فتأخَّرُوا عنه ونزلوا على الحكم، فقُتلوا وذُبحوا كالغنم[١].

وقال الهيثم: خرج المختار فنادى: يا ابن الزُّبير، يا عدوَّ الله وعدوَّ رسولِه وأهلِ بيته، تُعِينُ قَتَلَتَهُمْ وتقتلُ مَنْ أخذَ لهم بالثأر، يا أخا المُحِلّ، واللهِ لتُقتلَنَّ شَرَّ قِتْلَة. فحملُوا عليه بأجمعهم فقتلُوه.

وقال أبو مِخْنَف: قتلَه رجلان من بني حنيفة أخوان، أحدهما يُدعى طَرَفة، والآخر طرَّافاً[٢] عند موضع الزيَّاتين اليوم.

وقَتَلَ المصعبُ جميعَ من كان في القصر، ومن كان من أصحاب المختار، وجاؤوا برأس المختار إلى مصعب وهو في القصر، فوضعوه بين يديه ورؤوسَ أصحابه، فقال بعض الحاضرين: كأني ـ واللهِ ـ برأس مصعب موضع هذا الرأس، ورؤوسِ أصحابه موضع رؤوسِ أصحابه، فكان كما قال.

وقيل: قتلَ المختارَ مولًى لبني عُطارد اسمه محمد بن عبد الرحمن[٣].

وقال أبو مِخْنَف: ثم إن المصعب أمرَ بقطع كفّ المختار، فقُطعت، ثم سُمرت بمسمار في حائط المسجد، فلم يزل كذلك حتى قدم الحجاج بنُ يوسف الكوفةَ، فقال: ما هذه؟ قالوا: كفُّ المختار [فأمر بنزعها ودفنها[٤].

وقال الواقدي: قُتل المختار] وهو ابنُ تسع[٥] وستين سنة لأربع عشرة ليلةً خلت من رمضان[٦].

---

(١) ينظر المصدران السابقان.

(٢) في النسخ الخطية: طوافاً. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٠٨ ، وهو كذلك في «البداية والنهاية» ١٢/ ٦٢ ، و«الكامل» ٤/ ٢٧٣ . وجاء في «أنساب الأشراف» ٦/ ٩٣ : «قتله أخوان من عَنَزَة يقال لهما: طَرَفة وطُريفة» وفيه أيضاً عن أبي اليقظان: «قتله فيما تقول ربيعة: طرَّاف بن يزيد الحنفي».

(٣) أنساب الأشراف ٦/ ٩٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ١١٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٩٦ .

(٥) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١١٦ : سبع. والكلام السالف بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٦) ينظر المصدر السابق، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٩٦ .

وقال أبو مِخْنَف: قَتَلَ مصعبُ بنُ الزبير مع المختار سبعة آلاف أو ستة آلاف، فلما قدم مصعبٌ مكة التقاه عبد الله بن عمر[(١)]، فسلَّم عليه، فلم يردَّ عبدُ الله، فقال: أنا ابنُ أخيك مصعب. فقال: أنتَ الذي قتلتَ سبعة آلاف من أهل القبلة - أو ستة آلاف - يعترفون لله بالوحدانية على دمٍ واحد؟! فقال: كانوا سَحَرةً أو كَفَرة[(٢)]. فقال له ابنُ عمر: واللهِ لو كانوا غَنَماً من تراث أبيك الزُّبير لقد أتيتَ أمراً عظيماً، ولكان سَرَفاً.

وقال أبو مِخْنَف: وبعث مصعب عمالَه على السَّواد والجبال، وكتب إلى ابن الأشتر وهو بالجزيرة يدعوه إلى طاعته ويقول: لك الجزيرة والشام والمغرب، وكتب إليه عبدُ الملك يقول له: لك العراق. فاختار طاعةَ المصعب، فسار إليه. وقد ذكرناه[(٣)].

وكان ابنُ الأشتر قد انحرفَ عن المختار، وأقام بالجزيرة حتى قُتل [المختار كما ذكرنا].

وليس للمختار رواية حديث، ولا صحبة.

وفيها قُتل

ناتلُ بنُ قيس بن زيد الجُذامي

وناتل: بنون، وتاء منقوطة بنقطتين من فوق، ولام.

وفد أبوه قيس على رسول الله ﷺ.

وكان ناتل سيِّد جُذام، وهو من أهل فلسطين، شهد صفِّين مع معاوية، وكان فيها على لَخْم وجُذام.

وهو الذي وثب على فلسطين، [وأخرج منها حسان بن مالك بن بَحْدَل. وقد ذكرناه. وكان مع ابن الزُّبير.

---

(١) المثبت من (م)، وفي النسخ الأخرى: الزبير، وهو خطأ. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٩٨، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١١٣. وليس فيهما قوله (الآتي): فلم يردّ عبد الله.

(٢) في المصدرين السابقين: سحرة كفرة.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١١١. وينظر ما سلف ص٤٠٤.

ثم إنه وثبَ مرَّة ثانية على فلسطين] فهمَّ عبد الملك بن مروان بالخروج إليه، فمنعه أصحابُه وقالوا: أنت سائر إلى العراق لقتال مصعب. فأرسلَ إليه عَمرو بنَ سعيد الأشدق، فقتلَه عَمرو[١].

انتهت ترجمته، والله أعلم.

السنة الثامنة والستون

فيها رجعت الأزارقة من فارس إلى العراق ودخلوا المدائن.

وكان السبب في ذلك ما رواه أبو مِخْنَف ـ وقد ذكره هشام بن محمد ـ قال:

بعث مصعب بن الزُّبير عُمرَ بنَ عُبيد الله بن معمر عاملاً على فارس، وكانت الأزارقة قد لحقت بكِرْمان ونواحي أصبهان وفارس بعد ما أوقع بهم المهلَّب بالأهواز، وكان رئيسُهم الزُّبير بن الماحوز، فالتَقَوْا بعُمر بن عُبيد الله بن معمر، فاقتتلوا، ولم يكن بينهم كثير قتلى، وانصرفوا على حامية.

وتبعهم عُمر بن عُبيد الله، فنزلوا إصطخر، فسار إليهم، فلقيَهم على قنطرة طَمَسْتَان[٢] [فقاتلهم قتالاً شديداً، وقُتل ابنُه. ثم إنه ظفر بهم، فقطعوا قنطرة طَمَسْتَان] وارتفعوا إلى نحو أصبهان وكِرْمان، وأقاموا [بها] حتى قَوُوا واستعدُّوا. ثم ساروا على سابور، وخرجوا على أَرَّجان[٣].

فخاف ابنُ معمر على البصرة منهم، فسار في آثارهم وقد توجَّهوا نحو الأهواز. وبلغ مصعباً إقبالُهم، وكانوا قد سلكُوا أرضَ فارس من غير الطريق[٤]، ولم يعلم بهم ابنُ معمر، ثم علم، فتبعَهم.

وظنَّ مصعب أنَّهم قد مرُّوا على ابن معمر، وقصَّرَ في لقائهم، فعتب عليه، وخرجَ من البصرة، فعسكر بالجسر.

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٨٦-٤٨٨ (مصورة دار البشير). وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٢) المثبت من (م). وهو الصواب. وفي النسخ الأخرى: طمسان. وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ١٢٠ .

(٣) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ١١٩-١٢٠ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) عبارة الطبري: فقطعوا أرض ابن معمر (وهي بفارس) من غير الوجه الذي كان فيه أخذوا على سابور.

وبلغ الزبيرَ بنَ الماحوز[1]، فقال لأصحابه لا تقعوا بنا بين هذين الغارَيْن[2]، انهضوا بنا إلى مكان آخر. فساروا حتى قطعوا أرض جُوخَى، وأتَوْا المدائن وفيها كَرْدَم ابن مَرْثَد الفَزَاري، فشَنُّوا الغارةَ على أهل المدائن، فقتلوا الرجال والنساء والولدان، وبقروا بطون الحُبالَى، وهربَ كَرْدَم، وأقبلوا إلى ساباط، فقتلُوا الرجال والنساء والولدان، وكان هناك بنانةُ بنت أبي يزيد بن عاصم الأزدي، وكانت قد قرأت القرآن، وكانت من أجمل النساء، فلما غَشُوها بالسيوف قالت: ويحكم! هل سمعتُم بأنَّ الرجال يقتلون النساء؟! فقال بعضهم: لا تقتلوها. فقالوا له: كفرتَ يا عدوَّ الله، أعجبك جمالها؟! ثم قتلوها وغيرَها، وأتَوْا الكوفة وعليها القُباع[3]، فلم يظفروا منها بشيء، ثم عادوا إلى أرض أصبهان وكرمان[4].

ذكر من حجَّ بالناس في هذه السنة:

قال علماء السير: وقف في هذه السنة ـ وهي سنة ثمان وستين ـ بعرفة أربعة ألوية: لواء لمحمد بن الحنفية عند جبل المشاة وتحتَه محمد في أصحابه، ولواء لابن الزبير قائم مقام الإمام اليوم، وتقدَّم ابنُ الحنفيَّة حتى صار بإزاء ابنِ الزُّبير، ولواء لنجدة الحروري خلفَهما، ولواء لبني أميَّة عن يسارهما، فكان أوَّلَ مَنْ دفع لواءُ ابنِ الحنفيَّة، ثم تبعه لواء نَجْدة، ثم لواء بني أمية، ثم لواء ابنِ الزبير، وتبعه الناس[5].

وكان عبد الله بن عُمر واقفاً تلك العشيَّة ينتظر لواء ابنِ الزُّبير وقد تقدَّمت الألوية، فقال ابنُ عُمر: ما ينتظر ابنُ الزبير؟ أيعتمدُ أفعالَ الجاهلية؟! ثم دفع، فدفعَ ابنُ الزُّبير بعده[6].

قال علماء السير: وما وقفَ على قوم تحت لواءٍ إلا خوفاً من الفتنة؛ فابنُ الحنفيَّة كان يخاف ابنَ الزُّبير، وابنُ الزُّبير يخافُ شيعةَ بني أمية، ونَجْدَةُ يخاف من الجميع،

(١) في (م): الماحون، وفي (أ) و(ب) و(خ): جوين، وفي (ص): حوير. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٢٠.
(٢) أي: الجيشَيْن. والغار: الجمع الكثير من الناس، والجيش.
(٣) هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة.
(٤) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ١٢٠ـ١٢٢
(٥) تاريخ الطبري ٦/ ١٣٨.
(٦) المصدر السابق.

وكان كلُّ فريق يقول: نحن ما نُقاتل أحداً، ولا نُفسد على الناس حجَّهم، ولا نمنع أحداً من البيت، وإنَّما ندفع عن نفوسنا. وكان ابنُ الحنفيَّة أسكن من الجميع وأثبت(١).

وكان العاملَ في هذه السنة على المدينة جابرُ بنُ الأسود الزُّهري من قِبَل ابن الزبير، وعلى البصرة والكوفة مصعب بن الزُّبير، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبيرة، وعلى قضاء الكوفة عبدُ الله بن عُتْبة بن مسعود، وعلى خُراسان عبدُ الله بنُ خازم السُّلَميّ، وعلى الشام ومصر عبدُ الملك بنُ مروان(٢).

وفيها توفّي

البراء بنُ عازب

ابن الحارث بن عديّ بن جُشَم الأنصاريّ، أبو عُمارة، من الطبقة الثالثة، من الخزرج

[قال ابن سعد: وأمُّه حَبيبة بنت أبي حَبيبة بن الحُباب(٣).

قال: وكان عازب قد أسلم أيضاً، وأمُّه من بني سُليم بن منصور، وكان له أولاد: البراء، وعُبيد، وأمُّ عبد الله؛ بايَعَتْ، وأمُّهم جميعاً حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحُباب(٤). وقيل: أمُّ خالد بنت ثابت بن سنان بن خُدْرة(٥).

قال: ولم يُسمع لعازب بذكر في شيء من المغازي، وقد سمعنا بحديثه في الرَّحْل الذي اشتراه منه أبو بكر رضي الله عنه. وقد ذكرناه في الهجرة.

قال:](٦) لم يشهد [البراء] بدراً لأنه كان صغيراً(٧).

---

(١) بنحوه في المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ١٣٩ .

(٣) بعدها في (ص) (والكلام منها): وكنيتُه أبو عُمارة، ولم أكتبها لأنها سلفت، ولم ترد في (ص) ثمة وستتكرر الترجمة بأخصر منها في أحداث سنة (٧٠).

(٤) في (ص) (والكلام منها): الحارث، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٥/ ٢٨٢_٢٨٣ .

(٥) في (ص): خدارة. والمثبت من «الطبقات».

(٦) المصدر السابق. وأخرج فيه ابن سعد خبر شراء الرَّحْل مطوَّلاً. والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٥ ، وزدتُ لفظة «البراء» بين حاصرتين من عندي للإيضاح.

قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة، وأجازني في الخندق وأنا ابنُ خمسَ عشرةَ سنة.

[وفي رواية: غزوت معه خمس عشرة غزوة، ولم يُجزني في غير الخندق][(١)].

ونزل الكوفةَ، وتوفي بها في هذه السنة[(٢)].

وأسندَ عن رسول الله ﷺ ثلاث مئة حديث وخمسة أحاديث، [أُخرج له في «الصحيحين» ثلاثة وأربعون حديثاً؛ اتفقا على اثنين وعشرين حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة عشر، ومسلم بستة[(٣)].

وأخرج له الإمام أحمد في «المسند» ثلاثة وستين حديثاً، منها متفق عليه، ومنها أفراد[(٤)].

وليس في الصحابة من اسمه البراء بن عازب غيره. وأما غير ابن عازب؛ فخمسة: البراء بن أوس بن خالد، له صحبة ورواية، والبراء بن مالك بن النَّضْر، أخو أنس بن مالك، له صحبة ورواية. والبراء بن الجعد بن عوف[(٥)]، له رواية، والبراء بن عمرو بن عبيد[(٦)]، له رواية][(٧)].

---

(١) الكلام بين حاصرتين من (ص). وعلى افتراض صحة اللفظ، فالمراد أنه لم يُجِزْ قبل الخندق، كما في «الطبقات» ٥/ ٢٨٦.

(٢) وأرَّخ ابن حبَّان وفاته في «الثقات» ٣/ ٢٦ سنة اثنتين وسبعين، وفي «مشاهير علماء الأمصار» ص ٢٧٢ سنة إحدى وسبعين. وستتكرر الترجمة مختصرة ثمة.

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٦٤ و٣٨٨-٣٨٩.

(٤) ينظر «مسند» أحمد (١٨٤٦٨) - (١٨٧١٢).

(٥) في (ص) (والكلام منها): عون. والمثبت من «تلقيح فهوم الأثر» ص ١٦٦، و«الإصابة» ١/ ٢٩٦ وقد أورده ابن حجر فيه في القسم الرابع من حرف الباء، وذكر أنه هو البراءُ بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف المذكور قبل. قال: فكأنه نُسب إلى جدّه.

(٦) في «التلقيح» ص ١٦٧ : البراء بن عُبيد بن عمرو بن عُبيد، وفي «الإصابة» ١/ ٢٣٥ : البراء بن عبد عمرو ابن عبد الرحمن بن عُبيد.

(٧) لم يذكر الخامس، وهو البراء بن معرور بن صخر الأنصاري، وذكره صاحب «التلقيح» ص ١٦٧ . وقد زاد ابن حجر في «الإصابة» ١/ ٢٣٤-٢٣٥ : البراء بن حزم، والبراء بن مالك (آخر).
ومن قوله: أخرج له في «الصحيحين»... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (ص).

وكان له من الولد: يزيد، وعُبيد، ويونس، وعازب، ويحيى، وأمُّ عبد الله[١].

وأضرَّ البراء في آخر عُمُره.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه[٢]: حدَّثنا ابن نُمير، حدثنا أجلح، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن مسلمَيْنِ يلتقيان، فيتصافحان، إلا غُفر لهما قبل أن يتفرَّقا».

وفيها توفي

أبو واقد الليثي

[واختلفوا في اسمه، فحكى ابنُ سعد عن الواقديّ: أنه الحارث بن مالك بن أسد، وقيل: الحارث بن عوف، ويقال: عوف بن الحارث، من بني ليث، وذكره ابن سعد] في الطبقة الثالثة من المهاجرين[٣].

أسلم قديماً، [وكان يحملُ لواء بني ليث وضمرة وسعد بن بكر يوم الفتح].

وقال البخاري: شهد بدراً مع رسول الله ﷺ[٤].

[قلت: ولم يذكره فيمن شهدوا غير البخاري[٥]، والأصحّ أنه ما شهدها.

وذكره جدِّي في «جامع المسانيد» بقاف في واقد. وقيل: بالفاء، والأول أصحّ.

قال ابن إسحاق عنه: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، فوقعَ رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفتُ أنه قتله غيري.

قال أبو القاسم بن عساكر[٦]: هذه الرواية غير محفوظة، في إسنادها مجاهيل، وإنما كان ذلك يوم اليرموك.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٢.

(٢) مسند أحمد (١٨٥٤٧).

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ١٢٠.

(٤) التاريخ الكبير ٢/ ٢٥٨، ولم يذكر ذلك البخاري في «التاريخ الصغير» بل قال فيه ١/ ٩٧: شهد صفّين مع علي رضي الله عنه.

(٥) وذكر ذلك أيضاً أبو أحمد الحاكم فيما قاله الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٥٧٥، وابنُ حبَّان في «مشاهير علماء الأمصار» ص٢٥، وذكر ذلك ابنُ عبد البر بصيغة التضعيف في «الاستيعاب» ص٨٦٥.

(٦) في «تاريخ دمشق» ١٩/ ١٩٧ (مصورة دار البشير).

قال ابن عساكر: وقد قال الزُّهري: إنه أسلم يوم الفتح.

وقيل: إنه وُلد في العام الذي وُلد فيه ابنُ عبَّاس].

وشهد اليرموك والجابية مع عمر؛ [قال: ورأيتُ الرجلَ يومَ اليرموك يسقطُ فيموت][(١)].

وهو الذي رُوي عنه أنه كان مع عمر رضي الله عنه بالجابية، فجاء رجل فقال: إن عبديَ زَنَى بامرأتي، وهي معترفة. قال: فقال لي: اذْهَبْ في نفر، فَسَلْ امرأة هذا. قال: فجئتُ إلى باب خبائه، وإذا بجارية حديثة السِّنِّ، فأخبرتُها بما قال زوجُها، وقلت: إن كنتِ لم تفعلي فلابأس عليكِ. فصمتت ساعة ثم قالت: واللهِ لا أجمعُ بين الفاحشةِ والكذب. ثم اعترفت، فرجمها عمر بالجابية.

وقال أبو واقد: تابعنا الأعمال، فلم نجد شيئاً أبلغَ في طلب الآخرة من الزُّهد في الدنيا[(٢)].

[ذكر وفاته:

حكى ابن سعد عن الواقدي قال:]

مات أبو واقد بفَخّ؛ بمكة[(٣)]، سنة ثمان وستين وهو ابنُ ثمانٍ وثمانين سنة، أو خمسٍ وثمانين. وقيل: ابن سبعين[(٤)]. ودفن بمقبرة المهاجرين. [قال:] وإنَّما سمِّيت مقبرةَ المهاجرين؛ لأنَ كلَّ من هاجر إلى المدينة ثم جاء حاجَّاً أو معتمراً، فمات بمكة؛ دفن بها[(٥)].

---

(١) كلُّ ما سلف بين حاصرتين من أول الترجمة، من (ص) وبعضه في (م). وينظر «تاريخ دمشق» ١٩/ ١٩٢ و١٩٧ (مصورة دار البشير).

(٢) تاريخ دمشق ١٩/ ١٩٧ .

(٣) فَخّ: وادٍ بمكة. ولم تجوَّد اللفظة في النسخ، والمثبت من «الطبقات» ٥/ ١٢١ . وينظر «معجم البلدان» ٤/ ٢٣٧ـ٢٣٨ .

(٤) في (ص): تسعين.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ١٢١ .

[وفيها دُفن عبد الله بن عُمر، وغيره][1].

وأسند الحديث عن رسول الله ﷺ، [أخرج له الإمام أحمد في «المسند» سبعة أحاديث، منها اثنان في الصحيح، أحدهما متفق عليه، والثاني لمسلم.

وقال الإمام أحمد بإسناده عن عُبيد الله بن عَبْد الله][2] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثيَّ: ما كان يقرأ رسولُ الله ﷺ في العيد؟ فقال: بـ«ق» و«اقتربت». انفرد بإخراجه مسلم.

وروى أبو واقد عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وروى عنه ابنُ المسيب، وعُروة بنُ الزبير، وعطاء بنُ يسار.

وقيل: إن أبا سعيد الخُدري روى عنه.

وروى عنه عمر رضي الله عنه هذا الحديث.

[وليس في الصحابة من كنيتُه أبو واقد غيره، وغير أبي واقد مولى رسول الله ﷺ][3].

أبو شُريح خُويلد بن عَمرو[4]

الخُزاعي الكعبي، من الطبقة الثالثة من المهاجرين.

أسلم قبل الفتح، وكان حامل لواء بني كعب بن خُزاعة يوم الفتح[5]، ومات بالمدينة في هذه السنة[6].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) مسند أحمد (٢١٨٩٦)، ومن قوله: أخرج له أحمد... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص) (م) ووقع بدله في (أ) و(ب) و(خ) قوله: ومن مسانيده...

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ص٢٨٢ . وما بين حاصرتين من (ص).

(٤) في (أ) و(ب) و(خ) و(م): عُمر، وهو خطأ.

(٥) في (ص): وكان يحمل لواء خزاعة يوم الفتح، وكان لهم ثلاثة ألوية، فكان يحمل أحدها، وهو لواء بني كعب بن خزاعة. وعبارة «الطبقات» ٥/ ١٩٩ : وكان يحمل أحد ألوية بني كعب من خزاعة الثلاثة يوم فتح مكة.

(٦) طبقات ابن سعد ٥/ ١٩٩ .

وأسند عن النبيِّ ﷺ [أحاديث. وأخرج له الإمام أحمد في «المسند» ستة أحاديث[١]، منها ثلاثة في «الصحيحين»؛ اتفقا على اثنين، وانفرد البخاري بحديث.

وقال الإمام أحمد بإسناده عن سعيد المقبريّ، عن أبي شُريح الكعبيّ قال: قال رسول الله ﷺ]: «واللهِ لا يؤمن بالله»[٢]. قالها ثلاثاً. قالوا: ومَنْ ذاك يا رسول الله؟ قال: «الجارُ لا يأمنُ جارُه بوائقَه». قالوا: وما بوائقُه؟ قال: «شرُّه». انفرد بإخراجه البخاري[٣].

[وليس في الصحابة مَن كنيتُه أبو شُريح سوى اثنين. أحدهما هذا، والثاني: أبو شُريح الحارثي، واسمه هانىء بن يزيد بن نَهِيك، له رؤية][٤].

زيد بن أرقم

ابن زيد بن قيس بن النُّعمان الأنصاري، من الطبقة الثالثة من الخزرج[٥].

[وقال ابن سعد:][٦] واستصغره رسول الله ﷺ يوم أُحُد، فردَّه [فيمن ردَّهم: زيد ابن أرقم، وعبد الله ابن عُمر، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، وسعد بن حبنة - وحبنة أمه، وهو جدّ أبي يوسف القاضي، وسنذكره - وزيد[٧] بن جارية - بجيم - وجابر بن عبد الله، وليس بالذي يُروى عنه الحديث.

---

(١) ينظر مسند أحمد (١٦٣٧٠) - (١٦٣٧٨).

(٢) في «المسند» (١٦٣٧٢): «واللهِ لا يؤمن». دون لفظة: بالله. ولعل إيرادها سبق قلم من المختصر، فلم ترد أيضاً في لفظ البخاري كما سيرد. والكلام السالف بين حاصرتين من (ص)، وبعضه في (م).

(٣) صحيح البخاري (٦٠١٦). ولفظه مثلُ لفظ أحمد دون قوله آخره: قالوا: وما بوائقه؟ قال: شرّه.

(٤) ينظر «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٢٧٦ . وهذا الكلام بين حاصرتين من (ص).

(٥) بعدها في (ص): «قال ابن سعد: وقيل أبو أنيس (كذا) أو أنيسة، وقيل: أبو عامر، أو أبو عمرو». والكلام ليس في «طبقات» ابن سعد. وذكر ابن عساكر في «تاريخه» ٦/ ٥٣٤ (مصورة دار البشير) كناه، وليس فيها «أبو أنيس».

(٦) ما بين حاصرتين من (ص)، والخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦/ ٥٣٨ (مصورة دار البشير) من طريق ابن سعد، وليس في «الطبقات».

(٧) في (ص) (والكلام منها): سعد، بدل: زيد. وهو خطأ.

وقال ابن سعد:] وغزا زيد مع النبي ﷺ سبع عشرة غزاة، أوّلها المريسيع. [وقيل: تسع عشرة][١].

وهو الذي سمع عبد الله بن أُبيّ المنافق يقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلّ. [وقد ذكرنا القصة] في غزاة المُرَيْسِيع.

[وقال الواقدي:] نزل زيد الكوفة، وبنى بها داراً في كِنْدة، وتوفي بها في هذه السنة[٢].

وكان له من الولد: قيس، وسُويد؛ أمُّهما هند بنت يزيد من كِنْدة، وقد انقرض نسلُه.

أسند زيد الحديث عن رسول الله ﷺ [قال ابن البرقي: أسندَ سبعين حديثاً، أُخرج له في «الصحيحين» اثنا عشر، اتفقا على أربعة، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بستة[٣].

وأخرج له الإمام أحمد سبعة وعشرين حديثاً[٤]، منها حديث: «من كنتُ مولاه، فعليّ مولاه»[٥]، وحديث: «سُدُّوا الأبواب كلَّها إلا بابَ عليّ»[٦]. وقد ذكرناه، ومنها حديث العيد والجمعة][٧].

ومن مسانيده: قال الإمام أحمد ﷺ: حدَّثنا عبد الرحمن، حدثنا إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن إياس بن أبي رَمْلَة الشاميّ قال: سأل معاويةُ زيدَ بنَ أرقم: هَلْ شهدتَ مع رسول الله ﷺ عِيدَيْنِ اجتمعا في يوم واحد؟ قال: نعم، صلى العيد أوَّلَ النهار، ثم رخَّصَ في الجمعة وقال: «من شاء أن يُجَمِّعَ فليُجَمِّع»[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٥٧ . وينظر «مسند» أحمد: (١٩٢٨٢) و(١٩٣٣٥) و(١٩٣٣٩).

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٥٣٦ و٥٣٧ (مصورة دار البشير).

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٦٥ و٣٩٢ .

(٤) ينظر «مسند» أحمد (١٩٢٦٣) ـ (١٩٣٤٨).

(٥) مسند أحمد (١٩٣٠٢) و(١٩٣٢٥) و(١٩٣٢٨).

(٦) مسند أحمد (١٩٢٨٧). قال محققوه: إسناده ضعيف، ومتنه منكر، ونقلوا عن ابن الجوزي أنه موضوع.

(٧) الكلام الواقع بين حاصرتين من (ص).

(٨) مسند أحمد (١٩٣١٨). وقوله: يُجَمِّع؛ بالتشديد، من التجميع، أي: يصلي الجمعة. قاله السندي (في حواشي المسند).

[قلت: وقال محمد رحمه الله في «الجامع الصغير» في أول باب صلاة العيدين[١]: عيدان اجتمعا في يوم واحد؛ فالأول سُنَّة، والثاني فريضة، ولا يُترك واحدٌ منهما.

وقال الإمام أحمد[٢]: إذا حضر العيد؛ سقط عنه فرض الجمعة. وحكاه عن عمر، وعثمان، وجماعة من الصحابة. واحتجَّ بحديث ابن أرقم.

وقال العلماء: لا تُغني صلاة العيد عن صلاة الجمعة؛ لقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] ولأنَّهما صلاتان مختلفتان في وقتين مختلفين، لا يدخل أحدُهما في الآخر. وأمَّا حديث زيد فخبرُ واحدٍ وردَ على مخالفة الكتاب. ويحتمل أنه كان في الابتداء، ثم نُسخ.

وقال ابن عساكر[٣]: رَوَى عن زيد: عبدُ الرحمن بنُ أبي ليلى، وأبو إسحاق السَّبِيعي، وطاوس اليماني، وأبو عَمرو الشيباني، والنَّضْر بن أنس بن مالك.

وليس في الصحابة من اسمه زيد بن أرقم غيره][٤].

عامر بن عبد الله بن عبد القيس

العنبري التميمي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، وكنيتُه أبو عبد الله، وقيل: أبو عَمرو[٥]، وكان زاهداً عابداً.

[وهو الذي نفاه عثمان بن عفان من البصرة إلى الشام لمَّا أنكر عليه، وإن معاوية أحسن إليه لما رأى من عبادته وورعه.

وقال البلاذري: عزله عثمان بن عفان من البصرة إلى المدينة[٦]، فأعظم الناس إزعاجه لما كان عليه من العبادة والزهد، فردَّه إلى البصرة. وقد ذكرنا القصة في سنة ثلاث وثلاثين.

---

(١) الجامع الصغير ص ٨٨ ـ ٨٩، ومحمد: هو ابنُ الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة.

(٢) ينظر «المغني» ٣/ ٢٤٢.

(٣) تاريخ دمشق ٦/ ٥٣٤ (مصورة دار البشير).

(٤) من قوله: قلت: وقال محمد... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (ص).

(٥) طبقات ابن سعد ٩/ ١٠٢. وينظر «أنساب الأشراف» ١١/ ٥٢٦.

(٦) كذا في (ص) و(م) (والكلام منهما) ولعلها: واستقدمه إلى المدينة. ينظر «أنساب الأشراف» ١١/ ٥٢٧.

وقال ابن سعد:][1] أدرك [عامرٌ] عمرَ بن الخطاب.

وهو من الصدر الأول، ولكنه اشتغل بالعبادة عن الرواية.

وقال ابنُ سعد عن محمد بن واسع: كان عامرُ بنُ عبد الله يأخذ عطاءه من عمر ألفين، فلا يمرُّ به سائل إلا أعطاه، ثم يأتي أهله، فيُلقيه إليهم، فيعدُّونه، فيجدونه ألفين، لم ينقص منه شيء[2].

وكان كعب الأحبار إذا رآه يقول: هذا راهب هذه الأمة[3].

وعامر من الثمانية الذين انتهى إليهم الزُّهد في الدنيا.

قال علقمة [ابن مرثد]: كان عامر يصلي، فيتمثَّل له إبليس في صورة حيَّة، فيدخل من تحت قميصه فيخرج من جيبه، فما يمسُّه. فقيل له: أما تُنَحّي عنك هذه الحيَّة؟ فيقول: إني لأستحي من الله أن أخاف شيئاً غيرَه. قيل له: فإن الجنَّة تُدركُ بدون هذا الذي تصنع، وإنَّ النار لتندفع بدون ذلك. فقال: واللهِ لأجتهدنَّ، فإن نجوتُ فبرحمة الله، وإن دخلتُ النار فبعد جهدي[4].

[قال:] فلما احتُضر بكى، فقيل له: أجزعت من الموت؟! فقال: لا واللهِ [ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على دنياكم الفانية] ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليالي في الشتاء[5].

وكان يقول: إلهي، في الدنيا الهموم والأحزان، وفي الآخرة الحساب والعذاب، فأين الرَّوْحُ والفَرَح؟[6]

---

(١) من قوله: وهو الذي نفاه عثمان... إلى هذا الموضع (وهو الواقع بين حاصرتين) من (ص) و(م). وينظر «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٠٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ١٠٢ . وينظر «تاريخ دمشق» ص ٣٥٦ (جزء فيه قسم من حرف العين ـ طبعة مجمع دمشق).

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ١٠٩، وتاريخ دمشق ص ٣٢٩ و٣٣٩ . وينظر «حلية الأولياء» ٢/ ٨٧ .

(٤) صفة الصفوة ٣/ ٢٠١ـ٢٠٢ .

(٥) ينظر: طبقات ابن سعد ٥/ ١١٠ـ١١١. وتاريخ دمشق ص ٣٦٨ـ٣٦٩، وصفة الصفوة ٣/ ٢٠٢ . وما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٦) صفة الصفوة ٣/ ٢٠٢ .

قال المعلَّى بن زياد: كان عامر بنُ عبد قيس قد فرض على نفسه في كل يوم ألف ركعة، فكان إذا صلَّى العصر؛ جلس وقد انتفخت قدماه [أو ساقاه] من طول القيام، فيقول: يا نفس، لهذا خلقتِ، وبه أُمرتِ، يوشكُ أن يذهبَ هذا العَناء[١]. [ثم يقول لنفسه: قومي يا مأوى كلِّ سوء، فوعزَّة ربي لأزحفنَّ بك زحوف البعير، ولئن استطعت أن لا يمسَّ الأرض من زُهمك لأفعلنَّ][٢].

وكان يتلوَّى على الفراش كما تتلوَّى الحبَّةُ على المِقْلَى[٣] ويقولُ: اللهمَّ إنَّ النارَ قد منعتني من النوم، فاغفر لي[٤].

[وروى ابنُ أبي الدنيا أنه هبط وادياً يقال له: وادي السباع، وفي الوادي سباع كثيرة، وفيه عابد يقال له: حُمَمَة، حبشي. فقاما أربعين يوماً يعبدان الله، لا يكلِّمُ واحد منهما الآخر؛ إذا جاء وقت الفريضة صلَّيا، ثم أقبلا يتطوَّعان. فقال عامر بن عبد الله بعد الأربعين: من أنت؟ فقال: حُمَمَة. فقال: لئن كنتَ حُممة الذي وُصف لي؛ لأنت أعبدُ أهل الأرض. فأخْبِرْني عن أفضل خصلة فيك. فقال: (إني لمقصِّر، و) لولا مواقيت الصلاة (تقطعُ عليَّ القيامَ والسجودَ) لأحببتُ أن أكون عمري ساجداً مفترشاً وجهي لربّي حتى ألقاه، فمن أنت؟ فقال: عامر بن عبد قيس. فقال: لئن كنتَ الذي ذُكر لي، فأنت أعبدُ الناس، فأخبرني بأفضل خصلة فيك؟ قال: إني لمقصِّر، ولكن واحدة عظمت؛ هيبةُ الله في صدري، حتى ما أخاف شيئاً غيره. قال: واكتنفته السِّباع، ووثبَ سَبُع، فوضع يده على كتفه، وعامر يقرأ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[هود: ١٠٣]. فلما رآه السَّبُع لا يكترث له؛ ذهب وتركه.

قلت: وحُمَمَة هذا من الصحابة، من الطبقة الخامسة، وقد ذكرناه في السنة الحادية والعشرين في أيام عمر رضي الله عنه][٥].

---

(١) تاريخ دمشق ص ٣٤٠، وصفة الصفوة ٣/ ٢٠٢، وما بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٢) ما بين حاصرتين من (ص) و(م)، وهو في المصدرين السابقين.

(٣) في «تاريخ دمشق» ص ٣٤٠ : الحَبُّ على القلي.

(٤) تاريخ دمشق ص ٣٤٠، وصفة الصفوة ٣/ ٢٠٢.

(٥) من قوله: وروى ابن أبي الدنيا أنه هبط وادياً... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص) و(م)، وما جاء فيهما بين قوسين عاديين فمن «تاريخ دمشق» ص ٣٤٨ (طبعة مجمع دمشق ـ جزء بدون رقم)، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٠٢. والخبر فيهما.

وكان عامر أولَ داخل إلى المسجد، وآخرَ خارج، وما رؤيَ متطوِّعاً فيه قطّ.

و[قال ابن أبي الدنيا:] قال له رجل: يا عامر، قفْ أُكلِّمْك. فقال: أَمْسِكِ الشمس.

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: الف فرس المجاهدة الركض فما يصلح لركوبه إلا فارس ميدان السباق لا يحتمل الحديث(١).

قيل: إن عامر رضي الله عنه مات في سنة تسع وستين، وقيل قبل ذلك، وقيل بعده، والله أعلم.

عبد الله بن العبَّاس بن عبد المطلب

[ابن هاشم] رضي الله عنه، ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ، وأمُّه أمُّ الفضل، وهي لُبابة الكبرى بنت الحارث بن حَزْن الهلاليَّة، وهو من الطبقة الخامسة ممَّن قُبضَ رسولُ الله ﷺ وهم أحداثُ الأسنان.

[وقد ذكرنا أنه] وُلد في الشِّعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم [منه] بيسير، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بسنتين.

و[قال مجاهد:] حنَّكه رسولُ الله ﷺ بريقه، ولم يحنِّك بريقه أحداً سواه(٢).

و[قال الواقدي:] قُبضَ رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنة(٣).

[وقال هُشيم: كان ابنَ عشر سنين. قال الواقدي: والأوَّل أصح، ألا ترى أنه قال: راهقتُ الاحتلام في حجَّة الوداع. فكيف يكونُ ابنَ عشر سنين؟!(٤). وقرأتُ المُحْكَمَ على عهد رسول الله ﷺ. يعني المُفَصَّل(٥).

(١) كذا وقع في النسخ، غير (م) ولم يتبيَّن لي الكلام. وجاء عليها في (خ): كذا.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢١.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢١، ومختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٢٩٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢١. وينظر «صحيح» البخاري (٥٠٣٥)، وفيه قول سعيد بن جبير: إن الذي تدعونه المفصَّل هو المحكم. قال ابن حجر في «فتح الباري» ٩/ ٨٤: المراد بالمُحْكَم الذي ليس فيه منسوخ.

وأخرج البخاري عن ابن عباس؛ قال[١]: قيل له: ابنَ كم كنتَ يومَ قُبضَ رسول الله ﷺ؟ قال: مات وأنا خَتِين. قال: وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: كان له ثلاث عشرة سنة][٢].

وكنيتُه أبو العبَّاس، وقيل: أبو الفضل، وقيل: أبو هاشم[٣].

ذكر صفته:

[قال ابن منده:] كان أبيضَ طُوالاً مُشرباً صُفرة، جسيماً وسيماً، صَبِيح الوجه، له وَفْرَةٌ يخضبها بالحِنَّاء وكان يصفِّر لحيته، وقيل: كان لا يغيِّر شيبه، وكان يلبس الحِبَرَة[٤]، ويتختَّم في يساره، وكان يلبس الخزّ، وكان له مِرْفَقَة[٥] من حرير، وكان يدخل الحمَّام[٦].

ذكر طرف من أخباره [ومناقبه]:

[قال علماء السِّيَر:] كان [عبد الله] يسمَّى حَبْرَ الأمَّة، والبحر؛ لغزارة علمه، وترجمان القرآن. [كذا قال ابنُ مسعود ومجاهد][٧].

ودعا له رسولُ الله ﷺ؛ [قال أحمد: حدثنا هاشم بإسناده قال: سمعتُ عُبيد الله ابن أبي يزيد يقول: قال ابن عباس: أتى النبيُّ ﷺ الخلاء، فوضعتُ له وَضوءاً، فلما

(١) ينظر «صحيح» البخاري (٦٢٩٩) (٦٣٠٠).

(٢) من قوله: وقال هشيم: كان ابن عشر سنين...، إلى هذا الموضع، وهو ما بين حاصرتين من (ص). ووقع بدلاً منه في (أ) و(ب) و(خ) قوله: «راهقت الاحتلام في حجة الوداع، وقرأتُ المحكم في عهد النبي ﷺ». والكلام ليس في (م).

(٣) في (خ): الهاشم.

(٤) الحِبَرَة: بُرْد من قطن يصنع باليمن، والجمع حِبَر، مثل عِنَبَة وعِنَب. ولم أقف على من ذكر أن ابن عباس رضي الله عنه كان يلبس الحِبَرَة.

(٥) أي: مخدَّة.

(٦) ينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٤٢-٣٤٣ وفي قوله: وكان يدخل الحمَّام، اختصار مخلّ، فلفظ الخبر عند ابن سعد: إنه لم يكن يدخل الحمَّام إلا وحدَه، ولم يكن يدخل إلا وعليه ثوب صفيق (أي: كثيف النسج) ويقول: إني لأستحي من الله أن يراني متجرداً في الحمَّام.

(٧) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٣١-٣٣٢ .

خرج قال: «من وضعَ هذا؟». قلت: أنا. أو: فقلت: ابن عباس]، فقال: «اللهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّين». [أخرجاه في «الصحيحين»[١]. وفي رواية لأحمد:] «وعَلِّمْهُ التأويل»[٢].

[وقال أبومسعود الدمشقي: ما رأينا ذكر «التأويل» في الكتابين. يعني في البخاري ومسلم.

وأخرجه البخاري، وفيه: قال: فضمَّني إلى صدره وقال: «اللهمَّ علِّمْهُ الحكمة ـ أو: الكتاب»[٣].

قال: وتوفِّي رسول الله ﷺ وقد جمعتُ المُحْكَم. قال ابنُ المسيِّب: فقلتُ له: وما المُحْكَمُ؟ قال: المُفَصَّل.

وفي «الصحيحين» عن ابن عبَّاس] قال: بتُّ عند خالتي ميمونة وعندها رسولُ الله ﷺ، فقام في الليل، فتوضَّأ، وصلَّى، فجئتُ من عن يساره، فأقامني عن يمينه [وهو حديث طويل][٤].

وأردفَه رسول الله ﷺ خلفَه وقال: «يا غلام [ـ أو: يا غُليم ـ] ألا أعلِّمُك كلماتٍ ينفعك اللهُ بهنّ؟ احفظ اللهَ يحفظك[٥]، احفظ اللهَ تَجِدْه أمامَك، تعرَّف إليه[٦] في الرَّخاء؛ يتعرَّفْ إليك[٧] في الشِّدَّة. الحديث[٨].

وقدَّمه ليلةَ المزدلفة مع ضَعَفَةِ أهلِه[٩].

---

(١) مسند أحمد (٣٠٢٢)، وصحيح البخاري (١٤٣)، وصحيح مسلم (٢٤٧٧). ولفظه عند أحمد ومسلم: «اللهمَّ فَقِّهْهُ». واللفظ أعلاه لفظ البخاري.

(٢) مسند أحمد (٢٣٩٧).

(٣) صحيح البخاري (٧٥) و(٣٧٥٦).

(٤) ينظر «صحيح» البخاري (٦٩٧) و(٦٩٨) و(٦٩٩).

(٥) في (م): تحفظ.

(٦) في (ص): إلى الله.

(٧) في (خ): يعرفك.

(٨) مسند أحمد (٢٨٠٣).

(٩) صحيح البخاري (١٦٧٨)، وصحيح مسلم (١٢٩٢): (٣٠١).

حديث نَظَرِهِ إلى جبريل عليه السلام:

قال [أحمد بإسناده عن عمَّار بن أبي عمَّار] عن عبد الله بنِ العبَّاس ﷺ [قال]: كنتُ مع أبي العبَّاس عند رسول الله ﷺ ورجل يناجيه، فكان كالمُعْرِض عن أبي. فلمَّا خرجنا قال: يا بُنيّ، ألم تَرَ إلى ابن عمِّك كالمُعرض عني؟ [قال:] فقلت: يا أبة: إنه كان عنده رجلٌ يناجيه. [قال:] ورجعنا إلى النبيِّ ﷺ، فقال له أبي: يا رسول الله، قلتُ لعبد الله كذا وكذا، فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك، فهل كان عندك أحد؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل رأيتَه يا عبد الله؟» قلت: نعم. قال: «ذاك جبريل، وهو الذي شغلني عنك»[١].

وقال ابن عباس[٢]: رأيتُ جبريل مرَّتين، ودعا لي رسولُ الله ﷺ بالحكمة مرتين. وقال: «اللهمَّ بارِكْ فيه، وانْشُرْ منه»[٣].

قال: وقال [لي] رسول الله ﷺ: «رأيتَ جبريل؟» قلت: نعم. فقال: «أما إنك ستفقدُ بصرَك». فذهب بصرُه في آخر عمره ﷺ[٤].

ذكر احترام عُمر [بن الخطاب] ﷺ له، ونحو ذلك:

[قال الزبير بن بكَّار:] كان عمر وعثمان ﷺ يدعوانِه فيستشيرانِه، فيُشير عليهما، ويُجلسانِه مع أهل بدر لفضله.

وقال [ابن سعد بإسناده عن سعيد بن جُبير، عن] ابن عباس [قال]: كان عمر يأذنُ لأهل بدر، ويأذنُ لي معهم، فقال له بعضهم: تأذنُ لهذا الفتى معنا، وفي أبنائنا مَنْ هو مثلُه! فقال عمر: إنه مَنْ قد علمتُم.

[قال:] فأَذِنَ لهم ذاتَ يوم، وأَذِنَ لي معهم، وسألهم عن معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ السورة. فقالوا: أمرَ الله تعالى رسولَه ﷺ أن يستغفر ربَّه ويتوبَ إليه إذا رأى هذه العلامة في أمَّته.

---

(١) مسند أحمد (٢٨٤٧). وكلُّ ما بين حاصرتين من (ص)، وبعضه في (م).

(٢) في (ص) و(م): وأخرج ابن سعد بمعناه عن ابن عباس قال... وهو في «طبقاته» ٦/ ٣٢٥.

(٣) الاستيعاب ص ٤٢٤، والتبيين في أنساب القرشيين ص ١٥٧، وصفة الصفوة ١/ ٧٤٧.

(٤) الاستيعاب ص ٤٢٦.

[قال:] فقال لي: ما تقولُ أنتَ يا ابنَ عباس فيها؟ [قال:] فقلت: ليس كما قالوا، ولكنَّ الله أخبر رسوله بحضور أجله. فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ فذلك علامةٌ على دُنُوّ أَجَلِك. فقال عمر: ما أعلمُ منها إلا ما قلتَ. ثم التفتَ إليهم فقال: أتلُومونني عليه بعد ما ترون؟![1]

وقال ابنُ سعد[2]: وسألَهم عن ليلة القَدْر، فقال بعضهم: هي في العشر الأواخر؛ في حادية وعشرين، وثالثة وعشرين. فقال: يا ابن عباس، ما تقول أنت؟ فقال: الله أعلم. فقال عُمر: قد علمنا أنَّ الله يعلم، وإنما نسألُك عن علمك. فقال ابن عباس: إن الله وِتْرٌ يحبُّ الوِتْر، خلق السموات سبعاً [والأرضين سبعاً] والأيام سبعاً، وجعلَ الطواف بالبيت سبعاً، وبين الصفا والمروة سبعاً، ورَمْيَ الجمار سبعاً، وخلق الإنسان من سبع، وجعل رزقَه في سبع. فقال عمر رضي الله عنه: وكيف؟ فقال: [لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾]. فذكر السبعة أشياء، ثم قال: ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا﴾ الآية. إلى قوله: ﴿وَفَٰكِهَةٗ﴾ فهذه سبعة ﴿وأباً﴾ وهو علف البهائم، فكذا ليلةُ القَدْر؛ في السابعة والعشرين من رمضان[3]. فقال له عمر رضوان الله عليه: أحسنتَ وأصبتَ. [هذه رواية ابن سعد].

وقال ابن عباس[4]: سورة القدر تسعة أحرف، فإذا كرّرت [ثلاثاً] كانت سبعةً وعشرين حرفاً.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٧-٣٢٨ وما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م). والحديث بنحوه في «صحيح» البخاري (٤٩٧٠).

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٨ .

(٣) كذا في النسخ، وقد نُسب الخبر فيها إلى ابن سعد كما سلف، والذي في طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٢٨-٣٢٩ : وأمَّا ليلةُ القدر فما نراها - إن شاء الله - إلا ليلة ثلاث وعشرين يمضين وسبع يبقين. وكذا هو في «أنساب الأشراف» ٣/ ٣٩-٤٠ ، و«تاريخ دمشق» ينظر «مختصره» ١٢/ ٣٠٣ . والكلام السالف بين حاصرتين من (ص) و(م). وينظر «مستدرك» الحاكم ٣/ ٥٣٩ .

(٤) في (ص) و(م): وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال.

وفي رواية ابن جبير عنه أنَّ الكلمة السابعة والعشرين[١] هي قوله تعالى: ﴿هي﴾.

[وحكى ابن سعد عن الشعبي أن العبَّاس قال لابنه عبد الله[٢]: يا بُنيّ، إني أرى هذا الرجل - يعني عمر - قد أدناك وأكرمك، وألحقك بقوم لست مثلهم، فاحفظ عني ثلاثاً: لا يُجرِّبنَّ عليك كذباً، ولا تفشينَّ له سرّاً، ولا تغتابنَّ عنده أحداً.

قال هشام:][٣] وكان عمر رضوان الله عليه يقول: ابنُ عباس فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول[٤].

وكان إذا أشكل عليه أمر يقول له: غُصْ يا غوَّاص[٥].

وقال له عمر رضوان الله عليه: واللهِ إنَّك لأَصْبحُ فتيانِنا[٦] وجهاً، وأحسنُهم عقلاً، وأفقهُهُم في كتاب الله تعالى.

وكان يقول للصحابة: أَعَجَزْتُم أنْ تأتوا بمثل ما يأتي به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤونُ رأسِه[٧]؟!

[وقال أبو عمرو بن العلاء:] نظر الحطيئة الشاعر يوماً إلى ابنِ عباس في مجلس عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه عالياً على الناس، فقال: مَنْ هذا الذي فَرَعَ[٨] الناسَ بعلمه، ونزلَ عنهم بسِنِّه؟! فقالوا: عبدُ الله بنُ عبَّاس[٩] الذي يقول فيه حسان بن ثابت:

---

(١) في (أ) و(ب): وقال: الكلمة السابعة والعشرين (كذا)... وسقطت بعض الكلمات من (خ). والمثبت من (ص)، ونحوه في (م).

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٩.

(٣) من قوله: وحكى ابن سعد... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من(ص) و(م).

(٤) نُسب الخبر في (ص) لابن سعد، وليس هو في «طبقاته». وأخرجه الحاكم بنحوه في «المستدرك» ٣/ ٥٣٩-٥٤٠ من طريق الزُّهري، عن عمر. وينظر «حلية الأولياء» ١/ ٣١٨، و«مختصر تاريخ دمشق» ١٢/ ٣٠٤، و«صفة الصفوة» ١/ ٧٤٩.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٩.

(٦) في (أ) و(ب) و(خ): فينا، والخبر ليس في (ص) و(م)، والمثبت من «صفة الصفوة» ١/ ٧٤٨، و«المنتظم» ٦/ ٧٢.

(٧) المستدرك ٣/ ٥٣٩ (والقول فيه بإثر خبر ليلة القدر السالف)، وصفة الصفوة ١/ ٧٤٩. قال ابن الجوزي بإثره عن ابن إدريس: وشؤونُ رأسه: الشيب الذي يكون في الرأس.

(٨) أي: علا. ووقع في «الاستيعاب» ص ٤٢٥: بَرَعَ. وما سلف بين حاصرتين منه.

(٩) بعدها في «الاستيعاب» ص ٤٢٥: فقال فيه أبياتاً... فذكر بعضها ثم قال: وفيه يقول حسان...

إذا ما ابنُ عبَّاسٍ بدا لك وَجْهُهُ رأيتَ له في كلِّ أحواله فَضْلا
إذا قال لم يترُكْ مقالاً لقائلٍ بمنتظماتٍ لا تَرَى بينها فَصْلا
كَفَى وشَفَى ما في النفوس فلم يَدَعْ لِذي إرْبَةٍ في القول جِدّاً ولا هَزْلا
سَمَوْتَ إلى العَلْيَا بغير مَشقَّةٍ فنِلْتَ عُلاها[1] لا دَنِيّاً ولا وَغْلا
خُلقتَ حليفاً للمروءة والنَّدى مليحاً ولم تُخلق كَهَاماً ولا خَتْلا[2]

ومنها:

ظريفُ السَّجايا حلوةٌ حركاتُهُ كأنَّ له في كلِّ جارحةٍ عقلاً

وهذا البيتُ من أبدع بيتٍ قالته العرب، وقد انتحله بعضُ المتأخّرين، وليس له[3].

قال الزُّبير بن بكَّار: رأى النبيُّ ﷺ يوماً ابنَ عباس مقبلاً، فقال: «اللهمَّ إني أحبُّه فأحبَّه»[4]. وكان يُجلسه في حِجْره، فيقول: «هذا شيخ قريش»[5].

[ذكر نبذة من كلامه]:

قال [أبو نُعيم بإسناده عن] عبد الله بن دينار: إنَّ رجلاً سأل ابنَ عمر عن قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[الأنبياء: ٣٠] قال له: اذهب إلى ذلك الشيخ، فسله. يعني ابنَ عباس. ثم عُدْ وأخبرني ما قال ابنُ عباس.

فذهب إلى ابن عبَّاس، فسأله، فقال: كانت السماوات رَتْقاً لا تُمطر، وكانت الأرضُ رَتْقاً لا تُنبت، ففتقَ هذه بالمطر، وفَتَقَ هذه بالنبات.

فرجع الرجل، فأخبر ابنَ عمر، فقال: إنَّ ابنَ عبَّاس قد أوتيَ علماً، صدق[6].

---

(١) في (أ): ذراها.

(٢) في «الاستيعاب» ص ٤٢٥ : بليجاً ولم... خبلا.

(٣) من قوله: ومنها: ظريف السجايا... إلى هذا الموضع، من (أ).

(٤) التبيين في أنساب القرشيين ص ١٥٧ .

(٥) نسبه الزَّرقاني في «شرحه على الموطأ» ١/ ٢٤٩ لأبي زرعة الرازيِّ في «العلل».وضعَّف إسناده الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣٤١ .

(٦) حلية الأولياء ١/ ٣٢٠ ، وصفة الصفوة ١/ ٧٥٢_٧٥٣ ، ومختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٠٦ . وما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م).

[قلت: وهذا أحدُ الأقوال.]

وقال شقيق[1]: خطب ابن عباس وهو على الموسم، فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرأ ويُفسِّر، فجعلتُ أقول: ما رأيتُ ولا سمعتُ كلام رجلٍ مثلَه، لو سمعَتْهُ فارسٌ والروم لأسْلَمَتْ[2].

[قال: وكان طاوس يقول: كان ابنُ عباس قد بَسَقَ[3] في العلم كما تبسق النخلة السَّحُوق على الودِيّ الصغار[4].

وحكى الموفَّق رحمه الله[5] أن امرأةً ولَدَتْ لستة أشهر، فهمَّ عمر برجمها، فقال له ابنُ عبَّاس: ليس عليها ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، فإذا أسقطنا العامين من ثلاثين شهراً؛ بقي ستة أشهر مدةُ الحمل. فصار عمر إلى قوله.

قال الموفَّق: وقيل: إنَّ القائل لذلك عليُّ بن أبي طالب.

قلت: وهو الأصحّ.

وقد ذكرنا أنَّ علياً قال ذلك لعثمان][6].

وقال عكرمة: كان عمر ﷺ يُعِدُّ ابنَ عبَّاس للمعضلات؛ مع اجتهاد عمر ونظره.

وقال أبو صالح: لقد رأيتُ من ابن عبَّاسٍ مجلساً، لو أنَّ [جميع] قريش فخرت به لكان فخراً؛ رأيتُ الناسَ قد اجتمعوا إليه حتى ضاقَ بهم الطريق، فدخلتُ عليه، فأخبرتُه، فقال: ضَعْ لي وَضوءاً. فوضعتُ له، فتوضأ، ثم جلس وقال: ٱخْرُجْ فقل:

---

(١) في (ص) و(م): وروى أبو نعيم أيضاً عن شقيق قال... وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٣٢٤، وصفة الصفوة ١/ ٧٥٣.

(٣) في (ص) (والكلام منها، وهو ما بين حاصرتين): يسبق. والمثبت من «صفة الصفوة» ١/ ٧٥٣، و«مختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٠٨. وبَسَقَ النخلُ: طال.

(٤) النخلة السَّحُوق، أي: الطويلة، والوَدِيّ: صغار الفسيل، الواحدة: وَدِيَّة.

(٥) التبيين في أنساب القرشيين ص ١٥٨.

(٦) من قوله: قال: وكان طاوس... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص). وقول طاوس في «صفة الصفوة» ١/ ٧٥٣.

من كان يُريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه؛ فليَدْخُلْ. فخرجتُ، فآذَنْتُهم، فدخلُوا حتى ملؤوا البيت والحُجْرَة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادَهم.

ثم قال: إخوانكم. فخرجوا، فقال: اخْرُجْ فقل: مَنْ أراد أن يسألَ عن تفسير القرآن وتأويله؛ فليدخُلْ. فدخلوا حتى ملؤوا البيتَ والحُجْرَة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم.

ثم قال: إخوانكم. فخرجوا، فقال: اخرجْ فقل: مَنْ أرادَ أن يسألَ عن الحلال والحرام والفقه؛ فليدخُلْ. فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحُجْرَة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم.

ثم قال: إخوانكم. فخرجوا، فقال: اخْرُجْ، فقُل: مَنْ أرادَ أن يسألَ عن الفرائض والوصايا ونحوها؛ فليدخُلْ. فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحُجْرَة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم.

ثم قال: إخوانكم. فخرجوا، فقال: اخْرُجْ، فقل: مَنْ أراد أن يسألَ عن العربية والشِّعر وكلامِ العرب والغريب، فليدخُلْ. فدخلوا حتى ملؤوا البيتَ والحُجْرَة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم.

قال أبو صالح: فما رأيتُ لأحدٍ مثلَ هذا[1].

وقال أبو صالح: دخل عليه رجل فقال: متى يُبعثُ هذا الرجل؟ فقال: أيُّ الرجال؟ قال: عليّ بن أبي طالب. قال: حتى يبعثَ اللهُ خلقَه. فقال: أنتَ من هؤلاء الجُهَّال الذين ينكرون هذا. فقال: أخرِجوه[2].

وقرأ عنده قارىء: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وكان عنده أعرابي فقال: واللهِ ما أنقذهم منها وهو يريد أن يُعيدهم فيها. فقال ابن عبَّاس: خُذُوها من غير فقيه[3].

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٧٥٠ ـ ٧٥١ . وذكره ابن سعد ٦/ ٣٣٤ مختصراً.

(٢) بنحوه في «العقد الفريد» ٢/ ٤٠٨ .

(٣) المصدر السابق ٣/ ٤٦٨ .

وقال ابنُ جُبير: سأله سائل، فقال: ما تقول فيمن طلَّق امرأته عدد نجوم السماء؟ قال: يكفيه من ذلك كواكب الجوزاء. يعني ثلاثة[١].

[ذكر بعض واقعاته:

قد ذكرنا طرفاً منها فيما تقدَّم.

وقال المدائني: قام عَمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب، فأطْرَى معاويةَ وبني أمية، وذكر مشاهده بصفّين، وكان ابنُ عبَّاس حاضراً، فقال له: ويحك يا عَمرو! إنك بِعتَ دينك من معاوية، فأعطيتَه أكثر مما أعطاك، ولمَّا صارت مصرُ في يدك؛ كدَّرها عليك بالعزل، وأنا مشاهدك[٢] في صفّين، فكنتَ فيها - واللهِ - طويل اللسان، قصير السِّنان، كُشفَتْ فيها عورتُك، وما ثقلت وطأتُك، وكنتَ آخر الخيل إذا أقبلَتْ، وأوَّلها إذا أدبرت، لك يدان، إحداهما لا تبسطها إلى خير، والأخرى لا تقبضها عن شرّ، وأنت ذو وجهين، وَجْهٌ مؤنس، ووجه مُوحش، ولعمري إنَّ مَنْ باع دينه بدنيا غيره لَحَرِيٌّ أن يطولَ ندمُه، ويحك يا عَمرو!، فيك حقد، ولك رأي، وفيك مكر وحسد، فأصغر عيبٍ فيك أعظم عيب في غيرك.

وقال ابن عساكر:][٣] قدم ابنُ عبَّاس على معاوية بعد صلحه الحسن رضي الله عنه؛ في العام الذي استُشهد فيه عليٌّ عليه السلام، فقال له معاوية: أنشدك الله، هلَّا حدَّثتني عن خليل أبيك أبي سفيان. فقال: تَجَرَ فرَبِحَ، وأسلم فأفلح، وولدَ فأنجح، وكان في الشرك رأساً حتى انقضى.

[وقال الحافظ:] وتكلَّم ابن عباس يوماً فأتبعه معاوية بصره، فقال:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ مُصيبٍ ولم يَطْوِ اللسانَ على هَجْرِ

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٢٦.

(٢) كذا في (ص) والكلام منها. وفي المصدرين الآتيين: وذكرتَ مشاهدك.

(٣) من قوله: ذكر بعض واقعاته... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص). وخبر ابن عباس وعمرو بنحوه في «البيان والتبيين» ٢/ ٣٠٠، و«العقد الفريد» ٤/ ١١-١٢ (ووقعت ترجمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ضمن خرم في «تاريخ دمشق» (مصور دار البشير) فلم أُحِلْ عليه).

يُصرِّفُ بالقول اللسانَ إذا انتحى وينظر في أعطافه نَظَرَ الصَّقْرِ[١]

وقال معاوية يوماً ـ وعنده جماعة من بني هاشم؛ فيهم ابنُ عباس ـ: يا بني هاشم، بابي لكم مفتوح، وخيري لكم ممنوح، فلا يقطعُ خيري عنكم علَّة، ولا يمنعُ بابي دونكم مسألة، إنكم ترون أنكم أحقُّ بما في يدي منّي، فإذا أعطيتُكم عطيَّة فيها قضاءُ حقوقكم؛ قلتُم: أعطانا دون حقِّنا، وقصَّر بنا عن قَدْرِنا، فصرتُ كالمسلوب، والمسلوبُ لا حَمْدَ له.

فقال له ابنُ عبَّاس: واللهِ ما منَحْتَنَا شيئاً حتى سألناه، ولا فتحتَ لنا باباً حتى قَرَعْناه، ولئن قطعتَ عنَّا الخير؛ فاللهُ أوسعُ خيراً منك. ولئن أغلقتَ بابك دونَنا لنكفَّنَّ أنفسنا عنك، ومالك في هذا المال إلا ما لرجلٍ من المسلمين، ولنا في الفيء والغنيمة حقٌّ بكتاب الله تعالى، ولولا ذلك لما أتيناك[٢].

[وقال الهيثم بن عدي: دخل ابن عبَّاس على معاوية وعنده الناس على طبقاتهم، فقال معاوية: رحم الله أبا سفيان والعبَّاس، فلقد كانا صديقين صَفِيَّيْنِ، فحفظتُ الميتَ في الحيّ، والحيَّ في الميّت. يا ابن عبَّاس، استعمَلَك عليٌّ على البصرة، واستعملَ أخاك عبيد الله على اليمن، وأخاك قثم على المدينة. فلما كان من الأمر ما كان هَنَأْتُكم ما في أيديكم، ولم أكشف عمَّا وَعَتْ غرائزكم، وقلت: آخذ اليوم منهم وأعطيهم غداً مثله، وعلمتُ أن يد اللوم تضرُّ بعاقبة الكرم، ولو شئتُ لأخذتُ بحلاقيمكم[٣]، فقيَّأْتُكُم ما أكلتُم، ثم لايزال يبلغُني عنكم ما لا يترك له[٤]، وذنوبكم إلينا أعظم من ذنوبنا إليكم، خذلتم عثمان، وقتلتُم أنصاره يوم الجمل، وحاربتموني يوم صفّين، ولعمري إنَّ بني تيم وعديّ أعظم ديوناً منّا إليكم إذْ صرفوا هذا الأمر عنكم، وسنُّوا فيكم هذه السيرة، فحتى متى أُغضي الجفونَ على القَذَى، وأسحبُ الذيول على الأذى؟

---

(١) الاستيعاب ص ٤٢٥، والتبيين في أنساب القرشيين ص ١٥٩.

(٢) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ١٢٩ـ١٣٠، و«العقد الفريد» ٤/ ٩ـ١٠.

(٣) في (ص) و(الكلام منها): بخلافكم، والتصويب من «العقد الفريد» ٤/ ٧. ويقارن الكلام الذي قبله به.

(٤) في «العقد الفريد» ٤/ ٧: ما تبرك به الإبل.

قال: فتشزَّن[١] ابن عباس، وحمد الله وأثنى عليه، وصلَّى على رسوله، ثم قال: أما بعد، يا معاوية، فقد كان أبي وأبوك متعارضين، لكن أبي نصر أباك في الجاهلية، وحقن دمه في الإسلام.

وأما استعمال أمير المؤمنين إيَّانا؛ فإنه استعملنا لنفسه دون هواه، وأنت استعملتَ رجالاً لهواك دون نفسك، منهم ابنُ الحضرمي، فأُحرقَ بالبصرة، وبُسْر بن أبي أرطاة على اليمن، فسبى المسلمات، وسفكَ الدمَ الحرام وخان، ووليَّتَ ابنَ عامر البصرة، فاقتطع أموال المسلمين، والمغيرةَ الكوفة، ففعل ما فعل، والضحاك بن قيس، فخان وحُصِبَ بالكوفة.

وأما قولك: تطلب الذي عندنا، فما أنت وذاك؟ تلك حقوق أذن لنا أمير المؤمنين في قبضها، وأنت عن الحق بمعزل، ولو قادك الشَّره إليها لدفعناها إليك، ووقينا بها أعراضَنا.

وأما [ما] يبلغُك عنَّا؛ فليس بأعظم مما بلَغَنَا عنك، ولو وُضع أصغر ذنوبكم إلينا على ألف حسنة لمحاها، ولو وُضع أدنى عذرنا إليكم على ألف سيئة لمحاها[٢].

وأما عثمان؛ فأنت ألومُ به منّا، وقد تربَّصتَ عليه، وتأخّرتَ عن نُصرته؛ مع قدرتك وعجزنا.

وأما يوم الجمل؛ فإنما قتلنا من نَصَركم عن الحقّ ليرجع إليه.

وأما حربنا إيّاك في صفّين؛ فعلى تركك الحق، وتماديك في الباطل.

وأما إغراؤك إيانا بِتَيْم وعديّ؛ فلو كنّا أردناها ما غلبونا عليها. ثم قام وخرج. فعجب الناس من جوابه.

وقال هشام بن محمد:][٣] قدم ابنُ عبَّاس على معاوية، فجاءه كتاب ملك الروم يقول له: أخبرني عمَّن لا قَبْلَ له[٤]، وعمَّن لا عشيرةَ له، وعمَّن لا أبَ له، وعمَّن سارَ

---

(١) أي: تهيَّأ.

(٢) في «العقد الفريد» ٤/ ٨ : لحسَّنَها.

(٣) من قوله: وقال الهيثم... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص)، وينظر خبر ابن عباس ومعاوية بنحوه في «العقد الفريد» ٤/ ٧ـ٨ .

(٤) في «العقد الفريد» ٢/ ٢٠١ (والخبر فيه بنحوه): عما لا قبلة له.

بِه قبرُه، وعن ثلاثة لم يُخلقوا في رَحِم، وعن شيء، ونصف شيء، ولا شيء، وابْعَثْ لي في هذه القارورة ببزْرِ كلِّ شيء.

فدعا معاويةُ علماءَ الشام، وعرضَ عليهم الكتابَ، فلم يعرفوا ما فيه، فدعا ابنَ عباس وقال له: يا أبا العبَّاس، ما لهذا سواك.

فأخذ الكتاب، فقلَبَه، وكتبَ خلفَه:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمَّا الذي لا قَبْلَ له فاللهُ تعالى(١)، وأمَّا الذي لا عشيرة له فآدم، وأمَّا الذي لا أبَ له فعيسى، وأمَّا من سارَ به قبرُه فيونُس.

وأمَّا الثلاثةُ الذين لم يُخلقوا في رحم: فكبشُ إبراهيم، وناقةُ صالح، وحيَّةُ موسى.

وأما عن شيء: فالشيء: الرجل العاقلُ يعملُ بعقله، وأمَّا نصفُ الشيء: فالذي له عقل ويعملُ برأي غيره، وأمَّا الذي لا شيء: فالذي لا عقلَ له ولا يعمل بعقل غيره.

وملأ القارورة ماءً وبعث بها إليه وقال: هذا بِزْرُ كلِّ شيء.

فلما وقف ملك الروم على كتابه قال: ما خرج هذا إلا من بيت النبوة(٢).

قال المصنّف رحمه الله: كان ابنُ عبَّاس يُفتي بالمتعة ـ ولعلَّه ما بلغه التحريم ـ ثم رجع عنها.

وسببُه: ما رواه الزُّهريُّ عن سعيدِ بن جُبير قال: قلتُ له: يا أبا العباس، قد أكثرتَ في المتعة حتى سارت الرُّكبان بقول القائل:

أقولُ وقد طال الثَّواء بنا معاً ... يا صاحِ هَلْ لك في فتوى ابنِ عبَّاسِ
في بَضَّةٍ رَخْصَةِ الأطرافِ آنسةٍ ... تكونُ مثواكَ حتى مرجعِ(٣) الناسِ

فقال: أَوَقَدْ قالُوها؟! قلت: نعم. فخطب وقال: أيُّها الناس، إنَّ المتعةَ حرامٌ؛ كالميتة والدَّمِ ولحم الخنزير(٤).

---

(١) في المصدر السابق: أما الذي لا قبلة له فالكعبة.

(٢) الخبر بنحوه في «العقد الفريد» ٢/ ٢٠١ـ٢٠٢.

(٣) في (أ) و(ص): رجعة.

(٤) ينظر «أخبار مكة» للفاكهي ٣/ ١٢، و«التمهيد» ١٠/ ١١٧.

[ذكر ذهاب بصره وخوفه وعبادته][١]:

و[حكى ابن سعد[٢] أنَّه] لمَّا نزل الماء في عينيه؛ جاءه [هؤلاء] الذين يُنَقُّون الماءَ من العيون، فقالوا: أمْسِكْ عن الصلاة خمسةَ أيام ونحن نُبرئك. فقال: لا والله، ولا ركعةً واحدة، إني حُدِّثْتُ أنه من تركَ صلاةً واحدةً عامداً؛ لَقِيَ اللهَ وهو عليه غضبان.

و[قال ابن سعد[٣]:] كان يؤمُّ الناسَ وهو أعمى ويقول: كيف أؤُمُّكم وأنتُم تعدلونني إلى القبلة؟!

[وقال هشام:] وكان يقول [في بعض أوقاته التي يمرُّ فيها إلى الصلاة شعراً][٤]:

إنْ يأخذِ اللهُ من عينيَّ نورَهما ... ففي لساني وقلبي منهما نُورُ
قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ مُدَّخَلٍ ... وفي فمي صارمٌ كالسيف مأثورُ[٥]

وقال عكرمة: كان في وجه ابن عباس خطان أسودان من البكاء.

[وفي رواية: كالشِّراكَيْن البالِيَيْن][٦].

وكان يسرُدُ الصوم[٧]، ويقومُ الليل [ويبكي] ويكثر التسبيح.

قال أبو نُعيم بإسناده عن ابن بُريدة قال[٨]: شتمَ رجلٌ ابن عباس، فقال: إنك لَتشتمُني وفيَّ ثلاثُ خصال؛ إني لآتي على الآية من كتاب الله عزَّ وجلّ، فَوَدِدْتُ أنَّ جميع الناس يعلمون منها ما أعلمُ، وإني لأسمعُ بالحاكم من حكَّام المسلمين يعدلُ في حكمه فأفرحُ، ولَعلّي لا أُقاضي إليه أبداً، وإني لأسمعُ الغيثَ قد أصابَ بلداً من بلاد المسلمين فأفرحُ، ومالي به من سائمة.

(١) هذا العنوان (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).
(٢) في «الطبقات» ٦/ ٣٢٦ . والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).
(٣) المصدر السابق ٦/ ٣٢٧ . وما بين حاصرتين من (ص) و(م).
(٤) قوله: قال هشام، من (ص) و(م). وقوله: في بعض أوقاته... من (م).
(٥) مروج الذهب ٥/ ٢٣٢ ، والاستيعاب ص ٤٢٦ .
(٦) ينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٣٥ ، و«حلية الأولياء» ١/ ٣٢٩ . والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).
(٧) في «الطبقات» ٦/ ٣٣٥ أنه كان يصوم الاثنين والخميس.
(٨) في (أ) و(ب) و(خ): وقال بُريدة. (بدل: قال أبو نُعيم...إلخ) وهو خطأ. والمثبت من (ص) و(م). والخبر في «حلية الأولياء» ١/ ٣٢٢ ، و«صفة الصفوة» ١/ ٧٥٣-٧٥٤ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ١٢/ ٣١٣-٣١٤ .

و[روى ابنُ أبي الدنيا عنه أنه] قال: لأَنْ أقرأَ البقرةَ في ليلةٍ أتفكَّرُ فيها أحبُّ إليَّ من أنْ أقرأَ القرآن هذرمةً[١].

وحكى الضحَّاك عنه أنه قال: لما ضُرب الدينارُ والدرهم؛ أخذهما إبليس، فوضَعهما على عينيه وقال: أنتما قرَّة عيني، وثمرةُ فؤادي وقلبي، بكما أُطغي، وبكما أكفِّر، وبكما أُدخلُ النار، رضيتُ من ابن آدم أن يعبدهما[٢].

وقال [عكرمة: قال ابن عباس:] خذ الحكمة ممن سمعتَ، فإنَّ الرجل ليتكلَّمُ بالحكمة وليس بحكيم، فيكون كالرمية من غير رام[٣].

وقال [ابنُ سعد: كان ابنُ عباس يقول]: إنّي لأرى ردَّ جواب الكتابِ عليَّ حتماً كردّ السلام[٤].

[قال:] وقال: مَنْ أفتى الناسَ بكلِّ ما يسألون عنه فهو مجنون[٥].

ذكر حِججه وما جرى له منذ قتلِ عثمان رضي الله عنه [إلى وفاته]:

[حكى ابن سعد عنه أنه] قال: حججتُ مع عمر رضي الله عنه إحدى عشرةَ حِجَّة.

و[قد ذكرنا أنه] حجَّ بالناس وعثمان رضي الله عنه محصور بأمر عثمان، وعادَ من الحجّ وعثمان قد قُتل.

[وقال الواقدي:] ولم يزل مع عليٍّ رضي الله عنه، فشهد معه الجمل وصفِّين والنَّهروان، وولّاه على البصرة.

[وقد ذكرنا أنه أخذ من بيت المال ما أخذ، وذهب إلى مكة] وقُتل عليٌّ وهو بمكة[٦]، فأقام بالحجاز يتردَّد إلى الشام وافداً على معاوية، فجاء نعي معاوية وهو بمكة، فخرج إلى الطائف، ثم عاد إلى مكة هو ومحمد بنُ الحنفية سنة أربع وستين.

---

(١) الخبر من (أ) و(ص). وهو في «صفة الصفوة» ١/ ٧٥٤. وما بين حاصرتين من (ص).
(٢) حلية الأولياء ١/ ٣٢٨، وصفة الصفوة ١/ ٧٥٧.
(٣) صفة الصفوة ١/ ٧٥٧. وما سلف بين حاصرتين من (ص). والخبر ليس في (م).
(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٣٥، وما سلف بين حاصرتين من (ص). والخبر ليس في (م).
(٥) المصدر السابق ٦/ ٣٣٦. وما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م).
(٦) ما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م). وقوله: وقتل علي وهو بمكة، ليس في (م). وفي «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٣٨ أن ابن عبَّاس رضي الله عنهما كان بالبصرة حين قُتل علي رضي الله عنه.

وجاء نعي يزيد بن معاوية، فدعاهما ابنُ الزُّبير إلى بيعته فأبيا، فحَبَسهما في زمزم، فبعث المختار جيشاً، فأخرجهما [وقد ذكرناه].

وأقام ابن عباس ومحمد بن الحنفيَّة بالطائف إلى أن توفِّي ابنُ عباس رضي الله عنهما[(١)].

ذكر وفاته:

حكى ابنُ سعد عن الواقدي أن ابن عباس رضي الله عنهما مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابنُ إحدى وسبعين سنة في فتنة ابن الزبير. [وكذا قال جدّي رحمه الله في «التلقيح» و«الصفوة»، والموفَّق رحمه الله في «الأنساب».

وقال الهيثم: مات في سنة أربع وستين. وقال المدائني: سنة أربع وسبعين، وحكاه عنه الحافظ ابن عساكر][(٢)]. والأول أصحّ [حكاه الإمام أحمد].

و[قال ابن سعد:] صلَّى عليه محمد بن الحنفية وكبَّر أربعاً، وأدخله قبره ممَّا يلي القبلة، وضرب عليه فسطاطاً ثلاثة أيام. وقال: اليوم مات ربَّانيُّ هذه الأمة[(٣)].

وقال [أبو نعيم[(٤)] بإسناده إلى] ميمون بن مهران: شهدتُ جنازةَ ابنِ عباس بالطائف، فلما وُضع ليصلَّى عليه جاء طائرٌ أبيضُ حتى دخل في أكفانه، فالتُمس فلم يوجد، فلما سُوِّي عليه؛ سمعنا صوتاً يُسمع ولا يُرى الشخص: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ * فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي * وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾.

[وقد روى ابن سعد طرفاً منه بإسناده عن شعيب بن يسار قال[(٥)]: لما مات ابنُ عباس، وأُدرج في كفنه؛ دخلَ طائر أبيض في كفنه، فما رئي حتى الساعة.

---

(١) ينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٣٤٠-٣٤١، وما سلف ص٣٨٥.

(٢) من قوله: وكذا قال جدي... إلى هذا الموضع، من (ص) و(م). ووقع بدله في (أ) و(ب) و(خ) ما لفظه: وقيل: سنة أربع وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين. وينظر: أنساب الأشراف ٣/ ٦١، وطبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٥، وتلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٥٨، وصفة الصفوة ١/ ٧٥٧، والتبيين في أنساب القرشيين ص ١٦٠، ومختصر تاريخ دمشق ١٢/ ٣٣٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٥ و٣٤٧. والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٤) حلية الأولياء ١/ ٣٢٩، والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٦.

وقال ابن سعد: ويقال لهذا الطائر: الغرنوق، وهو طائر عظيم، جاء من قبل وَجّ، حتى خالط أكفانه، فلم يُدر أين ذهب.

وفي رواية ابن سعد[١]: فجاء فخالط أكفانَه، فدفنوه معه.

وقال الزُّهري: فأوَّلوه علمه دُفن معه.

قلت:][٢] وقد رُويَ أنَّ هذا الطائر خرج من كفنه. [فإنْ صَحَّتْ هذه الرواية فهي أحسنُ؛ لأنَّ تأويلَها خروجُ علمِه وانتشارُه، وذلك أحسنُ من طَيِّه.

وقال ابن سعد[٣]:] وسَطَّحَ ابنُ الحنفيَّة قبرَه، ورشَّ عليه الماء.

ذكر أولاده:

كان له من الولد: العبَّاس [وبه كان يُكنى، وكان أكبرَ ولده، وليس له عقب]

وعليّ، وهو أصغر أولاده، وكان أجملَ قرشيّ على وجه الأرض، وأكثرَ صلاةً، و[كان] يُدعى السَّجَّاد، [وله عقب] وفي ولده الخلافة.

والفضل؛ لا بقية له [ومحمد؛ لا بقيَّة له، وعُبيد الله؛ لا بقيَّة له] ولُبابة؛ كانت عند عليّ بن عبد الله بن جعفر، فولَدَتْ له، ولولدها أعقاب وبقيَّة.

وأمُّهم زُرْعَة بنت مِشْرَح بن معد يكرب بن وليعة بن شُرَحْبِيل بن معاوية بن حُجْر [القَرِد][٤] بن الحارث الولَّادة[٥] بن عَمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع، وهو كِنْدة.

وأسماء بنتُ عبد الله، كانت عند عَبْد الله بن عُبَيْد الله بن العبَّاس بن عبد المطلب ابن هاشم، فولدت له حسناً وحسيناً الفقيه، وأمُّ أسماء أم ولد.

---

(١) المصدر السابق. وينظر «أنساب الأشراف» ٣/ ٦١-٦٢ .

(٢) من قوله: وقد روى ابن سعد طرفاً منه... إلى هذا الموضع، (وهو ما بين حاصرتين) من (ص) و(م).

(٣) ينظر «طبقاته» ٦/ ٣٤٧ . والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٤) يعني الجَوَاد، كما في «أنساب الأشراف» ٣/ ٧٨ ، وكل ما سلف بين حاصرتين من (ص)، وبعضه في (م).

(٥) أي: كثير الولد، ولم تجوَّد اللفظة في النسخ الخطية، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٣/ ٧٨ وغيره. وينظر «تاج العروس» (آخر مادة حجر).

[هذه صورة ما ذكره ابن سعد][1]. وكلُّ أولاد عبد الله بن عبَّاس من الطبقة الثالثة من أهل المدينة [فنذكر أعيانهم].

فأمَّا العباس[2]؛ فكان يقال له: الأعنق؛ لطول عنقه.

[قال ابن سعد[3]:] فولدَ العبَّاسُ بنُ عبد الله عبدَ الله، وأمُّه مريم بنت عبَّاد بن مسعود من بني نهشل بن دارم. وعوناً، وأمُّه حبيبة بنت الزُّبير بن العوَّام [بن خُويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قصي]. ومحمداً وقريبة، وأمُّهما جَعْدَة بنتُ الأشعث بن قيس، خلف عليها العبَّاس بن عبد الله بعد الحسن بن علي ﵄. وقد انقرضَ نسلُ العبَّاس بن عبد الله.

وأمَّا عليّ [السجَّاد] فيذكر سنة سبع عشرة ومئة.

وأمَّا الفضل فلا بقيَّة له.

وأمَّا محمد بن عبد الله؛ فكان له ولد يقال له: العباس بن محمد، فيعرف بالمُذْهَب؛ لحسنه وجماله وسخائه، وفيه يقول الأخطل:

لَبَّاسِ[4] أرْدِيَةِ الملوكِ يروقُهُ ... من كلِّ مُرْتَقَبٍ عيونُ الرَّبْرَبِ[5]

لَذٌّ[6] تَقَبَّلَهُ النعيمُ[7] كأنَّما ... مُسِحَتْ ترائبُه بماءِ مُذْهَبِ

---

(١) الطبقات ٦/ ٣٢٠-٣٢١، وينظر «أنساب الأشراف» ٣/ ٧٨، و«نسب قريش» ص ٢٨. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٢) في (ص): قد ذكرنا العباس، وأن أباه كان يكنى به.

(٣) الطبقات ٧/ ٣٠٩.

(٤) وقبله في «أنساب الأشراف» ٣/ ٧٩:

ولقد غدوتُ على التِّجارِ بِمُسْمِحٍ ... هرَّت عواذِلُه هريرَ الأكلبِ

قوله: التِّجار، جمع تاجر والعربُ تسمِّي بائعَ الخمر تاجراً.

(٥) الرَّبْرَب: جماعة النساء. وينظر «خزانة الأدب» ٥/ ٢٠١.

(٦) في النسخ الخطية: سهم، بدل: لذّ، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٣/ ٧٩. وهو كذلك في غيره من المصادر. قال البغدادي في «خزانة الأدب» ٥/ ٢٠١: اللّذّ، بالفتح: المتلذِّذ. وينظر «ديوان» الأخطل ص ٢٧.

(٧) أي: بدا عليه واستبان فيه. قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «الشعر والشعراء» ١/ ٢٨٣.

فأعطاه العباس ألف دينار.

وأمُّ العبَّاس بن محمد أمُّ إبراهيم بنت المِسْوَر بن مَخْرمة بن نوفل الزُّهري، ولا عقب له.

وأمَّا لُبابة بنت عبد الله؛ فكانت عند إسماعيل بن طلحة بن عُبيد الله، ثم خلفَ عليها عليُّ بن عبد الله(١) بن جعفر بن أبي طالب(٢).

وذكر ابنُ عساكر في أولاد عبد الله بن عباس عثمانَ بنَ عبد الله، وأمُّه أمُّ ولد، درج.

ذكر مواليه رضي الله عنه:

وهم:

عكرمة [نذكره في سنة ستّ أو سبع ومئة].

وكُريب [نذكره في سنة ثمان وتسعين].

وأبو مَعْبَد [واسمُه] نافذ [نذكره في سنة أربع ومئة].

وشعبة [نذكره في خلافة هشام بن عبد الملك].

وذَفِيف؛ مات في سنة تسع ومئة، روى عنه الأعرج(٣) وغيره، وكان قليلَ الحديث.

وأبو عُبيد، روى عن ابن عباس(٤).

ومِقْسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، وإنما قيل له: مولى ابن عبَّاس؛ للزومه إيَّاه، وانقطاعه إليه، وروايته عنه. وكنيتُه أبو القاسم، وقد سمع من أمِّ سَلَمة رضي الله عنها زوجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

وكلُّ هؤلاء من الطبقة الثانية من أهل المدينة(٥).

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(ص): عبيد الله، والمثبت مما سلف، وينظر «أنساب الأشراف» ٣/ ٧٨.

(٢) بعدها في (ص): وأما أسماء بنت عبد الله بن العباس فأمُّها أمُّ ولد، وقد ذكرناها.

(٣) حُميد بن قيس، روى له الجماعة.

(٤) ذكر ابن سعد ٧/ ٢٩٠: أبا عبيد الله مولى ابن عباس، وذكر له حديثه عن ابن عباس أنه نهى أن يفرقع الرجل أصابعه في الصلاة، ثم ذكر بعده أبا عُبيد وقال: مولى عبد الله بن عباس.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٢-٢٩١.

ذكر مسانيد ابن عباس رضي الله عنهما:

[واختلفوا فيها، فقال قوم:] روى ألف حديث وستّ مئة حديث وستين حديثاً [وقال ابن البرقي: الذي حُفظ عنه من الحديث نحو أربع مئة حديث] أُخرج له في الصحيحين مئتا حديث وأربعة وثلاثون حديثاً؛ اتَّفقا على خمسة وسبعين، وانفرد البخاري بمئة وعشرة، ومسلم بتسعة وأربعين(١).

وأخرج له الإمام أحمد رضي الله عنه أربع مئة وسبعين حديثاً، منها متفق عليه، ومنها أفراد(٢).

[وقد فرَّقْنا معظم أحاديثه في الكتاب.

وقال الإمام أحمد بإسناده عن هلال (عن عكرمة)(٣) قال: حدثني ابن عباس قال: أُسريَ بالنبيِّ ﷺ... وذكر حديث الإسراء... قال: ورأى الدَّجَّالَ رُؤيا عَيْن، وليس برؤيا منام. فسُئل رسولُ الله ﷺ عن الدَّجَّال فقال: فَيْلَمانيّاً أَقْمَر هِجاناً، إحدى عينَيْه قائمة كأنَّها كوكبٌ دُرِّيّ، كأنَّ شعرَ رأسِه أغصانُ شجرة... الحديث.

الفَيْلمانيّ: العظيم الجُثَّة، والأَقْمر: الشديد البياض، والهِجان: الأبيض](٤).

ورَوَى [ابن عباس] عن جماعة من الصحابة، منهم: عُمر، وعليّ رضي الله عنهما، ومعاذ وأبو ذرّ، وأبو طلحة، وأسامة بنُ زيد، وأبو سفيان [بن حرب]، وابنُه معاوية، وأُبيّ بن كعب، وأخوه الفضل بنُ العباس، وكثيرُ بن العبَّاس، وعائشة، وأمُّ سَلَمة، رضي الله عنهم في آخرين.

وروى عنه من الصحابة جماعة، منهم: عبد الله بنُ عمر، وأنس بن مالك، وأبو الطُّفيل(٥)، وأبو أُمامة [بن](٦) سهل بن حُنَيْف، وغيرهم.

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٦٣ و٣٩٥.

(٢) ينظر «مسند» أحمد (١٨٣٨) ـ (٣٥٤٧). وفيها مكررات.

(٣) لفظ: (عن عكرمة) من «مسند» أحمد (٣٥٤٦).

(٤) من قوله: وقد فرَّقنا معظم أحاديثه... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).

(٥) هو عامر بن واثلة الليثي.

(٦) لفظة «بن» بين حاصرتين إضافة من عندي، وأما ما سلف قبلها بين حاصرتين فمن (ص).

وروى عنه من التابعين: ابنُه عليُّ بنُ عبد الله، ومواليه: عكرمة، وكُريب، ومِقْسم[١]، وعلماء الأمصار.

[فمن أهل مكة: عطاء بن أبي رباح، ومجاهد، وعَمرو بن دينار، وعُبيد بن عمير، وابن أبي مُليكة، وأبو الزبير محمد بن مسلم، وعكرمة بن خالد في آخرين.

ومن أهل المدينة: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وعُبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة، ونافع بن جبير بن مُطْعِم، وأبو سلمة وحُميد ابنا عبد الرحمن بن عوف، وسليمان وعِطاء ابنا يسار، وعروة بن الزبير، وعلي بن الحسين، وأبو صالح ذكوان، ومحمد بن كعب القَرَظي في آخرين.

ومن أهل اليمامة: أبو زُميل، واسمه سِماك بن الوليد الحنفي.

ومن أهل الطائف: عُبيد الله بن يزيد.

ومن أهل اليمن: طاوس، ووَهْب، وحُجْر بن قيس، وعبد الرحمن بن البيلماني في آخرين.

ومن أهل الكوفة: سعيد بن جبير، وعامر الشعبي، وعَمرو بن ميمون الأودي، وسالم بن أبي الجعد، وأبو الضحى، واسمه مسلم بن صُبيح في آخرين.

ومن أهل البصرة: الحسن البصري، وابن سيرين، وأبوالعالية، وأبو الشعثاء، وأبونَضْرة، وأبوجَمْرة - بجيم - وأبو مِجْلَز، وأبو رجاء، وبكر بن عبد الله، ويحيى بن يعمر في آخرين.

ومن أهل خُراسان: الضحاك بن مُزاحم، وعطاء بن أبي مسلم.

ومن أهل الشام: أبو إدريس الخولاني، وشَهْر بن حَوْشَب، وخالد بن اللجلاج، الدمشقيون في آخرين.

ومن أهل الجزيرة: ميمون بن مِهْران، ويزيد بن الأصمّ.

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ): القاسم، بدل: مقسم، والمثبت من (ص) وهو الصواب.

وقال ابنُ البرقي: غزا عبدُ الله بن عبَّاس إفريقيَّة سنة سبع وعشرين مع عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، فروى عنه من مصر خمسة عشر رجلاً فيما علمت، لم يذكر منهم أحداً][١].

وقد روى عن ابن عباس الخلق الكثير والجمّ الغفير.

ومن ذرّيته: عبدُ الله بن عبَّاس بن عبد المطَّلب[٢] بن الحسين بن أحمد بن الحسين ابن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو هاشم العباسي[٣] كان شاعراً فاضلاً، وله القصائد الحسنة، فمن شعره من أبيات:

أواخِرُ وَجْدٍ ما تَقَضَّى أوائلُهْ ... سَلَا عن سُلُوِّ القلبِ فيه عَواذِلُهْ
لشمسٍ ولكنَّ القلوبَ محلُّها ... وبدرٍ ولكنَّ الفؤادَ مَنازِلُهْ
تَبيَّنَ أنَّ البانَ في اللِّينِ عَطْفُهُ ... إذا ما انثنى والزانُ قُدَّ شمائلُهْ
ترفَّعَ لا جيدُ الغزالة جِيدُهُ ... ولا أعينُ الغزلانِ حُسْناً تُغازِلُهْ
فَمَنْ لفؤادٍ باتَ مفتئداً بهِ ... ويا مَنْ لقلبٍ بَلْبَلَتْهُ بَلابِلُهْ

عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بَلْتَعَة اللَّخْمي

أبو يحيى، وقيل: أبو محمد، من الطبقة الأولى من أهل المدينة[٤].

وُلِدَ على عهد رسول الله ﷺ، وقيل: رأى رسول الله ﷺ، وذُكر في الصحابة[٥].

وقال أحمد العجلي: هو تابعي ثقة[٦]. [وأبوه حاطب من أهل بدر].

(١) من قوله: فمن أهل مكة: عطاء... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).

(٢) كذا ... ولعل صواب الكلام: ومن ذريَّة عبد الله بن عباس عبد المطلب ...إلخ. أو أنَّ في الكلام سقطاً وتحريفاً.

(٣) لعله أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب بن الحسين بن عبد الرحمن، افتخار الدين، من أعلام الحنفية، توفي سنة (٦١٦) ينظر «سير أعلام النبلاء» ٢٢/ ٩٩.

(٤) يعني من التابعين. وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٨.

(٥) قولُه: وقيل رأى رسول الله ﷺ؛ نُسب في (ص) لابن منده، ونُسب فيها قولُه: وذكر في الصحابة، لأبي مسعود.

(٦) ثقات العجلي ص ٢٩٠.

وقدم عبد الرحمن على معاوية مع النعمان بن بشير بقميص عثمان رضوان الله عليه، بعثت به نائلة بنت الفُرافصة.

[وأبوه حاطب هو الذي بعثه رسول الله ﷺ بكتابه إلى المقوقس، وقد ذكرناه. وحاطب صاحب سارة التي بعثها بكتابه إلى أهل المدينة يُخبرهم بمسير رسول الله ﷺ، وقد تقدّم في غزاة الفتح. ومات حاطب بالمدينة سنة ثلاثين].

ومات عبد الرحمن سنة ثمان وستين. وقيل: قُتل يوم الحَرَّة.

أسند عبد الرحمن عن عمر، وعلي، وعثمان، وابن عمر، وأبي عُبيدة، وصُهيب الرومي، وعن أبيه ﷺ.

وروى عنه ابنُه يحيى بن عبد الرحمن، وعُروة بن الزبير، وغيرُهما[١].

عُبَيْد الله[٢] بنُ الحُرّ

أبو الأشرس، [قال ابن مجاهد:][٣] كان رجلاً صالحاً عابداً، فلما قُتل عثمان ﷺ ووقعت الفتنة؛ خرج إلى الشام، فكان مع معاوية، وشهد معه صفِّين.

ولمَّا استُشهد أميرُ المؤمنين ﷺ؛ قدم الكوفة، فأقام بها، وكان معه جماعة عثمانية، فلما هاجت فتنة ابن الزبير، ومات يزيد بن معاوية، وهرب عُبيد الله بن زياد؛ اجتمع إليه إخوانُه وقالوا: ما قعودنا؛ قد بانَ الصبحُ لذي عينين[٤]، قُمْ بنا. فاجتمع إليه سبعُ مئة فارس، فخرجوا من الكوفة إلى المدائن، فكان يأخذُ الأموال التي تختصُّ بالسلطان، فيفرِّقها في أصحابه[٥].

وكان شاعراً، فوضعه شعره عند الناس، واستولى على الكُوَر والسَّواد.

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٨، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٩، وتاريخ دمشق ٩/ ٩٠٤ (مصورة دار البشير). والكلام السالف بين حاصرتين في الترجمة من (ص).

(٢) في (أ) و(ب) و(خ): عبد الله.

(٣) واسمه عليّ، وكلامه في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٢٨ بنحوه. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٤) قوله: قد بان الصبح...إلخ في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٢٨ من كلام ابن الحرّ.

(٥) في «تاريخ الطبري» أنه كان يأخذ من مال السلطان عطاءه وأعطية أصحابه.

وظهر المختارُ [بن أبي عبيد] فقال: واللهِ لأقتلنَّ امرأتَه. وهي أمُّ سَلَمة الجُعْفِيَّة، فحبسَها، وبلغَ عبيدَ الله بن الحرّ، فأقبلَ في فتيانه إلى الكوفة ليلاً، فكسر بابَ السجن، وأخرج امرأتَه وكلَّ من كان فيه، فبعثَ إليه المختار من يقاتلُه، فقاتلهم، وأخذَ امرأتَه، وخرج من الكوفة وهو يقول:

ألم تعلمي يا أمَّ تَوْبَةَ أنَّني أنا الفارسُ الحامي حقائقَ مَذْحِجِ
وأنِّي أتيتُ السجنَ في سَوْرَةِ الدُّجَى بكلِّ فتًى حامي الذِّمارِ مُدَجَّجِ

من أبيات [طويلة].

وأصبح المختار، فهدمَ دارَه وأحرقَها ومعه هَمْدان، وانتهبوا ضيعتَه، فأقبل [في] السواد، فلم يدع به مالاً لهَمْدَانيّ إلا أخذه.

وقال:

وما ترك الكذَّابُ من جُلِّ مالِنا ولا الزُّرْقُ من هَمْدانَ غيرَ شريدِ

ومنها:

وهُمْ هَدَمُوا داري وساقُوا حَلِيلَتي إلى سجنهم والمسلمون شُهودي
وهُمْ أعجلُوها أنْ تَشُدَّ خمارها فيا عجباً هل الزمانُ مُقَيِّدي
فما أنا بابن الحُرِّ إن لم أُرِعْهُمُ بخيلٍ تَعَادَى بالكُماة أسودِ
وما جَبُنَتْ خيلي ولكنْ حَمَلْتُها على جَحْفَلٍ ذي عُدَّةٍ وعَدِيدِ

من أبيات.

وكان يتردَّدُ من المدائن إلى جُوخَى والجبل، فلم يزل على ذلك حتى قُتل المختار، فقال الناس لمصعب: [إن] ابن الحُرِّ شاقَّ ابنَ زياد والمختارَ، ولا نأمنُه. فأرسلَ إليه مصعب بأمان، فلما جاءه، حَبَسَه، فقال:

مَنْ مُبْلِغُ الفتيانِ أنَّ أخاهُمُ أَتَى دونَه بابٌ شديدٌ وحاجبُهْ
بمنزلةٍ ما كان يَرْضَى بمثلِها إذا قامَ عَنَّتْهُ كُبولٌ تُجاوِبُهْ
وما كان ذا من عُظْمِ جُرْمٍ جَنَيْتُهُ ولكنْ سَعَى الساعي بما هو كاذبُهْ
وقد كان في الأرضِ العريضةِ مَسْلَكٌ وأيُّ امرئٍ ضاقت عليه مذاهبُهْ

وفـي الـدهـر والأيـامِ لـلـمـرء عِـبْـرَةٌ وفـيـمـا مـضـى إنْ نـابَ يـومـاً نـوائـبُـهْ

وبعثَ عُبيد الله إلى قوم من مَذْحِج يكلِّمون مصعباً فيه ويقولون: ما خرج عليك، ولا في أيامك، بل على عدوِّك. وأرسل إلى فتيان من مَذْحِج، فأخْبرهم الخبرَ وقال: البسوا السلاح تحت ثيابكم، وقِفُوا على باب مصعب، فإنْ شَفَّعَهم فيَّ، فلا تَعْرِضُوا لأحد. فجاؤوا إلى مصعب، فكلَّموه فيه، وقالوا: حبستَه بغير جُرْم. فشفَّعهم فيه، وأمر بإطلاقه.

فلمَّا خرج من السجن، رأى الفتيان الذي أمرهم أن يحملوا السلاح بباب الحبس قياماً، فقال: أَشْهِرُوا السلاح. فأشهروه، ومضى بهم إلى منزله، وبلغَ المصعبَ، فندمَ على إخراجه.

واجتمع إلى ابن الحُرّ أصحابُه يهنِّئونه، فأظهر الخلاف وقال: هؤلاء المُحِلُّون يقسمون فيئنا. واجتمع إليه قومه، وبعث إليه مصعب جماعة وهو يهزمُهم، وخرج عن الكوفة وهو يقول:

فلا[1] تَحْسَبَنِّي[2] ابنَ الزُّبيرِ كناعسٍ إذا حَـلَّ أَغْـفَـى أو يُـقـال لـه ارْتَـحِـلْ
فـإنْ لـم أُزِرْكَ الـخـيـلَ تَـرْدِي عـوابـسـاً بـفـرسـانـهـا لا أُدْعَ بـالـفـارس الـبَـطَـلْ
وإن لـم تَـرَ الـغـاراتِ مـن كـلِّ جـانـبٍ عـلـيـك فـتـنـدمْ عـاجـلاً أيُّـهـا الـرجُـلْ
فـلا وَضَـعَـتْ عـنـدي حَـصَـانٌ قِـنـاعَـهـا ولا عِـشْـتُ إلا بـالأمـانـيِّ والـعِـلَـلْ

فأرسلَ إليه مصعب يدعوه إلى الأمان والولاية أيَّ مصر شاء، ويصله، فأبى، ونزل السَّوَاد وعين التَّمر وتكريت، ومصعب يجهِّزُ إليه الجيوش وهو في ثلاث مئة وهو يهزمُهم، فجهَّز إليه مصعبٌ ألفاً وخمس مئة مع الأَبْرَد بن قُرَّة الرِّياحي والجَوْنِ بنِ كعب الهَمْدَاني، فقيل له: قد أتاك العددُ الكثير، فقال:

يُـخـوِّفُـنـي بـالـقـتـل قـومـي وإنَّـمـا أمـوتُ إذا جـاء الـكـتـابُ الـمـؤجَّـلُ
لـعلَّ الـقَـنـا تُـدني بـأطـرافـهـا الـمـنـى[3] فـنـحـيـا كـرامـاً أو نَـكُـرُّ فـنُـقـتـلُ

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ): ولا. والمثبت من (ص).

(٢) في النسخ الخطية: تحسبنَّ. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٣٢ .

(٣) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٣٣ : الغنى.

والتَقَوْا فاقتتلُوا، فقُتل منهم جماعة، وحجز بينهم الليلُ، ثم هجم الكوفة مرَّةً ثانية، وقاتل جيوشَ المصعب، ثم خرج إلى المدائن، فبعثَ مصعب إلى ابن رُوَيْم عامل المدائن يأمرُه بقتاله. فخرج إليه ابنُ رُوَيْم، فهزمه، وقال:

سَلُوا ابنَ رُوَيْمٍ عن جِلادي وموقفي ... بإيوانِ كسرى لا أُوَلِّيهمُ ظهري

يلُوذون منِّي رَهْبةً ومخافةً ... لِواذاً كما لاذ الحمائم من صَقْرِ

من أبيات.

ثم لحق بعبد الملك بن مروان، فقال له: سِرْ إلى الكوفة حتى تلحقك الجيوش، فلما وصل إلى الأنبار؛ أرسل إلى الكوفة[1] يخبرُ قومه بقدومه، وكان في عشرة أنفس، والمصعب بالبصرة.

وبلغ القيسيَّةَ، فقالوا لعامل مصعب وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: ابعث معنا جيشاً لقتاله. فبعثَ معهم، فأتَوْا بغتةً فقاتلهم ساعةً، ثم غرقت فرسُه، فأُخِذَ وقُتل، وقُطع رأسُه، وبُعثَ به إلى الكوفة، ثم إلى البصرة.

وقيل: إنه هزم لمصعب في عام واحد أربعين جيشاً، وكان في ثلاث مئة، وكان جيش مصعب يزيدُ على ألف. ولما التقى هذا الجيش كان معه عَشَرَةُ نفر.

وقيل: كان سبب قتله أنه هجا القبائل القيسية وغيرها، وبلغ زُفَر بن الحارث، فعتب على مصعب بسببه، فقتله رجل من القيسية يقال له: عباس[2].

ولعُبيد الله فيهم قصائد، منها:

ألم تَرَ قَيْساً قيسَ عَيْلان بَرْقَعَتْ ... لِحاها وباعت نَبْلَها بالمغازلِ

وما زِلْتُ أرجو الأزْدَ حتى رأيتُها ... تُقَصِّرُ عن بُنيانها المتطاولِ

وبلغ زُفَر بنَ الحارث، فكتب إلى مصعب: أنا قد كفيتُك قتالَ ابنِ الزَّرْقاء، وابنُ الحُرِّ يهجو قيساً.

---

(١) من قوله: حتى تلحقك الجيوش... إلى هذا الموضع، من (أ). وهذا الكلام ليس في (ص) ولا (م).

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٣٧: عيَّاش.

فأجابه زُفر[١]، فقال:

لـمَّـا رأيـتُ الـنَّـاس أولادَ عَـلَّـةٍ وأغـرقَ فـيـنـا نـزغـةً كـلُّ نـائـلِ[٢]

فـلـو يـسـألُ ابـنُ الـحُـرِّ أُخْـبِـرَ أَنَّـهـا يـمـانـيَّـةٌ لا تُـشْـتَـرَى بـالـمـغـازلِ

من أبيات.

[وكانت وفاته في هذه السنة][٣].

عَدِيّ بنُ حاتم

الجواد[٤] الطائيّ، أبو طريف، وأمُّه النُّوار بنت ثُرْملة بن ثُرعل من بني ثُعَل.

[وكان أبوه حاتم من أجود العرب، ويكنى أبا سفَّانة بابنته].

وعديّ من الطبقة الخامسة من الصحابة، وكان له إخوة من أمِّه كلُّهم أشراف، وهم: لام، وحُلَيْس، ومِلْحان، وفسقس [هلك في الجاهلية] وأبوهم زبان[٥] بن غُطَيْف من بني أخزم الطائي. [وقيل: أدرك زبان رسول الله ﷺ، وسمع منه].

شهد مِلْحان بن زبان صفّين مع معاوية، واستخلف عليٌّ لام بن زبان على المدائن حين سار إلى صفّين[٦].

وسار عديّ مع خالد بن الوليد إلى أهل الرِّدَّة ومعه ألفٌ من قومه[٧].

---

(١) قبلها في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٣٧ : «ثم إن نفراً من بني سُليم أخذوا ابن الحُرّ فأسروه... فقتله رجل منهم يقال له: عيَّاش». وسلف ذكره. قبل البيتين. وقد أخلّ المختصر بالسياق عندما فصلَ الشِّعر عن الخبر.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٣٧ : قائل.

(٣) ينظر ما سلف من أخبارعُبيد الله بن الحُرّ في «أنساب الأشراف» ٦/ ١٢٩ـ١٣٩، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٢٨ـ١٣٧. وتنظر ترجمته في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ١٩٢ـ١٩٧ (طبعة مجمع دمشق). والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٤) بعدها في (ص): «ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن جَرْوَل بن ثُعَل بن عَمرو بن الغَوْث بن طيِّىء. واسم طيِّىء جُلْهُمَة. وإنما سُمِّيَ طَيِّئاً لأنه طوى المنازل، وهو أول من طواها. وقال الجوهري: وطيِّىء أبو قبيلة من اليمن». ولم أُدخل هذا الكلام في المتن أعلاه لاختلاف سياق الكلام عن باقي النسخ. وينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٢١٤ ، و«تاريخ دمشق» ٤٧/ ٦٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) في (أ) و(ب) و(خ): ريان، وفي «طبقات» ابن سعد ٦/ ٢١٤ : ربّار. والمثبت من (ص).

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٢١٤ . وكلُّ ما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٧) تاريخ دمشق ٤٧/ ٨١ (طبعة مجمع دمشق).

[وحكى ابن سعد عن محمد بن عمر، بإسناده عن الحُصين بن عبد الرحمن بن عَمرو[١] بن سعد بن معاذ قال: لما صدر رسول الله ﷺ من الحجّ سنة عشر؛ قدم المدينة، فأقام حتى رأى هلال المحرَّم سنة إحدى عشرة، فبعث المصدّقين في العرب، وبعث على أسد وطيِّيء عديَّ بن حاتم.

قال الواقدي بإسناده إلى الشعبيّ: فلما كانت الرِّدَّة قال القوم لعديّ بن حاتم: أمسِكْ ما في يدك من الصدقة، فإنك إن تفعل تسود الحليفين[٢]. فقال: ما كنتُ لأفعل حتى أدفعَها إلى أبي بكر بن أبي قحافة. فجاء إلى أبي بكر، فدفع الصدقة إليه. وقد ذكرناه في الرّدّة.

وقال الواقدي: كان عديّ بن حاتم أحزمَ رأياً وأثبت في الإسلام رغبة ممَّن كان فرَّق الصدقة في قومه.

وإن بني جَدِيلة كانوا[٣] عصاةً على خالد، فردَّهم عديّ إلى الإسلام، وقاتلوا أهل الرِّدَّة.

وروى ابن سعد عن الشعبي قال: قدم عديّ بن حاتم على عُمر ﷺ، فرأى منه جفاءً، فقال: يا أمير المؤمنين، أما تعرفُني؟ فقال: بلى والله، أعرفك بأحسن المعرفة، أعرفُك واللهِ، أسلمتَ إذ كفروا، وعرفتَ إذ أنكروا، ووفيتَ إذ غدروا، وأقبلتَ إذْ أدبروا. فقال: حسبي يا أمير المؤمنين][٤].

قال الإمام أحمد ﷺ[٥]: حدَّثنا بكر بنُ عيسى، حدثنا أبو عَوانة، عن المغيرة، عن الشعبيّ، عن عديّ بن حاتم قال: أتيتُ عمر بنَ الخطاب في أناس من قومي، فجعل يفرضُ للرجل من طيِّيء في ألفين ويُعرضُ عني، فاستقبلتُه، فأعرضَ عني، ثم أتيتُه من

---

(١) في (ص) (والكلام منها): الحسين بن عبد الرحمن بن عُمر. وهو خطأ والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٢٢٠. وينظر «تهذيب الكمال» ٦/ ٥١٧.

(٢) في (ص): الخليفتين. والمثبت من «طبقات» ابن سعد.

(٣) في (ص) (والكلام منها): وكان. وأثبتُّ اللفظة على الجادة. والخبر بنحوه في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٢٢٢ وفيه: وكانت جَدِيلة معترضة على الإسلام.

(٤) من قوله: وحكى ابنُ سعد عن محمد بن عمر... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص). وهو في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٢٢٠-٢٢٢. والكلام الآتي بعده ليس في (ص).

(٥) مسند أحمد (٣١٦).

حِيال وجهه، فأعرض عنّي. قال: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أتعرفُني؟ قال: فضحك حتى استلقَى على قفاه، ثم قال: نعم واللهِ إنّي لأعرفُك، آمنتَ إذ كفروا، وأقبلتَ إذْ أدبروا، ووفَيْتَ إذْ غدروا، إنَّ أوّلَ صَدَقةٍ بيَّضْتَ بها وجهَ رسولِ الله ﷺ ووجوهَ أصحابِه صدقةُ طَيِّء، جئت بها إلى رسول الله ﷺ. ثم أخذ يعتذرُ إليه. ثم قال: إنما فرضتُ لقومٍ أجحفت بهم الفاقة، وهم سادةُ عشائرهم لِما ينوبُهم من الحقوق. متفق عليه. قال الحُميدي: فقال عديّ: فإذاً لا أبالي[1].

وجاء عديّ إلى باب عثمان رضوان الله عليه وهو خليفة، فَحجبَه [نابل] مولى عثمان رضي الله عنه، فلما خرج [عثمان] إلى صلاة الظهر؛ عرضَ له عديّ، فأدناه [عثمان] ورحَّبَ به وانبسط إليه، فقال: أتيتُ بابَك فحَجَبني هذا عنك. فقال له عثمان بعد أن انتهره: لا تحجبْه، واجعله أوّلَ داخل، فلعمري إنَّا لنعرفُ فضلَه وحقَّه، ورأيَ الخليفتين فيه وفي قومه، وقد جاءنا بالصدقة يسوقُها والبلادُ تضطرم كأنها شُعَل النار من أهل الرِّدَّة، فحمده المسلمون على ما رأَوْا منه[2].

قال الواقدي: حضرَ عديُّ بن حاتم يوم الدار يوم قتل عثمان، فخرج الناس يقولون: قُتل عثمان، قُتل عثمان. فقال عديّ: لا تَحْبِقُ في قَتْلِهِ عَناقٌ حَوْلِيَّة[3] [وفي رواية: لا تحبق فيها عنز]. فلما كان يومُ الجمل؛ فُقِئتْ عينُه، وقُتل ابنُه محمد مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقُتل ابنه الآخر طريف مع الخوارج، فقيل له: يا أبا طريف، هل حَبَقَت العنز؟ قال: نعم، والتَّيْسُ الأعظم[4].

و[حكى ابن سعد عن الواقدي وهشام بن محمد الكلبي قالا:] شهد عديّ القادسية ويوم مِهْران وقسّ الناطف والنُّخيلة ومعه اللواء، وشهد الجمل وصفِّين والنهروان مع أمير المؤمنين عليّ رضوان الله عليه، وكان معه يوم الجمل لواء علي عليه السلام[5].

---

(١) صحيح البخاري (٤٣٩٤)، وصحيح مسلم (٢٥٢٣) مختصر.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٢٤ ، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٨٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) العَناق: الأنثى من ولد المعز، وهذا مَثَل يُضرب في أمر لا يُعبأ به، ولا غِيَرَ له، أي: لا يُدرك فيه بثأر. قاله الميداني في «مجمع الأمثال» ٢/ ٢٢٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٢٤ ، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٩٣ (طبعة مجمع دمشق). وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٢٤ . وما سلف بين حاصرتين من (ص).

و[قال هشام:] كان طُوالاً حسنَ الوجه، جواداً على منهاج أبيه.

دخل ابنُ دارة الشاعر عليه فقال: جئتُك لأمْتَدحَك. فقال: أمْسِكْ حتى أبيِّنَ لك مالي، ثم امتدحْني على حسبه، فإني أكره أن لا أعطيك ثمن ما تقول، لي ألفُ شاة، وألفُ درهم، وثلاثةُ أعْبُد، وثلاثُ إماء، وفرسي هذا حَبِيسٌ في سبيل الله تعالى. فقال ابن دارة:

تَحِنُّ قَلُوصي في مَعَدٍّ وإنَّما تُلاقي الربيعَ في ديار بني ثُعَلْ
أبوك جوادٌ لا يُشَقُّ غبارُه وأنتَ جوادٌ ليس تُعذرُ بالعِلَلْ

فقال له عديّ: أمْسِكْ، فإنَّ مالي لا يبلغُ أكثرَ من هذا. فأعطاه الكلّ[1].

وقيل لعديّ: ألا تشرب الشراب؟ فقال: معاذ الله أُصبحُ حكيمَ قومي وأمسي سفيهَهُم[2].

[وقد ذكرنا وفادته على معاوية وما جرى له معه].

ذكر وفاته:

مات في زمن المختار بالكوفة سنة ثمان وستين ـ أو تسع وستين ـ وهو ابنُ مئةٍ وعشرين سنة[3]، وقال: أشهدُ أنَّ المختار كذَّاب، ومات بعد ذلك بالكوفة بثلاثة أيام، وأوصى أن لا يُصلِّيَ عليه المختار.

وقال علي بن المديني: مات عديُّ بن حاتم وجرير بن عبد الله البَجَلي وحَنْظَلة الكاتب بقرقيسيا؛ خرجوا من الكوفة أيام الفتنة.

قال محمد بن [علي] الصُّوريّ: فأنا رأيتُ قبورهم الثلاثة بقرقيسيا[4].

قال ابن قتيبة: لم يبق لعديّ عقب إلا من قبل ابنتيه: أَسَدَة، وعَمْرة. وإنما عقبُ حاتم من ولده عبد الله بن حاتم وهم ينزلون بكربلاء[5].

---

(١) ينظر «العقد الفريد» ١/ ٣٠٩، و٥/ ٢٩٤.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٣٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٢٤ و٨/ ١٤٤، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٩٩ـ١٠٠ (طبعة مجمع دمشق)، ونسب القول في (ص) لابن منده.

(٤) تاريخ دمشق ٤٧/ ٩٨.

(٥) المعارف ص ٣١٣.

وقال ابنُ عساكر: كان عديُّ بنُ حاتم في جيش خالد لما قصدَ الشام من العراق، وبعثه خالد بالأخماس إلى أبي بكر، ثم سكن الكوفة[١].

أسند عديّ الحديثَ عن رسول الله ﷺ، [أخرج له الإمام أحمد بن حنبل سبعة أحاديث، منها في «الصحيحين» خمسة أحاديث، اتفقا على ثلاثة، والحديثان الباقيان لمسلم][٢].

وروى عنه الشعبيّ، وأبو إسحاق السَّبِيعي، ومصعب بن سَعْد بن أبي وقَّاص، وسعيد بن جبير، وقيس بن أبي حازم، وتميم بن طَرَفة في آخرين[٣].

[ومن مسانيده:

قال البخاري بإسناده عن الشعبي، عن عديّ بن حاتم قال: سألتُ النبيّ ﷺ عن الصيد، فقال: «إذا أرسلتَ كلبَك المعلَّم، فقتلَ، فكُلْ، وإذا أكل؛ فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه». قال: فقلتُ: إني أُرسل كلبي، فأجد معه كلباً آخر؟ فقال: «لا تأكل، فإنَّما سمَّيتَ على كلبك، ولم تسمِّ على كلب آخر» أخرجاه في «الصحيحين».

وفي «الصحيحين» أيضاً: فقلت: يا رسول الله، إنَّا نُرسل الكلاب المعلَّمة[٤]. وذكره.

وفي «الصحيحين»[٥] أيضاً عن عديّ قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧] عَمَدْتُ إلى عِقالين؛ أحدهما أبيض، والآخر أسود، فجعلتُهما تحت وسادتي، ثم جعلتُ أنظر إليهما، فلا يتبيَّن لي الأبيض من الأسود، فلمَّا أصبحتُ غدوتُ على رسول الله ﷺ، فأخبرتُه بالذي صنعتُ، فقال: «إنْ كان وسادُك لَعريض، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل».

وفي رواية: «إنما هما خيطا الفجر». فنزل: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٦٥.

(٢) ينظر «مسند» أحمد (٢٨٢٤٤) إلى (٢٨٢٧٤)، و«التلقيح» ص ٣٩٧.

(٣) تاريخ دمشق ٤٧/ ٦٥.

(٤) صحيح البخاري (١٧٣) و(٥٤٧٧)، وصحيح مسلم (١٩٢٩): (١) و(٢).

(٥) صحيح البخاري (١٩١٦)، وصحيح مسلم (١٠٩٠).

وليس في الصحابة من اسمُه عديُّ بنُ حاتم غيره][(١)].

قيس بن ذَرِيح

ابن الحُباب، أبو يزيد الليثي، صاحب لُبْنى بنت الحُباب الكعبية الخُزاعية.

وكان قيس بن ذَرِيح رضيعَ الحسين بن علي رضي الله عنهما[(٢)].

[وكان أبو قيس ينزل بظاهر المدينة وقيس عنده، ويُعدُّ من حاضرة المدينة].

خرج [قيس] يوماً لحاجة، فمرَّ بحيٍّ بني كعب، فوقف على خِباء لُبْنَى، فاستسقى ماءً، فسقته، وكانت امرأة مديدةَ القامة، شهلاء، حلوةَ المنظر والمنطق، فلما رآها وقعت في نفسه، فقالت: انزلْ عندنا. فنزل، وجاء أبوها فأكرمَه، ونَحَرَ له، وانصرف وفي قلبه منها مثلُ شُعَل النار. ثم عاد إليها وفي قلبها منه مثلُ ذلك، فتشاكيا.

ثم انصرف إلى أبيه فسأله[(٣)] أن يزوِّجَه إيَّاها، فأبى؛ لأنه كان غنياً، وكانت فقيرة، وقال: عليك بإحدى بنات عمِّك [وأراد أبوه ألا يخرج مالُه إلى غير بني عمِّه].

فجاء إلى أمه، فكلّمَها، فلم يجد عندها فَرَجاً، فجاء إلى رضيعهِ الحسين بن عليّ، وإلى ابن أبي عتيق، فاستعانَ بهما [على أبيه] فقاما معه إلى أبيه، فرحَّب بهما [وأعظم مَشْيَ الحسين إليه، فكلَّماه فيه، فأجابَهما، وقال: لو أرسلتُما إليَّ لمشَيْتُ إليكما] وزوَّجه إيَّاها. [وهذه رواية ابن الكلبي].

وقال أبو الفرج الأصفهاني[(٤)]: إنما خطب الحسين رضي الله عنه وابنُ أبي عتيق لُبْنى [على قيس] من أبيها، فقال: ما بنا عن الفتى رغبة، وما كنتُ لأعصيَ لك يا ابن رسول الله

---

(١) من قوله: ومن مسانيده... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).

(٢) في (ص): ذكرَ أخبارَه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبو الفرج الأصبهاني، فأما هشام فروى عن أبيه أن قيساً كان رضيع الحسين...إلخ. وما سيرد بين حاصرتين منها، وبنحوه في (م). وقوله: رضيع الحسين، يعني أنه أخوه من الرضاعة.

(٣) في (أ) و(ب) و(خ): يسأله. والمثبت من (ص) و(م).

(٤) ينظر «الأغاني» ٩/ ١٨٢-١٨٣.

أمراً، ولكن أحبُّ الأمرينِ(١) إلينا أن يخطبَها أبوه، ويكون ذلك عن أمره. فأتى الحسينُ رضي الله عنه ذَرِيحاً وقومُه مجتمعون عنده، فقاموا إليه وعظّموه، فقال: يا ذَرِيح، أقسمتُ عليك إلا خطبتَ لُبنى على ابنك قيس. فقال: سمعاً وطاعة يا ابنَ رسول الله.

وقامَ، وقام معه أشرافُ قومه إلى الخُزاعي، فخطَبَها، فزوَّجه إيَّاها، وأقامَتْ معه مدَّة، فشغلَتْه عن خدمة أبيه وأمِّه، وكان من أبرِّ الناس بأمِّه [وأبيه، فلها عنهما]، فوجدت [أمُّه] في نفسها، وعرض عليه أبوه وأمُّه أن يتزوَّج غيرَها، أو يتسرَّى، أو يطلِّقَها، فامتنع من ذلك وقال: الموتُ أهونُ من ذلك. فحلف أبوه(٢) لا يَكُنُّه سقفُ بيت حتى يُطلِّقَها، فكان يلقى الحرَّ والبرد، فأقام على ذلك مدَّة(٣).

و[كان] قيس يدخل على لُبنى فيبكيان وتقول له: [يا قيس] لا تُطع أباك فتُهلكَ نفسَك وتهلكَني، فيقول: ما كنتُ لأطيع فيكِ أحداً.

وألحَّ أبوه وأمُّه وقومُه عليه وقالوا: هلك أبوك. فلم يجد بدّاً من طلاقها، فطلَّقَها، فلقيَ الحسين رضي الله عنه وعبدُ الله بنُ صفوان أباه، فقال له ابنُ صفوان: فرَّقتَ بينهما فرَّقَ اللهُ عظامك. وقال له الحسين رضي الله عنه: ويحك! أما بلغك قول عمر بن الخطاب: ما أُبالي فرَّقتُ بينهما، أو مشيتُ إليهما بالسيف.

وأرسلتْ إلى أبيها تُخبرُه بطلاقها، فأرسلَ إليها هَوْدجاً وإبلاً، فحملها إليه.

فحينئذٍ اشتدَّ غرامه بها، وقال فيها الأشعار، فلما استقلَّ هودَجُها [تأسَّفَ وتنفَّس صُعَداء] وقال:

وإني لَمُفْنٍ دَمْعَ عينيَ بالبُكا حِذارَ الذي قد كان أو هو كائنُ

---

(١) في «الأغاني»: أحبُّ الأمر.

(٢) في (ص) و(م): فوجدَتْ أمُّه في نفسها، ومرضَ قيسٌ مرضاً أشفى منه على التلف، فقالت أمُّه لأبيه: قد خشيتُ أن يموتَ قيس ولا يترك خَلَفاً، وقد حُرم الولدَ من هذه، وأنت ذو مال، فيصيرُ مالُك إلى الكَلالة، فزوِّجْه غيرها لعلّ اللهَ أن يرزقَه ولداً. فجمع أبوه قومَه، وأتى قيساً، فذكر له ذلك، فقال: لستُ بمتزوِّج غيرها. قال: فتسرَّى. قال: ولا أتسرَّى. قال: فطَلِّقْها. قال: الموتُ أهونُ من ذلك، ولكن تزوَّجْ أنتَ لعلَّ الله أن يرزقك ولداً غيري. قال: ما في فضل. فحلف أبوه...

(٣) في (ص) و(م):... حتى يطلقها، فكان ذَريح يخرجُ فيقعدُ في الشمس، ويأتي قيس، فيقف على رأس أبيه، ويظلّه بردائه، ويصطلي هو بحرّ الشمس. ويخرج أبوه في الشتاء، فيقف في الريح والمطر والبرد. فأقام على ذلك سنة، وقيل: عشر سنين.

وقــالــوا غــداً أو بــعــد ذاك بــلــيــلــةٍ فــراقُ حــبــيــبٍ لــم يَــبِــنْ وهــو بــائــنُ
ومــا كــنــتُ أخــشــى أن تــكــون مَــنِــيَّــتــي بــكــفَّــيَّ(١) إلا أنَّ مــا حــانَ حــائــنُ

[ثم جعل يلثُم تراب المَطِيّ ويقول:

ومــا أحــبــبــتُ أرضــكُــمُ ولــكــن أُقَــبِّــلُ إثْــرَ مَــنْ وَطِــىء الــتــرابــا
لــقــد لاقَــيْــتُ مــن كَــلَــفــي بِــلُــبْــنَــى بــلاءً مــا أُسِــيــغُ بــه الــشَّــرابــا
إذا نــادى الــمــنــادي بــاســم لُــبْــنــى عَــيِــيــتُ فــمــا أُطِــيــقُ لــه جــوابــا](٢)

ثم كان يخرج إلى الأحياء ويُنشد الأشعار ويبكي، فقيل له: منذ كم أنت بهذا الوَجْد؟ فقال:

تَــعــلَّــقَ روحــي رُوحَــهــا قــبــلَ خَــلْــقِــنــا ومن بعدِ ما كنَّا نِطافاً وفي الـمَـهْـدِ
فــزادَ كــمــا زِدْنــا فــأصــبــحَ نــامــيــاً وليس وإنْ مِتْنا بمنفصمٍ(٣) العهـدِ
ولــكــنّــه بــاقٍ عــلــى كــلِّ حــالــةٍ(٤) وزائـرُنـا فـي ظُـلْـمـةِ القبـرِ واللَّـحْـدِ
يكاد فَضِيضُ الماء(٥) يَخْدِشُ جِلْدَها إذا اغـتَـسَـلَـتْ بـالماء من رِقَّةِ الجِلْدِ

قال الزُّبير بن بكَّار: أنشد أبو السائب المخزومي هذه الأبيات، فحلف لا يزالُ يقومُ ويقعدُ حتى يحفظها(٦).

[قال هشام: ومرضَ مرضاً شديداً، فجيء بطبيب، فقال له: ما الذي تجدُ ممَّا تشتكي؟ فتنَهَّدَ وتأسَّف وأنشد:

هــل الــحــبُّ إلا زَفْــرَةٌ بــعــد زَفْــرَةٍ وحَــرٌّ عــلــى الأحــشــاء لــيــس لــه بَــرْدُ
وفَــيْــضُ دمــوعٍ تــســتــهــلُّ إذا بــدا لنا عَلَمٌ من أرضكم لم يكن يَبْدُو](٧)

(١) في «الأغاني» ٩/ ١٨٥: بكفَّيك.
(٢) ما بين حاصرتين من (ص) و(م). وينظر «الأغاني» ٩/ ١٨٥-١٨٦.
(٣) في «الأغاني» ٩/ ١٩٤: إذا متنا بمنصرم. وفي ص ١٩٦: بمنتقض.
(٤) في «الأغاني»: حادث.
(٥) أي: ما تناثر منه. وتحرفت لفظة «فضيض» في (أ) و(ب) و(خ) إلى: بصيص، ولم يرد هذا البيت، ولا كلامُ الزبير بن بكار الآتي بعده في (ص) و(م)، وسيرد فيهما أواخر الترجمة من رواية الخرائطي، وسأذكره في الحاشية، كي لا يتكرر.
(٦) تاريخ دمشق ٥٩/ ٩٨-٩٩ (طبعة مجمع دمشق).
(٧) ما بين حاصرتين من (ص) و(م). وينظر «الأغاني» ٩/ ١٩٦، وفيه: هل الحبُّ إلا عَبْرَةٌ بعد زفرة.

ولما اشتهر حديثُه [ووَجْدُه بها] شكاه أبوها إلى معاوية، وقال: زوَّجتُه إيَّاها، فطلَّقَها وفضحني، فكتب له إلى مروان [بن الحكم] ـ وكان عاملَه على المدينة ـ بإهدار دمه، فرحلَ قيس إلى يزيد بن معاوية، فمدحه وشكا إليه حالَه وما يلْقَى، فرقَّ له، وأجازه، ووصلَه، وأخذ له كتاب أبيه إلى مروان بالأمان، وأن يُقيم حيث أحبَّ، فأتى محلَّةَ أهلها، فنزل عن راحلته، وتتبَّع مواطىء [أقدام] بعيرها، وجعل يمرِّغ خدَّيه ويبكي ويقول:

إلى الله أشكو فَقْدَ[1] لُبْنَى كما شكا ... إلى الله فَقْدَ الوالدَيْنِ يتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقربون فعهدُه ... جديد وعهدٌ بالديار قديمُ[2]
بَكَتْ دارُهُمْ من بُعْدِهِمْ[3] فتهلَّلَتْ ... دموعي فأيَّ الجازِعَيْنِ ألُومُ
أفي العَذْلِ هذا أنَّ قلبكِ فارغٌ ... صحيحٌ وقلبي في هواكِ سقيمُ

وبلغ زوجَها، فحَجَبَها عن الخروج، وكان أبوها قد زوَّجها، فقال[4]:

فإنْ يَحْجُبُوها أو يَحُلْ دون وصلِها ... مقالةُ واشٍ عند كلِّ أميرِ
فلن تمنعوا عينيَّ أن تذرفَ الدِّما ... ولن يُذْهِبوا ما قد أجَنَّ ضميري
إلى الله أشكو ما أُلاقي من الهوى ... ومن حُرَقٍ تعتادني بزفيري[5]
وكُنَّا جميعاً قبل أن يظهر الهَوَى ... بأنعم حالِ غِبْطةٍ وسرورِ
فما بَرِحَ الواشون حتى بدت لنا ... بطونُ الهوى مقلوبةً لظهورِ[6]

[وقال هشام:] فرمى بنفسه على الحسين وعبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق بأن يكلِّمُوا زوجَها، فدفع عبد الله بنُ جعفر لابن أبي عتيق عشرة آلاف درهم وكسوة وقال: اخرجْ إلى زوجها فكلِّمه. فخرج إليه فما زال حتى فارقها وأخذ المال، فقال قيس [يمدح ابن أبي عتيق]:

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يجازي ... على الإحسانِ خيراً من صديقِ

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ): بُعد. والمثبت من (ص) و(م) وهو الموافق لما في «الأغاني» ٩/ ١٩٨.
(٢) في «الأغاني» ٩/ ١٩٨: فجسمه نحيلٌ وعهد الوالدين قديم.
(٣) في «الأغاني»: نأيهم.
(٤) في (م): وكان أبوها قد زوَّجها بعد فراقها من قيس، فلما حَجَبَها زوجُها قال.
(٥) في (م): وزفير. وكذا في «الأغاني» ٩/ ٢٠٠.
(٦) الأبيات في «الأغاني» ٩/ ٢٠٠ـ٢٠١ باختلاف يسير. وما بعده فيه ٩/ ٢١٩-٢٢٠ بنحوه.

فـقـد جَـرَّبْـتُ إخـوانـي جـمـيـعـاً ... فـمـا لاقـيـتُ كـابـن أبـي عـتـيـقِ
سَعَى في جمع شَمْلي بعد صَدْعٍ ... وأمـرٍ جُـرْتُ فـيـه عـن طـريـقِ
وأطـفـأ لـوعـةً كـانَـتْ بـقـلـبـي ... أَغَـصَّـتْـنـي حـرارتُـهـا بـريـقـي

فقال له ابنُ أبي عتيق: يا حبيبي، أَمْسِكْ عن هذا الشعر، فما سمعه أحد إلا وظنَّني قوّاداً.

فماتت لُبنى في العِدَّة، ولم يجتمعا، ومات في هذه السنة عقيب موتها.

وقيل: إنهما اجتمعا، ثم ماتا بعد ذلك[(١)].

ولقيس في الحماسة[(٢)]:

وكـلُّ مـصـيـبـاتِ الـزمـانِ وجَـدْتُـهـا ... سوى فُرْقةِ الأحباب هيِّنةَ الخَطْبِ[(٣)]
وقـلـتُ لـقـلـبـي حـيـن لـجَّ بـيَ الـهـوى ... وكـلَّـفـنـي مـا لا أُطـيـقُ مـن الـحُـبِّ
ألا أيُّـهـا الـقـلـبُ الـذي قـادَه الـهـوى ... أَفِـقْ لا أقـرَّ الـلـهُ عـيـنَـكَ مـن قـلـبِ

السنة التاسعة والستون[(٤)]

فيها شرع عبد الملك بن مروان في عِمارة القبَّة على صخرة بيت المقدس، وعِمارة الجامع الأقصى[(٥)]، وقيل: إنما شرع في ذلك سنةَ سبعين، وفرغ منها سنة اثنتين وسبعين[(٦)].

---

(١) بعدها في (ص) و(م): قلت: وهذا قول هشام وأبي الفَرَج. وقال الخرائطي ـ و قد تقدَّم إسنادنا إليه ـ بإسناده إلى الزبير بن بكار قال: أنشد أبو السائب المخزومي قول قيس: تعلَّق روحي روحَها، وأنشد الثلاثة أبيات وزاد بيتاً رابعاً:

يـكـاد فـضـيـض الـمـاء يـخـدش جـلـدهـا ... إذا اغـتـسـلـت بـالـمـاء مـن رقَّـة الـجـلـد

فحلف أبو السائب لا يزال يقوم ويقعد حتى يحفظ الأبيات.

وقد سلف هذا الكلام قريباً من (أ) و (ب) و (خ).

(٢) وقع بدل هذه العبارة في (ص) و(م) ما صورته: وقيس بن ذريح من شعراء الحماسة، وأنشد له أبو تمام...إلخ.

(٣) لم أقف في «حماسة» أبي تمام إلا على البيت الأول ٣/ ١٢٥١ (بشرح المرزوقي). والأبيات الثلاثة في «الحماسة البصرية» ٢/ ١٠١، ورواية البيت الأول فيه: وكل مُلمَّات الزمان... وورد البيت الأول في أبيات له في «الأغاني» ٩/ ١٨٨ـ١٨٩.

(٤) أضيفت بدءاً من هذه السنة نسخة أخرى من مكتبة أحمد الثالث، ورمزها (د).

(٥) نقله ابن كثير عن المصنف في «البداية والنهاية» ١٢/ ٤١ في أحداث سنة (٦٦).

(٦) في «البداية والنهاية»: سنة (٧٣).

وفيها قَتَلَ عبدُ الملك بنُ مروان عَمرو بنَ سعيد بن العاص [وكان قد عصى[١] بدمشق لما نذكر].

وفيها كانت حروب كثيرة بالجزيرة، منها حرب عبد الملك لزُفَر بن الحارث الكلابي، وكنيتُه أبو الهُذَيْل.

وكان مروان قد بعث[٢] عُبيد الله بنَ زياد إلى الجزيرة والعراق في ستين ألفاً، فلم يبلغ الجزيرة حتى مات مروان، فأقرَّه عبد الملك على ما كان ولَّاه أبوه عليه. فسار إلى قرقيسيا، فحاصر زُفَرَ بنَ الحارث مدَّة، فلم يقدر منه على شيء، ووصلَ جيشُ التوَّابين مع سليمان بن صُرد [وقُتل ابن صُرد].

وجاء بعده ابنُ الأشتر، وسار إلى[٣] ابن زياد والتقيا على الزَّاب[٤]، فقتلَه إبراهيم [بنُ الأشتر] واشتدّت شوكة زُفر [بن الحارث] والقيسيَّة معه، فاستخلفَ عبدُ الملك [بن مروان] على دمشق عبد الله بنَ يزيد بن أسد أبا خالد بن عبد الله القَسْري[٥]. وسار عبد الملك، فلما شارف الفرات انخزلَ عمرُو بنُ سعيد عنه، وعاد إلى دمشق، فأغلقَ أبوابَها، وبايعه[٦] عبدُ الله بنُ يزيد القَسْري وغيرُه.

ثم عاد إليه عبدُ الملك، فخدعَه حتى فتح أبواب دمشق، وقتلَه، ثم استخلفَ على دمشق عبدَ الرحمن بن أمّ الحَكَم الثقفي[٧].

ولمَّا وصل عبد الملك إلى قرقيسيا حصر زُفَر، فصالَحه بعد أن نصبَ عليه المجانيق[٨].

---

(١) كذا في (ص) و(م) (والكلام بين حاصرتين منهما) ولعلها: تحصَّن.

(٢) في (ص) : واختلفوا فيه، فذكر هشام بن عمار الدمشقي وقال: كان مروان قد بعث...إلخ.

(٣) في (ص) : إليه.

(٤) في (أ): الفرات.

(٥) لم ترد لفظة «القسري» في (ص). وتحرفت في (أ) و(ب) و(خ) و(د) إلى المقري. وكذا في الموضع الآتي (والكلام ليس في م).

(٦) في (د): وتابعه.

(٧) في (ص) : عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي، وأمه أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية.

(٨) أنساب الأشراف ٦/ ١٤٠ـ١٤١ .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مع عبد الملك يقاتل أهل قرقيسيا مع أخواله كلب، ومعه موالي معاوية، فألحَّ خالد عليهم بالقتال حتى كاد يظفر، فقال رجل من أهل قرقيسيا: لأُسمعنَّه كلاماً يردعُه. فلما غدا على القتال؛ ناداه: يا خالد، ما تبتغي؟ ثم أنشد:

مـاذا ابـتـغـاءُ خـالـدٍ وهـمُّـهُ إذ سُـلـبَ الـمـلـكَ ونـيـكـت أمُّـهُ؟

فانكسر خالد واستحيا، ولم يعد إلى القتال حتى صالح زفر عبد الملك[1].

ولما اشتدَّ الحصار بزفر؛ قال لابنه الهُذَيل: واللهِ لئن لم تشدَّ عليهم غداً شَدّةً لا تنثني حتى تضربَ فسطاط عبد الملك؛ لأقتلنَّك.

فلما أصبحَ خرج الهُذيل في القيسيَّة، وأقبلَ عبد الملك في جيوشه، فحمل الهُذيل، فخرق الصفوف، وضرب فسطاط عبد الملك بالسيف حتى قطعَ أطنابه، ثم كرَّ راجعاً إلى قرقيسيا، فقام أبوه، فقبَّلَ ما بين عينيه وقال: واللهِ يا بُنيَّ، لايزالُ عبد الملك يحبُّك بعدها. ثم قال زُفَر:

ألا لا أُبـالـي مَـنْ أتـاهُ حِـمـامُـهُ إذا مـا الـمـنـايـا عـن هُـذيـلٍ تـخـلَّـتِ

تـراه أمـامَ الـخـيـل أوَّلَ فـارسٍ ويـضـربُ فـي أعـجـازهـا إنْ تَـوَلَّـتِ[2]

و[قال المدائني:] قاتل عبدُ الملك زُفَرَ أربعين يوماً، فلما يئس منه كتب إليه مع رجاء بن حَيْوة والحجَّاج بن يوسف يدعوه إلى الصلح، فوافياه بالكتاب وقد حضرت الصلاة، فصلَّى رجاء مع زُفَر، وصلَّى الحجَّاج وحدَه وقال: لا أُصلِّي مع منافق[3]. وبلغ عبدَ الملك، فلما رجعا قال لرجاء: هلَّا فعلتَ كما فعل الحجَّاج؟ فقال: ما كنتُ لأدع الصلاة في جماعة وأصلِّي منفرداً. ثم اصطلحا على أن لا يقاتل زُفَر مع عبد الملك حتى يموت ابنُ الزبير؛ لأنه كانت [له] في عنقه بيعة[4]. ولما خرج زُفَر إلى عبد

---

(١) المصدر السابق ٦/ ١٤٤ .

(٢) أنساب الأشراف ٦/ ١٤٥ .

(٣) في (ص): مشاقق. وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ١٤٨ : مشاق منافق.

(٤) أنساب الأشراف ٦/ ١٤٨ . وما سلف بين حاصرتين من (ص).

الملك رأى في أصحاب زُفر قلَّة[١]، فقال: لو علمتُ أنَّ الحال كذا؛ ما صالحتُه. وبلغَ زُفَرَ، فقال: يا عبد الملك، إنْ شئتَ رَدَدْناها وعُدْنا إلى الأول؟ فقال: لا يا أبا الهُذَيل.

و[قال أبو اليقظان:] لما خرج زُفر إلى عبد الملك؛ أجلَسه معه على سريره، فقال له ابن عضاه الأشعري: أنا كنتُ أحقَّ منه بهذا المجلس. فقال زُفَر: كذبتَ، لستَ هناك، إني عادَيْتُ فأضرَرْتُ، ووالَيْتُ فنفعتُ.

وقال الأخطل الشاعر لعبد الملك: أتُدْني هذا منك وقد حاولَ سَلْبَ نعمتِك؟! وهو القائل:

وإنِّـي زُبـيـريُّ الـحـيـاةِ فـإنْ أمُـتْ فـإنِّـي لَـمُـوصٍ هـامـتـي بـالـتـزبُّـرِ

فغضب عبد الملك واحمرَّتْ عيناه، فقال له زُفَر: يا عبدَ الملك، لا تسمعنَّ قول ابنِ النصرانيَّة، فإنَّما رُبِّيَ لحمُه على لحم الخنزير والخمر والكفر بالله، عدوّ الله وعدوّ رسولِه، فإنا قاتلناك بالأمس، وواليناك اليوم، فنحن اليومَ على طاعتك أشدُّ ممَّا كنَّا عليه في معصيتك[٢].

ولما كثَّر الناس على زُفَر عند عبد الملك؛ انقبضَ عنه، فدخل عليه يوماً، فمدَّ عبدُ الملك رِجْلَه مكاناً يقعدُ فيه زُفَر، فقال له زُفر: كُفَّ رِجْلَكَ يا عبدَ الملك عن مجلس خالِك، وفِ لي بصفقة يمينك كما وفيتُ لك بصفقة يميني. فكفَّ عبدُ الملك رِجلَه، وجلسَ زُفر[٣].

ويعني قول زُفَر: عن مجلس خالك: أنَّ أمَّ أميَّة[٤] بنت أبان بن كُليب بن ربيعة بن عامر.

وزُفَر[٥] بن الحارث بن عَبْد عَمرو بن مُعاز [بعين مهملة وزايٍ معجمة] الكلابي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الجزيرة.

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): رأى في أصحابه قلَّة. والمثبت من (ص).

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ١٤٩، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٤٢١ (مصورة دار البشير).

(٣) المصدر السابق.

(٤) في «أنساب الأشراف» ٦/ ١٥٠: يعني أن أم عبد شمس من بني سُليم، وأم أمية...إلخ.

(٥) في (ص): وقد ذكره ابن عساكر فقال: زفر...إلخ وهو في «تاريخ دمشق» ٦/ ٤٢٠ (مصورة دار البشير) وما سيرد بين حاصرتين من (ص).

وبعثَه معاوية إلى عائشة رضي الله عنها بوقعة صفِّين، وكان قد نزل البصرة، وتحوَّل إلى الشام بعد وقعة الجمل، وكان أميراً مع معاوية في صفِّين على أهل قِنَّسْرِين.

و[قال ابن ماكولا:][١] كان سيِّدَ قومِهِ في زمانه، وله أخبار وأشعار.

وأسندَ الحديث عن عائشة رضي الله عنها، ومعاوية.

وكان له أولاد: الهُذَيْل، وكوثر، والرَّباب، وكانت الرَّباب عند مَسْلَمة بن عبد الملك، فكان يؤذَن عليه[٢] لأخويها الهُذَيْل وكوثر أوَّلَ الناس.

وقُتل له يومَ مَرْج راهط ثلاثةُ بنين.

وقيل: إن أباه الحارث من كِنْدة[٣]، وقيل: إنه مات في أيام عبد الملك بن مروان.

[قلت:] وزُفر من شعراء الحماسة، فمن شعره فيها قولُه:

وكُنَّا حَسِبْنا كلَّ بيضاءَ شحمةً[٤] ليالِيَ لاقَيْنا[٥] جُذامَ[٦] وحِمْيَرَا
فلمَّا قَرَعْنا النَّبْعَ بالنَّبْعِ بعضَهُ ببعضٍ أبَتْ عِيدانُهُ أنْ تَكَسَّرا[٧]
ولمَّا لَقِينا عُصْبَةً تَغْلِبيَّةً يقودون جُرْداً[٨] للمنيَّةِ ضُمَّرَا
سَقَيْناهُمُ كأساً سَقَوْنا بمثلها ولكنَّهمْ كانوا على الموتِ أصْبَرَا

---

(١) الإكمال ٧/ ٢٧٣، وتاريخ دمشق ٦/ ٤٢١.

(٢) في (أ) و(د) (والكلام منهما): عليها. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ١٥١.

(٣) في المصدر السابق: وكان يقال: إن زفر بن الحارث من كندة.

(٤) قال المرزوقي في «شرح الحماسة» ١/ ١٥٥: حكى الأصمعي في الأمثال: ما كلُّ بيضاء شحمة، ولا كل سوداء تمرة. والمعنى: ليس كلُّ ما أشبه شيئاً ذلك الشيء. اهـ. ونُسبت الأبيات في «أنساب الأشراف» ٦/ ١٧٥ لعُمير بن الحُباب السُّلمي، وفيها: حَسِبنا كل سوداء تمرة.

(٥) في «الحماسة» ١/ ١٥٥ (شرح المرزوقي): قارعْنا.

(٦) في (أ): جُذاماً.

(٧) النَّبع: خير الأشجار التي يتَّخذُ منها القِسيّ وأصلبُها، كما أن الغَرَبَ شرُّها وأرخاها، فجعلت العرب تضرب المثل بهما في الأصل الكريم واللئيم. يقول: لما قرعنا أصلهم بأصلنا أبت العيدان من التكسُّر. قاله المرزوقي في «شرح الحماسة» ١/ ١٥٦.

(٨) أي: خيلاً.

ومن حروب الجزيرة

يومُ الثَّرْثَار الأوّل

وهو نهر[١] ينزع من ماء[٢] نَصِيبِين، ويفرغ في دجلة بين الكُحيل ورأس الإيَّل، وهو جبل[٣].

حَشَدَتْ تغلب النَّمِر بن قاسط وبني شيبان وغيرهم، وكان عليها زياد[٤] بن هَوْبَر التغلبي، وعلى قيس عميرُ بن مالك بن الحُباب السُّلَمي[٥]، فالتَقَوْا بالثَّرْثَار، فاقتتلُوا، فكانت الدَّبَرَة[٦] على قيس، فَقَتَلَتْ تَغْلب منهم مقتلةً عظيمة.

وفي ذلك يقول الأخطل:

لَعَمْري لقد لاقَتْ سُلَيمٌ وعامرٌ إلى جانب الثَّرْثارِ راغيةَ البَكْرِ[٧]

يوم الثرثار الثاني

تجمَّعت قيس وعليها عُمير بنُ مالك بن الحُباب السُّلَمي، وأتاهم زُفَر بنُ الحارث من قرقيسيا، وكان عبد الملك مشغولاً عنه بعمرو بن سعيد، وكان على تَغْلب زيادُ بنُ هَوْبَر، وكان زُفَر نجدةً لقيس، فكانت الدَّبَرة[٨] على تَغْلب، فقُتل منهم خلقٌ عظيم، وانهزم الباقون.

---

(١) عبارة (ص): ... يوم الثرثار. قال الجوهري: الثرثار اسم نهر. ولم يعيّنه. وعيَّنَه البلاذري فقال: هو نهر...

(٢) في «أنساب الأشراف» ٦/ ١٦٦: هرماس، بدل: ماء.

(٣) ينظر «معجم ما استعجم» ١/ ٢١٦ و٣٣٨.

(٤) ويقال: يزيد، كما في «أنساب الأشراف» ٦/ ١٦٦.

(٥) كذا وقع هنا وفي الموضع التالي، وهو وهم، وإنما هو عُمير بن الحُباب.

(٦) في (ص): الدائرة.

(٧) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ١٦٦-١٦٨ و«ديوان» الأخطل ص١٣٣. وقوله: راغية البَكْر؛ قال المبرِّد في «الكامل» ١/ ٧: أراد أنَّ بَكْرَ ثمود رغا فيهم فأُهلكوا، فضَرَبَتْه العربُ مثلاً...

(٨) في (ص): الدائرة. وكذا في الموضع الآتي.

يوم السُّكَيْر

ويقال له: سُكَيْر العبَّاس، قريةٌ بين الخابور والفرات، وعلى قيس عُمير بنُ الحُباب، وعلى تغلب ابنُ هَوْبَر، فكانت الدَّبَرة على تَغْلب.

يوم الحَشَّاك

[بتشديد الشين المعجمة؛ قال الجوهري: هو اسم نهر. ولم يُعَيِّنْه. وقال الهيثم:][(١)] هو نهرٌ يأخذُ من الهِرْماس، قريب من الشرعَبيَّة، وإلى جنبه بَراق، وكان عُمير بن عبد الله بن الحباب[(٢)] السُّلَمي قد ألحَّ على تَغْلب بالغارات والقتل، فاستصرخوا عليه القبائل، فاجتمعوا. وجاء زُفَر بنُ الحارث من قرقيسيا ومعه ابنُه الهُذيل، وعلى تَغْلب ابنُ هَوْبَر، فاقتتلُوا ثلاثةَ أيام، وتعاقدت [تَغْلب] على أنَّها لا تفرّ، وأن تموتَ على دم واحد. فقال عُمير بن الحُباب[(٣)] لقيس: هؤلاء قد استقتلُوا، والرأيُ أن ننصرفَ عنهم، فإذا اطمأنُّوا رجعنا عليهم. فقال [له] عبد العزيز بن أبي حاتم[(٤)] الباهليّ: يا ابنَ الصَّمْعاء، قُتِلَتْ بالأمس فرسانُ قيس، ثم مُلِىءَ اليوم سَحْرُك فجَبُنْتَ[(٥)]؟! فغضب عُمير وقال: كأني بك أوَّلَ فارّ. ثم ترجَّل عُمير، وقاتلَ قتالاً لم يُرَ مثلُه.

وجاء الخبر إلى زُفر أنَّ عبد الملك قاصدُه، فهربَ إلى قرقيسيا، وطمعت فيهم بنو تَغْلب، وقُتل ابنُ هَوْبَر، وعُمير بنُ مالك[(٦)] قتلَه جميل بنُ قيس، وانهزمت قيس، وقُتلت فرسانُها حول عمير، وبعثَتْ تَغْلب برأس عُمير إلى عبد الملك وهو بغوطة دمشق، وكانت تَغْلب مروانيَّة، وقيس زُبَيْريَّة. وقد ذكر الأخطل هذه الوقعة في شعره[(٧)].

---

(١) الكلام بين حاصرتين من (ص).

(٢) كذا في النسخ، وسلف باسم: عمير بن مالك بن الحباب، وكلاهما وهم، وإنما هو عُمير بن الحُباب.

(٣) في (ص): عُمير بن مالك بن الحباب. وهو خطأ.

(٤) في «أنساب الأشراف» ٦/ ١٧٣: عبد العزيز بن حاتم.

(٥) السَّحْر ـ ويحرَّك ويضمّ ـ الرِّئة، يقال: انتَفَخَ سَحْرُهُ، أي: امتلأ خوفاً وجُبْناً. ويقال أيضاً: انتفخ سَحْرُه، أي: عدا طَوْرَه وجاوز قَدْرَه.

(٦) كذا في النسخ. وإنما هو عُمير بن الحُباب. وسلف قريباً في موضعين: عمير بن مالك بن الحباب، وفي موضع آخر: عُمير بن عبد الله بن الحباب، وهو خطأ.

(٧) ينظر «أنساب الأشراف» ٦١/ ١٧٣-١٧٤. وسياقة الخبر فيه أحسن.

وعُمير بن الحُباب[1] فارس بني سُليم؛ [قال ابنُ عُبيد:] وكانت الروم قد أَسَرَتْه، فسأله ملك الروم أن يتنصَّر ويزوِّجَه ابنتَه ويُقاسمَه ملكه، فأبى[2].

وأمُّه الصَّمعاء، وقيل: هي جدَّتُه. والصَّمعاء: الصغيرة الأذن: وكانت منازلُه على البَلِيخ.

[وهو الذي قال لابنِ الأشتر يوم الخازِر: إذا التقينا؛ صِرْتُ إليكم. وغَدَرَ][3]، وكان زُبيرياً يُبغض آل مروان، وكانت بينه وبين [آل] تَغْلب حروب كثيرة يُطالبُهم بقتلى مرج راهط من القيسية.

يوم الشَّرْعَبِيَّة

مكانٌ بالجزيرة، وكان لتَغْلب على قيس[4].

يوم الفُدَيْن

قرية على شاطىء الخابور[5]، وكانت الدَّبَرة على تَغْلب.

يوم الكُحَيْل

وكان يوماً عظيماً على تَغْلب. والكُحَيْل مكانٌ بأرض الموصل غربيّ دِجْلة.

وسببُ هذه الوقعة أنه لمَّا قُتل عُمير بن الحُباب[6]؛ قام أخوه تميم في القبائل، فاجتمعوا إليه، وأتى زفرَ بنَ الحارث يستصرخُه، فامتنع من نصره، فقال له ابنُه الهُذَيْل: واللهِ لئن ظُفر بهم إنَّ ذلك لعارٌ عليك، وإن ظفروا به وقد خذلْتَهم إنَّ ذلك لأشدّ.

---

(١) في (ص): عمير بن عبد الله بن الحباب، وهو خطأ. وانظر الكلام قبل تعليق.

(٢) الذي في «تاريخ دمشق» ٥٦/ ١٢٩ (طبعة مجمع دمشق) أن الذي عرض عليه ذلك هو أحد البطارقة، وليس ملك الروم، وهو الأشبه.

(٣) ينظر ما سلف ٤١٠-٤١١ وما بعدها (خبر مقتل عُبيد الله بن زياد سنة ٦٧).

(٤) أنساب الأشراف ٦/ ١٧٢.

(٥) قال في «أنساب الأشراف» ٦/ ١٧٠: والعامَّة تسمي هذه القرية: الصُّوَر، وهي قريبة من الفُدَيْن، بينهما نحو أربعة فراسخ.

(٦) في (ص): عمير بن مالك بن الحباب.

فاستخلف [زُفر] على قرقيسيا أخاه أوسَ بن الحارث، وسار يُنجد قيساً، وبنو تَغْلب نازلون بالكُحَيل، وقيل: بالعَقِيق. فلمَّا أحَسُّوا بهم ارتحلوا ليعبروا دِجْلة، فلحقَهم زُفر في قيس، والتَقَوْا، فترجَّلت القيسيَّة، و[بقي] زُفر على بغلة له، فقتلوهم يوماً وليلة، وبقروا بطونَ نسائهم، وغرق في دجلةَ أكثرُ ممَّن قُتل، وأَسَرَ زُفر من فرسانهم مئتين، فقتلَهم صبراً بعُمير بن الحُباب السُّلَمي، وكان نسيب زُفر[1].

يوم ماكسين

التقَوْا على قنطرة ماكسين بالخابور، وكان على تَغْلب شُعيث بن مُلَيْل[2]، فقُتل، وانهزمت تَغْلب، وقُتل مع شُعيث خمسُ مئة من فرسان تَغْلب.

وقد ذكرها جرير فقال:

تـركـوا شُـعـيـثَ بـنـي مُـلَـيْـلٍ مـسـنَـداً[3]

يوم المعارك

وهو مكان بين الحَضْر والعَقِيق بأرض الموصل، كانت الدَّبَرةُ[4] على تَغْلب، وفيه يقول ابن صفَّار:

ولـقـد تـركـنـا بـالـمـعـاركِ مـنـكـمُ والـحَـضْـرِ والـثَّـرثـارِ أجـسـاداً جُـثَّـا[5]

وحجَّ بالناس عبدُ الله بنُ الزُّبير، وكان الأمير على الكوفة والبصرة مصعب بنُ الزُّبير، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة هشامُ بن هُبيرة، وعلى خراسان عبد الله بنُ خازم السُّلَمي[6].

---

(١) أنساب الأشراف ٦/ ١٧٨ـ١٧٩ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) المثبت من (ص)، وفي باقي النسخ: بليل (وكذا في الموضع الآتي).

(٣) أنساب الأشراف ٦/ ١٦٤ . وعجز البيت فيه: والآسِيَيْنِ وأَقْعَصُوا شُعرُورا. وعَجُزُه في «ديوان» جرير ١/ ٢٣١ : والشعثمين وأسلموا شُعرورا. وفي حاشيته: والأشيبين، نسخة، بدل: والشعثمين.

(٤) في (ص): الدائرة.

(٥) أنساب الأشراف ٦/ ١٧١ .

(٦) تاريخ الطبري ٦/ ١٤٩ .

وفيها توفّي

الأحنف بن قيس

التميمي البصري، أبو بحر، و[اختلف في اسمه، فقال ابن سعد:] اسمُه الضَّحاك ابنُ قيس بن معاوية بن حُصين بن عُبادة(١) بن النَّزَّال.

[وقال أبو اليقظان؛ وتقدم الإسناد إليه: هو صخر بن قيس بن معاوية بن حُصين. وقيل: الحارث. وما ذكره ابن سعد أشهر. والأَحْنَفُ لقبٌ له، وكانت أُمُّه من بني قراض من باهلة، ولدَتهُ وهو أحنفُ. والحَنَف: المَيْل].وكان أحنفَ الرجلين، فكانت أُمُّه ترقِّصه، وتقول:

والله لولا حَنَفٌ بِرِجْلِهِ ودقَّةٌ في ساقه من هزلِهِ
ما كان في فتيانِكم من مِثْلِهِ

[وذكره الجوهري فقال: الحَنَف: الاعوجاج في الرِّجْل، وهو أن تُقبل إحدى إبهامي رجليه على الأخرى، ومنه سمِّي أحنف بن قيس. قال: واسمه صخر. قال: وقال ابن الأعرابي: هو الذي يمشي على ظهر قدمه من شِقِّها الذي يلي خنصرها] .

وهو من الطبقة الأولى(٢) من التابعين من أهل البصرة، أدرك عهد رسول الله ﷺ، ولم يره.

وكان أبوه يُكنى أبا مالك، قتلته بنو مازن في الجاهلية.

وأمُّ الأحنف حُبَّى بنت عمرو بن ثعلبة الباهلي(٣). وقيل: بنت قُرط بن عمرو(٤).

[وقال هشام: حَبَّة بنت عمرو بن قُرط بن ثعلبة.

---

(١) في النسخ الخطية: قتادة، والمثبت من «أنساب الأشراف» ١١/ ٣٨٨، و«طبقات ابن سعد» ٩/ ٩٢. ووقع في «المعارف» ص ٤٢٣: عبّاد.

(٢) في (ص) و(م): وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى... وهو في «طبقات ابن سعد» ٩/ ٩٢. وما سلف بين حاصرتين من (م) وبعضه في (ص).

(٣) نُسب هذا القول في (ص) و(م) لأبي اليقظان. وينظر «أنساب الأشراف» ١١/ ٣٨٩.

(٤) نسب هذا القول في (ص) و(م) للهيثم. والكلام بعده بين حاصرتين منهما.

وقد حكاه ابن عساكر قال:] وأخوها الأخطل بن قُرط، كان من الشجعان، وكان الأحنف يفتخر به ويقول: من له خالٌ كخالي[١]؟

ذكر صفته:

[قال ابن عساكر:] كان أعور، قصيراً، دميماً، أعوجَ الساقين[٢].

[وقال هشام: ولدته أمه] ملتصق الأليتين، فشقُّوا ما بينهما[٣]، وكانت له بيضةٌ واحدة [وهذا من العجائب].

ذكر طرف من أخباره:

[قال ابن سعد بإسناده عن الحسن:][٤] قال الأحنف: بينا أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان بن عفَّان؛ إذْ لقيني رجل من بني ليث، فأخذ بيدي، فقال: ألا أُبشِّرك؟ قلت: بلى. قال: تذكرُ إذْ بعثَني رسولُ الله ﷺ إلى قومك بني سعد، فجعلتُ أعرضُ عليهم الإسلام، وأدعوهم إليه؟ فقلت أنتَ: إنه ليدعو إلى خير، وما أسمع إلا حسناً. قال: فإنّي ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «اللهمَّ اغْفِرْ للأحنف». قال الأحنف: فما شيءٌ أَرْجَى عندي من ذلك. [وأخرجه الإمام أحمد في «المسند»[٥].

قال:] وكان عمر رضي الله عنه يقول: الأحنف سيِّد بني تميم[٦].

[وقال ابنُ سعد بإسناده عن الحسن: إنَّ الأحنف قدمَ على عمر بن الخطاب، فاحتَبَسَهُ حَوْلاً. ثم قال: هل تدري لم حبستُك؟ إن رسول الله ﷺ خوَّفَنا[٧] كلَّ منافقٍ عليم اللسان. ولستَ منهم إن شاء الله].

---

(١) ينظر «المعارف» ص ٤٢٣.

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٨/ ٤٢٥ (مصورة دار البشير). وما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٣) ينظر «المعارف» ص ٤٢٣.

(٤) ما بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٥) طبقات ابن سعد ٩/ ٩٢. وهو في «المسند» (٢٣١٦١). وينظر «أنساب الأشراف»١١/ ٣٨٩و٤٠٠. والكلام بين حاصرتين في هذا الموضع من (ص).

(٦) ينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ٩٣.

(٧) في (م): قال، بدل: خوَّفنا. والمثبت من (ص)، وهو الموافق لما في طبقات» ابن سعد ٩/ ٩٣. وخبر ابن سعد هذا الواقع بين حاصرتين من هاتين النسختين.

وقال الأحنف(١): قدمتُ على عمر، فاحْتَبَسَني عنده حَوْلاً، فقال: يا أحنف، قد بَلَوْتُك وخَبَرْتُك، فلم أرَ إلا خيراً، ورأيتُ علانيتَك حسنةً، وأرجو أن تكونَ سريرتُك مثلَ علانيتك، فإنَّا كنَّا نتحدَّثُ أنَّما يُهلِكُ هذه الأمةَ كلُّ منافقٍ عليمِ اللسان.

[قال:](٢) وكتبَ عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعريّ: أمَّا بعد، فأْذَنْ للأحنف بن قيس وشاوِرْه، واسْمَعْ منه.

[قال:](٣) وقال الحَسَن: ما رأيتُ شريف قوم كان أفضل من الأحنف.

[قال:] وقال الأحنف: إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافةُ الجواب.

[قال:] وتكلَّم الناسُ عند معاوية والأحنف ساكت، فقال معاوية: تكلَّم يا أبا بحر، فقال: أخافُ اللهَ إن كذبتُ، وأخافُكم إن صدقتُ(٤).

[قال هشام:] وأغلظ رجل للأحنف، فلمَّا وصلَ إلى نادي قومه؛ وقفَ وقال: إن كان عندك شيء آخر فقل، لئلا يسمعَك قومي، فيؤذوك.

[قال: وقال الأحنف: لست بحليم، ولكني أتحالم.

قال:] وكانت عامَّة صلاة الأحنف بالليل، وكان يضع المصباح قريباً منه، ويضع أصبعه فيه، ثم يقول: حَسِّ، ثم يقول: يا أحنف، ما حملك على أن صنعتَ كذا في يوم كذا(٥)؟

وقيل له: إنك شيخ كبير، وإنَّ الصيام يُضعفُك، فقال: إني أُعِدُّه لشرّ طويل.

وكتب إليه عبد الملك بن مروان كتاباً يدعوه فيه إلى نفسه، فقال: يدعوني ابنُ الزرقاء إلى ولاية أهل الشام، واللهِ لوَدِدْتُ أنَّ بيني وبينهم جبلاً من نار، من أتانا منهم احترقَ فيه، ومن أتاهم منَّا احترق فيه(٦).

---

(١) في (ص) و(م): وفي رواية ابن سعد عن الأحنف قال... وهو في «الطبقات» ٩/ ٩٣ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٩٤ .
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) أنساب الأشراف ١١/ ٤٢٧ ، وطبقات ابن سعد ٩/ ٩٥ .

وقال الأحنف: قد عرفتُ من نفسي العجلة في ثلاث؛ صلاتي إذا حَضَرَتْ حتى أُصلِّيَها، وجنازتي إذا حَضَرَتْ حتى أُغَيِّبَها في حفرتها، وابنتي إذا خطبها كُفْؤها حتى أزوِّجَه إيَّاها(١).

وكانت فيه أناةٌ شديدة إلا في هذه الثلاث.

[وقال الهيثم بن عديّ: لما دعا رسول الله ﷺ بني تميم إلى الإسلام ولم يجيبوا؛ بلغ الأحنف فقال: إنه ليدعو إلى مكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها. وأسلم الأحنف ولم يلق رسول الله ﷺ، ولما بلغ رسولَ الله ﷺ دعا له، واستغفر له](٢).

وبعثه عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إلى خُراسان في جيش فيهم الحسن وابنُ سِيرِين، فَبَيَّتَ العدوَّ ليلاً وهو يقول:

إنَّ علـى كـلِّ رئيـسٍ حـقّـا ... أن يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقَّا(٣)

ثم فتح مَرْوَرُوذ.

ذكر طرف من سؤدده وكلامه:

كان زياد بن أبيه يقول: قد بلغ الأحنف من الشرف والسؤدُد ما لا ينفعُه معه ولاية، ولا يضرُّه معه عزل، وإنه ليفرُّ من الشرف والشرف يتبعُه(٤).

وقيل للأحنف: ما السؤدُد؟ قال: أن يخرج الإنسان من بيته وحده، ويرجع ومعه جماعة.

وقال الواقدي: وإلى الأحنف انتهى الحلم والسؤدُد.

وقيل للأحنف: بأيّ شيء سوَّدَك قومُك؟ فقال: لو عاب الناسُ ماءً ما شربتُه(٥).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ما بين حاصرتين من (ص) و(م) وسلف نحوه أول الفقرة. وينظر «أنساب الأشراف»١١/ ٣٨٩و ٤٠٠ .

(٣) تاريخ دمشق ٨/ ٤٢٧ (مصورة دار البشير)، والصَّعْدة: القناة، وهو فيه بالروايتين. وينظر «المعارف» ص ٤٢٥ .

(٤) ينظر «التذكرة الحمدونية» ٢/ ٢٧ ، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤٢٩ ، و«المنتظم» ٦/ ٩٥ .

(٥) في (ص) و(م):... الماء لم أشربه، ونُسب الكلام فيهما لابن عساكر، وهو في «تاريخه» ٨/ ٤٢٨ (مصورة دار البشير).

وقال خالد بن صفوان: قال [لي] العباس بن الوليد بن عبد الملك: أَخْبِرْني عن تسويدكم الأحنف، وكنتم حيّاً لم تملكوا في جاهليَّة قطّ؟!

فقلت له: سادَنا في خِصال: ما رأينا أشدَّ سلطاناً على نفسه منه، وقد يكون الرجلُ عظيمَ السلطان على نفسه ولا يكون بصيراً بالمحاسن والمساوىء، ولم نر أحداً[(١)] أبصر منه بذلك، وكان لا يحسد، ولا يجهل، ولا يدفع الحقّ[(٢)].

[وقال الأصمعي: إنما أخذ الأحنف الحلم من قيس بن عاصم. وقد ذكرناه في سنة سبع وأربعين.

وقال المدائني:] وكان الأحنف يوماً عند معاوية في وجوه أهل الشام، فقام رجل، فسبَّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فغضب الأحنف وقال: يا معاوية، لو علم هذا أنَّ رضاك في لعنِ الأنبياء لَلَعَنَهم، فاتَّقِ اللهَ، ودَعْ عنك [ذكر] أمير المؤمنين، فقد لقيَ ربَّه، وخلا بعمله، ولقد كان ـ واللهِ ـ المبرِّزَ بسَبْقِه، الطاهرَ ثوبُه، الميمونَ النقيبة، الذي عَمَّتْ مصيبتُه. فقال له معاوية: والله لتصعدنَّ المنبرَ، ولَتَسُبَّنَّه. فقال الأحنف: إن تُعْفِني فهو خيرٌ لك. قال: وكيف؟ قال: واللهِ لئن صعدتُ المنبر لأقولنَّ: إن معاوية أمرني بكذا وكذا. وقد قال رسول الله ﷺ لعمَّار: «تقتُلُك الفئةُ الباغية». فالعنوها. فقال معاوية: حسبُك[(٣)].

و[قال الأصمعي:] قال معاوية [يوماً] للأحنف: أخبرني عن قول الشاعر:

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم ... فسرَّكَ أن يعيش فجِىءْ بزادِ
بخبزٍ أو بلحمٍ[(٤)] أو بإقْطٍ[(٥)] ... أو الشيءِ الملفَّف[(٦)] بالبِجادِ

(١) في (د): ولم يُر أحدٌ.

(٢) تاريخ دمشق ٨/ ٤٢٩، وما سلف وما يأتي بعده بين حاصرتين من (ص).

(٣) من قوله: فقال له معاوية: والله لتصعدنَّ المنبر... إلى هذا الموضع، وقع في (أ) و(د) و(خ) بعد الخبر الآتي، وهو خطأ، والمثبت من (ص)، وهو الموافق لما في «العقد الفريد» ٤/ ٢٨ـ٢٩. والخبر فيه بنحوه.

(٤) في (ص): بملح.

(٥) والأَقِط: لبن محمَّض يجفف حتى يستحجر، ويطبخ به. قال في «مختار الصحاح»: ربما جاء في الشعر: إِقْط، وزن: سِقْط. ورواية البيت في «العقد الفريد» ٢/ ٤٦٢: بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ.

(٦) في (خ): الملفلف (وكذا في الموضع الآتي).

ما الشيء الملفَّف [في البِجاد]؟ فقال [الأحنف]: السَّخينة. فقال معاوية: واحدةٌ بواحدة، والبادىء أظلم.

[قال الأصمعي:] أراد معاوية تبكيت الأحنف [وتعييره بالأَقِط]. والبِجاد: كساءٌ مخطَّط من أكسية الأعراب يجعلُون فيه الأَقِط. والسَّخِينةُ: دقيق كانت قريش تجعلُه في القِدْر، وتخلطُه بماء، وتأكلُه في زمان الجَهْد، فكانت تُعيَّرُ به.

وفيه يقول حسان بنُ ثابت:

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أنْ تُغالِبَ رَبَّها ... ولَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلَّابِ[1]

و[قال هشام:] دخل الأحنف على معاوية، فقال له: يا أبا بَحْر، ما تقولُ في الأولاد؟ فقال: ثمار قلوبنا، وعمادُ ظهورِنا، فنحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإنْ طلبوا فأعْطِهِم، وإنْ غضبوا فأرْضِهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملُّوا حياتَك، ويتمنَّوْا وفاتَك. فقال معاوية: للهِ دَرُّك، دخلتَ عليَّ وأنا مملوءٌ غيظاً على يزيد، فسلبتَه[2] من قلبي. فلمَّا خرج الأحنف من عند معاوية؛ بعث إلى يزيد بمئة[3] ألف درهم ومئتي ثوب، فبعث يزيد بنصفها إلى الأحنف.

[قال خليفة:] وقال بعض أولاد الأحنف لجارية أبيه: يا زانية. فقالت: لو كنتُ زانيةً لأتيتُ بولد مثلِك. وبلغَ الأحنفَ، فقال: يا ليتَ ابني مات قبل هذا بعشرين سنة[4].

وقال الأحنف: إنَّ من السؤدُد الصبرَ على الذُّلّ، وكفى بالحلم ناصراً[5].

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٤٦٢ . والبيت منسوب أيضاً لكعب بن مالك. كما في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٢٢ ، وهو في «ديوانه» ص ١٥٣ ، وفيه: جاءت سَخِينة كي تُغالبَ... ويعني هنا بسَخِينة قريشاً. وينظر «سيرة» ابن هشام ٢/ ٢٦١ .

(٢) في «العقد الفريد» ٢/ ٤٣٧ (والخبر فيه بنحوه): فسللتَه. وينظر «أنساب الأشراف» ١١/ ٤١٢ .

(٣) المثبت من (ص) وهو الموافق لما في المصدر السابق. وفي غيرها: بمئتي.

(٤) بنحوه في «أنساب الأشراف» ١١/ ٣٩٤ .

(٥) تاريخ دمشق ٨/ ٤٤٤ (مصورة دار البشير)، والمنتظم ٦/ ٩٤ . ونُسب القول في (ص) و(م) لهشام.

وقال: ما نازعني أحد إلا وأخذتُ من أمري بإحدى ثلاث: إنْ كان فوقي عرفتُ قدره، وإن كان دوني رفعتُ نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضَّلتُ عليه[١].

وقال: لا مروءة لكذوب، ولا راحةَ لحسود، ولا حيلةَ لبخيل، ولا سؤدُد لسيِّىء الخلق، ولا إخاء لملول[٢].

وقال: ما ذكرتُ أحداً بسوء بعد أن يقوم من عندي، ولا سمعتُ كلمة إلا طأطأتُ رأسي لما هو أعظمُ منها[٣].

وقال: من فسدت بطانتُه كان كمن غَصَّ بالماء، ومن غصَّ بالماء فلا مساغَ له، ومن خانه ثقاتُه فقد أُتِيَ من مأمنِه[٤].

وقال: ما ادَّخرت الآباءُ للأبناء ولا أبقت الأموات للأحياء شيئاً أفضلَ من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب والآداب[٥].

وقال: تَرْبِيبُ المعروف[٦] أوجبُ من اصطناعه، وله خِصال: تعجيلُه، وتسهيلُه، وتيسيرُه[٧]، فمن أخلَّ[٨] بواحدةٍ منها، فقد بَخَسَ المعروف حقَّه.

وقال: أَحْيِ معروفَك بإماتةِ ذِكْرِه[٩].

وشكا ابنُ أخي الأحنف إلى الأحنف ضِرْسَه، فقال الأحنف: لقد ذهبَتْ عيني منذ أربعين سنةً ما ذكرتُها لأحد[١٠].

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٨٣، وتاريخ دمشق ٨/ ٤٣٥، والمنتظم ٦/ ٩٥.

(٢) تاريخ دمشق ٨/ ٤٣٨، وصفة الصفوة ٣/ ١٩٩، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ١١/ ٤٠٦.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ١٩٩. وينظر «تاريخ دمشق» ٨/ ٤٤٣.

(٤) العقد الفريد ١/ ٣٣.

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٣٣.

(٦) أي: تعهُّده وتنميتُه. والقول في المصدر السابق. وتصحفت في (أ) و(ب) و(خ) إلى: ترتيب المعروف.

(٧) في «العقد الفريد» ١/ ٢٣٣: تعجيله وستره وتيسيره، وهو الأشبه؛ إذ التيسير بمعنى التسهيل.

(٨) المثبت من (ص)، وتحرفت في غيرها إلى: أخذ.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) صفة الصفوة ٣/ ١٩٩-٢٠٠، والمنتظم ٦/ ٩٥. وذكر البلاذري القصة في «أنساب الأشراف» ١١/ ٤١٥ وفيها أن الأحنف هو الذي شكا إلى عمه المتشمّس وَجَعاً، فقال عمه: ... ذهبت عيني...

وقيل للأحنف: ألا تأتي الأمراء؟ فأخرج جرَّةً مكسورة فيها كِسَرٌ يابسة، فقال: مَنْ كان يجزئه مثلُ هذا، ما يصنعُ بإتيانهم[١]؟

ذكر وفاته:

[قد ذكرنا أنه] لم يشهد الجمل، واعتزلَ الفريقين، وشهد صفِّين مع أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رضوان الله عليه.

[واختلفوا في وفاته، فذكر ابن سعد قال:] كان الأحنف صديقاً لمصعب بن الزبير، فوفد عليه بالكوفة ومصعب يومئذ والٍ عليها، فتوفِّي الأحنفُ عنده بالكوفة، فرُئي مصعب في جنازته يمشي بغير رداء.

[ولم يذكر السنة التي مات فيها.][٢]

و[قال الواقدي:] مات سنة تسع وستين. وقيل: بعد السبعين[٣].

و[قال ابن سعد:] كان مأموناً ثقةً، قليلَ الحديث، فرَوَى عن عُمر، وعلي، وأبي ذرّ.

و[قال ابن عساكر: وروى أيضاً عن] عثمان، والعباس، وابن مسعود، وأبي بَكْرَة، رضي الله عنهم. وروى عنه الحسن البصري، وطَلْق بنُ حبيب، وعروة بنُ الزبير، وغيرُهم[٤].

[ويقال: إنه اجتمع بأبي ذرّ بجامع دمشق، وقيل: بحمص، وقيل: بالبيت المقدس].

وكان له عمَّان؛ أحدهما يقال له: المتشمِّس بن معاوية، كان يفضُل على الأحنف في حلمه وفضله، أسلم وحسُن إسلامُه.

والآخر [يقال له:] صعصعة بن معاوية، سيِّد بني تميم، وكان له فرس يقال له الطُّرَّة، اشتراه بتسعين ألفَ درهم[٥].

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) طبقات ابن سعد ٩/ ٦٩، والكلام الواقع بين حاصرتين في هذه الفقرة من (ص) و(م).

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/ ١٦٨ في وفيات سنة (٧٢).

(٤) تاريخ دمشق ٨/ ٤١٩ (مصورة دار البشير).

(٥) المعارف ص ٤٢٤. وذكر البلاذري في «أنساب الأشراف» ١١/ ٤٣٦ أيضاً من أعمام الأحنف: جزء بن معاوية وقال: كان ذا قدر، وولي بعض الأهواز أيام عمر بن الخطاب.

و[قال الواقدي: كان للأحنف ولد يقال له:] بَحْر بن الأحنف. كان يضعَّفُ في عقله، وهو الذي قال لجارية أبيه: يا زانية. ولم يُعقب الأحنف.

وكان يقال: ليس لسادة بني تميم حظٌّ في الولد؛ كان الأحنفُ سيِّدَهم بالبصرة، ومحمد بن عُمير بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة سيِّدَهم بالكوفة، ماتا ولم يُعْقِبا[١].

أبو الأسود الدِّيلي

البصري الكِناني [واختلفوا في اسمه:

قال ابن سعد:][٢] اسمُه ظالم بن عَمرو بن سفيان [بن عمرو بن جِلْس بن يعمر بن نُفاثة بن عدي بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة].

وقيل: اسمُه عُويمر بن ظُويلم بن عمر[٣]. وقيل: اسمُه عبد الرحمن بن هرمز بن سفيان[٤].

[وقال أبو القاسم بن عساكر[٥]: اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر ابن حلبس بن نُفاثة بن عديّ بن الدِّيل. ويقال: عثمان بن عمرو].

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة.

كان شاعراً متشيِّعاً، وكان ثقة في حديثه إن شاء الله، ولمَّا خرج ابن عباس من البصرة استخلفَ أبا الأسود، فأقرَّه عليٌّ عليه السلام عليها[٦].

[قلت: وقد اختلف النُّسَّاب في الدِّيل، فذكر ابن سعد الدِّيل بالياء. وحكى الجوهري في «الصحاح» عن ابن السِّكِّيت أنه قال: الدُّول ـ بالواو ـ في[٧] بني حنيفة يُنسب إليهم الدُّؤلي، والدِّيل ـ بالياء ـ في عبد القيس يُنسب إليهم الدِّيلي. قال: وهما دِيلان.

(١) المعارف ص ٤٢٤ـ٤٢٥.

(٢) في «الطبقات» ٩/ ٩٨. وهذا الكلام بين حاصرتين من (ص) و(م). والآتي بعده بين حاصرتين من (ص) وحدها.

(٣) نُسب هذا القول في (ص) و(م) للواقدي.

(٤) نُسب هذا القول في (ص) و(م) للهيثم.

(٥) تاريخ دمشق ٨/ ٦٠٤ (مصورة دار البشير) والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٦) طبقات ابن سعد ٩/ ٩٨، ونُسب الكلام في (ص) إليه.

(٧) في (ص) (والكلام منها): وفي. وينظر «الصحاح» (دول).

وقال أبو سعيد بن يونس: الدُّول اسم امرأة من بني كنانة][١].

و[قال الجاحظ:][٢] كان أبو الأسود معدوداً في طبقات [الناس من] التابعين والفقهاء والشعراء والفرسان والأمراء [والأشراف] والدُّهاة والبخلاء وكبراء الشيعة، وكان يحبُّ عليّاً عليه السلام حبّاً شديداً.

و[قال محمد ابن الأنباري:] هو أوّلُ من وضع علم النحو، [ثم ميمون الأقرن، ثم عنبسة الفيل، ثم عبد الله بن أبي إسحاق.

قال: ووضع عيسى بن عمر كتابين في النحو، أحدهما سماه «الجامع» والثاني: «المكمِّل»، فقال الخليل بن أحمد هذين البيتين يمدحُه فيهما:

بطل النحو جميعاً كلُّهُ ... غيرَ ما أحدث عيسى بن عُمرْ
ذاك إكمالٌ وهذا جامعٌ ... فهما للناس شمسٌ وقمرْ][٣]

[وقال الهيثم:] وفد أبو الأسود على معاوية، فأكرمه، وأدنى مجلسه، وأجزلَ جائزتَه، وولّاه قضاء البصرة.

ثم قال له في بعض الأيام: ألستَ القائلَ لأبي تراب: ابعثني[٤] حكماً. فواللهِ ما أنتَ هناك؛ لِعِيِّك، فكيف كنتَ تصنع؟ قال: كنتُ أجمعُ أصحابَ رسول الله ﷺ وأقول: أَبَدْرِيٌّ أُحُدِيٌّ شَجَرِيٌّ مُهاجِريٌّ هاشميٌّ أفضلُ، أم طليقٌ ابنُ طليق؟! فقال له معاوية: قاتلك الله. خلعتني خَلْعَ الوظيف، أقسمتُ عليك لا تذكرُها لأحدٍ من أهل الشام. ثم وصله وسرَّحه إلى البصرة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ص). وكلام ابن السكّيت في «صحاح» الجوهري (دول)، وينظر «أنساب» السمعاني ٥/ ٣٦٥_٣٦٦.

(٢) ما بين حاصرتين من (ص) و(م)، وتحرَّف فيهما لفظة «الجاحظ» إلى «الحافظ». وكلامه في «الأغاني» ١٢/ ٢٩٩_٣٠٠. وثمة نقص في (ص) بدءاً من هذا الموضع.

(٣) ما بين حاصرتين من (م). وينظر «الأغاني» ١٢/ ٢٩٨، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٦١٤ (مصورة دار البشير)، و«المنتظم» ٦/ ٩٧_٩٨.

(٤) في (أ) و(ب) و(خ): ابغيني. والمثبت من «مختصر تاريخ دمشق» ١١/ ٢٢٥، وهي مهملة من النقط في «تاريخ دمشق» ٨/ ٦٠٧، وينظر «وفيات الأعيان» ١٦/ ٥٣٤.

[وقال الأصمعي: كان أبو الأسود يركب في كل يوم ويُكثرُ الركوب، فقيل له: لو قعدتَ في البيت لكان أروحَ لبدنك. فقال: صدقتُم، ولكن في ركوبي فوائد رياضة وفُرجة، وسماع أخبار لا أسمعُها في بيتي، ولو قعدتُ في بيتي؛ ضجر مني أهلي وضجرتُ منهم، واجترأ عليَّ مِنْ خَدَمي مَنْ يهابُني[1].

وكان يقول: إعادة الحديث أشدّ من نقل الصخر من الجبال على أعناق الرجال.

وقال الرِّياشي:][2] اشترى أبو الأسود داراً بألف دينار، وكان لها جارُ سوء، فباعها بألف درهم، فقيل له: بعت دارَك؟! فقال: لا، ولكن بعتُ جاري[3].

[وقال الأصمعي:] وقفت امرأة عليه وهو في فسطاط[4] يأكل رُطَباً، فقالت: السلام عليك. فقال: كلمة مقولة[5]. فقالت: أطعمني مما بين يديك. فقال: يداكِ أقصرُ من الوصول إليه. قالت: أهلكني الجوع. قال: في المقابر سَعَة. ولم يطعمها.

[قال:] ومرَّ به أعرابيّ وهو يأكلُ طعاماً في خيمة[6]، فقال: أتأذنُ لي في الدخول؟ قال: وراءك أوسع. قال: قد أحرقت الرمضاءُ رِجْلَيَّ. قال: بُلَّ عليهما تبردان[7]. فقال: أطعمني ممَّا بين يديك. فقال: سيأتيك ما قُدِّر لك. قال: ما رأيتُ ألْأمَ منك! قال: قد رأيتَ، ولكنَّك نسيتَ.

ومن شعره:

يقول الأرذلون بنو قُشَيْرٍ ... طَوالَ الدَّهْرِ لا تَنْسَى عَلِيّا!
فقلتُ لهم وكيف تَرَوْن تركي ... من الأعمال ما يقضي عَلَيَّا
أُحِبُّ محمَّداً حُبّاً شديداً ... وعبّاساً وحمزة والوَصِيَّا

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٦١٦، وهو بنحوه في «أنساب الأشراف» ١٠/ ٤٠. وهذا الخبر من (م).
(٢) الكلام بين حاصرتين من (م).
(٣) ينظر «الأغاني» ١٢/ ٣١٨، و«وفيات الأعيان» ١٦/ ٥٣٤.
(٤) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): فسطاطه. والمثبت من (م) وهو الموافق لما في «العقد الفريد» ٦/ ١٨٥.
(٥) في «العقد الفريد»: مقبولة.
(٦) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): جفنة. والمثبت من (م).
(٧) في النسخ الخطية: تبرد... والمثبت من «العقد الفريد» ٦/ ١٨٥.

بـنـي عـمِّ الـنـبـيّ وأقـربـيـهِ أحـبَّ الـنـاسِ كـلِّـهـمُ إلَـيَّـا
فـإن يَـكُ حُـبُّـهُـمْ رشـداً أُصِـبْـهُ ولـسـتُ بـمـخـطـئٍ إنْ كـان غَـيَّـا
هُـمُ أهـلُ الـنـصـيـحـة مـن لَـدُنّـي وأهـلُ مـوَدَّتـي مـا دمـتُ حـيَّـا
هُـمُ آسَـوْا رسـولَ الـلـهِ حـتـى تـرفَّـع أمـرُه أمـراً قـويَّـا

من أبيات[1].

وقال:

أيُّـهـا الآمـلُ مـا لـيـس لَـهُ ربَّـمـا غَـرَّ سـفـيـهـاً أَمـلُـهْ
رُبَّ مَـن بـاتَ يُـمَـنِّـي نـفـسَـهُ حـالَ مـن دونِ مُـنـاهُ أجـلُـهْ
وفـتًـى بـكَّـرَ فـي حـاجـاتـهِ عَـجِـلاً أعـقـبَ رَيْـثـاً عَـجَـلُـهْ
والـفـتـى الـمـحـتـالُ مـمَّـا يـأتِـهِ[2] ربَّـمـا ضـاقَـتْ عـلـيـهِ حِـيَـلُـهْ
قُـلْ لـمـنْ مـثَّـلَ فـي أشْـعـارِهِ يـذهـبُ الـمـرءُ ويـبـقـى مَـثَـلُـهْ
نـافِـسِ الـمـحـسـنَ فـي إحـسـانِـهِ فـسـيـكـفـيـك سـنـاءً عَـمَـلُـهْ[3]

ووعدَه معاويةُ عِدَةً، فأبطأ عليه، فكتب إليه:

لا يـكُـنْ بَـرْقُـكَ بَـرْقـاً خُـلَّـبـاً إنَّ خـيـرَ الـبَـرْقِ مـا الـغـيـثُ[4] مَـعَـهْ
لا تُـهِـنِّـي بـعـدَ إكْـرامِـكَ لـي فـشـديـدٌ عـادةٌ مُـنـتَـزَعَـهْ[5]

وقال:

إذا أنـتَ لـم تَـعْـفُ عـن صـاحـبٍ أسـاءَ وعـاقـبـتَـهُ إنْ عَـثَـرْ
بـقـيـتَ بـلا صـاحـبٍ فـاحْـتَـمِـلْ وكُـنْ ذا قـبـولٍ إذا مـا اعـتَـذَرْ[6]

---

(١) ينظر «الأغاني» ١٢/ ٣٢١، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٦١٧ (مصورة دار البشير).

(٢) في «العقد الفريد» ٣/ ١٩١ : نابَه.

(٣) ينظر «العقد الفريد» ٣/ ١٩١-١٩٢ . ونُسبت الأبيات في «نفح الطيب» ٤/ ٣٣٢ لغريبيب الثقفي القرطبي.

(٤) في (د): الخير.

(٥) تاريخ دمشق ٨/ ٦٢٠ (مصورة دار البشير) وأورد العسكري في «جمهرة الأمثال» ١/ ٢١١ قولهم: بَرْقُ الخُلَّب، وقال: يجعلونه مثلاً لكل شيء لاحقيقة له، وهو البرقُ الذي لامطر معه. وذكر البيتين الأخيرين. وينظر «الشعر والشعراء» ٢/ ٧٢٩-٧٣٠ .

(٦) المصدر السابق ٨/ ٦٢١ .

وقال له معاوية: لو علقتَ عليك عُوذةً تدفعُ بها عنك. يمازحُهُ، وكان قبيح المنظر[1]. فقال:

أفنى الجديدَ الذي حاوَلْتُ جِدَّتَهُ[2] كرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلقِ
لم يتركا ليَ في طُول اختلافِهما شيئاً أخافُ عليه لَذْعَةَ الحَدَقِ

ذكر وفاته:

[لم يذكرها ابنُ سعد، وذكرها المدائني، فقال:] توفي بالطاعون الجارف بالبصرة سنة تسع وستين، وهو ابنُ خمس وثمانين سنة[3].

وروى عن عُمر، وعليّ، والزُّبير، وعمران بن حصين، وابن عباس، وأبي موسى، ﷺ.

وروى عنه يحيى بن يعمر، وأعيان التابعين، وأخذوا عنه اللغة والعربية[4].

عمرو بن سعيد بن العاص

ابن سعيد أبي أُحَيْحَة بن العاص بن أمية، أبو أميَّة الأشدق؛ سُمِّيَ الأشدق لأنَّه كان خطيباً مُفْلِقاً، وقيل: لاتساع شِدْقِه.

وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، وأمُّه أمُّ البنين بنت الحَكَم [بن أبي العاص] أخت مروان لأبيه وأمّه.

[وقال ابن سعد: كان عَمرو] من رجالات قريش، فكان يزيد بن معاوية قد ولَّاه المدينة، فقُتل الحسين عليه السلام وهو عليها، فبعث إليه يزيد برأس الحسين ﷺ، فكفَّنَه، ودفَنَه بالبقيع إلى جانب قبر أمّه فاطمة عليها السلام[5].

---

(١) في (م): وقال العتبي: كان أبو الأسود قبيح المنظر، فقال له معاوية: لو علّقتَ عُوذةً تدفع بها عنك! يمازحه. ولم يرد فيها البيتان الآتيان.

(٢) في «الأغاني» ١٢/ ٣٢٢، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٦٢٠: أفنى الشبابَ الذي فارقتُ ... وفي «تاريخ دمشق»: بَهْجَتَهُ، بدل: جِدَّتَهُ. وفي رواية أخرى في «تاريخ دمشق»: أفْنَيْتُ جِدَّتَهُ.

(٣) الأغاني ١٢/ ٣٣٤، وتاريخ دمشق ٨/ ٦٢٣-٦٢٤. وفيهما أيضاً عن المدائني أنه توفي قبل ذلك. قال الأصفهاني: وهو أشبه القولين بالصواب، لأنّا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار بذكر.

(٤) تاريخ دمشق ٨/ ٦٠٥، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٣٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٤. وما وقع بين حاصرتين في هذه الفقرة من (م).

[قال:] وحجَّ عَمرو بالناس سنة ستين[١]. وكان أحبَّ الناس إلى أهل الشام، فكانوا يسمعون له ويُطيعون.

ومات سعيد وعَمرٌو صغير، وكان وصيَّ أبيه، فقال له معاوية: إلى مَنْ أوصى بك أبوك؟ فقال: أوصى إليَّ، ولم يُوصِ بي. فعجبَ معاوية[٢].

[وقال أبو بكر بن عيَّاش: كان عَمرو أفقم، وشدقه واسع، وحجَّ بالناس سنتين].

ذكر مقتله:

لما سار عبد الملك إلى قَرْقِيسيا[٣]؛ قال له عَمرو: قد علمتَ ما فعلتُ مع أبيك، وما وصلَ إليه هذا الأمر إلا بي. فقال له عبد الملك: لستَ من أهل الخلافة. فقال له عمرو: استدراجُ النِّعم [إياك] أفادكَ البغي، ورائحةُ القدرة أورثَتْك الغفلة، ولو كان ضعفُ الأسباب يُؤيسُ الطالب؛ ما انتقلَ سلطان ولا ذَلَّ عزيز[٤].

ثم تمارضَ عمرو، ورجع من بُطنان حبيب[٥] ليلاً، ومعه حُميد بن حُريث بن بَحْدَل الكلبي، وزُهير بن الأبرد الكلبي، فأتى دمشق وعليها عبدُ الرحمن بن أمّ الحكم الثقفي خليفةُ عبد الملك، فغلب عَمرو على دمشق[٦]، وطلبَ عبدَ الرحمن بنَ أمّ الحَكَم، فلم يصبه، فأمر بهدم داره، فهُدمت، ثم خطب الناسَ، وأمرَهم بحُسن المواساة والعطيَّة.

وأصبح عبد الملك، ففقد عَمْراً[٧]، فسأل عنه، فأُخبر بخبره، فجمع عبدُ الملك خواصَّه وقال لهم: هذا عمرو قد فعل ما فعل، وقد كنتُ أعلمُ أنه ينطوي على غِلّ[٨]

---

(١) كلمة «ستين» ليست في (م)، ولا في «الطبقات». وينظر كلام أبي بكر بن عياش الآتي.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٧ ، و«العقد الفريد» ٢/ ١٨٩-١٩٠ .

(٣) بلد عند مصبِّ الخابور بالفرات، قيَّدها ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٣٢٨ بفتح القاف، وقيدها الفيروز آبادي في «القاموس» بكسرها.

(٤) البيان والتبيين ٤/ ٨٧ ، والتذكرة الحمدونية ٥/ ٥٣ ، ومروج الذهب ٥/ ٢٣٤ ، وما سلف بين حاصرتين منها.

(٥) في (أ) و(ب) و(خ): جندب. والتصويب من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٤٠ ، والكلام فيه بنحوه. وبطنان حبيب بأرض الشام. ينظر «معجم البلدان» ١/ ٤٤٧-٤٤٨ .

(٦) في (خ): الشام.

(٧) في (أ) و(ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): فقعد عنه عمرو. وفي «تاريخ الطبري» ٦/ ١٤١ : ففقد عمرو سعيد. والصواب ما أثبتُّه، وينظر «الكامل» ٤/ ٢٩٧ .

(٨) في (أ): غدر.

وفساد، وقد كان يمنعُني منه الحياءُ والقرابة، وقد أجابَه أهلُ دمشق إلى خلعي. ولما علم الولاة بذلك أجابوه، كوالي حمص، وقنَّسرين، وقد احتلَّ الشام عليّ، وهذا ابنُ الزُّبير قد استولى على الحجاز واليمن والعراق وخُراسان، وهذه المُضَريَّة سيوفُها على عواتقها تُطالبُنا بقتلى المَرْج[1]، فماذا تقولون؟ فلم يُجِبْه أحدٌ منهم. فصرفهم.

ثم ركب منفرداً في جماعة من خواصّه، وإذا برجل يجني السُّمَّاق، فأمر أصحابَه فبعدوا عنه، وجاء، فوقَفَ عليه وسلَّم، فردَّ ردَّ عاقل، فقال له عبد الملك: هل بلغَك أمر عبد الملك، وخروجُ الناس عليه؟ فقال الرجل: وما سؤالك عن ذلك؟ فقال: إني أُريد اللَّحاق به. فقال الرجل: إنَّ السلطان في مثل هذه الحالة كالبحر في حالة هَيَجانه، لا ينبغي أن يُقرب منه. فقال له عبدُ الملك: إني لأَستغني عن مشورتك بحسن هيبتك وسَمْتك. فقال الرجل: إني أُشير عليك أن تتفقَّد حالَ عبد الملك، فإنْ رأيتَه قصدَ غيرَه[2] فاعْلَمْ أنه مخذول؛ لأنه لجَّ في طلب ما ليس له، وإن رأيتَه رجعَ من حيث أتى؛ فارْجُ له السلامة؛ لأنه مستقبل[3]. فقال عبد الملك: وهل رجوعُه إلى دمشق إلا كسيرِهِ إلى ابن الزُّبير وغيره ممَّن خلع الطاعة؟ فقال الرجل: قد خَفِيَ عليك وجهُ الصواب؛ لأنه إذا قصدَ غيرَه كان في صورة ظالم له؛ لأنَّه لم يُعطه طاعةً قطّ، ولا وثبَ على دار مملكته، ولا تَعَدَّى عليه، ولا كذلك عَمرو، فإنه غصبَه دار مملكته، وتعدَّى عليه، فرجوعُه إلى دمشق أولى بالتفويض، وأقربُ إلى الظَّفَر والنصر، وحفظُ الأصل أولى من طلب الفرع.

فجزاه عبد الملك خيراً. ثم قال للرجل: عرِّفْني من أنت؟ قال: ولم؟ قال: لأُجازِيَك فيما بعد. فقال الرجل: إني عاهدتُ اللهَ أن لا أقبلَ عطيَّةَ بخيل. فقال عبد الملك: ومن أين علمتَ أنِّي بخيل؟! قال: لأنَّك أَجَّلْتَ مكافأتي مع القدرة على تعجيلها ببعض ما أرى عليك من ثوبك[4] وسلاحك. قال عبد الملك: إني ذُهِلْتُ عن

(١) يعني مرج راهط. وتحرف في (أ) و(ب) و(خ) و(د): إلى قوله: بقتل الأخ. وصُوِّبت في هامش (د).
(٢) يعني غير عمرو بن سعيد. ولعل في الكلام سقطاً. وينظر «ثمرات الأوراق» ص ١٤٠ والخبر فيه مطوَّل.
(٣) كذا في (ب) و(خ) و(د). وفي (أ): مستقيل.
(٤) في (ب): ما أرى من بزَّتك.

ذلك، فخُذْ هذا السيف، فإنَّ قيمتَه عشرون ألفاً. فقال: الآن حقَّقتَ عندي بخلك باستكثارك لقيمة سيفك، فحسبي عطاءُ ربي الذي لا يبخلُ ولا يذهلُ. ولم يقبله، وعلم عبدُ الملك عقلَه وزُهدَه في الدنيا وفضلَه، فقال: أنا عبد الملك، فارْفَعْ إليَّ حوائجك. فقال: وأنا أيضاً عبدُ الملك، فهلَّم فلنرفَعْ حوائجَنا إلى مَنْ أنا وأنتَ عَبْدانِ له[1].

فودَّعه عبد الملك، وسارَ إلى دمشق، فنزلَ المَرْج، وراسلَ عَمْراً، ولاطفَه وقال: أُناشدُكَ اللهَ والرَّحِم أن تُفسد أمرَ بيتك، وما هم عليه من اجتماع الكلمة، وفيما صنعتَ قوةٌ لابن الزُّبير، ارجعْ إلى بيعتك، ولك عليَّ عهدُ الله وميثاقُه. وحلفَ له بأَيمانٍ مغلَّظة: إنك وليُّ عهدي بعدي.

وكتبا بينَهما كتاباً، فانخدعَ له عَمرو، وفتحَ أبوابَ دمشق، واحترزَ منه عَمرو بالعبيد.

وخرج عمرو إلى عبد الملك في الخيل متقلِّداً قوساً سوداء، فأقبلَ حتى أوطأَ فرسه أطناب سُرادق عبد الملك، فانقطعت الأطناب، وسقط السُّرادق، ونزل عَمرو، فجلس وعبدُ الملك مُغضَب، فقال له: يا أبا أمية، كأنك تشبه بتقليدك هذه القوس هذا الحيَّ من قيس. فقال عَمرو: لا، ولكني أشبه من هو خيرٌ منهم: العاص بن أمية. ثم قام عَمرو مغضَباً والخيل معه حتى دخلَ دمشق.

ودخل عبد الملك دمشق، فبعث إلى عَمرو: قد استوليتَ على الخزائن، فأعطِ الناس أرزاقَهم. فأرسل إليه عَمرو: إنَّ هذا البلدَ ليس لك ببلد، فاشْخَصْ عنه.

فلما كان بعد ثلاثة أيام من دخول عبد الملك بعثَ إلى عَمرو أنِ ائتني، وهو عند امرأته الكلبيَّة، وقد كان عبدُ الملك استشارَ كُرَيْب بن أبرهة[2] بن الصبَّاح في أمر عَمرو، فقال: لا ناقة لي في هذا ولا جَمَل.

وجاء رسول عبد الملك إلى عمرو وعنده عبد الله بن يزيد بن معاوية ـ وكان زوجَ ابنةِ عَمرو، وهي أمُّ موسى ـ فقال له: لا تأته. قال: ولم؟ قال: بلغني عن تُبيع ابن امرأة

---

(١) ينظر خبر عبد الملك والرجل مطولاً في «ثمرات الأوراق» ص ١٣٩-١٤٢ ولم أقف عليه في مصدر آخر.

(٢) في (أ): من ولد أبرهة.

كعب الأحبار أنه قال: يُغلَّقُ أبوابَ دمشق عظيمٌ من عظماء ولد إسماعيل، ثم لا يلبث أن يُقتل. فقال له عَمرو: واللهِ لو كنتُ نائماً ما خفتُ أن ينبِّهَني ابنُ الزَّرقاء. مع أنني رأيتُ البارحةَ في المنام أن عثمان بن عفان أتاني، فألبسني قميصه، وقال عَمرو للرسول: قُلْ له: آتيك العَشِيَّة.

فلما كانت العشيَّةُ لبس عَمرو درعَه بين ثيابه، وتقلَّدَ سيفه، وكان عند امرأته الكلبيَّة وعنده حُميد بن حُريث بن بَحْدَل الكلبيّ. فلما قام عَمرو؛ عَثَرَ بالبساط فسقط، فقالت له امرأته وحُميد: لا تذهَبْ إليه، فقد رأينا أماراتِ الشَّرّ. فلم يلتفت إلى قولها، وأقبل في مئة من مواليه.

وكان عبدُ الملك قد أوصى الحاجب أن يحبس عنه مواليَه، فصار كلما دخل دهليزاً حبس عنه جماعة، ولم يعلم عمرو حتى صارَ في وسط الدار، ومعه وصيفٌ واحد.

وكان عبد الملك قد جمع بني مروان عنده وفيهم حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي وقَبِيصة بن ذُؤيب الخُزاعي، فلمَّا رآهم عَمرو أحسَّ بالشَّرّ، فقال للوصيف: اذهب إلى أخي يحيى بن سعيد، فقُل له فليأتني. فلم يفهم الوصيف قولَه، فردَّدَ مراراً وهو لا يفهم.

وقام حسان وقَبِيصة، فخرجا، وغُلِّقت الأبواب، وجاء عَمرو إلى عبد الملك، فرحَّب به، وأجلسه معه على سريره، وحادثَه طويلاً، ثم أمر بتنحية سيفه، فاسترجعَ عمرو، فقال له عبد الملك: لابأس عليك يا أبا أمية، أتريدُ أن تجلس معي على سريري وسيفك في عنقك؟! ثم قال له: إنك لمَّا خلعْتَني آليتُ على نفسي أن أجعلكَ في جامعة. فقال بنو مروان: ثم تطلقُه؟ قال: نعم. واسترجعَ عَمرو، وجعلَ الجامعةَ في عنقه، ثم جَذَبَه، فأصابَ السريرُ ثنيَّةَ عَمرو، فكسرها[1]، فقال له عَمرو: أُذكِّرك اللهَ والرَّحِمَ، والعُهودَ والمواثيق. فقال عبد الملك: لو علمتُ أن بقاءك يفيد لكان[2]،

---

(١) في هامش (أ) بخط الناسخ ما نصُّه: «وقال الطبري: إنهم سحبوه سحباً شديداً حتى كسرت ثناياه وغالب أسنانه» ولم أقف على هذا الكلام في «تاريخ الطبري».

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ١٤٤ : لو أعلم أنك تُبقي عليَّ إن أُبقي عليك وتصلح لقريش لأطلقتك.

ولكن ما اجتمع اثنان في بلد على مثل ما اجتمعنا عليه إلا وأخرجَ أحدُهما صاحبَه. فقال له عمرو: أَغدراً[١] يا ابنَ الزرقاء؟! قال: نعم[٢].

ثم أذّن المؤذّنُ للعصر، فقام عبدُ الملك، وخرج إلى الصلاة، وقال لعبد العزيز بن مروان: اقتله. فأخذَ السيفَ وقصدَه، فقال له: ناشَدْتُك اللهَ والرَّحِمَ أن تتولَّى قَتْلي، ولْيَتَوَلَّاه أبعدُ منك منّي نسباً. فاستحى عبدُ العزيز منه، فتركه.

ولما خرج عبد الملك وليس معه عمرو؛ ذهبَ الناسُ إلى يحيى بن سعيد، فأقبلَ في ألفٍ من مواليه ومعه حُميد بن حُريث وزهير بن الأبرد، فكسروا باب المقصورة، وضربوا الناس بالسيوف، وجُرح الوليد بنُ عبد الملك في رأسه كادَ أن يأتيَ على نفسه، فحُمل صريعاً.

وسمع عبدُ الملك الضَّجَّة، ولامَ أخاه عبدَ العزيز على ترك قتله، ثم قامَ هو بنفسه إليه وبيده الصَّمصامة[٣]، وقال: أضْجِعُوه، فأضجَعوه، فجلسَ على صدره، وذبحَه، ثم ارتعدَ عبدُ الملك، وسقطَ عنه مغشيّاً عليه، فيُقال: ما قتلَ أحدٌ قريبَه إلا وجرى عليه مثلُ هذا.

ثم أخذ عبدُ الرحمن بن أمِّ الحَكَم رأسَه، فألقاه إلى أصحابه.

[ويقال في بعض الروايات: إن عبد الملك أمر غلامه أبا الزُّعيزعة بقتل عمرو، فقتله، ورمى برأسه إلى أصحابه].

وخرج عبدُ العزيز بن مروان بالبِدَر[٤]، فألقاها إلى الناس، فأخذوها وتفرَّقوا.

[وهذه روايات الواقدي وهشام][٥]. ثم إنَّ عبدَ الملك استردَّ تلك الأموال فيما بعد.

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): اغدر. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٤٤.

(٢) في (أ): نعم يا ابن البلقاء.

(٣) اسم للسيف الذي لا ينثني.

(٤) جمع البَدْرَة، وهو كيس فيه مال.

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٧-٣٦، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٤٠-١٤٥، و«العقد الفريد» ٤/ ٤٠٩. وكل ما سلف بين حاصرتين من (م).

ولما قَتَلَ عبدُ الملك عَمْراً قال: واللهِ إنَّ بني أمية عندي لأعزُّ من دم النواظر، ولكن ـ واللهِ ـ ما اجتمعَ فحلان في شَوْل[1] إلا وأخرجَ أحدُهما صاحبَه، وإن كان عَمرو لحمَّالاً للعظائم، نهَّاضاً بالمكارم.

و [قال الواقدي: لما قتلَ عبد الملك عَمراً] كان قد كتبَ له كتابَ أمان، وأشهدَ شُهوداً، فبعثَ إلى امرأة عَمرو يطلبُه[2]، فقالت: دفنتُه معه في أكفانه ليحاكمك غداً بين يدي الله تعالى.

وقال عبد الملك لبَشِير بن عَقْرَبَة الجُهني: ما رأيُك[3] في الذي كان منِّي؟ فقال: أمرٌ قد فاتَ دَرْكُه. فقال: لابدَّ أن تقول. قال: ما فعلتَه ليس بحزم. قال: ولِمَ؟ قال: لو قَتَلْتَهُ وحَيِيتَ؛ كان. قال: [أولستُ بِحَيّ؟! قال: لا. قال: ولم؟! قال: ليس بحيٍّ من أوقفَ نفسه موقفاً لا يُوثَق له بعَهْد ولا] عَقْد. فقال عبد الملك: لو طرق سمعي هذا الكلام لمَا قتلتُه[4].

قال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ[5]: حدَّثنا سعيد بن منصور، حدَّثَنا حُجْر بنُ الحارث الغسَّاني، عن عبد الله بن عوف الكِناني أنه شهد عبد الملك بن مروان قال لبَشِير بن عَقْرَبة يوم قَتَلَ عمرَو [بن سعيد]: يا أبا اليمان، إني قد احتجتُ اليوم إلى كلامك، فقم وتكلَّمْ. فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من قامَ بخطبةٍ لا يَلْتَمِسُ بها إلا رِياءً وسُمْعةً؛ وقَفَهُ اللهُ تعالى يومَ القيامة موقفَ رِياءٍ وسُمْعَة».

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٤ : هجمة، وفي «العقد الفريد» ٤/ ٤٠٩ : ذَوْد، والمعنى متقارب، يعني العدد من النُّوق.

(٢) المثبت من (أ) و(م). وفي النسخ الأخرى: تطلقه. وما سلف بين حاصرتين من (م) وينظر «تاريخ»الطبري ٦/ ١٤٦-١٤٧.

(٣) لم يُصرَّح هنا في (م) باسم الرجل فجاء فيها: فقال لرجل كان يستشيره: ما رأيك...إلخ. ثم ذُكر فيها بعد ذلك كما في التعليق التالي. وبشير بن عَقْرَبة ـ ويقال: بِشْر ـ له ولأبيه صُحبة، ومات هو بعد سنة خمس وثمانين. ينظر «الاستيعاب» ص ٨٧ .

(٤) بعدها في (م): وقيل: إن الرجل المستشار يقال له: بشير بن عقربة. (وينظر التعليق السابق). وما سلف بين حاصرتين من (م). وينظر «العقد الفريد» ١/ ٧٩ و٤/ ٤٠٩ .

(٥) مسند أحمد (١٦٠٧٣) وما سيرد في الحديث بين حاصرتين منه.

[وكانت أمُّ عَمرو عمَّةَ عبد الملك.

واختلفوا في مقتل عَمرو، فعامَّة المؤرِّخين على أنَّه قُتل سنة تسعٍ وستين، وقيل: في سنة سبعين. والله أعلم][1].

وقد رثاه جماعةٌ، منهم يحيى بن الحكم [أخو مروان بن الحَكَم] وكان من خيار بني أميَّة حسن المحضر عند عبد الملك[2] فقال:

أعينيَّ جُودا بالدموع على عَمرٍو ... عشيَّةَ تُبْتَزُّ الخلافةُ بالغَدْرِ
كأنَّ بني مروان إذْ يقتلُونَهُ ... بُغاثٌ من الطير اجْتَمَعْنَ على صَقْرِ
غدرتُم بِعَمرٍو يا بني خَيْطِ باطلٍ[3] ... وأنتم ذَوُو قُرْبانِهِ وذَوُو صِهْرِ
لَحَا اللهُ دُنْيا تَدخلُ النارَ أهلُها ... وتَهْتِكُ ما دونَ المَحارمِ من سِتْرِ[4]

ولما قُتل عَمرو؛ أمرَ عبدُ الملك بسريره فأُبرِزَ إلى المسجد، وخرج، فجلس عليه، وسألَ عن الوليد ابنِه وقال: لئن كانوا قتلوه؛ لقد أدركُوا ثأرَهم. فقال له إبراهيم بنُ عربي[5] الكِناني: هو عندي في بيت القراطيس، قد أصابَتْه جراحة، ولا بأس عليه.

وأُتي بيحيى بن سعيد إلى عبد الملك، فأمر بقتله، فقام عبدُ العزيز [بن مروان] فقال: أتُراك قاتلاً بني أمية في يوم واحد؟! فأمر بحبس يحيى، فحُبس.

وجيء بعنبسة بن سعيد، فأمر بقتله، فقام عبدُ العزيز، فقال له مثلَ ذلك، فحبسَه.

وجيء بعامر بن الأسود الكلبي، فضربَه عبدُ الملك بقضيب في رأسه، وقال:

---

(١) ما بين حاصرتين من (م). وقد سلف أوّلَ الترجمة أن أمَّ عمرو - وهي أمُّ البنين بنتُ الحكم - أختُ مروان لأبيه وأمِّه.

(٢) في (ب): عبد المطلب(؟) ولم يرد قوله: حسن المحضر عند عبد الملك ولا الأبيات في (م).

(٣) هو لقب مروان بن الحكم لأنه كان طويلاً مضطرباً، ويطلقون «خيط باطل» على الهَبَاء الذي في ضوء الشمس الداخل في كوَّة البيت، أو على الخيط الخارج من فم العنكبوت. قال الميداني: ويسمّيه الصبيان مُخاط الشيطان. مجمع الأمثال ١/ ٢٧٣ ، وينظر «الصحاح» (خيط).

(٤) نسب قريش ص ١٧٩ ، وأنساب الأشراف ٥/ ٣٧ ، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٥٧ (مصورة دار البشير).

(٥) في (أ) و(ب) و(خ) (والكلام منها): عديّ. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٤٦ . وينظر «الكامل» ٤/ ٣٠١ ، و«المنتظم» ٦/ ٩٢ .

أتُقاتلُني مع عَمرو، وتكون معه عليَّ؟ قال: نعم؛ لأنَّ عمراً أكرمني وأهنْتَني، وأدناني وأقصيتَني وقرَّبَني وأبعدتَني، وأحسنَ إليَّ وأسأتَ إليَّ. فأمرَ بقتله، فقام عبدُ العزيز فقال: أنْشُدكَ اللهَ في خالي. فوهبه له. ثم أمر عبد الملك ببني سعيد، فحُبسوا.

وأقامَ يحيى بنُ سعيد في الحبس شهراً، فاستشار عبد الملك الناس في قتله، فأشار أكثرُهم بقتله، وقالوا: هل تلدُ الحيَّةُ إلا حُوَيَّةً مثلَها؟ فقال عبد الله بن مسعدة الفَزاريّ: إنّ يحيى ابنُ عمِّك، وقد علمتَ ما صنعتَ بهم وما صنعوا، ولستُ أرى قتلهم، ولكن سيِّرْهم إلى [عدوِّك، فإنْ هُم قُتلوا كنتَ قد كُفيتَ أمرهم بيد غيرك، وإنْ هم سلموا ورجعوا رأيتُ فيهم رأيك.

وذُكر أن عبد الله بن يزيد القَسْري أبا خالد كان](١) مع يحيى بن سعيد، وكَسَرَ باب المقصورة(٢)، فلما قُتل عَمرو؛ ركبَ عبدُ الله ولحقَ بمصعب بن الزبير، فكان معه.

وقال عبد الملك يوماً ليحيى بن سعيد: ما أشبَهَكَ بإبليس! فقال يحيى: ولِمَ تُنكر أن يكون سيِّدُ الإنس يُشبّه بسيّد الجنّ(٣)؟.

و[قال هشام:] دخل ولدُ عَمرو بن سعيد ـ وهم: أميَّة، وسعيد، وإسماعيل، ومحمد ـ على عبد الملك بعد ما قُتل ابنُ الزُّبير واتَّفق الجماعة على عبد الملك، فقال لهم: إنكم أهلُ بيتٍ لا تزالون ترون أن لكم على جميع قومكم فضلاً لم يجعله اللهُ لكم، وإن الذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً، وإنما كان قديماً. فقال له سعيد بن عمرو: ما ينبغي أن تؤاخذنا بأمر كان في الجاهلية، لأن الإسلام قد هدمَ ذلك. وأما الذي كان بينك وبين عمرو، فعمرو ابنُ عمك، وأنت أعلم وما(٤) صنعتَ، وقد وصل

---

(١) أضفتُ ما بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٤٦ـ١٤٧ ما لا بدَّ منه لاستكمال الكلام، فثمة سقط في (أ) و(ب) و(خ) (والكلام منها).

(٢) عبارة الطبري ٦/ ١٤٧ : كان مع يحيى بن سعيد حيث دخل المسجد، فكسر باب المقصورة، فقاتل بني مروان.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٦٣ (ترجمة يحيى بن سعيد). وجاء في «أنساب الأشراف» ١٢/ ٣٦٥ وغيره أن الحجَّاج هو الذي قال ليحيى هذا الكلام وهو يمازحه. وينظر «التذكرة الحمدونية» ٧/ ١٧٦ .

(٤) في (أ) و(م): بما.

[عَمرو] إلى الله، وكفى بالله حسيباً. ولعمري لئن واخَذْتَنا بما كان بينك وبين عمرو لَبَطْنُ الأرض خيرٌ لنا من ظهرها.

فرقَّ لهم عبد الملك، وقال: إن أباكم خيَّرني بين أن يقتلني وبين أن أقتلَه، فاخترتُ قتلَه على قتلي. وأمَّا أنتُم فما أرغَبَني فيكم، وأوصَلَني لقرابتكم. وأحسنَ إليهم(١).

ذكر أولاد عَمرو بن سعيد:

فولدَ [عمرٌو] أميَّةَ، وسعيداً، وإسماعيل، ومحمداً، وأمَّ كلثوم؛ وأمُّهم أمُّ حبيب بنت حُريث بن سُليم من قُضاعة.

وعبدَ الملك، وعبدَ العزيز، ورَمْلَةَ، وأمُّهم سَوْدةُ بنتُ الزُّبير بنِ العوَّام.

وموسى، وعمران؛ وأمُّهما عائشةُ بنتُ مطيع من بني عامر.

وعبدَ الله، وعبدَ الرحمن؛ لأمٍّ ولد.

وأمَّ موسى؛ وأمُّها نائلة بنت فريص، كلبيَّة. وأمَّ عمران لأمٍّ ولد(٢).

وكان لأميَّة بن عَمرو بن سعيد ولد اسمُه إسماعيل، وكان فقيهَ أهل مكة(٣).

وسعيد بن أمية بن عَمرو، وكان يسكن أيلة، وهو القائل:

لجَّ الفِرارُ بمروانٍ فقلتُ له ... عادَ الظَّلومُ ظليماً همُّهُ الهَرَبُ
أينَ الفرارُ وتركُ الملك إذْ كشَفَتْ ... عنك الهُوينا فلا دينٌ ولا حَسَبُ
فراشةُ الحِلْمِ فرعونُ العقاب وإنْ ... تطلبْ نَداهُ فكَلْبٌ دونه كَلِبُ(٤)

وسعيد بن عَمرو، كان من سادات العلماء بالكوفة، وأكابر قُريش، وولدُه بها، وكنيتُه أبو عثمان.

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١٤٧ـ١٤٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٤.

(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٤٤، وطبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٤، وهو من رجال «تهذيب الكمال» ٣/ ٤٥.

(٤) تاريخ دمشق ٦٧/ ٢٢ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة مروان بن محمد)، ونسب الجاحظ الشعر في «الحيوان» ١/ ٢٥٦، والزمخشري في «المستقصى» ١/ ١٢ للضَّحَّاك بن سعد الهَمْدَاني. ولم يصرّح الطبري في «تاريخه» ٧/ ٤٣٤ (أحداث سنة ١٣٢) باسم الشاعر، فقال: وقال رجل من ولد سعيد بن العاص... ونسبه العسكري في «ديوان المعاني» ١/ ١٩٦ لسعيد بن العاص.

حدَّث عن ابن عُمر، وأبي هريرة، وعائشة، وأبيه عَمرو بن سعيد.

وروى عنه بنوه: إسحاق، وخالد، وعَمرو، وشعبة بن الحجَّاج، في آخرين.

وكان لما قُتل أبوه بدمشق، فنفاه عبدُ الملك مع أهل بيته إلى العراق، فأقامَ بالكوفة، وكان ثقةً صدوقاً[١].

وأمَّا إسماعيل بن عمرو؛ فكان يسكُنُ الأَعْوَص شرقيَّ المدينة، وكان زاهداً، لم يلتبس من سلطان بني أمية بشيء، وهو الذي قال عنه عُمر بن عبد العزيز ﷺ: لو كان لي أنْ أعهد؛ ما عَدَوْتُ أحدَ الرجلين: صاحب الأعوص، يعني إسماعيل، وأُعَيْمِش بني تيم، يعني القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ[٢].

وأمَّا محمد بن عَمرو بن سعيد؛ فكان مع أبيه يوم قُتل، وكان قد قدم الشام غازياً، فنزل على عمَّته ابنةِ سعيد بن العاص، وكانت زوجةَ خالد بن يزيد بن معاوية، فأقام أياماً، فقال خالد: ما يَقْدَمُ علينا أحدٌ من أهلِ الحجاز إلا اختار المُقام عندنا على المدينة. يعرِّض بمحمد. فقال له محمد: وما يمنعُهم وقد قدم قومٌ منهم على النواضح، فسلبوك مُلكَك، ونكحوا أمَّك، وفرَّغوك لقراءة الكتب، وطلبتَ ما لا تقدرُ عليه. يشير إلى الكيمياء. وكان خالد مشهوراً بها[٣].

وأمَّا موسى بن عَمرو؛ فكان له ولد اسمُه أيوب، وروى عنه[٤] العلمَ مالكُ بنُ أنس، وغيرُه.

أسندَ عمرو بنُ سعيد الحديث عن عُمر، وعثمان، ﷺ، وقيل: إنه رأى النبي ﷺ.

وروى عنه بنوه.

---

(١) تاريخ دمشق ٧/ ٣٢٩-٣٣٠ (مصورة دار البشير). وينظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٤٤٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٣ ، وتهذيب الكمال ٣/ ١٥٨ .

(٣) تاريخ دمشق ٦٤/ ٧٤-٧٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) يعني عن أيوب. وأيوب بن موسى من رجال «تهذيب الكمال» ٣/ ٤٩٤ .

عمرو بن سعيد الثقفي مولاهم

من الطبقة الخامسة من التابعين من أهل البصرة[(١)].

حدّث عن أنس بن مالك، وكان ثقةً، وأوفدَه يوسف بن عُمر[(٢)] على الوليد بن يزيد، فلما عاد من عنده قال له يوسف: كيف خلَّفْتَ الفاسق؟ ثم قال له: إيَّاك أن يَسمع منك هذا الكلام أحد. فقال عَمرو: حبيبة بنتُ عبد الرحمن بن جُبير طالق إنْ سمعَتْهُ أذناي مادمْتُ حيّاً. فضحك يوسف بن عُمر[(٣)].

قوله: أوفدَه يوسف بن عُمر على الوليد بن يزيد: وهم، إذ كانت وفاته في هذه السنة، والله أعلم.

قَبِيصة بن جابر

ابن وَهْب بن مالك، أبو العلاء الأسدي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة[(٤)].

وكان رضيعَ معاوية بن أبي سفيان؛ أرضعته أُمُّه هند[(٥)]، وكان كاتبَ سعد بن أبي وقَّاص بالكوفة[(٦)].

وكان أميراً على بني أسد يومَ الجمل مع عليٍّ رضوان الله عليه، وكان يُعَدّ من الفُصحاء، وكان ثقةً له أحاديث.

---

(١) ذكره ابن سعد في «طبقاته» ٩/ ٢٣٩ في الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة، وذكره خليفة في «طبقاته» ص ٢١٣ في الرابعة، لكن نقل ابن عساكر في «تاريخه» ١٣/ ٤٦٠ (مصورة دار البشير) والمزي في «تهذيبه» ٢٢/ ٤١ أن خليفة ذكره في الطبقة الخامسة. والله أعلم.

(٢) في (أ) و(ب) و(خ) (والكلام منها): عَمرو (وكذا في الموضع الآتي) وهو خطأ. وهو يوسف بن عُمر بن محمد بن الحكم. ينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٢٨/ ٨٥.

(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٦٠ (مصورة دار البشير).

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٦٦ .

(٥) وكذا ذكر صاحب «النجوم الزاهرة» ١/ ١٨٤ وهو خطأ. ولعله نقله عن المصنف. والذي في «تاريخ دمشق» ١٤/ ٣٨٧ (مصورة دار البشير) أن أمَّ قبيصة أرضعت معاوية، وقد جاء فيه أيضاً ٤/ ٣٨٨ : أن أمَّ قَبِيصة ظَأَرَتْ أبا سفيان وأرضعَتْ معاوية.

(٦) كذا قال. ولعله وهم، فالذي في «المحبَّر» ص٣٧٧، و«تاريخ دمشق» ١٤/ ٣٨٧ أنه كان كاتب سعيد بن العاص.

روى عن عُمر، وعليّ، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومعاوية، وعَمرو ابن العاص، والمغيرة بن شعبة.

وروى عنه الشعبيُّ وغيرُه، وتوفِّي في سنة تسع وستين(١).

مالك بن أُحَيْمِر(٢)

السَّكْسَكي الحمصي اليمامي، من الطبقة الأولى من أهل الشام، وقيل: له صحبة ورواية.

وكان صاحبَ معاذ بن جبل، روى عنه وقال: رأيتُ المهاجرات بالجابية حول حجرة معاذ يذبحن أضاحيَهنَّ بأيديهنَّ.

وروى عن معاوية، وروى عنه معاوية(٣).

يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ

أبو عثمان الحِمْيريّ البصري [صاحب الواقعة مع بني زياد. وسُمِّيَ جدُّه مُفَرِّغاً لأنه راهن أن يشربَ سِقاءً من لبن فيُفرِّغه، ففعل].

كان شاعراً محسناً مُجيداً غَزِلاً(٤). والسيِّد الحِمْيريّ من ولده(٥).

وكان يهوى أناهيد بنتَ الأعنق الأهوازية، وشبَّب بها [وله معها قصص.

وقال أبو عبيدة معمر:] وقدم الموصل، فتزوَّج امرأة عظيمة القدر، فلما كان ليلةُ زفافها؛ خرج إلى ظاهر البلد، فلقيَ رجلاً من الأهواز، فسأله عن أناهيد بنت الأعنق،

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ٣٨٧ وما بعدها (مصورة دار البشير).

(٢) في «طبقات» ابن سعد٩/ ٤٤٤، و«تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٧٤ (طبعة مجمع دمشق): يخامر. قال ابن عساكر: ويقال: أخامر. قال ابن حجر في «الإصابة» ٩/ ٣٤: ويقال: أُخيمر، بالتصغير، ويقال بالمهملة مع التصغير. ولم ترد هذه الترجمة في (م) (وفي هذا الموضع خرم في النسخة ص).

(٣) تاريخ دمشق ٦٦/ ١٧٤-١٧٦ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) الأغاني ١٨/ ٢٥٤. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٥) اسم السيّد الحِميري: إسماعيل بن محمد بن يزيد، والسيّد لقبٌ له. ينظر «الأغاني» ٧/ ٢٢٩.

فقال: إي والله، ما تجفُّ جفونُها من البكاء على ابن مفرِّغ. فحلف أنه لا يدخل الموصل حتى يأتيَها بالأهواز، فقال له صاحب معه: زوّجك القوم كريمتهم[١]، وأحسنوا إليك؛ تَدَعُهم وأنتَ في أمن[٢]، وتقدم على ابن زياد وقد فعل بك ما فعل! فقال: لا بدَّ. وسار من وقته إلى البصرة، فقدم على عُبيد الله بن أبي بَكْرة، فامتدحَه، فأمرَ له بمئة ألف درهم، ومئةِ ناقة، ومئةِ وصيف، ومئة وصيفة، فأخذَ الجميع، ومضى إلى الأهواز، فنزل على أناهيد، فأقام عندها حتى مات بالطاعون في هذه السنة[٣].

وهو القائل يمدحُ مروان بن الحَكَم:

عَشِقَ الفضائلَ فَهْوَ مُشتغلٌ بها والمَكْرُمَاتُ قليلةُ العُشَّاقِ
وأقام سُوقاً للثَّناء ولم يكنْ سوقُ الثَّناءِ يُقام في الأسواقِ
وكأنَّما جعلَ الإلهُ إليكمُ قبضَ النفوسِ وقسمةَ الأرزاقِ[٤]!

(١) تحرفت العبارة في (أ) و(ب) و(خ) و(د) إلى: ودخل القوم كريمهم. والمثبت من (م).
(٢) في (م): أمر.
(٣) ينظر «الأغاني» ١٨/ ٢٩٠-٢٩٦.
(٤) البيتان الثاني والثالث في «الأغاني» ١٨/ ٢٨٩. والبيتان الأول والثالث بنحوهما في «الوافي بالوفيات» ٥/ ٢٢١ ونسبا (مع بيت ثالث) لأحمد بن أبي فنن يمدح فيها محمد بن يزيد بن مزيد الشيباني.

الفهرس

فهرس الموضوعات